المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الاسلامية في العراق

مذكرات سجينة

صفحات حمراء من تاريخٍ منسيّ

الجزء الاول

فاطمة العراقي
علي العراقي

المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق

مذكرات سجينة

صفحات حمراء من تاريخ منسي

تأليف
فاطمة العراقي   علي العراقي

دار الفقه

الإهداء

الى أرغفة الروح في زمن القحط ..

الى الأرواح التي جادت بالفضيلة في تجارة لن تبور ..

الى حكايا الجراح ، الناطقات في زمن الخرس ..

الى اللاتي علمن الرجال معنى الرجولة ..

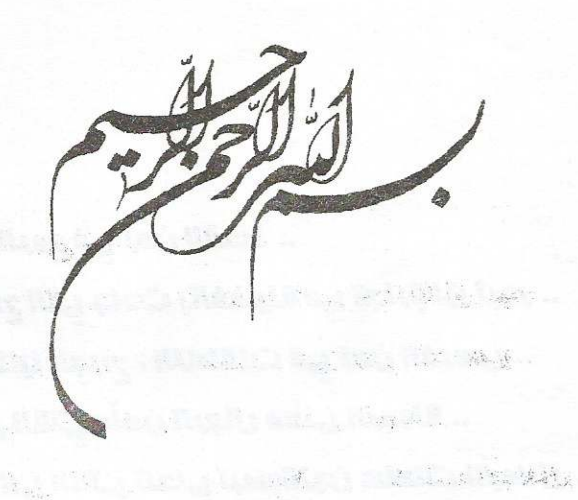
الى اللاتي تنحني لبطولاتهن هامات الأبطال ..

الى الخالدات مع العراق وشمس الأبد ..

والى كلّ حجيج كربلاء ، الأحرار الذين لم

ينضب الزيت من مصابيحهم ..

أهدي صوراً من حياة أخرى .



﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب

ما كان حديثاً يفترى﴾ يوسف: ١١١

المقدمة

وكانت البداية

لم يكن هيّناً التصدّي لمشروع توثيق أنبل ظاهرة عرفها تاريخ العراق المعاصر بل وتاريخ الإنسان المسلم المعاصر ، ألا وهي الشهادة ، التي تعتبر أبرز مظهر حضاري شعبي أطّر أحداث العراق السياسية خلال سني النصف الأول من عقد الثمانينات ..

والصعوبة ناجمة عن الخشية في التقصير بحق الشهيدات والعجز عن تبيان عظمة التضحية التي قدّمتها أولاء اللّبوات تجاه دينهن ووطنهن ، والحفاظ على خصائصِ تلك المرحلة التي احتضِنت عملهن وصدق نواياهن .. سيّما وأنني لست روائياً ولا كاتب قصة ، بل لم أحاول قبل ذلك أن أضع لمسات ولو أولية لاحداثٍ جسام .

لقد اضطرتنا الظروف للخروج من الوطن ، ورُبَّ ضارّة نافعة ، فقد كان المهجر محطّةً لنا للملمة شَتات مذكراتنا ، فتصدّيت لمهمة الكتابة وإنجاز المشروع خصوصاً بعد أن «علمت أنَّ عملي لا يعملهُ غيري فاجتهدت»[1] .

نعم ، فبعد أن استقر بنا المقام بأشهرٍ لفت نظر زوجتي وأثار دهشتها التغييب المطلق والتناسي التام لحبيباتها الشهيدات الغاليات[2] ..

فطفح بها الألم ، وانهمرت الدموع وتقرّحت الجفون .. ثم عتبتْ ونادت ، ولكن لا حياة لمن تنادي !

---

١ - الإمام علي عليه السلام ، «بحار الانوار ، ج ٧٥ : ٢٢٧» .

٢ - تم جرد جميع الصحف العراقية في المهجر الإيراني : (مجلّدات صحيفة الجهاد من العدد الأول عام ١٩٨١م الى عام ٢٠٠١م ، ومجلة الجهاد ، وكذا مجلدات مجلة الشهيدة ، وصحيفة الشهيد ، ومجلدات صحف لواء الصدر وبدر والشهادة ، وصحف المبلّغ الرسالي والنبأ والمنتدىٰ وحتىٰ صحف المهجر السوري) فلم نجد مقالاً تاماً يؤرّخ لحياة وجهاد واستشهاد زينبيّة واحدة من زينبياتنا المنسيّات ..

نعم ، وجدتُ أسطراً غائمة تناثرت هنا وهناك بحياءٍ واختزال ، في عددٍ أو عددين وعلىٰ مدىٰ عقدين من السنين !

أما المؤلّفات ، فالمهجر يُصدِّر ولله الحمد عشرات الكتب الجديدة وبالأطنان ، غير أننا لم نعثر علىٰ كتابٍ واحدٍ يُورّخ ولو لشهيدة واحدة من شهيداتنا المنسيّات !!

فأحسستُ أن دموعها قد جالت في عيوني ، وعتبها قد سحق صمتي ، فقرّرت الكتابة وأذعنت لثورة قلمي ، فكانت «مذكرات سجينة»[١] .

الشهيدات لسن بحاجة الىٰ كُتُب تمجيد ، والمذكرات ليست محاولة لتعميدهنَّ بماء الكتابة ، غير انني رأيت من الأهمية بمكان تسليط الضوء علىٰ نماذجنا النسوية الفاعلة – خصوصاً انِ تاريخنا الإسلامي المعاصر يفتقر الىٰ نساء مجاهدات كزينبيات العراق – علّي أُشارك ولو بشمعةٍ في إنارة الدرب الوعر أمام جيل ابنائنا الذين فُرِضَ علىٰ شبابهم البلاء وخيّمت علىٰ أحلامهم المِحْنة ..

فقرّرت هذه المرة كتابة عذابات تلك المذكّرات في أخاديد القلوب لا علىٰ ورق الليل ، وبذلت الجهد الجهيد للملمة هذه الأُشتات المبعثرة علّني أُوفّق في إعادة بعض ملامح الصورة .. وهكذا نمتْ الرغبة الصادقة الصارمة للتصدّي لهذا البخس والإهمال الذي طال شهيداتنا عشرين عاماً ، والذي سبّب تغييب صفحاتٍ من نور كادت تنطفىء لتراكم المِحَن وتغيُّر المهاجر والإحَن والتي جعلت من ألوانها شاحبةً باهتة !

ساعات وأيام وشهور نادرة ، أحسست أنها ساحرة، غرقتُ بها مع أطياف الزينبيات وعوالم الشهيدات .. فلم أشعر للحظةٍ من اللحظات أنني قريب من المولىٰ الكريم كما شعرت وانا في حالة استغراقٍ في الكتابة عن الشهيدات[٢] .

---

١ – «إيه فاطمة .. ماذا أقول يا ابنة العراق ؟ هل أقولُ أن مأساتنا هي أن ننسىٰ مأساتنا ! أن ننسىٰ الدماء الزكية ! أن ننسىٰ أخواتكِ الزينبيات اللاتي ساقَهنَّ فرعون بغداد الىٰ طاحونة الموت الأحمر وساحات الاعدام ؟!

وأنتِ يارفيقة الدرب ، إذ تهمسين بمذكراتكِ الحزينة ، فها أنا أرىٰ دموعكِ ماثلة أمامي وأنتِ تملئين القلم من محبرة الهمِّ والحزن لتُذكِّرينا بقرابين البيعة المنسيّة .. فشكراً لكِ شكراً لكِ ، لان في همساتكِ صرخة غضب في دنيا النسيان واللامبالاة ، وفي مذكراتكِ وثيقة شاهدة وشهيدة ، شاهدة علىٰ وحشيّة ذئاب البعث ، وشهيدة تروي ظُلم ذَوي القُربىٰ ..

عُذراً فاطمة ، وعُذراً لكل الزينبيات المنسيّات ، لأننا نسيناهنَّ أو تناسيناهُنَّ ، نعم عزيزتاه .. لقد ابتعدنا عن الجهاد وزدنا بُعداً ، حتىٰ أصبح الكثير منّا – في المهجر – يسقط إعياءاً وخواءاً ..

فلنقف وقفة تأمُّلٍ صادقة ، ولنَعد في أذهاننا مأساة أُخواتنا وبناتنا وما قدّمن ، كي لا نتأخّر في الاعتذار» من مقالٍ نُشر في صحيفة الكلمة الحرة ، بأسم علي العراقي وتحت عنوان : كي لانتأخَّر في الاعتذار .

٢ – باشرنا في كتابة «مذكرات سجينة» في صحيفة الكلمة الحرّة ، ونحن علىٰ يقين أن العمل في كشف هذا الملف الخطير سيكون في دائرة رصد المرتزقة إلّا أننا لم ننثن ولن ننثني ، لأن الكلمة موقف ، وأعز الرقاب قُطِعت لانها نطقت بآيةِ حق ..

وحدثَ ما كنّا نتوقّع .. فأثناء سفري وعائلتي الىٰ مدينة مشهد المقدّسة في الفترة (١٤ – ٢١)/١١/٢٠٠٠م لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام ، انسلَّ في جُنح الظلام مرتزقة أذلّاء الىٰ منزلي ، وتجاوزوا علىٰ حُرمة بيتي .. حيث وجدنا رسائل تحذير وتهديد رخيصة قد خُطَّت علىٰ جدران الغرف ، وقد بُعثرت محتويات البيت ، غير أنهم لم يسرقوا شيئاً !! وقد سُجِّل الحادث من قِبَل الجهات الرسمية المختصّة ، وسنكشف عن تفاصيل مصوّرة وموثّقة في الوقت المناسب إن شاء الله تعالىٰ .

ذكريات عبر الجِراح نكتبها لجيل الفتح وللّذي سيولد ، بأسلوب سلسٍ واضح لايخلو من البساطة والعفوية ، ليتسنّىٰ للقرّاء بمختلف مستوياتهم إدراك مواعظها واستيعاب غاياتها .. وقد حرصنا علىٰ كتابتها بروح حياديّة وجراةٍ موضوعية ، وبدماء الحق لابحبر المصالح ، لأنها وثيقةٌ للأجيال .

قرابين الفجر ..

المذكرات صفحات حمراء من دمٍ زينبيٍّ قانٍ ، لخدورٍ مُزّقَت وأعراضٍ انتُهكَت ولبواتٍ دُفِنت .. تؤرِّخ لمرحلةٍ هي من أبشع مراحل المواجهة مع الطاغوت البعثي .. لذا فهي ذكرياتٍ خضيبة من قلب تاريخنا المكتوم ، وصرخة ألم لأيامنا السود في دنيا النسيان ، وصفعة ضمير من دون صدىٰ ، للمهجر الطافح بالخَدَر واللامبالاة ، ولَسعة قلم استمدَّ مِدادهُ من آهات السنين العجاف..

والمذكرات محاولة توثيقية لبيانات ثورية ضد الجبت والطاغوت ، لواقعٍ عاشتهُ فتيات العراق ، ووثيقة إدانة لكلِّ المتثائبين في محكمة التاريخ ..

وهي في الوقت نفسه رصيد إرثٍ لنساء العراق والمهجر ، من فتيات آثرن الموت عِزّاً علىٰ الحياة ذُلّا .. وإشراقة أملٍ في دنيا القنوط ، وسَبَحات دفءٍ في آفاق الروح ، وإطلالة علىٰ عالمٍ يُجبركَ أن تُعيد حساباتك من جديد نحو عالَم الآخرة ..

زحفٌ آثم اجتاحَ بلد المقدّسات كوباءٍ فتّاك ، فتصدّىٰ لهُ جيل نَدر أن يجود الزمن بمثل سخائِه وتضحياته .. إنهُ جيل الصدر وبنت الهُدىٰ .

فكان يقف علىٰ مسرح المعركة كيانان نقيضان ، أحدهما راسف في أغلال الباطل ومُزوَّد بكل أساليب المكر والخداع ، والآخر متحرِّر من أغلال الشهوات ومتسام في الغايات .

نماذج نسوية رائدة عِشنَ الصراع ضد طاغوت العراق كأشد ما يكون الصراع ، قرابين سخيّة لإحياء دور العقيلة زينب عليها السلام أمام يزيد العراق .. إنّهن قرابين الفجر الذي أشرق سنا نوره مع ضياء شمس الثورة الإسلامية في إيران ..

فتيات عِشن جِراح الوطن وأرهقتهنَّ همومه ، أخذن مواقعهنَّ الريادية في

خارطة العراق الجهادية ، وقاتلنَ بنوايا صادقة بعيدة عن الرخيص من الأهداف .. فحاولنَ بعطرِهنَّ الزينبي الفوّاح بَثَّ الهِمَم في النفوس الهامدة وبعث الحياة في الأجساد الراقدة ..

نوارس تم اعتقالهنَّ من مختلف شطآن العراق وروافده ، وتم تمزيقهنَّ بمختلف أدوات التعذيب ووسائله .. فكانت أجسادهنَّ صغيرة ، إلّا أن أرواحهنَّ كبيرة كبر مواقفهن وعِظم تضحياتهن ، وكانت جِراحهن بطولة في جسد الوطن الكبير [١] ، ودماؤهن خير صائن لحركة الأُمة نحو الاستقامة .. فتمازجت الدماء وتشابكت الاغصان حتىٰ بلغت الثرىٰ .

إننا بحق أمام نوعٍ فريدٍ من النساء ، وحُقَّ للعراق أن يملأ صفحاته بعبق بطولاتهن ، وينير أسطره بشمس تضحياتهن .. فتيات انطلقن من قلب المِحْنة وأعماق هم الأُمة ، تجاسرن بكلِّ عزم وكابدن في سبيل الدين والوطن شتّىٰ البلايا والمِحَن .. زينبيات جئن يوقظن النائمين علىٰ الفجر الصادق القادم من مخاضات الزنازين .

ومن هنا كانت حركة الزينبيات في خط الاستشهاد جزءاً لايتجزّأ من ضرورات المعركة لأُمةٍ مسلمةٍ متوجهةٍ نحو الله ، كُنّ انصار حسين زمانهن وشتائل زينب عصرهن ، التي أورقت سيوفاً وسنابل . فأينما يكون يزيد لابد من حسين وزينب، ومَن لا يملك زينب في قلبه لايتذوّق الكرامة في حياته ، لانها حياة بلا عقيلة .

إذن لابُدَّ من المشانق لنصل الىٰ ما نطمح اليه من فتح ونعمة ، لابد من الخسائر وإن كانت مؤلمة .. فلا حرية بلا دماء ، لكن الذي يؤلم الرّوح أن لكلِّ حربٍ قوانينها إلّا الحرب البعثية ، ولكل السجون أساليبها البشعة ، إلّا الزنازين البعثية .. قطعان من المرتزقة ، حيث الدمار وموت الضمير ، وصور من سبي الأعراض وهتك الحُرمات مالا يحسن للقلم سوىٰ رسم جزء منها ..

القارىء الكريم

لا أُريد أن أُثير أشجانك ، فلذلك حديثٌ آخر سأبُثّهُ لكَ لاحقاً إن شاء الله تعالىٰ .. كانوا يقتلون أنصار الأنبياء ليُعبَد الوثن ، يقتلون أنصار الحُسين ليُعبَد

---

١ - «جرحُكَ بطولة ، جرحُكَ قوة .. وهو جرح في جسدك الصغير ،لكنهُ يتحوّل في جسد الأمةِ الىٰ قوة» سيد شهداء حزب الله لبنان ، السيد عباس الموسوي .

البعث .. إنها دماء بدرٍ وخيبرٍ وكربلاء .

لذا شهد (أبو غريب) و(الرضوانية) والصحارىٰ النائية مشاهدَ بشعة من مهرجانات الإعدام الجماعية لم تشهد لها حتىٰ محاكم التفتيش مثيلاً ، مما جعل دموية نظام بعث العراق من حقائق هذا الوجود .

أيّ مصائبٍ علىٰ شعبنا أن يتحمّلها ، وأيّ دمارٍ علينا أن نكابده ، وكم من القادة والأبطال يجب أن ينزفون دماً كي نغسل روح العراق وعقله من رجس البعث .. شعبٌ صابرٌ محتسبٌ حُمِّل الكثير من ميراث الطُغاة ، حتىٰ حار المؤرخون أيَّ فصلٍ من جهادهِ يُخلِّدون ، وأيَّ عبقٍ من بطولاته وتضحياته يُسطِّرون !

أضابير دثّروها بالتّراب !

الحديث عن الشهيد والشهادة هو الحديث عن القيم ومحاولة زرعها في شرايين الأمّة من جديد ، وما المذكرات سوىٰ دروسٍ في التحرّر من قيود الذات وأغلال الشهوات وبالتالي تفعيل الطاقات .. ونحن لانملك من وسائل الضغط علىٰ الواقع المهجري الراكد سوىٰ دماء الزينبيات ..

في المهجر تغيرت الكثير من دلالات الهجرة ومعاني الجهاد ، وربما أعطت النقيض .. لذا لا غرابة أن نجد أكثر المنسيّين والمهمّشين في المهجر هُم من قوافل الشهداء والمجاهدين ! باعتبارهم المرآة التي تكشف سوءاتنا ونقيض ادّعاءاتنا !

نعم ، لاغرابة .. فالاذلّاء المترفون الذين أدمنوا حياة الدِعة والخواء يمقتون حتىٰ الحديث عن الثورة والثوّار ، ولا يطيقون شمَّ عطر دماء الأحرار ..

جيل نبت علىٰ نجيع الدم ، ملأ العراق جهاداً وتضحيات ، انتهىٰ أغلبهُ في المهجر الىٰ روح خاوية لاهمَّ لها سوىٰ دنيا خضراء وعيشةٍ بلهاء .. إنّهمُ ثوّار الظروف ، هاجرُوا ليهجروا - ولو بعد حينٍ - ساحات الجهاد والاستشهاد ، وليهيموا علىٰ وجوههم في أقطار الأرض ، بحثاً عن الأمان وتَرف العيش !

ناموا في أحلك ساعات الشدّة ، لأنهم وجدوا في الجهاد بؤساً وهم يرجون نعيماً .

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم   فهمُ كُربتي فأينَ الفِرارُ

هنا في المهجر تجد أغلب الطرقات مستوية جميلة ، بَيْد أنها في الحقيقة متعرِّجة كمسار الثعبان .. ادّعاءات تنظيرية وممارسات عُصابية جثمت علىٰ عقل المهجر كالاخطبوط ، فمنعت كل صيحات الانعتاق .. تكتّلات فئوية ومناطقية أدمنت استبدادية القرار ومصادرة الرأي الآخر ..

رؤىٰ وتحزبّات مُعاقة ومُعيقة منهجها التشكيك أو التسقيط لكل مَن لم يسجد لصنمها[1] أو يدور في فلكها .. نفوس أصغت الىٰ فحيح الأرض وتناست رحاب السماء ، كُلٌّ توارث عجلاً صنعتهُ أهواؤهُ وتراكُم نزاعاته ..

لذا حلّ محل الايثار الاستئثار ، وانقلب الاختلاف الرحمة الىٰ خلاف فتنة ونقمة[2] ، وانتشر الوعي الأحادي الذي يلغي الآخر ولايؤسّس للمعرفة الصحيحة .

وهنا في المهجر مواخير للكلام لاحصر لها ؛ تراشق الاشاعات والاتهامات سوق رائجة علىٰ مدار الساعة ، وتسقيط الآخرين علىٰ طريقة (اقتلوا يوسُف أو اطرحوه أرضاً) منهج يومي للأجهاز علىٰ كل مشروعٍ خيّرٍ واستئصاله وهو في مهده مادام لم ينتمِ لهم أو ينطلق من رؤاهم[3] !

---

١ - الصنميّة مرض شائع ، غالباً ما يُصيب الحركات الرائدة العريقة .

٢ - اختلاف الرأي طبيعة فطرية في بني البشر ؛ قال تعالىٰ : **﴿ولايزالون مختلفين إلّا مَن رحم ربك ولذلك خلقهم﴾** .

٣ - باءت جميع محاولاتنا بالفشل إذ لم نتمكن من اقناع أحد من «المعنيين» بالشأن العراقي ليتوفر علىٰ طبع كتاب «الفضيلة عذراء أبداً» الذي ألّفه الشهيد الحي «علي الأنصاري» رغم أهمية الكتاب لانه من جهة يعتبر وثيقة جهاد وتضحية للمعارضة الإسلامية - مرجعيات وحركات وشخصيات - ومن جهة أخرىٰ يعتبر أبشع وثيقة ادانة للنظام في انتهاكاته الإنسانية عبر تاريخه الأسود .

وقد اضطرنا هذا التلكؤ في المبادرة لبيع ما نمتلك من بعض الحلي المتواضعة وبعض المدخّرات القليلة حتىٰ نطبع الكتاب ، فوفّقنا الباري لانجاز هذا العمل عام ٢٠٠١م خدمةً للشهداء وإيماناً بنهج الشهادة .

ومن الملفت للنظر أن الكتاب قد لاقىٰ رواجاً منقطع النظير في عدد من الدول العربية وكادت نسخهُ البالغة ألفي نسخة أن تنفد خلال فترة وجيزة من تاريخ طبعته الأولىٰ ، غير أن هؤلاء المعنيين أيضاً لم يبادروا لاقتناء «نسخة واحدة» من الكتاب ، بل لم يتعاونوا في تسويقه الىٰ دول المهجر ، رغم ان الكتاب يمثلهم أولاً وآخر كما أصحنا ، ولهذا بادرنا لوخز ضمائرهم باعطاء مايزيد علىٰ مائتي نسخة موزّعة عليهم كهدايا ، لعلهم يشعروا بقيمة الدماء التي جفّ نزفها في مخيلاتهم وهي لاتزال تملأ الأفق عبيراً داخل الوطن . وسننشر تفاصيل هذه المفارقة بالوثائق والاسماء ولكن عند الضرورة وليس عند «الظرف المناسب» !

وفي مطلع عام ٢٠٠٢ م تمّ انجاز الجزء الأول من كتاب «مذكرات سجينة» ، وها نحن نلج عام ٢٠٠٣م ، ومع ذلك لم نفلح من اقناع «المعميين» بطباعته ، رغم ان بعض كُتب «الوجهاء» - والكتب التي تروّج لهم - الخالية من العطاء الفكري والروحي تتصدّر مقدماتها عبارة : «نفدت الطبعة الثالثة .. واضطررنا - خدمةً للإسلام والمذهب - للطبعة الرابعة» ، غير اننا نعلم ان الطبعة الرابعة والخامسة وحتىٰ العاشرة ستنفد ، لان الكتاب يوزّع بالمجان كهدايا غير مطلوبة ولامرغوبة، يتراكم

مهجر يفيض بالنزاعات السرّية والعلنية ، يحرص على الرخيص فيفوته النفيس .. يعيش همومه واهتماماته بعيداً عن همّ العراق ومِحنة شعبه ..

نعم ، هذا هو الواقع المهجري ، ولامجال لإنكاره .. ولكُلٍّ دليله وتفصيله ، ولكُلِّ مقامٍ مقال وليس كُل مايُعرف يُقال !

الىٰ الماء يسعىٰ من يغُصّ بلُقمةٍ   الىٰ أين يسعىٰ مَن يغُصُّ بماءِ

فالمهجر بكل رموزهُ وتكتّلاته ، يعيش الازدواجية المقرفة بين الادّعاء والممارسة .. ولانهُ واقع مترهّل فقد كرّس في الروح الخمول وسلّح العقل بِفن التبريرات والتخريجات الشرعية .. ولأن شعور العِزّة بالاثم هو السائد في عقليات أغلب المتصدّين ، أفراداً وجماعات ، فقد نظّروا لأخطائهم وحوّلوا رؤاهم وقناعاتهم الىٰ عقائد معصومة ! لالشيء سوىٰ تهميش الآخرين والغائهم ثم اخضاع الواقع ومصادرته لصالح عناوينهم ومواقعهم .

عليه تراب الرفوف ، ولان النفقة علىٰ بيت المال ، خدمة لصاحب الزمان !!

ومشروعنا الوثائقي هذا لم يكن الضحية الأولىٰ في ساحة المهجر ولا الأخيرة أيضاً ، فهناك الكثير من المشاريع العملية التي يئدها أصحاب السيادة في المهد ، بل قبل اللقاح أحياناً كثيرة ، ومن شواهد هذا الوأد كتاب الأخ الحبيب المرحوم الشيخ «أبو شريف العراقي» الذي سطّر فيه بعض ملاحم الشهادة في الجنوب العراقي المنسي «الفرّاف وهامات النخيل» ومشروعه الكبير في أرشفة الآلاف من شهداء المهجر ، ورغم تبني الشهيد الكبير «أبو ميثم الصادقي» لطبع الكتاب واتمام المشروع ، لكن المنية عاجلته أيضاً - في بغداد - فرحل الىٰ جنان صاحبه «أبي شريف» وعيونهما تتطلّع الىٰ الوراء في أملٍ حائر .

نعم ، هذا هو الواقع المهجري .. فهنا تُستثمر الدماء والبطولة للعناوين فقط ، وإذا ثبت أن الشهيد أو المجاهد لم يعمل لهذا العنوان أو ذاك وانما يعمل للإسلام وللعراق فقط ، يُغيّب ويُشطب من قائمة الاستحقاقات والاولويات !! ولاحول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم .

فها هو البطل «أبو زهراء الشطري» الذي ارتحل شهيداً ليلتحق بصاحبه الشهيد الكبير «أبو سجاد الناصري» من مجموعةٍ مثّلت إباء ذروة الشرفاء في عراق الحسين ، حينما شلّوا بسواعدهم الاصيلة جسد العائلة المالكةِ ببغداد في عملية المنصور النوعية والتي تسابقَ البعض من أطياف الحركة الإسلامية بتبنّي مسؤوليته عليها بادّعاء أن «أُسود» العملية من كوادره ومجاهديه ! يُشطب ولم نجد له مجلس فاتحة في مساجدهم بقم وطهران - التي كانت تمثل يوماً كعبة آمال الشهداء والمجاهدين - رغم كل مجالس التعازي التي أقيمت في الاهواز وقم ومدن مهجرية أخرىٰ !!

ونحن إذ نحرص هنا - أخي القارىء الكريم - علىٰ تدوين هذه الغرائب والمفارقات في دُنيا الجهاد والشهادة ، علّنا نوفّق في توضيح بعض ملامح روح المهجر القمي وما تعانيه من ضوضاء ولا مبالاة تجاه فقه الاولويات .

ومن هنا - وبعد كل ذلك - فان الواقع المهجري صار لايبعث علىٰ العجب ، لان العجب إنّما يكون في غير المألوف ، وكل مايجري هنا هو أكثر من المألوف والمعروف ، غير اننا سنحارب المألوف ببقية أمل في أيدينا قد لايكون له أثر السيوف ، ولكنه بعين الله ربح ونَماء ورَجاء ، وما خَسِر مَن تاجرَ ربّه .

والدمـاء التـي أُريـقت لتـروي ظـمأ الفـتح مـن جناها تـخيبُ
واكتشفنا ونحنُ فـي وسط اللُّجَّةِ أن السـفينَ فـيها ثـقوبُ
والشـراع الذي عـقدنا عـليه كـلَّ آمـال فـجرنا مـقلوبُ
فـهدانـا لمرفأٍكُـلَّ مـافيه ثـقيلٌ علىٰ القلوبِ مـريبُ

ولأن المرأة هي مَلاك حديثنا في هذا الكتاب فإننا نستطيع القول إنها كانت إحدىٰ ضحاياهم في المهجر ..

مفارقة تحزُّ القلب أن نرىٰ حضور المرأة في المهجر لايتناسب وحجم عطائها وتضحياتها أثناء مشاركتها الرجل كحليفٍ دائم في العمل السياسي والثقافي في سني المواجهة العجاف .. فالمرأة في المهجر تتوق الىٰ خوض التجربة ، لكنها تفتقد الإسناد وحق الممارسة ، وعلينا أن لا نقع في خطأ الانحياز بين نقاء النظرية وبين شوائب التجربة ..

فمحْنَة المرأة العراقية أكبر وابشع من مِحنة المرأة الإيرانية قبل الثورة ، وبنت العراق ليست بأقل كفاءة من اختها الإيرانية[1] التي احتلّت دورها باقتدار وخاضت تجربة المسؤولية بنجاح[2] ..

ونحن علىٰ يقين أن دخول المرأة العمل الثقافي والسياسي لا يتنافىٰ أو يتقاطع مع مسؤوليتها الأُسرية واستقرارها العائلي ، فلا أثنينية في الامر ، فكلاهما يسير نحو الهدف المتمثّل برضا الله سبحانه وتعالىٰ ..

لانود أن ننكأ الجراح لولا كثرة المصاديق ، فالواقع النسوي المهجري لايُعبّر عن حقيقة الملكات التي امتلكتها (بنت الرافدين) ، وما بعض تلك التجمُّعات النسوية إلّا سراب يحسبُه الظمآن ماءاً ، والتي لاتعدو كونها في أحسن الحالات مجالس تعزية تفتقر الىٰ مستلزمات التطوير وبعض الجلسات الثقافية المتواضعة التي لاتُشبع الطموح .

المرأة مازالت ترىٰ نفسها خارج التشكيلات الأساسية ، وان حضورها في

---

١ - «ماتحقق لنا من انتصار يعود الى النساء قبل الرجال» الإمام الخميني قدس سره .

٢ - «النساء نا اليوم دور فاعل في المجالات السياسية والثقافية والثورية ، وكذلك علىٰ صعيد النشاطات العالمية لهنَّ دور فاعل أمام الأعداء في العالم كلّه» من حديثٍ لسماحة ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي في التجمع العظيم لتكريم النساء المجاهدات في الجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٩٩٨م .

المعادلة السياسية مازال لايتناسب وحجم تلك التضحيات .. وفي قلبها بحر عتب علىٰ الحركة الإسلامية علىٰ وجه الخصوص ، لانـها دفعت ضريبة العمل الحـزبي والتنظيمي والثقافي بالأمس في ظلِّ حِراب البعث ، واليوم في ظلِ نِصال المهجر (١) ..

١ - «علىٰ الرغم من ان الشاعر العربي قد أفتىٰ بتحديد وظيفة المرأة وتعيين دورها بقوله :

كُتِب القتل والقتال علينا وعلىٰ المُحصنات جر الذيول

وعلىٰ الرغم - أيضاً - من أن العوائل المتدينة في العراق كانت تستثقل بل لا تطيق تعليق «عباءة سوداء» في صالة الضيوف بسبب الغيرة والمروءة المفرطتين إلّا إن المواجهة الفعلية مع النظام ومتطلباتها استدعت الحضور النسوي المشرف وإلغاء الكثير من العقد التقاليدية فتقدمت المرأة العراقية في ميدان المواجهة واسهمت الىٰ جنب أخيها الرجل في صياغة نسيج الرفض والتحدي ، فطالما ما طال الرجال من الاعتقالات والإعدامات والتشريد والتبعيد ، بل وجدنا أمهات رساليات استقبلن جثث أولادهن الشهداء عند بوابة الطب العدلي في بغداد بسيل من الزغاريد والأهازيج وكأن أولادهن في زفة عرس .

وفي مدينة الثورة عام ١٩٧٩م كانت المسيرة الجماهيرية الغاضبة التي أعقبت اعتقال الشهيد الصدر تحمل في ثناياها صفاً ثائراً من النساء المؤمنات واللاتي اغلبهن من عائلة آل المبرقع الكريمة وقد تم إعدام بعضهن واعتقال البعض الآخر .

وكانت بعض النساء تُحرّض أبناءها للمشاركة في انتفاضة شعبان المباركة وتشحذ هممهم وتشد عزيمتهم . وفي عام ١٩٨٥م وفي سجن أبو غريب وبالتحديد في قسم الإعدامات تقدمت أربعون فتاة الىٰ خشبة الإعدام وهن يهتفن ويكبرن بكل عز وفخر ، الأمر الذي أذهل الجلادين واغاظهم .

ثمّة مفارقة حصلت في الأداء النسوي للحركة الإسلامية وهو إشراك العنصر النسوي في مرحلة المواجهة وبالتحديد مرحلة المحنة والبلاء وتغييب دورهن في مرحلة الرخاء المهجري والأداء المؤسساتي للمعارضة الإسلامية ، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : لماذا نزج النساء في أصعب المواجهات واعقدها وبمواجهة أبشع طواغيت القرن بينما لم نسهم في زجهن في مشاريع المعارضة ومؤسساتها السياسية والاجتماعية ؟!

لماذا تنجح المعارضة الإسلامية في صعود المرأة الىٰ اعواد المشانق بينما تعجز أو تستنكف من صعودها الىٰ مواقع المؤسسات ومفاصلها الحيوية في صنع القرار . لماذا نزج النساء العراقيات في تنظيماتنا في الداخل والتي لاتخلو بعضها من اختراق وخطورة بينما يغيب وجودهن في مشاريعنا واطروحاتنا ؟

لماذا نحتاط في دخول نسائنا الىٰ عضوية مؤسساتنا كالمجلس الأعلىٰ وحزب الدعوة ومنظمة العمل ، بينما لانحتاط في دخولهن في طبيعة المواجهة العنيدة ؟

لماذا لانكون عادلين في توزيع الاحتياط والتريُث ؟ فإذا كنتم تفخرون بمواقف النسوة الرساليات في معتقلات الطاغية فلماذا لانفخر بنشاطات النسوة في المهجر ؟ ومن منبر «الكملة الحرّة» جدار المستضعفين وصوت مَن لا صوت له ندعو الىٰ إشاعة ثقافة الوعي السياسي النسوي وتفعيل الممارسة النسوية في الانشطة السياسية والاجتماعية دون احتكارها علىٰ فئة معينة .

ونأمل ان نشاهد في دورة «المجلس الأعلىٰ» القادمة حضوراً نسوياً حضارياً فاعلاً . ولئن كان بعضنا يتحسّس ويتحرّج من النشاط النسوي في العمل السياسي والاجتماعي فإن تحسُّسه وتحرّجه ينبغي أن يكون أشد في إدخال النسوة في معترك المواجهة غير المتكافىء مع النظام الحاقد وتعرضهن الىٰ الاعتقال في دهاليز الرعب مع أسوء خلق الله .

ينبغي أن نستفيد من كل الطاقات النسوية ، سيّما أن أمامنا تجربة عظيمة في الحكم الإسلامي وما منحه من مساحات واسعة للحركة النسوية في مجمل الأداء السياسي القيادي .. فهل تأملت المرأة العراقية في مغزىٰ إرسال إحدىٰ النساء الإيرانيات مع الوفد الذي حمل رسالة الإمام التاريخية الخالدة الىٰ رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبق قبل تفككُه ، بينما نشاهد مواقف مقززة للطالبان باتجاه النسوة الأفغانيات من مشاهد حجر النساء وطردهن من المدارس والمؤسسات ، باعتبار أن تواجد المرأة وحضورها الميداني ينافي «الأخلاق والقيم الإسلامية» . فلماذا نكون خمينيين بالشكل وطالبانيين

فالواقع المهجري مازال يختزن الكثير من المظالم تجاه المرأة ، فالرؤية السائدة المتخلّفة تُصرّح بأن المجتمع هو مجتمع الرجال ، فهو الذي قدَّم شيئاً في طريق الجهاد يَمُنُّهُ اليوم علىٰ الأمّة ، أما المرأة فلم تكن إلّا مغنماً للرجال لم تصلح لدخول معركة أو مواجهة طاغوت . فكأنهم أرادوا أن ينكروا عظمة التضحية وجلالة العطاء الذي بذلته بنت الزهراء في طريق الإسلام اللاحب . وان كان للمرأة من دورٍ في حركة العمل فحركتها هامشية مرتبطة بحركة الرجل الشمولية !

فالمرأة تعرَّضت للحيف والتهميش - وأحياناً للشطب والإلغاء - علىٰ يد بعض الإسلاميين الذين غرقوا في التنظير لموقعها ودورها في الإسلام ، في الوقت الذي مارسوا فيه تجاهها مزاجهم البدوي ففرّطوا بكفاءَتها وعطّلوا دورها ، السياسي والاجتماعي ، طمعاً بمواقع القرار وعوائده بعد أن رسم (المتصدّون) صورةً مشوَّشة لها ، سيّما انهم طمروا تضحياتها في أضابير ودثّروها بالتراب منذ عقود ! غير أنهُ سيبقىٰ للجمر حرارته مهما دُثِّرَ بالرَّماد .

لماذا هذه المحاولات المحمومة لاستئصال نبتة الربيع عن مواقع القرار ؟ لماذا هذا التفريط بطاقاتها ؟ بل لماذا هذا التمادي في اغتيالها كأنسانة والتشبُّث بها واحترامها كأُنثىٰ ؟! أهي جاهلية جديدة اختفت في زحمة ضجيج المهْجَر ؟!

فنحن أمام معركة حضارية مقدسة ، ومن غير الحكمة التفريط بكفاءة نصف المجتمع بحُجَج واهية وذرائع خاوية ، وان الشعور بعدم جدوائية جهاد المرأة يمثل بداية سقوط الحركة الإسلامية مهما كانت عميقة الجذور عريقة الأُصول ، لان ذلك مُنافٍ لمنطق القرآن[1] .. بل لعل هناك مَن يؤكد وبضرسٍ قاطع ، أن وعي المرأة وجهادها يمثل «ترمومیتر» الحركة الإسلامية في نضجها وسلامة منهجها ، لان المرأة مرآة لمدىٰ تقدّم الأمة والتزامها الخُلقي[2] .. لذا جاهدت (بنت الهدىٰ) مع الرمز القائد الصدر ، أُسوةً بجهاد السيدة الزهراء مع الرمز الرسول وزينب الحوراء مع

بالمضمون ؟! ولماذا نكون متحضرين بالنظرية وجاهلين بالتطبيق ؟!» .
مقال نُشر في العدد (٣) من صحيفة «الكلمة الحرّة» بأسم أنوار السرَّاج ، وبعنوان : الطاقات النسوية المُغيَّبة .. مَن المسؤول ؟!

١ - «... ولو شاء أحد حرمان المرأة من مزاولة النشاط العلمي والسعي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فانما يتصرّف خلافاً لحكم الله» من خطاب لقائد الثورة الإسلامية في إيران سماحة السيد الخامنئي بمناسبة ذكرىٰ مولد الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام .

٢ - «ان الكثير من النساء يجعلن أزواجهن من أهل الجنة ويستنقذنّهم من مشاكل الدنيا والآخرة» المصدر السابق .

الرمز الحسين .

فهؤلاء النساء شهيدات في طريق الحق وغيرهن الكثير ، مِمَّن مشين علىٰ الدرب بعزم متين وهمّةٍ صلبة . يطلبن رضوان الباري تعالىٰ ، فشمخن حيث العُلىٰ ، وارتقين ذُرىٰ المجد ، لأن هذه التضحيات هي التي تصنع للأمة عظمتها ، وتمنحها كرامتها ، وتحفظ لها هيبتها .

ولهذا صارت الشهادة مغنماً لا مغرَماً ، وصارت التضحية مطلباً لامهرباً ، وإلّا فلِمَ صار أشرف الموت وسام الشهادة «أشرف الموت قتل الشهادة»[١] وما الذي جعلها البر الذي لايعلوه بر ، بنص حديث الرسول الكريم : «فوق كل ذي برٍّ بر ، حتىٰ يُقتَل الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر»[٢] وما الذي جعل قطرة دم الشهيد أحب قطرةً الىٰ الله تعالىٰ علىٰ حد الحديث الوارد عن الإمام زين العابدين عليه السلام : «ما من قطرةٍ أحب الىٰ الله من قطرتين ، قطرة دم في سبيل الله ، وقطرة دمعة في سواد الليل لايريد بها عبد إلّا الله عزّوجل»[٣] ؟!

فلولا القيمة الحضارية والدلالات العقائدية في فلسفة الشهادة في الإسلام لما خصّها الله بكل هذه المنزلة الرفيعة ولما جعل الشهداء أُمراء أهل الجنة[٤] .

وحتىٰ وإن لم يُحقِّق الشهيد غاياته باستشهاده ، فإن دماءهُ ستبقىٰ آثاراً حسيّةً خالدة ، تستثير الضمائر والقلوب ، بل وتؤول الىٰ منهجٍ ثائرٍ يعمل لتحقيق أهدافه ..

شموع وأعاصير ..

لماذا إذن نُغيب عِزَّتنا بأيدينا ؟! ولِمَ نُمزِّق كرامتنا بإرادتنا ؟! فالشهداء ذاكرة الوطن ورموز الأُمة .. الشُهداء مشاعل العز التي أضاءَت دروب الحرية في عراق الظُلم والظلام ، وصُنّاع التاريخ في أقسىٰ مراحل الصراع وأعتىٰ جولات المنازلة ..

دماء زكية غالية ما ذهبت سُدىً ولا أُريقت ثمناً للوهم ، ومن الصعب أن نتصوّر قيمةً لجهادنا ومسيرتنا بتناسي ذلك الماضي المُضمّخ بتضحياتنا .. وان هذا الصمت

---

١ - حديث شريف ، بحار الأنوار ج ٧٤/١١٦ .

٢ - حديث شريف . بحار الانوار ، ج ٧١ : ٦٠ .

٣ - وسائل الشيعة ، ج ٧ : ٧٥ .

٤ - «الشهداء أمراء أهل الجنة» ، الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله .

الطويل الذي غيّب هذا الملف الأحمر كل تلك السنين لايقل بشاعةً عن ذلك الحبل الذي غيّب تلك الأجساد الطاهرة ..

بل وان تلك الرؤىٰ المتخلفة والآفاق الضيقة – وأحياناً المغلقة – التي أدّت بتكتلات المهجر[1] الىٰ اعتساف التخريجات وتزييف الأولويات وبالتالي تغييب سجل الزينبيات ، هي نفسها التي ستحاول يوماً ما الىٰ استثمار تلك الملاحم البطولية والدماء الزكية لأهدافها الفئوية وتكريسها لمصالحها السياسية ، ولكن عند الضرورة وحسب الحاجة ! بعد أن تعاملت معها بمطلق الاهمال واللامبالاة عقدين ونيفاً من السنين ..

إن الشُهداء مُلك الإسلام والأُمة ولاينبغي أن نتحزَّب فيهم ، وأن مَن لم يُحي ذكرىٰ شُهدائه لايستحق قيادة المسيرة[2] .. وإن كان من وفاءٍ نقدِّمه لهم فهو السير في دربهم واكمال مشوارهم .

وكُلٌّ يدّعي وصلاً بليلىٰ ..... وليلىٰ لا تُقِر لهم بذاكا

ولان مذكراتنا ليست دروس الماضي فحسب وإنما دروس الحاضر والمستقبل، فقد حاولت في كتابنا جعل جذور الماضي فروعاً للحاضر ، فلم أكتفِ بعرض صور تراجيدية لحياة وجهاد واستشهاد زينبياتنا ، وإن كان ذلك عَلَيَّ أهون ولرسم الصورة أجمل ، بل عرضت أخطاء الماضي المُرّة واختراقات العدو المريرة وغرفة مساعيه الحقيرة ، وتأثير كل تلك الأسباب وغيرها في اعتقال وتعذيب واستشهاد فتياتنا المخلصات .

فجميعنا مسؤول أمام الله والتاريخ في ترشيد دماء أبنائنا لمصلحة الإسلام العُليا ، فالشهادة تأصيل لا استئصال ، والعاقل مَن وضعَ الشيء في مواضعه[3] .. لأننا في الوقت الذي نعتز بالشهادة ولا نبخل بالتضحيات ، نحرص في الوقت نفسه علىٰ

---

١ – لسنا بعيدين عن إدراك خطورة بعض المنعطفات وثقل الانشقاقات وقبلها ضغط الضربات وعظيم المؤامرات التي تعرضت لها بعض التكتلات السياسية العريقة ، بَيْدَ أن ذلك لايمنع من النقد وبعض العتب .

٢ – «... أوصيكم بدماء الشهداء ، وبالثأر لها ... أوصيكم بدموع الأرامل وصرخات اليتامىٰ وأنين المسجونين المظلومين ، بالانتقام لها في سبيل الله» . من وصيةٍ للشهيد السعيد (أبو مريم العراقي) بطل العملية الاستشهادية التي نسفت السفارة البعثية ببيروت يوم ١٥/١٢/١٩٨١م .

٣ – سُأل أمير المؤمنين عليه السلام : عَرِّف لنا العاقل ؟ فقال : «العاقل مَن وضع الاشياء مواضعها» غرر الحكم / ٥٤ .

أن لانُفرِّط بالدماء .. فإلىٰ متىٰ نزرع ولانحصد سوىٰ القليل من الأهداف والكثير من اللحود! سيّما وقد أصبحنا بعد كل تلك التجارب والسنين اكثر واقعية وأعمق موضوعية أزاء أولويات جِراح الوطن وأبنائِه الطيبين ، لأنه لاخير في حركةٍ تأكُلُ أبناءَها كما لاخير في طاحونةٍ لاتُطعِم أهلها خُبزاً .

مأساتنا حيثُ نُسقي جذرَ نخلتنا   دَماً ومازال منها يُسرَقُ الرُطَبُ

لِذا اعتقدتُ أن كشف أخطاء الماضي حاجة تفرضها ضرورات المرحلة ومتطلبات المواجهة ، لأن تأجيل النقد وعدم المواجهة تحت ذريعة «الوقت غير مناسب[1] والمصلحة العامة» ما هو سوىٰ وجه آخر للاستبداد ووأد الإصلاح ..

كما اننا لا نتحايل أو نتوارىٰ لإبلاغ قناعاتنا ورؤانا عن المهجر ، لان «الذي يملك البرهان لايخشىٰ حرّية البيان»[2] فـ «الضرورات تُبيح المحظورات» و«ماحُرّم لذاته يُباح للضرورة» فنحنُ لم نسلك شططاً أو نتكلّم عبثاً ، ولم نحشر أقلامنا ونستهلك مدادنا في نزاع الفئويات الخاوية والتكتلات الخالية ، بل نُحاول وصف الداء .. وإذا عُرِف المرض هانَ الدواء .

أخي القارىء الكريم

نحن إن لم نتفاءَل بالمهجر فذلك لأننا لم تزل عيوننا متسمِّرة صوب العراق .. لأبطال الرافدين .. عشاق الصدر وبنت الهُدىٰ ، فهم للبيعة مخلصون ولدماء الشهداء حافظون .. هُم العراق والحركة الإسلامية رُغم طوامير الحجّاج ومهرجانات الإعدام الجماعية ، فحبال البعث الخاوية لم تَزل أوسمةً علىٰ صدورهم وسلاسله الصدئة حِليّاً لنسائهم .. فالحزن توأمهم اليومي ، والفرح خصمهم الأبدي ، مصائبهم

---

١ - «الظرف غير مناثب» مقال كتبه الأُستاذ (أبو حيدر الفاطمي) في صحيفة «بدر» عام ١٩٩٥م يحمل فيه علىٰ دُعاة مبدأ «لاتنتقدوا فالظرف غير مناسب» جاء فيه :

«... سمعنا هذا القول في أواخر السبعينات ، ومرّت الاعوام خلف بعضها حتىٰ أصبحنا اليوم وبعد (١٥) سنة في عصر آخر بمقياس التطور العالمي وسرعته الهائلة ، ولم يبق بيننا وبين سنة الألفين الرهيبة الذكر سوىٰ (٥) سنوات ، ولكن مازلنا نستمع الىٰ تلك العبارة (الظرف غير مناسب) ... ولعلَّ الذي قالها أواخر السبعينات مازال مستعداً لأن يقولها بكل ثقة رغم إنه يجلس الآن متفرّغاً لأعماله في أحد أسواق الجملة . نعم سيقولها بعد (١٥) سنة مع فارق واحد فقط (الظرف غير مناثب) بالثاء ، لان (١٥) سنة كفيلة بإسقاط أسنان ذلك المفكّر ...» .

٢ - الإمام الخميني رضي الله عنه .

مفاخرهم وسني عذابهم سُمَّارهم ..

وستبقىٰ راية الحوراء مرفوعة ، ويبقىٰ الدم القاني ينزفُ من شرايين أهل البيعة والولاء ، وسيكتب التاريخ أن معركة عاشوراء لم تنتهِ بعد ، فلاتعايش مع نظام الغدر[١] ، ولاتطبُّع مع بعث الرذيلة .

وسيبقىٰ جهادهم رمزاً للوفاء العقائدي في دنيا الثوّار والاحرار ، كما هي دماؤهُم وثيقة إدانة لبربرية البعث ولكل أولئك الخانعين أشباه الرجال .. وسينمو بُرعم الحرية علىٰ أجسادهم ويرتوي بنجيع دمائِهم ، ليغدو شجرةً وارفة مثمرة ..

وسيختفي زمن الذئاب وتنتهي سني العذاب ، فالظلم مهما طال سيزول والظلام مهما جثمَ سينقشع ويعم الخير ، فلابد للسعادة أن تعود وللسحابة السوداء أن ترحل ، فبعد كل ليلٍ لابد من صبح .. ألف صبح .

فلنبحر بزورقنا الصغير نحو شاطيء الشهادة المنسي ، ولنسبغ وضوءَنا من جِراح زينبياتنا ، فـ«إنَّ ركعتين يُصلّيهما العبدُ لِربه ، لابُدَّ أن يكون وضوؤهُما من دم»[٢] ، وإن الدماء النازفة من جُرحِ حمامةٍ مسكينةٍ هي نفس الدماء المتدفِّقة من جِراح الانبياء .

علي العراقي
المَهْجـر

---

١ ـ استولىٰ نظام بغداد علىٰ عرش استوىٰ علىٰ جماجم ضحايا غدره ، فهو منذ يوم مجيئه الدامي ووصوله سدّة الحكم عام ١٩٦٨م بدأ يغدر بقادة وكوادر انقلابه الأسود أمثال فؤاد الركابي وحردان التكريتي ، ثم غدرَ بالشعب الكردي العراقي من خلال ما يسمىٰ ببيان ١١/آذار/١٩٧٣م ، وغدر بالحزب الشيوعي العراقي من خلال مايسمىٰ بـ(الجبهة الوطنية) ، كما غدر بوزرائه وكوادر حزبه واستأصل معهم الوحدة الاندماجية بين سوريا والعراق عام ١٩٧٩م ، كما غدر بأقرب أعوانه ومرتزقته أمثال وزير دفاعه عدنان خير الله ووزير تصنيعه العسكري حسين كامل ، بل وغدر بكافة الدول الخليجية التي ساندته وساعدته في حربه العدوانية علىٰ الجارة الفتيّة إيران عام ١٩٨٠م .. لذا من السذاجة والبله والأُميّة التاريخية والسياسية أن تظهر مؤخراً بعض مشاريع التعايش مع هكذا نظام بعد هكذا تجارب ، مهما تكن المكاسب والمبررات .

٢ ـ الحلّاج .

التمهيد

المرأة في عهور الجاهلية والانحطاط

عاشت المرأة قبل الإسلام صوراً مريرة ومشاهد مأساوية من الظلم والاستعباد وعلىٰ مدىٰ مراحل وعهود التأريخ ، واعتبرتها بعض الحضارات مصدراً للشر وسبباً للخطيئة .. واستمرت معاناتها حتىٰ في ظل الأديان السماوية - فضلاً عن القوانين الأرضية - بسبب جور الرجولة وهيمنة الذكورة التي وأدت كل أمل يرفع من كرامتها ويعيد بعض حريتها وحقوقها ..

فقد حرّف علماء اليهود التوراة وجعلوا منها - المرأة - متاعاً يورث وسلعة تُباع ، ثم جاءت الكنيسة المسيحية فبنت رؤاها وأفكارها تجاه المرأة علىٰ حُطام تحريفات أحبار اليهود وما كانت عليه المرأة في ظل اليونان والرومان ..

أما في الجاهلية العربية فالمرأة مجرّد كم مسحوق لا قيمة له ، فهي إن أنجبت بنتاً لحق بها العار وأسرع الزوج بدفن المولود تخلُصاً منه .. قال تعالىٰ : **﴿وإذا بُشّر أحدهم بالأنثىٰ ظلّ وجهُهُ مسوداً وهو كظيم . يتوارىٰ من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه علىٰ هونٍ أم يدسُّهُ في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾**[1] **﴿وإذا الموءدة سُئِلت . بأي ذنبٍ قُتلت﴾**[2] **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً﴾**[3] .

لقد عاشت في الجاهلية ممارسات بشعة ومروءات آفكة ، فهي حاجة رخيصة يعبث بها الرجل متىٰ يشاء ويبيعها - وأحياناً يقتلها - متىٰ يشتهي !

---

١ - سورة النحل : ٥٨ - ٥٩ .
٢ - سورة التكوير : ٨ - ٩ .
٣ - سورة النساء : ٢٢ .

أما في المجتمعات الغربية المادية التي رفعت شعار حقوق المرأة – شكليّاً – فقد جعلوا منها مادةً اعلامية تجارية وقيمةً جسدية دونيّة ، بعد أن سلبوا كرامتها وعبثوا بأنوثتها إرضاءاً لأهوائهم وشهواتهم الرخيصة .. لذا طالب هذا الاتجاه – العلماني – بالأباحية المطلقة والاستغلال البشع لأنوثتها ، وما همّهم سوىٰ اشباع غرائزهم الحيوانية ورغباتهم الجسدية وإن سبّبت دماراً للأسرةِ والمجتمع ..

فالحرية التي منحها الغرب المادي للمرأة وتبجّح بها هي في الحقيقة حرّية البهائم في سوق الرقيق ليس إلّا .. وما تلك الجداول الشهرية والاحصائيات السنوية الرسمية إلّا دليلاً علىٰ مدىٰ الانهيار النفسي والأخلاقي والأُسري الذي تعيشهُ المرأة في ظل تلك المجتمعات حتىٰ غدت كالمستجير من الرمضاء بالنار .

نعم ، لقد عانت المرأة واستُغِلّت واضطُهِدَت ولم ينقذها من هذا الحيف والظلم والضياع سوىٰ الإسلام الذي أقرّ لها دورها الإنساني الحضاري الرائد بعد أن عاشت طيلة القرون السحيقة الماضية سجينة التقاليد الموروثة التي جرّدتها عن انسانيتها وحقوقها وكبّلتها بقيود فُرضت عليها .

فالإسلام الذي شرّع الاحكام الحكيمة والقوانين السليمة ضَمِنَ للمرأة حقوقها الشخصية والزوجية والاجتماعية والسياسية وأعطاها بل وأوجب عليها التعلّم والتثقف ، لان الجهل مفتاح كل رذيلة والوعي الفكري والاجتماعي والسياسي يجعل منها امرأة صالحة متحضّرة تُربّي أبطالاً ومحرّري أوطان بعكس المرأة الجاهلة المتخلفة التي لاتصنع سوىٰ جيلاً من الشياطين والمنحرفين لأن (الشقي مَن شقيَ في بطن أُمه والسعيد من سَعُدَ في بطن أُمه)[1] ..

لذا نجد الإمام السجادعليه‌السلام يفتخر بأمه فيقول : «أنا ابن نقيّات الجيوب ، أنا ابن عديمات العيوب» .

فالإسلام جعل من المرأة عموداً شامخاً في خيمة الأسرة ، وساوىٰ بينها وبين الرجل بالقيمة الإنسانية دون المسؤولية ولم يُشرّع في طاعتها لزوجها إلغاءاً لرأيها وحقوقها ، وما آية القيمومة – التي يتشبّث بها البعض – في قوله تعالىٰ **﴿الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضّل الله بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾**[2] إلّا

---

١ – حديث شريف ، بحار الأنوار : ج ٥ / ٩ .

٢ – سورة النساء : ٣٤ .

قيمومة مقيدة مشروطة .. فالإسلام لم يُفضّل أحدهم على الآخر إلّا بالتقوى ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[١] وعلى الذين يتّهمون الإسلام بظلامة المرأة وغمط حقوقها أن يُفرّقوا بين تشريعات الإسلام وبين الممارسات الخاطئة لأغلب حُكّام وشعوب المسلمين.

بلى ان الإسلام قد أوجب على المرأة العمل لنصرة الدين وإحقاق الحق، ولم يجوّز لها الانعزال عن ساحة الصراع وعن جهاد مواقع الانحراف في المجتمع والأمة، لأن مهمة تغيير الواقع المنحرف مسؤولية مشتركة غير محصورة بجنس دون آخر وأن آيات الجهاد الواردة في كتاب الله الكريم لم تختص بالرجال دون النساء، سيّما وان «الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه»[٢] لان الله جلّ وعلا لم يخلق المرأة لتعيش العزلة في البيت بل هي (كالقرآن كلاهما أوكل إليه مهمة صنع الرجل)[٣] .. لذا نجد خطابات القرآن الكريم تبدأ بعبارة «ياأيها الناس» أو «يا أيها الذين آمنوا»، أما آيات الجهاد فهي شاملة للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عليكم القِتالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسىٰ أن تَكرَهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾[٤]، وقوله: ﴿انفروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدوا بأموالكم وأنفسِكُم في سبيل الله ذٰلكُمْ خيرٌ لكم﴾[٥]، وقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمُهُم الله ان الله عزيز حكيم. وعد اللهُ المؤمنين والمؤمنات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ومساكن طيبةً في جنّاتِ عدنٍ ورضوانٌ من اللهِ أكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيم﴾[٦].

فهذه الآيات وغيرها شاملة لكلا الجنسين بمقتضىٰ قاعدة اشتراك الأحكام.. وإذا كانت المرأة لاتُلزَم بالجهاد الابتدائي بهدف الدعوة الى الإسلام فإنها مُلزَمة بأقسام الجهاد الأُخرىٰ سيّما الجهاد لحفظ بيضة الإسلام، وإن كان الجهاد واجباً

---

١ – سورة الحجرات: ١٣.

٢ – الإمام علي عليه السلام، بحار الانوار، ج ٩٧: ٧.

٣ – (المرأة كالقرآن كلاهما أوكل إليه مهمة صنع الرجل). الأمام الخميني رحمه الله.

٤ – سورة البقرة: ٢١٦.

٥ – سورة التوبة: ٤١.

٦ – سورة التوبة: ٧١ – ٧٢.

كفائياً علىٰ الرجل شريطة أن يقوم به ، فهو واجباً عينياً علىٰ الرجل والمرأة إذا لم يوجد مَن به الكفاية ..

ومن الواضح أن الجهاد في أرض العراق ضد نظام البعث الكافر ليس جهاداً ابتدائياً ، إنما هو دفاعياً يهدف الىٰ تحرير مقدسات المسلمين من رجس البعث الصليبي ، وجهاداً مقدساً للحفاظ علىٰ بيضة الإسلام[1] .

إذن فمسؤولية انزال حكم الله في الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتالي تقويم المجتمع ليست منحصرة بالرجل دون المرأة ، فقد جاء في قوله تعالىٰ **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾**[2] وقد ورد في الحديث الشريف : «كُلّكم راعٍ وكُلّكُم مسؤول عن رعيّته»[3] .

كذلك نجد الإسلام ومن خلال دعوة القرآن والرسول والآل الكرام الىٰ فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يُفرّقوا بين الرجل والمرأة . فقد قال عزَّ مِن قائل : **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** والولاية هنا مُطلقة (اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً) والقرآن من خلال آية الولاية هذه لايريد للمؤمنة أن تنزوي عن الواقع بل تتفاعل معه – ومن خلال التعاون والاندماج والتكامل مع المؤمنين – في شتىٰ المجالات العلمية والعملية الصالحة .

وقد شرّعت آية الولاية ومن خلال النص الصريح **﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾** جواز حركة المرأة في جميع المجالات الأمنية والأصلاحية والسياسية وغيرها ، ومحاربة الظلم الذي هو قمة المنكر ودعم سيادة المعروف الذي يمثل

---

١ – أفتىٰ معظم مراجع وعلماء المسلمين بمشروعية جهاد المرأة ضد الظلم والظالمين ، كما أفتىٰ أغلب المراجع المتصدّين بحلّية العمليات الاستشهادية للرجل والمرأة علىٰ حدٍّ سواء .. وقد أفتىٰ سماحة العلّامة السيد محمد حسين فضل الله – وبعد يوم واحد من أول عملية استشهادية لفتاةٍ في فلسطين المحتلة – بمشروعية العملية ، إذ قال : «إننا نفخر بشهيداتنا افتخارنا بشهدائنا ، وأنّ شعباً تتصدّىٰ فيه النساء للأستشهاد هو شعب لا يُقهر ، وهو جدير بالحياة والعزّة والكرامة»

كما أكد سماحته أن «جهاد المرأة الاستشهادية في فلسطين المحتلة هو من أكثر أنواع الجهاد ثواباً ، وحتىٰ أكثر ثواباً من جهاد الرجل ، لانه جهاد تطوّعي» .

٢ – سورة آل عمران : ١٩٥ .

٣ – بحار الأنوار ج ٧٢ / ٣٨ .

ذروة العدل ..

كما أن الأمر الوارد في آية الولاية المباركة هذه هو أمراً مولوياً لا إرشادياً علىٰ حدّ قول الفقهاء رعاهم الله ، لذا فأن النص القرآني يفتح أمام المرأة حق المشاركة في الحياة السياسية -كما أسلفنا - فضلاً عن الاجتماعية ، مادامت المرأة مؤهلة في إبرام المواثيق والعقود -كعقد الزواج مثلاً .

فالإسلام أعطىٰ للمرأة من الحقوق والضمانات مالم يعطهِ أحد من المذاهب المادية والعلمانية ، وقد استدلَّ علىٰ ذلك فقهاء الإسلام واثبتوه في رسائلهم ومؤلفاتهم ، بل وقد جوّز عدد من الفقهاء[1] - رعاهم الله - جواز الرجوع للمرأة المجتهدة الجامعة للشرائط حسب القواعد الأصولية الفقهيّة ، لان القاعدة لاتُحدِّد جنس العالِم الذي يجب أن يرجع اليه الجاهل ، إلّا أن الكثير من الفقهاء يتحفّظون في ذلك من باب الاحتياط ليس إلّا .

الذي نحرص علىٰ قوله هنا هو أننا لا نطالب باعطاء المرأة من الوظائف مالا ينسجم مع طبيعتها النفسية والتكوينية ، وان كل الذي نقصده هو أن علىٰ المرأة الوفاء بالتزاماتها الشرعية تجاه دينها ومجتمعها وأن تبذل كُل الجهد - وبحسب ظروف الجهاد - حينما يتعرض المجتمع الىٰ الانحراف والإسلام الىٰ الخطر ، لان العمل الرسالي بمنزلة الصلاة والصوم وسائر العبادات الواجبة ، وسيكون التوفيق من نصيبها **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾**[2] شريطة أن لا تخرج عن رياض الحشمة والكرامة .

---

١ - جاء في كتاب الندوة ، ج ١ للعلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله : «القاعدة العلمية تقتضي أن لا فرق بين الرجل والمرأة في جواز التقليد إن توفرت شرائط التقليد كما ذكر السيد محسن الحكيم رحمه الله والآخرون ذلك ..

وبضع بعض العلماء ومنهم السيد الخوئي رحمه الله مشكلة الحجاب كحاجز حول الموضوع ويقول «بأن المطلوب من المرأة أن تتحجّب ، والمرجعية تفرض اختلاطها بالناس وما الىٰ ذلك ، وهذا يتنافىٰ مع طبيعة الحجاب» .

ومسألة الحجاب بالمنع لا نفهم له وجهاً ، لان المسألة مسألة الرجوع اليها في الفتوىٰ التي يمكن أن تحصل ولو من وراء حجاب أو من خلال الرسالة العملية أو الرسالة المرسلة اليها» .

وقد أجاب سماحته علىٰ سؤالٍ حول تصدّي المرأة لمواقع تشريعية وتنفيذية وكما يلي :

١ - الإفتاء : يجوز ذلك لان مسألة رجوع الجاهل الىٰ العالِم التي جرىٰ عليها العقلاء باعتبار أن القضية تتصل بالأخذ بعلم العالِم من دون دخل لكونه ذكراً أو أنثى ، هذا بالاضافة الىٰ قوله تعالىٰ : **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾** وقوله تعالىٰ : **﴿فلولا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾** بناء علىٰ الاستدلال بها علىٰ شرعية التقليد .

٢ - سورة العنكبوت : ٦٩ .

وإذا كان الحجاب والعفّة والاخلاق عذراً لبعض المتقاعسين في عدم التفاعل مع الواقع واصلاحه ، فهو مطلوب أيضاً من الرجل والمرأة علىٰ حدٍّ سواء ، لان الآية في قوله تعالىٰ : **﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾**[١] لا تُميِّز في الجانب الأخلاقي بين رجل وإمرأة **﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**[٢] ، ثم أن الآيات التي تتحدث عن الجانب الجزائي مثلاً : **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**[٣] و **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾**[٤] لم تفرض علىٰ المرأة الالتزام بالاخلاق والعفة والفضيلة وترفعهُ عن الرجل كي نخدع أنفسنا ونجيز له العمل السياسي دون المرأة .. فالكل مطالب بأخلاق الإسلام ومن أي جنسٍ وموقعٍ ، سيما وأن (التقوىٰ اللازمة للجميع لهي أكثر لزوماً للمسؤولين)[٥] نساءاً ورجالاً .

ان الحجاب ليس مانعاً أو حاجزاً لدخول المرأة الحياة السياسية ، فهو لم يمنع السيدة فاطمة الزهراء سيد نساء العالمين وربيبة الوحي والتنزيل من دخول مسجد الرسول صلى الله عليه وآله لتُدين الباطل وتطالب بالحق ، كما ان الحجاب لم يمنع السيدة الحوراء زينب عليها السلام أن تقف في كربلاء والكوفة والشام وتنطق بالحق وتفضح الباطل .

كذلك نرىٰ ان الأمومة لاتمنع المرأة من المشاركة في معارك الجهاد والتحرير من الطغاة[٦] ، مثلما هي الأُبوة لم تمنع الرجل من ذلك ، وان الأطفال والمسؤولية

---

١ – سورة الأحزاب : ٣٥.

٢ – سورة الأحزاب : ٣٦.

٣ – سورة النور : ٢.

٤ – سورة المائدة : ٣٨.

٥ – الإمام الخميني رحمه الله .

٦ – «السيدات هُنَّ قادة نهضتنا» الإمام الخميني رحمه الله .

العائلية ليست أعذاراً شرعية لعدم قيام المرأة بواجباتها تجاه دينها ووصايا رسولها ، لان «المرأة في صدر الإسلام بالاضافة الىٰ تضميدها لجروح الجرحىٰ كانت تشترك في ميادين الحرب حاملة السيف ، في الوقت الذي كانت فيه تحتضن في بيتها أطفالها لتربيهم تربية إسلامية . كل هذه الأمور كانت تمارسها المرأة بحجابها وعفافها»[١] .

كل العقبات تزول أمام ثقافة التنظيم ونبذ الاعتياد علىٰ ثقافة التبرير .. فالتاريخ يصنعه الأفراد لا الجماعات فحسب ، لذا رخّص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله للمرأة حضور المساجد وصلوات الجماعة ، فكنّ يصلّين الجماعة خلفه حتىٰ في صلاة الفجر ، بل وافق علىٰ خروج المرأة معه في معاركه يُداوين الجرحىٰ ويسقين العطشىٰ ويقاتلن العدا .. لذا نرىٰ أن الرموز الاستنهاضية وعلىٰ مدىٰ التاريخ فيها الكثير من النماذج النسوية ، وان التاريخ قد سجّل للمرأة أدواراً شامخة ومواقع متميزة في معركة الحق ضد الباطل .

وبهذه الخلاصة الموجزة نجد ان الإسلام قد منَحَ للمرأة حق العمل السياسي ، لذلك نرجو من أخواتنا العاملات الإفادة من هذه النعمة وذلك بان لا ينقلن انوثتهن خارج محيط البيت ، وان يتفجّرن بحجاب النفس - فضلاً عن حجاب الجسد - شرفاً وعفّةً وفضيلة لتدفع عنها نظر الاجنبي تلقائياً ، لاننا مع العفة والاتزان النابع من عقل المرأة وثقافتها الإسلامية ، لا فقط النابع من قطع القماش الاضافية ، وان يبتعدن عن مفاكهة الرجال[٢] -كي لا يطمع الذي في قلبه مرض - وعن كل عمل من شأنه أن يكسر حاجز الحياء والحشمة ، سواءاً كانت أماً أو زوجة أو أختاً ، وان لا يستهويهنَّ كل لمح كاذب أو وميضٍ خادع لان «صلاح أو فساد مجتمعٍ ما ينبع من صلاح أو فساد نساء ذلك المجتمع»[٣] .

وفي الوقت الذي يتعيّن علىٰ المرأة ان تتزيّن وتتّشح بحجاب البدن - بأعتبارها مصدر الاثارة والاغراء - ونوصيها بالتزيّن والتوشّح بحجاب النفس والتقوىٰ ،

---

١ - في حديثٍ لسماحة آية الله العظمىٰ السيد علي الخامنئي «مد ظله» .

٢ - اختلاط المرأة الأنثىٰ (اللاضروري) مع الرجل هو ذاك الذي يجر الىٰ الخطيئة والحرام وليس اختلاط المرأة الإنسانية (الضروري) .

٣ - الإمام الخميني رحمه الله .

نوصي أخوتنا الرجال بالحجاب الأخلاقي، كي يغضّوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم، سيّما ان (التقوىٰ اللازمة للجميع لهي أكثر لزوماً للمسؤولين)[١].

لذا علىٰ المرأة المؤمنة الهادفة ان تعيش واقعها وتعطي رأيها وتشارك أُخوتها في مكافحة انحرافات المجتمع وبالتالي تساعد في بنائه بناءاً صحيحاً، وأن تحذف كل تلك التخرّصات غير الواعية، الناتجة عن سيطرة الذهنية الذكورية من قاموس حياتها وتطلعاتها، لان «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٢] و «مَن أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[٣].

نماذج قرآنية نسوية

منذ انطلاقة كلمة الحق نشب الصراع بين أهله وأهل الباطل، وكان دور المرأة الجهادي ضد القهر والاستبداد مبكراً، فالمرأة وبكل مراحل التاريخ ومنذ بدء الخليقة قد عاشت آلام الظلم وقاسته كما عاشه الرجل، وشاركت في اصلاحه وتقويمه كما شارك الرجل، لذا أحرزت موقعاً رائداً علىٰ خارطة المقاومة والجهاد ضد الطغاة وعلىٰ مر التاريخ وأضحت شمساً في سماء التضحية والفداء، فخلدت لها صفحاته أروع آيات البطولة وأسمىٰ ملاحم الفداء.

وان الحديث عن تلك النسوة هو الحديث عن المُثُل الرائدة والقيم السامقة، لذا ففي الوقت الذي نُبيِّن فيه دورهن العريق والعميق في مقارعة الطغاة وتقويم الانحرافات فنحن في ذات الوقت نقرأ التاريخ لنستلهم العِبرة والعِظة.

أخي القارىء الكريم

تعال معي لارينَّك صوراً قرآنيةً حيّةً لنساء هي حسبك عن الاطالة، قد مَنَّ الله عليهنَّ بملازمة حركة الأنبياء، فقدَّمن من الجهد والاسناد ما جعلهنَّ شموع مسيرة ومشاعل نور تُضيء الدرب للاستقامة والصلاح:

* سارة: لم تكن هذه المرأة الصالحة زوجة لسيدنا النبي إبراهيم عليه السلام فحسب

---

١ - المصدر السابق.

٢ - نهج البلاغة، الحكمة ١٦٥ ص ٥٣١، تحقيق السيد جعفر الحسيني.

٣ - حديث شريف، الكافي ج ٢ / ١٦٣.

بل كانت رفيقة دربه وناصرة منهجه وداعية رسالته .. لقد صاحبته في هجرته الى الشام ومصر وساندته في جهاده وصابرته في معاناته .

* هاجَر : حدّثنا القرآن الكريم عن الدعم والمساندة التي قدمتها (هاجر) الزوجة الثانية لنبي الله إبراهيم عليه السلام والتي جاء بها من أرض مصر .

* أم نبيّ الله إسماعيل التي احتضنته وربّتهُ في تلك الظروف القاسية الصعبة - في وادٍ غير ذي زرع - ليكونَ أباً لأعظم نبيٍّ في تاريخ البشرية جمعاء .

* يوكابد (أم موسى عليه السلام) : حدّثنا القرآن الكريم أيضاً عن تلك المرأة الصالحة (أُم نبي الله موسى عليه السلام) . وكيف نفّذت الأمر الإلهي وتحدّت القرارات الجائرة للفرعون - طاغية مصر القديمة - بلا أدنى تردّد ، لتحفظ بذلك النبي (موسى) الذي أُعيد اليها تكريماً ووفاءاً ثم ليحطّم على يديه أعظم طاغوت عرفته البشرية . **﴿إنّا رادّوه اليكِ﴾**[1] ، **﴿فرددناه الى أُمه كي تقرّ عينها ولا تحزن﴾**[2] .

* حنّة زوجة نبي الله عمران عليه السلام : التي صبرت على أذى كهنة المعبد ونذرت ابنتها السيدة مريم (ع) خادمة لبيت المقدس **﴿إني نذرتُ لكَ ما في بطني محرّراً﴾**[3]

* اليصابات (زوجة نبي الله زكريا عليه السلام) : التي لاقت الكثير من الآلام بسبب مضايقات قومها لها ولزوجها واتهاماتهم بالكذب والتي كرّمها ربها ورزقها على الكبر النبي (يحيى) . **﴿يازكريا إنّا نُبشّرُكَ بغلامٍ اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً﴾**[4] .

* بلقيس ملكة سبأ : المرأة القدوة التي حكمت قومها وقادتهم - قيادة واقعية لاشرعية - بحكمة ومشورة . **﴿قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله ربِ العالمين﴾**[5] .

* آسية بنت مزاحم : حدّثنا القرآن الكريم عن هذه المرأة الصابرة المحتسبة - زوجة فرعون - التي زهدت في مُلك الدنيا وتحدّت طغيان الفرعون ورفضَت نعيمه الزائل .. فهي تلك المرأة الثائرة التي صرخت في قصر الجور والارهاب وقالت :

---

١ - سورة

٢ - سورة القصص : ١٣ .

٣ - سورة

٤ - سورة مريم : ٧ .

٥ - سورة النمل : ٤٤ .

﴿ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجِّني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾[١]

* السيدة مريم بنت عمران عليها السلام : تلك المرأة المقدسة (أم نبي الله عيسىٰ عليه السلام) التي أخلصت قلبها لله .. فجعلها وآسية مُثُل رائدة كما جاء في قوله : ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[٢] .

إذ نجد في هاتين الآيتين عظيم الاجلال لهاتين الشخصيتين - مريم وآسية - باعتبارهما يمثلان أنموذج المرأة الصالحة القدوة - للرجال والنساء - سواءاً في المجال العقائدي أو السياسي .

* سُميّة زوجة ياسر : وهي أُم الصحابي الجليل (عمار) التي كفاها سمواً وخلوداً أن كانت أول شهيدة في معركة الإسلام ضد الرجعية الوثنية .

* أُم سليم : التي نقل لنا التاريخ أنها اشترطت علىٰ مَن خطبها أن يكون مهرها دخوله الإسلام ونطقه بالشهادتين وقد تم ذلك فعلاً .

وهناك عدد كبير من النساء هاجرن الىٰ الحبشة كما هاجر الرجال ، وهاجر من بقي منهنَّ الىٰ المدينة خوفاً علىٰ دينهن .

* أُم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد : ويستمر دور المرأة الرائد والمساند في حياة الانبياء ودعوتهم الإلهية ضد قوىٰ الشرك والوثنية ، وتلك السيدة الجليلة التي وهبت كل ثروتها ووجاهتها للدعوة الىٰ الله والىٰ رسوله والتي جسدت قمة الاخلاص العقائدي بتضحياتها الكبيرة وتحمّلت شتىٰ صنوف الأذىٰ والعذاب وعلىٰ مدىٰ عشر سنوات ودخلت مع الرسول الأكرم (الشِّعب) وصبرت علىٰ الحصار ومعاناته ولثلاث سنوات .. لذا كرّمها الرسول صلى الله عليه وآله واعتبر العام الذي توفيت فيه بـ (عام الأحزان) كما كرمها من قبل حين حدّثها عن نبوته ودعوته ، فكانت الأولىٰ في دخول دين الإسلام . وقال فيها الرسول صلى الله عليه وآله : «ما قام ولا استقام ديني إلّا

---

١ - سورة التحريم : ١١ .

٢ - سورة التحريم : ١١ - ١٢ .

بشيئين مال خديجة وسيف علي بن ابي طالب»[١] .

نعم ، فتلك المرأة الجليلة لم تغب عن عقل الرسول ولا روحه سواءاً في حياتها أو بعد مماتها حتىٰ وصل في إكرامها ان قال بحقها : (اني لأحب حبيبها) .. فالرسول صلى الله عليه وآله لم ينس ما قدمت هذه المرأة القدوة من تضحيات حتىٰ بعد وفاتها ، إذ نجد ذلك واضحاً في ردّه علىٰ زوجته (عائشة) التي حاولت التقليل من منزلة هذه السيدة الجليلة المجاهدة - بعد وفاتها ، «ما ابدلني الله خيراً منها ، كانت أمّ العيال وربّة البيت ، آمنت بي حين كذّبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ...» .

* السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين : فقد كرم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله دور المرأة الصالحة في ذات (الزهراء فاطمة) وقال : «يؤذيني ما آذاها» .. فهي التي لازمت الرسول حتىٰ في معاركه - فكانت في معركة أُحُد تُضمّد جرحه - وكانت تشاركهُ همومه وآلامه حتىٰ قال عنها : (أُم أبيها) وهو أعظم شعار يُرفع ليرمز الىٰ حساسية دور المرأة في دعوات الانبياء والرسل والمصلحين ..

ولم ينته دور الزهراء حتىٰ بعد رحيل الرسول ، فقد واصلت نصرتها لمنهج الحق وحربها لخط الباطل ، ومن خطبتها في مسجد الرسول - بعد وفاته - بعد أن تصدّت لأبي بكر وعمر وطالبتهما بفدك[٢] لفضحهما ولتنبيه الغافلين من المهاجرين والانصار : «يابن ابي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟! لقد جئت شيئاً فرياً !! أعلىٰ عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟...» .

لذا لم تداهن مَن ظلمها وهي علىٰ فراش الموت ، بل حتىٰ في وصيتها فقد أوصت أن تُدفَن ليلاً وأن لا يشهد جنازتها أحد الذين ظلموها - كاحتجاج صارخ خالد - وذلك لتأصيل نهج الرفض والثورة ضد الظلم والظالمين .. لذا سيبقىٰ قبرها المغيّب شاهداً حيّاً والىٰ الأبد - علىٰ الثورة ورفض الظلم .

* نسيبة بنت كعب الأنصارية (أم عمارة) : وهي السيدة المجاهدة الجليلة القدر

---

١ - شجرة طوبى ، ج ٢ : ٢٣٣ .

٢ - ان كانت السيدة الزهراء عليها السلام تؤكد علىٰ (فدك) فهي في الحقيقة تؤكد علىٰ منهج الثبات والاصرار علىٰ الحق والثورة لاجله وإلّا فلاقيمة لفدك في طبيعتها المادية .. وهذا ما عبّر عنه الإمام الكاظم عليه السلام لاحد خلفاء بني العباس حينما أراد إعادة (فدك) له : «حدود فدك هي حدود البلاد الإسلامية كلها» إذن (فدك) رمزاً لقضية وليست مَطالب ماديّة .

الكبيرة القلب العالية الشجاعة ، كانت تداوي الجرحىٰ وتسقي العطشىٰ وتقاتل العِدا ، فقدت جاهدت وقاتلت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة أُحُد وقال صلى الله عليه وآله عنها : «ما التفتُ يميناً وشمالاً إلّا وأنا أراها تُقاتل دوني» .

وقد قاتلت يوم اليمامة ففقدت إبنها وقُطِعت يدها ولم تترك ساحة الحرب ! حتىٰ قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيها : «ومَن يُطيق ما تُطيق أُم عمارة» .. وحينما انتهت المعركة سأل صلى الله عليه وآله عنها وتفقّد جِراحها وفَرِح لشفائِها .

* رفيدة الأنصارية : التي كانت لها في زاوية من زوايا مسجد الرسول صلى الله عليه وآله خيمة (كمركز طبّي) تُضمّد فيه الجرحىٰ وتُعالج المرضىٰ في حرب الخندق .

* صفيّة بنت عبدالمطلب «أُخت الحمزة» : شهِدَت غزوة أُحُد تُطبِّب وتداوي ، فلمّا انهزم المسلمون قامت وبيدها رمح تضرب بهِ وجوه القوم وتقول : «انهزمتم عن رسول الله» . وقفت هذه السيدة الصابرة علىٰ جسد أخيها (الحمزة عم النبي) موقف الجبل الشامخ - موقف الإنسانة الواعية الصابرة لا الأُنثىٰ المولولة - ثم صلّت عليه واسترجعت واستغفرت له .. بعدها بكته ورثته - كما يفعل الرجال - وقالت :

فوالله لا أنساك مـاهبّت الصـفا بُكاءاً وحُزناً محضري ومسيري

* وهناك العديد من النساء المجاهدات اللاتي فاقت مواقفهن مواقف الرجال ، مثل (معاذة الغفارية) و(أُمية بنت قيس بن الصلت الغفارية) و(أُم سليم) و(أم العلا الأنصارية) و(أسماء الأنصارية) و(كعبية الأسلمية) و(فاطمة الفهريّة) وغيرهن .

* السمراء بنت قيس : التي استُشهد إبناها فعزّاها النبي صلى الله عليه وآله بهما فقالت له : «كل مصيبة بعدك جَلل .. والله لهذا النقع الذي في وجهك أشد من مصابهما ..» .

* الخنساء : وهي المرأة المعروفة التي دفعت بأبنائها الأربعة الىٰ سوح الجهاد ، وحينما وصلها نبأ استشهادهم جميعاً لم تذرف عليهم دمعة واحدة ، ولانها هي التي بكت أخاها (صخراً) أربعين عاماً سُإلَت فأجابت : «إن أخي مات علىٰ الكفر فهو في النار ، ولذلك بكيت عليه ، أما أولادي فقد ذهبوا الىٰ الجنة فلماذا أبكي عليهم ؟!» .

* سودة الهمدانية : التي خرجت وبعض النسوة مع أمير المؤمنين يوم صفين ، وكانت تقول الشعر لتثير روح الحماس في جيش الإمام عليه السلام .

* جويرة بنت أسماء : استشهد أبناؤها الثلاثة في معركة خيبر فلما بلغها الخبر قالت : (مقبلين أم مدبرين) فقيل لها : بل مقبلين . فقالت : (الحمد لله نالوا والله الفوز) وما تأوّهت ولا دمعت لها عين .

* آمنة بنت الشريد : التي اعتقلها زياد بعد أن تولىٰ إمارة الكوفة وطلب زوجها الهارب ليقتله .. وعندما ظفر به قطع رأسه وبعث به الىٰ معاوية – وهو أول رأس طيف به في الإسلام – الذي بدوره بعثه الىٰ زوجته السجينة (آمنة) ، فالقي في حجرها .. احتضنت الرأس غير جازعة ولا مولولة ثم وضعت كفها علىٰ جبهته ولثمت فمه وقالت : «غيبتموه عني طويلاً ثم أهديتموه لي قتيلاً .. فأهلاً به هدية غير قالية ولا مقلية» .

كما أن هناك نساء حسينيات تركن آثاراً واضحة علىٰ لوحة الزمن ، نُدرج بعضاً من فيض عطرِهنَّ :

* طوعة الكوفية : المرأة التي آوت غربة سفير الحسين (مسلم بن عقيل) بعد أن غدر به أهل الكوفة ، فكان وحيداً لا نصير له سوىٰ هذه المرأة الصالحة الشجاعة .

* زوجة عبدالله بن عُمير : التي خرجت مع زوجها تريد القتال مع أنصار الحسين عليه السلام ، قائلة : «لن أدعك دون أن أموت معك .. قاتل دون الطيبين» وهي أول إمرأة قُتلت في كربلاء .

* دَلهم بنت عمرو : وهي زوجة زهير بن القين التي خلّدها التاريخ لموقفها المشرّف في إقناع زوجها بالانضمام الىٰ أنصار الحسين عليه السلام يوم كربلاء بعد أن كان مُعرضاً عن الاستجابة لدعوة الإمام الحسين متحاشياً اللقاء به باعتباره كان عثماني الهوىٰ !

* أُم وهب (بنت حباب الكلبي) : وهي إمرأة كبيرة السن ، قالت لولدها يوم عاشوراء : «قم يابني فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله» رغم ان الإمام الحسين عليه السلام منعه خوفاً من جزع أمه لمقتله .. وعندما قُتل أخذت عمود الخيمة وبرزت تقاتل الاعداء لولا أوامر الإمام بأن ترجع فرجعت .

أما زوجته فقد جلست عند رأسه تمسح عنه الدم والتراب وتقول : «هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك» فسمعها المجرم (الشمر) فأمر

غلامه (رستم) بضرب رأسها بالعمود فضربها وماتت في مكانها.

* زوجة جنارة بن الحارث: التي أمرت ابنها أن يقاتل دون الحسين عليه السلام فقُتل كما قُتل أبيه.

* موقف نساء بني أسد: لإقناع وتحريض أزواجهن علىٰ نصرة الحسين عليه السلام وأصحابه ونبذ الخوف من جور ابن زياد، ولما يأسن من ذلك أجبرنهم علىٰ مواراة أجساد آل الرسول صلى الله عليه وآله.

* زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: بطلة كربلاء التي حملت رسالة ثورة الحسين عليه السلام بعد استشهاده، وفارسة الموقف المكلّفة برعاية جميع النساء الثكالىٰ والاطفال اليتامىٰ.

وأي شخصية قيادية تمتلك من خصال وصفات القائد مثلما امتلكت عقيلة بني هاشم - من عقلٍ وصبرٍ وتحدٍّ - وهي التي وقفت في وجه الطاغية بن زياد الذي ناداها متشمّتاً: (كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟). فقالت له بـاباءٍ وشموخ: «مارأيت إلّا جميلاً، قوم كَتب الله عليهم الجهاد فبرزوا الىٰ مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم وتنظر لمن الفلج ..» بل وهي التي خطبت في أهل الكوفة مُقرّعةً الجبناء الغدرة والمتخاذلين الخونة .. أما في مجلس الطاغية يزيد - بالشام - فقالت: «كُد كيدك واسع سعيك وناصب جُهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولاتُدرك أمدنا».

* النوّارة بنت مالك الحظرمي: التي ثارت بوجه زوجها اللعين (الخولي بن يزيد الأصبحي) الذي حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام الىٰ بيته بالكوفة علىٰ أملٍ أن يقدّمه - هو وحميد بن مسلم الأزدي - في الصباح هديةً من ابن سعد لابن مرجانة.. فقالت عبارتها المعروفة: (والله لايجمع رأسي ورأسك شيء أبداً).

* النوّار زوجة كعب بن جابر الذي عندما رجع من كربلاء قالت له: (أعنت علىٰ ابن فاطمة وقتلت سيد القرّاء، لقد أتيت عظيماً من الأمر .. والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً).

* عاتكة بنت يزيد: التي أخذت رأس الإمام الحسين عليه السلام وأزاحت عنه التراب وطيّبته.

* مارية بنت منقذ العبدي: التي كان لمالها دوراً مهماً في خدمة الثورة الكربلائية.

* دُرّة الصدف بنت عبدالله بن عمر الأنصاري : الفتاة الفارسة التي حرّضت عشيرتها والأقوام المحيطة بها لقتال جيش الأمويين الذي وصل مشارف حلب وذلك لتخليص رأس الإمام الحسين عليه السلام وتحرير السبايا (النساء والأطفال) .. وقد نهضت معها وناصرتها سبعون فتاة أبرزهنَّ (نائلة بنت بكر بن سعدٍ الأنصاري) و(يمانة) وأمها .. قاتلن كاللبوات وقتلن العديد من جيش الطاغية يزيد حتىٰ استشهد أغلبهن وعلىٰ رأسهن دُرّة الصدف .

* هند بن عمرو : زوجة الطاغية يزيد التي حينما علمت بأمر رأس الإمام الحسين عليه السلام والسبايا ، فزعت الىٰ مجلس يزيد مذعورةً ورفعت صوتها استنكاراً واحتجاجاً .

ويستمر دور المرأة في البطولة والتضحية وتحتل موقعاً بارزاً في تاريخ جهاد الحركة الإسلامية المعاصر فيتألق في سماء الدعوة الإسلامية نخبة من نساء العالمين العربي والإسلامي اضطلعن بمواقف رسالية تاريخية فريدة سميا في إيران ولبنان وفلسطين والبحرين وتركيا.

أما في العراق فقد واصلت المرأة دورها الفاطمي الزينبي رغم كل ما فرضوا عليها من قيودٍ لم ينزل الله بها من قرآن باعتبارها إمتداداً لتلك الروافد الميمونة ..

فوقفت في ثورة العشرين مواقف بطولية كبيرة حيث ساهمت بشكلٍ فعّال مع أخيها الرجل بتقديم كل ما تملك لدعم الثورة وطرد الانجليز المستعمرين ..

كما اشتركت في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م وانتفاضة رجب عام ١٩٧٩م وانتفاضة شعبان عام ١٩٩١م ضد الحكم البعثي الأموي الغاشم الذي مَثّل أخطر المسارات السياسية في تاريخ العراق المعاصر في محاربة الإسلام وحرائره واخضاعهن لصنوف القهر والارهاب والعذاب ..

ومازالت المرأة العراقية المسلمة تواصل طريقها الجهادي في أقامة حكم الإسلام علىٰ أرض المقدسات ، فقد آزرت أخاها الرجل ووقفت الىٰ جنبه حتىٰ نهاية الدرب - درب ذات الشوكة - وشاركته حتىٰ في زنازين التعذيب وفي أحواض التيزاب وعلىٰ أعواد المشانق .. وكانت - ومازالت - الشهيدة الكبرىٰ العلوية بنت الهدىٰ أبرز علامة للصحوة الإسلامية النسوية المضيئة في سماء الثورة

الإسلامية في العراق ، واعتُبرت الصوت الثائر المدوّي لثورة الإمام الصدر ﵀ ، التي أورقت آلاف الشتائل الزينبية والسيوف الحسينية ..

لقد أُريقت الدماء الزكية علىٰ أرضنا الطاهرة - أرض علي والحسين - سيّما في سني الثمانينات الأولىٰ ، ورسمت لنا فوق الثرىٰ قصصاً رائعة رائدة من قصص التضحية والإيثار ، وكأن بناتنا لم يُخلقن إلّا للذبح ! حتىٰ وكأن الصحراء قد تململت وضجّت لكثرة ما دفنوا في أحشائها من حرائر وزينبيات ! بعد أن أصبحت الزهراء وزينب الكبرىٰ مثلاً أعلىٰ من ضمير المرأة العراقية المسلمة .

ومازال انموذج زينب يتكرر في نصيراتها ومريداتها اللاتي سرن في خطها وعلىٰ منهجها ، فلم يعيقها التعذيب والاستشهاد ولم تتعبها الهجرة والترحال ولم تصدّها البحار وسمك القرش[1] ، الىٰ أن يأذن الله ببلوغ المرحلة النهائية الحاسمة في هذا الصراع والتي ستتم تحت راية قائم آل محمد ﷺ .

مرايا الجراح .. ولكن !

ما ان غادرتُ الوطن - قسراً - ووصلت المَهْجَر حتىٰ انفجرت مكامن الألم والعتب .. فالمهجر الذي نظرت اليه كما نظر اليه بقية ابناء شعبي بعين الأمل ، إذا به محطّة الألم ، والمهجَر الذي كنتُ أتمنىٰ ان نُضمِّد فيه جراحنا ، اذا به مرتع الترهّل واللامبالاة !

كيف نتداوىٰ به وهو داؤنا ؟! كيف ننتزع الشوكة بالشوكة ؟!

نعم ، ما ان وطأت قدماي أرض المَهْجَر حتىٰ روّعتني الحقيقة المُرّة .. لقد بَدَت النفوس شحاحاً وتبدّلت الطباع الطيبة جفاءاً ، وغدت المكاسب السياسية هدفاً ، والانتماءات الضيقة رباطاً ، وتراجعت أواصر المحبّة واندثرت وشائج المودّة ، واختفت شركة المحنة ، وانطمست لحمة السجون وسدىٰ الزنازين .

لقد أذهلتني حالة بعض أخواتنا السجينات الغاليات اللاتي وصلن المهجر قبل

---

١ - لقد ابتلعت البحار والمحيطات الكثير من ابناء العراق ، فالبحر الأبيض التَهَم سهمه والناس في غفلة ، وسواحل أندونيسيا ابتلعت في لحظةٍ واحدة مايقارب الأربعمائة عراقي أو يزيد حين تحطّمت يوم (١٩ / ١٠ / ٢٠٠١م) سفينة كانت تقلّهم باتجاه السواحل الأسترالية ، ولازالت أسماك القرش تنتظر مايسدّ رمقها من لحوم أبناء العراق المفجوع .

عقدٍ ونصف من السنين ، كيف انقلبت عندهن نظرة الأخاء والرحمة التي غمرتنا في زنازين (الأمن) وغرف (الرشاد) فعهدي بهنَّ كالبنيان المرصوص ، كالجسد الواحد ، كاليدين تُغسِّل إحداهما الأُخرىٰ .. بل كيف غُيِّبَتْ جِراحنا واندثرت وصايا شهيداتنا ؟! فعهدي بـ (الرشاد) مدرسة الصلابة والشموخ التي تخرّج منها راهبات متبتلات في الليل ، وزينبيات ثائرات في النهار ..

ماذا جرىٰ ؟! أحقيقة ما أرىٰ أم أن هذا خيال نسجته أوهامي ؟

كان المؤمَّل أن تكون عيوننا - أينما نُهاجر - مرايا لجِراح الشهيدات ، وكان المُعوَّل أن نكون صوراً قانيةً تلهج بعذاباتهن ودمائهن الزكية ..

أنسينا أننا جئنا الىٰ هذه الفلوات مهاجرات لا حالمات ! أشنقَ فرعون العراق حتىٰ ذكرياتنا عن مآثر الشهيدات ؟! أغرقنا في الدنيا لتغرق معنا صور وذكريات ، ماكنا نظن أنها تمحىٰ من صفحة الذاكرة ، مهما تراكم عليها غبار الزمن الكالح ، وعصفت بها رياح الدهر الخؤون .

لِمَ هذا التناسي واللامبالاة لصويحباتنا الشهيدات .. فهل خرجنا من (الرشاد) كما يخرج الموتىٰ من الدنيا ؟ ونُساهم بأيدينا لكي تندثر تلك المرحلة الجليلة من تاريخ جهاد المرأة العراقية المسلمة ، أم نسينا تلك العهود والمواثيق لأننا ابتعدنا عن طاحونة العذاب وصرنا بمنأىٰ عن المحنة وأنياب الذئاب ؟!

وإن أعتب ، فانما عتبي علىٰ اللواتي سبقننا الىٰ أرض المهجر ، ثم انني انما اسمح لنفسي بلوم صويحباتي لأنني شريكة المحنة ، ولأحساسي بأننا قبل غيرنا المسؤولات أمام الله والتاريخ عن تلك الأمانة المقدّسة والحفاظ علىٰ أرشفة ذلك السفر الجليل ، سيّما بعد أن تكحّلت عيوننا وعقولنا بمُحيّاهن وعظيم تضحياتهن .. ولأننا قبل غيرنا قد اطّلعنا علىٰ سجل جهادهن وبشاعة جلّادهن .. فالمرأة العراقية كانت للنظام البعثي الحاكم ومازالت عدوّاً شرساً لم تُخرسه الاعتقالات ولا الاعدامات ولقد قدّمت من العطاء والفداء - خصوصاً في النصف الأول من عقد الثمانينات - مالم تُقدِّمهُ نساء المعمورة جمعاء ، بل والرجال أيضاً ، وأدلّة ذلك لا تُحصىٰ ، وما سلسلة «مذكرات سجينة» إلّا فيض من غيض إيثارهن ، وعذب سيرتهن .. فقد عانت المرأة العراقية من ويلات التعذيب في طوامير مغول البعث مالم يخطر بال بشر وارتقت حبال المشانق في (أبو غريب) وهُجِّرت وهاجرت كالرجال

تماماً حذو القُذَّة بالقُذَّة بل وتزيد علىٰ ذلك .

لكن هذه العملاقة التي صارعت الطاغوت بعنفوان مذهل قد وأدها الرجل في أرض المهجر بقرار غير مُعلَن – وربما غير مُتعمَّد – ووضعها في قوالب ضمن رؤاه الجديدة ، حتىٰ انها لم تستطع أن تتخطّىٰ سجنها الجديد وتنتفض علىٰ قيودها الحديثة ، فاصبحن اسيرات أفكارٍ مهجرية بائسة ، ورهينات مواقف فئوية ركيكة ، هكذا صنع رجل المهجر من النساء العراقيات بما فيهن السجينات ولم تتحرك تلك العزيمة الشماء التي خلفناها في سجن الرشاد ، لتوقظ في الرجل همته ، وتوقد نار الغضب بين جوانحه ، ليواصل مع شريكة رسالته مشوار العمل والجهاد .

ومن هنا كان عتبي علىٰ أخواننا في أطياف الحركة الإسلامية كلها لهذا الاهمال الغريب لشهيداتنا العزيزات ، عتب تطول معه الملامة ويكثر فيه العذل ، لان الكتابة عن الشهادة عهدٌ مع الله وعقدٌ مع الشهيدات ورسالةٌ الىٰ الجيل الفاتح من أبناء العراق البواسل ، ثم إن الحبال التي التفّت علىٰ رقاب رجالنا هي عينها التي طالت أعناق أخواتنا .

فواأسفاه علىٰ أيام المهجر وسنينه وما فيها من فوضىٰ ورتابة ، كيف راحت تطوي مآثر شهيداتنا وتخفي شمس تضحياتهن وتدفن سجلَّ الأمجاد في مقبرة النسيان ، حتىٰ بات الجيل المهجري من بناتنا لايعرف عن رائدات العراق وشهيداته المنسيّات سوىٰ العلوية الفاضلة (بنت الهدىٰ) وفي أحسن الحالات يُعرَف معها الشهيدة الجليلة سلوىٰ البحراني !! أما عداهنّ فلا يعدو ان تكون أساطير من نَسج الخيال !!

لِمَ كل هذا البخس وملحمة العراق الجهادية أضخم ميراث في دُنيا الفداء والعطاء وأعظم سفر للمجد والبطولة ؟ أنجب خطّاً ملأَ العراق ثورةً ودماً زكياً سيظل يتوهَّج نوراً عِزّاً وسنا فخراً مدىٰ الأيام .

ولهذا فأننا نشكوا همَّنا وحزننا الىٰ الله ونشكوا ظُلم عدونا كما نشكوا ظُلم ذوي القُربىٰ – رجالاً ونساءاً – لشهيداتنا الخالدات .

ان فاجعة غياب ذكر شهيداتنا الزينبيات عن كتب الأدب والشعر ، ولعقدين ونيف من السنين ، تُعَد جُرحاً غائراً لايُبارح المهج ، وهذا الغياب جريمة يلفح لظاها وجوهنا جميعاً ، لأنه أكبر من جريمة الطغاة في حق الشهيدات ، فاولئك أعداء

متجبرون ، كل ما يصدر منهم يهون .. أما نحن ، فالويل لنا ، كيف ننسىٰ جراحنا وننام علىٰ رفاة شهدائنا بقلوب مطمئنة واجفان ناعْسة !!

وسوف لن ينفعنا الاعتذار ولن يفيدنا التبرير ، ولن تبرأ ساحة جريمتنا بالتمسك بالقصور والتقصير ، كل ذلك لن يشفع لنا أمام الله وبنات الزهراء عليها السلام .

إن أخطر حالات الموت هو خَدَر الإرادة وأفدح الخسائر ضياع الهدف وأبخل الناس مَن بخل بذاكرته وذكرياته[1] عن ذكر مآثر شهيدات الأمس القريب ..

فأي عُذرٍ ذاك الذي يجعلنا ننسىٰ مشاعل النور التي أضاءت درب العراق المظلم بجور المستبدّين ؟! أن نتناسىٰ ذلك النهر العذاب الرقراق الذي سقىٰ شجرة الحرية والإسلام . إن شهيداتنا وان كُنّ في ملفّات النظام مُجرّد أرقام ، لكنّهن عندنا منارات هُدىً ومآذن تُقىٰ ، عيوننا ترحل اليهن كُلَّ يوم ، وستبقىٰ وصاياهنَّ دليل صلاح ومعالم رشاد عرفها تاريخ العراق المعاصر .

فشهادتهن ليست الحدث الماضي فحسب بل الماضي الذي يبني حياة المستقبل فتتكامل وتكتمل به .. ونحن مازلنا نأخذ الدفء من شمس أفكارهنَّ وصدق نواياهن ، ونسترشد بدمائهن لأزاحة ليل العراق المرخي سدوله علىٰ مرابع أهلنا الطيبين .

فلتعلموا أن أرض بلادي التي اختلطت ترابها دماء أبي الأحرار الحسين واحتضنت مياهها أكُف أبي الفضل العباس لم تزل خَصْبة معطاءَة تنبت وروداً وزنابق قانية .. وسيبقىٰ هذا الخط منهجاً في عقولنا وحنيناً في قلوبنا ، حتىٰ يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ولتعلموا أيضاً أن شهداءنا وإن كانوا في المهاجر مُغيبين ، لكنهم مازالوا في قلوب شعبنا ابطال الأمة المقدّسين ، يرتسمون في أحداق الصبايا مشاعل نورٍ وفي

---

١ - رجوت أغلب اخواتنا السجينات متوسلة وبألحاح شديد أن يفتحن دفاتر الذكريات القديمة للمشاركة في الصفحة النسوية المخصصة لشهيداتنا والتي وفّرتها صحيفة «الكلمة الحرّة» عام ٢٠٠٠م ، ثم وجّهت لهنَّ دعوة مخلصة من خلال العدد السادس للمشاركة في إستثمار هذه الفرصة التي اتيحت لنا في إحدىٰ صحف المهجر ، بعد عقدين من البخس والتغييب لشهيداتنا الغاليات .. فكانت النتيجة ؛ الامتناع واللامبالاة وعلىٰ مدىٰ عام كامل ، لأن القلوب قَسَتْ وذكرياتها مع الشهيدات تآكلت واندثرت !

ثم كرّرتُ المحاولة عام ٢٠٠١م وأدرجنا في نهاية كتاب «الفضيلة عذراء أبداً» الصفحة (٢٥١) رجاءاً طلبنا فيه المشاركة في المشروع وبأيِّ خاطرة مهما كانت متواضعة وتركنا عنواننا البريدي الالكتروني ، ووصل الكتاب جميع مهاجر العالم .. ولكن كانت النتيجة ؛ سيّان !!

قلوب الاشبال ليوث وغىً ، لن تغيب شمسهم ، ولن ينطفأ شعاع قبسهم مهما امتدت سني العذاب ، وأيام المحنة .

واذا كان واقعنا في المهجر يقول ؛ إننا قد عجزنا حتىٰ الساعة عن اسقاط فرعون العراق ، فإنه يقول ايضاً أنكم لم تعجزوا بعد عن نشر جرائمه واعلان فضائحه . إنكم إن عجزتم عن احقاق الحق فلن تعجزوا عن زراعته في القلوب والعقول .. فلا تدَّخروا ما عندكم من بذور الذكريات ولا تمنعوا عن حرثكم الماء المزن ، لأنكم بدون هذا سوف لاتستطيعون – ولو آجلا – ان تشعلوا سراجاً بلا زيت أو تنيروا دربا بلا شموع !

ولستُ أُغالي إذا قلت إننا الآن بحاجة الىٰ إحياء ثقافة الاستشهاد وتفعيل ذكريات الشهيدات أكثر من أيِّ وقت مضىٰ ، سيّما ونحن الآن – مع الأسف – نعيش فقراً حقيقياً في توفُّر أمثلة التضحية الحيَّة التي يمنحنا وجودها حرارةً وقوة .

ولي رجاء وبقيّة أمل أن يَمُدَّ لي جميع المعنيين ، وبالخصوص أخواتي السجينات ، يد العون لتوفير المعلومة المجهولة عندي وعند غيري فيما يخص شهيدات العقيدة لأن من يُخرج من كنز ذكرياته خواطر عن المضحِّيات ، انما يمنح أُمته حياة جديدة تؤطرها البطولة وتتلفع بالمروءة .

إن هذا المشروع المبارك[١] يُساهم في حفظ حق المجاهدات اللواتي عطَّرن أرض العراق بعبير دمائهن ويوصِّل في في نفوس جيل شبابنا كل معاني التحدي والرفض لجلّادي الشعوب .

اللهم اجعلنا ممن هدوا الىٰ الطيب من القول وهدوا الىٰ صراطٍ مستقيم .

قلماً نقياً .. وقضاءاً حتمياً !

أخي القارىء الكريم

ما أن حطَّتْ رحالنا – أنا وزوجي – في أرض المهجر حتىٰ بدأنا نبحر بزورقنا في أمواج محيط الذكريات المؤلمة ، محاولين بلوغ الساحل ، لنبدأ مشروع الكتابة

١ – مشروع «مذكرات سجينة» يتكون من ثلاثة أجزاء ، تم انجاز جزأين ونأمل – بالتعاون – إعداد الجزء الثالث باذن الله . المؤلف

بما تجود به مآقي العيون عن خواطر العفة والبطولة والشمم ، بعد أن طوينا ذلك السجل سنين طوال .. فباشرنا الكتابة في صحيفة «الكلمة الحرّة» الموقرة .. وبعد أن توقفت الصحيفة[1] قرّرنا مواصلة العمل لأكمال مابدأناه ..

لذا توكلت علىٰ الله بجهد المُقل ، وقدّمت لرفيق محنتي وحياتي ، وعلىٰ طبقٍ من الوفاء ، ماأحتفظت به جراحي ودفاتري من خواطر ومآثر عن شهيداتنا المظلومات .. وأطلقت لذاكرتي المرهقة العَنان لتغوص في عذابات ذلك الزمن الراحل بلا كللٍ أو ملل ، لأنَّ دوي صرخات الشهيدات ترن في فناء عقلي ولأن زنازين الزينبيات ترتسم علىٰ الدوام في مخيلتي ، ولأن وقت الامتحان قد حان ، فلتُظهر أقلامنا قدراتها ولتُثبت انتماءاتها . لانرجو سوىٰ الوفاء ولو لقطرةٍ من بحر الدماء الذي وهبنه من أجلنا :

يزداد دمعي علىٰ مقدار بُعدهُم ‌ ‌ ‌ تزايد الشُهب إثر الشمس في الأُفقِ

الأخوة القرّاء :

ان هذا المشروع المبارك قد لاقىٰ للأسف الشديد من المعوقات منذ ولادته الكثير الكثير ، لأنه يعتمد المعلومة المودَعة في أذهان شركاء الهم من المتصدّين والمعتقلين والمعتقلات والذين تفاوتوا في درجة تفاعلهم مع المشروع ..

فمنهم مَن نسي محنته عندما اندمل جُرحه وتماثل للشفاء ، فقسىٰ قلبه وشحّت نفسه ، حتىٰ بلغ الأمر منهم أن يقفوا من المشروع لاموقف المتفرِّج فحسب بل موقف المُعارِض المُثبط وأحياناً المُشكِّك المُشوِّه الذي يدعو الىٰ الارتياب في هدف المشروع وانهُ ربما يكون خدمةً للنظام ! لأن هؤلاء بنوا مجدهم علىٰ دماء الشهداء ، بما قدّموا من اعترافات مجانيّة منحتهم فرصة حياة رخيصة هادئة وأحياناً مُرفهه مليئة بالجاه والمال ..

وبعضهم لم يُدلِ بمعلوماته لان المشروع لايوثِّق للمنتمين الىٰ دائرته ومديات رؤاه ، بل يوثِّق للشهيدات مهما كان الانتماء ، أو بدون انتماء لافرق في ذلك ..

وبعضهم لم يتفاعل لا لسببٍ سوىٰ أن المشروع قد تصدّىٰ لهُ قلم لم ينتمِ الىٰ

---

١ - صدر العدد الأول من صحيفة «الكلمة الحرّة» بتاريخ ٢٧/ربيع الثاني/١٤٢١هـ وأُغلِقت - وهي شامخة - بعد العدد الحادي عشر الصادر بتاريخ ١٧ / ربيع الثاني / ١٤٢٢هـ.

صَنَمِهِ ، ورفض الترويض للسير في فلكه[١] !

وبعض آخر عاش همومه الشخصية ومشاكله الآنيّة ، فاندثرت الذاكرة تحت رُكام المطالب الصغيرة ومعاناة شظف العيش ومشاكله ..

وبعض آخر نأت به المَهاجر في أقاصي أرض الله الواسعة ، فلم نجد إليه سبيلاً ، رُغم قلّة الامكان وضعف القدرة.

ولأننا كُنّا قد جئنا من أرض الجِراح قريباً ، فأن آلامنا كانت كبيرة كبرَ آلام شعبنا ، شامخة شموخ نخيل عراقنا .. لذا تحلّىٰ رفيق دربي وشريك حياتي بالصبر وتوشّح بالهِمَّة ، متحدِّياً العوائق ، مواصلاً المشوار ، بعزيمةٍ صلبة وإرادةٍ قوية ، متجنباً سفاسف الأمور[٢] وتُرّهات الأعمال .. ولأن «علىٰ قَدَر الهِمَم تأتي الهموم»[٣] و«علىٰ قَدَرِ أهل العزم تأتي العزائمُ»[٤] فقد امتشق يراعه الرهيف وجرّد فكرهُ الحصيف ، يغمس يراعه في مداد المعاناة ، ويلتقط من أفكارهِ مصوغ العبارات .. يبحث عن الحقيقة المُشتّتة في البقاع والصقاع ، يجوب الشوارع ويدور في المدن ويراسل المَهاجر، يُتلفن الىٰ القاصي ويحاور الداني ، مُنقّباً عن بقيةٍ لذوي الشهيدات ليتنسَّم شذىٰ أرواحهنَّ العَطرات ..

كنتُ أراهُ حريصاً علىٰ جمع تجارب تلك السنين الخوالي ، فلم يتأثَّر بالسلوك الجمعي الذي ساد المهجر والذي حسبهُ البعض «قضاءاً حتميّاً» ولم يُكبِّل معصميه بالقيود الفئوية ، أو الذيلية ، لقد تحدّىٰ تيار المحيطات المادية والمعنوية .. ولان روحهُ كانت طافحة بألم آخر ، ولأن ما كان لله ينمو ، فقد حالف المؤلف النجاح في أن يزيح الستار عن التأريخ الجهادي لبنات الرافدين العراقيات وينفض عن سِجِلّهن غبار الزمن اللئيم ..

لقد كنتُ أجيئهُ في الليالي الحالكات بعد أن يكون قد مضىٰ من الليل شطره الكثير ، فأجدهُ مستيقظاً غارقاً بدموعه ، غامساً ريشته بدواة آلامه .. يُنضِّدُ لوحةً لمشاهدٍ مروِّعة من فصول التعذيب البربري الذي مورسَ بحق أخواتهِ المظلومات ،

---

١ – لانقصد صنماً معيناً دون آخر .. فالأغلب الأعم من المتصدّين والسياسيين المتكتلين في المهجر – وبالذات مهجَر إيران – قد إلِف عبادة الذات أو تقديس الشخصيات ، فهو في شغلٍ شاغلٍ عن كل مشروع لا يمت لفائدته الآنيّة بصلة .

٢ – قال أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام : «الله يُحب عظائم الأمور ويكره سفاسفها» .

٣ – غرر الحكم : ٤٤٨ .

٤ – الشاعر العربي الكبير أبو الطيّب المتنبي .

يظلُّ الصورةَ بِلمساتٍ من الشعور الصادق والأحساس المُرهَف ، فيَهَبها أهاباً جذّاباً يأخذُ بمجامع القلوب ، وكأن قلمه يُجسّدُ حقيقةً متحرِّكةً لا أنهُ يرسمُ صورةً جامدةً ، خصوصاً وأنّهُ عاش تلك الأحداث وتَنفَّس أجواءَها وولج في غمراتها ..

ولهذا فإنهُ قد سَطَّرَ سِفراً جليلاً خالداً خلود دمائهن الطاهرة التي سيباركها الله علىٰ أرض الرافدين ، أرض عليٍّ والحسين ، عندما يزول الطاغوت ويُغنّي طير السعد علىٰ روابي عراقنا الحبيب .

ذروة التطابق .. كرمِ الحسين

حملتني أجنحة الشوق الىٰ تلك الذكريات ، لأيام (الرشاد) الخالدات ، فاخترقتُ أستار السنين وغبار المسافات وارتسمتْ أمامي أحداث مرَّ عليها عقدان من الزمن المر .. صورٌ حيّةٌ ساخنةٌ محفورة في الروح والذاكرة ، مثّلت عصارة مرحلة ، ونفثات تجربة ، عبّرت عن أقسىٰ وأجل ذكريات العمر ، فتزاحمت المشاهد وتلاحقت الصور ، فكانت .. المذكّرات .

إذن فالمذكرات خميرة من الذكريات كانت حَصاد سنين ثقيلة من السجن كتبتُها علىٰ حين غفلة من الزمن العنود ، في ظروفٍ يحلو بجانب مرارتها العقلم .. فهي لم تنطلق من فكرٍ تجريدي ، وليست من نسج الخيال ، بل هي وثائق وحقائق مُنتزعة من ظُلَم الطوامير وزنازين التعذيب وغُرف (الرشاد) .

صفحات كتَبَتها الغيد الحسان والحور الملاح بمداد دمائهن وشموخ تضحياتهن ، لم أُنمّق فيها شيئاً أبداً ، وكل الذي فعلته أني نقلتها من صفحة الذاكرة الىٰ صفحة القرطاس ، ليصوغها بعد ذلك قلم حليف العمر بأفصح عبارة وأعذب بيان ، مُصوِّراً أحداثها بدقةٍ وعناية ، سابغاً علىٰ حكاياها عاطفةً هادرة غير أنها عاقلة لاتُزاحم الموضوعية وأمانة التوثيق ، راسماً بريشته الدافئة صوراً حقيقية خطّتها المرأة العراقية المسلمة ضد نظام الظلم والظلام ، بسلاح الكلمة تارة وبالجهاد الدامي تارةً أُخرىٰ .

صفحات حمراء لجراح مقدّسة ، تحكي قصة الظُلم الذي أحاط بمخدرات عراقنا الحبيب وتتحدَّث عن جَورٍ عاتٍ ، وعن ثورةٍ مذبوحة ..

هي وثائق حيّة لصفوةٍ خيِّرة من فتيات شعبنا مثّلت القيمة القمة في ريادة مسيرة الجهاد والاستشهاد في تاريخ العراق المعاصر ، وعيّنات شاهدة علىٰ الموقع الريادي والفاعل الذي تصدّت لهُ المرأة العراقية خدمةً لدينها ووطنها .. فزهدن بملذّات الدنيا واشترين جنّاتٍ عرضها السماوات والأرض أُعِدّت للمتقين ، وقدّمن زهرة شبابهن رافضات حياة الذل في ظل أعتىٰ طاغوتٍ مَرَّ علىٰ عراقنا الأبي .. فاستأنسنَ بالشهادة استيناس الطفل بمحالب أمه ، وترصّعت صدورهنَّ بأسمىٰ وسام جعله الله لخاصّة أوليائه وهو وسام الشهادة الواعي .

وهي فصل من فصول المقاومة والجهاد في عراق عليٍّ والحسين ، وصورة من الصور المشرقة لأبنة دجلة والفرات ، ومحطة من محطات المجد والفخار في تاريخنا العراقي الإسلامي ، وصرخة من صرخات الصدر وبنت الهدىٰ لعراق ما بعد الثورة الإسلامية في إيران .

زينبيات آمنَّ بمبادىء ثابتة الأُصول متجذِّرة الأُسس غير عائمة ولا وليدة ظروفٍ طارئة ، وحملن رؤىٰ تبلورت عبر عذابات السنين ، فهتفن بكلمة الحق في زمنٍ خرست فيه الألسُن ، وزرعن أرض عراق المقدسات بساتين خيرٍ وفضيلة .. فتيات دخلن المحنة وسرن علىٰ الدرب بكثيرٍ من العقل وكثيرٍ من العاطفة ، حملن سموّ القصد وشرف الغاية ، فكانت النوايا صادقة ساطعة كضياء الشمس وكان السلوك في ذروة التطابق مع القناعات والقيم ، فارتقين لنيل الشهادة بتخطيطٍ وتصميمٍ مُسبق .. إنها الشهادة الواعية ، شهادة من يمضي بأرادته الىٰ الحُتوف لا شهادة من تُدهمه المنية رغم أنفه .. سيوف مواضٍ رفعتها أكُف المجاهدين في شتّىٰ مراحل الصراع - الاجتماعية منها والسياسية - إنَّهنَ بنات الصدر حفرن علىٰ صدر العراق أمجادهن وكتبن ملاحم خلودهنَّ بدمائهن لابدماء الغير كما يفعل الآخرون .

فكانت المرحلة مرحلة مواجهة مسلّحة وحاسمة مع النظام الفاشي[١] ، والاستشهاد كان مشروعاً حتمياً لمعركتنا مع الباطل .. فالعراق «بحاجة لدمٍ كدم الحسين عليه السلام»[٢] وكربلاء امتدّت لتكون كل العراق خيثُ عاشوراء الطف .. واشتدَّ

١ - اشتدّت حملة الاعتقالات والاعدامات منذ عام ١٩٧٩م بجنون وحقدٍ صارخ ، فشهدت المرأة العراقية المسلمة - بأُمّ عينيها - ذبح أبنائها فى الزنازين وعلىٰ أعواد المشانق ، وتشرُّد اخوتها في المهاجر والقفار .

٢ - من خطاب للقائد الشهيد الإمام الصدر قدس سره وهو قيد الحجز والإقامة الاجبارية عام ١٩٧٩م .. وهنا أحرص علىٰ القول أن

الظلام وعاش الناس تلك السنين حملة اعتقالات واعدامات مسعورة لم يشهد لها تاريخ العراق من قبل مثلاً قام بها أجلاف أمن النظام ومرتزقته ، وقد نجحوا .. وأيَّ نجاح .

وثائق وحقائق تناثرت في صدور الأخوات السجينات وفي ذاكرتهن التي زحف علىٰ أكثرها التآكل والنسيان وتقادم العمر والتعرّب في المهاجر ، لم تجد من يجمعها قبل فوات الأوان .. فكان لابد من التصدّي لهذا الواجب والقيام بهذا المشروع باعتباره الفصل المُغيَّب الوحيد في ملحمة الجهاد المقدّس لتحرير إرادة الناس من استبداد بعث الارجاس ..

لذا لم تكن كتابة تلك المذكرات نزهة عابرة بل جاءت بجهودٍ حثيثة مضنية متواصلة انتُزِعَ الكثير منها بمشيئة الله وبطول صبرٍ وعناء انتزاع الصباح من مخالب الظلام !

ان هذه الملحمة الكتابية تدعونا أن نذكر جنود انجازها بالخير وان نثني علىٰ راسمي فصولها بالامتنان ، ومن هنا فانه لابد من شكر نقدمه بين يدي هذا السفر المحلمي ، شكر أوله لله أولاً لتوفيقه وعونه علىٰ انجاز هذه المذكرات ، وشكر آخر لزوجي ورفيق عمري الذي له الفضل في تفجير مكنون ذكرياتي المبعثرة التي كادت أن يأتي عليها الزمن حتىٰ الهبني بفورةٍ من الحماس حرّكت كل كياني لأتمكّن من استعادة مانسي والإدلاء بما أجد واحفظ .

ولعلّ القارىء الكريم يدرك جيداً أن وحشية طاغية العراق أكبر من أن يصوغها بيان مهما بالَغ ، لذا فأن ما عجزنا عن الإتيان به وتصويره أكثر مِمّا ذكرنا ، لأن هناك ما نأىٰ القلم عن ذكره وابتعد عن علقم مرارته[1] .

لذا ستبقىٰ هذه المذكرات وخزة ضمير لكل مَن ترك الوطن يُسبىٰ وهو في سُبات المَهاجِر يتسلّىٰ ، وتذكرةً لِمن هرب بعيداً عن مسؤوليته تجاه شعبه وعراقه وتناسىٰ الشرف المُنتهك والخِدر المُستلَب .

أغلب شهدائنا – ومنهم شهيداتنا الخالدات – قد قُتِلوا علىٰ أيدي النظام البعثي تحت عناوين ومُسمّيات سياسية إسلامية عريقة ، إلّا أن عنوان المعركة الحق كان – في الأغلب – النهضة الصدرية والثورة الخمينية التي عمّت البلاد والعباد حينذاك .

(١) – نرجو من الأخوة الكتّاب والأُدباء العراقيين بذل الجهود لتطوير هذا المشروع ، فنحن لن ندّعي إيفاءهُ حقّه ، بل نحن لم نطمح من مذكراتنا هذه سوىٰ تسجيل مادة خام .

مذكرات كتبناها لتكون بين يدي أجيال الحق الذي سيُستَردّ عاجلاً أم آجلاً .. وهي في الوقت نفسه دعوةٌ صادقةٌ وصريحة للعيش في اتون المحنة ليَتوحّد الصف علىٰ الهدف السامي وهو انقاذ شعبنا من قبضة الجلّاد ، الا وان الفجر قريب ونحن علىٰ موعدٍ مع النصر ، وإن الظلام سينجلي ولم يبق منهُ إلّا ثمالة ، وعهدنا بأن جراح الزينبيات قادر علىٰ أن يُضمّد جرحنا بعد أن فرّقتنا مطامع الذات وسياسة التكتلات حيناً من الدهر .

فاغسلي جدائلك الذهبية بغداد ، وافتحي ثغرك ياأجمل المدائن ، وارفعي من فوق مآذنكِ ؛ أن لعنة الله علىٰ القوم الظالمين .

وسيصدح - بأذن الله - نشيد الله أكبر فوق روابي عراقنا ، وسنُكحِل نواظرنا بزيارة تلك القبور الطاهرات واللحود الدوارس ، وسنزرع فوق ثراكُنّ أرَق الزنابق واعبق الورود .. وستطوف علىٰ أضرحتكم زينبيّات جُدد أنجبتها تضحياتكم وشموخ جراحكم .

فيا نوارس الشطآن ، ويافناديل الزمان .. هنيئاً لكم عُقبىٰ الدار ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلبون والعاقبةُ للمتّقين .

ولكل كلامٍ ختام ، بَيْدَ أن الحديث عن الشهادة والشهيدات لايجد في مطاوي حديثنا خاتمة ، مِمَّا يدعونا مضطرّين أن نسكُت عن الكلام المُباح ، متوسلين الىٰ الله أن يتقبّل هذه المذكرات[1] خالصةً لوجههِ الكريم وأن يجعلنا مِمّن أدّىٰ الأمانة فلَم يخُنها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2] عسىٰ أن تكون لنا ذُخراً يوم لاينفعُ مالٌ ولا بنون إلّا مَن أتىٰ الله بقلبٍ سليم .

فاطمة العراقي

المهجر

---

١ - دخلت المعتقل عدّة مرات ، وأدركت ماذا يعني السجن والتعذيب ، وكم مرّةٍ انفردتُ مع نفسي في حوارٍ مع زنزانتي.. كنت أقول ؛ تُرىٰ هل سيأتي اليوم الذي أعيش فيه الحرية لأكتب شيئاً عن هذا العالَم ؟!

الحمد لله الذي وفّقني لتحقيق أمنيتي ولم يترك ذكرياتي تُدفن في مقبرة الأماني العاقرات .. فما أشدَّ فخري واعتزازي وأنا أشارك في هذه المذكرات التي تحكي قصصاً من حياة وجهاد واستشهاد حبيبات الروح شهيداتنا الغاليات ..

لقد انتظرت هذا اليوم سنيناً طوال ثِقال وبفارغ صبر الجبال ، لأُحرّر عن كاهلي مسؤوليةً عظيمة ، لان تكريم الشهيدات هو في الحقيقة تعظيم لقيمة الشهادة في حياتنا وأهمية دورها في معركتنا .

٢ - سورة البقرة : ٢٨٣ .

الاهداء

الىٰ وقفة العز في المِحَن الطاغيات ..

الىٰ منارة الطريق في صحراء التيه والضَياع ..

الىٰ حادية ركب الزينبيات ..

الىٰ شموخ الزهراء وإباء الحوراء ..

الىٰ بَلسم المخدَّرات وأُميرة الشهيدات ..

الىٰ محراب الصلاة وسيف الإباء ..

الىٰ الجسد المُخضَّب والقبر المُغيَّب ..

الىٰ بنت الهدىٰ .. أهدي هذه الدموع .



أطلّي مع الفجر (بنت الهُدىٰ)
أ(أُمّاه) مازلتِ روحاً لنا
تَظلّين ورداً بعين الهُداة
أتيتُكِ ، والنفسُ محزونةٌ
وأوقفتُ عينيَ فوق القبور
وناديتُ يا أُمُّ ، بحَّ النداء
أأُمّاه .. أمّاه .. لو تُفتَدين

فما لمداكِ المُعلّىٰ مَدىٰ
ترفُّ بأنوارها فرقدا
وتبقينَ شوكاً بعينِ العِدىٰ
ونارُ الفجيعة لن تخمدا
تتيه بأهوالها صُعُدا
وقد ردّدَ الصوتَ ذاك الصدىٰ
بنفسي ، وروحي لكنتُ الفِدا



أطلّي مع الفجرِ آناً فآنا
فمازال جُرحُكِ يحكي الزمانا

أ(عذراء)، ياسُبحات الجلال
تبقين ماثلةً في رؤانا

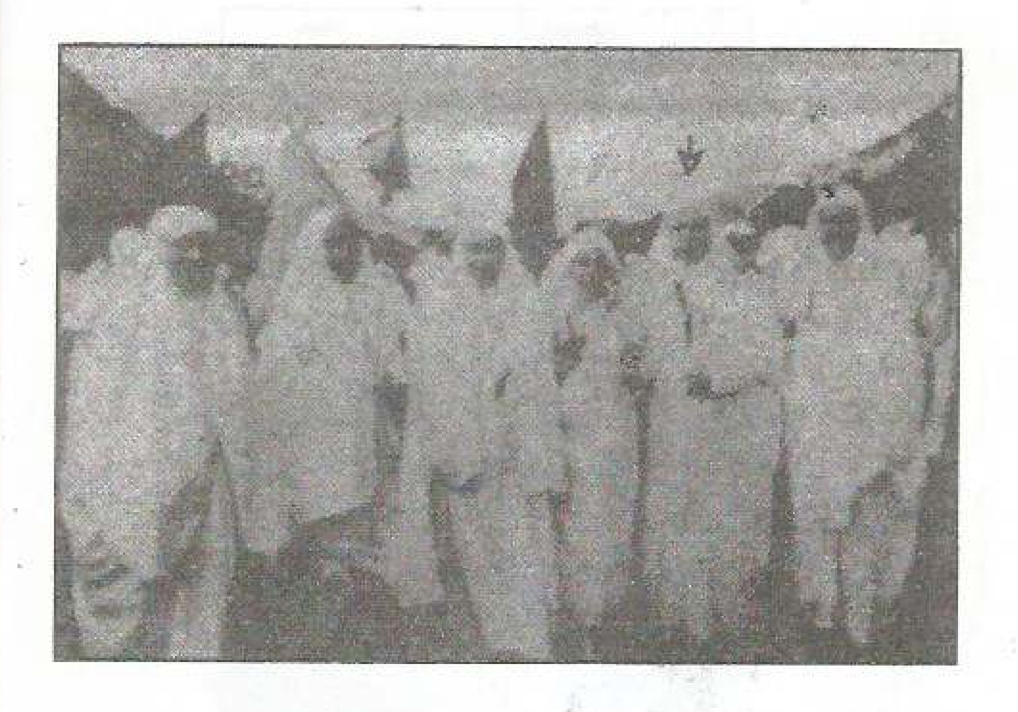
مشيتِ الى الموتِ في عَزْمةٍ
تُقرّبُ من ناظريكِ الجِنانا

أ(بنت الهُدىٰ) ياتحدّي الزمان
ياومضةً سطعت في سَمانا

تأمّلت أيّامكِ النيّرات
نهايتها خلقت مُبتدانا

وعشتُكِ مذبوحةً في أكُفٍّ
مُديتُها غُرِزَتْ في حشانا

سلامٌ على تُربةٍ ضمّتكِ
يدُ الله قد أودعتها الأمانا



أطـلّي عـلينا نـجوماً عَـذارىٰ ... فـمازال فـوقكِ يـحكي المسارا

أ (بـنت الهُـدىٰ) يـالجُرمِ العراق ... إذا عُـدَّ أهـلوه بـينَ الأُسـارىٰ

لكِ اللـــه مُـخضّلةً بـالدماء ... يـدُ الغـيب قـد نـثرتها نـثارا

فـيا رايـة المـجد ما غُـيِّبتْ ... وهـل غـيَّبوا بـالعماء النـهارا

ومـــا عـــفَّروكِ بـملحودةٍ ... يـدُ اللـه مـدَّت إليـها الوقـارا

فـيا أُمّـةَ البـغيِ حـان القـصاص ... جـئنا إليـكـم .. بـداراً .. بـدارا

لنكـتـب بـالأُفق أنّ النـجيع ... يُـحرّرُ تأريـخنا المُستعارا[1].

١ - أناشيد من ديوان «أشعار مُقاتِلة» للشاعر العراقي الأستاذ السيد جودت القزويني.

قبسات من سيرة

هي السيدة آمنة ، ابنة آية الله المرحوم السيد حيدر الصدر أحد كبار العلماء والفقهاء والمحققين في العراق .

أمها : من عائلة علمية مرموقة ، وهي شقيقة المرجع الديني الكبير المرحوم آية الله محمد رضا آل ياسين .

وأخواها: آية الله السيد اسماعيل الصدر المعدود من الفضلاء في العلم والورع . والسيد محمد باقر الصدر ، المرجع الديني الكبير ، والمفكر الإسلامي الشهير ، ومفجر الثورة الإسلامية في العراق .

وقد ولدت السيدة آمنة «رض» في مدينة الكاظمية عام ١٣٥٧ للهجرة الموافق لعام ١٩٣٧ للميلاد ، وشبَّت في أكناف عائلتها العريقة في العلم والايمان والسيادة والتقوى ، كما ذاقت مرارة اليتم وهي لم تتجاوز ربيعا الثاني ، حين رحل والدها المرحوم عن هذه الدنيا الفانية .

تكفّل أخيها البكر السيد اسماعيل الصدر رعايتها وتربيتها وهي طفلة ، أما أخيها المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر فقد رسم لها طريق الخلاص الإسلامي وخطوطه العريضة في صباها وشبابها ، فكان له الدور الكبير في بناء شخصيتها وصياغة أفكارها وتشجيعها علىٰ الكتابة والتأليف والتصدي للعمل النسوي بكل أبعاده التربوية والاجتماعية والحركية .

وفي منزلها ، درست الشهيدة بنت الهدىٰ علوم النحو والمنطق والفقه والأصول جنباً الىٰ جنب العلوم التقليدية التي تدرّس في المدارس الحكومية.. حباها الله قسطاً وافراً من كل حسنة، ووهبها من الذكاء والايمان مالا يحصرهُ بيان، حتىٰ شهد لها الكثيرون بالنبوغ والألمعية والذكاء . وبعد سنوات من الدراسة ، اتجهت السيدة الشهيدة نحو التدريس والتبليغ والدعوة الىٰ الإسلام ، فكانت مربية مرحلة ورائدة صحوة، لذا تركت بصمات نشاطها وجهادها في عقول وقلوب فتيات العراق ونسائه، وهي آثار مازالت تتفاعل في النفوس الحرة الابيّة ، فتخرّج علىٰ يديها عدد من

رائدات العمل الإسلامي النسوي والمبلغات والكاتبات اللائي يمارسن نشاطهن الآن في شتىٰ مجالات الحركة الإسلامية ، فضلاً عمَّن نلن منهنَّ وسام الشهادة الرفيع في زنازين وسجون النظام البعثي .

وقد استطاعت الشهيدة بنت الهدىٰ ، وبفضل مالديها من قدوة أصيلة في العلم والعمل وما امتلكت من تواضع وخُلق ولين العريكة وحنان ، هداية الكثيرات من الفتيات الىٰ جادّة الصواب وجعلهن يتمسكن بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، حيث كان لها (رض) حضور واسع في الساحة النسوية الاجتماعية والثقافية سيما في النجف الأشرف وبغداد ، ونشرت العديد من المقالات الهادفة في شؤون المرأة في مجلة (الأضواء) التي كانت تصدر عن جماعة العلماء في النجف الأشرف في سني الستينات ، والتي فُصِّلت فيما بعد في كتاب سُمّي بـ «كلمة ودعوة» .

وفي مرحلة لاحقة ، تسلمت الشهيدة بنت الهدىٰ مسؤولية الاشراف علىٰ مدارس (الزهراء) في النجف الأشرف والكاظمية ، فأسهمت بدور عظيم في سبيل تطويرها عن طريق الادارة المثالية والتدريس النموذجي المفيد واللقاءات والمحاضرات والحوارات الجادة مع الدارسات والمدرِّسات وطالبات الجامعات ، ثم ما لبثت ان استقالت من هذا العمل إثر قانون تأميم التعليم الذي صدر في العراق عام ١٩٧٢م[1] ، والذي مثّل عقبة أمامها بما فيه من اتجاهات ومضامين زائفة تتعارض مع شخصية المرأة المسلمة .

وللشهيدة بنت الهدىٰ (رض) يد طولىٰ في الأدب والشعر والقصة الإسلامية التي تُعدّ من مؤسسيها وروادها بما تجلت به من موهبة خلّاقة وثقافة واسعة وأسلوب رصين وإلمام كبير وعميق بمشاكل وقضايا المجتمع الإسلامي ، وقد تصدّت للافكار العلمانية المنحرفة والتقاليد الاجتماعية الباطلة بعد ان نجحت في صياغة الفكر الإسلامي الهادف بقوالب أدبية رائعة ، ومؤلفاتها في القصة القصيرة تشهد لها بصدق

---

١ - أغلقت الحكومة البعثية كافة المدارس الإسلامية الأهلية في كافة أنحاء البلاد ، كمدارس الإمام الصادق ومدارس الإمام الكاظم ومدارس الإمام الجواد وكلية أصول الدين في بغداد وكلية الفقه في النجف ، ثم أعيد فتحها بعد أن أعيد ارتباطها بوزارة الاوقاف البعثية وتغيير مناهجها ..كما تم اغلاق كافة الدوريات الإسلامية كمجلة الأضواء ومجلة النجف ومجلة رسالة الإسلام ومجلة المجتمع المسلم .

هذا الادّعاء[١].

ولقد عانت الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) آلام الظلم والاعتقال والتعذيب علىٰ يد النظام البعثي الجائر بسبب مواقفها الزينبية واحتجاجها المتواصل علىٰ الممارسات الوحشية لحزب البعث العميل، وظلت صامدة لم تقعد بها الشدائد عن المضي قُدماً في طريق الدعوة والهداية، تنافح عن القيم الإسلامية الرفيعة والمُثُل الإنسانية السامية بجانب أخيها السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره[٢] حتىٰ نالا معاً درجة الشهادة علىٰ يد الجناة البعثيين، فهي صدىٰ الشهيد الصدر في عقله وروحه وبرامجه.. لذا قتلوها كي لا يخطأوا ذلك الخطأ الذي وقع فيه الطاغية يزيد حينما قتل الإمام الحسين وترك زينب عليها السلام.

نعم، فالطاغية صدام – يزيد العصر – قد قتل حسين العصر «الإمام الصدر» ولم يترك زينب العصر علىٰ قيد الحياة، والتي لو بقيت لكانت امتداداً لثورة أخيها الصدر.

قتلوهما صبراً ثم سلَّموا جثتيهما لابن عمهما السيد محمد صادق الصدر ليل الثالث والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ عام ١٤٠٠ هـ الموافق للثامن من نيسان عام ١٩٨٠م، فدفنهما في مقابر العائلة بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، ورضخ لأوامر السلطة البعثية بالصمت والسكوت.. فطوبىٰ لهما وحسن مآب.

---

(١) من مؤلفات الشهيدة بنت الهدىٰ: الخالة الضائعة، ليتني كنتُ أعلم، امرأتان ورجل، الفضيلة تنتصر، لقاء في المستشفىٰ، كلمة ودعوة، ذكريات علىٰ تلال مكة، الباحثة عن الحقيقة، صراع مع واقع الحياة، المرأة وحديث المفاهيم الإسلامية، بطولة المرأة المسلمة. ولها مؤلفات أخرىٰ مخطوطة صادرتها سلطة البعث عند اقتحام بيت السيد الصدر ومصادرة كل مافيه.

(٢) كان للشهيدة الدور الاساس في تأجيج انتفاضة ١٧ / رجب / ١٣٩٩هـ، حينما أعلنت في الحرم العلوي عن اعتقال السيد الصدر ونادت: «الظليمة، الظليمة.. ياجدّاه يا أمير المؤمنين لقد اعتقلوا ولدك الصدر ياجدّاه».

ثم أضافت:

«أيها الشرفاء المؤمنون هل تسكتون وإمامكم يُسحب ويُعذَّب؟! ماذا ستقولون غداً لجدي أمير المؤمنين عليه السلام؟!». الأمر الذي دفع بالجماهير الموالية الىٰ الخروج في مظاهرات احتجاجية أجبرت السلطة البعثية في بغداد علىٰ الافراج عنه في ظهيرة نفس اليوم.

شذرات علىٰ شفاهٍ مخلصات

لم تكن منسيّة في قلوبنا ، ولم ننصرف عن ذكرها لغنانا عنها ، بنت الهدىٰ .. وهل تُنسىٰ ؟!

بل نحن اليها راغبون وبعشقها هائمون، ولم نطوِ عن ذكرها كشحاً، بيد أننا نحسبُ أنفسنا دون مقامها قدرةٍ علىٰ التوثيق، فحدا بنا الأمر أن نتلمّس ذكراها وتاريخ حياتها بأيجازٍ لا إطناب فيه من خلال نتاج جهدها ورفيقات دربها وتلميذات نهجها وأقلام عُشّاقها، فكانت شَذَرات علىٰ شفاهٍ مُخلصات:

* «لقد كنت أرغب في مطالعة الكتب والمجلات المفيدة منذ سن العاشرة من عمري بفضل تشجيع أخي لي ، وكنت أجمع النقود التي تُعطىٰ لي في كل يومٍ والتي أحصل عليها من أخي لأشتري بها كتاباً مفيداً أو مجلة مفيدة . فما كنتُ أُفكّر أن أُبعثرها في جوانب أُخرىٰ غير مفيدة كما يصنع أقراني من الأطفال» .

من حديثٍ للشهيدة بنت الهدى لتلميذاتها .

* «ساهمت الشهيدة في تأسيس مدارس أهلية رسميّة تتبع المنهج الحكومي ، إلّا إنها تضيف عليه مادتين أو أكثر بغية تربية النشىء الجديد ، تُدرِّس فيها مدرِّسات جامعيات ذوات كفاءة علمية عالية ومزايا خاصة وهو الإلتزام الإسلامي كي يكنّ قدوة للطالبات ، وسُمّيت هذه المدارس بمدارس الزهراء عليها السلام الأهلية للبنات ، وكان مقرّها بغداد - الكاظمية - وتحتوي علىٰ روضة للاطفال ومدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ..

لقد حقّقت هذه المدارس نسبة نجاح كبير (في الامتحانات الوزارية) بين المدارس الحكومية حتىٰ اشتهرت بسمعتها العملية والتربوية وتزايد إقبال الناس عليها لدرجة أصبحت معها الصفوف لاتستوعب الطالبات ، ولعبت بنت الهدىٰ دور المشرف والموجّه لهذه المدارس ، كانت تأتي ثلاثة أيام في الاسبوع فيما كانت تقضي الأيام الأُخرىٰ في مراكز التعليم في النجف الأشرف ..

ومن المُفرح أن أرىٰ هنا في بريطانيا – وكذلك في دول الخليج – مجموعة من خريجات مدارس الزهراء ، وأنا مسرورة لانهنّ حققن أمل الشهيدة» من مقال للأستاذة وجيهة الصيدلي –مديرة مدارس الزهراء عليها السلام نُشر في مجلة المنبر ، العدد ٢٤ ، لندن .

* «إني كنت أمضي النهار في إدارة المدرسة ، وظهراً أقوم ببعض الأعمال المنزلية ، وفي العصر أدير الجلسات في البيت بتدريس الفقه – شرايع الإسلام – وبعد انتهائي أمضي الوقت في الليل بقراءة الكتب الإسلامية والثقافية والفقهيّة..

إنني لكثرة أشغالي وانهماكي في العمل كنت أصلّي صلاة الظهر والعصر بوضوء صلاة الصبح .. وفي بعض الأحيان أصلّي صلاة المغرب والعشاء بوضوء صلاة الصبح أيضاً ..» من حديث الشهيدة بنت الهدىٰ للسيدة الفاضلة أم فرقان ، مؤلفة كتاب بطلة النجف.

* «في إحدىٰ الأماسي الماطرة كان علىٰ الشهيدة بنت الهدىٰ أن تسافر إلىٰ الكاظمية من النجف لانها ترعىٰ المدارس الخيرية في الكاظمية والنجف .

واتخذت الشهيدة مكانها في السيارة ويمضي الوقت ويرخي الليل سدوله .. ويشتد هطول المطر .. ولكل من في السيارة رفيق أو قريب يقطع معه وحشة الطريق ، وعلىٰ الأخص المرأة فالمجتمع يعيب علىٰ المرأة سفرها بمفردها وبغير رفيق . فشعرت الشهيدة باديء الأمر بشيء من الرهبة والخوف . هل ترجع لتطلب الأمان والدفء في البيت مع اخويها ؟.. أم تستمر في رحلتها لتأدية واجبها ؟ ولكن لا . قالتها الشهيدة بحزم واصرار . لا .. لن ارجع ، فالانسان الرسالي المطمئن الىٰ طريقه الذي ترعاه السماء بعنايتها لن ترهبه الصعاب ، وما هذه الابتلاءات الا عطاء يزيد الفرد صلابة وقوة علىٰ المضي في طريقه .

كانت الشهيدة بنت الهدىٰ تسعىٰ للتردد علىٰ المجالس الحسينية النسوية الفارغة التي اعتادت النسوة اقامتها لمجرد التحدث والثرثرة ، وكانت ترتدي الزي الخاص بهذه المجالس ، وهو زي اوجدته تقاليد المجتمع دون ان تمت للاسلام بصلة .. وعند استفسار الاخوات المؤمنات من الشهيدة عن سر ترددها علىٰ أمثال

هذه المجالس الخالية من الوعظ ، وبالزي الخاص بها ، كانت رضوان الله عليها تجيبهن علىٰ استفسارهن بتوضيح اسلوب العمل الرسالي الذي يشتمل علىٰ طريقتين :

الطريق الاول : ان العادات الموجودة في المجتمع ان كان منشؤها الاسلام فلابد من الحفاظ عليها ، مع ما تحمل من ملامح تافهة ، خشية اندثارها وزالها . فمن الجواب العمل علىٰ اظهار صورتها الحقيقية الناصعة .

الطريق الثاني : ان تبدأ مع الناس من حيث يريدون وبمالا يتنافىٰ مع مرضاة الله حتىٰ يمكننا الوصول بهم الىٰ حيث نريد . وكلا الطريقين لايمكن اجتيازهما .

في أحد الايام كنت وبعض الاخوات المؤمنات نقوم بزيارة الىٰ النجف الاشرف وهناك في مدينة باب العلم الإمام علي عليه السلام ذهبنا الىٰ زيارة الشهيدة بنت الهدىٰ . وبعد الجلوس فترة هممنا بالخروج ، ولكن الشهيدة منعتنا ودعتنا للبقاء معها لتناول الطعام فقلنا لها : سنبقىٰ علىٰ شرط أن نأكل مما تأكلونه ، بغير اضافة. فهل تعرفون ماذا اجابتنا الشهيدة ؟

قالت : انكم لاتحتملون اكل ما نأكل . لعمري ما اشد زهد هذه الاسرة الطاهرة ! وما اقسىٰ ما تحملت من العناء في جنب الله .. وحتىٰ اختارهم الله الىٰ جواره !

وهل يمكن ان ننسىٰ من فجّر الايمان في قلوبنا ام من جمعنا علىٰ حب الآخرين . اتذكرين يا أختي عندما كنا نصلي جماعة وهي تؤمنا ، ويحيطنا ذلك الجو الايماني السعيد ، ونلتف حولها بعد الصلاة وكأننا اطفال قد وجدوا امهم بعد طول فراق ، نلوذ بها .. نتوجع فتداوي اوجاعنا ، ونبكي فتمسح دموعنا ونيأس فتبشرنا بالأمل ، ونضعف فتقوينا. ثم كبرنا وكبر ايماننا بفضلها ، وتزوجنا فباركت لنا اختيارنا .

اتذكرين أُختاه عندما اردنا أن نختار ، كنا لانرتضي الا من احتضنته السجون .

نعم ، هي علمتنا كيف نختار .. علمتنا كيف نتفاعل مع الدنيا ونجعلها مزرعة الآخرة ، لا ان تكون الدنيا آخر همنا . نعم ، انا لا انساها حين كانت تسليك وتشحذ ايمانك عندما كان زوجك في السجن . فتارة تحيي اسلامك وتبارك له ، وتارة تدعو الله ان يفك اسره . وعندما حان وقت الشهادة واختاره الله في جناته أتت لتبارك لك .

إيهٍ يابنت الهدىٰ، شهادتك ايتمتنا . اين معين الكلمات الرقيقة ؟ واين اليد التي تمسح علىٰ رؤوس الأرامل والأيتام؟ كم من زوجة شهيد تريدك يابنت الهدىٰ تواسيها وتطفيء لوعتها .. وكم من طفلة افتقدتك بعد تيتمها .

زعم صدام المجرم انه اذا منع كتبها سوف ننساها ويطوي الزمان سحر كلماتهاولكن لا ، فسحرها في افئدتنا ، ومفاهيمها سر حياتنا . فأي شيء لم تكن بنت الهدىٰ قد طرزته في دنيانا .

مدّي يدك يارفيقتي لنعاهد الشهيدة بنت الهدىٰ ان لا نتخلىٰ عن الدرب الذي سرنا فيه سوية رغم كل الصعاب ورغم بذل الدماء» .

مقال للأخت أم اسلام نُشر في صحيفة لواء الصدر عام ١٩٨٣ م .

* «كانت الشهيدة بنت الهدىٰ صادقة مع الله ومع الناس، لم نراها يوماً قد وقعت في رذيلة الكذب، وكانت أقوالها مطابقة مع واقعها الخارجي. من أبرز صفاتها: الأخلاص لله وحبّها له .. لم تُصاب يوماً من الأيام بآفة الخيبة والتردُّد ، وهي القائلة: لن أنثني .

كانت تسافر لوحدها في وقت كانت العوائل الملتزمة تعتبر ذلك أمراً صعباً .. في إحدىٰ المرات قالت :

«لاقيت في سفري من النجف الىٰ بغداد الكثير من المشاكل ، ولكن تحمّلته بكل صبرٍ وارتياح من أجل مرضاة الله» .

كلّفها آية الله السيد مرتضىٰ العسكري بالاشراف علىٰ مدارس الزهراء في الكاظمية ، علىٰ أن يكون دوامها ثلاثة أيام في الاسبوع ، فقررت أن يكون مبيتها

في المدرسة مع خادمة المدرسة – وهي إمرأة عجوز – وكانت البناية كبيرة وقديمة وموحشة في الليل ، والشهيدة حينذاك كانت في ريعان شبابها ، فكانت تضع التلفون في الليل الىٰ جانبها خوفاً من وقوع حادث سيء ، مع انـها كانت من عشيرةٍ كبيرةٍ من آل الصدر يسكنون بالكاظمية ، والجميع يتمنون مبيتها عندهم ، وعندما سألناها عن عدم مبيتها عند أحد أقاربها ، قالت : لاأُريد أن أثقل علىٰ أحد» .

السيدة أُم أحمد الشيخ .

* «وكان ممّا تذكرهُ الشهيدة – رحمها الله – بأسىٰ ولوعة، ذلك الحصار الذي كان يضربه عليها وعلى نشاطها بعض المتحجرين في بداية نبوغها، حتىٰ إنهم رفضوا أن ينشروا كتاباتها في مجلة الأضواء بأسمها الصريح كونها إمرأة! و نشروا مقالاتها بأسم «أ . ح» ويعني «آمنة حيدر»، ممّا دعىٰ العلامة السيد محمد حسين فضل الله – أحد أعضاء لجنة التحرير آنذاك – الىٰ مواساتها بقصيدةٍ يشرح فيها أسفهُ علىٰ عدم موافقة لجنة «دار الأضواء» على نشر اسمها صريحاً، وقد كانت العلوية الشهيدة متأثرة بتلك القصيدة، وقد حفظتها عن ظهر قلب .

لذا خرجت الطبعة الاولىٰ لكتابها «الفضيلة تنتصر» وقد رُمِزَ لمؤلفه بـ «أ . ح» بفعل تأثير ذلك التيار المتحجِّر.. فتصّور البعض – الذي لم يطلع على الحقيقة – أنه من تأليف الشيخ محمد أمين زين الدين!!» من لقاء مع السيدة ام تقى الموسوي

* «كانت الشهيدة بنت الهدىٰ – رحمها الله – تذهب الىٰ الحج كمرشدة دينية في إحدىٰ الحملات التي تذهب من بغداد أو الكاظمية ، تُعلّم النساء مسائل الحج واحكامه فكانت من الناحية الفقهيّة محيطة بفتاوىٰ العديد من المراجـع ، وكـانت تجيب كل حاجّة علىٰ وفق مَنْ تُقلِّد من المجتهدين ..

ومن ذكرياتي عن الشهيدة في هذا المجال إنها في إحدىٰ السنين طلبوا منها أن تحج نيابة عن إمرأة من محافظة ميسان – العمارة – فطلبتْ منّي مرافقتها الىٰ تلك المدينة ، فاستغربت ذلك ! فسألتها عن السبب ؟ فقالت : أنا مُكلّفة بالحج عن إمرأة

من العمارة ، وأريد أن أنوي حج النيابة عنها من نفس المكان الذي كانت فيه لتأكيد براءة ذمّتها ، وعلىٰ هذا الأساس تجشّمت عناء السفر من النجف الىٰ العمارة لتنوي الذهاب الىٰ الحج من هناك نيابة عنهاوتعود في نفس اليوم» .

من كلامٍ للشيخ محمد رضا النعماني في كتابه «الشهيدة بنت الهدىٰ» .

❋ «علاقة الشهيدة بنت الهدىٰ مع أخيها الشهيد الصدر تجاوزت العلاقة الطبيعية بين أخت وأخيها ، فهو أخ نسبي وروحي واستاذها ومربّيها .. وكانت العلاقة بينهما متبادلة .

في يومٍ من الأيام ابتلىٰ السيد الشهيد بالتسمُّم ، وكان يتصور أنهُ سوف يؤدّي به الىٰ الموت ، فطلب من المقربين أن ينقلونه الىٰ المستشفىٰ ، وفي نفس الليلة اقتحمت الاستخبارات البعثية البيت لغرض اعتقاله ! فأخبرتهم زوجته انه مريض وقد نُقِل الىٰ المستشفىٰ ، فطوقوا المستشفىٰ . فذهبت الشهيدة مسرعة الىٰ المستشفىٰ حافية مذهولة لانها شعرت أنها سوف تفقد مربّيها ومعلمها ومرجعها وأخيها .. وعندما رآها السيد الشهيد بهذه الحالة التفت الىٰ الذين كانوا واقفين الىٰ جنبه وقال : إنها لايوجد لديها أخ أو أُخت غيري ، وأنا كذلك ليس لي أخ أو أُخت سواها» .

الأستاذة أم أحمد الشيخ .

❋ «الذي يصاحب الشهيدة بنت الهدىٰ يتبادر الىٰ ذهنه السؤال ؛ إذا كانت هذه هي أخلاق إمرأة في هذا العصر ، فكيف كانت أخلاق المؤمنات الأوائل كخديجة وفاطمة وزينب عليهن السلام ؟» د. أم أحمد الجعفري .

❋ «بعد الظليمة التي هتفت بها في ضريح الإمام علي عليه السلام رجعت زينب العصر الىٰ بيتها ، وكان بعض الشباب المجاهد في دار الشهيد جاءوا لحمايته من الزمرة الظالمة . وعند مجيء الزمرة الكافرة كانوا نياماً في السرداب . ذهبت اليهم السيدة بنت الهدىٰ مخاطبة إيّاهم ، قائلةً لهم : ياأخواني .. ياأبنائي .. أيها المؤمنون .. استيقظوا من نومكم ، اعتُقِل مرجعكم وأنتم نائمون !

ثم طلبت أحداً يخبر الجمهورية الإسلامية في إيران ، وأُذيع الخبر في نفس اليوم باعتقاله ، وكذلك اتّصلت في الكويت وبقية المناطق معلنة لهم نبأ اعتقاله .

وعند سماعي الخبر ذهبت الىٰ بيت السيد الشهيد وحاولوا منعي في البداية ولكن طرقت الباب فخرجت بنت الهدىٰ متأثرة محزونة . استفسرت عن الخبر وقلت لها : ما العمل ؟ ماذا علينا أن نفعل ؟ قالت : وهل تستطيعون عمل شيء ؟ قلت : نعم ، هل نقوم بمظاهرة ؟ قالت : إن كنتم تستطيعون ذلك فافعلوا . اذهبي واخبري الناس بأن بنت الهدىٰ خرجت وكبّرت فليس في ذلك عيب أو عار ، بل العار والعيب في السكوت . فخرجتُ مع بعض المؤمنات وتمّت المظاهرة فعلاً .

وفي فترة الاحتجاز اتجهتْ الشهيدة الىٰ الكتابة والتأليف حيث آلفت كتاباً أسمتهُ «أيام المحنة» ونظّمت أشعاراً وقصائد وبدأت بتفسير القرآن الكريم بصورةٍ مُبسَّطة الىٰ الفتيات المؤمنات وكانت قد وصلت به الىٰ حوالي منتصف سورة البقرة .

وكانت الشهيدة تسألني عن المؤمنين وتقول لي أثناء زيارتي لها : حدِّثيني عن المؤمنين والمعتقلين يكف حالهم ؟ أتمنىٰ لو كنت كطير فأتخلّص من هذا السجن وأصل الىٰ تلك البيوت والىٰ تلك النساء لكي أُشاركهم ما يُعانونه ولكي أُضمّد جراحهم .. إنني أتمنىٰ الوصول لكل امرأة فقدتْ عزيزاً أو إبناً أو أخاً أز زوجاً .

أما نحن فليس بنا شيء سوىٰ الأكل والنوم والبقاء في البيت ، هنيئاً لكل شهيد قدّم نفسهٔ قرباناً للعقيدة السمحة وللإسلام العظيم .. أجبتها : سيدتي ، عجباً ! أنتم أحرىٰ الناس وأولىٰ الناس بالمواساة ، إن محنتكم تفوق المِحَن ومصيبتكم فوق كل مصاب ، أنتم القادة وحياتكم حياة أُمّة .

كانت الشهيدة حينما تستمع الىٰ أخبار المؤمنين المعتقلين أرىٰ اعينها تفيض من الدمع . كانت تذوب كالشمعة حرقة علىٰ هؤلاء المؤمنين ، مِمّا دعاها الىٰ استعمال الحبوب المهدِّئة هي والسيد الشهيد ..

كانت الشهيدة دائماً تحاول منعي من زيارتها خشية تعرُّضي للاعتقال ، لان

رجال (الامن) يطاردون كل مَن يصل الىٰ بيت السيد الشهيد ، وحينما أُريد الخروج من بيت السيد الشهيد أرىٰ سيدتي الغالية تُشيعني بنظرات كلها أمل بسلامة الوصول..» . من مقالٍ لتلميذة بنت الهدىٰ (نور الهُدىٰ) نشرته صحيفة الجهاد ، العدد (٨٠) ، عام ١٩٨٣م

* «تعلمون جيداً الدور الذي قامت به العلوية المظلومة الشهيدة بنت الهدىٰ ، وكيف كانت هي الرائدة الثانية للحركة الإسلامية في العراق ...» .

من كلمة لرئيس المجلس الأعلىٰ للثورة الإسلامية في العراق السيد محمود الهاشمي خلال لقائه بالمرأة العراقية المسلمة في قم المقدسة ، محرم / ١٤٠٤هـ.

* «بنت الهدىٰ منارة المعرفة الهادية التي نطقت بها سيدة النساء نداءً فذاً في عمق الوعي المقدس المسؤول، وجسدتها سلوكاً رافعاً في قمة الالتزام المزين بالصحو الربيعي الطافح الفينان، العابق بسلامة الايمان .

لقد ورثت الحفيدة السعيدة من محتدها الزهراء البتول عشق الواجب المراد بمنتهى الهيام، وعلقم الصبر على الكره بفرط التصميم على تجرُّع المرارات، وبهاء الفضيلة المتسامية في ذروة الطهر والنقاء، ونبل السيرة الذاتية المتكاملة كانها نسخة الكمال الاولى في عالم المثال. وشموخ الوقفة الجهادية الرائدة تجدد فورة الاحتدام في تجربة الصدر الاول للاسلام، خلود الكلمة السديدة الباهرة الموصولة بكلمة الله العليا، وجلال الصيحة الرافضة العملاق الموسوعة بعزة الاباء، وعزمة الفداء.

وكانت بنت الهدىٰ هي الجذوة الزينبية نبعة النجيع الخالد المنذور من مهجة المصطفى، يشخب من وريد السبط الفاتح المحبور بكرامة المجد الوتر، للتلازم الملحمي اللألاء بين النبوة والامامة في الاداء والبلاء، ذلك التآصر المتجدد بالوشيجة المثلى بين وثبة الحسين في القرن السابع مدرسة القرون، وسليلتها وثبة الصدر المتأسية الصدوق في القرن العشرين، تطفح على محياها اشراقة التواصل المهيب الريّان، وتبسم في جبينها هلّة التماثل الواثق النشوان، وتزينها من عطايا العِرْق

الدسّاس هالة المحاكاة الامينه البارعة في الرسوخ، والامتداد، وحفظ الوصاة والعهد المتين، بما هما اهله من الصون المكين .

لقد جددت بنت الهدىٰ لأم أبيها روح الجهد الرسالي الوثّاب، هبطت عليها من علياء الرحم والتكليف، تتخطى الآماد والمُدَيات، عبر الاصلاب والتضحيات، ناهضة طارقة، كأنها بنت الساعة، متنغمة بتراتيل جبريل، متأرّجة بعبق التنزيل والتأويل.

واحيت بنت الهدىٰ وقدة الدور الايماني الفارد في فصل الحماسة النسوية الظافرة من معجزة الطف، ومفخرة عاشوراء، على طريق التحرير، وعتق الانسان من اسر العبودية للهوى، والانا، والطاغوت، والدنيا المخادعة، والرغبات الهابطة، والنزوات الخاتلة، والخوف الخانع، والانقياد الذليل، وكراهة المرابطة في ثغور التصدي، والمكابدة المقدسة على طريق ذات الشوكة »

من لقاء مع حجة الاسلام والمسلمين السيد فاضل النوري

※ «يخطىء مَن يقول أو يظن إنّ الشهيدة اقتصر عملها علىٰ التوجه التربوي والإجتماعي بل كانت تعمل في المجال السياسي بشكلٍ واعٍ ودقيق ، لظروفها والمرحلة التي تعيشها . حيث كانت تتحرك ضمن رؤىٰ واضحة المعالم . فكانت تقوم بشرح الموقف السياسي المطلوب آنذاك لجميع من يعمل معها وتعبئة النساء علىٰ مقاومة النظام ومخططاته وأساليبه التي تدعو وتضغط علىٰ النساء عموماً بالإنخراط لحزب البعث ، وبالتالي التخلّي عن القيم والمفاهيم الإسلامية . وساهمت في تربية المرأة علىٰ الورع عن محارم الله تعالىٰ ، وفي تكوين الروح الجهادية ضدّ أعداء الإسلام .. لقد تبوأت الشهيدة قيادة العمل النسوي الإسلامي العراقي بكل جدارة واستحقاق ، بل يمكن القول بأنّ القيادة ذاتها تشرّفت بها عندما تبوأت الشهيدة موقعها الطبيعي ..» من مقالٍ للسيدة وجيهة الصيدلي في مجلة المنبر .

※ «يارب .. أرجو أن تعوّض أرواح هؤلاء الخمسة بروحي» .

من كلامٍ للشهيدة عام ١٩٧٤م بعد اعتقال (قبضة الهدى) . المصدر : د . أم أحمد الجعفري

* «انــنا نـفتخر ونـتبرّك بكِ لانكِ زوجـة شـهيد» . مـن كـلام للشهيدة بنت الهدىٰ لإحدى مُريداتها عند الزيارة الاولىٰ لها بعد استشهاد زوجها . المصدر د. أم أحمد الجعفري .

* «التحرك الإسلامي في صفوف المرأة العراقية بدأ متأخراً نسبياً عن التحرك الإسلامي العام والذي لم يكن يستهدف المرأة بدرجة كبيرة . وان التحرك الذي كان لبعض الجمعيات النسوية الاسلامية ، مثل جمعية الاخوات المسلمات ، لم يكن قادراً علىٰ ان يحدث تياراً او ظاهرة اسلامية في المجتمع العراقي .

في مثل هذه الظروف خطت بنت الهدىٰ خطوات تحركها الاسلامي وبدأت مسيرتها في ظروف صعبة وغير مشجعة ، زاد من صعوبتها وتحجيمها ان التقاليد والظروف الحاكمة علىٰ تحرك المرأة في النجف والكاظمية كانت أشد نسبياً من بغداد .

من هنا يمكن ان نقوم المبادرة الجريئة والريادة التي قامت بها الشهيدة بنت الهدىٰ في تعميق التحرك الاسلامي النسوي وتوسيعه ، بتأييد من اخيها المرجع الشهيد السيد الصدر وتشجيعه .

ان تحرك السيدة الشهيدة آمنة الصدر كان وفق استراتيجية يمكن اكتشافها من خلال ملاحظة جملة نشاطها وطبيعة محاضراتها وشخصيتها .. ومن مواصفات هذه الاستراتيجية مايلي :

اعتبرت الشهيدة بنت الهدىٰ ان اساس المشكلة التي تعيشها المرأة العراقية في ابتعادها عن الاسلام التزاماً وجهاداً، يكمن في جهلها للاسلام الاصيل القرآني والنبوي وشيوع الفهم الخاطىء للاسلام ، فهم العجائز الذي تستقيه البنت من جدتها البسيطة عن دين الله العظيم .. فشمرت الشهيدة عن ساعد الجد في توضيح قيم دين الله ومعالمه ، رادة كل شك وشبهة وتصور عن موقع المرأة في الاسلام ، معبرة بحرارة عن ذلك الموقع الذي اعطاه الاسلام للمراء في اداء رسالتها في الحياة وفي المجتمع . فحررها من كل العبوديات عبودية الإنسان والمجتمع

والتقاليد والنفس .

وبذلك استطاعت خلال فترة جيزة ، ان تستقطب الكثير الكثير وان تهديهم لنهج الله الاصيل . تشهد لها بذلك اوساطها واحبتها في النجف والكاظمية والكرادة وغيرها من المناطق .

وقد اثمرت هذه الاستراتيجية في تحرك الشهيدة بنت الهدىٰ عن تيار نسوي اسلامي متصاعد علىٰ الرغم من التوجه البعثي المحموم لمسخ وتغريب المجتمع العراقي وخصوصاً المرأة فيها . علىٰ الرغم من كل هذه الهجمة فان التحرك النسوي استطاع ان يشكل عدة ظواهر اسلامية جماهيرية افزعت السلطة كظاهرة الحجاب في الجامعات والتجمعات النسوية في المساجد والمنشورات الفكرية وظواهر اخرىٰ .. وتصاعدت وتجذرت بصورة اكبر في المجتمع كلما اراد البعث الكافر طمسها واقتلاعها . ثم تبلور هذا التحرك النسوي بصور جهادية رائعة شهدتها البصرة وبغداد والكاظمية والثورة .. وكان ابرزها عملية ضرب بناية الجيش الشعبي في البصرة التي قامت بها مجموعة من المؤمنات المجاهدات اللائي سجلن في تاريخ العراق صورة رائعة لجهاد المرأة وعلىٰ خطىٰ الشهيدة بنت الهدىٰ وغدت الشهادة وعطاء بنت الهدىٰ مثلاً ورمزاً لجهاد المرأة العراقية المسلمة .. وتحركن نساء العراق سوية مع اخوتهن الرجال .. وبتحركهم جميعاً لن تموت الثورة .. وستعطي اشبالاً يحققون الاهداف الكبيرة في قيام حكم الله السعيد علىٰ كل الأرض» مقال للسيدة أم أبرار الحيدري (الأستاذة إلهام باقر) نُشر في صحيفة لواء الصدر عام ١٩٨٣م .

* «للشهيدة جلسات توعية كانت تعقدها في بيوت المؤمنات في النجف وبغداد – الكاظمية والكرادة – يحضرها الكثير من النساء المؤمنات وغير المؤمنات ، فكانت الشهيدة تطرح المفاهيم الإسلامية المتنوعة حول المرأة والحجاب والأخلاق وغيرها ، فأحدثت هذه الجلسات حركة اسلامية نسوية في المجتمع الذي سادته التيارات العلمانية والتنصيرية .

في البداية كان الحضور قليل ثم اتّسعت دائرته وأصبح عدد الحضور يزداد مِمّا أثار مخاوف السلطة الظالمة ، فعمدت الىٰ تحجيم الجلسات من خلال بث الأباطيل والاشاعات الكاذبة لأثارة الرُعب والخوف في نفوس الناس ..

من خلال هذه الجلسات استطاعت الشهيدة أن تبذر بذور العمل النسوي الواعي وتنشره في المجتمع ، فتحمَّلت دورها في الدعوة الىٰ الله والجهاد في سبيله والتضحية من أجل الدين الحنيف وتربيتها لبنات جيلها علىٰ الشجاعة والبطولة والإقدام ..

فانجذبت كثير من الفتيات الجامعيات الىٰ أفكار الشهيدة واستجبن لارشاداتها الإسلامية في تربية نفوسهن وتربية الآخرين ، حيث اصبح لكل فتاة دوراً في انقاذ أخواتها من الانحراف الذي كان يلف المجتمع وتدعوهن الىٰ الإسلام القويم ، وكانت الشهيدة (رض) ترسم للعاملات خطوط التحرُّك في المجتمع وترشدهن الىٰ عقد جلسات اسبوعية أو شهرية ولقاءات فكرية ، وبمرور الزمن أصبحت القلّة القليلة من المؤمنات الواعيات الىٰ كثرة كاثرة اللاتي انتشرنَ في بغداد والبصرة والناصرية والثورة وبقية المدن العراقية ، وأصبحت ظاهرة الحجاب أمراً مشهوداً لا يخفىٰ علىٰ أحد ، وكانت الشهيدة تتابع الفتيات في كل ذلك بتوجيهاتها الشفوية والفكرية من خلال قصصها وقصائدها ومقالاتها الهادفة .

فنجحت الشهيدة في غرس روح الصمود والتضحية والفداء في نفوس النساء المسلمات ، وعلّمتهن أن كل شيء يهون علىٰ المسلم من أجل اسلامه الحبيب .

وقد لاحظ المجتمع نتائج تربيتها المثمرة بشكلٍ ملموس حينما شاركت المرأة العراقية المسلمة في وفود البيعة – مشاركة فعالة – للمرجع الشهيد السيد الصدر ﵀ الذي استقبل الوفد في بيته وخطب خطبته المشهورة ، وكذلك من ثمار الشهيدة أيضاً الظاهرة الاجتماعية النسوية حيث اعلنت المرأة المسلمة سخطها واستنكارها إثر الاعتقال الثاني للشهيد السيد الصدر والمطالبة بالإفراج عنه ، مِمّا اغضب السلطة

واعتقالها الكثير منهنّ وزجّهن في السجن ، ومنهنّ مَن أُعدِم ومنهنّ مَن بقيت الىٰ الآن ترزح تحت سياط الجلادين في الزنزانات الرهيبة» السيدة أم أحمد الشيخ.

❋ «ذكرت لي إحدىٰ الأخوات المقرّبات من الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) أنها – الشهيدة – كانت تقرأ في كل يوم جزئين من القرآن الكريم ، فاستغربتُ لذلك .. وبعد مدّة وجيزة فهمت أنها كانت تختم القرآن بأجور من أجل تغطية نفقاتها وان تعيش بها حتىٰ لاتحتاج الىٰ الآخرين».

من مقال للاخت أم غدير الانصاري في صحيفة الجهاد ، العدد ١٠٣٦.

❋ «عندما كانت الدكتورة بنت الشاطىء في سفرها الىٰ النجف الأشرف ، حيث التقت الشهيدة ، سألتها : من أيّ كلية تخرجتِ ؟ قالت الشهيدة ببسمة وادعة : أنا خريجة مدرسة بيتنا . فدُهِشَت الدكتورة لهذه المفاجأة المذهلة التي لم تكن تتوقّع سماعها حيث تجد نفسها تقف أمام مفكِّرة إسلامية لم تدخل مدرسة قط» .

السيدة الفاضلة أم تُقى الموسوي .

❋ «جمعني لقاء مع الفدائية الفلسطينية ليلىٰ خالد ، وكان معي كتاب للشهيدة بنت الهدىٰ (علىٰ تلال مكة) .. سألتني عن الكتاب والمؤلف ، فذكرت لها قصة الفدائية العراقية التي قارعت الإرهاب الحكومي المنظّم وناضلت من أجل شعبٍ يسعىٰ الىٰ تحقيق ذاته وحريته وشعوره بالاستقلال .. لم أسمع منها كلمة سوىٰ هطول وابلٍ من الدموع ، ثم التفتت نحوي قائلة : كنت أعتقد أننا جيل الفدائيين وحدنا نسطّر ملحمة التضحية ، لكن ماذكرته لي جعلني أشعر بالخجل أمام جبل شامخ ونموذج متسلّح بعقيدة الايمان ورسالة الخير والإخلاص متمثّل بالشهيدة بنت الهدىٰ ..

كان الأُستاذ محمد القدوسي يقول لي أية إسطورة هذه التي اطلعتني علىٰ بعض كتبها .. لدينا في مصر (بنت الشاطي) ولديكم في العراق (بنت الهدىٰ) .. لدينا في مصر قاصّات وشاعرات وأديبات مجاهدات ، لكنني عندما أتخيل صمود هذه المرأة

ووقوفها الىٰ جانب أخيها وتفجيرها لانتفاضة عارمة لديكم في العراق أتصوَّر أنني أعود الىٰ أجواء كربلاء والحسين وزينب ، وجيش يزيد وصهيل الخيول ورمال الصحراء ..» من مقال للأستاذ جهاد الميدان في صحيفة الشهادة ، العدد ٩٣٢.

«للشهيدة بنت الهدىٰ عندما أورقت دماؤها علىٰ مقصلة البعث في بغداد ، كانت تؤرّخ للميلاد ، ميلادها .. وميلاد المرأة المسلمة في العراق ، بينما كانت تؤذِّن بزوال ملك «الطاغية» ذات صباح مُشرق الشمس وضّاء الجبين .

أظهرت السيدة الشهيدة نبوغاً وطول باع في كتابة المقال ونُظُم الشعر ، كما أبرزت عبقرية وألمعيّة في فن القصة . وإذا كان الناقد (هـ جاكسون) يرىٰ أن القصة القصيرة هي موباسان ، وموباسان هو القصة القصيرة ، فأننا نعتقد بدورنا أن القصة القصيرة الإسلامية هي بنت الهدىٰ ، وبنت الهدىٰ هي القصة القصيرة الإسلامية .

نعم .. لقد حاول البعض من الرجال والنساء منذ بدايات هذا القرن ، وكانت لهم بوادر محمَّلة بالبُشرىٰ ، لكنهم سرعان مانكصوا وتعثّروا أو انجذبوا لبريق الثقافة الغربية ، ولهذا أظلّت ساحة فن القصة القصيرة - بل والرواية - الإسلامية خالية من الفرسان ، حتىٰ اقتحمتها السيدة بنت الهدىٰ بثبات ورصانة مُتّبعة نهج (القرآن) وأسلوبه الفني القصصي المتفرِّد ..

إن الناظر في هذا الفن عند الشهيدة لم يسعه إلّا ان يلمس قوة البناء وعدم افتعال الأحداث مجتنباً الهزلية العابثة خلافاً لأسلوب (بوتشيو) في (الفاشيتيا) ، وخلافاً لاسلوب (دورنمات) في أدبه الهزلي اليوم ، والبعد عن النقل أو النسخ او السرديّة كما نهج (بوكاتشيو) في (الديكاميرون) ..

أما الملاحظة الجديرة بالاهتمام فهي أن الشهيدة (بنت الهدىٰ) لم تلجأ - في مجمل أعمالها - الىٰ التاريخ لسرده في إطار قصصي كما فعل (باكثير) أو (السحار) أو (توفيق الحكيم) أو (طه حسين) أو (بنت الشاطي) ، كما أنها لم تلجأ الىٰ إعادة

صياغة الاسطورة مثلما فعل (شكسبير) أو (البيركامي) أو (نجيب محفوظ) في بعض أعماله ، بل إن الشهيدة (بنت الهدىٰ) جعلت المجتمع الحديث نصب عينيها بكل ما فيه من صراعات وحقائق ووقائع وأحداث لتقتطع منهُ قصصها ، فلم تكن كأولئك الأُدباء الذين أخذوا من التاريخ مشجباً يُعلّقون عليه اعمالهم .. ويبثون عبره فلسفتهم ..!

لقد اعتدنا - غالباً - علىٰ أن تطالعنا دور النشر ووسائل الاعلام بقصص لمؤلفين مشهورين تنقلنا الىٰ عوالم تَغُص بالرذيلة ونفوس يعتمل فيها الذنب والخطيئة ، ووجدانات يتسلّط عليها الشر ، ومناخات لاتُفرّخ إلّا المعاصي ، ونوعيات من البشر لا تدري شيئاً عن الفضيلة ..! وهذه (سوداوية) أو حتىٰ (برجسيّة) في الفن !! فالعالم - علىٰ طول التاريخ - شهد ثنائيات الفضيلة والرذيلة والعدل والظلم والخير والشر .. فلماذا إذن دأب أمثال (إحسان بعدالقدّوس) و(يوسف أدريس) و(غادة السمّان) وغيرهم علىٰ أن يُصوِّروا لنا الحياة دائماً بجانبها (الاباحي) السلبي مغفلين جانبها (الفاضل) الإيجابي ؟!

إن الحياة ليست مجرّد جنس وعشق ومال ومُتعة ولذّة وغرائز جامحة، وإنما الحياة هي أسمىٰ وأرفع من ذلك.. وهذا هو (المذهب الفني) الذي اعتنقته الشهيدة (بنت الهدىٰ) في صياغة اعمالها القصصية، ولم يساعدها علىٰ ذلك - كما نعتقد - سوىٰ ثقافتها الإسلامية الأصيلة التي تعي علّة خلق الإنسان وتدرك دوره وتتفهَّم طبيعته، وتعلم بالتالي ان الفن ليس للفن ، وان الفن ليس غواية واضلالاً وخيالات لاتتحقق في الواقع، وإنما هو الإيمان والعمل الصالح وذكر الله والانتصار للعدل من الظلم، والتوحيد من الشرك، كما حدّد (القرآن الكريم) أُصوله وقواعده وأهدافه سيّما في (سورة الشعراء) في آياتها الأخيرة التي يذهب (الشيخ الصدوق) في تفسيرها الىٰ انطباقها أيضاً علىٰ (القصّاصين) إضافة الىٰ (الشعراء)، كما يرىٰ (سيد قطب) أنها تنطبق علىٰ الفن والفنانين عامة كما يفهم في تفسيره لها في (الظِلال) .

وأخيراً .. فليس مدعاة للعجب الآن أن نرىٰ جائزة (نوبل) - مخترع الديناميت !! - تُمنَح في السلام والآداب لرموز الاستسلام والعلمانية ، بينما تُمنَح جائزة (الإعدام) لأقطاب الإسلام والعقيدة ! فما أروعه من وسام !

وما أخلد الشهادة من حياة !!» من مقالٍ بعنوان «الشهيدة بنت الهدىٰ وجائزة الإعدام في الآداب !» للأديب والناقد المصري الأُستاذ معروف عبدالمجيد ، نشرته مجلة الشهيد في عددها «٢١٠» عام ١٩٨٩م .

❋ ❋ ❋

اتماماً للفائدة ارتأينا اقتطاف جزءاً من لقاءٍ شيِّقٍ تضمنَ ذكريات ثلاثة عقود ونيف من السنين ، أجريناه[1] مع الأُستاذة «أُم أبرار الحيدري» التي سكبت بنت الهُدىٰ فيها روحاً من روحها وغمرت عقلها بجُلِّ أفكارها :

❋ **الأُستاذة أم أبرار[2] : الجميع يعرف أنكم أمضيتم سنوات طويلة مع الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) ، ترىٰ كيف كانت البداية ، وماذا كان العمل المشترك بينكما؟**

❋❋ كتبتُ للشهيدة رسالة ، قلت فيها: أنا قرأتُ كتبكِ ، ومعجبة جداً بأفكاركِ ، ولأجل أن تشملنا الفائدة أقترح أن تأتين الىٰ (حسينية آل مباركة)[3] لإلقاء محاضراتك ، لأنه مكان عام ويستقبل جميع النساء .. وكنتُ أنتظر الجواب ،

---

١ - من لقاءٍ ساخنٍ طويل أجرتهُ محررة الصفحة النسوية في صحيفة الكلمة الحرّة ، السجينة «فاطمة العراقي» نُشر في العددين (٩ ، ١٠) ولم نتمكن من نشر الجزء الأخير لتوقف الصحيفة عن الصدور .

٢ - الأُستاذة الفاضلة «أم أبرار الحيدري» : إلهام باقر ، زوجة السيد محمد الحيدري .. هاجرت من العراق عام ١٩٨٠م الى سوريا - بطريقة غير رسمية - بسبب نشاطها الإسلامي ، ثم استقرت في إيران عام ١٩٨٢م .. دخلت كلية الهندسة الكيمياوية في جامعة بغداد عام ١٩٦٧م وتركتها عام ١٩٦٨م بسبب زحمة العمل والنشاط الإسلامي ، وبموافقة الشهيدة بنت الهدىٰ .. مارست التأليف فكان لها : (زينب العصر ، مَن يدلني ، مَن يرشدني ، مَن يعينني ، مَن يجيبني ، مَن ينقذني ، كيف تحصل على السعادة ، فتاوىٰ تهمك) ومارست التبليغ في سوريا ولندن ، وتشرف على مجلة (مرآة الشباب) وجمعية الشهيدة سلوى البحراني في اصفهان ومؤسسة الشهيدة بنت الهدىٰ في قم ، ولها أكثر من (١٥٠) درساً مرئياً و(٣٠٠) درساً صوتياً أغلبها في التربية والتثقيف النسوي والتوعية الإسلامية .

٣ - تقول أم ابرار: كتبتُ الى السيد مرتضى العسكري ، بأني أرىٰ من الضروري تخصيص مكان ثابت للنساء لحضور صلاة الجماعة في الحسينية ، وبنفس الوقت يكون كملتقىٰ لبث همومهن ، وللعمل والتبليغ وأعطيتُ الرسالة لابنته التي كانت تحضر التعزية .. بعد فترة أرسل لي السيد العسكري رسالة جوابية ، وعن طريق ابنته أيضا ، جاء فيها: (ياابنتي هذا حُلمي منذ زمان ، وكنتُ أتمنىٰ أن أفتح مكاناً للنساء ، وأجد أحداً يشاركني هذا الهم .. ولكن ياابنتي أخشىٰ أن خصَّصت مكاناً للنساء ، أن لا أجد أحداً من الرجال يصلي خلفي) هذا الكلام كان عام «١٩٦٧م» .

وبعد فترة جاء أخي وأخبرني أن الشهيدة بنت الهدىٰ موجودة بالكرادة وفي بيت التاجر الفلاني ، وتريد أن تراك هناك .. وهكذا ذهبتُ وتعرفتُ علىٰ الشهيدة عن قرب .. وبعد أن تعمقت علاقتي بالشهيدة بنت الهدىٰ ، لم يحصل عمل مشترك ، وإنما حصل إشراف تام علىٰ العمل من قبل الشهيدة ، وكانت هذه هي النواة الأولىٰ للعمل في العراق حسب تصوري .. وأعتقد أن أول حسينية في العراق ، فتحت أبوابها للنساء ، هي حسينية آل مباركة ، وكانت الشهيدة بنت الهدىٰ هي المربية والمشرفة علىٰ عملنا ، وكانت لقاءاتي بها أكثر من دورية ، كنتُ أزورها عندما تأتي الىٰ الكاظمية ، وكذلك أزورها في النجف وأبقىٰ عندها يوم أو يومين لأشرح لها كل شيء عن عملنا .. فكانت لي كأم بالإضافة الىٰ كونها مشرفة ومربّية ، تعرف أسراري مثلما أنا أعرف أسرارها ، كانت أماً لجانب مهم في حياتي وهو العمل ، فكانت تعطي كل وقتها للعمل النسوي ، وكانت لديها مبادرات لم تكن مألوفة بالعراق حينذاك ، كان المألوف فقط أن تكون المرأة (ملّاية) وقارئة حسينية ، فالذي أسس هذه السُنَّة ، وهذا المنحىٰ (أقصد إلقاء المحاضرات والدروس) هي الشهيدة بنت الهدىٰ ، وكانت بحق نقلة نوعية في العمل الإسلامي .. إذن لم يكن بيننا عمل مشترك ، وإنما هو إشراف لعملي .

*** الأستاذة أم أبرار : الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) هي أخت الشهيد الصدر ـ قائد مسيرتنا ورائد نهضتنا ـ برأيكم ماهي نقاط القوة الأخرىٰ في شخصية الشهيدة ، والتي ساعدتها لتصل الىٰ هذا المستوىٰ العالي ؟**

** هي أخت الشهيد الصدر ، صحيح .. ولكن لو لم تكن بنت الهدىٰ بهذه المميّزات لما كانت تستفيد من الشهيد الصدر .. نحن ندري أن هناك أخوات مراجع وأخوات عظماء ، لكن لم يصلن الىٰ المستوىٰ الذي وصلت إليه بنت الهدىٰ ، بالحقيقة كانت تمتلك خصائص ومواصفات جعلتها مؤهلة للاستفادة من قربها من مرجع مثل الشهيد الصدر:

الميزة الإولى: الوضوح والتخطيط ، لقد كانت تمتلك وضوحاً بالفكرة ، إنها لم تتحرك وتعمل بدون استراتيجية واضحة ، كانت امرأة تحمل أفكاراً منظّمة وتعمل على أساسها ، بنت الهدى ليست ضبابية ، أفكارها ليست بنت الساعة ـ في العمل الذي تنفذه ـ فهي ليست من النوع الذي يكفر اليوم لكي يؤسس غداً .. لا أبداً ، عندها خط رسمته ومشت عليه .. هذه ميزة أعتبرها جداً مهمة ، وتعلّمتها ـ شخصياً ـ من الشهيدة .

الميزة الثانية : العمل واجب عبادي .. كانت تعتبر العمل الإسلامي والذي نعبّر عنه ـ (الدعوة الى الله أو التبليغ) من واجباتها العبادية ، وليس شيئاً تفرّغت له لأنها غير متزوجة ، وإنما هي رتّبت حياتها بشكل لا يؤثر على هذا العمل ، مثلما نحن نرتّب وقتنا وأطفالنا من أجل صلاتنا ، لأن الصلاة واجبة .. هكذا كان العمل بالنسبة للشهيدة بنت الهدى ، فهو واجب عبادي وليس شيئاً هامشياً أو ثانوياً .. طبعاً هذه الميزة أيضاً استفدتها ـ أنا ـ من الشهيدة بنت الهدى .

الميزة الثالثة : الذوبان بالمرجعية ، كانت الشهيدة ذائبة في ما نُعبّر عنه الآن ـ مصطلحاً ـ الولاية ، في ذلك الوقت كان يُعبّر عنها بالمرجعية .. فكان ذوبانها بالمرجعية واضح جداً ، لا لأن الشهيد الصدر أخوها ، لأني تَعرّفت عليها وكان المرجع هو السيد محسن الحكيم ـ رحمة الله عليه ـ فلاحظتها ذائبة في مرجعية السيد محسن الحكيم ، رغم أني وفي ذلك الوقت ـ عام ١٩٦٧م ـ قد اكتشفتُ بالصدفة إنها كانت تقلد الشهيد الصدر ولكنها لم تعلن عن ذلك ، وبالرغم من أن الشهيد الصدر لم يطرح نفسه كمرجع ولكن كان واضحاً على الشهيدة بنت الهدى ذوبانها في مرجعية السيد الحكيم ، وأنا أعتبر هذا الذوبان بالمرجعية مَعْلَماً بارزاً في شخصيتها ، هذه ثلاث خصائص مهمة جداً توفرت في شخصية الشهيدة بنت الهدى.

❋ أحسنتم .. بنت الهدى استشهدت وهي غير متزوجة ، برأيكم هل (عدم الزواج) كان ضمن منهج اقتنعت به ، أم لأسباب تتعلق بما نسميه (القسمة والنصيب)؟

** في الحقيقة ، من خلال قربي من الشهيدة بنت الهدىٰ ، ومعرفتي لأسرارها ـ وكل أخت من الأخوات اللواتي كن مع بنت الهدىٰ تعتبرها قريبة لها ـ كان واضحاً لي أن عدم زواجها لم يكن بسبب العمل ، فهذا اشتباه جداً خطير .. واتذكر أنَّه في إحدىٰ ندوات أُمسيات السبت (عند بيت المرحوم السيد إسماعيل الصدر بالكاظمية) والتي كانت تديرها الشهيدة استجابة لرغبتنا ، سألتها إحدىٰ النساء وقالت : «عِلْويَّة يُقال انك لم تتزوجي لأنك متفرغة للعمل!» فكان الانفعال واضح جداً علىٰ الشهيدة بنت الهدىٰ ، وقالت : «أنا لا أرضىٰ بهذا الكلام الذي يُقال عنّي ، أنا لم أرفض الزواج ، لكنه لحد الآن لم يتقدم لي الشخص الكفوء» بعد ذلك ـ وبشكل خاص ـ قالت لي: «هذا كلام خطر» فقلت : لكن لماذا الانفعال ، لأن كثير من الأقاويل تقال علىٰ هكذا شخصيات ؟ فأجابت بما معناه : «لا ، هذا الأمر يختلف ، وإن لم يكن رَدّي منفعلاً ستترتّب بُدعة ، وتصبح سُنَّة ، وستترك النساء الزواج بحُجَّة التفرغ للعمل ، في حين إنه لا يوجد تضاد بين الزواج والعمل»[1] وأنا في حينها فهمت أن الكفوء هو ليس

---

١ - «نشكر جميع الأخوات اللاتي اتصلن عبر الهاتف ، علىٰ هذا التفاعل المنقطع النظير ، وهذا ان دلّ علىٰ شيء فانما يدل علىٰ مدىٰ اعتزاز المرأة العراقية والتصاقها برموزنا الإسلامية وبمفاخرنا الرسالية ، الشهيدات الغاليات وعلىٰ وجه الخصوص برائدة المرأة المسلمة عقيلة آل الصدر الشهيدة المظلومة (بنت الهدىٰ) - رض -.

وان كان لابد لنا من كلام فيما يخص جميع ماورد - عبر الهاتف - من الأخوات وهن يستوضحن ويستفهمن ، وبشكل أكثر دقة ، عن موقف الشهيدة بنت الهدىٰ من عدم الزواج ، سيّما وان الذين تقدّموا لها جميعهم كفء ، ولايشكلون أي إعاقة لحركتها ، فانّا نقطع متيقنين ان لا تقاطع ولا اثنينية بين العمل النسوي وبين الزواج .. وهذا ثابت وواضح في قوله تعالىٰ ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ وفي عشرات الآيات والنصوص المعصومة .

ولكن في موضوع الزواج يوجد استثناء ، والشهيدة بنت الهدىٰ استثناء ولها كامل الحق في تشخيص المصلحة الإسلامية من باب تزاحم الأولويات والمصالح وبسبب المسؤوليات الكبيرة وحساسية المرحلة ، وانسجاماً مع القول المأثور ان أهل الدار أعلم بمن في الدار ، وان أهل مكة أدرىٰ بشعابها .. أحلنا هذا السؤال الىٰ سماحة الشيخ محمد رضا النعماني فأجاب - عبر الهاتف - مشكوراً :

كلام الأخت أم أبرار فيما يخص (ان عدم زواج الشهيدة بنت الهدىٰ - رض - لم يكن بسبب العمل وكان الانفعال واضحاً جداً علىٰ الشهيدة بسبب ماقالته إحدىٰ النساء لها ، بانها لم تتزوج لانها متفرغة للعمل ، واعتبرته كلام خطير ، وانها - أي الشهيدة - قالت : (انا لم ارفض الزواج ولكن لحد الآن لم يتقدم لي الشخص الكفء) هو كلام صحيح ، ولكن من ناحية ظاهرية ، فانا لست معارض للأخت أم ابرار ، ولكني لا اتفق معها بخصوص هذا الموضوع ويستفاد من كلمة (انفعال) التي وردت في الجواب ، لكي ينعكس الأمر علىٰ (الأمن) .. فالشهيدة كانت بجوابها هذا تعطي (المفهوم) لملاحظة الجوانب الأمنية حينذاك ، ولكن عين اليقين ان زواجها يعيق من المسؤوليات التي كانت تتحملها .. فكانت تمتنع عن الزواج لانها

الشخص الذي لا يملك مميزات ، لا أبداً ، لأنه تقدموا للشهيدة شخصيات كثيرة ويمتلكون مميزات معتد بها وعالية جداً ، لكن الشهيد الصدر كان يهتم بالحركة النسوية ،ولذلك لم يكن مقتنعاً بالموافقة على شخص يعيق حركتها ، وكذلك كانت هذه قناعة الشهيدة بنت الهدى .. الشهيد الصدر كان يحث كثيراً على العمل النسوي ، كان يصرف وقتاً كبيراً لأجل حل مشاكلنا وقضايانا ، لذلك فالقصد من (الكفوء) عند الشهيدة ، هو الشخص الذي لا يعيق حركتها وعملها ، وأنا متأكدة من ذلك ...

والأصل في فهم الشهيد الصدر ،كان يريد شخصاً لايعيق حركة المرأة.. وهكذا كان اهتمام الشهيد الصدر بزواجي ، فكيف سيكون اهتمامه بالنسبة للشهيدة بنت الهدى !؟

❁ **أم أبرار: ما هي أعز ذكرى أو موقف لكم مع الشهيدة المظلومة (رض) ؟**

❁❁ واقعاً جميع المواقف مع الأستاذة الشهيدة بنت الهدى هي بالنسبة لي ذكريات عزيزة ومهمة ، ولكن من الأشياء المحفورة في الذاكرة والتي أعتز بها كثيراً مثلاً المعاناة التي كنّا نعيشها ونصمد أمامها بسبب ذلك المناخ المتخلف .. فكما تعرفين كات الساحة العراقية يسيطر عليها تياران: تيار الإنحلال والتمييع الذي ينادي للغرب ، وتيار إسلامي تقليدي محافظ يطالب المرأة بالجلوس في بيتها ، ويمنعها من التحدُّث مع الرجل .. فنحن تحركنا وسط هذين التيارين المرفوضين ..

كانت منشغلة في تنشئة الأسس التحتية من قبيل المسؤوليات والمدارس والندوات وماشابه ذلك ، فكانت مشغولة في بناء هذه الأسس .. هذا أولاً ، وثانياً : مسألة التعامل مع الشهيد الصدر ، كانت ترى من الضروري ان تكون واجهة ، وباستطاعتها العمل في أوساط النساء ، وان تعكس حقيقة الحركة النسوية التي كان يدعمها الشهيد الصدر . وثالثاً : كانت والدتها كبرت وتحتاج الى رعاية .

فالشهيدة كانت تمتنع عن الزواج لكل المسؤوليات .. والدليل ان أول من تقدم لخطبتها في شبابها هو ابن عمها (السيد موسى الصدر) والجميع يعرف نظرته الرائعة الى المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية والسياسية ، وهو كفء ولايعيق حركة المرأة .. ولكن زواجها منه سيبعدها عن النجف وعن الشهيد الصدر .

ومن المناسب هنا ان اذكّر ان الشهيدة بنت الهدى لم تكن ترى نفسها ان ليس لها نظير وكفء ، كانت متواضعة جداً ومحبوبة ، وكان الشهيد الصدر لايمانع من زواجها ، ولكن كانت الممانعة منها ، لانها ترى نفسها منشغلة في بناء البنى التحتية والأساسية للعمل النسوي في العراق» . مقال بقلم محررة الصفحة النسوية فاطمة العراقي نُشر في صحيفة «الكلمة الحرة» العدد ١١ عام ٢٠٠١م .

ثم إن الشهيدة بنت الهدىٰ طرحت تياراً ثالثاً وطالبت المرأة بالنهوض لتحمل مسؤوليتها ، وتقوم بدورها التغييري بالمجتمع ، وهذه هي نظرية الشهيد الصدر التي يختلف فيها عن المراجع الآخرين ، لأن نظريته بشكل مختصر ـ والتي حققتها الشهيدة بنت الهدىٰ ـ تعطي للمرأة دوراً رئيسياً وليس هامشياً ولذلك عندمابدأنا نتحرك ، أو حتىٰ عندما نذهب الىٰ حسينية آل مباركة للصلاة ، كان يحاربنا كِلا التيارين ، وكان الكلام يكثر علينا ، هذا بالإضافة الىٰ محاربة السلطة لنا ، فقد كانت سيارات (النجدة) تقف أمام البيوت التي تحضرها الشهيدة بنت الهدىٰ لإلقاء محاضراتها ، وبالرغم من كل ذلك كانت تحضر ما يقارب (٣٠٠) امرأة في بيت (زلزلة) للاستماع الىٰ بنت الهدىٰ .

كانت من الذكريات اللطيفة ، صادف وأن التقيت في لندن بإحدىٰ الأخوات المؤمنات وكانت تحضر محاضرات الشهيدة بالكرادة .. فقالت لي: (أنا كنت ألبس الجينز والقميص اللاصق ، ولم أفكر يوماً أن هناك شخصاً بإمكانه أن يقنعني بلبس الحجاب ، وبتغيير نمط حياتي .. ولكن بعد أن استمعت الىٰ محاضرات الشهيدة بنت الهدىٰ بالكرادة ، اقنعتني بالحجاب والالتزام الحقيقي بالإسلام .

ومن الذكريات التي أعتز بها ، كانت تجربة العمل النسوي هي تجربتنا الأولىٰ وكان عمري في ذلك الوقت (٢٠) سنة تقريباً ، فكنتُ أشعر بأني مثقلة ومتعبة ، ولكن بمجرد أن أجلس مع الشهيدة ، أنسىٰ كل ذلك ، وأحياناً نبقىٰ نتناقش بالعمل حتىٰ صلاة الفجر .. ولكن في يوم كنت متألمة جداً بسبب ما نسمع من كلام سيىء من جميع الجهات .. وكنت أتكلم مع الشهيدة بحزن ومرارة ، وهي تتأملني بهدوئها الساحر المعهود ، ثم قالت : «الأطفال عندما يرمون الشجرة بالحجارة ، لابد أن للشجرة ثماراً ، أليس كذلك ، فقلت طبعاً ، فقالت ، وأنتم كذلك في حركتكم وفي نشاطكم ، لولا الثمار التي ستجنونها ، لما رماكم أحد بحجارة الكلام» فازاحت كل الهم والحزن عن صدري . كنّا نحتاجها كثيراً لأن بنت الهدىٰ كانت تعرف كيف

تداوي جروحنا ونفوسنا المتعبة .

❊ عفواً أم أبرار ، في أيّ سنة كانت محاضرات الشهيدة في بيت (زلزلة) ؟

❊❊ أصل جلسات الشهيدة كان عام «١٩٦٨م» ، وأما الجلسات الشهرية الثابتة في بيت (زلزلة) فكانت عام «١٩٧٢م» ، حيث كانت أختي الكبيرة (أم علي) تسكن الكرادة ، وكان عندها (نُذُر) فعرضنا الفكرة على الشهيدة ، فرحبت وقالت : هذا مهم .. ومن خلال هذه الجلسات نجحت الشهيدة في توطيد العلاقة بين الفتيات وبين الأمهات . كانت هذه من أعز ذكرياتي مع الشهيدة رحمة الله عليها .

❊ السيدة أم أبرار الحيدري ؛ من المعلوم أنكم من المقربات للشهيدة المظلومة بنت الهدى ، ورغم ذلك لم نراكم تتحدثون أو تكتبون عن حياة أيّ شهيدة من شهيدات العراق بنت الهدى .. سيّما وأنكم قبل غيركم تعلمون أن سجون السلطة الحاكمة ، كانت ومازالت تخفي المئات من المجاهدات ، مابين معتقلة ومغيّبة وشهيدة .. بنظركم من الذي يتحمّل هذا الخلل ؟

❊❊ هذا اتهام لا أقبله .. أنا من ناحية الكتابة قلمي غير سيّال ، أصلاً لولا بنت الهدى التي كانت تلحّ عليّ لما كتبتُ ، لأني اختصاصي علمي ، وعندما أكتب أشعر أني أتعذّب ، ليس عندي قلماً أدبياً ، بنت الهدى كانت تقول لي: لايأس أكتبي سيتحسّن قلمك شيئاً فشيئاً ، وكانت تسألني يومياً هل كتبتِ شيئاً ؟

على كل حال ، فأنا أتحدث أكثر مما أكتب ، مع أني أرى قصوراً لأنه من المفروض أن أكتب ، عموماً كتاباتي قليلة ، بل أنا لحد الآن لم أكتب عن الشهيدة بنت الهدى رغم معرفتي الشيء الكثير عنها! هذا القصور موجود .

❊ إذن نشاطاتكم العملية كثيرة ، ولكن أرشفة وتوثيق للشهيدات والسجينات في كتاباتكم لم تتم لحد الآن ؟

** نعم قطعاً يوجد تقصير من ناحية الكتابة عن الشهيدات والسجينات[1] .

***

* «إنني سعيدة فيما تَوفّر لي من ظروفٍ خاصة مكنتني من الطموح لبناء جيل من المؤمنات المربيات اللاتي يمكنهن خدمة الاسلام بأفضل ما يمكن ، فأنا وبفضل الله تعالىٰ بقرب أخي أحصل منهُ علىٰ التوجيه في كيفية العمل والرؤىٰ الصحيحة والمناسبة من جانب ، وعلىٰ الثقافة المعمّقة والفهم الصحيح للإسلام من جانبٍ آخر فارجع اليه في كل ما يصعب عليَّ وأحصل منهُ علىٰ أفضل ما يكون ويمكن وخاصة في المسائل الفهية والفكرية وهذه نعمة كبيرة يجب أن أشكر الله عليها» .

كتاب الشهيدة بنت الهدىٰ للشيخ محمد رضا النعماني .

* «كانت الشهيدة تتطلّع دائماً الىٰ هموم ومشاكل وطموح الفتيات ، تعيش ذهنية عصرها ومتفهمة ما يتقنه بنات الجيل الصاعد ، فتخاطبهن وتسمع نداءاتهن ، كانت حكيمة تعرف وتشخّص الداء ..

كانت حريصة علىٰ أن ترىٰ العلاقة الروحية بين المؤمنات قوية لايفصلها شيء ، فمثلاً إذا حدثت مشكلة بين أُختين حول قضيةٍ ما تسرع الشهيدة الىٰ الاصلاح بينهما ورفعِ الخلاف واعادة الامور الىٰ طبيعتها ..

فعاشت المؤمنات الواعيات في ظلِ الشهيدة النقاء النفسي والطهارة الروحية والجو الايماني الصافي ، حتىٰ كنّ تعتبر أن جو المؤمنات جو ملائكي لشدّة الصفاء

---

١ - سألنا الأُستاذة «أم أبرار» عن رأيها بصحيفة «الكلمة الحرة» ، فأجابت : «في الحقيقة أنا قرأت عددين فقط ، ولم تصلني أعداد مُعتدٌ بها ليتسنّىٰ لي أن أخرج برأيٍ صحيح .. في وقتٍ سابق طلبتُ من إحدىٰ الطالبات في حوزة بنت الهدىٰ جلب أعداد الصحيفة ،فلم يتوفر ذلك ، ثم طلبتها من الأُستاذة أم مالك الموسوي ، فأرسلت لي العددين الأخيرين ، فيصعب عليَّ التقييم حالياً ، وقد لا أُوفق في تقييم صحيفة اعتماداً علىٰ عددين فقط» .

ثم سألناها عن رأيها وتقييمها - بصراحة - لحلقات مذكرات سجينة في الصفحة النسوية للصحيفة ، فقالت : «رُغم أنني قرأت عددين فقط - كما ذكرتُ - لكنّي فوجئت بأن حلقات (مذكرات سجينة) جداً بديعة ، جداً رائعة ومهمة ، وأتمنىٰ بل وأرجو أن تستمر ، وأنا في الحقيقة كان عندي مشروع حاولت فيه أن أجمع كل مايخص الشهيدات ومن أفواه بعض السجينات ، وقد تم ذلك منذ سنوات طويلة ، وجمعت عدداً من الأشرطة الصوتية تتضمّن حقائق عن بطولات الشهيدات توثيقاً لمواقفهن وحفظاً لتضحياتهن .

ولكني حينما قرأت هذه الحلقات ، في الحقيقة كانت فرحتي عظيمة ، وشعرت ان هذه المذكرات قد خفّفت عني المسؤولية ، سيّما وأن الحلقات قد كُتبت بقلم جداً جميل وبديع ، لأنه ليس كل مَن عاش مع الشهيدات أو عنده معلومات عن الشهيدات بإمكانه أن يصوغها هكذا صياغةً ، وأن يوثّقها بهذه الدقّة .. فبارك الله بكم ، وبالصفحة النسوية ، وبهذا المشروع المبارك والذي إذا استمر فإنه سوف يسد فراغاً كبيراً جداً في ساحتنا الإسلامية» .

الروحي الذي كان بينهم ، فكنّ يعشن السعادة الحقيقية مع مربيتهن ومرشدتهن» .

السيدة أم أحمد الشيخ .

* «... أي كلماتٍ هذه التي ستترجم أو تعكس ملامح شخصيتك الرائعة كما هي في جوهرها وحقيقتها .. من الصعب حقاً للوهلة الأولىٰ أن أكتب عن شخصية كان لها من الأثر العميق في نفسي أولاً ، بل في مجتمعنا بشكلٍ عام والنسوي بشكلٍ خاص ثانياً ، بحيث لا أُبالغ أبداً إن قلت إنّهُ من النادر جداً أن تتكرر علىٰ مرّ الزمن . بدأتُ أجمع ذاكرتي واسطري لاكتب عنها ، قلت ونفسي لاستعين ببعض من أخواتي ممّن تشرّفن بلقائها ، لعلنا نوفّق معاً لكشف بعض معالم شخصيتها الفذّة التي لم تتناولها بعد الكُتب والمقالات التي كتبت عنها ، بدأت بأخت وأُخرىٰ وثالثة.

كانت تنتقي لكل موقف مايُلائمه ، ترد بسرعة بديهة بكلماتٍ موزونة ، إذ لم يكن للثرثرة في حديثها من مكان ، لايُفاجئها سؤال أو استفسار إلّا وكأنها قد أعدّت الجواب مسبقاً ، في حين نحن نعلم إن المحاورات أو التساؤلات التي كانت تُسأل فيها تأتي من شرائح مختلفة من المجتمع النسوي ، ومع ذلك لم تكن تتعثّر في منطقها للكلمات حتىٰ لو كانت الاسئلة محرجة في بعض الأحيان . تحاور بهدوء ، تجاهل بلا تملُق ، تنصت من غير ملل .. تعطي لكل مَن في المجلس حقها ، وكأنها الأم الحنونة التي لاتريد أن تميز بين بناتها ... نعم بمثل تلك النيّة الصافية وبمثل ذلك الإخلاص الصادق أنشأت جيلاً صاعداً من النساء الملتزمات بدينهن والواعيات في التزامهن» .

من مقالٍ بعنوان : أيّ كنزٍ ثمين فقدنا ، للسيدة أم نور الهدى ، نشرته كاملاً مجلة «المنبر» العدد ٢٤ ، لندن .

* «أتحدّث عن بنت الهدىٰ الإنسانة الحسّاسة التي كانت تحمل هموم الأمة ، والتي ذابت في الناس وعاشت آلامهم ومآسيهم ، فتفقدت عوائل الشهداء وزارت بيوت الفقراء وطببت جراحاتهم ، كانت توقر الكبير وتحترم الصغير .

تحدّثني إحدىٰ الأخوات إنّها كانت مع عائلتها في زيارة لبنت الهدىٰ ، تقول الأخت : حينما انتهت الزيارة وهممنا بالخروج تأخرت أناوبقيت أربط حذائي،

وبنت الهدىٰ واقفة معي تنتظرني لاتدخل الىٰ البيت وكان عمري يومها اثني عشر عاماً ولم تذهب عني حتىٰ خرجت وهي تودعني .

ولقد استقصيت أنا شخصياً آراء بعض الاخوات حول بنت الهدىٰ وسألت كل واحدة منهم : ماالذي يجذبك الىٰ بنت الهدىٰ أكثر من غيره ؟ فكانت الاجابات مختلفة . فقالت إحداهنّ : عزوفها عن الدنيا وملذّاتها ... ، وأجابت أخرىٰ : إنها بساطتها وتواضعها وأريحيتها ... ، وأُخرىٰ عقّبت : إنها رغم بساطتها كانت سيدة متأنقة ذات هيئة حسنة ، كانت تعتني بمظهرها ... ، وفي خاتمة الاستقصاء توجّهت بسؤالي الىٰ مَن لها صلة وثيقة ببنت الهدىٰ وقرابة ، فأجابت : إنهُ العمل في سبيل الله منذ مطلع شبابها الأغر ، لقد نذرت حياتها كلها لله تعالىٰ ...» من مقال بعنوان : بنت الهدىٰ شهيدة محراب العقيدة ، للأُخت ابتهال البغدادي نشرته كاملاً مجلة «المنبر» العدد ٢٤ ، لندن .

* «كانت توصينا بالحذر والكتمان وتُحذّرنا من الأشخاص الذين لانرتاح إليهم وإن ظهروا بسيماء الصالحين . ومّما اذكره هنا إن امرأة كانت تزور بيت الشهيد وتحاول جهدها أن تقدّم خدمة لهم وتسارع في ذلك ، وكنّا لانشك طرفة عين في هذه المرأة بل نحترمها ونثق بها . وحدث أن احتجت الىٰ دخول المستشفىٰ وكنت بحاجة الىٰ من يرافقني ، فأبدت هذه المرأة استعدادها لمساعدتي ، والحقيقة إنني فرحت لذلك كثيراً لأنني وجدتُ ضالتي ، لكنّني اصطدمت بأمر الشهيدة الذي ينهاني عن اصطحاب هذه المرأة ، وعجبت أشدّ العجب لهذا النهي ، فانصرفت عن الأمر .

وتمضي الأيام وينكشف النقاب عن تلك المرأة وتتبيّن حقيقتها التي كانت تتكتم عليها وإنها من الذين يساعدون النظام ويعطونه المعلومات عن الواردين الىٰ بيت السيد الشهيد الصدر» . من كلام للسيدة أم تُقىٰ الموسوي .

* «في رجب / ١٣٩٩ هـ - عام ١٩٧٩م - بعد أن انتهت حركة الوفود وبدأت قوات الأمن المجرمة تتواجد بكثافة لتطويق منزل السيد الشهيد الصدر تمهيداً

لاعتقاله . في هذه اللحظة تجلّت لنا الشهيدة بنت الهدىٰ لنتعرَّف علىٰ بعض خصائصها الفريدة وميزاتها الرائعة التي يجب أن نسجّلها لها باعتزاز وفخر .

كانت - رحمها الله - ليلة السابع عشر من رجب في حركة دائبة لم تهدأ قط ، كانت تراقب حركة الحشود المجرمة بين الحين والآخر ، واستمر ذلك حتىٰ أذان الفجر ، فقالت لي : سيُعتقل السيد الصدر في الصباح ، فقلت لها - ظنّاً مني إنها خائفة - لعل التحشّد بغرض منع الناس من التردّد الكثير علىٰ بيت السيد ، فقالت : هل تظن إني خائفة كلّا والله ، فأنا لست خائفة بكل كنت انتظر هذه الساعة .

ذهبت الشهيدة الىٰ غرفتها ثم جاءت بمجموعة من الصور والرسائل وقالت : أريد أن احرقها لكي لاتقع بيد السلطة ، فوضعناها في صفيحة وحرقناها في سطح الدار ، وأبقت مجموعة صغيرة منها كانت تعتز بها . ثم جاءت بمجموعة خطّية من مذكراتها وأحرقتها كذلك ، فالشهيدة كانت تعتقد - بسبب كثرة قوات الأمن - إنّ هجوماً كبيراً سيقع صباح هذا اليوم وسوف يُعتقل الجميع وليس السيد وحده ، فأرادت أن لا يقع شيء بيد السلطة مهما كان صغيراً .

ثم جاء مدير أمن النجف واجتمع بسيدنا الشهيد الصدر ، فاستمعتُ للحوار الذي دار بينهما ..

في هذا الوقت غابت عنّي السيدة الشهيدة ، فلمّا خرج السيد الشهيد مع مدير أمن النجف خرجتُ معه ، وإذا بالشهيدة العظيمة قد سبقتنا الىٰ حيث تقف السيّارة ، وهنا بدأت خطبتها فقالت :

الله أكبر .. الله اكبر ، انظروا - وأشارت الىٰ الجلاوزة المدججين بالسلاح ورشاشات الكلاشنكوف - أخي وحده بلا سلاح .. بلامَدامع .. بل رشاشات ، أما أنتم فبالمئات مع كل هذا السلاح . هل سألتم أنفسكم لِمَ هذا العدد الكبير ؟ ولِمَ كل هذه الأسلحة ؟

وأخذت تنظر إليهم نظر المنتظِر للجواب ، تتلفت يميناً وشمالاً - ثم قالت : أنا

أُجيب .. والله لأنكم تخافون ، ولأن الرعب يسيطر علىٰ قلوبكم .

والله إنكم تخافون لأنكم تعلمون إن أخي ليس وحده ، كل العراقيين معهُ ، وقد رأيتم ذلك بأعينكم ، وإلّا فلماذا تعتقلون فرداً واحداً لايملك جيشاً ولا سلاحاً بكل هذا العدد من القوات .

إنكم تخافون ، ولولا ذلك لما اخترتم اعتقال أخي في هذا الوقت المبكر في هذا اليوم . ألستم تزعمون إن الناس معكم وفي حزبكم ؟ مِمَّن تخافون ؟ ومِمَّن تخشون ؟ إسألوا أنفسكم مَن تخدعون ؟ أنفسكم أم الناس ؟ إننا والله لانخاف من شيء ، لامنكم ولا من غيركم . لانخاف من سجونكم ومعتقلاتكم ، ومرحباً بالموت إذا كان في سبيل الله».

في نهاية خطبتها توجهت الىٰ السيد الشهيد وقالت له : «إذهب ياأخي ، فالله حافظك وناصرك ، فهذا طريق اجدادك الطاهرين .

لقد حشدت السلطة عدداً كبيراً من القوات - قوات أمن وقوات حزبية - من بعثيين وموظفين ومسؤولين إداريين ومرتزقة ينعقون مع كل ناعق ، فلما خطبت الشهيدة بدأ هؤلاء بالتفرّق شيئاً فشيئاً في الأزقة القريبة من شارع الإمام زين العابدين عليه السلام وكان أحد المجرمين واسمه (عارف جلوي) قد شهر سلاحه وأراد إطلاق النار عليها ، ومع ذلك استمرت في خطابها الزينبي . وكان بعض الحاضرين قد نهر المجرم الخبيث ولامهُ علىٰ تصرفه .

إن هذا المشهد لا أنساه أبداً ، وأتمنىٰ لو أن كل واحدٍ منكم رآه وكان حاضراً صباح ذلك اليوم .

أما الشهيدة بنت الهدىٰ - رحمها الله - فقد أخبرتني بأنها ستخرج الىٰ حرم أمير المؤمنين عليه السلام لتُخبر الناس باعتقال السيد رضي الله عنه . خرجت ثم عادت فأخبرتني بأن عدد الناس في الحرم كان قليلاً ، وأخبرتني بأنها ستذهب مرة أُخرىٰ في الوقت المناسب .

فقلت لها يجب أن تتريثي حتىٰ نعرف مايجري للسيد ، لعل السلطة تطلق سراحه ويعود ، ثم إن خطابك وتحدّيك للسلطة فتح لك صفحة جديدة في ملفات الأمن ، وقد يؤثر ذلك على السيد نفسه ، فقالت :

«إن المسؤولية الشرعية والواجب الديني يفرض عليَّ اتخاذ هذا الموقف ، يجب أن أفعل شيئاً ، هل خُلقنا لنأكل ونشرب ، إن زمن السكوت قد ولّىٰ ، لابدّ أن نبدأ صفحة جديدة من الجهاد والصراع ، إن النظام لايسقط بالسكوت ، لقد سكتنا طويلاً وكلّما سكتنا كلّما كبرت محنتنا .. لماذا أسكت وأنا أرىٰ مرجعاً مظلوماً يقع في قبضة هؤلاء المجرمين ، ألم ترهم وقد تجمّعوا عليه كالحيوانات المفترسة ؟ لِمَ الصبر ؟ إن اليوم يوم جهادنا» .

قلت لها : إنّ ماقد يصدر منك في الحرم قد يؤدي بك الىٰ الإعدام . فقالت : «الله يشهد إني أتمنىٰ الشهادة في سبيله . لقد قررت أن أستشهد منذ اليوم الأول الذي جاءت فيه الوفود ، فأنا أعرف هذه السلطة متوحشة قاسية مجرمة ، لافرق في مآسيها بين الرجل والمرأة وبين الصغير والكبير ، أما أنا فسواء عندي أعيش أو أقتل مادمت واثقة إن موقفي كان طلباً لمرضاة الله ومن أجله عزّ وجل» .

وخرجت مرة أخرىٰ ، ولعل ذلك بعد ساعة ، ووقفت عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ونادت بأعلىٰ صوتها :

«الظليمة .. الظليمة ، ياجدّاه ياأمير المؤمنين لقد اعتقلوا ولدك الصدر .. ياجدّاه إني أشكو الىٰ الله واليك مايجري علينا من ظلم واضطهاد» .

ثم خاطبت الحاضرين وقالت :

«أيها الشرفاء المؤمنون هل تسكتون وقد أعتُقِل مرجعكم ؟ هل تسكتون وعالمكم يُسجَن ويُعذَّب ؟ ماذا ستقولون غداً لجدي أمير المؤمنين إن سألكم عن سكوتكم وتخاذلكم ؟ أخرجوا وتظاهروا واحتجّوا ....» .

فجاءها أحد خدّام الحضرة الشريفة وكان متعاوناً مع السلطة ، وحاول منعها

أثناء ندائها وصرختها ، فنهرته وصرخت بوجهه . فقام اليه بعض مَن كان في الحرم وانهالوا عليه بالضرب ، فولّىٰ هارباً .

وللأمانة التاريخية أُسجِّل هنا موقفاً للمرأة العراقية المسلمة ، فما أن شاع خبر اعتقال السيد الشهيد الصدر﷫ حتىٰ هرعت بنات الزهراء﷩ بالعشرات الىٰ منزل السيد الشهيد متحدّيات كل القوات المجرمة التي كانت تطوّق منزله ، وتعتقل مَن يقترب منه ، ولا أنسىٰ إحداهنّ - لا أعرف اسمها ، إلّا إني أعرف إنها من أسرة آل فرج الله - كانت تتضارب مع قوات الأمن في محاولة منها لحماية مَن يريد الدخول الىٰ منزل السيد الشهيد الصدر من النساء ، وقوات الأمن تمنع بشدّة وقسوة . واستطاعت هذه البطلة المجاهدة أن تُتيح الفرصة للكثيرات من دخول المنزل واللقاء بالسيدة الشهيدة بنت الهدىٰ .

كما اعتقلت السلطة المجرمة الكثير من المؤمنات سواءً مِمَّن شاركن في التظاهرة الاحتجاجية التى انطلقت من الحرم الشريف أو مِمَّن جئنَ الىٰ بيت السيد الشهيد الصدر ، وقد استُشهد بعضهن ، وأخفت السلطة أثر البعض الآخر الىٰ يومنا هذا .

بعد ذلك نُظِّمت تظاهرة انطلقت من حَرم الإمام علي﵇ ساهمت فيها المرأة مع الرجل ، وأدّت الىٰ إجبار السلطة علىٰ الإفراج عن السيد الشهيد الصدر .

بعد ساعات من ذلك اتّصل السيد الشهيد الصدر من مديرية (الأمن) العامة وأخبر أهله بأنّه سيصل الىٰ النجف بعد ساعات» .

الشيخ محمد رضا النعماني ، كتاب «سنوات المحنة وأيام الحصار»

* «حصل لي آخر لقاء مع الشهيدة بنت الهدىٰ يوم ١٨/رجب / ١٣٩٩ هـ وقبل أن يُغلق الباب علىٰ الشهيد الصدر وأهله ، ويُحاصَروا حصار جدّهم في شعب أبي طالب .. خرجتُ صباحاً من مدينة العمارة مع إحدىٰ المجاهدات العاملات لزيارة الشهيدة ، وكنّا نتوقّع أن يحيق السوء بنا من زمرة الإجرام التي رأت ذلك البيت

الشامخ مصدر الخطر الذي يُهدِّد وجودها وينذرها بالزوال ، وقد أنذَرَنا السائق الذي استأجرنا سيارته وكان من محبي الامام الشهيد الصدر وقال لنا عند ركوب السيارة : «هل كتبتم الوصيّة» .

عند وصولنا النجف الاشرف اندفعت وبسبب نفاذ الصبر الىٰ الاستعلام من أحد البقالين المجاورين لبيت الشهيد واسمه (صالح البياتي) عن آخر الاوضاع ، فقال لي بهمس وخوف : (قد أُفرج بالامس عن السيّد بحمد الله) بعدها ذهبنا الىٰ منزل الشهيد حيث وجدنا الشهيدة وأمّها ، وكان لنا لقاء حافل بالاشواق والعواطف .

لقد كانت الشهيدة تتوقع الكثير من الامور التي حلّت بهم فيما بعد ، وكانت تردّد علىٰ مسمعي مضامين من قبيل «إنّنا يجب أن نشدّ عزائمنا للمستقبل ، ويجب أن نسعىٰ سعي أمّهاتنا المجاهدات ، ونتحمّل ما تحمّلته سميّة وأمثالها من عذاب ومشاق حتىٰ الشهادة ، ويجب أن نتوقع مالم يكن بالحسبان ، إنّني لا أرىٰ هؤلاء يكفّون عنّا» وراحت تشرح لنا ما حدث لاخيها الشهيد عند اعتقاله وخروجها بعده وخطابها في الزمرة الظالمة التي اعتقلته .. وقد كان لي ولصاحبتي شرف اللقاء مع الشهيد الصدر رحمه الله بحضور أُمّه وأُخته .. وقد قام لنا مستقبلاً ثم قام مودّعاً مبيناً بأدبه الجم وشمائله الرفيعة منزلة المرأة في الإسلام وإكباره لدورها في الحياة ومكانتها في المجتمع ، واعتزازه هو رحمه الله بها ، وقد أوضح هذا الإعتزاز في جزء من كلامه معنا عندما بيّن دور المرأة المسلمة العراقية ضدّ طغاة بغداد وما عليها وما عليها ان تفعله في هذا المسير الجهادي ، وعندها قالت الشهيدة موجّهة خطابها اليّ : «المأمول منكِ أن تكتبي لنا عن نساء العقيدة في العراق»[1] . من كلام للسيدة أم تُقى الموسوي مؤلفة سلسلة (نساء العقيدة) .

❊ «أنا أعلم إن خروجي كل يوم ليس ضرورياً . إلّا أنّني أردت أن أُعْلِم الجميع بأنّني أتواجد في حرم الإمام علي عليه السلام فَمَن كان مهتمّاً بالتحرّك الذي قاده السيد

---

(١) تعتبر هذه الالتفاتة إحدىٰ نبوءات الشهيدة بنت الهدىٰ لمستقبل المرأة المجاهدة في العراق. المؤلف

يُمكنه أن يبعث لي أُخته أو زوجته وأكون الواسطة بينهم ، وقد تكون هناك أُمور هامة جداً تنفع هذا التحرُّك» . من كلام للعلوية الشهيدة بنت الهدىٰ أثناء المحنة والحصار والمراقبة .

* «كلاّ سأبقىٰ مع أخي لا لأنه أخي بل للواجب الشرعي ، فأنا كنتُ قد بايعته ، والبيعة علىٰ الموت لا علىٰ الحكم ومظاهره ، ثم ماذا سأقول لله تعالىٰ غداً إذا سألني عن بيعتي ؟ أضف الىٰ ذلك فإن اختفائي سوف يزيد من تشدُّد السلطة في مراقبتها للآخرين .. إني لو فعلت ذلك وعلم بهِ الناس فسوف يفسّرونه بإننا خفنا أو جزعنا من الحجز ، وأنا والله لست كذلك وسأبقىٰ صابرة حتىٰ يحكم الله» .من جواب الشهيدة بنت الهدىٰ علىٰ اقتراح الشيخ محمد رضا النعماني في الإختفاء بعد مظاهرات ١٧/رجب/١٣٩٩هـ.

* «كم أتمنىٰ أن أموت قبلكم ولا أرىٰ أولاد أخي يموتون الواحد بعد الآخر وأنا لا أستطيع فعل شيء لهم ، أنا ربيّت هؤلاء» .

من كلام الشهيدة للشيخ محمد رضا النعماني أيام المحنة والحصار عام ١٩٧٩م.

* «قالت لي – رحمها الله – إن السيد مُصمّم علىٰ الخروج الىٰ الصحن ؟ فقلت لها : نعم . قالت أنا أخرج معه . قلت : لماذا ؟ يكفي ما قمت به يوم السابع عشر من رجب ! قالت : أعتقد إن استشهادي مع أخي سوف يكون لهُ بالغ الأمر ، إن ابن سعد لم يقتل زينبعليها‌السلام ليس تحرُّجاً من دمها وإنما لأن دمها سوف يكشف بوضوح تام الحقيقة للناس ، ويعرف الغافلون حجم غفلتهم وعظيم جنايتهم وتقصيرهم وأنا اليوم أريد لدمي أن يخدم الإسلام .

ثم قالت : أطلب منك أن لاتخبر السيد بهذا الحديث . قلت : لماذا ؟ قالت : أخشىٰ أن يُحرِّم عليَّ الخروج فأقع في حرج . واستُشهدرحمه‌الله وهو لايعلم بموقف أخته هذا» . من كلام الشهيدة للشيخ النعماني .

* «بعد اعتقال السيد يوم الخامس من نيسان ١٩٨٠م سحبت السلطة كافة قواتها التي كانت تطوّق المنزل . أحسّت الشهيدة أن يوم التضحية قد جاء ، فذهبت الىٰ غرفتها وأبدلتْ ملابسها بأخرىٰ ، وربطت ثوبها علىٰ معصميها ظنّاً منها بأنها

ستسترها حين التعذيب وقالت لي :

«أتراني أن هذا يسترني حين التعذيب ؟ فقلت لها : سوف لن تتعرضي للإعتقال إن شاء الله . فقالت : والله لست خائفة فأنا انتظر هذه الساعة وما أسعدني إن استشهدتُ مع أخي ، وما أتعسني إن بقيتِ بعده» .

ثم أعطتني حقيبة صغيرة فيها مجموعة من الرسائل والصور وقالت : هذه مجموعة أعتبرها حصيلة عمر من الذكريات بحلوها ومُرِّها لم أتلفها في الأيام الأولىٰ ، فاذا اعتقلوني أرجو إحراقها لكي لايقع شيء منها بيد أجهزة السلطة .

وفي اليوم التالي (السادس من نيسان ١٩٨٠م) بعد الظهر جاء المجرم الخبيث مساعد مدير أمن النجف ، المعروف بـ(أبي شيماء) فطرق الباب وحاول أن يدخل ، فلم تسمح له الشهيدة بدخول الدار ، فقال لها : علوية إن السيد طلب حضوركِ الىٰ بغداد ! فقالت :

«نعم سمعاً وطاعة لأخي إن كان قد طلبني ، ولا تظنُ أني خائفة من الإعدام ، والله إني سعيدة بذلك ، إنّ هذا طريق آبائي وأجدادي» .

فقال لها - كاذباً - : لاعلوية ، بشرفي إن السيد طلب حضوركِ . فأجابته الشهيدة مستهزئة : صدقت بدليل إنّ قواتكم طوّقت بيتنا من جديد ، ثم قالت له : دعني قليلاً وسوف أعود اليك ولا تخف فأنا لن أهرب ، وأغلقت الباب بوجهه .

ثم جاءتني وقالت : أخي أبا علي . لقد أدّىٰ أخي ما عليه ، وأنا ذاهبة لكي أؤدّي ما عليَّ ، إنّ عاقبتنا علىٰ خير .. أوصيك بأمي وأولاد أخي ، لم يبق لهم أحد غيرك ، إن جزاءك علىٰ أُمي الزهراء . والسلام عليك ...» .

من كلام العلوية بنت الهدىٰ للشيخ النعماني قبل اعتقالها واستشهادها .

❊ «...وشقيقته المُكرّمة المظلومة والتي كانت من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب...الشهادة ميراث ناله أمثال هذه الشخصيات العظيمة من أوليائهم ..

آمل أن يُحشر مع أجداده الطاهرين ويَحشر اخته العزيزة المظلومة مع جدَّتها فاطمة الزهراء عليها السلام » من البيان التأبيني للإمام السيد الخميني قدس سره بمناسبة استشهاد المرجع السيد الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدىٰ .

من أقوال الشهيدة ..

* لا أريد أن اكبر ويترك الزمن عليَّ آثاره ، بل أنا التي أُريد أن يترك عليه أثراً .
* أُريد أن يكون عقلي هو السلطة القضائية وعاطفتي هي السلطة التنفيذية له .
* يجب أن يكون في نفس الانسان ضابط يحميها من الانحراف حتىٰ لايطغىٰ صوت العاطفة علىٰ صوت العقل .
* علىٰ الأُم أن تشعر بخطر مسؤوليتها وهي تضطلع بدور الأمومة .
* علىٰ الأمم أن تعرف أنها مسؤولة عن النشيء الذي تنشؤهُ أمام الله والمجتمع .
* إن من ضرورات الأمومة الصالحة أن لاتكون الام جاهلة ، لكي تتمكن من معرفة الطرق السليمة للتربية .
* المرأة المسلمة اليوم هي بنت تلك المرأة المسلمة التي عرّضت صدرها لحِراب الأعداء وشهدت بعينها قتل الآباء والأبناء ، فما الذي يقعد بالمرأة المسلمة البنت عن أن تُعيد تاريخ المرأة المسلمة الأُم وأن تقفوا خطواتها في الحياة .
* عرفت المرأة المسلمة قيمة النصر الذي احرزته والمستوىٰ الرفيع الذي ارتقت اليه بعد ان قضت عصوراً عاشتها وهي في سلّة التاريخ ، ولهذا فقد سعت جاهدة للعمل علىٰ اثبات كفائتها لذلك . وفعلاً فقد سجلت المرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي أروع الصفحات ، كتبتها بالتضحية والفداء .

* ما قيمة حياة الإنسان مالم تكن ساعاته موصولة بالعمل من أجل الله .

* إلهي ماعُدت أرغب إلّا في رضاك ، ولا أطمع إلّا في عفوك ، وما العمر إلّا لحظات من أجلك وفي سبيلك .

* ما أهون الصعاب في سبيلك يارب ، وما أيسر العسر في طريقك ، وما أحلىٰ المرّ في الوصول اليك .

* يارب اجعل حياتي كلمة رضا ، واجعل اعمالي ساعة جهاد ، واجعل روحي ياسيدي خفقة أمل ورجاء ترنوا الىٰ عفوك وتشتاق الىٰ رفدك .

* إن حياتي في حياة أخي وسوف تنتهي حياتي مع حياته ان شاء الله .

ومن شعرها :

قَسماً وإن مُلىء الطريق ... بما يعيق السير قدما
قسماً وإن جهدَ الزمان ... لكي يثبِّط فيَّ عزما
أو حاول الدهر الخؤون ... بأن يريش إليَّ سهما
وتفاعلت شتّىٰ الظروف ... تكيل آلاماً وهمّا
فتراكمت سحب الهموم ... بأفق فكري فادلهمّا
لن أنثني عمّا أروم ... وإن غدت قدماي تُدمىٰ
كلّا ولن أدع للجهاد ... فغايتي أعلىٰ وأسمىٰ

***

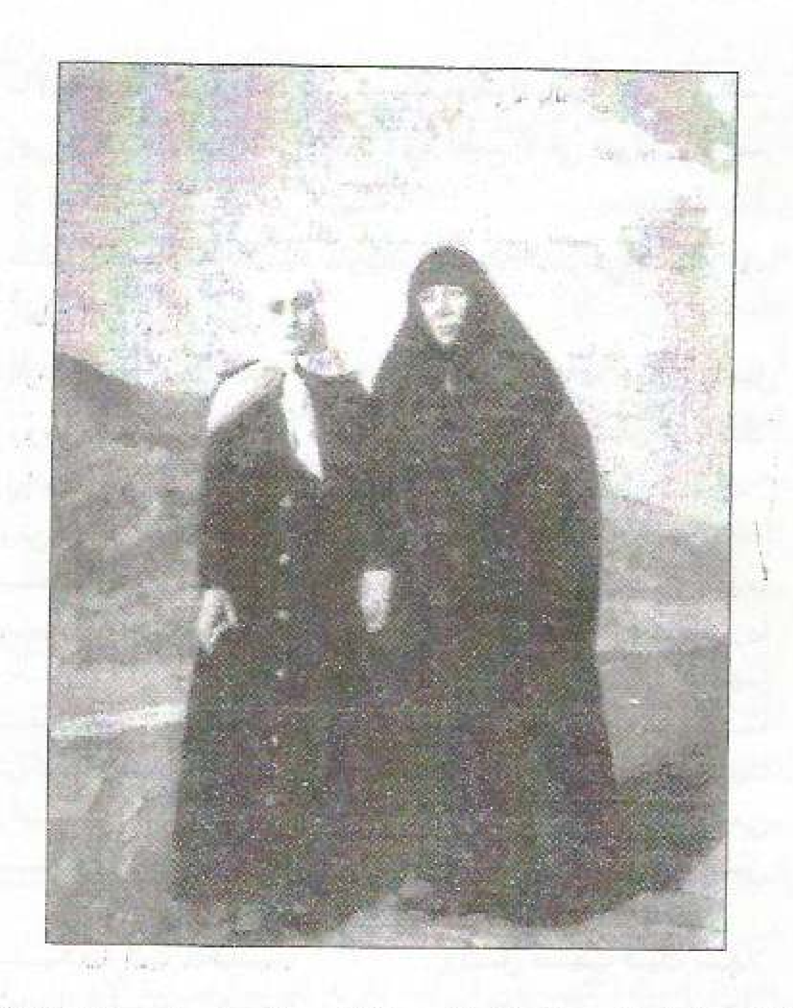
اسلامنا أنت الحبيب ... وكل صعبٍ فيك سهلا
ولأجل دعوتك العزيزة ... علقم الأيام يحلو

***

بيد العفاف أصون حجابي ... وبعصمتي أسمو علىٰ أترابي
وبفكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ ... نقّادةٍ قد كملت آدابي
ماعاقني خجلي عن العليا ولا ... سَدَل الخمار بلُمّتي ونقابي

***

أُختاه هيا للجهاد وللفدا ... والىٰ نداء الحق في وقت الندا
هيا اجهري في صرخةٍ جبّارةٍ ... إنّا بنات محمدٍ لن نقعدا
إنّا بنات رسالةٍ قدسيةٍ ... حملت لنا عِزّاً تليداً أصيدا



الشهيدة آمنه الصدر (بنت الهدى) ومعها الاخت مي الحسني.. الصورة عام ١٩٧٤م.

«مكانة الأم قبل الإسلام مكانة آلة الانتاج التي حُرِص على أن تكون سليمة مستحكمة لكي تنتج الانتاج السليم . ومكانة الام بعد الإسلام مكانة الواهبة للحياة بما يستلزم من حقوق والتزامات» بنت الهدى .

«المرأة المسلمة والرجل المسلم بالنسبة للرسالة والدعوة سواء ، فقد امتدت اليهما معاً يد الإسلام لترفعهما من وهدة الجهل والضلال . واشرقت عليهما معاً أيضاً شمس الرسالة لتضيء لهما طريق الحق في الحياة . ولهذا فان عليهما معاً أن يعملا في سبيل الإسلام ماوسعهما عمله» الشهيدة بنت الهدى .



الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) في منىٰ بالحج عام ١٩٧٨م.



الشهيدة بنت الهدىٰ (رض) وفي الوسط الاخت الهام باقر (الاستاذة ام ابرار الحيدري).. الصورة عام ١٩٧٨م في الحج.

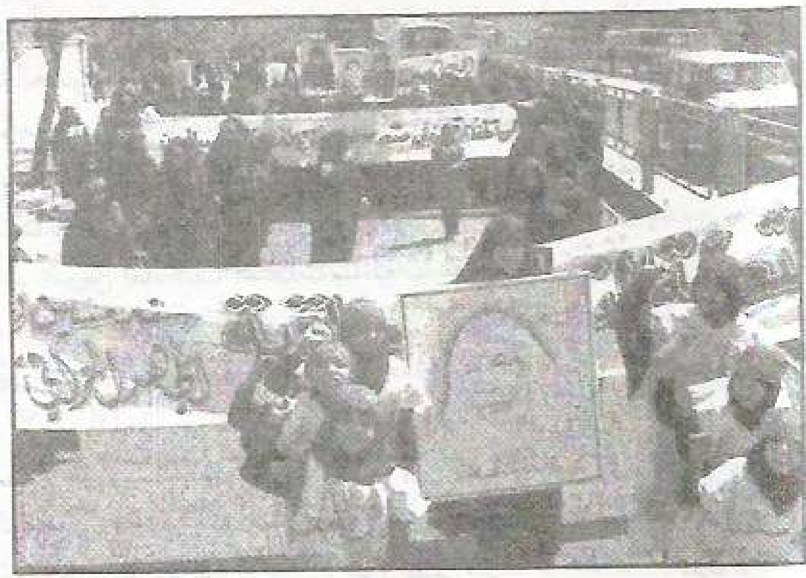
«لقد لاقت هاجر الكثير من التعب والنصب وتعرّضت لشديد محنة وأذىٰ . لكن وبما أن مالاقته وماتعرّضت اليه كان في سبيل الله . فلازالت كل هذه الملايين من الاقدام السائرة في كل عام مازالت تتقصّىٰ آثار تلك الأقدام الطاهرة في مسيرتها المباركة . ثم ألم تكن هاجر امرأة ؟ اذن أفلا يمكن لنا أن نعد هذا الجانب من الحج هو تخليد لجهود المرأة في عالم العبادة والفداء . ثم ألا يمكن لنا أن نعرف من هذا أيضاً أن المرأة قادرة على رسم خطوط بارزة في ميدان العمل والجهاد ؟» الشهيدة بنت الهدىٰ .



«واستمرت العقيلة زينب تدعو الىٰ الاسلام علىٰ يقين وبصيرة لم يشغلها المصاب الهائل ، حتىٰ أنـها كانت امتداد لحياة أخيها الشهيد‌عليه السلام وآلها الاطهار ، فلنقتبس ومضة من روحها الجبارة ولنستمد طاقة من طاقاتها المثالية لنحتفظ بكياننا الاجتماعي الذي بنته لنا هي وآلها الميامين ، تحت رايـة الإسـلام الشـامخة ولواء القرآن المظفرَ ، ولايقعدنّ بنا وهن أو كسل» الشهيدة بنت الهدىٰ .

«يكفي المرأة المسلمة فخراً موقف الحوراء زينب عندما قالت كلمتها المأثورة وهي علىٰ جثمان أخيها الإمام : (اللهم تقبّل منّا هذا القربان) . ولم يكن فقيد الحوراء كغيره ممّن فقدته النساء ولم تكن مصيبته كغيرها من المصائب وهو الإمام والاخ والحبيب ... ياالله ما أقدس قربانكِ يابنت رسـول اللـه وأسـمىٰ مـعنوياتكِ ياعقيلة بني هاشم ، وما أروع هذا الفداء الذي افتديت به شريعة جدك ورسالة السماء ، فركّزتِ بذلك أركـان الدعوة الاسلامية علىٰ مدىٰ العصور والاجيال» الشهيدة بنت الهدىٰ .





مسيرات و تظاهرات نسوية عراقية في طهران عام ١٩٨١م.

دموع في محراب آمنة ..

بنت الهدىٰ .. يابلسماً في جراح المخدّرات ، يامناراً في عراق الزينبيّات ، ياحوراء تهيأت منذ البدء لرحلة كربلاء ، يانشيداً ردّدته شفاه زنابق الزهراء ، يامحراب الصلاة ، ويا سيف الإباء ..

ماذا أقول أُمّاه ؟! وأنت صرخةٌ في ضمير العراق تتجدّد علىٰ مرّ الأيام والأحداث .. ماذا أقول وأنتِ مريم التي هتفت في وجوه بني إسرائيل ، وآسيا الشهيدة التي رفضت بذخ فرعون وان طغىٰ ، بل أنتِ غصن فاطمة التي حاربت الدجّالين وزينب التي ما أستسلمت لأرهاب الأمويين ..

سلاماً سيدتي .. سلاماً جبين الشمس ، سلاماً جسداً مخضّباً بالدما ، سلاماً قبراً في المجهول بلا مواس ، سلاماً جُرحاً لن يتقادم .. سلاماً سيدتي لانُطيق معكِ الوداع .

أنتِ حضورٌ دائم مولاتي ، أنتِ فينا حضور لستِ الماضي أُمّاه ، أنتِ الحاضر والمستقبل ، أنتِ الشمس وقيم الأبد .. لطالما كنت أراكِ في يقظتي وفي صادق الأحلام ، فعِطر أيامكِ لم ينضب عن ذاكرتي سيدتي ، أحببناك وأودعناكِ كل أحلامنا الخضراء ، أحببناكِ وتذوّقنا من شفاهك رضابَ الفضيلة والصفاء .. تطلّعتِ إلينا بأمومة وأمل ، فتطلّعنا اليك بيتم ووفاء .. الله الله ياتلك الأيام التي استعصت علىٰ النسيان ، ولكن في نيسان الليل والدمار سرعان ما التهمكِ غول العراق وغيّبكِ عنّا !!

آهٍ لو تدرين أُمّاه كيف استقبلت بناتكِ نبأ الفاجعة ؟! كان كتوهج الجمر في القلوب وأشد ، جبال من الآلام جثمت علىٰ الأرواح ، فانتحبن حُزناً وكمداً .. إفترستهنّ الدهشة ، لم يُصدّقن المصاب ، أحقاً قتلوا بنت الهدىٰ ؟! أحقاً تجرّأوا علىٰ القربان الأكبر !! أحقاً حملتك الأيدي الآثمة جسداً مذبوحاً !! لكنهُ البعث سيدتي .

نعم ، رحلت بنت المصطفىٰ .. رحلت ولن تعود ! مضىٰ الزمن بطيئاً ، ساعات مرّت كالدهور ، فالنهار كان أشدّ حُلكَةً من الليل .. إنطلقت أسراب الحمائم وسحائب الحُزن الىٰ مَراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وهناك نفضت العيون ومكامن الغضب الدموع سكاباً وتنهّدت الحسرات جمرات صراخاً .. كانت ألسنتنا خرساء وكانت عيوننا تصرخ واضيعتاه .

وما كنّا نبكيكِ أمّاه إذ نبكي ، ولكن على ضيعتنا نبكي ، على يُتمنا المشتاق الى اليوسف نبكي .. إثنان وعشرون عاماً والدموع تجري عشقاً وحُزناً ، هل حقّاً حُرمنا حضنك وحنانك كل هذا الزمن ؟! كيف اغتالك البعث سيدتي ؟! أحقّاً كبّلوا معصميك وعصبوا عينك ! أحقاً مزّقوا شفاهكِ التي رتّلت سورة العصر وحفروا على خدّيكِ أخاديد السياط ! أحقاً غيّروا ملامح وجهكِ القرير الجليل ! أحقاً قتلوكِ !!

لاعجب ياابنة المظلومة البتول .. إنه هوان الدنيا سيدتي ، فهنيئاً لكِ مجلس المصطفى بين المرتضى والزهراء وآبائكِ النجباء في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر .

أمّاه .. لم تزل قلوبنا ثكلى ترتدي ثوب الحِداد ، كيف نتزّين ووجهك قد تزيّن بالسياط ! كيف نكتحل وعيناك قد اكتحلتا بالدم ! لا لم ينته العزاء ، إنهُ عزاء الحُزن الكربلائي السرمديّ سيدتي ، ولمثلك فلتندب النادبات .

ليتك تعلمين أيتها الحبيبة ، أن جُرحك كان كُلَّ جراح العُمر .. كيف لا وأنت سلوة يُتمنا وخيمة خِدرنا .. كيف لا وهتك خدركِ في زنازين البعث هتكٌ لكرامتنا .

لا ياسليلة النجباء ، ما هكذا الظنُّ بكم .. أترحلين وبُنيّاتُكِ مازلن تنوء بهنّ السلاسل والقيود ! أترحلين ومحبّاتك مكبّلات بظلمات القهر والاستضعاف ! رحلتِ والظلام مُر سيدتي ! رحلتِ والمخاض لم يأت بعد مولاتي !

كنّا نأمل غير ما قدّر الله ، كنّا نأمل ونأمل .. كم هو مروّع أن نعيش بلا (بنت الهدى) ، ولكن بالله أعظم الأمل .

أمّاه .. كيف دفنوكِ ؟! وهل من قبر يضمُّك !! ولمَ غيّبوا قبركِ ؟! أما علموا أن كل قلبٍ لبناتكِ كان لكِ قبراً .. كيف اعتلت ذرات وادي السلام هامكِ التي ما سجدت سوى الله ، سلاماً على الخد التريب ، سلاماً على الجسد الخضيب .

لله يابنت البتول هواك .. يا «بنت الهدى»
لله أيام العفاف البِكر ماضاعت سدىً
لله نجواكِ الخضيبة حين يصهرها الفدى[1]

---

(1) من قصيدة «لن يقتلوكِ» للشاعر الجزائري مصطفى الغماري ، أُلقيت في مُلتقى الفكر الإسلامي الرابع عشر في الجزائر عام ...هـ .

عُذراً لكِ أمّاه !

سيدتي (بنت الهدىٰ) .. ماذا أقول وفي الحلق شجىٰ ؟ صرنا لا كسالف عهدكِ وأيامكِ ، غرقنا في بحر التيه والفوضىٰ .. ضياع نجترهُ باسترخاء .. باتت أقدس مقدساتنا مصالحنا الشخصية ورغباتنا الدنيوية .. إنه الزمن الرديء أماه ، زمن التحزّبات والفئويات ..

أصبحنا اليوم بنات الهدىٰ ولكن بالقلم فقط وبالكلم فقط ، صرنا نركع .. تسجد ، ولكن لا نقيم الصلاة ! نعطش .. نجوع ، ولكن لا نصوم ! نُذَل .. نموت ، ولكن لا نجاهد !

ماذا أقول أُمّاه وتوضيح الواضحات من أشكل المشكلات فبعدكِ أجدب الزمانّ سيدتي ، وصرنا كما قال جدك المصطفىٰ كالثياب المتداعية كلما خيطت من جانبٍ تهتكت من آخر ، فنحن كثيرٌ في الباحات قليلٌ تحت الرايات .. لقد غمرتنا أمراض النفس وأخلاق الهزيمة ، فلا نؤمن إلّا بذواتنا ولا نُغذّي إلّا أنانياتنا .. فالأخوّة الإسلامية أخوّة (مكاشرة) والغايات أحلام آثمة مولاتي ، فالكل يلهث وراء دنيا خضراء دون الوطن الجريح حيث المحنة الحمراء ..

عفواً سيدتي (بنت الهدىٰ) .. إنها الشكوىٰ أبثها إليكِ ، فبعدكِ تغيرت الوسائل وتبدلت الاهداف .. فالكذب عادة والنفاق مداراة والتورية فلسفة والتقيّة منهج .. آهٍ من انحسار التقوىٰ وقلّة الورع !

عذراً سيدتي ، إنهُ صدأ ران علىٰ القلب ، كتبتهُ في هدأة الليل حيث الجراح متيقظة .. أين أمشي ؟ فلقد مللت الدرب ، والشيطان اللجوج لم يزل يقتفي خطواتي! خذي بيدي فما تزال (الانا) تحفر في مقبرة الأمنيات الآثمة ، خذي بيدي فقد سئمت الميتين ، خذي بيدي علّي أرتاح قليلاً ، خذي بيدي فقد سخرت حتىٰ من حماقاتي التي سمّيتها يوماً بطولاتي !

وعذراً لبناتك اللائي نسيناهن أو تناسيناهن ، عُذراً لانين الأرامل ، عذراً لشهيدات الوطن ، عُذراً للدماء السخيّة .. عُذراً لكِ أمّاه .

أُنبيكِ بنت الهُدىٰ

أُمّاه .. يابنت الزهراء ، هلّا تُطلّي علينا من عليائكِ ، لتشاهدي ما حلَّ بنا ؟ أُنبيكِ كيف تفنّن الأوغاد بتدميرنا ، فمازال قاتلك يتسربل ثياب الأشرار ومازالت النوائح مُخيِّمة علىٰ الديار .. فالوطن مازال يُسبىٰ ، وأما الثكالىٰ فبلا مأوىٰ !

عفواً سيدتي ، إن كنتُ بحضرتكِ أبثُّ همومي وما يموج في صدري ؛ مرّت السنين مُرّة مُدمِّرة ، وليل البعث لم يَزل جاثماً علىٰ عراق الصدر والصبر ، و«الشيمة» لم تَزل تتبعنا اتباع الفصيل إثر أُمّه .. بعدك تراكم البلاء وتزاحمَ الأنداء ، واصطبغت المواجهة بلون الدم .. لقد زحف البرابرة يسفكون دماء الزينبيات ، وعاد المغول يستأصلون إباء العلويات .. عقدان ونيف من السنين وصرخات بناتك - بنات الزهراء - تدوّي في زنازين «الشُعبة الخامسة» و«أبو غريب» حيث مازلن يرسفن بالأغلال لحد الآن ..

نعم أُمّاه .. فجرح الكرامة مابرح ينزف دماً عبيطاً ، وسجن «الرشاد» ما استكان يستلّ مُخدّراتٍ غيدا ، ومضىٰ (أبو غريب) يبتلع المؤمنات بهستيريا المغول ، ومضت المشانق تأكل الأعناق الرقيقة .. لقد بلغ سيل الجَور الزُبىٰ ، فسجون هارون (الرشيد) لم تَزل تعجُّ بخيرة بناتكِ وأوباشه مازالوا يهتكون عِفّة مخدراتكِ !!

آهٍ بنت الهُدىٰ .. وماذا أُنبيكِ بعد ؛ لقد عانت الأُمهات مخاض الولادة وآلام الإجهاض بلا مُعين ! بل ذَبحوا أطفالنا وهم في أحضاننا ، وقتلوا أزواجنا أمام أعيننا !! وشحذوا أنيابهم لتمزيقنا والتفنُّن في تعذيبنا ..

أُمّاه ! أتعلمين كيف تعرّضت بناتكِ للتعذيب عرايا أمام أزواجهن تتخطّفهنّ عيون الاراذل وتعبث بخدرهنَّ أيدي جلّادي البعث الماجن !

أتدرين كيف يُجزّروهنَّ جزر الأضاحي ! أتُصدّقين أن قاع دجلة الخير صار مرقداً لأشلائهن !!

أُمّاه .. أُناجيكِ من احدىٰ زبدات الدنيا ، فأنتِ معنا أينما كنّا ، في طوامير (أمن) الفرعون وفي (الرشاد وأبو غريب) وفي المهاجر والمنافي .. فقد هبّت بنا بعد

رحيلك ريح المصائب والمآسي ، فتشتّتنا في دروب التيه والنسيان ..

عفواً سيدتي ، صرنا تُنفىٰ من زبذةٍ الىٰ أخرىٰ ، بتنا سائحات في محطّات الذل والهوان ، وكدنا نُباع في سوق النخاسة !!

أُقاد ذليلاً في البلاد كأنني من الروم عبدٌ ضاعَ عنهُ نصيرُ

ذاب العُمر بالغُربة أمّاه .. صرنا شتاتاً كالطيور المُهاجِرة التعبىٰ بهموم الترحال ، كالنوارس الهائمة تبحث عن مَرفأٍ آمن .. بعدكِ صارت الصلاة قَصراً سيدتي ! حيث امتلأت ببناتكِ مَهاجِر الإسلام ومحيطات الدُنيا[1] .. فالسواحل لم تهدأ تحتضن جثث حبيباتك الأرامل والثواكل كل حين ! فتُدفَن غريبة بلا ناعٍ ولا باكٍ ..

ولكن لا بأس عليكِ أُمّاه .. فلا تَهني ولا تَحزني ، فقطراتُ دمكِ الزكي أنبتت ألف ألف زهرة اقحوان وألف ألف زنبقة قرمزية ، تصرخ بالولاء والوفاء لكِ وللعراق وللإسلام العزيز ..

إبشري أمّاه ، وليبقىٰ هامَكِ هام المجد شامخاً أبداً ، فهاهُنّ بناتكِ اللاتي ولدنَ من رحمكِ وتزودنَ من عطركِ قد عبّدنَ نهجكِ بالقرابين وهتفنَ باسمكِ علىٰ اعواد مشانق البعثيين ..

هاهنّ زينباتكِ «رجيحة وابتهاج وفاطمة وعواطف وعالية وميسون وسميرة وأحلام وسلوىٰ وسُميّة وأمل وجنان وليلىٰ وزينب وكميلة وجميلة وكاظمية وهاشمية وساجدة وانتصار وشكرية وفائقة ورضيّة وبُشرىٰ وسُهيلة وسكينة ورغد وخالدة وإيمان وغنيّة ومريم وزهراء وعليّة وحياة وابتسام ورملة وقادريّة وزهور وشذىٰ ونجاة وحميدة وسامية وهيفاء ووفاء ... الخ» الراقدات علىٰ ثرىٰ وادي السلام وفي الصحارىٰ ، مآذن هُدىٰ وقباب شموخ تُلامس هامهُنّ سعفات نخيل العراق ويُقبِّل وجوههُنّ سَحاب سماء العراق .. وهاهي العشرات العشرات من زينبيات دربك ورائدات نهجك مازلنَ رابضات في طوامير الجحيم ، يرسفن بالأغلال أو هائمات في مَهاجِر الدُنيا ينتظرنَ يوم الوصال .

---

١ - عشرات من النساء الصالحات ابتلعهنّ البحر وصِرنَ طعاماً للكواسج وسمك القرش .

ونُقسِم لكِ أُمّاه ، نُقسِم بأنّات الأيامى وبدموع اليتامى ، نُقسِم بدمكِ المطلول في غرف الشعبة الخامسة الذي مازال في عروقنا يغلي ثأراً سرمدياً ؛ ستبقين بيرقاً أبداً لبنات الزهراء ونشيداً خالداً لزنابق الحوراء ، حتىٰ يُقبَر الطغيان وتنقشع غيوم الهوان ويرىٰ شعبنا برّ الأمان ، وستصل زينبيّات جحافل الفتح الىٰ ثرىٰ جسدكِ الدامي يوماً قريباً أُمّاه .. وسنجعل من ضريحك المُغيَّب مناراً لبنات هدي العراق ومآذن ثورة لدرب الحرية والانعتاق .

فيا أيتها العلوية المترنمة بأناشيد الانعتاق ، ويا أيتها الفاطمية التي مشت علىٰ جباه الزمان ، نامي قريرة العين ، فسيبقىٰ خطّك منهجاً وستُخلَّد رايتُكِ خفّاقة ، أينما رحلنا وتشتّتنا ؛ في المَهاجِر وفي المحيطات ومهما ازدحمت علينا المؤامرات وقد نقتَل أو نَضيع ! بَيْدَ أنّا سنبقىٰ أوفياء ننهل من روحك الصبر ومن نهجكِ الصدري الاحتساب .

فارحلي سيدتي قريرة العين ، فقد نضجَ الدرس وتأصَّلَ المنهج ، وسوف لن نحيد عن راية الولاء لك ولقائد مسيرتنا ورائد نهضتنا الشهيد العزيز «الصدر الكبير» مادام في العُمرِ رَمَقٌ .. فمعكم معكم ياخيرَ خَلَف ، معكم عهداً لايقبل النكث ونهجاً لايقبل الاندثار ، للسير في ذات الطريق حتىٰ يحكم الله والله خير الحاكمين .

من بعدك الدارُ قد مَرَّ الغرابُ بها	ومن فراقك رسمُ دارسٌ طَللُ
نفديك لو عزّت الأرواح مُشرعةً	مثل السيوف فلا خوفٌ ولا وجلُ
لكن دربك دربُ الله مسلكهُ	من منشأ الكون حتىٰ ينطفىء زحلُ
نمشي بدربكِ ان الدين رايتنا	حتىٰ نراك ويُطفىء شوقنا بللُ[1]

---

[1] من قصيدة «مزمار داوُد» للشاعر الأستاذ «أبو مصطفىٰ».

شاطىء الشهادة المنسي !

أُمّاه ، تأملتكِ لأكتب عنكِ فانتكس القلم وانكسر ! ماذا أكتب ؟ فهل أبقت مآثركِ وتضحياتك في أناملي حياة ؟! ماذا أكتب والكلمات أمامكم تصغر وتتلاشىٰ حد الممات ؟! تُرىٰ كيف أغوص في بحر جودكِ وجهادكِ . وفي أي الشواطىء أعوم بزورقي ورحلتي ؟!

تدافعت المشاهد في خاطري فاحترتُ من أيِّ منهلٍ أغترف .. لكن ما عسىٰ الكلمات أن تصف ؟! أأكتب عن العالمة الفاضلة أم عن الأديبة الشاعرة ؟ أكتب عن المربيّة الجليلة أم عن الرائدة الأثيرة ؟ عن القدوة البطلة أكتب أم عن اللبوة الصامدة؟

احتار قلمي كيف يبدأ واحترت معه كيف أُطوّعهُ ، وعهدي به وفيّاً كريماً .. أأكتب عن الجسد الممزّق والخِدر المُنتهك أم عن الحق المُستلب والقبر المغيّب ؟!

نعم وربي ، فكُلّما شرعت بالكتابة سيدتي خفق القلب وجاشت العواطف واغرورقت المُقَل .. ولا عجب أُمّاه ، لأن كل ما سأكتبه سيكون بحقّكِ حروفاً مُبعثرة ، نعم حروفاً مبعثرة ! أحقاً أني سأكتب عن (بنت الهدىٰ) ؟! كيف بلغتْ بي الجرأة هكذا ! ثم بأي قلمٍ أكتب وأنتِ سيدة اليراع ، وكيف أصول وأنت شموخ الزهراء وكبرياء زينب الكبرىٰ !!

فكيف يطيق بياني الكليل أن يعبر عن شموخ التضحية ، وشمم القربان ، فانه اذا تكلّم الجُرح سكت اليراع واذا نطق الدم خرس اللسان ، ولهذا أراني عاجزاً خلال هذه السطور من الاتيان علىٰ سيرتك كما ينبغي ، متهيباً ولوج حرم قداستك ، مُتلعثماً أمام فصاحة جراحِك وبلاغة عطائك .

لستِ منسيّة سيدتي لاكتب عنك[1] .. فأنت زينب العصر وأخت الصدر حسين

---

١ - أكملت أرشفة حياة وجهاد واستشهاد عشرين زينبية عراقية وحسب ما سمح به الوقت والذاكرة والمصادر .. تنفّست الصعداء وتهيأت لأرسال أوراقي الحزينة الحمراء لأحدىٰ دور النشر رُغم الغصّة التي خنقت أنفاسي لعدم فلاحي بالكتابة عن شهيدتنا الكبيرة (بنت الهدىٰ) .. لذا فقد آويت الىٰ فراشي مهموماً واستسلمت لسلطان النوم حزيناً مغموماً .

وما هي سوىٰ لحظات ولعلّها ساعات حتىٰ استيقظت مدهوشاً مرعوباً .. لا أدري إن كانت الرؤية قد جاءت انعكاساً لغمومي وهمومي وما كنت أحسه وأشعر به من تقصير في اداء الحق تجاه زينب العصر .. فلقد رأيت فيما يرىٰ النائم كأني في حَرَم أبي عبدالله منشغلاً بزيارة أنصار كربلاء تلثم شفاهي ضريح رفاتهم أخاطبهم وأُسلّم عليهم ، ثم انتقلت الىٰ الحبيب

العصر ، سيّما وقد جاد حبيباتك وعدد من تلميذاتك برسمك نثراً وشعراً .. وإن كان ولابد من شرف المشاركة بهذه المكرمة سيدتي فسأكتب لأعتذر لكِ ولانبيكِ وأشكي اليكِ ثمَّ لأقرَّ عينيكِ ببناتكِ – فراشات نهجك ونوارس شطآنك – اللاتي رحلن اليك كنخيل العراق وقوفاً وجباله شموخاً ..

نعم سيدتي .. سأكتب عنك ، ولكن لا كما كتبوا وسيكتبون ! بل سأرسمكِ بمداد بناتكِ وبدماء زينبياتك .. بمداد الشهداء وعلىٰ أوراق حمراء .. سأكتب عنك بعبق الزهور المضمّخة بدمِ الحرية والفداء .

لا تربَت يداك أمّاه .. لن يقتلوكِ بالمخاض ، فطوبىٰ لبنات رَحِمك ، أليس لكُلِّ دجّالٍ فاطم ولكل يزيدٍ زينب ولكُلِّ صدام ألف ألف (بنت الهدىٰ) ..

وإن كان قد جفَّ قلمكِ – بقتلك – عمّا كُنت تجودين ، فهاهنّ فتياتكِ قد كتبنَ كل قصصكِ ووصاياك وعذب كلماتك بالطاهر من دم مخدّراتك .. لذا فاسمحي لي – أمّاه – في الابحار بزورقي الصغير في شاطىء رياحينكِ المنسي لعلّي أعثر علىٰ بعضٍ من لآلئك وما أكثرها .. وستبقين سيدتي قدوة مسيرة ورائدة ملحمة عسيرة ، وسيحكي أحفادنا لأبنائهم عن خطّك وزنابقك ، فتقبّل الله قرابينك أُمّاه بقبولٍ حسنٍ .

وها أنا أُعاهدك بعد الله أُمّاه بأن رحلتي بزورقي – زورق الشاطىء المنسي –

الأسدي زائراً هاماً – كالعادة – بحديث الروح والخلجات .. حتىٰ إذا أوشكت علىٰ إتمام مراسم الزيارة وهممت بالخروج من الحضرة المقدسة وإذا بصوتٍ ! ربّاه إنهُ صوت امرأةٍ خلفي.. ويح نفسي ، أتكون سيدتي ..... ؟! أيُعقل هذا !!

كان الصوت ينادي بي : «ياهذا أتزور الأنصار وتنسىٰ الحسين !!» صُعِقت وكأن بركاناً قد انفجر في داخلي .. وحاولت الالتفات لذاك الصوت الملائكي العجيب ، بَيْدَ أن وهج النور قد سطعَ في عينيَّ فحجب عني الرؤية واستيقظت من النوم مذهولاً .

كدْتُ أصرخ بل أجَن .. إماماه سيدي أباعبدالله كيف أنساك وأنا العاشق الولهان ؟! كيف لي بذلك وأنا الذي ارتضعت محبتك ورشفت قداسة نهجك ؟! أنّىٰ يكون ذلك ولم تزل في ذاكرتي مشاهد الطفولة ذات الخمس سنين وأنا أحمل الحجر باكياً لأرمي به جيش ابن زياد وعمر بن سعد ظهيرة عاشوراء .. سيدي كيف أنساك وكل الذي لحق بي وبعائلتي من دمارٍ ودمار إن هو إلّا ضريبة عشقي لدربك درب الأحرار !!

إلهي .. رحماك ، أحللتَ غضبكَ عليَّ ؟! حاشاك ثم حاشاك .. فأنا – ياسيدتي الزهراء – إن كنتُ قد كتبت عن المنسيّات من شهيدات العقيدة في العراق وتردّدت في الكتابة عن حفيدتك – زينب العصر – العلوية المظلومة (بنت الهدىٰ) فذلك لان قلمي يعجز من أن يجرؤ علىٰ الكتابة عن هذا الكيان العلمي الجهادي الكبير .. سيّما هي الحاضرة كالشمس في رابعة النهار ، هي (بنت الهدىٰ) .. أميرة شهيدات العراق .

سوف لم ولن تأبه لريح صفراء ولا لأمواج عاتيةٍ بلهاء ..

أخي القارىء الكريم ؛ هاهو زورق الذكريات ينساب في شاطىء الخلود السرمدي ، وها هي سفينة القرصان التي حاولت اللحاق بنا قد غرقت في أوحال الخزي والعار الأبدي .. لذا كان لزاماً علينا أن نُكمل المشوار علّنا نبلغ بعض غايتنا .

«اللّهم خُذ لنا بحقنا وانتقم مِمَّن ظلمنا واحلُل غضبك بمن سفك دماءَنا وقتل حُماتنا .... يايزيد «العراق» .... فكُد كيدك واسعَ سعيك وناصب جُهدَك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تُميت وحينا ولا تُدرك أمدنا .. وما رأيُك إلّا فندٌ وأيّامك إلّا عدد وجمعك إلّا بَدَدٌ يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله علىٰ الظالمين»[1] .



---

١ - من خطبة للحوراء بطلة كربلاء في مجلس يزيد .

أُنبيك بنت الهدىٰ[1]

يا آمن الصدر يا أشجىٰ مراثينا ... يادمعة الحزن قد أدمت مآقينا

ياكوكب المجد قد زانت بمحتدها ... وجه الخلود بخير الرسل منجينا

ياثورة الآه في أعماقنا انفجرت ... ولم تزل حمماً منها ليالينا

يابسمة الصبح في آفاقنا انبلجت ... بنورها الفذ في الظلماء يهدينا

ياقبسة الحق والإيمان ساطعة ... ياروضة الأنس في الأحزان تؤوينا

ياقدوة الركبِ تهديهِ بحكمتها ... وتنثر النفس ورداً في فيافينا

إن غاب وجهك عنا لم تزل شعلاً ... هذي الوصايا وهذا الصوت يدعونا

إلى المعالي ونجم العز مابقيت ... هذي القلوب بنبض الرشد تحيينا

ياعبقة الخِصب في إمحالِنا ضحكت ... فأورق القفر جناتٍ رياحينا

يانسمة اللطف هبّت من خمائلها ... عرائش الخير تزهو في روابينا

ياصنعة الدين في النسوان معجزة ... بدورك الفذ قد أخزىٰ الممارينا

كم ذاب فكرك زيتاً في مشاعلنا ... وشعشع الوعي هدياً في دياجينا

وما ضعفت وكيد الشر مستعر ... وما وهنت وسوط الظلم يعلونا

أنّى وقلبك موصول ببارئه ... في روضة القرب درسَ الصبر يعطينا

عليك مني ومِمّن فيكِ قد ولهت ... تحية الروح يا أبهىٰ أمانينا

ما غرّد الطير فوق الغصن أو نشرت ... شمس الضحىٰ شعرها التبري يحوينا

ما حلّق الفكر والإحساس في قصصٍ ... لزينب العصر فيه ريُّ ضامينا

ياقصة العشق ياأغرودة ذُبحت ... في منحر الصدق تشدو ذكر بارينا

سمّوك بنت الهدىٰ والصدق حالفهم ... ما أعذب الأسم يانور الهدىٰ فينا

ياآية الرفض للحوراء قد تُليتْ ... كأمسها اليومَ مضموناً وتكوينا

ياعصمة الذيل في أيدي الخنا أُسرتْ ... يسومها الشِمرُ والأوغاد توهينا

يازينب الطف قد عادت كهيئتها ... تزيد هالة وجهِ الفخر تزيينا

---

(1) قصيدة للأديبة الفاضلة أم تقى الموسوي.

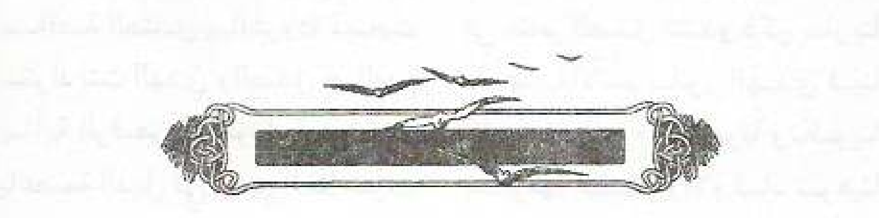
يامن حكت أمّ عيسىٰ في تحصّنها ... كأنّـها النذر يحكي أخت هارونا
تـركتِ دُنيا المرايا غير عابئة ... فـانت في جنة المحراب تزهينا

* * *

يا آمن الخير هذا الصبر يشكونا ... ووحدة الصف في الأطلال تبكينا
وذي دماكم لدىٰ النسيان قابعة ... وان تَـخِذْنا بـها عَـدْواً دكا كينا
وان صبغنا بـها للحزن لافتة ... وان نـفخنا بـها بوق الاسىٰ فينا
وان قـرأنـا بـها للجمع تعزية ... ومادت الأرض من صرخات باكينا
وان كـتبنا عـنك آلافـاً مـؤلّفة ... من السطور وزدنـا الأمر تلوينا

* * *

أنبيك بنت الهدىٰ قد ساء حاضرنا ... يـالهف نفسي علىٰ أيام ماضينا
كُـنّا جـميعاً وكـان الركب متَّحداً ... في منهج الصدر تخشانا أعادينا
الروح واحـدة والسعي مشتركٌ ... والصدق يغمرنا والحب يؤوينا
إذا اشتكىٰ الداء منا واحد شهرتْ ... له العـيون كأن الداء يـؤذينا
وان دهىٰ الخطبُ من أصحابنا أحداً ... رأيـتنا كـلّنا والخـطب يشجينا
(إليك عني) هي النهج القويم لمن ... يـؤمُّ سـاحتنا بـالزهد مـقرونا



الفصل الثاني

الشهيدة سلوى البحراني



الشهيدة السعيدة سلوىٰ البحراني

إطلالة وجهها الضاحكة الشفافة تشع علىٰ أرواح الأرامل والأيتام قبل عطائها.. قلبها الرحب لم ينطوِ إلّا علىٰ حُب الخير والمعروف .. ثمار الخير في جنبات روحها لم تنضب أو تقف عند حد ، سلكت طريقاً لا يُبصرهُ إلّا ذو بصيرة ، إذ تنصّلت عن هموم الدنيا إلّا همَّ إصلاحها وإسناد مجاهديها .. تجد في حديثها صدق وعزم يدُك الجبال ، لم يُلهها الترف عن معايشة المحتاجين وعوز المؤمنين[1] .. تتنقل بين بغداد والنجف وكربلاء ، تغوص في أزقتها وتقضي شطراً كبيراً من يومها تتفقّد ما خـلّفهُ جور البعث بالأحبة والمستضعفين .

إنها السيدة الجليلة سلوىٰ البحراني إحدىٰ ثمار المربية العلوية (بنت الهدىٰ)[2] .. هي أم سعد ؛ إحدىٰ رائدات ا لموقف في الزمن المُر وإحدىٰ صادقات العهد في زمن الغدر !

نعم قاريء الكريم ، نحن مع صفحة مشرقة أخرىٰ من تاريخ المرأة المسلمة في عراق المقدّسات ، مع إحدىٰ نساء العقيدة التي سطع شمس ضياءها في سماء بغداد نوراً وعطاءً .. لم تحوقِل أو تتأفأف من زحمة العمل ولا من الكلام اللاذع والساخر الذي لاقته من المقرّبين إليها ، بل إنطلقت بنشاطٍ وحركة تجاه واجبها ومسؤوليتها الشرعية .. فهي أمّاً حنوناً لفتيات الإسلام وحُضناً رؤوماً لأُسر المعتقلين والشهداء ، كانت بحق مجاهدة محتسبة لاتتردّد عن فعل الخير مهما كانت الأخطار .

من الأشراقات الكثيرة التي حفظها التاريخ لها ، أنها وأثناء وجودها في منزل الشهيد الشيخ عارف البصري في منطقة الكرادة ببغداد[3] تتفقّد عائلته وتقضي حاجاتهم – وهذه عادةٌ لها مألوفة في معاودة المؤمنين والمنكوبين في البيوت

---

[1] ...ت الشهيدة السعيدة سلوىٰ البحراني الكثير من مجوهراتها وأثاث بيتها ببغداد لتتبرع بثمنها لعوائل الشهداء والمجاهدين .. ...ت التبرعات من المحسنين لسد رمق عوائل المعتقلين ..

[2] ...نهاية السبعينات – وبعد أن توفىٰ زوجها الدكتور سلمان تاج الدين أثر حادث اصطدام في سيارته بسبب مرض السُكّر – ...إلى الحج لتعلن عن قرارها – من هناك – في نبذ الدنيا وماقبها من لهوٍ وبذخ .. فعادت ترتدي الحجاب ، وصارت تتعرف ...الشهيدة (بنت الهدىٰ) وتتأثّر بها – من خلال جلسات السبت في بغداد (الكاظمية) – حتىٰ غدت قدوتها ورائدة مسارها ...ارتباطها بالمرجعية .

[3] ...يوم ١٣/١١/١٩٧٤م .

والمستشفيات[١] - جاء أحد شرطة (أمن) النظام يُعْلِم العائلة بأمكانية الذهاب لسجن (أبو غريب) لمواجهة الشيخ وتوديعه قبل تنفيذ الحُكم الجائر ، وما كان من (أم سعد) إلّا واصطحبتهم وذهبت معهم بسيارتها فوصلوا عند الغروب ، واستطاعت الدخول ولقاء الشهداء الخمسة رُغم ممانعة مسؤولوا السجن وأزلام أمن النظام .. كانت حريصة على استلام أوامر ووصايا الشهداء سيّما وأن معظم عوائلهم لم يعلموا بالأمر ، فقد تم تبليغهم بعد فوات الأوان ..

وهكذا استطاعت (أُم سعد) توديع الشهداء - قبضة الهدى - الواحد تلو الآخر وتستمع الى ارشاداتهم وتحاياهم وتستلم وصاياهم وخواتمهم وقرائينهم لتوصلها فيما بعد الى ذويهم ..

وقد اختصّ الشهيد الشيخ عارف البصري رضي الله عنه بالشهيدة المجاهدة سلوى البحراني (رض) وأوصاها - وبقيّة الشهداء - بوصايا كثيرة ، فكانت كالفراشة تتنقّل

---

١ - في لقاءٍ مع الأخت (أم علي) - إحدى المقرّبات من الشهيدة - في مجلة المجاهدة ، العدد (٤٣) لعام ١٤٠٤ هـ . قالت :

«كانت الشهيدة سلوى البحراني بالنسبة لي ولكل من عرفها من الفتيات أمّاً ثانية ، فقد وسع قلبها الجميع ، كنّا نسعى إليها كلما حلّت بنا مشكلة فتغدق علينا من حنانها لتنسينا ما نحن فيه ، وكانت مستعدة لعمل المستحيل من أجل أن تحلّ مشاكلنا .. فهي الأم الرؤوم في جميع المناسبات ، في أفراحنا وفي أحزاننا ، كل واحدة من عندنا كانت تشعر بأنها الوحيدة التي تعاملها الشهيدة بهذا الحب والحنان .

ومن المعروف عن الشهيدة ان لها الكثير من المواقف الإنسانية ومع الجميع ، وقد أكون لا أعرف عن الشهيدة القدر الكافي - لأن عطاءها كان أكبر من كل شيء - ولكني وحسب ما حدّثني به مَن التقيت بهم هنا في إيران أستطيع أن أذكر بعضاً من مواقفها ، ولكن قبلها أقول بأن حياة الشهيدة كانت كلها مواقف ، فلقد نذرت نفسها للناس ولخدمتهم حتى بات حب المؤمنين ومساعدتهم شيئاً طبيعياً عندها ، ومن المواقف التي أذكر وسمعت بها هي مواقفها لعوائل السجناء والشهداء ، فكانت تقر نفسها مسؤولة عنهم وكأنهم عائلتها ، تهتم بشؤونهم المالية وبأولادهم ، وكانوا هم أيضاً يلجأون إليها في أكثر قضاياهم ، وكانت دائماً تتصل بالمرجع الشهيد السيد الصدر رضي الله عنه وكل أمورهم تعود بها إليه ..

وكان لها مواقف أيضاً مع المرضى من المؤمنات ، فقد نقلت لي إحدى الأخوات بأنها كانت فترة تعيش حالة مرض صعب يحتاج الى البقاء في المستشفى لتسعة أشهر ، فاشار عليهم أحد الأصدقاء بأن يلجأوا الى الشهيدة لتدبّر لهم أمورهم ، ولم يكن من الشهيدة إلا أن أخذت هذا العمل على عاتقها وبقيت مع هذه الأخت حتى غادرت المستشفى ، فكانت تزورها كل يوم في المستشفى وإذا تعذّر عليها ذلك بعثت بإحدى الفتيات وسمها (وردة) واعتذار عن عدم المجيء لعملٍ طارىء .

موقف آخر للشهيدة مع إحدى الأخوات التي لقيتها هنا ، قالت بأن ابنتها كانت مريضة جداً وفي حالة خطرة في المستشفى ، فكانت الشهيدة تعودها كل يوم وتأخذ ملابس الطفلة معها الى البيت لتغسلها ، وكانت تأتي لها بالمأكولات ، لان أهل هذه الأخت كانوا بعيدون عنها ، فتقول : بأني لم أكن أشعر بالغربة لأني أصبحتُ مُظلّلة بأيدٍ حانية» .

ـن شهيدٍ الىٰ آخر والمُقَل غارقة بالدمع والقلب مكتوي بنار المصيبة لفقد رجال العراق المصلحين .

استمرت (أُم سعد) في دربها ومنهجها الذي ماحادت عنهُ أبداً حتىٰ توّجتهُ بالشهادة المُرّة .. فهي شجاعة مقدامة لم تتردَّد في تنفيذ أي عملٍ ينفع الإسلام ويحارب الكافر صدام ، وكانت مستعدة لشراء السلاح بأموالها واعطائه لابناء العقيدة المجاهدين ..ساعدت الكثير وهي لاتعرف عنهم سوىٰ أنهم مؤمنين ، تقضي جُلَّ وقتها في تفقُّد المحتاجين ، ولا وقت محدّد لديها لمساعدة الصالحين فهي تخرج في جوف الليل – إن استدعىٰ الأمر – تتنقّل هادئة وقوره وعيناها تفيضان بنشوة الحب والسعادة .

حاول أزلام النظام إعاقتها ومن ثم محاربتها ، فأمّا الىٰ عبادة الصنم وأما الىٰ الموت المُحتّم ، إلّا أنها لم ولن تبالي فهي في شغلٍ شاغل – عن هذه التهديدات – هو للناس أهم وللإسلام أنفع .

واشتد إوار نار حقد النظام علىٰ سلوة الروح ، سيّما بعد وقفة العز مع مرجعها وقائدها السيد الصدر ورفيقتها ورائدة مسيرتها العلوية (بنت الهدىٰ) ، فهي معهم في المحن الطاغيات والمصائب الحالكات[1] .. واستمرت علىٰ منهجهم حتىٰ بعد رحيلهم الىٰ الملكوت بعد الجريمة الكبرىٰ التي نُفِّذت بحقهما[2] ..

لذا اعتقلوها عام ١٩٨٠[3] واقتادوها الىٰ مديرية (الأمن) العامة ، وكانت صامدة

١- لم تزل (أُم سعد) تتردّد علىٰ منزل الشهيد الصدر – في الوقت الذي تخلّىٰ وتفرّق عنه الكثير الكثير من كبار علماء الحوزة وكوادر الحركة – حتىٰ في فترات الحجز والأقامة الاجبارية . فقد كانت حريصة علىٰ الاطمئنان عليهم واستلام التعليمات منهم

٢- هذه الشهيدة الجليلة وإن تغنّىٰ بها أيتام ومجاهدوا العراق لكننا نأسف لعدم وجود دراسة مستقلة واضحة المعالم تجمع مآثرها وتُنقِّب عن جهادها وآثارها – سيّما من أقلام اللاتي عاصرن حركتها وقربها من الشهيدة بنت الهدىٰ.

ونحن إن كنّا قد مررنا علىٰ الشهيدة العزيزة مرور الطيف الشفاف فذلك لشحّة المصادر أولاً ، ولان مشروعنا اقتصر علىٰ رشفة حركة شهيداتنا المنسيات ثانياً .

٣- اعتقلت الشهيدة سلوىٰ البحراني يوم الأول من جمادىٰ الآخرة عام ١٤٠١ هـ وقبل ذلك كانوا قد قتلوا أخيها المرحوم سعد البحراني – اشتباهاً – بسبب العملية البطولية التي نفّذها ابنها سعد – طالب في كلية الطب (جامعة بغداد) – حينما أنزل حكم الاسلام والشعب بالمجرم البعثي المعروف «ج.ح» في منطقة الكرادة خارج (الناظمية) ببغداد .

شامخة كالجبل الأشم .. ولمّا لم يجدوا وسيلةً لإرعابها وسحب الاعترافات والأسرار منها قرّروا تصفيتها كي لا تكون (بنت الهدىٰ) أُخرىٰ في العراق !

وهكذا ، فبعد يومين من الاعتقال أعطوها طعاماً من (لبن) كربلاء المسموم وأطلقوا سراحها !!

وماهي إلّا أيام حتىٰ بدأت المعاناة المُرّة جرّاء ماسبّبتهُ سموم الأمويين في روحها وجسدها .. حيث تغيّر الجسد سراعاً وتغيّر الوجه تباعاً ، وشُلّت يداها وقدماها وتساقط شعر رأسها .. وبالتدريج فارقت النوم وفقدت طعم الاطعمة ومذاق الأشياء !!

ذبل الأمل الزاهر وتحوّل الثغر الباسم الىٰ لوحة هادئة ، فكلّت يد الخير وتوقفت تلك السيدة الفاطمية عن الحركة والنشاط بعد أن صارت بخطواتها الثكلى كالخيال ، وفشلت كل محاولات الأطباء لشفائها .. غير أن هذا العذاب الذي لازمها قرابة (٤٥) يوماً لم يمنعها عن الصبر والاحتساب وعدم الشكوىٰ .

نعم .. طال بسلوتنا الوجع وصارت طريحة الفراش ، وباتت لحظة الموت لها أشهىٰ اللحظات !

سَكَنَ ارتعاد الأطراف وهدأ وجيف القلب وفاضت الروح الطاهرة[١] راضيةً مأنوسةً بما ينتظرها من نعيمٍ وبارىءٍ رحيم[٢] .

قتلوها بالسم .. قتلوا خديجتنا وأُم سعدنا وكافلة أيتامنا .. قتلوا السلوىٰ فغابت أكُف العطاء كما تغيب شمس الشتاء ، فعمَّ الحزن وخيَّم الكَدَر .

---

١ - استشهدت السيدة الفاضلة (سلوىٰ البحراني) يوم العشرين من رجب عام ١٤٠١ هـ.

٢ - تقول الأخت الفاضلة (أُم علي):

«اعتقلت الشهيدة يوم الأول من جمادىٰ الثاني ، وبعد يومين من الاستفسارات التي لامعنىٰ لها أطلق سراحها بعد أن سُقيت الس[...] من قبل جلاوزة نظام البعث العفلقي الذي اتّخذه اسلوباً جديداً للموت البطيء .
خرجت من المعتقل ، وبعد يومين بدأت تعاني من آلام وتشنجات في القدمين ثم ازداد الألم حتىٰ فارقت الرقاد وشلّت أرج[...] وتساقط شعر رأسها وبدأ احساسها يضعف بعض الشيء وصوتها يخفت شيئاً فشيئا ، وحتىٰ نفسها بدأ يضيق فاضطرّ الأط[...] اجراء عملية لها .. ولكن استمرت حالتها في التدهور حتىٰ استشهدت في العشرين من رجب».

قتلوك أُختاه .. قتلوكِ لأنكِ بنت الفضيلة وهُم أوغاد الرذيلة .. قتلوكِ لأنك الأمل الذي ينتظر أيتامنا وأراملنا ليدفنوا فيه كُل الألم .. هُم البعث ، وكفىٰ بذلك جُرماً .

دعيهم يقتلوك أيتُها الحبيبة الخالدة ، فمازالت شفاه أرامل بغداد وأيتامها تتغنىٰ باسمك ، ومازالت مخدّرات العراق تفتخر لشموخك .. فسلامٌ عليكِ يوم تجرّعتِ السم الزؤام ويوم أرتحلتِ ويوم تُبعثين حيّةً محبورةً بما لقيت من أجرٍ وثواب و **﴿ولايحسبن الذين كفروا إنّما نُملي لهم خيراً لانفُسهم ، إنما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**[1]

وإنّ غداً لناظرهِ قريب[2] .



(١) آل عمران : آية ١٧٨ .

(٢) «ما عساي أقول فيك وأعمالك نواطق .. وذكرياتك مواثل .. في كل زاوية ومكان .. وكل طفل أغدقت عليه بحنانك .. وكل أرملة شهيد وقفت الىٰ جانبها أمثال خلودِلك .

كيف أرثيك بكلماتي وهل هناك رثاء أكبر من كلمة (أُمّاه) ارسفها بدموعي في وجه التاريخ .. أو هل يكفي بكائي عليك العمر كله ؟ كلا وألف كلا .. فلقد أبيت ان لا أرثيك إلّا بالدم ، أجريه أنهاراً مع أبنائي ، فوق سهول بلادي ، بل أتسلق القمم الثلجية في كل الوديان واصرخ ملأ حنجرتي «الله أكبر» ولتنفجّر شلالات الدم من تحت الاقدام ، ولتغرق كل الوديان بالاحمر القاني .. وليستنكر كل العالم هذا اللون .. ليس مهماً ، فستستمر مسيرة الدم في كل الاتجاه حتىٰ يبزغ فجر الإسلام ويغطي كل الارجاء ..

أمّاه .. عمّ أحدثك ، والإسلام مازال غريباً والحسين صريعاً والطفل ذبيحاً .. ومازال ركب السبايا يدار في طرقات الكوفة ، وبقاع الإسلام تُسلب يوماً بعد يوم .. أمّاه .. كيف أرثيك ووفود الشهداء تتابع سيرها للانضمام اليكم .. كيف ارثيك ورسائلنا اوصلها الشهداء اليكم .. كيف ارثيك والرثاء معناه انني سكنت الى الدنيا .. معناه .. ومعناه .. لا ياأمّاه لن ارثيك إلّا في ظلال البنادق وفي دخان القنابل .. لن ارثيك إلّا بصواريخ الحق .. لن ارثيك إلّا بجوارحي كلها وهي تنتفض علىٰ جور الجائرين ..

أمّاه صورتك تتراءى لي في كل زوايا فكري ، ويرافقني صوتك في كل وجودي ، واراك ضاحكة مستبشرة تنهيني في كل اللحظات أن اكون حزينة .. وتبشرينني كل حين بأن فجر الإسلام قريب وقريب .. أمّاه واعاهدك علىٰ السير في درب إلهي .. وقارع دوماً جلادي ، حتىٰ ينتصر الإسلام .. حتىٰ ينتصر الإسلام ..» .

شيماء ، مجلة المجاهدة ، العدد (٤٣) ، رجب / ١٤٠٤هـ .



الشهيدة سلوى البحراني (ام سعد) مع الشهيدة العلوية (بنت الهدى)

في الحج عام ١٩٧٤ م

الملحق

لم يباشر النظام العراقي باستخدام صواريخه المُحمَّلة بالمواد والغازات الكيمياوية السامة في الحرب المفروضة علىٰ إيران ولا علىٰ في المناطق الكردية في شمال العراق أو الشيعية في الجنوب إلّا بعد أن اجرىٰ مئات التجارب والاختبارات الكيمياوية والبيولوجية الناجحة علىٰ المجاهدين الاسلاميين المغيبين في سجن (أبو غريب) وفي سجون المخابرات السرّية والذين قد تم الحكم عليهم في محكمة (الثورة) العسكرية جوراً بالاعدام شنقاً .

إلّا ان تنفيذ الاعدام كان يُرجىٰ للبعض منهم لا رحمةً بهم وإنما لجعلهم حقول تجارب بدلاً من فئران المختبرات البيضاء المستوردة ..

وكم أجرىٰ المجرم الدكتور (فهد الداتوك) ومجاميعه البحثية مثل تلك التجارب والاختبارات علىٰ الإسلاميين في قاعة البحوث - السيئة الصيت - التابعة لمنشأة المثنىٰ العامة الكائنة (٤٠) كم عن مدينة سامراء والتي جعلت من انتاج حبوب الحنطة المسمومة والمواد الكيمياوية المستخدمة لمكافحة الآفات الزراعية غطاءً لانتاجها الريادي النمطي - المحظور - للغازات والمواد الكيمياوية السامة وتوريدها الىٰ وزارة الدفاع ودوائر الاستخبارات لاستخدامها فيما بعد ضد إيران لتفادي الاندحارات التي شهدتها الفيالق والقطعات العسكرية العراقية إثر الهجمات الكبيرة الناجحة التي قامت بها قوات الحرس والجيش الإيراني .

وقد زودت دول حلف شمال الأطلسي العراق - وعبر شركات أوربية متعددة - بما يحتاجه من المواد الكيمياوية السامة والمحظورة والأجهزة المتطورة المصنِّعة لها .. كما استمرت كل من بريطانيا وأميركا والمانيا الغربية وفرنسا[1] بتوريد المواد الكيمياوية السامة والمسرطنة[2] الىٰ العراق وعلىٰ مدىٰ سني الحرب الثمان ..

---

(١) نشرت صحيفة صندي تايمز في عددها الصادر في ١٩٩١/٨/٤م وصحيفة الحياة - لندن - في عدديها ١٩٩١/٣/٣م و ١٩٩٢/٤/٢٣م فضائح ملف تصدير المواد الكيمياوية المحظورة دولياً الىٰ العراق ، كما نشرت جلسات الاتهامات ونتائج المحاكمات بهذا الصدد .. كما نشرت تلك الصحف تقرير مراقبي الأمم المتحدة الى الأمين العام (بيريز ديكويلار) في ١٩٨٧/٥/٢٣م الذي أثبت تلك الفضائح لدىٰ لجان التفتيش التابعة له .

(٢) مثل غاز الخردل وغازات الأعصاب كالتابون والسارين والـ (BZ) وغيرها .

ولم يكتف العراق بذلك ، بل وأجرىٰ مئات التجارب البيولوجية[١] علىٰ المجاهدين الإسلاميين المحكومين بالاعدام في مركز البحوث الخاصة الكائن (١٥) كم عن مدينة سماك باك - جنوب بغداد - والذي اشرف عليه حينذاك المجرم برزان التكريتي .. ولايخفىٰ علىٰ الموظفين - رجالاً ونساءً - العاملين في ذلك المركز السرّي مدىٰ وحشية المشهد الذي كانوا يُجبَرون علىٰ حضورهِ لمشاهدة المحاكمات الصورية وعمليات الأعدام الفورية في القاعة (المكعّبة) والتي طالت العديد من الموظفين الذين لحقت بهم تهمة تسريب المعلومات خارج المركز .

بل وكم استخدم أزلام مديريات أمن النظام - وعلىٰ وجه الخصوص مديرية (الأمن) العامة ببغداد (الشعبة الخامسة) - هذه الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية علىٰ مجاهدينا وزينبياتنا - في سني الثمانينات الأولىٰ - كأسلوبٍ فاعلٍ وسريع للتخلص من السجناء الإسلاميين بعد أن وضعوا لهم في الطعام واللبن مادة الزرنيخ أو الثاليوم أو بعض مشتقات السيانيد (سيانيد البوتاسيوم وسيانيد الصوديوم) .. وقد لاقىٰ الكثير من السجناء المؤمنين حتفهم بهذا السلاح الفتّاك[٢] .



١ - الأسلحة البيولوجية : هي ميكروبات وبكتريا وفيروسات مستخلصة من سموم بعض النباتات والأعشاب والحيوانات . وهي لاتقل في خطورتها عن الأسلحة الكيمياوية .

٢ - نشرت مجلة الشهيد في عددها (٢١٠) الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٥م نماذج من شهداء السموم . وهم :

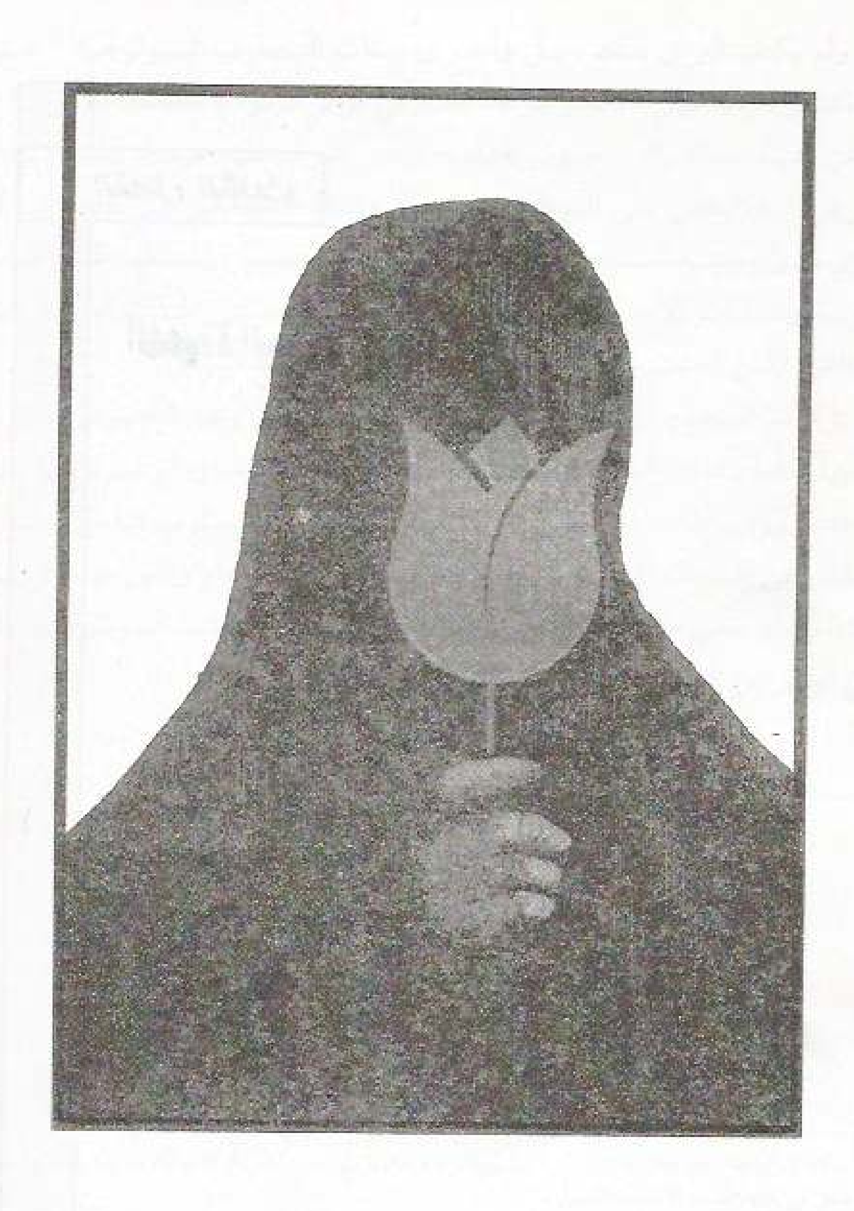
أ - الشهيد الدكتور عصام علي حسن الكربلائي .

ب - الشهيدة (أم توفيق) عام ١٩٨٤م .

ج - الشهيد الحي (أبو مشتاق) الذي أنجاه الله من كيد الأعداء .

الفصل الثالث

الشهيدة السعيدة «أم عارف»



الشهيدة السعيدة (ام عارف)

أطلّت سنوات الشباب علىٰ (هاشم) وهو مجاهد راسخ الخطىٰ علىٰ درب المرجع الشهيد الصدر .. أوقاته غارقة بالنشاط والحركة المنظمة ومكتبته تعجُّ بالكتب الرسالية الهادفة .

وافق بعد إلحاح من والديه علىٰ الزواج ، فاختار مَن هي عون له في نهجه ودربه الشائك .. فتاة ولدت من رَحِم المحنة والمعاناة وعُرِفت بالإيمان والوعي وكره أزلام البعث .. زينبية تعلّمت من قسوة الأيام الصبر وتجرُّع مرارة الأحزان ..

رُزِقا بطفلٍ أسمياه (عارف) تيمُّناً بالداعية الكبير الشهيد عارف البصري الذي نفّذ فيه حكم الاعدام الجائر مع رفاق دربه (قبضة الهدىٰ) عام ١٩٧٥م .. عاشوا حياة هانئة ملؤها الاصلاح والعمل الجهادي والتنظيمي الهادف .

تمر الشهور والسنين و(أُم عارف) برفقة زوجها علىٰ وئام والتئام تُشاركه نشاطه وحركته بحيوية ووعي ، فهما قد سلكا درباً غارقاً في الآمال والآلام ..

لم يفلت البيت الهادىء من مراصد مرتزقة البعث وأزلام نظامه بعد أن سحبوا اعترافاً من أحد القابعين في زنانين جحيمهم .. فدخلوا البيت بزيٍّ متنكرٍ (موظفوا دائرة الكهرباء) فاعتقلوهم واقتادوهم الىٰ مديرية (الأمن) العامة بعد أن فرّقوهم عن طفلهم الرضيع «عارف» !

أدخلوها غرفة التحقيق ومزّقوا زوجها أمامها .. انقضّوا عليه بجولاتٍ من التعذيب بربريّة وبوسائلٍ وأدواتٍ مغولية ، كان جسمه متدلّياً من سقف الغرفة القبيحة ، وكانت عيناه معصّبتان .. بَيْد ان كل ذلك لم يوهن من صبرها واحتسابها ، سيما وان البطل «أبو عارف» قد سطّر صوراً بطوليةً من الصمود وعدم الاعتراف .

حاولوا معها وبشتىٰ طرق الترغيب والترهيب علّهم يحصلوا علىٰ أسماء وعناوين بقيّة أعضاء الخليّة الحزبيّة ، لكنهم لم يحقّقوا ما كانوا يأملون !

كانوا يضعونها - بعد كل جولة تعذيب - في زنزانةٍ انفراديةٍ صغيرة تسمىٰ (المحجَر) ، فتقضي نهارها صياماً وليلها صلاةً ..

جنَّ جنونهم لأنّهم عجزوا عن تحريك لسانها أو ترهيب قلبها لانتزاع الاسرار ، ولمّا يئسوا قتلوا زوجها ورتّبوا مسرحيّةً لتبرأتها ثم إطلاق سراحها ، فانتقموا

منها .. وأيّ انتقام !

فقبل إخراجها من زنزانتها أعطوها طعاماً ولبناً مسموماً ثم أُطلق سراحِها لتسارع الىٰ بيتها تتفقّد رضيعها .. قبّلتهُ بشفاهٍ راجفة وبعيونٍ كغيوم الشتاء .

إلّا أنها وقبل ان تملأ من رضيعها عينيها أو تسُدَّ رمقهُ من حليبها الذي فارقهُ - عارف - اسبوعاً ونيف بدأت اطرافها ترتعش وجسدها يميل الىٰ الوهن والخمول ! وما هي إلّا أيام حتىٰ رحلت .. نعم رحلت فالتحقت روحها بأخواتها «أُم سعد» و «أُم توفيق» وعشرات المجاهدات اللاتي قُتلن بجنودٍ للبعث من لبن !!

وهكذا استشهدت «أُم عارف» مثلما استُشهد زوجها ، وتركا طفلاً لم يبلغ عامهُ الأول .. هكذا سقطت الزنبقة الغضّة قبل أوان الخريف .

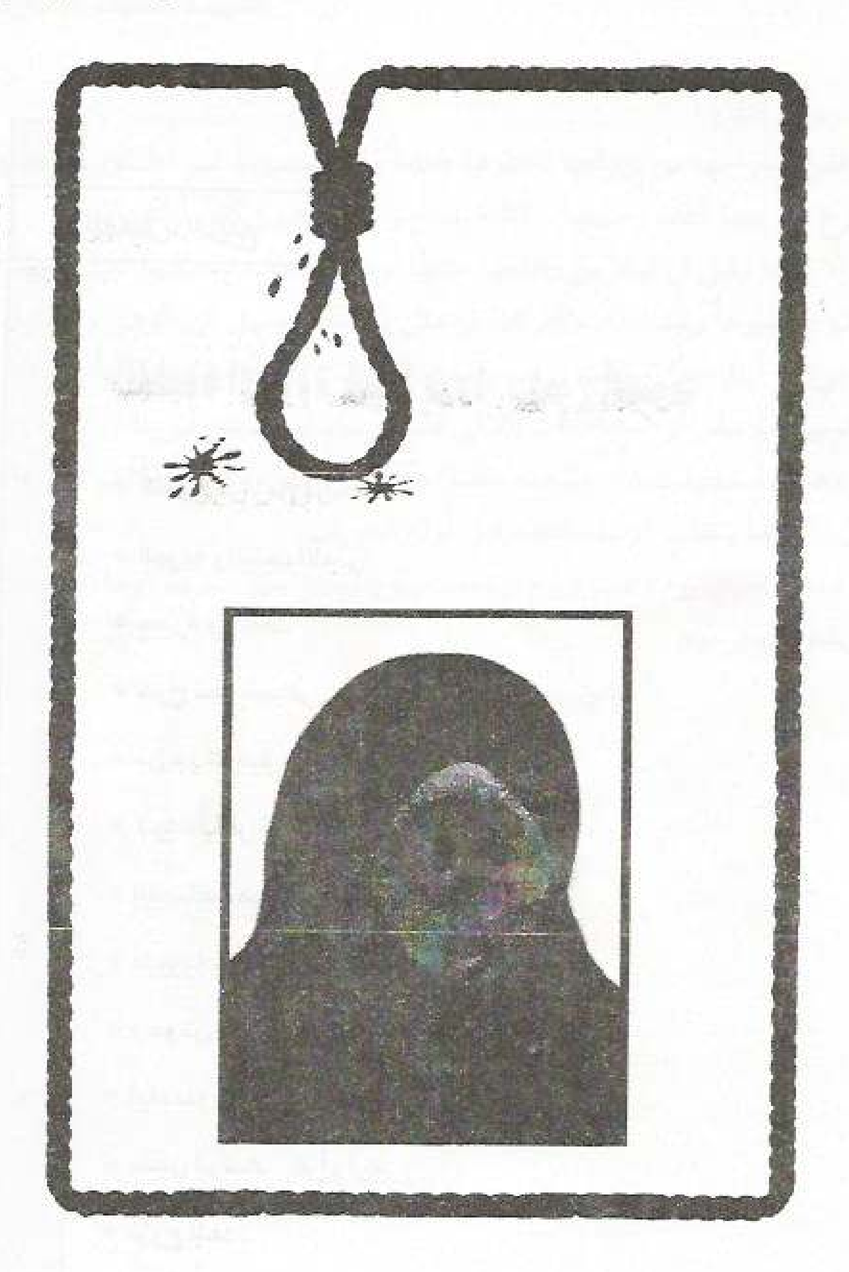
فسلامٌ عليك يوم ولدتِ ويوم ارتحلتِ ويوم تُبعثين حيّةً سعيدةً ، وما ربك بغافلٍ عمّا يفعل المجرمون .



الفصل الرابع

الشهيدة الأُستاذة سميرة عودة .. شموخ الجنوب

* شموخ في زمنٍ مُر ..
* الهوية والملف الأمني
* سيرة وصفات
* جُرح نجمٍ مُسافر
* مَن هو الرفيق سلام ؟
* لأجلك ياعراق ..
* القصاص من قتلة هابيل
* مديرية جهنّم البصرة !
* وحوش شرسة ولبوة صامدة
* أيام بلون الدم ..
* سجن الرشاد .. إقرأ وأرقَ
* نزرع للغد ..
* شهيدة البصرة الغضبى



الشهيدة السعيدة سميرة عودة

- إيمان حبيبتي ، هذه ساعة الفراق .. أستودعك الله الذي أرجو أن يُلهمني الصبر علىٰ فراقكِ ، فهو أدرىٰ بما أُعاني .

الشهيدة الأُستاذة سميرة عودة

- أخي .. لن يجتث أشواك عِراقك غيرك .

من وصايا الشهيدة السعيدة سميرة عودة

- الأُستاذة سميرة بطلة لم أرَ مثلها أبداً .

أم الشهداء السجينة (أُم رعد)

- كانت الشهيدة سميرة قمّة في كل شيء ؛ في العبادة والوعي والشجاعة والتواضع .

السجينة نهلة هادي نجف

- أوصيكم بتقوىٰ الله والجهاد في سبيله ، لان ذلك منهاج السُعداء وطريق الأتقياء .

الشهيدة سميرة لحظات التوديع في سجن الرشاد

- حكمت محكمة الثورة بالاعدام شنقاً علىٰ المجرمة الخائنة (سميرة عودة) لمحاولتها القتل المُتعَمّد ولانتمائها الىٰ حزب الدعوة العميل .

المجرم قاضي محكمة (الثورة) العسكرية

الاهداء

الى التي علّمت الرجال معنى القصاص ..
الى وميض الأمل في دنيا الذُل والظلام ..
الى الفارسة في زمن الاطلال ..
الى الراحلة في تجارةٍ لن تبور ..
الى الباقية مع العراق وشمس الأبد ..
أهدي صوراً من سيرتك المجهولة .

شموخ في زمنٍ مُر ..

مع رموز قوافل الفجر الصادق كانت جولتنا ، وعلىٰ مياه شط العرب رسىٰ [ز]ورقنا .. حيثُ اللآلىء المنضودة علىٰ شاطىء الشهادة المنسي ، وما أكثرها ..

إنها البصرة .. مدينة الديار الجريحة التي عاشت – كما العراق – عمراً من القمع [ال]سياسي لم تعهدهُ طيلة سني قهر حكومات الجَور المتعاقبة ..

فهلُمَّ معي – أخي القارىء الكريم – لنُبحر في أعماق الزمن الجديب حيث [ع]جاف السنين المُتلفة وصليل الجِراح النازفة ، نستذكر قسوتها ونستعيد شقوتها ..

[تع]ال معي لنشمَّ عبير وردة زينبية من قافلة شهداء الحرية .. بطلة عاشقة للنهار ، لم [تث]نِه بُعد المسافات ، تأخُذَكَ الىٰ غير مكان وزمان ، رَفعت راية الرفض الحسيني [أين]ما حَلّت أو ارتحلت ؛ في (الهارثة) و(المعقل) و(الجمهورية)[١] ، وفي زنازين [م]ديرية (أمن) البصرة وغُرف الاستخبارات العسكرية وطوامير الشُعبة الخامسة [في ب]غداد ثم في (الرشاد وأبو غريب) .. لم يهزّها سَوط جلّاد ، ولم تعطِ بيدها إعطاء [الذ]ليل ، حتىٰ سقطت علىٰ مذبح العقيدة فَراشةً تسقي تُراب العراق بدم الشهادة الذي [است]حال شُعلةً تُضيء الدرب لأحرار الغد ، رسمت لوحةً رائعة من مواقف الشموخ [و]الاستبسال لتكون – بحق – مَعلَماً لعطاء المرأة العراقية المسلمة .

إنها الأُستاذة الفاضلة (سميرة عودة) التي مثّلت القيمة القمّة في ريادة مسيرة الجهاد والاستشهاد ، في البصرة الذبيحة ، وبلغت محل الذروة مع أخوة الدرب الصاعد ، درب الزمن الجليل .. وأيّ زمنٍ أجلّ وأثمر من زمن الصدر وبنت الهدىٰ .

إنها (أُم إيمان) المثكولة التي ضحَّت بكلّ شيء – حتىٰ برضيعتها – لتحفر في [أخ]اديد جراحها تاريخاً نسوياً للبصرة الغضبىٰ في مرحلةٍ هي مِن أقسىٰ مراحل [الص]راع وأعتىٰ جولات المنازلة .. فَحَقَّ للبصرة أن تفخر بشمس تضحياتها ما بقي العراق وشمس الأبد .

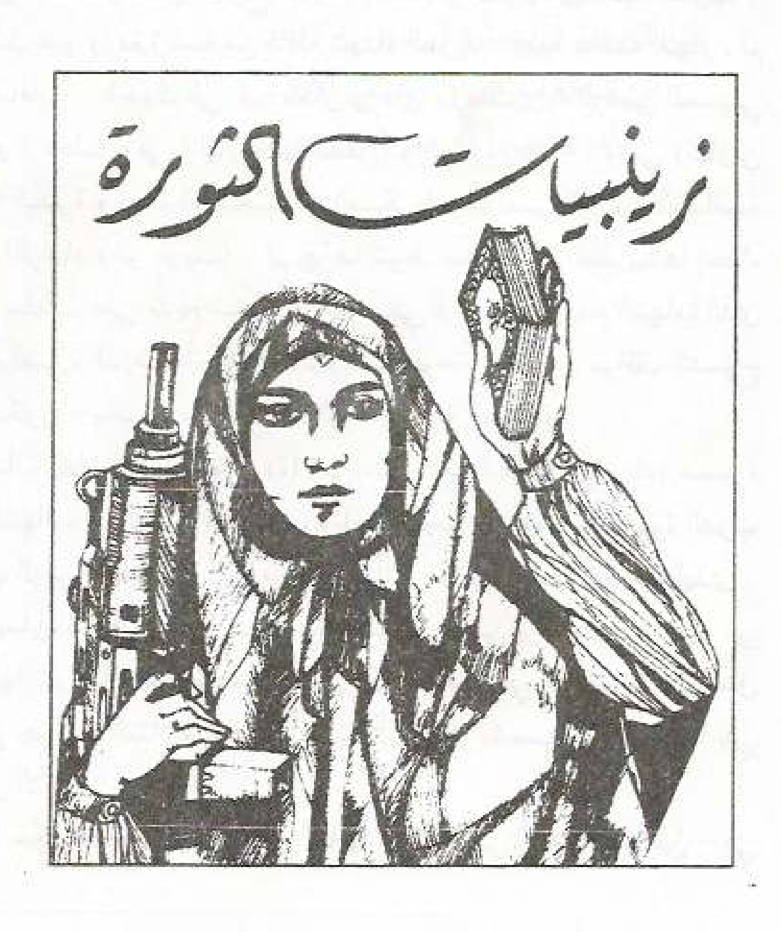
نعم ، إنها حكاية فارسة جديرة بأن تُطأطأ لها الرؤوس إجلالاً .. ونحنُ – في

---

[١] [ن]احية ونواحي في محافظة البصرة .

الحقيقة - لم نلج سوىٰ بعض محطّات حياتها الجهادية الواسعة .. ولم نأتِ إلّا علىٰ أطراف سيرتها المنسيّة وبطولاتها المجهولة ، وذلك بسبب شحّة المصادر وترهُّل الضمائر التي لم تُحركها حتىٰ حكايات أسراب البَجَعْ الطافية علىٰ حبال مشانق (أبو غريب) !

فحدِّثينا ياطيور الزمان .. حدِّثينا يانوارس الشطآن .. حدِّثينا عن (أُم إيمان)..



الهوية والملف الأمني

الاسم : سميرة عودة المنصوري .

المواليد : ١٩٥١م / البصرة .

المستوى الدراسي : خرّيجة جامعة البصرة - كلية الآداب ، قسم اللغة العربية .

الحالة الإجتماعية : متزوجة من الشهيد الأُستاذ (عبدالأمير) أحد كوادر الحركة الإسلامية - الجناح العسكري .

عدد الأطفال : طفلة (إيمان) عمرها حين اعتقال أُمها (١٨) شهراً .

تاريخ الاعتقال : ١٩٨١/٢م .

التهمة السياسية : الأنتماء الى حزب الدعوة الإسلامية ، ومحاولة قتل عضو قيادة فرقة في تنظيمات حزب البعث الحاكم - فرع البصرة .

جهة الأعتقال : مديرية (أمن) البصرة .

الجلّاد : الرائد مهدي الدليمي والنقيب حسين التكريتي .

تاريخ المحاكمة : ١٩٨٢/٢م .

تاريخ الأعدام : ١٩٨٢/٩م .

محل الأعدام : سجن (أبو غريب) المركزي - قسم الأحكام الثقيلة ، قاطع الأعدام .

محل الدفن : وادي السلام في النجف الأشرف .

سيرة وصفات

سميرة فتاة سمراء جميلة الملامح بشوشة المُحيّا باسمة الثغر وسيمة القوام ، انتمت منذ ولادتها الىٰ الجنوب المُعدَم ، امتازت منذُ صِباها بالذكاء والفِطنة .. نشأت في زمن الجدب وكَبُرَت في سني الظُلم ، فهي لم تكن عن عباب المحنة بعيدة بل هي بنتها التي اكتوت بنارها وتغذّت من آلامها ..

عندها شجاعةٌ فريدةٌ تدعو الىٰ الإعجاب والانبهار ، هادفة فـي كُـلِّ شـيء ، جمعت من طيب الصفات ومكارم الأخلاق مايدعو للاكبار ، عزم وإباء كبير .. واسعة الذهن عميقة الرؤىٰ ، محبوبة الطبع قريبةٌ من قلوب الجميع ..

من عائلة مؤمنة مجاهدة ، فالابوان لم يتوانا في حمل هم الإسلام المذبوح في العراق ، لِذا بذلا الجهد الجهيد والنُصح السديد لتربية أبناءهم علىٰ حب الخير ومحاربة الظُلم ..

تخرَّجت من الأعدادية لتدخُل جامعة البصرة – كـلية الآداب ، حـازت عـام ١٩٧٣م علىٰ شهادة البكالوريوس قسم اللـغة العـربية لتـمارس مـهنة التـدريس والتثقيف لبنات مدينتها وبراعم محلتها ، عُيّنت في متوسطة الهارثة[1] ثم انتقلت – فيما بعد – الىٰ إعدادية القناديل للـبنات . تشـهد لهـا جـميع هـيئات التـدريس بالكفاءة والاخلاص ..

ولأنها أدركت – في وقت مُبكِّر – صراع الحق ضد الباطل ، انتمت لصـفوف الحركة الإسلامية المتمثلة حينذاك بحزب الدعوة الإسلامية كما هو حـال أغـلب أفراد عائلتها ، فغدت الأُستاذة الفاضلة وفي عينها يتألق عزّ المؤمنين وفي سلوكها يرتسم إباء المجاهدين .. عاشت جِراح دينها وآلام شعبها ، فكانت بعض أحاديثها مع طالباتها وزميلاتها دروساً في الحجاب والأخلاق مثلما البعض الآخر دروساً في الجهاد ورفض الظُلم .. فكم أوقدت في دروب الضائعات شموعاً ، وكم أشعلت في قلوب المؤمنات قناديل فكرٍ وحماسة .

---

١ – تقع إعدادية الهارثة في ناحية الهارثة شمال كُرمة علي .

لذا فإن حركة الأُستاذة سميرة وجهادها لم يكن مجرّد فورةٍ حماسيةٍ طارئة لا تلبث أن تهدأ ، بل هي منهج واثق الخُطىٰ ثابت المعالم ، جعلها من الرائدات اللاتي شاركن في البيعة وتجديد العهد للمرجع القائد السيد الصدر الذي ملأ وأُخته المربية بنت الهُدىٰ عليها حياتها ومُجمل حركتها ، فقادت فتيات الرفض - أغلب أخواتها وبعض زميلاتها وطالباتها - في بيعة التحدّي .

عبد الأمير .. جُرح نجمٍ مُسافر

الأُستاذ عبدالأمير ؛ مجاهد عرفتهُ ساحات الصراع في البصرة سيّما منطقة (المعقَل) .. بدأ شبابه داعية في صفوف الحزب حتىٰ غدا نجماً في سماء البصرة الصابرة ، تخرّج من جامعة البصرة ليُعيَّنَ مُدرِّساً في إحدىٰ إعداديات ناحية المعقل ومن بعدُ في إعدادية الجمهورية في حي الجمهورية .

مُجاهد مُستبسل خاض العديد من المواجهات المسلحة ضد أزلام (أمن) النظام ومرتزقة ما يُسمىٰ بالجيش الشعبي وأردىٰ العديد منهم قتلىٰ وجرحىٰ ..

لم ينس الأستاذ عبدالأمير نصيبهُ من الدُنيا ، فقرّر أن تكون لهُ أُسرة مؤمنة مجاهدة كغيرة من شباب الإسلام ، فصار يُفتِّش عن الزوجة الصالحة التي تؤمن بحركته ومسار حياته ، سيّما وهو ليس من الذين يعتبرون الزوجة جسداً يُغطّي حاجات الرجل ، بل هي أمٌ لأبطال عراق الغد[1] .. فاهتدىٰ - وبمشورة المؤمنين ورفاق الدرب - الىٰ الأُستاذة المجاهدة (سميرة) .

لم تتردّد سميرة في الموافقة بعدما وجدت - هي وأهلها - في عبدالأمير ماضياً وتاريخاً جهادياً يفخر به كل نبيل .. تعاقد الزوجان - بل هكذا تعهّد القلبان - علىٰ سنّة الحق ، وأقسما علىٰ أن يكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً مهما كانت الظروف مادام الحق مُظاماً والقانون مُضيّعاً .

---

(1) «لكنّ تستطعن ان تربين اطفالاً يحفظون آمال الأنبياء» من خطاب للإمام الخميني ﵀ .

إنتقلت سميرة الىٰ عشّها الزوجي في منطقة (حي الشهداء)[1] بالمعقل ، وصارت تُدَرّس في إعدادية (خولة بنت الأزور) القريبة علىٰ محل سُكناها الجديد .. وتمر الأيام والشهور وسميرة تملأ عش الزوجية دفئاً وحناناً وسعادة ، لقد ازهرت نطفة حبهم في أحشائها جنيناً ، وكانت الزهرة (إيمان) .. إيمان التي ستكون يوماً ما وريثة مجدٍ عظيم وحاملة همٍّ كبير .

ويمر الزمن سريعاً وتتزاحم الاحداث الكبيرة ، وما ان بزغ فجر الثورة الإسلامية في إيران[2] حتىٰ استيقظت الهمم والإرادات في مدينة البصرة ومدن العراق المجاهدة تنشُد الخلاص من هذا الجَور العاتي الذي صار يفتك بخيرة شباب هذه المدينة الشامخة بطريقةٍ وحشيةٍ مُمَنهَجة .. وكانت ضريبة الأُستاذة سميرة أن تدفع الىٰ الشهادة أخاها الشاب (زكي) مع كوكبة من خيرة شباب البصرة الشمّاء بِمَن فيهم أزواج أخواتها .

كانت المرحلة كربلائية ساخنة حيث أضحىٰ الصراع مع حكومة الكفر في بغداد مصيرياً والنزال مُقدَّساً ، لذا كانت حركة الزينبيات في خط الجهاد والاستشهاد - في عموم محافظات العراق المجاهدة - مع أُخوانهم الرجال جزءاً لايتجزّأ من ضرورات المرحلة لأُمّةٍ مُسلمةٍ متوجهةٍ نحو الله .

كانت وفود البيعة من جميع مدن العراق الابيّة تُطلُّ بيت الإمام الصدر ليل نهار ، لقد جعلت منه كعبة الآمال .. في الوقت الذي جنّد السيد كافة طاقته ودُعاته وعشّاقه لتأييد الجمهورية الإسلامية والذوبان في ولاية قائدها الإمام الخميني .. وبعد أشهر حدث ما كان متوقعاً ، حيث قام نظام بغداد فجر يوم ١٧ / رجب / ١٣٩٩ هـ بأعتقال الإمام الصدر الذي أُطلق سراحه في نفس اليوم إثر الانتفاضة الجماهيرية الغاضبة في النجف الأشرف وبغداد والبصرة وأماكن أخرىٰ[3] .

بَيْد أن نظام البعث الحاكم قد قام بحملات اعتقال واعدام وحشية طالبت الآلاف

---

١ - الاسم الحالي لـ(حي الشهداء) هو حي مسلم بن عقيل .

٢ - الأحد ١١/٢/١٩٧٩م.

٣ - بدأت الإنتفاضة الرجبية الثلاثاء ١٤ / حزيران / ١٩٧٩م.

من أبناء العراق الصالحين ، الأمر الذي جعل الإمام الصدر يُعلن – ببيان تاريخي – عن الثورة والعمل السياسي المسلح ضد السفاكين والجزارين لازالة هذا الكابوس الجاثم عن صدر العراق الحبيب ، مؤكداً أنهُ قد صمّم علىٰ الشهادة .

لِذا فقد قُدِّر للأُستاذين (سميرة وعبدالأمير) من مواكبة أكثر فصول المعركة دمويّة وأبشع مراحلها دماراً ، حيث خيَّمت المحنة الحمراء بكُلِّ ثقلها علىٰ البصرة وبقية محافظات الوطن سيّما وقد نفَّذ النظام البعثي جريمته الكُبرىٰ باعتقال المفكّر الكبير المرجع السيد الصدر[1] ومن ثُمَّ إعدامه[2] مما دعىٰ الإمام الخميني – فيما بعد – لإعلان الحِداد ثلاثة أيام في إيران[3] ، تَبع ذلك بأشهرٍ إلغاء الطاغية صدّام لاتفاقية الجزائر التي وقعها مع الشاه[4] وشن حربه البعثية العدوانية علىٰ إيران الثورة الفتيّة[5] ممّا جعل الغيارىٰ من شباب الإسلام يبذلون الغالي والنفيس ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الخلاص وتحرير الشعب من جبروت الفرعون .. فتصاعَدَت العمليات الجهادية والاستشهادية علىٰ أوكار ومؤسسات حزب السلطة في الداخل وسفاراته التجسّسية في الخارج ..

ومن العمليات البطولية التي شهدتها البصرة – والتي لم يُكتَب لها النجاح – تلك التي استهدفت السيطرة علىٰ مبنىٰ الاذاعة والتلفزيون في منطقة (القبلة) وبنفس الوقت السيطرة علىٰ مبنىٰ مديرية (أمن) البصرة وعلىٰ المراكز الحسّاسة الأخرىٰ تمهيداً للسيطرة علىٰ المدينة بالكامل .. حيث تمّ تحديد ساعة التنفيذ[6] ، وأُختيرت أكفأ كوادر الأجنحة العسكرية في تنظيمات حزب الدعوة الإسلامية / فرع البصرة ، فقد كان الحزب في تلك الفترة قوياً جداً وخطوطه الجهاديّة في قمّة نشاطها .. ومن مفاخر هذه المحاولة الجريئة أن اشتركت ثُلّة من فتيات الإسلام في المجموعة التي

١- ١٩٨٠/٤/٥م.
٢- ١٩٨٠/٤/٨م.
٣- ١٩٨٠/٤/٢٢م.
٤- ١٩٨٠/٩/١٧م.
٥- ١٩٨٠/٩/٢٢م.
٦- ١٩٨٠/١٠/٢٢م .. بعد بدء الحرب العدوانية بشهر فقط .

كان من المقرر لها السيطرة علىٰ مبنىٰ الاذاعة والتلفزيون ، ومن ضمنهن المجاهدة الشهيدة (ليلىٰ)[١] أخت الأُستاذة (أُم إيمان) ، والتي كان معها كل من الزينبيات الشهيدات سناء وهيفاء وحياة وأختان من (جُنينة) أحدهما طالبة في كلية الطب اللاتي لبسن الأكفان تحت الثياب وغسلن غسل الشهادة وخرجن ليوم التنفيذ ، بيد أن ظاهرة الاختراق المألوفة - بوجود أحد المندسّين - قد جعلت دوائر (أمن) النظام ترصد كل تحركاتهم بعد أن تركتهم يُرتِّبون كل شيءٍ[٢] .

وما أن اقتربت ساعة التنفيذ حتىٰ انقضّوا عليهم واعتقلوهم جميعاً ، فخسرت الحركة الإسلامية أعداداً كبيرةً جداً من كوادرها الجهادية وأجنحتها العسكرية[٣] .

بيد أن كل ذلك لم يوهن عزيمة البطلة الأُستاذة (أُم إيمان) حيث لعبت - في تلك الفترة - دوراً مهماً في تعبئة طالباتها وبنات جيلها .. فقد نُقِل عن طالباتها أنها كانت تستثمر حصص التدريس لاستعراض غايات ثورة عاشوراء وما تحمل في طيّاتها من دلالات ومسؤوليات ، فهي ما برحت تحُذِّر براعم المستقبل من الأفكار الخادعة والانتماءات المشبوهة كالانتماء للحزب الحاكم وللاتحاد اللاوطني لنساء العراق - بالتلميح مرّة والتصريح أخرىٰ - كانت تمتلك القدرة علىٰ اختيار الكلمات المؤثرة التي تزرع العزم والحماس في العقول والقلوب وتبعث الهمّة ، سيما أنها وبالرغم من صغر سنّها فقد كانت لطالباتها وبنات جيلها كالأُم الرؤوم لان «التواضع

---

١ - الشهيدة ليلىٰ عودة ، العمر (١٨) سنة .. إمتازت بمواهب متعدّدة سخّرتها جميعها في خدمة الإسلام .

٢ - تم تعذيب وقتل الزينبيات عرايا ، ودفنوهم في مقابر مجهولة .

٣ - كانت الخسائر في كوادر وخطوط تنظيمات حزب الدعوة الإسلامية فادحة رُغم أن قرار العملية لم يكن قرار قيادة الحزب في طهران وإنما قرار قيادة الحرس الثوري في جيش الجمهورية الإسلامية وبالتنسيق مع عدد من قادة ومسؤولوا الحزب في البصرة .

يقول عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية الأُستاذ السيد هاشم ناصر الموسوي (السيد أبو عقيل) .

«نعم إشتركت خطوط أساسية من تنظيمات الحزب في البصرة بهذهِ العملية الشجاعة الكبيرة التي خُطّط لها بعد بدء الحرب العدوانية المفروضة علىٰ الجمهورية الإسلامية بقليل والتي كان من المُقرّر أن تصاحبها عمليات هجوم جوي علىٰ أهداف أمنية وعسكرية حسّاسة تابعة لقوات النظام في البصرة .. وتوثيقاً للحقيقة نقول أن هذه العملية لم يكن للدعوة فيها قراراً ، فهي ليست قرار الحزب بالرغم من أن مخطّطوا العملية كانوا من (الدُعاة) أمثال الشهيد السيد حسين الحلو (السيد أبو خالد الحلو) والشهيد الدكتور شاكر صيهود وآخرين ، وهم قادة خطوط عسكرية ومسؤولوا خلايا تنظيمية ، بَيْدَ أن التنسيق لم يتم مع القيادة المركزية للحزب والتي بدورها لم تعطِ قراراً بالعملية ولم تتبناها» .

لا يزيد العبدَ إلّا رِفعةً»[1] ، لذا صارت مهوىٰ أفئدة المؤمنات والضائعات في آنٍ واحد .

سميرة وبالرغم من كل تلك المسؤوليات لم تترك زوجها دون إسنادٍ ومساعدة ، كانت تشاركه معظم نشاطاته وجهاده ، حتىٰ اضحت شاهدة شهيدة قبل أن تنال وسام الشهادة .. فهي ترصد له تحرّكات وعناوين المجرمين ، من أزلام أمن النظام ومرتزقته من أعضاء ما يسمىٰ بالجيش الشعبي ، ترصدهم بدقّةٍ وتجعله يجهز عليهم – هو ورفاقه – بسهولةٍ ويُسر ، حيث صارت هي وزوجها شبحي رُعب لهذين الجهازين في خارطة جهاد البصرة وأصبحا شمساً في سمائها الغضبىٰ .

بَيْدَ أن طريق الجهاد شائك محفوف بالمخاطر ، فقد كَمِنَ لزوجها أزلام (أمن) البصرة أثناء قيامه – هو ورفيقه – بإحدىٰ جولاته السريّة وكانا راكبين دراجةً .. ولأن الأسد كان يقظاً ومسلّحاً لم يتمكنوا من إصطياده بسهولة ، فقد حصلت مواجهة مسلّحة بين البطلين وأزلام النظام قُرب مستشفىٰ الموانيء تمكنّا خلالها من حصد وجرح عددٍ منهم ، بيْدَ أن نفاذ عتادهما مكّن الاوباش من تطويقهما فسقطا شُهداء ملحمة بطوليةٍ حمراء يعرفها أهالي البصرة[2] .

وهكذا خسرت البصرة نجماً ساطعاً أضاء سماءها حيناً ثم ارتحل .. بَيْدَ أن معاول المصيبة لم تنل من ثبات هذه الزينبية الرائدة ، بل زادتها إصراراً وتحدّياً .. لذا صار أوغاد (أمن) النظام يطاردونها فاضطرت الىٰ ترك البيت والمدرسة ومن ثم الاختفاء والتنقُّل سرّاً من مكانٍ لآخر ..

أخي القاريء الكريم ؛ أحسَب أنك أدركت الآن – وبهذا الايجاز – مَن هي الأُستاذة أم إيمان .. بيْد أنك سترىٰ وبالرغم من كل ما سبق أن بطلتنا الفاضلة لم تختفِ لأجلِ الخلاص والدِعَة ، وإنما لمواصلة الدرب حتىٰ نهايته ، بل سترىٰ أن الفرق بين (أم إيمان) وبين الكثير من الأخوات المؤمنات كبير فهو كالفرق بين

١- حديث شريف ، مستدرك الوسائل ، ج ٧ / ١٦٠ .

٢- قبل أن يُفرغ المذعورين رصاصهم الحاقد في جسد البطلين ، كانوا قد قتلوا وجرحوا العديد من الأبرياء المارّة ، ممّا جعلهم يدّعون أن هؤلاء خمينيون أطلقوا الرصاص على الناس عن عَمْد !!

الزينبية الثائرة العاملة وبين المؤمنة الرافضة الراكدة ! لأنها فهمت الصلاة والعبادة عملاً وجهاداً لا قياماً وقعوداً فحسب[١] لذا فهي لم تَزل تُردِّد عبارتها المعروفة أينما رحلتْ واستقرّتْ : «أخي المجاهد ، لن يجتثّ أشواكَ عِراقِكَ غيرُك» بل لطالما كانت تُردِّد آية النفير[٢] في أحاديثها وحواراتها ..

نعم ، كان باستطاعتها الاختفاء والعيش بهدوءٍ ورغد مع طفلتها وذكرياتها ، لكنها لم تزل تسمع أينما ذهبت وَجَع التراب وأنين الأمهات وآهات الشيوخ ، حيث غاصت البصرة بجوٍّ من الرُعب رهيب ، سيّما وقد صار الفرعون في أعتىٰ غطرسته وجبروته بعد أن قدّمت له دول الاستكبار وعملاؤهم بالمنطقة كلَّ دعمٍ وإسناد ، فقام يتبجّح بتقسيم إيران الىٰ دويلاتٍ متعدّدة[٣] !!

ولستُ أخشاكَ جُرحاً تحت خاصرتي ... وفي الفؤادِ جِراحٌ مالها عددُ

ولستُ أحلمُ أن أغفو على رغدٍ ... فلستُ أعرفُ ما الدنيا ؟ وما الرغدُ ؟[٤]

بَيْدَ أن الأُستاذة المجاهدة (أُم إيمان) تبحث عن هدفٍ يهز الضمائر ويُفجِّر الطاقات . وبعد بحثٍ واستقصاء قرّرت قتل أحد المرتزقة المجرمين ويُدعىٰ (سلام) الذي كان الرابط مع نقيب (أمن) البصرة المجرم (ماجد) .. بعثي قديم جَسَّمَ نموذج الشر تجسيماً ، يقوم بتجنيد الخونة والمأجورين للفتك بالأبرياء المؤمنين .. وبسبب عيونه السرّية وتقاريره الحزبيّة إزداد عدد الضحايا واتسعت مساحة الحزن في أزقّة المدينة ، حيث كان له دورٌ مهمٌّ في رصد المجاهدين والغدر بهم ، فكثيرٌ هم الذين وقعوا صرعىٰ غدر هذا المعتوه الذي استمرأ الرذيلة ، وكان الشهيد الأُستاذ (عبدالأمير / أبو إيمان) أحد ضحايا غدره !!

---

١ - (ليس الصلاة قيامك وركوعك ، إنما الصلاة إخلاصك) . (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم) . (تفكير ساعة خير من عبادة سَنة) . (الفقر هو الموت الأكبر) . (الفقير غريب في وطنه) . (وجُناة أيديهم لاتكون لغير أفواههم) .. الإمام علي عليه السلام نهج البلاغة .

٢ - ﴿إلّا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله علىٰ كلّ شيء قدير﴾ التوبة / آية ٣٩ .

٣ - (إننا مضطرون لأن نُقسّم إيران الىٰ دويلات متعددة) . (نحن عازمون علىٰ تقسيم إيران الى دويلات متعددة) .

٤ - من قصيدة «كتابات علىٰ حَذق التاريخ» للشاعر العراقي جواد جميل .

مَن هو الرفيق سلام ؟

هو مدير إعدادية الجمهورية للبنين في ناحية الجمهورية[1] ، إنحدر من قضاء
القرنة الىٰ المدينة .. عضو قيادة فرقة في تنظيمات حزب البعث الحـاكـم / فـرع
البصرة .. مجرم صادَقَ الباطل مُذ عرفه ، مرتزق تمرَّس الخسّة وكره أهـل الديـن
... في الطبع ، محتال لا يحمل من معاني الرجولة والشرف أكثر ممّا تـحمل
الخنازير ، تحوّل الىٰ مخلب ذئب للحزب ولقوىٰ (الأمن) الحاكمة ، ملأ حياته آثاماً
وصفحاتٍ سوداً .. ولا غاية له إلّا الرتوع في قمامة الدنيا وسراب الأنا ..

ظل الرفيق سلام يعيث في الأرض الفساد ، بلا رادع من ديـن ولا وازع مـن
ضمير ولا حياء من الناس أو خوفٍ من رقيب ..

أما (أم إيمان) فاستمرّت تُحرِّض علىٰ إيقاظ النخوة في الضمائر الحرّة ، بعد أن
... بعض الجمود علىٰ الحركة بسبب الاعتقالات المستمرة والاعدامات المتواصلة
... هي كالسراب يحسَبُه الضمآن ماءا ! ﴿قل إن الموت الذي تفرّون منه فأنه
ملاقيكم﴾[2] بَيْدَ أن بطلتنا سميرة وبالرغم من رضيعتها التي لم تتجاوز العامين والتي
... للتوّ أباها ، رأت أن الواجب الشرعي يدعوها للعمل بكـل مـا فـي وسـعها
للتخلّص من رجس هذا المجرم المتفرعن[3] ، بل رأت أن جرحها في زوجها صغير
... جِراح العقيدة التي تزفت من ضحايا أبناء شعبها الذين بذلوا أرواحهم رخيصةً
في سبيل الله والوطن .

فلم يبق أمامها إلّا طريق واحد للأقتصاص من هذا المـجرم ، هـو أن تـحمل
السلاح لوحدها وتقتلهُ بيدها ، سيّما وقد درّبها زوجها الشهيد علىٰ مثل هذا الأمر
مراراً وتكراراً .

فعلامَ تماطل نفسها – إذَن – بالانتظار والمُهَل وقد إنقطعَ عنها الأمل ان لم تنفِّذ
حكم الله العادل بهذا الغادر ، وهي ترىٰ ما يفعله بالابرياء والأحبّة !

---

[1] ... نادي الإدارة المحلّية .

[2] سورة الجمعة : ٨ .

[3] ... المرجع الشهيد الصدر قبل استشهاده : «علىٰ كُلّ مسلم في العراق وعلىٰ كلّ عراقي في خارج العراق أن يعملَ كُلَّ ما ... ولو كلّفه ذلك حياته من أجل ادامة الجهاد والنضال لازالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب وتحريره من العصابة ... وتوفير حكمٍ صالحٍ فذّ شريف طيّب يقوم علىٰ أساس الإسلام» شعبان / ١٣٩٩ هـ .

لأجلك ياعراق ..

إنه موقف مليء بالدلالات والعِبَر ، درس عميق المعاني باهظ الثمن .. بيد أن الذين وعوهُ قليلون ! إنّه درس الأقتصاص من المجرمين وعدم تركهم يعبثون بمصائر الآدميين ، سيّما وهي تعلم جيداً أن هذه العملية ستفتح عليها أبواب الجحيم في زنزانات الارهاب العفلقي ! بَيْدَ أن دماء الشُهداء لن تمضي بلا ثمن ، ولن ينام الغادر دون عقاب .

نضجت الفكرة وباشرت (أُم إيمان) – مع قِلّة العدد وخُذلان الناصر – في ترجمة خطواتها الىٰ واقعٍ ملموس.. فحاولت دراسة الظروف المحيطة بالهدف قبل ساعة التنفيذ بيومٍ فقط .. فعصّبت رأسها الشامخ بفوطةٍ سوداء وارتدت عباءةً قديمة وبَدَت كأنها من نساء الريف المسحوقات اللاتي حُرِمنَ من فُرص التعليم والعيش الرغيد ، ودخلت المدرسة في محاولةٍ لضبط كل ما يتعلّق بالعملية تمهيداً لأنجاحها .

قابلت هذه المرأة الريفية المدير ترجوه الموافقة علىٰ نقل ابنها الىٰ هذه المدرسة .. وكان جوابه المقتضب أن تأتي غداً ومعها المستمسكات لينظر في الأمر .

خرجت الأُستاذة الفاضلة مساء ذلك اليوم في نزهةٍهادئة مع ابنتها (إيمان) .. كانت تُطيل النظر اليها تتأملها وتعبث بخصلات شعرها الصغير الناعم ، والطفلة منفكّة تداعب لعبتها الصغيرة غير مكترثة بالقدر الذي سيحرمها غداً من بقايا عش الحنان بعد أن فقدت أباها قبل أشهرٍ قليلة مضت ..

لم تنم الأم تلك الليلة – ليلة التوديع – فهي بين راكعة وساجدة ومتضرعةٍ الىٰ الله الذي يعلم آلامها لفراق طفلتها التي كانت تغط بنوم هادىء .. كم لثمت في تلك الليلة صغيرتها ، ترنيمة البراءة وواحة السكينة التي تملأ عليها ليل وحشتها وتدفع عنها أحزانها .. ورُغم لوعة الفراق القادم فلم تكن لوحة الحب تمنعها عن الاقدام علىٰ ما صمّمت .

فرغت أُم إيمان من صلاة الفجر وجلست قرب آلة التسجيل تحكي وصيّتها ..

كانت مجموعة نصائح ومواعظ تؤكد فيها علىٰ مواصلة الطريق وعدم التخلّي عن الجهاد مهما بلغت التضحيات .. ثم أوصت أهلها وأهل زوجها أن يواصلوا العناية والرفق بابنتها ، فإنها ابنة الشهيدين ، وشدّدت أن تكون تربيتها إسلامية واعية ، ثم ختمت حديثها بقولها : «إيمان حبيبتي ، هذه ساعة الفراق ، أستودعك الله الذي أرجو أن يُلهمني الصبر علىٰ فراقك ، فهو أدرىٰ بما أُعاني» .

وبزغت شمس الصباح وكتمت الأُم رغبةً جارفةً بالبكاء وهي تُسلِّم رضيعتها الىٰ أهلها وتلقي نظرة الوداع الأخير عليها لأنّ (إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة)[1] .. خرجت والحسرات تكاد تُمزقها .. وشيئاً فشيئاً انتظمت أنفاسها وخطواتها ..

إنطلقت البطلة نحو الهدف ، تصارع الباطل وتتحدّىٰ الطغيان في وقتٍ كان بعض المؤمنين قد رفعوا التقيّة شعاراً وجعلوا التورية قُطب الرحىٰ لتصرفاتهم بعد أن انكمشوا وأنزووا في بيوتٍ يعدها العدو أوهن من بيت العنكبوت .. لقد آثروا السلامة والدعة رغم حملات سحق الكرامات وانتهاك الأعراض والحرمات !

إنطلقت الزينبية للأخذ بالثأر ، لا لأخيها وأختها وزوجها فحسب ، بل لدماء المظلومين التي ما توقّف نزفها منذ زمن قابيل .. إنهُ القصاص لقتلة هابيل .

القصاص مِن قَتلة هابيل

وَثَبتْ اللبوة الىٰ وكر المجرم ، وهي ترتّل بهمس ﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ..﴾[2] .

سمحَ البوّاب الجالس عند مدخل الإدارة بدخول المرأة القرويّة بعد أن عَلِمَ بموعد مقابلتها .. ولجَت غرفة المدير الذي كان منشغلاً في حديث مع معاون المدرسة في أمورٍ إداريّة .. تمرُّ الدقائق وعينا أم إيمان شاخصتان الىٰ ساعة الجدار ،

---

١ - الإمام الصادق عليه السلام ، الوسائل ٢/٦٢٩ .
٢ - سورة آل عمران : ١٧٣ .

فهي قد اختارت وقت التنفيذ حينما يكون الطلبة في صفوفهم ، وها هو الوقت يوشك على اقتراب الفرصة الفاصلة للدروس .. تقدّمت نحو المدير وقطعت حديثه قائلة :

- عفواً أستاذ ، جئت البارحة بخصوص نقل ابني لمدرستكم و ...

قاطعها بتجهُّم واستعلاء :

- اي نقل ؟!

- بالأمس جئت وقلت لي تعالي غداً ومعك المستمسكات .

- صحيح .. صحيح ، تذكرت .. واين المستمسكات ؟

- حاضر أستاذ .. هامي .

نظرت الأُستاذة سميرة الى المعاون فلم تجد عنده رغبةً أو أملاً للخروج فدسّت يدها في حقيبتها الصغيرة بكُلّ هدوءٍ وسكينة ثم أخرجت المسدس وصوبته نحو رأس المدير .

فَغَر المدير فاهُ اندهاشاً واحتقنت عيناه رُعباً من وقع المفاجأة .. حاول وبحركة جنونية – القيام عن كُرسيّه ، كان مذعوراً .

- إجلس في مكانك ولاتتحرك ، وإلا افرغت الرصاص في رأسك ..

- أختي (شنو) القضية ، اكيداً (اكو) اشتباه ؟!

- لا ، لايوجد اشتباه رفيق (سلام) ..

- مَن انتِ ؟

- انا زوجة الأستاذ (عبدالأمير) .

- أستاذ عبدالأمير ؟! المدرِّس الذي مات قبل اشهر ؟

- نعم .. أستاذ عبدالأمير ، المدرِّس الذي قُتل بسبب غدركم وشرّكم .

نظر إليها بحقدٍ دفين وقال :

- اذ.. انتِ الأُستاذة سميرة ؟!

- نعم ، انا الأُستاذة سميرة .

حاول المعاون – الذي مازال فاغراً فاه متسمّراً في مكانه – أن ينزلق نحو

الباب ، لكنها منعتهُ وأجبرته على البقاء في مكانه دون حراك .

حدّق المدير المجرم في وجهها بغضبٍ وخوفٍ شديدين ، ثم صار يتوسّل بها :

- أختي .. انه عندي اطفال .. عندي عائلة و...

- وهل الذين غدرت بهم ليس لديهم أطفال او زوجات !

- انا لا علاقة لي بما حدث لزوجكِ.

- وانا هنا لا لأجل الثأر لزوجي فحسب ، بل لكل الأبرياء الذين غدرت بهم ولكُلّ الأرامل اللاتي ثكلت باعزائهن .

صرخ المعاون متوسلاً وموضحاً أنه بريء من تلك الدماء ولا علاقة له بأمر زوجها والآخرين ..

نظرت اليه اللبوة برفق وطمأنته ان الأمر لا يعنيه .

قد يتخيّل المرء مدى الرُعب والهلع الذي أصاب المدير المجرم ، هذا القرد المُستأسِد .

إقتربت البطلة (أُم إيمان) من المجرم أكثر والمسدس مازال مصوباً نحو رأسه ، وصرخت في وجهه :

- ايها المجرم الجبان ، احسبت ان تنجو من غدرك اللئيم ، خُذ جزاءك بالدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وأشد ..

وأجهزت عليه مصوّبةً الإطلاقة الىٰ رأسه ، بَيْدَ أنه وفي هذه اللحظة أخذ الخوف والرعب منه مأخذاً فلم يستطع مواجهة المشهد فاستدار صارخاً متوسلاً محاولاً الهرب ، فاستقرّت الرصاصة في أسفل رقبته لتحمل له تذكرة جهنم ثمناً لدماء المؤمنين .. كانت الإصابة قاتلة مُميتة ، فسقط مُضرّجاً بدمه .. فأجهزت عليه بالطلقة الثانية لكنّ الرصاصة حُشِرت في رئة المسدس ولم تخرج من الفوهه !!

خرجت البطلة (أُم إيمان) من إدارة المدرسة بحشمة ووقار ، ثم قطعت باحة المدرسة بِخُطىٰ سريعة .. بَيْدَ أن صوت الإطلاقة وصراخ المعاون جعل عدداً من الطلبة يركضون خلفها وهم يصرخون : «خمينية ، خمينية .. قتلت المدير الخمينية !!» .

هرولتْ نحو باب المدرسة الخارجي وتمكنت من الافلات لولا أن لَحق بـ
فَصيل من الهمج الرُعاع ، فحاصرها الباعة الموجودون عند باب المدرسة وبعض
النساء وتمكنوا من القبض عليها !

نعم وربي ، إنهم همجٌ رُعاع غاصوا بالجهل والظلام فاستحالت عليهم رؤية
الحق .. وصاروا يضربونها بعشرات الأيدي القذرة قبل أن تصل سيارات
(الأمن) والشرطة .

فتنازَعت أحشاءها حِرَق الجوىٰ ... وتجاذبت أيدي العدو رداءَها
عجباً لحلم الله وهي بعينِه ... بَرزت تطيل عويلها وبكاءَها
ويرىٰ من الزفرات تجمع قلبها ... بيدٍ وتدفع في يَدٍ أعداءها[1]

وهكذا سجّلت الأُستاذة المجاهدة (سميرة) أسمىٰ آيات الوفاء لدماء
الشهداء ، حيث عمّت الفرحة قلوب ثكالىٰ وأرامل هذه المدينة الحزينة اللاتي
فُجعن بأعزائهنّ علىٰ يد هذا وأمثاله من المرتزقة الأذلاء ..

فأصبح موقف هذه العراقية المخلصة - فيما بعد - مَعلماً لمواقف العاملين من
الزينبيات والمجاهدين تتناقله ألسُن الطيبين - بفخرٍ واعتزاز - الىٰ أبد السنين .

مديرية جهنّم البصرة !

أخي القارىء الكريم.. حينما نتحدّث عن مديرية (أمن) البصرة إنّما نتحدّث في
الحقيقة عن خدورٍ مُزّقت وأعراضٍ أنتُهكت ولَبواتٍ دُفِنت ، نتحدّث عن خنازير
وأوباش لايرعوون عن هتك حُرمة أو تمزيق ستر .. أجلاف شِداد غِلاض ، ماتت
الكرامة في ضمائرهم وأندثر الشرف في أصلابهم وعشعشت الرذيلة في قلوبهم
ذوي نزعات لا إنسانية إنحدرت بهم الىٰ صفوف الوحوش الضارية ..

وإن ما سنذكره - في هذه العجالة - عن مجرمي هذه المديرية إنما هو بعض

---

١ - من قصيدة للسيد حيدر الحلي .

من تاريخ أولئك البرابرة وَرثة فاضل حميدي الزرگاني – جزّار البصرة – الذين كانوا ومازالوا يمارسون القتل والتشويه بأبناء شعبنا الأبي الذي لم ولن ينسىٰ جرائمهم وما جنت أيديهم . ولَعذاب الآخرة أخزىٰ وأمَرّ :

* الرائد مهدي الدليمي : معاون مدير (أمن البصرة) عام ١٩٨٠م ، ومدير (أمن) مدينة الثورة ببغداد عام ١٩٨٤م ، قصير القامة ممتلىء الوجه عصبي المزاج حاد النظرات .. قاتل مُحترف وسفّاح مُنحرف ، اشتهر بتعذيب المجاهدين مخموراً ، يُكثر التعذيب بالكهرباء وبالعصا (التوثيّة) ، خنزير لا آدمية فيه .. من أبرز صفاته الدنيئة – وهي كِثار – انه جبان رعديد مشهورٌ بألفاظه القذرة وعباراته الدنيئة .

* النقيب حسين التكريتي : مُجرم جزّار متخصّص بكسر عِظام القفص الصدري ، فقد إشتهر بتحطيم أضلاع القفص الصدري لكل مجاهد صامد وهو مُستلق علىٰ ظهره بمؤخرة قدمه ، مِمّا يُسبّب نزفاً وألماً لا يُطاق[1] .

* النقيب إبراهيم اللامي : قاتل مُتمرّس ، ذو طِباع تترفّع عنها الضِباع .. إشتهر بما يُسمىٰ (الفَلقة) ، لايترك الضحيّة حتىٰ يتطاير اللحم من أسفل قدميه .

نال جزاءَهُ العادل عام ١٩٨٠م علىٰ يد المجاهد البطل (مُسلم المياحي الوافي) ، حيث جاء المجرم بصحبة مُرتزقته ومفرزته الىٰ بيته ليعتقله بطريقة الـ (خمس دقائق) ، بَيْدَ أن البطل لم ينخدع ، فقد تهيأ لاستقبالهم فأرسله قتيلاً الىٰ جهنم وبئس المصير .

---

[1] من ضحايا هذا النوع من التعذيب هو الشهيد البطل (ن . ض كريم عبدالجبار) الذي امتاز بطول القامة وقوة الجسد .. جاءوا به عام ١٩٨١م من قاعدة الشعيبة الجوية ، فصمد أمام جميع وسائل التعذيب فضربه هذا المجرم المتوحش علىٰ صدره وكان معصوب العينين وكَسّرَ أحد أضلاعه ، فلازمه الألم طيلة فترة التوقيف – قبل الاعدام – فذاب جسده وصار هزيلاً ضعيفاً .
ومن الطرائف التي نقلها السجين (أبو اسلام المياحي) عن الشهيد : أنه كان وبالرغم من الألم الذي يعانيه يُمسك بقضبان الزنزانة ويتحدىٰ الجلادين يومياً ، حيث يصيح بهم بطريقة ساخرة وبصوتٍ جهوري : «ياجلادين السلطة البعثية ، ليش هيچ إتسوون بيه ، ضربات وتعليگ وآله كهربائية .. چي آنه من حزب الدعوة الإسلامية !» فكنّا بين مُنشرح الصدر مسرور بهذا التحدي البطولي وبين حزين يبكي لفقدان هذا النوع من رجال العراق .

* النقيب كريم[1] مجرم متوحِّش لا يرعوي عن فعل شيء ولم يتوانَ عن استخدام أبشع الوسائل لسحق صمود المجاهدين ..

قام عام ١٩٨٢م بتعذيب أحد المجاهدين . فلمّا صمد قام بتعرية زوجته وتعذيبها أمامه ! فلمّا صمدت اللبوة كما صمد الأسد قام بتهديدهم بقتل طفلهم الرضيع !! فاحتسبوا الىٰ الله يوصي أحدهم الآخر بالصبر وحُسن مآب .. فضربَ الرضيع في الجدار وقتله في الحال !

* النقيب ماجد : مجرم خبيث وماكر حصيف ، عُرف بالذكاء والدهاء .. يُلقّب بـ (الكومبيوتر) لقوة ذاكرته في حفظ أسماء المجاهدين والمعتقلين والشهداء . وسامة المَظْهر ساعدته في إخفاء وحشية المَخْبر وخِداع عدد من الشباب وتجنيدهم كمرتزقة وعيون .. مُتخصِّص في تطويع بعض المعتقلين الضُعفاء وزرعهم كجواسيس بين المؤمنين السجناء .

* * *

سيق علىٰ أيدي هؤلاء الأجلاف القتلة آلاف المؤمنين الىٰ الموت الأحمر بعد أن أذاقوهم كأس الموت الزؤام غُصة بعد غُصّة .

وهاهي الأُستاذة الفاضلة (أُم إيمان) بين أيديهم !! رائدة من رائدات الأخلاق والفضيلة قادها الامتحان الإلهي لزنزاناتهم مثلما قادت الأقدار – ذات يوم – زينب الحوراء أُخت الإمام الحسين عليه السلام الىٰ ديوان يزيد !!

---

١ – شارك عام ١٩٨٠م بمحاصرة واعتقال الشهيد البطل الدكتور شاكر صيهود (أحد أبطال تنظيمات الداخل فرع البصرة والرابط بين حزب الدعوة وقيادته بإيران ، يسكن قضاء كرمة علي .. عُمل بسرّية وخفاء عن عيون دوائر (أمن) البصرة .. أثناء وقوفه وصديقه عند محطة بنزين ساحة سعد رآه الشرطي (حسن) وأخاه اللذان بدءا يصرخان أن هذا الدكتور شاكر صيهود ويطلقان الرصاص عليه فما كان من البطل سوىٰ قتل الشرطي وإعاقة أخيه وقد تسبب تبادل النار الىٰ نسف محطة البنزين . بَيْد أن المفارز التي حاصرتهما تمكنت من إصابته ، وقبل أن يُمسَك طلب من زميله الشهيد أن يقتله ليقتل الاسرار معه ، فامتنع مما اضطر أن يقتل نفسه بَيْد أن الاطلاقه أصابته في عينه .. أمسكوا بالبطل الجريح وقتلوا صديقه – أثناء المواجهة الباسلة – فتعرض الىٰ تعذيب شديد أُرسل بعده الىٰ بغداد ليخضع للتحقيق والتعذيب علىٰ يد لجنة مختصّة .. أثناء ذلك نشرت مجلة (ألف باء) الحكومية إشاعة غريبة مفادها ؛ أن المجرم شاكر صيهود استطاع الهرب الىٰ فرنسا بعد أن تنكّر إثنان من زمرة حزب الدعوة العميل بزي أطباء وأخرجوه من المستشفىٰ الذي كان يتلقىٰ فيه العلاج ، وانهُ صرّح بخروجه من الحزب بعد أن اكتشف ارتباطاته المشبوهة !! وكان عنوان هذه الاشاعة : (أخطر رجل في حزب الدعوة يعترف) . تعرّض الشهيد البطل الدكتور شاكر صيهود الىٰ جولات مُرّة من التعذيب الجسدي والنفسي إعترف خلالها علىٰ العديد من خلايا تنظيمات البصرة كما كتم الكثير من الأسرار . تم إعدامه ودفنه في مقبرة سريّة ولم يُسلَّم جثمانه لذويه .

وحوش شرسة ولبوة صامدة

لقد مثّلوا بالفاضلة (أُم إيمان) بصورةٍ تعُفُّ عنها حتىٰ الحيوانات الدُنيا ، وكان مهدي الدليمي في طليعتهم ! كان يضربها بالعصا (التوثيّة) حتىٰ يُغمىٰ عليها ، فيرميها في الماء البارد ثُم يعاود ضربها .. حاول إستنزاف قواها بآلاته الوحشية البربرية ودون مراعاةٍ لأيّ بقيةٍ من الخُلق الآدمي ..

كانوا يأتون بها من غرفة التعذيب متهالكة فيرمونها علىٰ أرض الزنزانة الباردة التي أغرقوها بالماء البارد - رُغم برد الشتاء القارس - بحُجّة محاولة افاقتها واسترداد وعيها من أثر الغيبوبة وإغماء التعذيب ، ثم تُترك هكذا وبلا أدنىٰ غطاء .

كان صمودها إسطوريّاً ، فهي لم ولن تكشف عن أسرارها وأسماء المقرّبات منها ولا عن رفاق زوجها أبداً ..

تحكي - فيما بعد - الأُخت السجينة (أمّ نبيل)[1] نقلاً عن الشهيدة (أُم إيمان) فتقول :

«في أحد أيام التعذيب وبعد منتصف الليل جاء المجرم المدعو مهدي الدليمي ومعه بعض مساعديه وكانوا مخمورين ، قام أحدهم بتعليقي بالمروحة من شعري وصار المجرم يضربني بالعصا علىٰ جميع أجزاء جسمي بطريقةٍ وحشيّةٍ غريبة ثم استخدم الكهرباء فلمّا يَئِسَ استخدم التعذيب النفسي ، بَيْدَ أني لم ولن أعترف علىٰ أحدٍ أبداً سوىٰ مسؤوليتي في قتل المدير البعثي ، وكنتُ أثناء لحظات توقفه عن

---

[1] - أم نبيل : فتاة عراقية حُكِم علىٰ زوجها بالاعدام وعليها بالسجن المؤبد بتهمة الانتماء الى حزب البعث السوري المُنشق ضمن حملة الإعدامات التي قام بها الطاغية صدام والتي طالت العديد من الوزراء، والبعثيين القدماء المؤيدين لمشروع الوحدة الاندماجية بين العراق وسوريا والذي دمّره بعدأن أقصىٰ البكر واستولىٰ علىٰ السلطة يوم ١٦/تموز/١٩٧٩م .

وبدلاً من إرسال (أم نبيل) الى سجن الرشاد ، أُعيدت بعد المحاكمة الىٰ موقف مديرية (الأمن) العامة .. وكانت فرصة للألتقاء - عن قرب - بمنات المجاهدات والشهيدات ممّا جعلها تتأثر بهنّ كثيراً وتتحول الىٰ إمرأة مؤمنة متعبدة ، فصارت تقضي ما عليها من صلاة وصوم ولمدة (١٥) سنة .

ولأن أم نبيل لم تنتقل من (موقف) المديرية العامة لأكثر من (٨) سنوات ، فهي تُعتبر بمثابة الأرشيف الدقيق لجانب كبير من تاريخ الجهاد النسوي للمرأة العراقية المسلمة ، حيث حفظت اعتقال واعدام وبطولات الكثير الكثير من الزينبيات اللاتي مَرَرن بها . وفوق كل هذا كانت (أم نبيل) صديقة شفّافة وطنية لجميع المجاهدات والشهيدات ، وقد حاولت وبكل ما تملك من امكانيات وعلاقات - بحكم تواجدها في (الموقف) سنيناً طويلة - من تقديم العناية والرعاية والخدمة لجميع المؤمنات .

التعذيب أُردِّد آيات الذكر الحكيم وألهج بذكر الله الذي به تطمئن القلوب ، وكان تأثير ذلك علىٰ روحي عجيباً غريبا ..

كان عندما يتعب من تعذيبي يرجع الىٰ كُرسيّه ويشارك مساعديه وأعوانه القهقهة والطرائف الماجنة الفاضحة .. وبينما كنتُ معلّقة بالسقف مُتمتمة مع الذي لا إله إلّا هو ، صار يسخر منّي ويقول : «هنا يا .... الاتصالات مقطوعة ، فمع مَن تتصلين في هذا الليل ؟ فيُجيبه أحدهم ؛ سيدي .. لعلّها تتصل عِبرَ الأقمار الصناعية ، وتبدأ القهقهة من جديد وبطريقةٍ حيوانية ..

كنت – ياأُم نبيل – في شغلٍ شاغل عمّا كان يدور حولي ، لقد رأيتُ صوراً من حياة أخرىٰ ، صوراً قادمة من خلف سِتار الموت .. فكم مرّة شعرتُ بسحابة الموت قد غطّت عيناي ، ولكن الىٰ مسمعي مازال يتهادىٰ صوت (أبو إيمان) !! شغلتني صور الأحبّة والشهداء التي تزاحمت علىٰ عيني ، شغلتني عمّا يجري حولي .. لم أعُد أسمع شتائمهم وقهقهاتهم ولا حتىٰ آلام تعذيبهم .. نعم ، آلمتني الكهرباء كثيراً كان جسدي يرتعش لهذه الصواعق ويرتجف لهذا الجنون ، بَيْدَ أن الألم صار يزول ويزول كلما استحكَمَتْ روحي تسابيحها مع المعبود .

كانوا يرمون بي علىٰ أرض الزنزانة الباردة بلا غطاء ثم يرمون الماء البارد علىٰ جسدي ويقولون مُستهزئين : حتىٰ لا تخدعينا بقصة الإغماء القديمة !» .

❊ ❊ ❊

تكررت جولات التعذيب الليلية قسوةً ووحشيّة ، وتكرّر صمود البطلة قوة وعزما .. كان المجرم يُعربد بجسدها الصامد ، يُذيقه أبشع أنواع الحقد والانتقام فكانت تستقبل تعذيبه بنظراتٍ صامتة ساخطة .. لقد فشلوا في انتزاع أيّةِ معلومات مهمةٍ أخرىٰ .

أرسلَ السفّاح – صباح ذات يوم – الىٰ الأُستاذة سميرة وأجلسها علىٰ كُرسي أمامه وصار يستهزأ بها ويخبرها ساخراً أن مقصدها قد خاب وجهدها صار سراب إذ نجىٰ (الرفيق سلام) من الموت بعد أن نجح الاطباء بأجراء عمليةٍ جراحيةٍ كُبرى له وأنقذوه من فم المنية !! لكنه وبالرغم من كل تلك الجهود صار جليس كُرسيّه لا

الرصاصة قد اخترقت الفقرات والنخاع الشوكي وأدّت به الى الشلل التام .

كان يحاول اقناعها باستغلال الفرصة والأعتراف على مَن خدعوها مادامت خيوط الجريمة لم تكتمل بعد ، ولأنّ صدر القيادة واسع وقلب السيد الرئيس رحيم يغفر عن المُغرَّر بهم !!

أما (أُم إيمان) فكاد خبر عدم موت المجرم يطحنها طحناً لولا اعتقادها أن هذه خدعة جديدة يحاولون من خلالها إيصالها الى الإنهيار ومن ثم الإعتراف ..

- شوفي سميرة .. بشرفي إذا تعاونتِ معي سأساعدكِ .

التزمت السيدة الصمت ، فتابع .

- ها .. ماذا قلتِ ؟

- بماذا اتعاون معك !!

- تعرفين جيداً ماذا أريد .. إعطيني اسماء الذين خدعوكِ واعطوكِ السلاح.

- لم يخدعني أحد ، والمسدس كان لزوجي .

- لا تراوغي معي ، نحن نعرف كلّ شيء ، نعرف ان حزب الدعوة الفارسي هو الذي غرّر بكِ وأمركِ بقتل الرفيق سلام .

- لم يغرّر بي أحد ، انا الذي قررت قتله لانه كان السبب في مقتل زوجي .

- (بابا) الانكار وعدم الاعتراف ليس بمصلحتكِ !

أهملت الجواب .. فأضاف :

- زين .. إعطيني فقط اسم مسؤولكِ لأساعدكِ .

- مسؤولي هو زوجي ، ولا علاقة لي بأحدٍ غيره .

- ستخسرين ، وسيكون مصيركِ الإعدام .

- لا تهدّدني بالإعدام .

- ها ، صحيح .. أنتِ مثل أختكِ (ليلى) تعتبرون موتكم انتصاراً يُدخلكم الجنّة ! أهكذا خدعكم الطالقاني ؟! لكن اعلمي أنّكِ إن لم تعترفي وتتعاوني معي فسوف لن تنالي حتى هذه الخرافات .. لن أدعكِ تموتين وترتاحين حتى تتذوقي الموت غصّةً غصّة ، وكم يعجبني الآن ان احفر التراب وأخرج لكِ

(ليلى) لتُخبرك ماذا فعلت بها بسبب عنادها وخُرافاتها[١] .

صَمتت بإباء .. ونظرات البطلة لم تزل ساخطة ساخرة .

فقدَ المجرم اعصابه واحتقنت اوداجه وصاح بأحدهم ليُعلِّقها بالسقف ليبدأ بإشباع ساديته ووحشيته ، ولم يتركها إلا والدماء تنزف من وجهها وجسدها .. لقد عذّبها بلا شرف .

إذا بدا الصبح دَعَتْ مِن أسىً	ياصُبح لا أهلاً ولا مرحبا
أبـديت يـاصُبح لنـا أوجـهاً	لهـا جَـلال الله قـد حجبا

❁ ❁ ❁

إصبري أُختاه ، فلقد نلتِ – وربي – درجات العُلا .. إصبري ياإباء الجنوب فإن كل قطرة دمٍ نزفت من جسدكِ الشامخ لهي شُعلة نور تهدي الثوّار لطريق الشرف والتحرير ، وإن كُلَّ آهةٍ حرّىٰ من روحكِ لهي صرخة عزٍّ تستنهض رجال العراق الأبطال ، وإنّ «كُلَّ قبسٍ من النار يشعلونه ويُحرقون به الشرفاء سيكون مشعلاً عظيماً يُنير للبشر طريقهم الىٰ الحُرّية»[٢] .

أيام بلون الدم ..

بقيت (سميرة) في زنزانات مديرية دمار البصرة قرابة الشهرين .. لقد تسللت آلام الروماتزم الىٰ عِظامها لِما عانت من زمهرير الشتاء والماء البارد .. أغلق – فيما بعد – المجرم (الدليمي) ملف التحقيق بعد أن أوصىٰ بعقوبة الإعدام لاتهامها بحمل سلاح غير مُرخَّص ومحاولة القتل العمد والإنتماء لحزب الدعوة العميل للـخميني

١ – كانت الأُستاذة سميرة وأهلها يعتقدون أن أُختها (ليلى) لم تزل قيد الإعتقال والتحقيق ، فهي لم تُحاكم بعد ! لكن وحوش أمن النظام في البصرة كانوا – بين حينٍ وآخر – ينفذون مهرجانات إعدام ودفن مجاميع جهادية وبشكلٍ سرّيٍّ في صحارىٰ العراق النائية – من ضمنهم الذين يستشهدون تحت التعذيب – بعد استحصال موافقات شفهية – تلفونياً – من بغداد !! وقد نُقِل عن أحد البعثيين ، بعد أن استيقظ من خدَر الضمير ، أن أزلام ومجرموا مديرية (أمن) البصرة قد أخذوهُ مع عدد كبير من البعثيين المخلصين في الجيش (الشعبي) الىٰ جبل سنام – الكائن في منطقة صحراوية عند الطريق المؤدي الىٰ السعودية – ليحرسوا (عملية سرّية) تسرّبت مضامينها فيما بعد ، حيث تم نقل ما يقارب (٣٠٠ – ٤٠٠) شاب من بينهم عدد من الفتيات وربطوا أيديهم الىٰ الخلف وأعينهم ومن ثم قتلهم جميعاً ودفنهم في حفرةٍ كبيرة .

٢ – الأسقف الانجليزي (جون هوبر) قُبيل حرقه – من قِبل محاكم التفتيش – بلحظات .

وللفرس المجوس – علىٰ حد قوله .

نُقِلَت بحراسة مُشدّدة الىٰ مديرية (الأمن) العامة ببغداد[1] ليتم إحالتها فيما بعد الىٰ محكمة (أمن) الثورة العسكرية .. أوثقوها بالسلاسل وربطوها داخل عربة السيارة ، فكانت تُعاني ما تُعاني بسبب برد الشتاء وبُعد المسافة بلا دفءٍ أو غطاء أسوةً بسيدتها الحوراء التي نُقِلت من كربلاء الىٰ الشام علىٰ ظهور النياق الهزال .

بَيْدَ أن انتقال (أم إيمان) من زنازين (أمن) البصرة لم يكن نهاية رحلة العذاب ، بل كانت بدايتها ، لأن وحوش مديرية (الأمن) العامة لم يكتفوا بذاك القَدَر من الإفتراس والبربرية في (أمن) البصرة ! فأحالوها الىٰ غرف التعذيب في الشعبة الخامسة وأُعيد استجوابها وتعذيبها علىٰ وجهٍ أقسىٰ وأبشع !! فكانت جولات من التعذيب طاحنة مُروِّعة ..

تقول إحدىٰ الأخوات السجينات[2] :

«نقلوا الأُستاذة سميرة من مديرية (أمن) البصرة الىٰ الاستخبارات العسكرية ثم الىٰ مديرية (الأمن) العامة .. لقد أخضعوها ببغداد لصنوف الدمار والتنكيل ، فعذّبوها بالفَلَقة والعصا الكهربائية[3] ثم علّقوها بالسقف وفتحوا عليها الكهرباء ، بَيْدَ أنها كانت بطلة صَمَدت ولم تعترف .. فجنَّ جنونهم وصاروا يضربونها بأنبوبٍ من البلاستك المطّاط المملوء بالحصىٰ الناعم ، فتمزّق جلد قدميها وتهرّأ اللحم .. نعم ، لقد عذّبوا (أم إيمان) بهذه الصورة المروّعة ، لكنها صبرت ولم تعترف علىٰ أيّ شخصٍ أو جبهة أبداً سوىٰ مسؤوليتها في محاولة قتل المدير البعثي» .

أخي القارىء العزيز ، لانريد وصف ما استخدمهُ أوباش (الأمن) العامة مع اللبوة من أساليب قذرة ووسائل بشعة .. جولات من التعذيب طاحنة مروِّعة أردتها صريعة تعالج الموت الزؤام مرّات ومرّات ، لكن البطلة لم تَزل صامدة أمام المصائب

---

١ – تقع مديرية (الأمن) العامة – حينذاك – في الجهة الشرقية من شارع النضال ببغداد ، وكان مديرها العام المجرم (فاضل البراك) الذي صار فيما بعد مديراً لمديرية المخابرات العامة .. وكان هذا آخر منصبٍ لهُ قبل إعدامه .

٢ – السجينة المجاهدة نهلة هادي نجف ، التي كانت مع الأستاذة (سميرة عودة) في موقف مديرية (الأمن) العامة وفي سجن الرشاد .

٣ – العصا الكهربائية (الزنبور) : إنبوب رفيع من مادة البلاستك الصلب ، طوله (٨٠) سم ، إمتلأ تجويفه بعدد من البطاريات الصغيرة ، وقد إلتفَّ على نهايته السفلى الخارجية سلك نحاسي موصّل بالبطاريات مما يُسبّب كهربة مؤلمة وحنق نفسي شديد .

مهما تراكمت ، صابرة علىٰ الآلام مهما تعاظمت .. كانت عند وعدها وهذا شأن الصادقين .

وهكذا تَنَقَّلت الفارسة بين الزنازين الموحِشة والسجون الدامسة .. فكانت أينما تَذهب ترىٰ الوجوه مُتجهِّمة حاقدة ، تتسمَّرها وتُهدِّدها علىٰ جُرأتها في محاولة قتلها مناضلٍ لئيم ورفيقٍ مُخلصٍ قديم .

كانت غرفة النساء في ممر الطابق الثالث للشعبة الخامسة قد غصَّت بالمجاهدات اللاتي ينتظرن نوبة التعذيب ، فأنزلوها الىٰ (الموقف) في الطابق الأرضي الذي ضمَّ - حينذاك - أكثر من (٨٠) زينبية ينتظرن إعادة التحقيق أو المحاكمة ..

أنزلوا (أُم إيمان) الىٰ الموقف بأسمالٍ مُمزَّقة وكدماتٍ حمراء وزرقاء واضحة المعالم حول عينيها وعلىٰ وجهها الشامخ .. ضمَّدت الأخوات بعض جراحها ، وبقي هناك جُرحٌ آخر كان الأشد إيلاماً علىٰ نفسها فقد أجج فيها من اللوعة والحسرة مالا توصف حرارته .. فالمجرم البعثي لم يَمُت فعلاً ! لقد أنقذوه في اللحظات الأخيرة فصار قعيد بيته لايمكنهُ التنقُّل إلّا من خلال كرسيٍّ متحرِّك ..

فاضت عيونها بالدموع كأنها غيوم يومٍ شتويٍّ أرسلت غيثها بغضبٍ عارم قالت وهي تزفر بحرقةٍ وألم : «أيُعقل أنهُ لَم يَمت ؟! لقد رأيتهُ غارقاً بدمهِ يلفظ أنفاسه الأخيرة !!»[1] .

لستُ أبكي الجراح فهي فَخارُ   أنا باكٍ من أن يضيعَ الثأرُ[2]

نعم أُختاه .. لقد قال القدر كلمته الأخيرة ؛ لم يَمُتْ .

بركان من الآلام اعتمل في صدرها واشتعل الحزن في كل مكامن روحها

---

١ - ساعدكِ الله أُختاه ، لابأس عليك .. فلكِ أُسوة بأخوة الدرب السابقين .. نعم ، لقد أصاب سهم القدر قِربة أحلامنا وقطع خيط الأمل في الكثير من عملياتنا النوعية التي قام بها فرسان حركتنا الإسلامية !! عشرات العمليات النوعية الكبيرة المستحكمة سخر منها القدر ، فكأنه في حرب خؤون مع آمال شعبنا المظلوم .. فتلك عملية (المستنصرية) وتلك عملية (الدجيل) بل عملية (المنصور) !!

٢ - الشاعر الأُستاذ جواد جميل .

روحها التي صارت تئنُّ صارخة.. لقد فاقت آلامها كل الآلام ، لذا كانت أشهى اللحظات عند (أُم إيمان) هي لحظة الموت ! فتراها في الصلاة تتضرّع الى الله والدموع تنساب على وجهها كالمُزن وشفتاها تتمتمان بحزنٍ وهدوء : «إلهي ، قولك حق ووعدك صدق .. متى الرحيل مولاي ؟» كانت تُجيب لمن يحاول مواساتها وتهدئتها : «الأمر للذي بيده غيب السماوات والأرض .. ومايُدريني ، فلعلَّ الذي أبطأ عنّي هو خيرٌ لي ، ولعلَّ الذي أبطأ عنهُ هو شرٌّ له» .

❊ ❊ ❊

تمر الشهور وأُم إيمان تنتظر المحاكمة والاعدام .. لكِ الله أيتها الصابرة الصامدة .. فما أن انتهت جولات التعذيب وتبدَّدت آثار الصدمة حتى بدأت سِهام (الروماتزم) بالتصويب ..

أسابيع من التعذيب وشهور من الحجز الانفرادي حيث الملابس الرطبة والزنزانات الباردة بلا دفءٍ أو غطاء .. لقد زحف الروماتزم الى ساقيها ففتكت بها الآلام وأحالت قوامها الجميل الى جسدٍ هزيل ، جسداً لم يزل يضم روحاً كبيرة .

تقول الأُخت السجينة (أم نبيل) :

«كانت الأستاذة (سميرة / أم إيمان) تُعاني من آلام الروماتزم فضلاً عن الآلام الرابضة في كل نقطة جسدها جزاء التعذيب .. غير انها وبالرغم من كل ذلك كانت ذات مُحيا مُستبشر دائماً ، كانت تؤلف الشعر والأناشيد وتشترك في جميع المناسبات وعلى وجه الخصوص مناسبات شهري (محرم وصفر) ووفيات الائمة عليهم السلام ..

لم تترك صلاة الليل ابداً ، فما زلت اذكر كيف كانت - رغم الآلام - تستند الى الجدار لتستعد للصلاة» .

وتُضيف السجينة المجاهدة (نهلة هادي نجف) فتقول :

«لقد مزّقت آلام الروماتزم روحها بعد ان مزّقت ادوات التعذيب جسدها ، حيث صارت قدماها عاجزتين احياناً عن حملها ! لكنها رغم ذلك كانت دائمة الصلاة طويلة السجدة كثيرة الدعاء. قد حفظت من الصحيفة السجادية ما يجعلنا نستعين بها» .

أما أُم الشُهداء السجينة (أُم رعد البصري)[١] فتقول :

«كانت الأستاذة سميرة بطلة لم أر مثلها أبداً .. لم تعترف أو تضعف ، متعبِّدة واعية مُستبشِرة لم تشك أبداً رغم تتابع المصائب وقسوة الآلام .. كانت تبثُّ همومها وأحزانها مع الله سبحانه وتعالى وفي الليل فقط ..

في إحدى الليالي أصابني الأرق[٢] ، وكانت جالسة بجنبي تصبِّرني ، سألتها عن محل سكناها بالبصرة وعن زوجها الشهيد وأخيها وأختها الشهداء ، ودار بيننا الحديث التالي :

- مَن الذي كان يُعذِّبك بأمن البصرة ؟

- كثيرون يا أم رعد ، لكن أبشعهم كان المجرم مهدي الدليمي .. لقد عذَّب الكثير من المؤمنين والمؤمنات ورفعهم الى الاعدام ، وكان البعض يموت تحت يديه جرّاء وحشية التعذيب .

- هل مرّ على عينيك أو سمعتِ شاب إسمهُ دكتور باسل ؟

- نعم ، أنا أتذكّر هذا الشاب جيداً ، فقد لاقى من تعذيب هذا المجرم مالم يلاقيه أحد لأنه صمد ولم يعترف أبداً ، فصار يعذبهُ يومياً وبكل الأساليب والأدوات حتى مات بين يديه .

تمزّق قلبي وشعرت أن أحداً قد مسك عليَّ الهواء ، ضاق بي المكان وصارت لي رغبة شديدة في الصراخ أو على الأقل في البكاء ، بَيْدَ أني غضضتُ على الجُرح - وأي جُرح - حفاظاً على البقية الباقية التي هي حينذاك قيد التعذيب فوق في الشعبة الخامسة.. كتمتُ حتى دموعي وحاولت أن أستدير وأتظاهر بالنوم .. بَيْدَ أن (أم إيمان) انتبهت لبعض ما ظهر على وجهي من مَرارة وسألتني :

- مابكِ يا أم رعد .. هل هذا الشاب يقرب لكِ ؟!

- لا .. لا أبداً ، مجرّد معرفة بعيدة .. كان صديقاً لأحد أبنائي .

الله وحده يعلم ما كنت أعانيه .. كانت ليلة طويلة قاسية ، كانت أطول ليلة في حياتي» .

❊ ❊ ❊

نعم أخي القارىء العزيز .. هكذا هي الأُستاذة سميرة عودة كانت تستيقظ من النوم بلا نوم ومن الليل بلا راحة ، فالألم مازال يمخر بساقيها والجِراح لم تَزل تُمزِّق

---

١ - السجينة (أم رعد البصري) : هي أم الشهيدة السعيدة فاطمة أحمد الجاسم واخوتها الشهداء الأربعة رعد وسعد وفارس وباسل ..إرجع الى الجزء الثاني من كتابنا (مذكرات سجينة) .

٢ - في تلك الأيام كان التعذيب يجري ليل نهار على الشهداء (فاطمة أحمد الجاسم وأخوتها) .

جسدها .. ولكنها كانت مستبشرة مبتسمة تتنقَّل بين المؤمنات تشدُّ علىٰ عزائمهن وتخفف من أحزانهن .

في أحد الأيام تسرَّب خبر عملية استشهاديّة أدّت الىٰ نسف السفارة البعثية ببيروت وقَتل جميع مَن فيها من المجرمين والجواسيس[1] .. صارت تتناقله (أم إيمان) بين الزينبيات بهمسٍ وحذر وبسرورٍ وفخر ، كانت تقول : «ان علىٰ الحركة الإسلامية الالتفات الىٰ هذا النوع من العمليات هنا في الداخل كي لانعطي بأيدينا الذلاء أو تذهب دماؤنا سُدىٰ» ، كانت تشير الىٰ بعض السجينات اللاتي دَبَّ في نفوسهنَّ الضعف ، وتقول بألم وأسف : «كان ينبغي علينا أن لانترك مثل هؤلاء البنات الصالحات في حماسهنَّ كالغرقىٰ .. المفروض أن نكون لهم قارباً أو علىٰ الأقل أن نعلمهم السباحة قبل أن .... !» .. كانت تُبثُّ همومها وآلامها الإسلامية كُلّما جيء بسرابٍ من حمائم المحافظات الىٰ موقف مديرية (الأمن) العامة .

أمضت اللبوة في (الموقف) أكثر من (١١) شهراً قضتها بما يرضي الله ويخدم الوطن وأهله .. وفي صباح يوم شتويٍّ نقلوها الىٰ ما يُسمّىٰ بمحكمة أمن الثورة العسكرية لتحكم عليها بالقرار الباطل ؛ الإعدام شنقاً حتىٰ الموت لمحاولتها القتل مع سبق الإصرار والترصُّد ولانتمائها الىٰ حزب الدعوة العميل للفرس المجوس ! على حد تعبيرهم .

استقبلت البطلة قرار الحكم بالسُخرية والكبرياء ، فهي منذ البدء قد مَشتْ في رحلة النصر أو الشهادة .

نقلتها سيارة خاصة مغلقة الىٰ سجن الرشاد غرب العاصمة بغداد .. وصلت عصراً فاستقبلتها زينبيات القسم السياسي الثالث ووفّرن لها كل رعايةٍ وعناية سيّما بعد أن عرفن أن هذه البطلة قد ذاقت من ألوان القسوة والوحشية مالم يتعرض له أغلب الرجال .

---

[1] نفّذ العملية الشهيد (أبو مريم العراقي) في ١٩٨١/١٢/١٥م بواسطة سيارة تزن (٢٠٠) كغم من مادة الهكسوجين الشديدة الانفجار .. وتيمنًا بالعملية نفّذ الشهيد (أبو فداء العراقي) يوم ١٩٨٢/١٢/١٥م عملية استشهادية بواسطة سيارة مفخخة كبيرة أدّت الى تدمير (وكالة الأنباء العراقية) ببغداد .

ولأن ظروف القسم السياسي الرابع أفضل بقليل من الثالث والثاني فقد تمّ - وبتنسيقٍ حذر - إيصال الأدوية والملابس التي تحتاجها وبشكلٍ منتظمٍ تقريباً .

سجن الرشاد .. إقرأ وأرق[١]

كانت (أُم إيمان) أُختاً عطوفاً وأُمّاً رؤوفاً لسجينات القسم الثالث ، امتازت بالمعاشرة والمؤانسة **﴿وأخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾**[٢] ، لذا فقد حظيت باحترام الجميع ، فقد اصبحت وخلال فترة وجيزة موضع ثقة وأسرار الكثير ، يرجعن لها بالمشورة والرأي السديد ..

ولطالما تحدّثت الأخوات عن عبادتها وانقطاعها في جوف الليل وعيناها غارقتان بدموع الخشوع والإيمان .. كانت ذات وعي وتواضع كبيرين ، ونظراً للمدة التي قضتها في (الرشاد) فلم تكن كغيرها من الأخوات اللاتي كُنّ ينتظرنَ الإعدام ، فقد كنّ يبلغ بهن الانقطاع التام عن الدنيا والتفرّغ للعبادة والدُعاء وقراءة القرآن ، بحيث لا يلتقين بالسجينات إلّا في ظروفٍ خاصة - الرخصة الشرعية - ولعلّ ذلك يعود الىٰ محدوديّة فترة بقائهنَّ في سجن (الرشاد) . أما الأُخت أُم إيمان فقد بقيت في (الرشاد) أكثر من (ستة) أشهرٍ ، لذا كانت تتفرّغ للعبادة والانقطاع ليلاً فيما تملأ نهارها لقاءاً وحواراً ونُصحاً ، فهي تشترك مع الأخوات في كُلّ يومياتهنَّ وشؤونهن . كانت تواظبُ علىٰ حضور جلسات دروس الفقه والتفسير وما الىٰ ذلك .

تقول الأُخت السجينة نهلة هادي نجف :

«كانت الشهيدة البطلة أم إيمان قمّة في كل شيء ؛ في العبادة والوعي والشجاعة والتواضع .. كنتُ اختلس وقت الليل لأدخل عليها في غرفتها[٣] ، ولطالما وجدتها في محرابها تُصلّي وتدعو ، ودموع

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج٨ / ٢٨٧ .

٢ - سورة الشعراء : ٢١٥ .

٣ - غرف المحكومات بالاعدام - والتي يُطلق عليها غُرف القسم السياسي الثاني - صغيرة مقارنة بغرف القسم الثالث والرابع ، وكانت إدارة السجن توزّع المحكومات بالاعدام على هذه الغرف وتمنع الالتقاء بهن .. لذا كانت الأخوات في القسم الثالث تستثمر كُل الفرص المتاحة لأجل اللقاء والتواصل ، سيّما أن الرقيبات كُنّ مختلفات - من حيث المزاج ومساحة الحقد - في تطبيق التعليمات .

الخشوع تسبح على خديها .

اما في النهار فكانت تنام قسماً من ساعاته ، وفي القسم الآخر تشاركنا جلسات حفظ القرآن وتفسيره ، اتذكر حينما كنّا نسألها مستغربين : إنك شهيدة في الجنّة إن شاء الله تعالى ، فلمَ تُجهدي نفسك في حفظ الآيات والسور ؟! كانت تبتسم وتقول : إقرأ وارقَ .. إقرأ وارق[1] .

سبحان الله ، جميع الشهيدات يتشابهن الى حدّ كبير جداً في سلوكهنّ وصفاتهن ، لعلّهم يختلفون عنا لانهم افرغوا ما عندهم من الدنيا وانقطعوا الى الله سبحانه وتعالى ، أما نحن فكان يملأنا الأمل في الخروج من السجن الى فسحة الحياة .

نعم ، لقد أحيَت أيام الأُستاذة سميرة في الاقسام السياسية العِزّة وأعادت الى النفوس العزم .. كانت ترفض أدنى مهادنة أو تهاون مع السجّانات الرقيبات سيّما الحاقدات[2] وتعتبر ذلك ركوناً للظالم[3] .. وكانت كثيراً ما تُجيب على أسئلة الأخوات برسائلٍ تدعمها بالحجج والبراهين الشرعية لتَرُدَّ من خلالها على بعض الخرافات التي كادت تنتشر في غرفة (النجف)[4] ، فهي لم توارِ أو تُدالس رغم أيامها المحدودة بل قامت بتكليفها الشرعي حتى آخر يومٍ من وجودها بين الأخوات في (الرشاد) .

وهكذا رفعت الشهيدة لواء المعارضة الإسلامية في منفى الرشاد كما رفعته في

---

(١) حديث شريف للرسول الأكرم ﷺ .

(٢) الموقف سلاح والمصالحة اعتراف) شعار رفعه شيخ شهداء حزب الله لبنان (الشهيد راغب حرب) .

(٣) ﴿ولا تركنوا الى الذين كفروا فتمسكم النار﴾ سورة هود / آية ١١٣ .

(٤) تقول السجينة المجاهدة (س . ج) :

جاءت إحدى الأخوات الفاضلات من النجف بامرأة جاهلة جاءت سجن (الرشاد) بقضية تخص زوجها المجاهد ، وكانت تميل لبعض الخرافات كالسحر وماشابه ، فتصدّت للأمر الأُستاذة الشهيدة سميرة عودة وحاربت كل ما يتعلق بتلك الخرافات التي كانت تنتشر في نطاقٍ محدودٍ جداً بسبب الظروف النفسية الخاصة ، ورفعت شعار (قد عاداك مَن ستر عنك الرشد إتباعاً لما تهواه) وهو حديث للإمام الجواد عليه السلام .. وقد ساندتها في معركتها جميع الأخوات السجينات اللاتي كُنّ معنا في القسم الثالث أمثال الأخت المجاهدة (سعدية وادي الجابري) والاخوات المجاهدات اللاتي كُنّ في غرفة النجف أمثال (المهندسة سميرة جبر) التي خرجت لذات الأسباب - الخرافات والخلافات - وأسست غرفة (الهندسة) التي ضمّت كل من الزينبيات (أنعام حسن الخفاجي ورباب ونور الهُدى والمهندسة ليلى كاظم الخفاجي و ...) وصارت غرفة (الهندسة) - كما هي بقية الغُرف - من أشد المناصرات لآراء الشهيدة (أم إيمان) التي حاربت جميع الأفكار التي استبطنت رفض العمل الحركي والتنظيمي وعدم شرعيته تارةً وحب (الأنا) والتسلّط والتقدير الاجتماعي تارةً أخرى .. الجدير بالذكر : أن جميع الأخوات أعلاه قد أطلق سراحهن في أواخر عام ١٩٩١ م بعد قضاء عشر سنواتٍ عجاف من الحكم المؤبد .

مدارس (الهارثة وخولة بنت الأزور والقناديل) وفي زنازين (البصرة وبغداد) . فهي دائماً ثائرة ضد كل ما هو دخيل وغير أصيل أينما كان وبان .. لقد جسّدت – بحق – تلك الحكمة الشهيرة (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[1] .

نزرع للغد ..

كانت في بعض أوقات الفراغ تخرج الىٰ أرض صغيرة متروكة خلف الغُرَف يطلق عليها اسم (الشَبكَة) وتزرعَ فيها بعض النباتات ، وقد كَبُر بعض مازرعت وأعطىٰ جمالاً وثماراً ، كانت تقول للأخوات : «هذه ذِكرىٰ وتذكرة» ..

في إحدىٰ المرّات سَخِرت منها إحدىٰ الرقيبات وقالت :

– لِمَ تزرعين كلَ هذا وأوراق إعدامك ستأتي بين يومٍ وآخر ؟!

ابتسمت الأُستاذة سميرة بثقةٍ ووقار وقالت :

– لنقول لكم إننا كالزرع ، إن تقطعوا غُصناً تبرعَمَت مَحلّهُ أغصان .. ثُم إننا لانلهث مثلكم وراء (الآن) ، فليس بالضرورة أن نأكل مانزرع .. نحن نزرع للغد . أتفهمين ماذا يعني الغد .

نعم أُختاه .. نعم ياسلوة الروح ، لقد وصلت الرسالة ، فأنتِ حينما تزرعين أرض (الرشاد) سنابل خيرٍ وفضيلة إنما تزرعين تذكار عشق جيلكم الصدري الزينبي لهذا العراق ولأرضه الطيبة ، بل أنكِ تزرعين علىٰ مذبح الحريّة دَماً زكيّاً طاهراً ينبت في شرايين جيل المستقبل الذي سيجني لامحال ثمار زرعكم وتضحياتكم إن عاجلاً أم آجلاً[2] !

ذوت الأيام وانطوت الشهور ولم يبق للفارسة إلّا القليل .. صارت تتأمّل ذكرياتها الجميلة التي طالما داعبت خاطرها والتي لم تَزَل عذوبتها – حينذاك –

---

١ – الإمام علي عليه السلام . بحار الأنوار ، ج ٤٤ / ١٣٨ .

٢ – (المهم هو العمل ، فمرحلتكم كربلائية .. لاتنتظروا قطف الثمار في حياتكم) . من حديث للإمام الخميني .

مائلة أمامها كما هي أيام الحزن التي مازالت آلامها مُرَّة في فمها وروحها ..

فقد نقلت لي بعض الأخوات اللاتي دخلن غرفتها الصغيرة أنها كتبت على الجدار وبخطٍ كبير الآية الكريمة : **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**[1] ورسمت تحتها حقلين أحدهما وصفته بـ(حقل الأفراح) والذي كتبت فيه تواريخ تخرّجها من الجامعة وزواجها من الشهيد الأُستاذ عبدالأمير وولادة إيمان ووصول الإمام الخميني الىٰ طهران (نجاح الثورة الإسلامية) . أما الثاني فوصفته بـ(حقل الأحزان) وكتبت فيه تواريخ استشهاد السيد الصدر والعلوية بنت الهدىٰ واعتقال أخيها (زكي) وتسليم جثمانه الطاهر واعتقال أزواج أخواتها واعتقال أختها (ليلىٰ) واستشهاد زوجها وتوديع ابنتها (إيمان) .

نعم أُختاه (أم إيمان) ، هكذا تأفل الذكريات الجميلة علىٰ عَجَل كأنها أطياف سَحَر .. أما الأحزان فهي كوابيس تجثم علىٰ الروح كعذاب سَقَر .

تقول الأُخت السجينة نهلة هادي نجف :

«عندما اقترب موعد تنفيذ قرار الجور بالأُستاذة سميرة ، سمحوا لها باللقاء مع اهلها ورؤية طفلتها[2] .. كان اللقاء - لقاء الوداع - شاقاً علىٰ الأرواح ، فقد اشتعلت المرارة في النفوس وكادت الآلام والدموع تطغىٰ على الكلام ، سيما أن ابنتها التي فارقتها قرابة السنتين رضيعة صغيرة هاهي اليوم قد كبرت قليلاً ..

والغريب ان (إيمان) لم تعرف أمها ! كيف تعرفها بعد كل تلك الجولات البربرية الطاحنة التي اذابت جسدها وغيرت ملامح وجهها ؟».

شهيدة البصرة الغضبىٰ

وجاء الصباح الأسود .. إنهُ يوم الأحد ، توقفت السيارة عند باب السجن ، وما هي إلّا دقائق حتىٰ جاءت السجّانة الحاقدة الرقيبة (لميعة) مهرولة تنادي باسم البطلة أن استعدّي لـ(أبو غريب) .. أما (أُم إيمان) فلم تَرِد عن كلماتٍ ستبقىٰ خالدة

---

١ - سورة آل عمران / آية ١٣٩.

٢ - نادراً مايتم اللقاء (المواجهة) بين المحكومات بالاعدام والأهالي ، ولكن يبدو أن أهل الأُستاذة سميرة قد دفعوا مبالغ من المال لادارة سجن (الرشاد) فتعاطفوا معهم وسمحوا لهم باللقاء القصير وعن بُعد !

خلود الحق : «الحمد لله .. الحمد لله الذي شرفنا بالشهادة» ثم دخلت الحمام واغتسلت - كما هي السُنّة المألوفة - غسل الشهادة ، وارتدت الكفن تحت الملابس والعباءة ، وعصّبت رأسها بعُصابة بيضاء كُتِبَ عليها (ياحسين) ثم صلّت صلاتها الأخيرة .. آخر ركعتين صلّتهما في (الرشاد) وعلىٰ أرض العراق ، أرض عليٍّ والحسين التي طالما حلمت بتحريرها من براثن البعثيين الأرجاس الذين عاثوا في خيراتها الفساد والشقاء .

وعند التوديع حاولت جاهدة أن تكون نبرات صوتها هادئة رصينة ، لقد أحبّتهم وأحبّوها ، وهاهي تودّعهم الوداع الأخير .. أوصتهم بالوحدة والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ وذكرت قوله تعالىٰ ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾[1] كما أوصت بتقوىٰ الله والجهاد في سبيله ، لان ذلك ، علىٰ حدّ قولها ، منهاج السُعداء وطريق الأتقياء..

خرجت اللبوة بأتجاه باب القسم الثالث حيث يقف الجلّاد البشع (أبو وداد)[2] الذي كان يُعربد ويُلوّح - كعادته للرقيبة الحاقدة (إيتهال البغدادي) بالاسراع لجلب (أُم إيمان) .. حاول وضع السلاسل (الجامعة) بيديها ، بَيْدَ أنها انتفضت ورفضت أن يَمسّها هذا الأجلف النزق ، فأمر الضابط الرقيبة لتقوم بالمهمة ..

وهكذا توارت بطلتنا عن الأنظار الىٰ حيث تقف سيارة (أبو غريب) عند باب سجن (الرشاد) الرئيسي .

❊ ❊ ❊

نزلت الفارسة أرض سجن (أبو غريب) المركزي ، لترتقي عند ساعة الغروب حبال المشنقة .. وضعوا الكيس الأحمر في رأسها الشامخ وقتلوها شنقاً .

إستشهدت (أُم إيمان) عام (١٩٨٢) للميلاد علىٰ يد عُصابة أوغاد ، ليأتي أهلها - فيما بعد - لاستلام جثمانها الطاهر بتعهدٍ خطّي يلتزمون خلاله بدفنها ليلاً سِرّاً بلا بكاء ولا ضوضاء !!

---

١ - سورة النحل : ٩٢ .
٢ - أبو وداد : وحش (أبو غريب) - إرجع الىٰ مُلحق الفصل .

وهكذا التحقت سميرة بزوجها عبدالأمير الىٰ وادي السلام .. التحقت اللّبوة بالأسد . دفنوها بجنبه فسلام علىٰ عناوين الشموخ والعز والكبرياء .

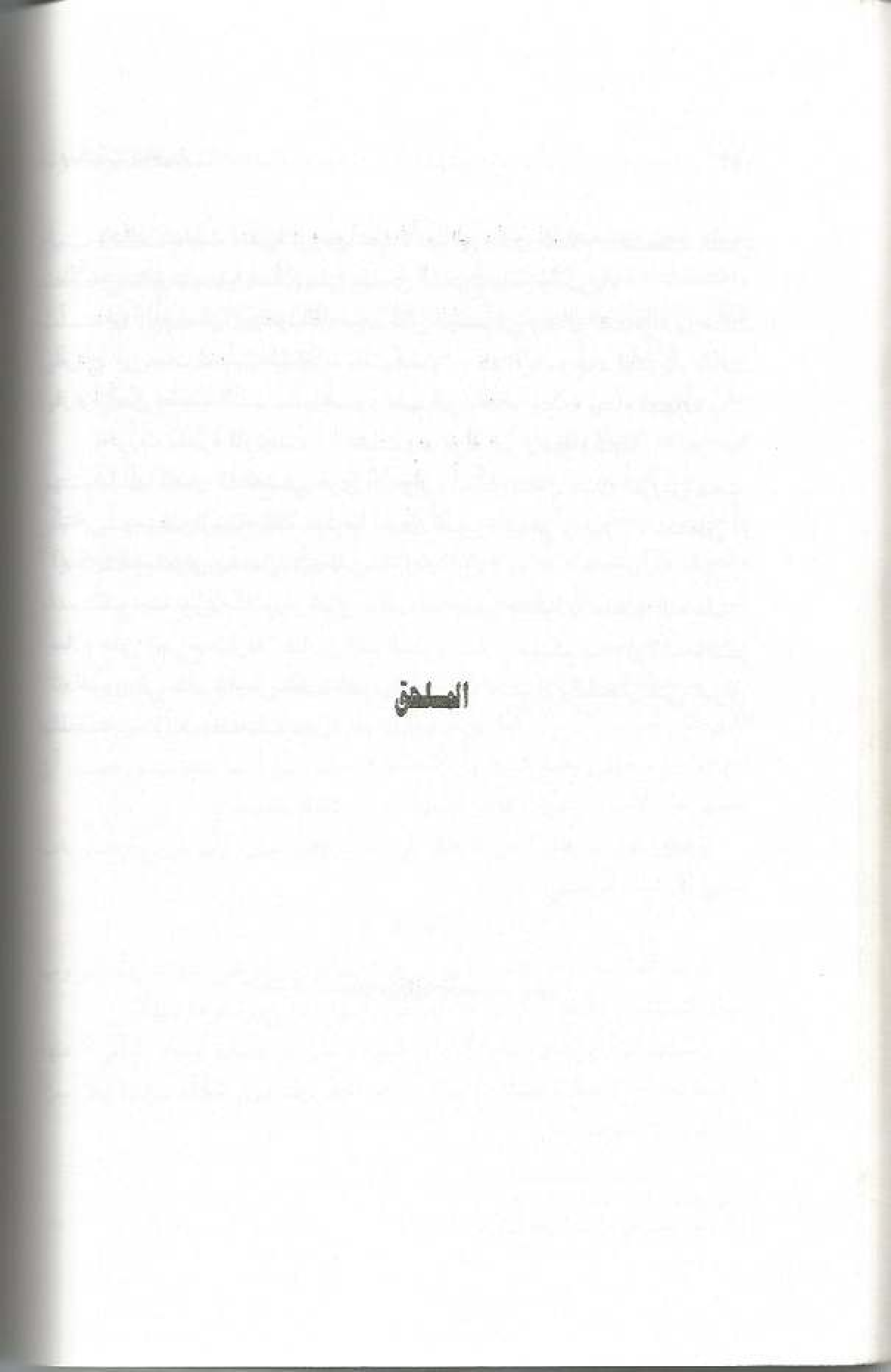
دفنوا (أم إيمان) ، دفنوا الفارس .. دُسَّ الجَسَد في رمال الصحراء ورحلت الروح الىٰ حيث الحبيبُ المُنتظَر ، نامت سميرة .. نام الإباء وخمد الكبرياء . نامت قريرة العين مطمئنة القلب بعدما أدت واجب العز والفخر ونالت وسام الشهادة .

تحررت سميرة فارتحلت .. ارتحلت ولم تترك غير وصيةٍ وسُنبلة ..

فيا أيُّها المنار الشامخ في غري الأحرار ، أبداً لن تنال منك فؤوس بعث النار .. وستبقين زينبيّة بطلة تذكرها أجيال البصرة بفخرٍ واعتزاز ، ستبقين أُم إيمان) بقاء العراق وشمس الأبد .

ألف تحية وسلام للاحرار الثوار – ألف سلام لمن صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. سلام علىٰ الجراح النازفة . قناديل الغد المشرق سلام عليكم يا أهل الله وأنتم تجاهدون في تلك الأرض الطيبة لتمزقوا صور الاستبداد والطغيان في عراق المقدسات . وألف ألف تحية لكِ يا «أم إيمان» الأبيّة .





الملحق

أبو وداد .. وحش «أبو غريب»!

سجين في قسم الجنائية (سرقة أو قتل) طويل أسمر الوجه قبيح الملامح من مواليد ١٩٤٤م ، أنهىٰ جزءاً من محكوميته في قاطع الاحكام الثقيلة لسجن (أبو غريب) المركزي ، اما الجزء المتبقي فقضاه في تقديم الخدمات المجّانية لمسؤولوا السجن في قاطع الاعدام ! فهو غليظ الطبع حادّ المزاج ، امتلك من رذائل السريرة ما دفعه لهذا العمل الساقط الذي طالما تهرّب منه الكثير من أزلام ومجرموا أمن السجن ..

باشر بعمله الاجرامي عام ١٩٨٠م فى الأقسام السياسية الخاصة ، ولمّا أبدىٰ اخلاصاً مطلقاً للنظام وحِقداً مشهوداً للمؤمنين خففوا من محكوميته ثم أطلقوا حركته ليجلب عائلته للسكن معه في بنايات خُصّصت للمنتسبين وعوائلهم ، سيّما وانه قد قرّر أن لايغادر السجن - ولو بالسر - خوفاً علىٰ نفسه من الناس لكثرة ماعادىٰ وقتل من المؤمنين السجناء .

كان هذا المجرم النزق - أبو وداد - يستلم كرفانات (جملونات) الاعدام ويتعهد بإعدام مَن بداخلها وبفترات متفاوته تعتمد علىٰ عدد المحكومين بالإعدام ، فكان الكرفان الواحد يضم خمسين أو مائة مؤمن وأحياناً أكثر ، وفي بعض السنين (٨١ ، ٨٢ ، ١٩٨٣م) ضمّ الكرفان الواحد أربعمائة مجاهد ينتظر الإعدام .. فكان هذا الحيوان التافه الذي استمرء الرذيلة يأتي مخموراً الىٰ الأخوة الشهداء وقبل ساعات من بدء التنفيذ مُحذِّراً إياهم من التكبيرات والهتافات !! كان يقول لهم وباللغة الدارجة : **«شوفوا .. اليوم بعد المغرب راح ابد. آخذ ارواحكم ، اريدكم تبقون هادئين وما اريد تخربطون او مثلا تسبون السيد الريس بطل القادسية او تهتفون وتكبرون .. تره إذا تزعجوني الطبر بيدي ، مفهوم »!**

وفعلاً كان يستلم (الجملون) ويبقىٰ يزهق أرواح المجاهدين طيلة الليل ولمدة يوم أو يومين وأحياناً اسبوع وحسب المزاج والعدد .. وكان مسؤولوا السجن يُشجّعوه ويعطوه (حوافز) فضلاً عن الراتب الشهري ، فكان يأخذ - علىٰ حدّ قوله - علىٰ كل رأس خمسة دنانير ، لذا كان يعمل بجد ونشاط وبلا ادنىٰ مَلل .

نعم ، كان كلما سمع مؤمناً مجاهداً قد هتف للاسلام وللشهيد الصدر أو ضد النظام الجائر ورموزه لايتوانىٰ عن ضربه بالطبر من الخلف في ظهره أو بـ(التوثية) علىٰ مؤخرة رأسه[١] !!

نشتكي الىٰ الله والىٰ بقيّة الله من هذا الظلم الذي عمَّ شعبنا في العراق ، ونحن نجزم أن هذه الأرض التي امتلأت ظلماً وجوراً لم ولن تَشهد نظاماً دموياً بربريّاً يمنع مُعارضية حتىٰ من كلماتٍ يُهتَف بها في غُرف الإعدام المغلقة علّها تتسرَّب يوماً لتكون فخراً ومجداً للأجيال !!

أيَّ ظُلمٍ هذا ؟!

❋ ❋ ❋

من نشاطات (أبو وداد) الاجرامية الأُخرىٰ ، ذهابه مع ضابط مفرزة الإعدام الىٰ سجن (الرشاد)[٢] لاستلام الزينبيات المحكومات بالاعدام رُغم وجود مُرافقه (سجّانة) تصطحب الضحيّة الىٰ سجن (أبو غريب)[٣] .

أما المفارقات والقصص المرعبة التي ينقلها الأخوة السجناء الإسلاميين عن وحشية هذا الكائن المفترس المدعو (أبو وداد) المنقول بعضها عن لسانه والتي نادراً ما يبوح بها كي لاتكون وثيقة مجد لهذا الشعب من أفواه جلّاديه وقتلته ، فهي كثيرة نذكر نماذجاً منها :

❋ يقول السجين (أبو علي الحسناوي)[٤] :

«في أحد أيام شتاء عام ١٩٨٤م الساعة الواحدة ليلاً وبينما كانت الأقسام الخاصة والمقفلة في سجن (أبو غريب) الكبير هادئة قد خيّم عليها السكون والرهبة وكان النزلاء قد غطّ بعضهم في نوم عميق وبعضهم الآخر كان يقرأ القرآن أو يُصلّي ويكمل أوراده ، وصل أسماعنا أصوات نسوية لتكبيرات

---

١ - قد تُفسّر هذه الظاهرة سبب عدم تسليم جثث شهدائنا الشهداء الىٰ أهاليهم ، بالاضافة الىٰ السبب الأهم ، والمتمثل بآثار الدمار التي تُترك على أجسادهم ومن ثم استشهادهم أثناء جولات التعذيب الوحشية .

٢ - كان يأتي معتقل (الرشاد) النسوي مرتدياً بالاضافة الىٰ ملابسه السوداء قناعاً أسوداً إما خوفاً أو ترهيباً .

٣ - في سجن (أبو غريب) توجد امرأة طويلة ضعيفة بشعة المنظر ذات اسنان طويلة .. فهي المسؤولة التي تشرف على إعدام الزينبيات وبمساعدة ومعيّة المرافقة التي من (الرشاد) .

٤ - من أهالي الناصرية الكرام ، يُكنّىٰ بـ(أبو علي السجين) .. اعتُقل في ١٩٨١/٧/٥م وأُطلق سراحه في العفو يوم ١٩٨٦/٦/١٥م .

وصلوات وهتافات عالية بحياة المرجع الشهيد الصدر .. وصار ضجيج التظاهرة يقترب اكثر فاكثر حتى استيقظت جميع الأقسام الخاصة تقريباً ، سيما وقد ساعد سكون الليل على سماع هتافات التحدي بوضوح تام ..

مازلت اذكر كيف جاءنا احد الأخوة السجناء - استشهد فيما بعد - مهرولاً قائلاً والفرح يطفح على وجهه : (إخوان ، إجمعوا اغراضكم فالرحمة قد جاءت والفرج قد وصل) .. لم يشك احداً ان ثورة قد حدثت ، وهاهم اخواننا المجاهدون تتقدمهم المؤمنات جاءوا لتحريرنا من السجن .

لكن ماهي إلا (٤٥) دقيقة حتى بدأت الأصوات تتلاشى وتختفي تماماً .. فصرنا في حيرة ودهشة استمرت حتى الصباح .. نريد ان نعرف ما الأمر وماذا حدث ؟!

ولأن احد اخواننا السجناء - مهندساً سجيناً - كان قد جنّد نفسه ووظّف قدراته العالية لكسب ثقة بعض اغلب السجانين لانتزاع الأسرار والمعلومات النافعة منهم ، فقد سأل (ابو وداد) عن مصدر التظاهرة والهتافات ليلة امس ، وما كان من هذا المجرم إلا وبدأ يترثر ويبدي إعجابه ودهشته بشجاعة واستبسال (سبعين) فتاة جيء بهنّ الى قاطع الإعدام ، وكُنّ يهتفن بحياة العميل الصدر - على حدّ قوله - ويطلقن اناشيد التحدي والتكبيرات والصلوات وكانهن في حفلة عرس !! ولم يمنعهنّ التهديد والتخويف حتى تم إعدامهن جميعاً .

لكَ الله ياعراق الشهداء .. لكَ الله ياشعب الأبرياء ، أن كان قد أبدىٰ هذا المجرم المتحجّر دهشته وأعجابه لبطولات زينبياتكَ بنات الزهراء ، فما بال الملاحم التي سطرها فرسانك أبناء الصدر وكربلاء في غرف وقاعات التعذيب والإعدام المغلقة ؟!
يضيف الأخ السجين (رعاه الله) فيقول :

وكان الوقت المألوف للإعدامات عند غروب الشمس يومي الأحد والأربعاء كما هو معلوم لدى جميع السجناء . إلا انه في الظروف الاستثنائية تصبح ايام الأسبوع اوقاتاً مألوفة للإعدام وزهق الأرواح . لذا ففي احد ايام عام ١٩٨١م اشتعل المصباح الأحمر في قاطع الاعدامات منذ الساعة الثالثة مساءً !! والله والله لم ينطفئ المصباح حتى الساعة الرابعة فجراً !! كنّا نقرا القرآن وندعو ونصلي لأجل الأرواح التي زُهقت ..

وعند ظهر اليوم التالي عرفنا من خلال السجين المهندس ان (ابو وداد) قال : ان صدام قد وقّع بنفسه على تنفيذ الإعدام بألف وخمسمائة مجاهد ، وتم ذلك بالفعل حيث استُخدمت الأسلاك

الكهربائية[١] مع حبال المشانق العشرة وعلىٰ شكل وجبات متلاحقة».

ويختم الأخ السجين حديثه قائلاً :

«اخبرنا السجين المهندس الذي في غرفتنا انه قد اختلى به (ابو وداد) في احد الأيام وصار يبكي بصدق !! فلمّا سأله الأخ السجين عن السبب ، قال له : (يا .... عجيب كم هو الوطن عزيز وغالي !!) وصار يخبرهُ ويعترف له كم هو قاسي وبشع مع السجناء في الأقسام الخاصة والمقفلة والمحكومين بالاعدام ، وكم هو غليظاً شديداً معهم حتىٰ في لحظات إعدامهم الأخيرة .. لكنه عندما يرىٰ أحداً منهم يسجد لتقبيل الأرض قبل الصعود علىٰ منصّة الإعدام يترك له المجال ولا يمنعهُ ، لان تقبيل الأرض يثير في قلبه - ابو وداد - الرأفة والعطف فلا يضع حبل المشنقة في عنقه حتىٰ يكمل طقوس ولاءه لتراب العراق !!

يضيف السجين المهندس :

كنتُ اشجّع وأؤيد (ابو وداد) - توريةً - وأثني عليه لهذا الفهم الخاطىء ، لانه لايدري ان الشهداء الذين كانوا يسجدون إنما هم في الحقيقة يسجدون لله ويقيمون (سجدة الشكر) اعترافاً لله علىٰ نعمة الشهادة» .

* ومن المفارقات الأُخرىٰ التي وصلتنا عن هذا المجرم البائس والتي نقلها لنا السجين الشيخ (أبو حسن اليوسف)[٢] حيث قال :

«بعد أن صدر قرار محكمة (الثورة) باعدامنا نقلونا الىٰ قاطع الاعدامات في سجن (ابو غريب) المركزي بإنتظار التنفيذ .. كانت الغرفة صغيرة ومكتظّة بالمجاهدين ، فمساحتها (٢×٣)م٢ وفيها (١٨ - ٣٠) شخص ، كانت مُحكمة الإغلاق لامنافذ فيها سوىٰ فتحة صغيرة مربعة الشكل في وسط الباب ، وقد أغلقت بصفيحة حديد مربعة الشكل ايضاً ، إلا انها تبعد بمسافة (١٠) سم عن فتحة الباب لتمنع الرؤية عما يجري خارج الغرفة وبنفس الوقت لتسمح بدخول الهواء من المنافذ الأربعة .. ولأنه لم يُسمح بدخول أيّاً من الاغراض والحاجيات سوىٰ الملابس والطعام وأشياء قليلة أخرىٰ كساعة اليد ،

---

١ - يتدلّىٰ سلكان كهربائيان مع حبل المشنقة ، يوضعان علىٰ الأوداج في جهتي الرقبة لتكون عملية إزهاق الروح أسرع وأكثر ضمانة سيّما مع وجبات الاعدام الكبيرة .

٢ - سجين إسلامي من أهالي العمارة ، اعتقل يوم ١١/آذار/١٩٨٤م - وكان طالباً في كلية الهندسة - وحُكم عليه بمادة الاعدام (١٦٤) التي تشمل مَن يُتّهم بالتخريب الاقتصادي أثناء تعرّض البلد للعدوان !! وبقدرة القادر عزّوعلا أطلق سراحه وخرج من السجن يوم ٦/١١/١٩٨٥م لشموله بقرار العفو .

فكنا نحاول الاستفادة من زجاجة الساعة المقعرة - فالحاجة أم الاختراع - فنضع الزجاجة قرب فتحة الباب ونحركها وننظر للصورة المقعرة المعكوسة عليها، فكنا نرى الجلادين وحركة نقل المجاهدين الى قاعة الاعدام ايام الأحد والأربعاء .. كنا نرى المجرم (ابو وداد) وهو مشغول بسحب جثث الشهداء من قاطع الاعدامات ويرمي بها خلف السيارة كما تُرمى الواح الخشب ، وبعد ان تتكدس الجثث وتمتلئ السيارة يقوم بالقفز على الجثث والجلوس فوقها - كالذي يجلس على كرسيٍّ - لتنطلق بهم السيارة الى مكانٍ آخرٍ مجهول !!» .

ويضيف الشيخ السجين :

«بيد ان هذا المجرم البشع (ابو وداد) وبالرغم من كل هذا الانحدار في الطباع وهذه السفالة في الاجرام كان وفي اوقات اخرى يأتينا ليمازحنا ويتلاطف معنا كالإنسان السوي !!» .

أما السجين السيد (منتظر العماري)[1] فيقول :

«نقل لنا السجناء القدماء من اخواننا المؤمنين نُزلاء الأحكام الخاصة انه قد أجري في احد الأيام لقاء مع الوحش (ابو وداد) وسألوه - باعتباره الشمر بن ذي الجوشن الذي لايرحم حتى الطفل الرضيع - السؤال التالي :

(هل مرّت بك حالة إعدام تأثرت بها وتألم لها قلبك) ؟!

فكان جوابه بالنفي المطلق وطيلة السنين التي قضاها بقاطع الاعدامات !! إلا انه اعترف بتأثره مرةً واحدةً فقط !! إذ صعد شاب صغير جميل الوجه ورياضي وسيم الجسم الى المنصة .. ربط (ابو وداد) يديه الى الخلف ووضع حبل المشنقة في عنقه وشنقه.. ولان الضحية خفيف الوزن صارت عملية إزهاق الروح بطيئة جداً ! فما كان من (ابو وداد) إلا ان التصق به واحاطه بذراعيه وبدأ يسحبه الى الأسفل بقوة حتى تأكد من وفاته واختفاء حشرجة انفاسه .. إلا ان عيني الضحية قد تسمرتا بعيني (ابو وداد) حتى بعد أن نزل منهُ وتركهُ ميتاً !!» .

أما آخر المفارقات التي لم ينقلها لنا أحداً من السجناء المحترمين وإنما أخبرنا بها رسول الإنسانية المصطفى الأكرم ﷺ قبل ألفٍ وأربعمائة وثلاثة وعشرون عاماً حينما قال : «أذل الناس مَن أهان الناس» ، حيث شاءت حكمة الله أن يُقتل هذا القاتل الرعديد بنفس قاطع الإعدام وبذات حبل الشنق التي قتل بها آلاف المؤمنين

---

[1] - سجين إسلامي من أهالي العمارة .

المجاهدينَ من رجال العراق الصالحين وذلك ليكون عِبرةً لمن يخشى الله واليوم الآخر!!

حيث استلم المجرم (أبو وداد) عام ١٩٨٥م مبلغاً كبيراً من أحد تجار بغداد كرشوة ، فتلاعب بالأضابير وغيّر بالأسماء وبالتالي استبدل إبن التاجر المحكوم بالاعدام – لفراره عدّة مرات من الخدمة في جيش محرقة القادسية – بشخصٍ آخر محكوم بالمؤبد ! ولعلمه بوجود عفواً خاصاً للمحكومين بأحكام المؤبد المتخلفين عن الخدمة العسكرية والذين أنهوا أكثر من نصف محكوميتهم .. لذا فقد خرج إبن التاجر ونُفِّذ حُكم الاعدام بالسجين الآخر !!

وشاءت الصدفة أن يتفقَّد أحد الأقارب السجين المنسي – الضحيّة – فوجدهُ قد أُعدِم ، فانكشفت الجريمة[١] وقرّر أزلام النظام إعدام (أبو وداد) فوراً[٢] .

وهكذا قُتِل القاتل واستُبدِل بقاتلٍ آخر يُدعىٰ بـ (أبو سعديّة) الذي باشر عمله الاجرامي عام ١٩٨٦م ، كشرٍّ خَلَفَ لِشرٍّ سَلَفْ .. وما أكثر العِبَرْ وأقل الإعتبار ..

نعم ، ذاق (أبو وداد) ضَنَك الحبال وحشرجة الأنفاس مثلما أذاق الآلاف علىٰ يديه !! غير أنهم ذهبوا الىٰ نعيمٍ لازوال بعده .. الىٰ مالاعينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت .. أمّا ذاك الوحش العفن الذي نسي مكر الله وأحبَّ العاجلة وذراً وراءهُ يوماً ثقيلا ، فإلىٰ جهنم خالداً فيها تشوي وجهه النار ، وماربك بظلامٍ للعبيد .



١ – لعلّه قد كاد بالمجرم (أبو وداد) أحد خصومه المقرّبين .

٢ – لم يُعدم (أبو وداد) وفاءً للعدالة ، بل تم اعدامه خوفاً من تكرار الحيلة كي لايتوفّر بعض الأمل لانقاذ أحد القادة الإسلاميين مثلاً .. ولعلّه قد انتهت فترة الحاجة الىٰ ودّ (أبو وداد) فقرّروا تصفيته – كسياق منهجي ثابت، فقتلوه ليقتلوا أسرار آلاف الابطال معه .

احتفالية النجوم والحرائق

«الیٰ الروح التي لم تنفكّ تُرفرف فوق سماء العراق»

في احتراقِ الحرائقِ
آخيتُ عاصفةً
رحتُ أبحث عن لون حُزنكِ
في ظلّها
وحكايا من الأمسِ
بعثرها العاشقون هنا ،
- في محطّاتهم -
ذكريات جنون
أنت خبئتِ بين الشرايين
نبضة عطرٍ
وحبّة قمح
فكيف أشاطركِ - ياسميرةُ -
لونَ احتراق المرايا ،
وهذي القصائدُ
تمطرني
برذاذ عواصفها الميتة !
قبل أن تلتقي بالغمامةِ
كنتِ الحياة التي أيقظتْ جنّتي
نفّضت عن ملامحها
كلَّ شيء ينكّرها
في احتفال النجومِ ...

وحين التقيتِ الغمامةَ
كنتِ جنازة وردٍ
يطوف بها الأصدقاء !
هكذا ...
عشتِ عمراً من الاحتراقِ
بلا دمعةٍ ساخنة
هكذا ...
حاصرتك الحرائقُ
حين تأهّبتِ ... صمّمتِ
أن تستحيلي الیٰ دمعةٍ
فوق خدّ اليتيمْ !
كيف أشعلتِ في الجسدِ
الماءَ ،
أهديتِ ضوءً
لمرآتنا ؟
ذلك الجسدُ الملغمُ المتخشّبُ
بالنارِ
كوّمتِه حطباً
ثم أشعلتِه في «الطواميرِ»
عرساً لمن لا يضيء !
فمتیٰ سوف تكتحلين

بصدق المسافات
أو صولة الفاتحين ؟
حيواتٌ لكِ
كنتِ خبئتِها في العرائشِ
خلف «السجونِ» زرعتِ مباهجها
لغدٍ
سوف يصحو
علىٰ همسةِ الفجرِ
يشعل كلّ القناديل في الكلمات
لننشرها
في احتفال النجوم !
جسدٌ ملغمٌ - ياسميرةُ - أنتِ
تئنّين خلف انكفاء الصحارىٰ
ولكنّه ...
يتشظّىٰ
بوحي «الرصاصةِ»
في أوجه المُدُن الخائنة ...

محمد سعيد الأمجد
٢٥ / رمضان / ١٤٢٣هـ
قم المقدسة

---

١ - محمد سعيد الأمجد : شاعر وباحث ، لهُ اهتمامات نقدية وفكرية . أنهىٰ دراسته الأكاديمية في بغداد عام ١٩٩٠م . ثم ها... الى الجمهورية الإسلامية الإيرانية فدرس العلوم الإسلامية في قم . نُشِرت لهُ بحوث ومقالات متنوعة في الصحف والمجلا... من كتبه المطبوعة : رذاذ الحدائق والأحداق (شعر) ، الحسين الشهيد .. رؤية حضارية .

شموخ الجنوب

يانسمةَ الصُّبحِ ياترنيمةِ السَّحَرِ ... يانغمة الطُّهْرِ إذ تُشدىٰ علىٰ وَتَرِ
ويـاملاكـاً نـقياً لا تُـلوِّثُهُ ... مالوّثَ الناسَ مِنْ رِجسٍ ومن كَدرِ
ويـاربيعاً بـه الايمانُ مزدهرٌ ... والحبُّ للـهِ مِلءَ السمعِ والبصرِ
سَـمَوْتِ للـهِ إيـماناً ومـعرفةً ... عـلىٰ جناحِ بِـوَقدِ الشوقِ مُستَعِرِ
رأيتِ في الديـن منهاجاً ومكرُمةً ... وفي المكارِمِ ما يـوقي مـنَ الخطرِ
حملتِ في قـلبكِ الإسلامَ عـن ثِقةٍ ... بالنصرِ يوماً علىٰ التزييف في الفِكَرِ
وسِرْتِ في الدربِ ليثاً ليس يـمنعُهُ ... عـنِ المَرامِ شقيٌّ غَيْرُ مُدَّكِرِ
وأقـبلتْ روحُكِ الغَـرّاءُ طـاويةً ... دَرْبَ الصمودِ بـلا خـوفٍ ولا ذُعُرِ
فاستلهمتْ من أبي الأحرارِ عـازفةً ... عـن اللـذائذ والأهواءِ والوَطَرِ
وسارعتْ فـي طريق الحقِّ مُعلنةً ... أنَّ الحـياةَ بِـلا ديـنٍ ، بِلا ثمرِ
وهـرولتْ لا تُـبالي مـايعارِضُها ... مِـن العـواسجِ والأشواكِ والإبَرِ
تـقارِعُ العُـتْمَةَ النكراءَ إذْ حجبتْ ... شمسَ الفضيلةِ والأخلاقِ والطُّهُرِ

* * *

سـميرةٌ يـانشيدَ الخيرِ يـعزِفُهُ ... نـايُ الخلودِ علىٰ بوّابةِ العُصُرِ
يادَوْحَةَ العِزِّ فـي عصرٍ بـه طَـفَقَتْ ... مَـعاوِلُ الشـرِّ لاتُـبقي ولم تَـذَرِ
سميرةٌ يـاهُتافَ الصدقِ فـي زمنٍ ... فـيهِ المـناقبُ أمـرٌ غيرُ مُنتظَرِ
يـاأُمَّ إيـمانٍ يارمزَ الوفـاءِ ويـا ... مَجْداً يُضافُ الىٰ أمجادِنا الأُخَرِ
ويـاشُموخاً عـظيماً لايُـزعزِعُهُ ... جَوْرُ الحقودِ وسيفُ الظالمِ القَذِرِ
لم يقهروا فيكِ روحاً طالما سَكِرَتْ ... في كعبةِ اللـهِ لا فـي مَحْفِلِ السَّمَرِ
قـد عـذَّبوكِ عـذاباً لا يُـمارِسُهُ ... أطغىٰ الطواغيتِ بينَ البَدْوِ والحَضَرِ
سـميرةٌ مـارأيتِ فـي محابِسِهِمْ ... مِنَ التعذُّبِ ، لم يَجْرِ علىٰ بَشَرِ
نَـذَرتِ للـهِ نَـفْساً مـا تـصيَّدَها ... طيفٌ مِنَ اللـهوِ لا لونٌ مـن البَطَرِ
فـعانَقَتْ روحُكِ الشَّـمّاءُ مِـقْصَلَةً ... مـنها العبورُ الىٰ العلياءِ والظَفَرِ

بِـنْتَ العـراقِ الذي مـالان جـانِبُهُ يـوماً لبـاغٍ ولم يـركَنْ لِـذي شَـرَرِ
بِنْتَ الجنوبِ الذي أضحىٰ تَـوَثُّبُهُ سَمّاً زُعـافاً بـفيهِ الغـاصِبِ الأشِرِ
إنّـا عـلىٰ العـهدِ يـاأُختاهُ ، مـوعِدُنا عـند الفُـراتِ بـيومٍ زاهِـرٍ نَـضِرِ
نُـرتِّلُ الآيَ ، والأحـزانَ نَـمْسَحُها عَـنِ المـآذِنِ والأجفانِ والشجرِ

عبدالرحمن العلوي[1]
٣ / شعبان / ١٤٢٣
طهران - دولت آباد

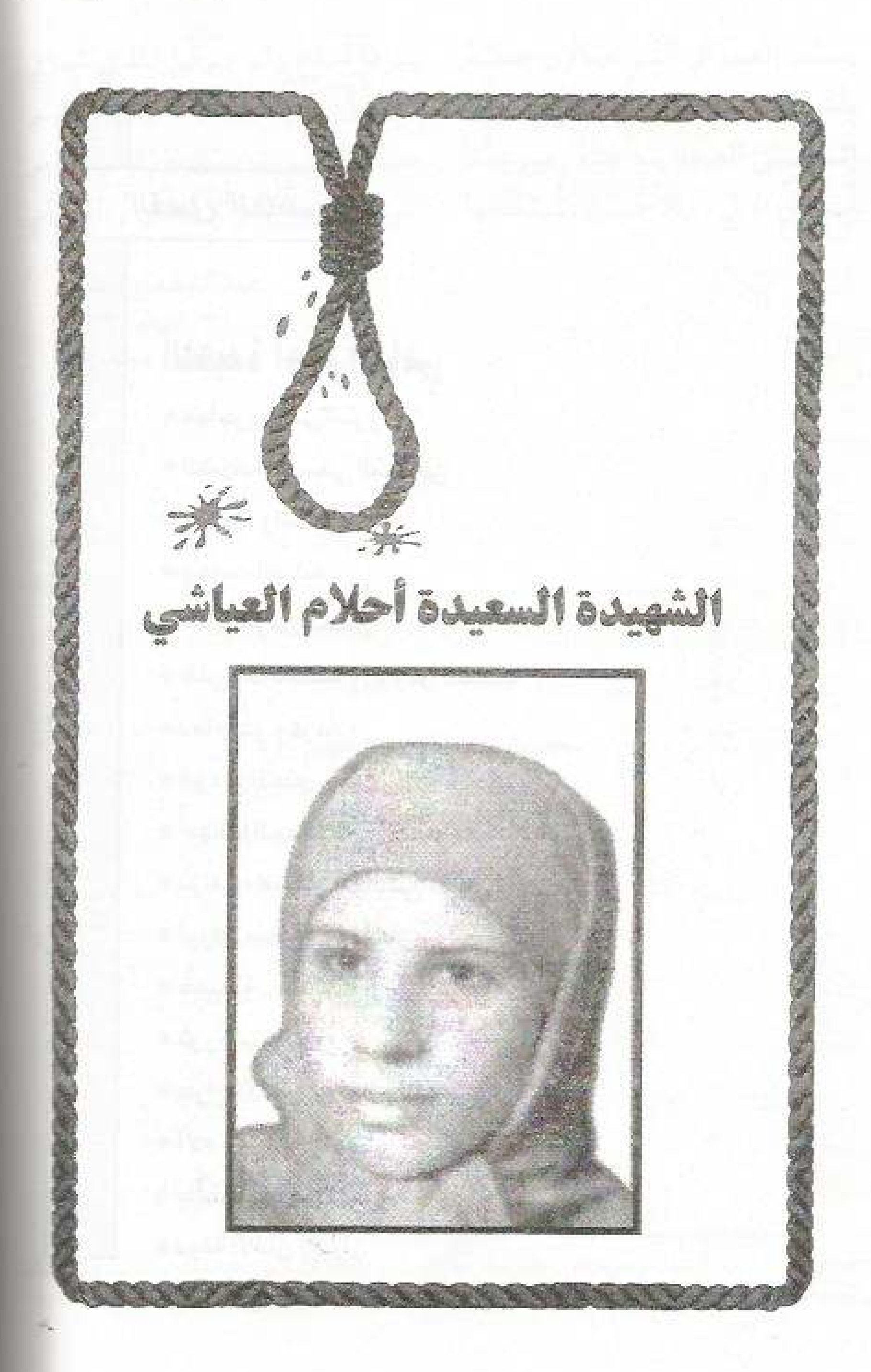
---

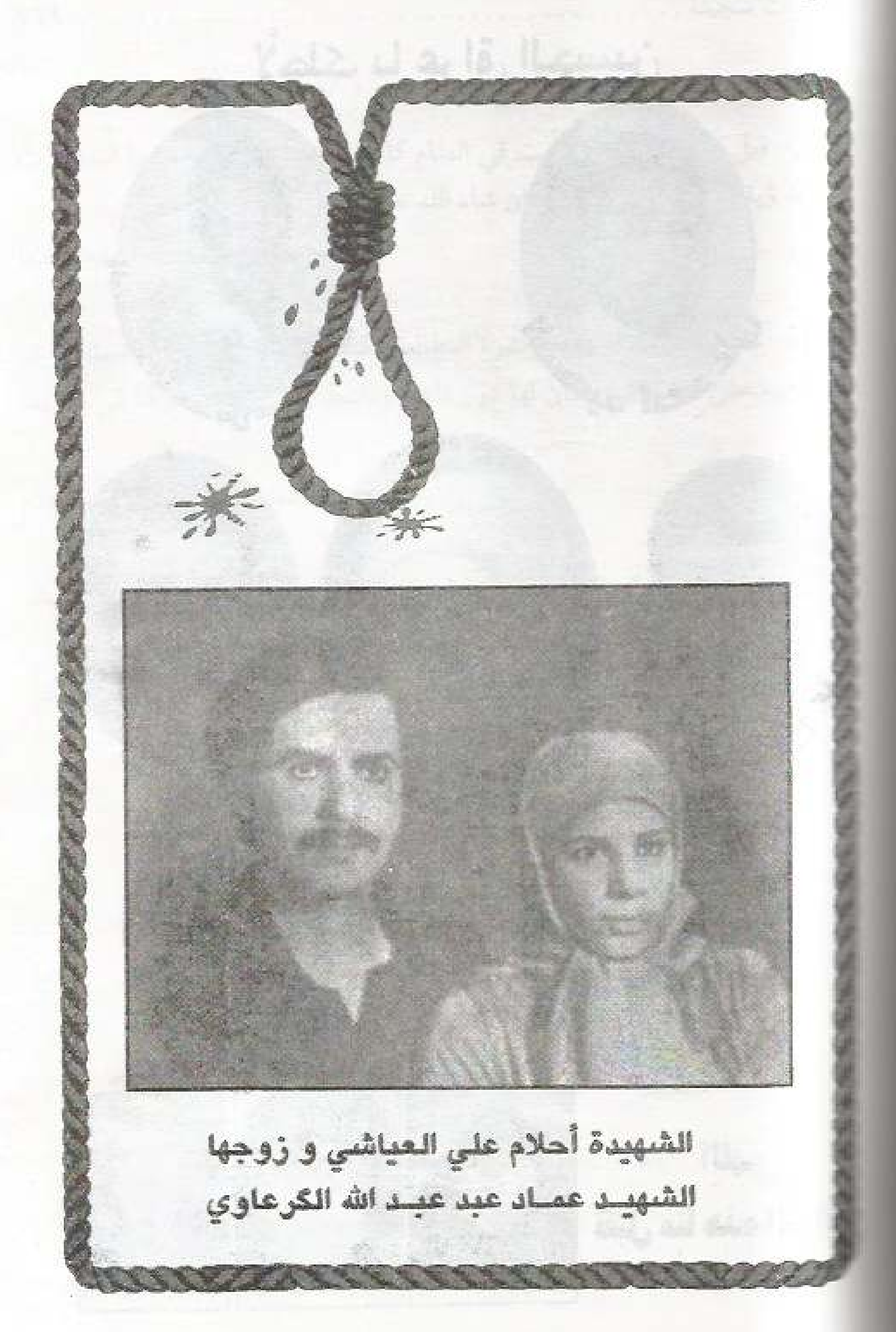
١ - عبدالرحمن العلوي : أديب ومترجم عراقي ، هاجر عام ١٩٨٠م بسبب نشاطه الإسلامي ، له ابحاث ومقالات أدبية وثقافية في العديد من الصحف والمجلات المهجرية .. طُبِعت له حديثاً مجموعة قصصية بعنوان «علىٰ جسر الغربة» .

الفصل الخامس

الشهيدة أحلام العياشي

* مهاجرون الى النور
* الشهادة .. أسمى المُرتجى
* النشأة والسيرة
* وكانت البداية ..
* سنيّ الزمن الجليل
* ضربات قاصمة ورؤوس شامخة
* دماء بدرٍ وكربلاء
* الوداع الأبدي
* أُمهاتنا الجميلات
* مَرافىء انتظار .. وأبشع نصال!
* أوراق صفراء .. وبركان
* خُمينيّة .. خُمينيّة
* ثورة مذبوحة
* جِراح الأمس .. ودموع اليوم
* آلاء .. وريثة الشهداء
* ياأُخوتي .. هل تذكرون؟
* دولة الأمان .. إيران


الشهيدة السعيدة أحلام العياشي



الشهيدة أحلام علي العياشي و زوجها
الشهيد عماد عبد عبد الله الكرعاوي

لأجلك يا عراق الحسين

الشهيد المهندس عبد الهادي علي

الشهيد أحمد علي

الشهيد المهندس عبد الحسين علي

الشهيدة أحلام علي

الشهيد يحيى علي

الشهيد المهندس عماد عبد - الزوج

الشهيد عدنان عبد - أخ الزوج

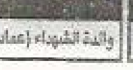


والد الشهداء احلام واخوتها



والدة الشهداء احلام واخوتها





والدة الشهداء (عماد وعدنان)

اللهم

تقبل منا هذه القرابين

- قبل ولادة (أحلام) رأيت في المنام كأنّي أزرع (تالة) ... وعندما استفسرتُ عن الرؤية بُشِّرتُ بأني سأُرزق إن شاء الله تعالىٰ بنتاً صالحةً مباركة .

الحاج علي العياشي (والد الشهيدة أحلام)

- أحلام فتاة هادئة وديعة كثيرة المطالعة ، كانت تقرأ كُتب الشهيدة بنت الهدىٰ وتوزّعها علىٰ صديقاتها ، كان لها دور فاعل وناشط بين فتيات عمرها في مدينة البيّاع .

الحاج الأُستاذ (أبو رياض المهندس) الأخ الأكبر للشهيدة أحلام

- ماما ، إنّهُ الفراق الأبدي ، والملتقىٰ في الجنّة إن شاء الله تعالىٰ .. أوصيكم بتربية طفلتي (آلاء) علىٰ الدين وحُب الخير والعراق ، فهي وديعتي فيكم .

الشهيدة أحلام العياشي

الأهداء

الىٰ مَن غرسوا في قلبها أشجار المحبّة وليداً ، فأينعت فكانت حُب الوطن .. أحلام
الىٰ التي اشتجرت عليها السِهام وتباكرت علىٰ ربيع عمرها الآلام .. احلام
ألىٰ التي كان قماط رضيعتها السلاسل والحديد .. أحلام
الىٰ التي ارتحلت ولم تترك غير وصيّة وسُنبلة .. أحلام
الىٰ زوجة الشهيد .. أُخت الشُهداء .. الشهيدة أم آلاء
أهدي صفحات من زحفِ المغول .

مهاجرون الى النور

مازال زورق الذكريات يمخر عُباب بحر الطاغوت ، مُتحدّياً أمواجه العاتية متجهاً صوب شاطىء الشهادة المنسي .. يأبىٰ أن يلين أو يستكين حتىٰ يبلغ نميره العذب السلسبيل ..

شباب أرخصوا حياتهم وكل أُمنياتهم لتأصيل حجر الأساس لتاريخ عظيم قد بدأ وسيستمر مع أجياله القادمة بفضل زكي دمائهم وصدق نواياهم .. نفوس سخيّة بالتضحيات وعشق الشهادة ، جيل نَدَر أن يجود الزمن بمثل عزمه وعطائه ، إنهُ جيل الزمن العظيم .. وحُقّ للتاريخ أن يملأ صفحاته بعبق بطولاتهم وينير أسطره بشمس تضحياتهم .

فهلمّ معي – أخي القارىء الكريم – نخترق أستار السنين العجاف الىٰ حيث الزمن الجليل – زمن الصدر وبنت الهدىٰ – حين اكتسح الأرهاب البعثي مُدن ومحافظات العراق الأبيّة كوباءٍ فتّاك .. سنين احتضنت أزكىٰ الدماء وأشرف المعارك ضد نظام الجور المتجبّر .. شباب مؤمنين لم يدخلوا قلوب أبناء شعبنا قسراً – كما هو حال أزلام النظام – بل كما الربيع في الأرض العطشىٰ ، فملأ بهم سجونهُ ومعتقلاته علّهُ يسحق شموخهم ويُعطّل أحلامهم، ثم مارس عليهم الاستئصال التام[1] فأطلق لمرتزقته وجلاديه العنان في مهرجانات القتل الجماعيّة والمقابر السرّية علىٰ صورةٍ مُريعةٍ مُرعبة ، حيث تمثّلت بربريتهم وانحدار آدميتهم علىٰ أبشعها في تعذيب النساء المخدّرات بأيديهم القذرة وبأعصابٍ باردة !

لقد زحف المغول الىٰ بغداد من جديد .. نعم فقد عاد هولاكو ! فقمع صوت الحق بأبشع وحشيّة وأفظع ساديّة وقتل أنصار الانبياء ليُعبد دون الإله !! فطوىٰ ربيع بغداد[2] وأحال نهارها ليلاً ..

أسراب من الجراد اجتاحت حقولنا الخضراء فساقت أفواج وأفواج من فسائل

---

(١) ... (صيد السمكة وتجفيف البركة في آنٍ واحد) .

(٢) ... أسير في بغداد ، أكاد أشم رائحة الدم وأحس مذاقةُ حقيقة في حلقي وأنا أبلعُ ريقي) الأُستاذة الجامعية والكاتبة ... صافيناز كاظم .

نخيلنا الشامخ وزهور حدائقنا الشذية الىٰ طوامير وزنازين الموت الأحمر لا لجريمة سوىٰ حُبّهم للاسلام والحرية ..

شعبٌ توسّد صخرة الآلام لوحشية ذئاب مؤسسات النظام التي أغرقت العراق بظلماتٍ بعضها فوق بعض وان كان بصيص شموع الاوفياء يلتمع هنا وهناك ..

أيّ مصائبٍ علىٰ شعبنا أن يتحمّل وأيّ دَمارٍ علينا أن نُكابد ، وكم من الابطال والقادة يجب أن نَزُف كي نغسل روح العراق وعقله من رجس هذا الصنم الدخيل الجاثم علىٰ صدر عراق الصدر والصبر ؟!

الشهادة .. أسمىٰ المُرتجىٰ

أحلام فتاة زينبية من بغداد ، عاشت تفاصيل كل تلك السنين العجاف المثقلة بالأحداث الجسام ، فذاقت مرارتها وحنظل أيامها بصبرٍ واحتساب .. جنّدت نفسها وما تملك في خدمة دينها والقيم التي آمنت بها ، اشتجرت عليها سهام المصائب والآلام فواجهتها بتحدٍ وإقدام حتىٰ شملها الله عزّوجل بحُسن العاقبة فتوّجت حياتها وربيع عمرها بالشهادة الدامية .

هي من عائلة الحاج علي العياشي ؛ أحد البيوت الشامخة في دنيا الثوار والأبطال في عراق عليٍّ وأبي الأحرار التي لايخفىٰ ضوءُها علىٰ ناظر ولا يُحجب نورَها عن مبصر ، بيت فتكت به المصائب وادلهمت عليه الآلام فأعطىٰ تضحيات ستظل سابحة في آفاق الأبد .. أسماء لايزيلها تقادم السنين ، ومشاعل نور لاتُطفئها ظُلمات البرابرة البعثيين ، أضاءوا بدمائهم درب الفلاح لأخوة المنهج وصنعوا بجراحهم تاريخاً للمقاومة والجهاد في مرحلةٍ هي من أعتىٰ مراحل الصراع والمنازلة ، حتىٰ ارتحلوا الىٰ حيث الحسين والصدر وكل أبناء العراق الأوفياء .

لله أنتِ أُختاه ، يامحطة المصائب والآلام .. كم عانىٰ قلبك الوادع الصغير وكم نحن معتذرون ، وان ما سنكتبه عنكِ ليس سوىٰ كلماتٍ عاجزة سرعان ما تتحول الىٰ رماد أمام سعير نار الحرائق التي أشتعلت في روحك المفجوعة بأخوتك

وزوجكِ ورضيعتكِ ، روحك التي صارعت كل وسائل التعذيب الوحشيّة فتجرّعت الموت الزؤام مرّات ومرّات وبلا أدنىٰ اعتراف ، فلمّا يئسوا منكِ قتلوكِ .. فغادرتِ الدنيا ولم تكملي عقدكِ الثاني ، ارتحلت ولم تتركي غير وصيّةٍ وطفلة .

إيهٍ أحلام ، أما من إطلالةٍ من عليائكِ أختاه ، لترين ما حلَّ بنا .. لقد كثرت السجون وازداد المهاجرون ، فمازال قاتلك يتسربل ثياب العُتاة ويتفنّن بالدمار ، ومازالت النوائح مُخيّمة علىٰ الديار .. ماذا أُنبيكِ حبيبتاه ؛ فقد زُفَّ أخوكِ الأصغر شهيداً رابعاً في شعبان المغدور ، أما أخوكِ البكر[1] فمازال في دار الغربة يكابد الآلام صابراً ويتّكأ علىٰ الجراح صامداً ، فهو كنخلة الدار التي أبت إلّا أن تبقىٰ شامخة .. إطمئنّي أُختاه ؛ فـ(آلاء) قد كبُرت بسلام وصارت كما أوصيتِ ، فهي خير خلف لخير سَلَف .. أما أبواكِ ، وآهٍ لهم ثم آه .. فقد أضنتهم الجراح وأتعبتهم الوحشة، لم يبق لهم من الوطن شيء .. لقد صادر الأوباش ديارهم واستأصلوا أبناءهم ، فهاجروا الىٰ حيث بقيّة السيف .. هاجروا ومعهم العزيزة (آلاء) هاجروا وهم يجهلونِ قبور سبعة بيارق ! هاجروا وجراحكم معهم ، بَيْدَ أن جُرحك كان نصّاً قاتلاً أختاه !! وهاهم قد رحلوا ، فقد دُفنوا في مقابر المهاجر الغريبة لا كما يتمنّون ، وكأن القدر أبىٰ إلّا أن تُدفَنوا جميعاً بعيداً عمّا تأملونِ ، حيث غري وادي السلام بجوار بطل الإسلام .. ولكن لابأس أُختاه . لا عليكِ أم آلاء .. إن هي إلّا دنيا ، ولثواب الآخرة خيرٌ وأبقىٰ .

النشأة والسيرة ..

الشهيدة السعيدة (أحلام علي حسين العياشي) من مواليد بغداد ١٩٦٢م ، نَمَت وترعرعت ودَرَست في مدينة البيّاع – حي العامل . وهي الوليد الثامن لأبويها بين ستة أولاد وخمس بنات ..

ولدت في بيت دينٍ وهُدىٰ ، وبعد أن شهد البيت ولادتها المباركة استقبل

[1] الأستاذ المجاهد عبدالكريم العياشي (أبو رياض المهندس) عضو المكتب السياسي في حزب الدعوة الإسلامية .

الأب تلك الوليدة بسرور بالغ متفائلاً بطفلته الميمومة فنشأت في عائلة متدينة فالتزمت منذ الطفولة ، فهي مُحجّبة متدينة وسط أخوان متدينين ، سيّما وأن أحد السادة المعروفين بتأويل الأحلام قد أكّد لهُ أن الوليد القادم سيكون فتاة صالحة مباركة ..

يقول والد الشهيدة[1] :

«قبل ولادة احلام رأيت في المنام كأني أزرع تالة[2] ، فعندما إستفسرت عند سيد جليل[3] بالمنطقة عن تأويل الرؤية ، بشرني بأني سأرزق إن شاء الله تعالى ببنت صالحة مُباركة ، فانفرجت أساريري وسمّيتها احلام» .

أحلام فتاة هادئة ودودة الطبع ، متواضعة ذات خُلق إسلامي رفيع .. إتّصفت بالاعتدال والإنصاف[4] وتزينت بالحُلم والحياء ، مُحيّاها يفيض بالصفاء الروحي والنقاء العقائدي فامتلئت بالعِفّة وتجمّلت بالقيم ودَرجت علىٰ حُب الحسين عليه السلام . كانت توقر الكبير وتحترم الصغير ، وتختار الكلمة الطيبة والحانية بين أخوتها ومع بنات محلّتها ، فسِمات الصدق والأخلاص والوفاء ثوابت في شخصيتها تناقلها كُل مَن عرفها .

البيّاع هي المدينة التي احتضنت بواكير نشاطها وحركتها ، فهي ذات مستوى ديني وثقافي عال ، فقد صقلها إخوتها الشُهداء من تجاربهم وما وصلت اليه خبراتهم ، فتوفَّرت علىٰ الوعي والأصالة المنهجية مُبكّراً ..

شباب عاشوا جِراح دينهم وآلام شعبهم لأن (مَن أصبح لايهتمُّ بأمور المسلمين فليس منهم)[5] ، فجاهدوا ولم يلتفتوا للوراء .. دُعاة علىٰ خط الشهيد الصدر تفجّروا حيوية ونشاطاً وعملوا ليل نهار ليبقىٰ خط المرجع القائد منهجاً ساخناً وثاراً حاضراً ، فهُم مشاعل نور في أزقّة البيّاع يُضيئون دروبها ويكدحون لطرد الظلام

---

١ - الحاج علي العياشي .

٢ - التالة : فسيلة النخلة .

٣ - السيد حسين الهندي الموسوي - والد السيد محمد الموسوي .

٤ - (الأنصاف أفضل الفضائل) ، غرر الحكم : ٣٩٤ .

٥ - حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وآله رواه الإمام الصادق عليه السلام ، الكافي ٢ / ١٦٤ .

الذي عشعش عليها .. والفضل في كل ذلك يعود الىٰ دعم وإسناد الأبوين[1] اللذين امتلأ خيراً وحُبّاً للإسلام ولمذهب أهل البيت عليهم السلام ، حيث غرسا في قلوب أبنائهم الدين وسقوهُ بسلسبيل ماء حب الوطن ، فأينعَ نخيلاً مثمراً وزيتونةً مباركة .

تفتحت لشهيدتنا البطلة الحياة تفتّح أزهار القدّاح للربيع ، كانت أيامها هادئة وعيشتها هانئة ، لذا فهي لم تسلك درب الأحرار تحت ضغط القهر والمعاناة ، بل اختارت منهجها بوعي وبصيرة فامتلأت روحها ثباتاً وعزيمة .

لجأت - وبمباركة أخوتها - الىٰ نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة في أوساط بنات محلّتها بحذرٍ وإتقان ، فكانت تُضفي علىٰ تحرُّكها الرسالي الجانب الثقافي والأصلاحي ، سيّما وقد أصبحت الشهيدة المُربيّة (بنت الهُدىٰ) نبراساً لثقافتها ودربها ، لذا كانت تزور صديقاتها وتوزّع مؤلّفات بنت الهدىٰ وقصصها كالفراشة توزّع الرحيق .

تمر الأيام و(أحلام) فراشة تحوم علىٰ أضواء شموعها - أخوتها حُماة خِدرِها. - لبوة عزيزة مُكرّمة تتنقّل بين الليوث ، حتىٰ ارتقت مركزاً رفيعاً في قلوب المقرّبات وسَمَت بموقعٍ رياديٍّ في خارطة بنات جيلها في المنطقة التي تقطنها .

الىٰ المجد يافتيات الهُدىٰ	لنُحيي مآثرنا الخالدات
ونكتب تاريخنا ناصعاً	مُضيئاً بأعمالنا الزاهرات
فأمّا مقام العُلىٰ نَرتقيه	وأمّا قبرراً تضم الرُفاة[2]

هذا ما كان من نشأة وسلوك الشهيدة (أحلام) إرثاً وتربية .

يقول الأخ الأكبر للشهيدة[3] :

«كانت أحلام ؛ هادئة وديعة ، كثيرة المطالعة تقرأ كُتب الشهيدة بنت الهدىٰ وتوزعها علىٰ

---

(١) عمل الأمهات هو نفسه عمل الأنبياء ، إنكنّ تستطعن أن تُربين أطفالاً يحفظون آمال الأنبياء . من أحاديث الإمام الخميني قدس سره .

(٢) قصيدة للشهيدة الرائدة (بنت الهدى) .

(٣) عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية الحاج الاستاذ عبدالكريم العباشي العنزي (أبو رياض المهندس) .

صديقاتها ، كانت تقرأ كتب الشهيد سيد قطب وكتب الأستاذ فتحي يكن ضمن إرشادات وتوجيهات أخواتها الشهداء الدعاة رغم انها كانت غير منتمية رسمياً لصفوف الحزب بيْدَ انها كانت في فلك الدعوة تماماً لأنها نشأت في ذلك الجو الإسلامي الطيب . كان لها نشاط ثقافي واجتماعي جيد بين صديقاتها في منطقة البيّاع - رغم صغر سنّها - نتيجة لنشاط الدعاة حينذاك والذي خلق حركة نسوية جيدة في مناطق البياع وحي العامل .. لذا كان للشهيدة دور فاعل وناشط بين اترابها اللاتي كُنّ يشاركن في الاعتكافات التي كُنّا نقوم بها في مسجد الكوفة ومسجد السهلة وفي الرحلات والزيارات الجماعية - رجالاً ونساءً - والتي كُنّا ننظمها أيام الخميس والجمعة .

ذكرياتي مع الشهيدة احلام كانت - وللأسف - محدودة الجوانب رتيبة الايقاع ، باعتباري كنت الأخ الأكبر للأسرة واقوم بدور الأب أحياناً ، فكانت رحمة الله عليها تنظر لي بهيبة واحترام فائق كراع وكأب ، في الوقت الذي كانت علاقتها عميقة ومنسجمة وذات خصوصية مع أخوتي الشهداء» .

وكانت البداية ..

بدأت العلاقات الإسلامية بين شباب هذه المدينة المجاهدة تتداخل وتنسجم بعد أن جمعتهم قدسيّة الهدف ووحدة المنهج[1] .. شباب بررة للعراق ولخط أهل البيت عليهم السلام ، سخّروا مبادئهم وجُل طاقاتهم لخدمة دينهم وتراب وطنهم ، وسلكوا الطريق الموصلة الى عِزّة العراق وكرامة شعبه ، انطلاقاً من احساسهم بالمسؤولية .. إنه طريق الشهادة الواعية ..

وشاءت النعمة الإلهية أن تُتوّج العلاقة بين عائلة علي حسين العياشي وعائلة المرحوم عبد عبدالله القرعاوي[2] بالزواج[3] .. كانوا من النُخبة الطيّبة والطليعة

---

١ - (مَن اتّخذ أخاً بعد حُسن الاختبار ، دامت صُحبتهُ وتأكّدت مودّتهما) . الإمام علي عليه السلام غرر الحكم / ٢٩٢ .

٢ - توفي المرحوم عبد عبدالله القرعاوي في وقت مبكر - عام ١٩٦٥م - في منطقة حي العامل ، وترك زوجة وخمسة أطفال (ثلاثة أولاد وبنتان) .. فتحمّلت الأم المسؤولية الكبيرة وصمّمت على إتمام الرحلة بنجاح ، فبذلت الجهد الجهيد لتجعل من أطفالها رجالاً مؤمنين وبنات مُخدّرات .. وما ان اكمل الابن الأكبر عدنان - مواليد ١٩٥١م - الدراسة الاعدادية عام ١٩٧٢ حتى أصرّ على استلام مسؤولية العائلة وصار يكد ويكدح لتوفير الرعاية والاستقرار لوالدته وأخوته وبالتالي ليتسنّى له (عدنان) اكمال دراسته الجامعية ليتخرّج مهندساً .

٣ - تزوج عام ١٩٧٢م الابن البكر للحاج العياشي (أبو رياض المهندس - مواليد ١٩٥٤م) من إحدى بناتهم فيما تزوج - فيما بعد - أخوه عبدالحسين - مواليد ١٩٥٦م - من الأخت الأخرى .. بينما تزوج عدنان عام ١٩٧٤م إحدى بنات خالهم .

الواعية في منطقة (حي العامل) وكانت يوميّات حياتهم محراباً لأفكارهم ومبادئهم، فهُم كأذان الفجر في أروقة الحي، بل هم كالشمس في مدينة البياع.

وتمر الشهور والسنين وإذا بحكومة الطاغوت تُصيبُ جسد الإسلام بطعنةٍ غادرة نجلاء، حيث أقدمت في (١٩٧٤/٧/١٧م) على اعتقال الشيخ عارف البصري - من منزله بالزوية، الكرادة الشرقية - ورفاقه (قبضة الهدىٰ) وتمّ إخضاعهم لمحاكمة صورية في محكمة (الثورة) العسكرية وبرئاسة المجرم القاضي جار الله العلّاف والحكم عليهم يوم (١٩٧٤/١١/١٣م) بالأعدام شنقاً .. تجرأت عصابة بغداد علىٰ تنفيذ حكم الأعدام الجائر بالشيخ البصري ورفاقه الأربعة[١] رغم وساطة الإمام الخميني[٢] عند رأس النظام (البكر) الذي لم يف بوعده!

وقد رافق هذا الحدث اعتقال عددٍ كبيرٍ من كوادر الحزب وحلقاته الرئيسية[٣] وأصيب بضربة قاصمة أفقدته أكثر من ٦٠٪ من حجمه في اقليم العراق بعد أن تعرّضت الحركة الإسلامية لحملة ظالمة شرسة من الاعدامات بسبب التداعيات والاعترافات تحت طائلة التعذيب والانتقام. وبالرغم من أن هذه النكبة قد تركت آثاراً عميقة في نفوس كل الطلائع المرتبطة بالتنظيم، بَيْدَ أن هذه الجريمة لم تُعطِّل نشاطهم ولم تمنعهم من مواصلة دربهم لأن (مَن يستيقن يعمل جاهداً)[٤].

وتمضي السنين ويتقدَّم المجاهد المهندس عماد[٥] للزواج من الزينبيّة أحلام .. تم عقد الزواج في أجواء فرحٍ وسرور حضرهُ جمعٌ من الأقارب والأحبة .. وجوه طافحة بالسعادة وقلوب مملوءة بالتقوىٰ والبهجة. وتمر الشهور وحياة الزوجين هادئة هادفة، فلم تَزَل يوميات (أحلام) إنتماءات لتلك المناهج التي آمنت بها ووطّدت الروح عليها منذ صباها، فهي قد جنّدت كل جُهدها وجهادها لخدمة

١- السيد عماد الطباطبائي والسيد عز الدين القبانجي والأُستاذ حسين جلوخان والأُستاذ نوري طعمة.

٢- في لقاء مع أحد الوفود المعزّية قال الإمام الخميني متألماً: «يبدوا ان هؤلاء - النظام البعثي - لايفهمون لغة الكلام».

٣- مثال الأُستاذ قاسم عبود (مدير مدارس الجواد في البصرة. والرابط مع القيادة) والسيد عبدالرحيم الشوكي والشيخ مجيد الصيمري.

٤- الإمام علي عليه السلام. غرر الحكم / ٢٦٩.

٥- عماد عبد من مواليد ١٩٥٤م - حي العامل بالعاصمة بغداد. تخرّج من الجامعة التكنولوجية عام ١٩٧٨م ليُوظّف مهندساً ميكانيكياً في معمل المصابيح الكهربائية بمنطقة التاجي شمال بغداد.. تزوج عام ١٩٧٧م من الآنسة أحلام علي العياشي .. كان داعيةً كبيراً ومجاهداً بارزاً. تحمّل مسؤولية عدّة خلايا تنظيمية وجهادية في بغداد والبيّاع.

زوجها وأخوتها بكل عزم ومثابرة ، أما المهندس (عماد) فهو الآخر مازال يتفجّر شعوراً بالمسؤولية الرسالية ، لم يُثنه هدوء حياته وصلاح مستقبله عن مواصلة الدرب الذي اختارهُ منذ صباه ، لذا اشترك مع بقية الأخوة في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م[١] التي اعُتقل فيها المرجع السيد محمد باقر الصدر وحجة الإسلام السيد محمد باقر الحكيم وآلاف المؤمنين من مدينة النجف والمناطق المجاورة لها بمناسبة مسيرة (المشي) المتوارثة في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام .

* * *

ترىٰ ماذا تُخبأ الأيام لهذه الأُسَر الهادئة الهادفة ؟! نعم ، ستعيش هذه البيوت - كما هي بيوت الأحرار في جميع محافظات العراق - مصائباً تتقوّس لها قامات الرجال !! بيوت جليلة مقبلة علىٰ سلسلة من المآسي الرهيبة والمصائب العجيبة . فالتشتّت والفراق الأبدي كان علىٰ الأبواب يتبعهم اتباع الفصيل أثر أُمّه ، حيث هيّأ لهم الدهر نصال غدرهِ ولؤمه ، فأصابت سهام الطاغوت خيمة أحلامهم فتمزّقوا وتفرّقوا .. والىٰ الابد .

ولكن كيف حصل ذلك ؟!

هذا ما ستراه في سني حياتهم القريبة القادمة :

سنيّ الزمن الجليل

كانت المرحلة عاتية والسنين حمراء بلون الدم ، إنها سنوات الغليان الثوري في عراق الصدر .. فقد أُجبر الإمام الخميني قدس سره علىٰ مغادرة النجف الأشرف تحت ضغوط حكومة البعث التي حاولت تحجيم حركته وإفشال ثورته[٢] ، فانطلق يقود جموع الملايين من مقرّه الجديد في باريس لتأجيج نور الثورة الإسلامية الشعبية التي اقتلعت فيما بعد عرش ملك الملوك ونجحت في تأسيس أول جمهورية

---

١ - تسمىٰ إنتفاضة صفر بانتفاضة الأربعين ، والتي صادفت يوم ٢٠ - صفر - ١٣٩٧هـ .

٢ - خيّر النظام العراقي الإمام الخميني قدس سره بين البقاء في النجف وعدم ممارسة أي نشاطٍ سياسيٍّ ضد نظام الشاه وبين مغادرة العراق فرفض الخيار الأول بلا أدنىٰ تردُّد وحاول السفر الىٰ دولة الكويت التي رفضت إستقباله !

ـسلامية في العصر الحديث[1] . وكادت تجربة إيران تتكرّر في عراق المقدسات لولا ـعاون قوىٰ الشر مع نظام بغداد لقمع حركة الشعب الثائر - الذي انطلق مع قائده الإمام الصدر - بشكلٍ دمويٍّ والذي تمثّل بأبشع صورةٍ في قتل المرجع القائد السيد الصدر وأُخته العلوية الفاضلة (بنت الهدىٰ) ..

أخي القارىء الكريم ؛ ولأجل أن نقترب أكثر من ملامح صورة تلك المرحلة الفاصلة التي عاشها المجاهدون والدُعاة - ومنهم أبطال مَلحمتنا هذه - تعال معي ـستعرض وبشكلٍ خاطفٍ جملة من المواقف الكبيرة الساخنة التي أعطت صورة واضحة لنظام بغداد بأن هذا الرجل - المرجع السيد الصدر - إن هو إلّا قائدٌ يمتلك ـرنامجاً سياسيّاً متكاملاً وخطّاً رسالياً صارماً لايقبل التحييد والاستثمار[2] .

نعم ، كانت بحق معركة مصيرية عاشها مَرجع خرج عن سربه وأعلنها ثورةً ـسلاميةً عراقية أو شهادةً حمراء تأصيلية :

* كان السيد الصدر يَرقب الثورة الإسلامية في إيران - بقيادة الإمام الخميني - ـكل صبر الأجيال المظلومة والمستضعفة في عراق المقدسات[3] رُغم أراجيف

ـ/١٩٧٩/٢م .

ـم يكن السيد الصدرقدس سره ببعيد عن ملفات حكومة البعث ، فقد بدأوا حملاتهم ضدّه منذ مجيئهم في إنقلاب عام ١٩٦٣م ـواسطة المدعو (حسين الصافي) بعد أن أخذت إطروحة السيد الفكرية تتعمق في أجواء حوزة النجف الدينية . بالاضافة الى ـجملة من المواقف قام بها السيد الصدر وقد رصدتها عيون ومرتزقة السلطة منها : الدور الفاعل الذي قام به السيد في ـتهيئة الوفد العلمائي الحوزوي واستقباله للامام الخمينيرحمه الله الذي كان منفياً من قبل حكومة الشاه الىٰ تركيا ومنها الى ـالعراق إثر أحداث ومظاهرات ١٥ / خرداد / ١٩٦٤م .. كذلك محاولات السيد الصدر في عرقلة حملات التسفير الجماعي ـللطلبة والعلماء الىٰ إيران عام (١٩٧٠م) . كما امتنع عن الرضوخ لأصدار فتوىٰ في شرعية مقاتلة الأخوة الأكراد وكان قد ـسبقه بهذا القرار مرجع الطائفة السيد محسن الحكيمقدس سره الذي حرّم قتال الأكراد .

ـأرسل النظام عام ١٩٧٢م عضو مايسمىٰ بالقيادة القومية لحزب البعث (زيد حيدر) لزيارة السيد الصدر لاستدراجه ـوإسكاته في كم أفواه الجماهير ، بَيْد أن المجرم خرج من بيت السيد خائب الظن . مما جعل النظام يحاول اعتقال السيد لولا ـأنه فاكتفوا بتقييده بالسلاسل - الجامعة - وهو راقد في المستشفىٰ . ثم أُلغي أمر الاعتقال .. لكنهم عادوا عام ١٩٧٧م ـالمشؤومة واعتقلوا أيضاً حُجّة الإسلام السيد محمد باقر الحكيم إثر الصِدام الذي حصل بين النظام والجماهير المؤمنة التي ـكانت قد خرجت في مسيراتٍ سنويةٍ كبيرة من النجف الأشرف الىٰ كربلاء المقدّسة بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ، ـوتم اعتقال أكثر من عشرة آلاف زائر ومجاهد من مختلف مدن العراق .. وقد أُطلق علىٰ تلك الأحداث والمواجهات بـ ـ(انتفاضة صفر) .

ـمن رسالة الشهيد الصدر لأحد تلامذته في إيران يتحدث فيها عن حركة الإمام الخميني أبان انتفاضة خرداد عام ـ١٩٦٣م ونفي قائدها : «... وأما بالنسبة الى إيران فلايزال الوضع كما كان ، والسيد الخميني مُبعداً في تركيا من قِبل عملاء

القاعدين وتشكيك المثبطين .. لذا بعث برسالة مطوّلة الىٰ الإمام وهو في باريس يُعلن فيها عن تأييده المطلق له ولثورته الإسلامية ضد الشاه ، في الوقت الذي حاولت حكومة بغداد من محاصرة وإعاقة حركة قائدها ! لذا فإن هذه الرسالة لم تكن بالأمر المنسجم والمألوف أزاء مواقف حكومة بغداد الحانقة ، بل ان هذا التأييد المطلق والمبكّر من السيد الصدر للإمام وثورته كان بمثابة الفتوىٰ الشرعية لوجهة الشعب العراقي السياسية ، لذا وُسِمَتْ المظاهرة المحدودة التي خرجت من مسجد الخضراء والتي قُمِعت في الحال بـ «جماعة الصدر خرجوا لتأييد الخميني !» .. لذا أستفهم مدير (الأمن) العام - فيما بعد - من السيد الصدر مستنكر تأييده وتعاطفه مع الثورة الإسلامية في إيران وقيادتها وقبل أن تُعلن بغداد رأيها بعد ! فكان جواب السيد بأنه مرجع للمسلمين ويتصرّف كما يملي عليه دينه ومسؤوليته الشرعيّة وهو غير مرتبط بموقف الحكومة ببغداد .

* عند وصول الإمام الخميني مطار مهرآباد وخطابه التاريخي في جنّة الزهراء حيث انتصار الثورة الإسلامية في إيران (١١ / شباط / ١٩٧٩م) عاش شعبنا في العراق أجواء فرح لانظير لها في عالمنا العربي والإسلامي أبداً .. وكان الفضل في تعبئة الشعب يعودُ للمرجعية الرشيدة المتمثلة بالسيد الصدر ﴿﴾ وبياناته المتعلّقة بالثورة وكذلك بيان آية الله العظمىٰ السيد السبزواري ، كما يعود الفضل للحركة الإسلامية التي كان ابرز فعالياتها حزب الدعوة الإسلامية .

* في آذار / ١٩٧٩م أفتىٰ السيد الصدر بحُرمة الصلاة خلف أئمة الجوامع في العراق الذين لايملكون الوكالات الشرعية من مراجع التقليد في النجف الأشرف وذلك إقصاءً لمرتزقة النظام (وعّاظ السلاطين) عن محاولات قيادة الشباب .

* في نيسان / ١٩٧٩م - الشهر الذي يحتفل فيه النظام بأعياد تأسيس حزبه - أصدر الإمام السيد الصدر فتوىٰ تُحرّم الانتماء الىٰ حزب البعث الحاكم !! وعند

أميركا في إيران ، وقد استطاع السيد الخميني في هذه المرّة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتّهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر ، لأن خوض معركة ضد إعطاء امتيازات جديدة للاميركان المستعمرين لايمكن لإنسان في العالم أن يصفه بالرجعية والتأخر ...» .

استُدعي السيد من قِبل النظام كان جوابه ساخراً لأنها فتواهم هُم ، باعتبارهم اشترطوا فصل الدين عن السياسة .

* في مايس / ١٩٧٩م أقام الإمام الصدر مجلس عزاء علىٰ روح الشهيد الكبير الدكتور مرتضىٰ المطهري - رئيس مجلس قيادة الثورة الإسلامية - الذي اغتالته منظمة (فرقان) يوم ٢ / مايس / ١٩٧٩م ، وذلك تواصلاً منه مع مجريات الأحداث الجارية علىٰ ساحة الجمهورية الإسلامية الفتية ساعة بساعة ، مِمّا أثار حنق النظام في بغداد .

* أرسل السيد الصدر برقية رائعة للسيد الإمام جاء فيها : «.... ونضع كل وجودنا في خدمة وجودكم الكبير....»[1] وقد فسّر أزلام النظام هذه البرقية تفسيراً خطيراً باعتبارها تستبطن استعداد السيد الصدر المطلق لأعلان ثورة علىٰ حكمهم تبعاً لأوامر الإمام الخميني .

* في حزيران / ١٩٧٩م - الموافق ٥ / رجب / ١٣٩٩ هـ - أرسل الإمام الخميني برقية الىٰ السيد الصدر يطلب اليه البقاء في النجف الأشرف لحماية الحوزة العلمية ورعاية شؤونها وعدم الهجرة خارج العراق ، بعد أن وصلتهُ أنباء من مصادر غير دقيقة تقول ان السيد الصدر عازم علىٰ الهجرة بسبب ضغط وممارسات حكومة بغداد ضده .

وقد أجاب السيد ببرقية شكر أكد فيها عزمهُ علىٰ البقاء وعدم الهجرة إحساساً منه بالمسؤولية التاريخية أزاء حوزة النجف الأشرف والعراق وشعبه .

وما أن اطّلعت جماهير العراق المؤمنة علىٰ البرقيتين - من خلال راديو طهران العربي ، حتىٰ زحف عشرات الآلاف من مريدي وعشّاق ووكلاء الإمام الصدر من مختلف مدن العراق نحو النجف الأشرف وبشكل وفود ، لتكرار العهد والبيعة ، حيث كانت منزل القائد الذي بدوره طمأنهم وتعهد ببقائه معهم ولم يتركهم .. بَيْدَ أن السيد الصدر أعلم وكلاءه - سيّما الفاعلين - عن عزم السلطة البعثية في بغداد علىٰ

---

(1) قال الإمام الصدر يدعو الشعب العراقي للذوبان في مرجعية وخط الإمام الخميني : «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام» .

اعتقاله ، ورتّب لهم برنامج مظاهرات شعبية فور تنفيذ خطّة النظام .

* في ١٤ / حزيران / ١٩٧٩م ، الموافق ١٧ / رجب / ١٣٩٩هـ ، حصل ما كان متوقعاً ، ففي ساعة مبكرة من الصباح تم تطويق منزل الإمام الصدر من قِبَل أزلام ومرتزقة أمن النظام بمعيّة مدير (أمن) النجف المدعو (أبو سعد) الذي طلب من السيد الحضور الیٰ بغداد لمقابلة القيادة السياسية هناك ، بَيْدَ أنَّ السيد رفض هذه المقابلة .. وبعد مشادّة كلامية كشف المجرم عن حقيقة نواياه وأخبر السيد بأمر الاعتقال الذي لم يرهبه ، فتم نقله الیٰ بغداد ..

لذا خرجت الفاضلة المربّية (بنت الهدیٰ) الیٰ الصحن الحيدري تصرخ وتنادي «الظليمة ، الظليمة .. اعتقلوا مرجعكم» فكانت هذه الصيحة الشرارة الأولیٰ التي فجّرت انتفاضة رجب المباركة ، حيث شهدت النجف الأشرف - قبل الظهر - تظاهرات كبيرة اشتركت فيها بنات الزهراء كما شهدت مدينة الثورة ببغداد مساءً مظاهرات واسعة اشتركت فيها كل أطياف الحركة الإسلامية[1] وكل زينبيات الإسلام بمن فيهن نساء من السادة آل المبرقع .. ثم امتدّت المظاهرات والاحتجاجات الیٰ جميع مناطق ومدن العراق الأبيّة فضلاً عن بعض دول الخليج ولبنان وإيران والباكستان ، مطالبين بأطلاق سراح قائدهم ومرجعهم السيد الصدر ..

وهكذا شارك شباب مدينة البيّاع في المظاهرات ومن ثم - فيما بعد - في وفود البيعة للمرجع القائد ، وكان علیٰ رأسهم أخوة (أحلام) وزوجها وأخوه .. كانوا أنصار حسين زمانهم ، فهم يقاتلون كأن الجنة ماثلة أمام أعينهم بعد أن تيقنوا ان (الشهادة عِزٌ دائم)[2] .

فرضخت حكومة بغداد لصرخات الجماهير الغاضبة وأطلقت سراح الإمام

---

١ - يقول الحاج الأستاذ عبدالكريم العياشي : «شاركتُ مع الشهداء كلهم في مظاهرة مدينة الثورة ، وكنت أنا والشيخ الشهيد محمد يونس مَن خطط لبعض تفصيلاتها .
وقبل ذلك وأثناء الثورة الإسلامية في إيران (قبل إنتصارها) كان لنا وللشهداء دور مهم في توزيع المنشورات ضد السلطة . كما كان للشهيد باسم الحدّاد والشهيد خضر عبدالصاحب والشهيدين غسان لعيبي وعلي لعيبي والشهيد محمد عبدالصاحب دور بالغ الأهمية في طباعة وتوزيع المنشورات» .

٢ - من أقوال الإمام الخميني ﷺ .

الصدر في اليوم نفسه بعد أن تعرّض للأستجواب من قِبل المجرم العميد فاضل البراك الذي أمر مرتزقته بايصال السيد الىٰ بيته وبسيارته الخاصة وبأحترام .

بَيْدَ أن تلك الاساليب الخادعة لم تنطل علىٰ الإمام الصدر الذي أصدر بيانه الأول حيث أعلن فيه عن عدّة مطالب من السلطة الحاكمة .

* في ١٧ / تموز / ١٩٧٩م استلم الطاغية صدام مهام الحكم بشكلٍ رسمي بعد إبعاد أحمد حسن البكر عن منصبه .

* في آب / ١٩٧٩م الإمام الصدر يوجّه نداءه الثاني - البيان التاريخي الثاني - موضحاً فيه الحالة المأساوية التي يعيشها الشعب العراقي المسلم علىٰ أيدي السفاكين المجرمين ، ومعاهداً علىٰ مواصلة الجهاد حتىٰ النصر أو الشهادة ، معلناً أنهُ قد صمّم علىٰ الشهادة وداعياً كل مسلم في العراق وكل عراقي في خارج العراق أن يعمل كل ما في وسعه ولو كلّفه حياته من أجلِ ادامة الجهاد والنضال لإزالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب وتحريره من العصابة اللاانسانية وتوفير حكمٍ صالحٍ فذّ شريف طيّب يقوم علىٰ أساس الإسلام[1] .

* في آب / ١٩٧٩م إتّصل مدير الشعبة الخامسة في مديرية (الأمن) العامة المجرم العقيد زهير (أبو أسماء) بالسيد الصدر - تلفونياً - وأبلغه بأنهُ قيد الاحتجاز الرسمي - الأقامة الجبرية - وقد حاصر أزلام النظام المنزل لمنع أي إتصال به[2] . وقد قطعوا عن السيد وعائلته وأطفاله الماء والكهرباء والتلفون ولعدّة أيام .

---

(١) دخل حزب الدعوة الإسلامية المرحلة السياسية وبشكلٍ علني بعد أحداث رَجَب (١٧ / رجب / ١٣٩٩ هـ وبضغط مباشر من الإمام الصدر الذي قاد الجماهير نحو الثورة فقد أجبرت الأحداث قيادة الحزب على الرضوخ للمواجهة السياسية مع النظام بعد أن رفضت وأجّلت جميع المقترحات بهذا الصدد منذ عام ١٩٦٣م وحتىٰ عام ١٩٧١م .. وكانت البداية الحقيقية للعمل الجهادي المُسلّح في أشهر عام ١٩٧٩م الأولىٰ . وباكورة العمليات تمثلت في الهجوم علىٰ أحد مقرّات الجيش الشعبي التابع للنظام في مدينة الثورة الثائرة . ثم لحقها هجوم شجاع علىٰ مديرية (أمن) الكاظمية من قِبل المجاهد المهندس (رياض حسن ...) بعدها توسع العمل المسلح ليشمل عمليات اغتيال لشخصيات بعثية كبيرة في لبنان والتي تزامنت مع عملية نسف سفارة النظام في بيروت يوم ١٩٨١/١٢/١٥م والتي نفذها الاستشهادي (أبو مريم العراقي) .

(٢) بسبب تصاعد الأحداث قامت قوات أمن النظام - فيما بعد - بتطويق منزل المرجع الشهيد الصدر واعتقال مَن يتجرأ علىٰ زيارته لذا بدأت وفود المؤمنين والدُعاة تتناقص وتتلاشىٰ اللهم سوىٰ أولئك الذين بايعوا وكانوا من الصادقين .. يقول الحاج عبدالكريم العياشي :

* في أيلوم / ١٩٧٩م أجرت إذاعة طهران – القسم العربي – إتصالاً هاتفياً مع الإمام الصدر ، تستفسر عن صحته وتعلمه عن البرقيات الكثيرة التي أُرسلت إليه وبالخصوص برقيّة الإمام الخميني والسيد الگُلبايگاني .. لذا أجاب السيد الصدر – تلفونياً – ببرقيّة شكر عن هذا التفقّد الأبوي ، وذكر أنهُ مودَع في زاوية البيت لايرى أحداً ولايراهُ أحد ، وأثنىٰ علىٰ الوجود المبارك للإمام الخميني الذي سيظل – بنجاح ثورته الإسلامية المباركة – للمجاهدين وعلىٰ مدىٰ التاريخ مثلاً عظيماً ، كما شكر السيد الگُلبايگاني علىٰ برقيّتهُ وتفقدهُ الأبوي[1] .

* في تشرين الأول / ١٩٧٩م عززت الحكومة البعثية إجراءات الإقامة الجبرية ونقاط الحراسة علىٰ جميع مفارق الطرق الموصلة لمنزل الإمام الصدر وقد رافق ذلك حملات إعتقال محمومة لآلاف وكلاء وطلّاب وعشّاق ودُعاة السيد الصدر في كافة مدن ومحافظات العراق وقد شهدت صحارىٰ العراق النائية مهرجانات إعدام جماعية ومقابر سرّية .. مِمّا اضطر منظمة العفو الدولية للتدخُّل ولكن دون جدوىٰ .

«صمّمنا – أنا والشهيد عدنان – على الذهاب الى النجف الأشرف لزيارة السيد الصدر مُتحدّين أسوء النتائج . سيّما أننا قد قمنا قبل ذلك بتحفيز المؤمنين والمجاهدين علىٰ ذلك فلا ينبغي بنا أن نتخاذل .. وصلنا حي العمارة عصراً وكانت الأزقة المؤدية لمنزل السيد الصدر قد تم تطويقها بأزلام أمن النظام . دخلنا علىٰ السيد الصدر فلم نجد سوىٰ سبعة عشر نفراً فقط !! السيد الشهيد وبالرغم من ارتياحه ومباركته لزيارتنا وثنائه علىٰ شجاعتنا أبدىٰ حرصه علىٰ سلامتنا وقال : (لماذا تعرّضون أنفسكم للمخاطر يا أبنائي) . بقينا أكثر من نصف ساعة ثم هممنا بالخروج فهمس لنا الحاج عباس بنصحنا بالخروج علىٰ شكل مجموعة واحدة لا فرادا لئلا يعتقلوننا . إلّا أن ذلك لم يغيّر من الأمر شيئاً حيث وجدنا الزقاق قد أغلق بأزلام أمن النظام الذين حاولوا اعتقالنا فهربنا الىٰ الجهة الأُخرىٰ من الزقاق لكننا وجدنا أن الأمر سيّان . فهجموا علينا واعتقلونا ومسك كل مجرم بشخصٍ وقام بلوي ذراعه الىٰ الخلف ويدفع به صوب السيارة المستقرة في منعطف الشارع الرئيسي .. أثناء الاعتقال قام الشهيد عدنان بحركةٍ بارعة الذكاء . إذ أخذ بذراعي وصار يدفعني وسط الضجّة فانطلىٰ الأمر عليهم .. كانت الأبواب ونهايات الأزقة الضيقة مكتظّة بالناس وأهالي الحي ، انهم ينظرون إلينا بحزنٍ وألم ولكن بلا مساعدة ، والىٰ المجرمون بغضبٍ وازدراء ، ولكن بلا أدنىٰ حركة . عندما وصلنا الى أحد مفارق الازقة المزدحمة بالناس همست للشهيد عدنان باستغلال الفرصة والافلات . وفعلاً دسست نفسي وسط الزحام وصرت كأحد المتفرجين . أما الشهيد عدنان فقد هرول هارباً للأمام فانكشف أمره وتمّت مطاردته واعتقاله تحت تهديد السلاح إلّا أنهم أطلقوا سراحه بعد أربعة أيام نتيجة إصراره علىٰ الادعاء بأنه سائق سيارة قد جاء الىٰ الحي الصناعي لتعميرها ولا شأن له بكل ما يتعلق بالسياسة» .

١ – برقية الشكر الجوابية للإمام الصدر علىٰ برقية الإمام الخميني والسيد الگلبايگاني جاءت من خلال اتصال هاتفي غريب – وفي ظروف الأقامة الجبرية والمراقبة المشدّدة – من إذاعة طهران العربي .

ضربات قاصمة ورؤوس شامخة

ما أن غطّىٰ الليل أزقّة المدينة بجلبابه الأسود حتىٰ تسوّر أزلام (أمن) النظام بيوت المجاهدين . وكان كل من (المهندس عبدالحسين وعبدالهادي ويحيىٰ والأب والمهندس عماد وعدنان) من ضمن المعتقلين في تلك الحملة .. وقد حاولوا القبض علىٰ المهندس عبدالكريم العيّاشي فلم يجدوه ممّا اضطرهم للضغط علىٰ أخوته وأبيه ليتوصلوا إلىٰ مكان اختفائه ، لكنهم عجزوا عن ذلك فأطلقوا سراح الأب بعد عشرة أيام فيما أُطلق سراح أبنائه[1] بعد أكثر من شهرين .. أما عدنان فقد خرج بعد أسبوع من اعتقاله فيما خرج المهندس عماد بعد شهرين ، مِمّا اضطره لتغيير محل سكناه في مدينة البيّاع عدّة مرّات للتعتيم علىٰ نشاطه وللتخلص من عيون المرتزقة التي دأبت علىٰ مراقبته .

يقول الحاج الأستاذ عبدالكريم العيّاشي :

«بعد أحداث رجب ومحاولة النظام اعتقالي ، خرجت من بغداد لشقتي وعائلتي في النجف

---

(1) يقول الحاج عبدالكريم العيّاشي : «أخبرني الشهيد عبدالهادي ان أزلام (العامة) قد أخذوه الىٰ مستوصف صحي قريب من الشعبة الخامسة لمعالجة جراح القدم ولإخراج الدم الأسود والصديد المتجمّع تحت الجلد نتيجة التعذيب بـ(الفلقة).. وصادف أن كان معهُ الشهيد باسم الحدّاد الذي كان شامخاً قد أغاظهم بصموده وعدم اعترافه . يقول الشهيد عبدالهادي : بادرني الشهيد باسم بالسؤال وقال : «هل أنت أحد الأخوة الثلاثة الذين تم تعذيبهم أمام أعين والدهم» ؟!

أجبته : نعم أنا أحدهم .

تنفس بحسرة وقال : «أنظر يا أخي الىٰ يدي .. هذا هو الأظفر الرابع الذي يقتلعوهُ ، ولكثرة الجراح والالتهابات التي أصابت يدي جلبوا بي للعلاج كي يعاودوا علىٰ اليد الأخرىٰ ، وأنا والله لم أبالي وأتألم بقدر الألم الذي أصابني أثناء تعذيبكم ، إذ كنت أسمع صوت والدكم وهو يصرخ بطريقة عجيبة وينادي بالمجرمين أن اتركوا أولادي ، لاتعذبوهم ها أنا أمامكم بدلاً عنهم .. كان مشهداً يفوق طاقة الإنسان ...» .

يضيف الشهيد عبدالهادي : منذ تلك اللحظة التي انتهىٰ فيها حديث الشهيد باسم تحوّلتُ الىٰ شخص آخر ، فصرت أكثر عبادةً وصموداً وصبراً واحتساباً ، بل وتبدّلت نظرتي الىٰ مُجمل الاحداث التي مررت بها لاحقاً ، إذ لم تفارق صورة الشهيد باسم خيالي وصاباه و تذب كلماته وطريقة كلامه وثقته بنفسه وبربّه» .

وجدير ذكره تذكّر القارىء الكريم بأن الشهيد باسم الحدّاد من مواليد (واسط) عام ١٩٥٧ ، انتقل مع عائلته الىٰ بغداد للسكن ، ذو أخلاق رفيعة وشخصيّة محبوبة .. انضم الىٰ حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٧٦ من خلال خلايا التنظيم في كلية الطب – جامعة بغداد . اعتُقل في ١٩٧٩/٩/٩م وهو في الصف الخامس طب بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران .. كان يكثر من توزيع المنشورات والصور الكاريكاتيريّة ضد صدّام والبكر .. تعرّض لتعذيبٍ وحشيٍّ علىٰ يد المجرم الجلّاد رائد عامر ولم يعترف .. أصدرت محكمة (الثورة) العسكرية في ١٩٧٩/١٠/١٠م ونفّذ فيه حكم الاعدام الجائر في ١٩٧٩/١٠/١٧م .. أثناء الدفن وجدوه مكسور الأنف مقلوع العينين محروق من بعض أماكن الجسد .

الأشرف .. بقينا هناك أربعة اشهر رجعنا بعدما الى بغداد لاتخفى ولفترة في بيوت بعض الأصدقا. كما اختفت زوجتي والاطفال عند والدتها بكربلا. حتى تم الترتيب - وبسرّية - لمغادرة العراق الى سوريا التي مكثنا فيها قرابة الأربعة اشهر حيث جئنا بعدما الى إيران» .

هاجر الأبن الأكبر لعائلة العياشي أرض العراق[١] في بداية الشهر الأول من عام ١٩٨٠م ، إذ (لا وطن مع الظلم) وفارق أُسرته التي عصفَت بها - فيما بعد - ريح البعث وجعلتها هشيماً .. منذ تلك اللحظة لم ترَ (أحلام) للحياة وجهاً سوىٰ الغيوم والغموم ، إنطفأ جمال ربيعها وصار العمر غُربة وعَرَاء .

ويستمر الوضع سوءاً ، حيث قامت السلطة البعثية الأموية في تشرين الثاني ١٩٧٩م بإفراغ المنازل المجاورة لبيت الإمام الصدر وزرع أجهزة الانصات والتصوير علىٰ داره !!

ثم قامت بإرسال مبعوثاً سياسياً للتفاوض مع السيد مطالبةً إيّاه بأصدار فتوىٰ تجيز الانتماء لحزب البعث وأُخرىٰ تُحرِّم الانتماء الىٰ حزب الدعوة وبالتالي رفع التأييد للإمام الخميني ولثورته ..

بَيْدَ أن المرجع القائد بقي صامداً لن يرضخ للضغوط أو يتزعزع ، لذا فعندما رأت حكومة بغداد أن أساليبها الوحشية قد فشلت في قمع ثورة الإمام الصدر وإسكات جماهيره الغاضبة ، حاولت وبأساليبها الخادعة العتيدة الألتفاف علىٰ الإمام الصدر وإستثمار حركته ومن ثم توضيفها كمرجعية عراقية قِبال المرجعيات الإيرانية والتي في مقدمتها مرجعية الإمام الخميني .. فأرسلت في كانون الثاني / ١٩٨٠م مبعوثاً آخر للتفاوض مع السيد الصدر وقد تنازلت عن مطالبها السابقة مقابل أن يوافق علىٰ إجراء مقابلة صحفية تُنشر في الصحف العراقية أو العربية يُبين خلالها عدم وجود حالة عداء بينه وبين الحكومة والحزب[٢] علّها تنجح في كبح

---

١ - (تنفّسوا قبل ضيق الخناق) . نهج البلاغة / ٢٢٥ .

٢ - عرض أحد مبعوثي الدولة علىٰ السيد الصدر إجراء مقابلة صحفية مع مجلة عربية يُشيد فيها ببعض أنجازات (ثورة) ١٧ تموز متمثلة في حملة محو الأمية في العراق أو علىٰ الأقل الثناء علىٰ قرار تأميم شركات نفط العراق ، كبادرة حسن نيّة تجاه حكومة بغداد التي سترد بدورها علىٰ هذه الخطوة الايجابية بخطوة تتمثّل بمجيء رأس النظام (صدام حسين) مدينة النجف الأشرف وزيارة السيد الصدر وإهدائه سيارته الشخصية . بَيْدَ أن جهودهم باءت بالفشل الذريع ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ .

جماح الجماهير المؤمنة .. بَيْدَ أن السيد الصدر رفض ذلك أيضاً وبلا أدنىٰ تردّد ، تأصيلاً لمنهج عدم التعايش أو التوافق – والىٰ الأبد – مع هذا النظام الفاشي المعروف بالغدر وقتل أهل الحق .

وقد شهدت هذه الأشهر عمليات عسكرية واسعة ضد النظام وأزلامه ، قابلتها عمليات اعتقال واعدام كبيرة .. ولكن السلطة الحاقدة مازالت في محاولاتها اليائسة الغادرة لاستمالة الإمام الصدر أو تحييده ، فأرسلت العميل الشيخ (عيسىٰ الخاقاني) كمبعوثٍ جديدٍ لحكومة بغداد لتحقيق هذه الخدعة التي لم تنطل علىٰ السيد الصدر الذي رفض المفاوضات والمحاولات مالم تتحقق جميع المطالب التي عرضها علىٰ النظام باسم الشعب العراقي ..

لذا وبعد أن فشل النظام في تحقيق مكره وغدره أصدر يوم (٣١/آذار/١٩٨٠م) أغرب قرار بحق الدُعاة والحركة الإسلامية والذي ينص علىٰ إعدام الدُعاة وكل من ينتمي أو يتعاطف مع الحركة الإسلامية وحسب المادة (١٥٦ – أ) من الدستور المؤقت وبأثرٍ رجعي !!

نعم ، لقد انفجر البركان المكبوت بعد أ ن أصبح للإسلام دولة .. لله ما أروعها من ثورة وما أعظمه من قائد ، كان يصرخ بالوفود والجماهير بأن «يقظة هذه الأمة تحتاج الىٰ دمٍ كدم الإمام الحسين عليه السلام ولمّا لم يكن اليوم مَن له موقع كموقع الإمام الحسين عليه السلام فنحن إذن بحاجة الىٰ مجموعة دماء» .

فهلمَّ معي – أخي القارىء الكريم – نسبغ الوضوء من دماء قوافل الشهداء :

تمر الشهور وتستشعر (أحلام) حملها المرتقب بحنانٍ دافق وحزنٍ سابق ! وما أن أطلّ منتصف عام ١٩٨٠م حتىٰ أطلّت (آلاء) علىٰ الدنيا .. استقبل الابوان وليدهما البكر في أجواء حزنٍ لم يشهد لها تاريخ العراق مثيلاً ، حيث أقدم النظام علىٰ جريمته الكبرىٰ بقتل المفكر الإسلامي الكبير المرجع السيد محمد باقر الصدر[1] والتي رافقها إعدام عشرات الآلاف من أبنائه المجاهدين ودُعاته

---

١ – اغتيل الإمام الصدر يوم السبت ١٩٨٠/٤/٥م وتمّت الجريمة – التي أُطلق عليها بجريمة العصر – يوم الثلاثاء ١٩٨٠/٤/٨م.

المخلصين من كافة مدن العراق ، سيّما وأن التنظيم قد عاش حينذاك حـالة (الوَرَم الحزبي) والانهيار الهرمي !

بَيْدَ أن نخيل (البيّاع) العميق الجذور لم يسقط أو ينحنِ في وجه تلك العاصفة الهوجاء ، لأنهم رجال من صنف أنصار كربلاء .. كانوا فرساناً تموج فيهم قيم العقيدة ونخوة الوطن ، لتحرير العراق من هذه العصابة الجاثمة علىٰ صدره[1] ، وكان محور عظمتهم متمثلاً بأيمانهم بعدالة قضيتهم .. رجالاً لم يفهموا الإسلام عبادة هامدة أو شعائر جامدة ، بل فهموهُ ديناً يحكم ورسالةً تتجسّد ، لذا سلكوا طريقاً بذلوا في المُهج والأرواح فلم تشغلهم بـهارج الدُنـيا وسفاسفها رُغم امتلاكـهم سبُلها وطرق نيلها .

واشتدَّ أوار المعركة ، وتمر الشهور مظلمة دامية ، وهم في شـموخ كـرؤوس الجبال وأرواح كأعماق البحار .. لم يُبالوا بالموت ، فالشهادة كانت – وما زالت – من مفردات منهجهم الواعي نحو الهدف المقدّس .. وفي ليلة ظلماءَ يـداهـم أزلام (الأمن) البيت ويعتقلوا (يحيىٰ) وبعد أشهرٍ يلحق به المهندس (عبدالحسين) وبعد اسبوعين يجيء موعد استلام شهادة التخرّج[2] فيذهب (عبدالهـادي) الىٰ الجامعة التكنلوجية ، وإذا بأزلام مديرية (الأمن) العامة قد كمنوا له وكانوا بانتظاره !! فتم اعتقاله من الحرم الجامعي ، حيث عصّبوا عينيه ونقلوه فـي السـيارة اللانـدكروز البيضاء الىٰ غُرف الجحيم في الشعبة الخامسة .

كان جلّادوا الشعبة الخامسة (م ٣٢) في مـديرية الرُعب العـامة عـبارة عن مجاميع من الوحوش الضارية ، وكان في طليعتهم الجلّاد المقدّم فـاضل حـميد الزركاني[3] – جزّار البصرة والجلاد الرائد فـيصل الهـلالي[4] الذي أشـرف علىٰ

---

١ – (وصيتي لمسلمي ومستضعفي العالم أن لا ينتظروا غيرهم ليُحقّق أهدافهم ويمنحهم الحرية والاستقلال) الإمام الخميني قدس سره .

٢ – يوم ١٥ / آب / ١٩٨١م.

٣ – مجرم متمرّس شارك – وبشكل أساس – في تمزيق قبضة الهدىٰ (الشيخ عارف البصري ورفاقه الأربعة) عام ١٩٧٤م في مديرية (أمن) الديوانية .. أوفده النظام عام ١٩٧٩م مع المجرم عبدالحكيم البكّاء الىٰ المانيا الشرقية والاتحاد السوفيتي لاتفاق واستيراد أدوات ووسائل التعذيب الىٰ العراق .

٤ – الرائد فيصل الهلالي هو نفسه المجرم الرائد عامر – ذئب الشعبة الخامسة .

..لقهم وتعذيبهم .

تعامل هذا المجرم الذي لاينتمي الىٰ الآدمية في شيء مع الأخوة الثلاثة تعامُلَ ..لذئاب مع الفريسة المقيّدة .. مزّقوا أجسادهم بأدواتهم الوحشية وأساليبهم البربريّة ..ثم غيّبوهم في زنازينهم المظلمة حتىٰ قتلوهم ودفنوهم في مقابرهم الجماعيّة السرّية التي امتلأت بها صحارىٰ العراق النائية .. قتلوهم ليقوا مصالحهم وكرسي ..فرعونهم خط الإسلام الصاعد .. قضوا شهداء مُضرَّجين بدم الشهادة بعد ان ..استشهدوا في حياتهم مرّات ومرّات ، لقد تعامل الأوباش معهم بهذهِ الوحشية البشعة ..لمعرفتهم مَن هم ؟ إنهم رجال الصدر ، لذا فشلوا في انتزاع أدنىٰ اعترافٍ .. فلم ..تسجّل الوقائع أنه قد تم اعتقال أحدٍ من خلاياهم أو رفاق دربهم .

رحلت الأرواح الىٰ بارئها مجبورة مسرورة ، رحلوا ولم يترك لنا التاريخ شيئاً ..من بطولاتهم – سيّما وان هجرة أخيهم وانقطاعه عنهم قد قطعت الأمل في ترجمة ..مآثرهم – كانوا يعملون كثيراً ويتكتمون كثيراً .. رحلوا الىٰ أمجاد الأبد ، إنّهم ..المجهولون في الأرض المعروفون في السماء .

فكثيرٌ هم الذين يحملون وعياً لكنهم لايحملون هدفاً ، بل كثيرٌ اولئك الذين ..يموتون وهُم موتىٰ ، يموتون بلا مبدأ أو قضية ، أما أنتم فمُتُّم كما تموت أشجار ..العراق حين يغتالها الخريف ، لقد عبّدتم طريقنا بالدم والقرآن وصنعتم بجراحكم ..صور فخر للأجيال في أقسىٰ مراحل الصراع والاستبسال .

❋ ❋ ❋

نشر الظلام ستائره علىٰ غُرف هذا المنزل الفسيح الذي كان في الأيام الخوالي ..قد امتلأ حركةً وفكراً وحيوية ،

إنهُ بيت غادرتهُ البسمة وانقطع عنهُ السرور .. جثمت الوحدة والوحشة علىٰ ..الأبوين اللذين قرّرا الهجرة الىٰ الكوفة[1] بعد أن يئسا من الحصول علىٰ أيّة ..معلوماتٍ عن أولادهما رُغم كثرة المراجعات وتكرار الوساطات .

---

[1] ..اشترى الحاج العياشي بيتاً بالكوفة ليقضي بقيّة عمره – هو وزوجته والصبيين ومعهم الأيتام – بين أخوانه وأقاربه ، علهم ..يخففوا في انتزاع بعضٍ من الوحشية والغربة التي خيّمت علىٰ نفوسهم .

كما قرّر (عماد) الانتقال من مدينة البياع والاختفاء في منزلٍ ببغداد الجديدة (حي الأمين) يملكهُ الحاج العياشي ، بعد أن شملت حملة الاستئصال معظم مفاصل التنظيم ببغداد والمحافظات ونزلت الىٰ القواعد والخلايا وبأثرٍ رجعي ، سيّما وأن (عماد) كان مسؤولاً عن عددٍ من الخلايا والتشكيلات الحزبية النشطة في بغداد .
وهكذا قُدِّر لهذه الزوجة الصابرة (أحلام) أن تواكب من تاريخ مدينة البيّاع أكثر الفصول دمويةً ودماراً .. فهي لم ترَ للحياة وجهاً سوىٰ الغُموم والهموم ، كانت تمارس يومياتها مُكبَّلة بأحزانهابعد أن صار العمر غُربةً وعَراء .
ودّعت (أم آلاء) أهلها الذين سيتركون بغداد ويرحلون الىٰ حيث لارجعة والى الأبد .. ودّعتهم وودّعت معهم كل ذكرياتها في هذا البيت الذي جمعها مع ليوث وحُماتها .. تفجّرت في أعماقها كل ذكريات السنين وهي تجوس غرف المنزل بأنين هادىءٍ موجع ، كان كلّ ما في البيت يسحبها لذكريات الطفولة والصبا ، لاخوتها وأيّام عِزّها .

يـادارُ أيـن تـرحّـلَ السُكّـانُ ... وغدت بِهم مـن بـعدنا الأظـعانُ
ناحَت خميلات الهموم وقد بكىٰ ... مـن وحشـةٍ نـزلت عـليه البـانُ
يـادارُ أرواح المـنازل روحـنا ... فـإذا نأوا تـبكيهمُ الأبـدانُ

وهكذا تزايدت الآلام علىٰ أحلام بتزايد الأيام .. وجهٌ غادرهُ وهج الشباب ونضارته ، زهرةٌ ذبُلَت وهي في عِزّ ربيعها ، فواجع طحنتها طحناً مروّعاً وأكلتها أكلاً بطيئاً .. بَيْدَ أنها لم تَزل تتّكيء علىٰ جِراحها لتُمارس نشاطها وحركتها مع زوجها وبسرّية وكتمان ، فقد علّمتها التجارب والمصائب أن (إفشاء السر سقوط)[1] .. ومن الجدير أن نُذكّر أن منهجيّة التكتُّم هذه والتي امتازت بها (أُم آلاء) قد غيّبت كل مواقفها وتضحياتها – وهي حاضرة في لوح محفوظ – وذلك بارتحال جميع شهود جهودها وجهادها ، الذين لم يبق منهم سوىٰ (ثُمالة الشُهداء) الذي لم يزل حيّاً لـ أنه كان بعيداً عن كل تلك الأحداث .

---

١ – الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار ج ٧٥ / ٢٢٩ .

وتمر الشهور وريح العاصفة التي ما فترت عن تأزُّ هذه الفتاة الجليلة وتقترب منها أكثر فأكثر ، وكأن الأيام أبت أن تُسالمها أو تُهادنها .. فالمصائب لم تتوقّف بعد عن رميها بِسهام الوَجَع المُمِض .. فالتضحيات نتيجة مُتوقَعَة والجِراح آتية لامحال ، ولكن لا بهذا العمق العميق .

ويأتي يومُ غائمٌ آخر من أيام الهموم والأحزان ، إنـهُ يـوم اعـتقالها وزوجـها وطفلتها الرضيعة (آلاء) .. حيث انطلق - بعد اعتقال أخوتها بسبعة أشهر - سـهمٌ قاتلُ آخر من سهام الظلام ، فتسوّر أزلام (الأمن) العام المنزل بعد منتصف الليل ، كأنهم ذئاب متوحّشة في ليلةٍ عاصفة .. هتكوا أستاره واقتحموا غُرفه ، داهموهم واعـتقلوهم ثـم قـيّدوهم بـالجامعة الحـديدية بـعد أن نـثروا كـل مـا صـادَفَ عيونهم وأيديهم ..

تـعلّقت الأم بـرضيعتها ذات الثمانية أشهرٍ ، فـاحتضنتها بكـفّيها المـقيدتين بالسلاسل ، كانت مرعوبة مدهوشة .. كيف عرفوا البيت ؟! أمّا (عماد) فمازال علىٰ طبعه واتزانه ، رابط الجأش شامخ الرأس .

ياليلة الأرق المُـمِض تَـمهّلِي	فالصُبحُ آتٍ والظلام سينجلي
ياويحَ قلبي كم تحمّل من أسىً	كم ذاق من مُرِّ الزمان الحنظلِ
فَرَحي جريحٌ والصـفاء مُكـدَّرٌ	وربيع هذا العمر بارحَ منزلي

نقلوهم بسيارة اللاندگروز الىٰ مديرية (الرُعب) العامة بعد أن جعلوا من البيت كميناً[١] يتربصون به كل طارقٍ أو وافد .

وبالفعل لقد تمكّنوا من القبض علىٰ (عدنان / أبو ولاء) بعد أن أوغلت الصدفة في الأساءة وجاء زائراً بيت أخيه يتفقّده ويطمئن عليه ، بل واعتقلوا والدة (أحلام) التي جاءت زائرة[٢] . وتلاها اعتقال والدة (عماد) التي جاءت مستفسرة تستطلع الأمر عن تأخُّر عدنان !

١- لم تتوفر معلومات أكيدة فيما إذا تم مصادرة البيت أم لا . بَيْدَ أنهُ قد سكن فيه أحد ضبّاط أمن النظام ، وقد طالب الحاج العاني - فيما بعد - بمنزله ، فطرده وهدّده ، فهو ملكه ومازال يسكنه والىٰ اليوم .

٢- (رُبَّ ضارّة نافعة) فلولا اعتقالُ الحاجة أم أحلام لما خرجت آلاء .

دماء بدرٍ وكربلاء ..

ما أن وصل عماد وزوجته دائرة الأمن حتىٰ نُقِلوا الىٰ غرف التعذيب في الشعبة الخامسة .. لقد جثموا علىٰ البطل كضباع ضاريةٍ جائعة علّهم ينتزعوا الاسرار من صدره ، وجوه حاقدة وأنياب كاسرة ، ذئاب تحفّزت للوثب والاختلاب .. لقد غالوا في تعذيبه ، فمزّقوه وغيّروا معالم وجهه الوقور منذ الساعات الأولىٰ لاعتقاله .. كانوا كلما صمد في جحيمهم كلما ازدادوا في غيظهم واستغرقوا في وحشيتهم ، لم يتركوا جسده إلّا وهو بلقعاً وخراباً .. كانت الدماء الطاهرة تتدفّق من الجسد المُثخن بالجراح ، بَيْدَ أن الآلام التي فاضت من روحه المُثخنة بالآهات لما رأىٰ من تعذيب زوجته وصراخ طفلته كانت هي الأشد والأمر **﴿هنالك ابتلىٰ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً﴾**[1] .

ولكن لِمَ كُل هذا الدمار ومنذ الساعة الأولىٰ للأعتقال ؟!

ليس في الأمر غرابة ، لان المألوف لدىٰ دوائر أمن النظام أنَّ هكذا كادر متقدم من تنظيمات الحركة الإسلامية لا يمكن أن يفلت من مادة الاعدام (١٥٦ - أ) أو القتل تحت طائلة التعذيب ، لذا فعند اصطياد هكذا نموذج يكونون في سباقٍ مع الزمن لانتزاع أسراره وعناوين خلاياه بشتىٰ وسائل الدمار وقبل انتشار نبأ اعتقاله الأمر الذي يُمكِّن الكثير من رفاق دربه من الافلات والاختفاء .. لذا - ويتذكَّر من عاش تجربة الاعتقال - ان أصعب مرحلة في الاعتقال هي ساعات التعذيب في الايام الأربعة الأولىٰ والتي يُعتَبر اجتيازها بصبرٍ وصمود هو اجتياز العقبة الأساس في الأفلات من الاعتراف وبالتالي النجاح بقطع سلسلة الخسائر والانهيارات ..

لذا وما أن أطلَّ صباح اليوم التالي حتىٰ كان الدم يسيل من وجه (أبو آلاء) كالميزاب ! صار جسده متكوّراً من شدَّة التعذيب ، لم يتركوا مكاناً في جسده لم ينزف .. إنها دماء بدر وأُحد وخيبر وكربلاء .

أرادوا انتزاع إرادته وعُصاميته وبشتىٰ الوسائل والأدوات ، وحاولوا تحط

---

١ - سورة الأحزاب : ١١ .

نفسياً ، فعَمدوا الى تعذيب زوجته أمام عينيه - بعد أن عصَّبوا عينيها - وتركوا الطفلة تصرخ في الغرفة نفسها التي عُذِّبَ فيها .. لكن البطل مازال صامداً ولم يعترف[1] .

يعجز البيان ويكلُّ اللسان عن وصف ما جرى من تعذيبٍ بربري لهذا الأسد الشهيد .. كان المشهد الذي وصفتُه (أم آلاء) لوالدتها فظيعاً مُرَوِّعاً !!

تقول الحاجّة (أُم أحلام) :

«في احد ايام الأسبوع الأول من اعتقال (ابو آلاء) وتعذيبه ، ادخلوا عليه زوجته (احلام) .. وضعوها عند قدميه ، وما ان رأته حتى صرخت بصوتٍ مكدود يخنقه الفزع .. اقتربت من رأسه ، كان كأنه ذبيحة ممدّدة على الأرض ، فهو مكبّل اليدين مصبوغ بالدم وقد كسروا عظام يديه ورجليه .. كان جثة هامدة تنتظر ساعة الموت ، نادبة صارخة ، ولولا صوت زوجته وشريكة آلامه لما شعر بالذي كان جالساً عند رأسه .. استردّ إحساسه ببقايا جسمه ، ماذا يقول ؟ وأنّا له ذلك ! حاول فتح عينيه بصعوبة بالغة ، فالجراح ونزف الدم قد شمل اغلب مساحات وجهه وجسده .. اكتفى بتحريك بعض اصابع يده الراجحة نحوها وامسك بأناملها ، كان كأنه يريد طمأنتها وأن يشدّ من عزمها ، فذكرها أن الدنيا زائلة لاتستحق كل هذا البكاء والنحيب» .

وتمر الأيام والأوباش يزدادون وحشيّة وانتقاماً .. لقد جنَّ جنونهم لعجزهم عن انتزاع الأسرار منه ، لقد مزّقوه ثم قتلوه بطريقة الوحوش .. ما أعجزهم حين يسقطون ، والقتل كُلُّ ما يستطيعون !

أما عدنان (أبو ولاء) فقد كان تعذيبه لايقلَّ وحشيةً عن أخيه ، حيث نقل أخوهم الأصغر (فؤاد) الذي اعتقلوه وأطلقوا - فيما بعد - سراحه :

«رغم اني كنت في غرفة بالشعبة الخامسة بعيدة عن غرفة التعذيب ، لكنني كنت اسمع صراخاً هستيرياً عالياً يملأ الممر .. كانوا يعذّبونه بالكهرباء ، وبالادوات البشعة الأخرى ، لأن التعذيب من نوع واحد لايُشبع حقدهم وما تخفي سرائرهم[2] ....» .

---

[1] (من يعرف البلاء يصبر عليه) . البحار : ٧١ / ٨٣ .

[2] من خلال مراجعات الزوجة لمديرية (الأمن) العامة ، تم ابلاغها باعدام زوجها ، ولم يُسلِّم الجثمان .

الوداع الأبدي ..

وهكذا تَزدحم الآلام علىٰ روح (أحلام) التي تغيّرت معالم وجهها الصغير جر
التعذيب ، إنه غَدر الزمان .. فتاة مُخدّرة يستلمها - بعد كل ذاك العز - أجلاف أش
قسوةً من الوحوش الكواسر ، وتصمد تصارع بربريتهم بكُلّ احتساب وعنفوان رُغ
كل الحرائق المشتعلة في روحها إثرَ هذه السلسلة من المصائب والمحن ..

وبالرغم من عدم توفّر تفاصيل دقيقة عن أدوات ووسائل التعذيب التي تعرّض
لها أحلام ، بَيْدَ أن آثار التعذيب كانت واضحة علىٰ روح وجسد (أُم آلاء) حسب
نقلت والدتها التي جمعها بابنتها لقاء أخير في موقف المديرية النسوي والتي
استلمت فيه الطفلة (آلاء) حيث قرّروا اطلاق سراحها بعد عشرة أيام من اعتقالها

كانت تتحدّث لأُمها بخفوتٍ ووهن ، تصف ما صنع المغول بها وبزوجها
هَمَستْ في روح أُمها والدموع تتدافَع في عينيها : **«ماما ، إنه الفراق الأبدي ، والملتقى في الجنة إن شاء الله .. أوصيكم بتربية طفلتي (آلاء) على الدين وحُب الخير والعراق ، فهي وديعتي فيكم»**

إنفجرت الكلمات دموعاً بعد أن فاضت العيون كغيومٍ شتويّة .. لَثمت أحلام
يدي والدتها بخشوع وآنات ثم احتضنت رضيعتها ، غسّلت وجهها الملائكي الصغير
بدموعها السخينة ، والطفلة لم تزل تعبث وتبحث بأصابعها الناعمة عن صدر أُمها
تفجّرَ قلب أحلام ألماً وناض حُزناً ، قبّلتها قُبلاتٍ تحمل كُل آهات الأمومة ، قبّلت
طفلتها بأروع وداع وأعذب عناق .. ودّعتها الىٰ غيرِ لقاء .

انتهت دقائق الوداع ، سلّمت أحلام طفلتها لأُمها ولسانها معقود لهول المصاب
والشهقات تتحشرج في صدرها ، سحلوها وعينها لم تَزل شاخصة مُتسمّرة نحو
رضيعتها تُكابد عبراتها :. تقاذَفتها الركلات لانها لم تكتفِ بتسليم طفلتها الىٰ أُمها
وإنّما هَمَست معها بكلمات !! فرّقوا بينها وبين طفلتها ، أبعدوها عن رضيعتها
والىٰ الأبد .

مُرتزقة أذلّاء باعوا أنفسَهم وحُرمَة بلادهم وكرامة شعبهم بدُنيا رخيصة زائلة

دَمّي اختلط يُمَّه اويـه دمعي ... وشـلـون اوصّـف إلج وضـعي
رُفسني النذل يُمَّه اعـله ضـلعي ... أشكف عصا الظـالم بـالچفوف
يُـمَّه ابـسجن أظـلم رمـوني ... صَـلفين ابحقد شـدّوا عـيوني
وبسياط الحقد يُـمَّه اضربوني ... من كثر الضرب يـايُمَّه مـاشوف
للباري أريـد اشـتكي ابأمـري ... عـلىٰ البسّـجن يـايُمَّه يـجري
ربـنه بـالظليمة زيـن يـدري ... وحجاب النِسَه ياحيف مكشوف
نصبر عليصير وعلىٰ الذِي صار ... بس يسلم الدين اونـبقه احـرار
درب بنت الهدىٰ اومنهج المختار ... نـتحمّل أذىٰ اوللـدين مـنعوف

❊ ❊ ❊

[ا]بـنتي صِبري عـلمصايب والمِحَن ... علىٰ افـراگـج يُـمَّه اضلوعي انـحنن
[ا]عيوني يـبنيتي عـلىٰ الصـار انـعِمَن ... اشـلـون مـا تـعمه عَـلحْبَيبه العـيون
[و]إج زيـنب إسـوه ابـهذا الدرب ... مـن أُميَّه اتـحمّلت ضـيم اوضـرب
[تد]ري ضيم المَر عـلىٰ ابـنيتي صـعب ... لـچَن كِلشي يُـمَّه للـباري يـهون[1]

وهكذا رحلت (أحلام) وأودعت في العراق سُنبلةً تأمل أن تُسقىٰ من بـعدها [و]تكبر ثم تكبر، علَّها تنحني يوماً فوق ثَرىٰ جَسدها المُمزَّق وتسمع أنينها وما فعل [الط]غاة بها[2] .. وهكذا سقطت ستة بيارق من سماء المقاومة والجـهاد فـي بـغداد .. [ول]طُغاة الفناء ولكل الشُهداء البقاء.

❊ ❊ ❊

خرجت العجوز المفجوعة تحتضن حفيدتها (آلاء) التي كانت نائمة قد أثقلَ [الن]عاس أجفانها المُسهَّدة .. لم تتعرض للتعذيب واكتفوا معها بـالتحقيق - بـتهديدٍ [وا]هانة - وبعد عشرة أيام أطلقوا سراحها.

أما إبنهم البكر فقد كان يلتقط الأخبار من وراء الحدود تباعاً وبـانتظام .. كـم [ت]حمَّل باعتقال اخوته واحبّائه من جِراح، غير ان جُرح اعتقال أُمه وأُخته كاد يُهشِّم

---

[1] [ال]شاعر الشعبي السيد محمد الموسوي (أبو حيدر الموسوي).
[2] [ر]حلت روح أحلام الى حيث مجلس فاطمة عليها السلام، بَيد أن أهلها لم يعثروا على قبر لجسدها.

قلبه ويقضي عليه .. وذات يوم وصلته رسالة من أمه، تُعزِّيه باعتقال ذويه وتُطمئنهُ علىٰ أمهِ وأبيه :

أذكر يوماً وصلتْ رسالةٌ
من أمي الحزينهْ .
من داخل الاسوار في (العراقْ) .
تشكو بها الفراقْ .
قائلةً :
مازالت الذئاب في شوارع المدينهْ .
وكلّنا ياولدي بخيرْ ،
جَلّادنا بخيرْ ،
وَحُزننا بخيرْ ،
والألم المدفون في أعماقنا بخيرْ .
أسعارنا رخيصةٌ ،
كقيمة المَيّت في الوجودْ
رخيصةٌ ... كالحطب البرّيّ ...
كالرمادِ ...
أو كالدودْ ...
رخيصةٌ كعِفّة (البعثيّ)
والكلاب ... واليهودْ ...
أرواحُنا تُباع أحياناً
بلا نقودْ .
ياولدي :
لافرق في بلادنا ،
بين بقايا الشوك والورودْ .

حاكمنا متىٰ أرادَ
أحضر الشُّهودْ .
تسكن في مكتبِهِ الشُّهودْ !
وأصدر الحكمَ علىٰ رجالنا
بتهمة الركوع والسجودْ .
وأخمدت أنفاسَها
المشانقُ الرعناءُ ...
والقيودْ .
لكنْ فينا ثورةٌ
أعصابُها لاتعرف الرقودْ .
حتىٰ التي كانت قديماً عاقراً ،
قد أصبحت وَلودْ .
وسجننا ، ياولدي بخيرْ
ما برحت تأشيرةُ الدُّخولْ
تُمنع في سمائنا
حتىٰ رفيف الطيرْ
ما برح المقتولْ ،
شهادة الوفاة في تابوتهِ
يكتبها مجهولْ .
هذا وفي الختام :
أنبيك أن جارنا نُفِّذَ فيه الحكم بالاعدامْ
والكتب السّرّية الصغيرةْ
لم يطّلعْ يوماً عليها الغيرْ
والسلام (١)

---

١ - من قصيدة «اعترافات مهاجر» للشاعر الأستاذ جواد جميل .

أُمهاتنا الجميلات

لم تترك الوالدة الثكلىٰ مديرية (الأمن) العامة ، فهي لم تَزل تتعلّق بحبال الأمل ظناً منها أنّ أبناءَها - وبالخصوص أحلام - مازالوا أحياءاً محجوزين في موقف المديرية .. كانت تُكثر المراجعة والاستفسار .

في سنوات الجمر تلك كان تَجمُّع أُمهات وزوجات المعتقلين الإسلاميين في أطراف الأزقّة والشوارع المجاورة لاستعلامات الحديرية والمحاذية لشارع النضال منظراً يومياً مألوفاً .. وجوه حزينة وقلوب مفجوعة تبوح بكل مآسي العراق ، نساء يتجمعن وينتظرن ساعات وساعات تحت أشعة الشمس المُحرقة وعند ظِلال الأزقّة علّهم يجدون بارقة أمل أو يعثرون علىٰ وضوح خبر ، ولطالما كتبن ما يسمىٰ بـ (العرايض) وهي عبارة عن أوراق تحمل شكاوىٰ الأمهات يستفسرن خلالها عن وضع ومصير فلذّات أكبادهنَّ بعد أن يذكرن أسمائهم .. وتتكرّر هذه المسرحية عشرات المرّات وعلىٰ مدىٰ سنين ولكن بلا أدنىٰ أمل .. كان موظفوا الاستعلامات الخارجية - والحرّاس أحياناً - يستلمون أوراق الشكاوىٰ من الأُمهات المثكولات والأرامل النائحات ، مستخدمين معهن أفظع كلمات الفحش والبذاءة ، كانت الشتائم نابية والأجابات قاسية لا حياء فيها ..

يالصبر الأمهات .. يا لصبر الثكالىٰ النائحات .

نقلاً عن إحدىٰ أُمهاتنا الجميلات اللاتي كُنَّ يرابطن هناك عند كل همسة أمل أو إشاعة دَجَل .. ففي صباح يومٍ من تلك الأيام تجمّعت عشرات الأرامل والأُمهات ، وكالعادة ارتجل أحد مرتزقة (الاستعلامات) وأمر - بأسلوب زاجر - بكتابة (عرايض) !

عجزت إحدىٰ الأمهات عن تدبير ذلك ، وفي هذه الأثناء خرجت فتاة من منزلها المجاور لتباشر الذهاب الىٰ وظيفتها ، فاعترضتها الأُم الثكلىٰ قائلة

وبلهجتها العامية :

- يُمّة .. فدوة اروحلج .. ، أريد تكتبيلي عريضة ..

نظرت الموظفة الىٰ ساعتها ، بَيْدَ أن الحياء منعها عن الاعتذار ، فأخرجت قلماً وصارت تساعد تلك المرأة العجوز التي توشّحت بالفوطة السوداء وتلفعت بالعباءة القديمة التي صهرتها الشمس وتقادَمت عليها السنين ..

الموظفة : حاضر ماما .. تفضلي ، ما اسم ابنك ؟

الأم : يُمّه أربعة مو إبن واحد .

الموظفة : الله يساعدك .. ما أسماؤهم ؟!

الأم : الأول الدكتور .... اخذوه سنة ١٩٨١م ، والثاني المهندس .... اخذوه بالـ ٨٢ ، والثالث المهندس .... هم أخذوه بالـ٨٢ ، والرابع الدكتورة .... عمت عيني أخذوهه ورضيعها سنة ٨١ .

ما إن انتهت الفتاة من الكتابة حتىٰ نظرت الىٰ المرأة الحزينة باستغراب ، ثم سألتها :

- ماما .. هذه عريضة رسمية . هل انت متأكدة من هذه الأسما. ؟

اجابت الأم : على بختج يمه .. لعد اشلون ، هذوله اوليداتي .

تألمت الفتاة ثم تنهّدت الصعداء وقالت بتردُّد :

- عفواً خجية ، أين تسكنون ؟!

الأم : يُمّة ابمدينة الثورة ، اقصد مدينة صدام .

أدركت المرأة العجوز أن هذه الفتاة البريئة قد سيطر عليها الاستغراب نتيجة تراكم الصور المزيفة علىٰ ذهنها، فصارت توضّح لها بعض الحقائق ثم أشارت بأصبعها علىٰ بعض الأمهات اللاتي فقدن خمسة أبناء وأحياناً أكثر وكُلُّهم من ذوي الكفاءات وحَمَلة الشهادات .. كانت الأُم تُحدّثها باللهجة العاميّة بَيْدَ أن ثقافتها وعمق كلماتها جعل الفتاة تفقد قواها وتنهار فاضطرّت للجلوس علىٰ عتبة باب المنزل وصارت تجهش بالبكاء .. بكت وكأنها لم تبكِ العُمر كُلّه ، بكت وكأنها شعرت بعمق الجريمة التي تُرتكب بحقّ شيعة هذا العراق المُكبّل ..

دخلت الفتاة بيتها وجلبت زجاجة ماء بارد - بعد أن غيّرت ملابسها وألقت

الذهاب لعملها – وصارت تقضي الساعات وسط مجاميع الأمهات تتأمل هذا العالَم الغريب الذي لم تصل اليه عيون المُترفين .. حزن ممتد لا أوّل لهُ ولا آخر ، وجوه حزينة حزن العراق وآلامه رسم القهر لوحته الكئيبة علىٰ مُحياهُنَّ .. ما انفكّت الفتاة تنقّل وتنصت – بدموع حارقة – الىٰ قلوب حرّىٰ تنعىٰ فلذّات أكبادها بأسلوبٍ فريدٍ لم ولن يتكرّر أبداً .. عيون غائرة وأصوات نائحة تأرشف – وبعفوية – وحشيّة مرحلة مأساوية ، بأسلوبٍ من الشعر الشعبي الجنائزي ..

فالأمهات هنا يتبادلن الآهات بأرقىٰ تراثٍ من المواويل الجنوبية التي تصف مآسي النظام وغدر الزمان .. مازالت دموع الفتاة تنهمل مع أنّات هذا الجيل من الثكالىٰ والمفجوعات ، جيل لم يرَ غير القسوة والحرمان .

تسقط الشمس في الأفق ويحين الغروب ، ورِحلَة الأمهات لم تنتهِ بعد .. فما إن هجم اليأس والليل حتىٰ صرن يرحلن أسراباً نحو ضريح المقيّد في قعر السجون وظلم المطامير ، وهناك يُطلق العنان للشكوىٰ والدموع والرجاء عند باب الرجاء الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم الذي كثُرت – في تلك السنين – تجمُّعات الثكولات عند ثراه – كما هي عند أضرحة الأئمة عليهم السلام – حتىٰ بات النظام ومن خلال مرتزقته المتلبسين بزي الدين يتحسسها ويمنع تكرارها .

خَسيّة اعـله بـختج جـابليني	اِوّنـتج أكـثر يـو ونـيني
هاي اسنين تمطر ، ماي عيني	مِلَتْ نـهرانْ يـاخيّة ابـدمعها

❋ ❋ ❋

امگـابل يـخيتي اگـابلنچ	وِبـونّتي لتـعدّه ونّـچ
عـيني المـزن حـدهن جـزنّچ	إو مـن البـچي اتـغيّر طـبعها

❋ ❋ ❋

خـسيّة الحـزن وجّـر بـلفّاد	راحو امـنيدي اثـنين ويـلاد
وسـفه گـضو بـيدين جـلاد	وهروش الگلب كلها گـطعها

❋ ❋ ❋

اثـنين إلج وشصار مـاصار وثلاثة عـندي چنهم أقـمار
أزرع وتـاني أجني الاثـمار أم والدهـر حـاصد زرعـها

❊ ❊ ❊

والله يـخيّه نگبع اهموم كلنه شراكـه انطيح ونگوم
يمته الفرج يطلع فرد يـوم ويتامنه ايـنشّف دمعها[١]

مَرافىء انتظار .. وأبشع نِصال !

ظلّت النياحة مُخيّمة علىٰ أجواء بيت الحاج العياشي الذي ضرب الصمت فيه أطنابه .. لم يبق للأبوين من أولاد سوىٰ صبيّين (أحمد وكاظم) واللذان قد عانيا من وضع نفسيٍّ صعبٍ جداً بسبب ظروف العائلة والوحشة والوحدة بعد فقد الأحبّة[٢] ، بل إن أحمد شعر وكأن الدُنيا ضدّه ، لذا تمرّد علىٰ كُلِّ شيء ولسنين طويلة !!

أما الأبوان فقد وضعا صور أبنائهم الخمسة علىٰ جدار إحدىٰ غرف المنزل وصارا يجلسان قبالها يوميّاً ولساعات .. عيون لم يطرق الوسن لها باباً وجفون قد بَرتها الدموع وأرواح قد أتكلتها الآلام .

تكفّل الابوان الطفلتين (نغم وزينب) بنتي عبدالحسين ، وتحملت إحدىٰ أخوات (أحلام) المتزوجات مسؤولية تربية الرضيعة (آلاء) والعناية بها ، فهي حريصة علىٰ تحقيق وصيّة أختها السجينة .

وتمضي السنين ، كالجبال ثقيلة .. كالزمن الرديء طويلة ، فالبَطل دائماً الحزن وليس من سلاح سوىٰ الصبر والاحتساب .

هَـزّيت مَـهد الوفـه ولوليت واتـنطّريتك لَـمَن مَـلّيت
يـاضوه عيوني وشمعة البـيت خلصن سنيني اشعَجّب مـاجيت

---

١ - الكاتب والصحفي الأستاذ محمد عبدالكريم (أبو صادق الظالمي) .
٢ - (فقد الأحبّة غُربة) . الأمام علي عليه السلام / نهج البلاغة ، شرح إبن أبي الحديد ج ١٨ / ٢١٠ .

إزدحمت الهموم علىٰ الأبوين المُتعبين ، حيث تكررت ضغوط إدارة المدرسة علىٰ الطفلتين تطالبهما مرّةً بجلب الهوية المدرسية (الجنسية) ومرّةً أُخرىٰ بحضور الأب .. فشلت كل محاولات ومبررات الحاج مما اضطرّه مراجعة مديرية الأحوال المدنية التي اشترطت حضور الأب ! فلما كان الجواب أن الأب في السجن ، طالبوه بكتاب تأييد يثبت ذلك !! مِمّا اضطرّه مراجعة مديرية (الأمن) العامة التي زجرته وأحالته الىٰ مديرية (أمن) النجف ضمن منطقة سُكناه .

تمر الشهور والحاج العياشي ينتظر جواباً من (أمن) النجف التي أخذت أسماء أبنائه ومحل سكنه علىٰ أمل مخاطبة (العامة) للتأكد من مصيرهم وبالتالي إعلامه .

تكرّرت المراجعات وتكرّرت مواعيد التأجيل .. ومازالت مرافىء الانتظار المنتشرة علىٰ ضفاف القلوب العطشىٰ تصبوا ليوم يعود فيه الفرسان مع زيتونتهم .. غير أنهُ وفي إحدىٰ المرّات استقبلوه ولكن لا كالعادة المألوفة !!

نترك الحديث للحاج والد الشهداء ليخبرنا عن فصلٍ من فصول الحقد البعثي اللئيم ضد أبناء الإسلام البررة والذي عاشهُ ويتذكرهُ عشرات الآلاف من آباء وأمهات الشُهداء :

استقبلني موظف الاستعلامات مُرحّباً على غير العادة واجلسني في غرفة الانتظار .. بعد نصف ساعة اخذني وادخلني الى غرفة مدير (امن) النجف .

استقبلهُ المدير بابتسامةٍ تخفي وراءها الكثير من اللؤم والشماته ، وأسمعه كلماتٍ معسولة امتلأت سُمّاً زُعاف:

- اهلاً اهلاً بالحاج .. ما اسمك ؟

- علي حسين العياشي .

- وما اسماء أولادك ؟

- عبدالحسين وعبدالهادي ويحيىٰ واحلام .

- احلام ؟! الم تبلغكم المديرية العامة انها قد أعدمت .

- نعم ، ولكن لم نستلم الجنازة ، و ...

كشّرَ عن أنيابه التي ينز منها الصديد وقال مقاطعاً :

- كافي .. هذا موشغلي . المهم تم تبليغكم انها أعدمت .

إكتفىٰ الأب المثكول بالايجاب وظلَّ صامتاً لايتكلّم . وماذا يتكلّم ؟!

- الآن خلّينه بما يخص اولادك .. شوف حجّي : انت عَرَبي وتعرف الأصول والقوانين العربية . إذا عندك إصبع معيوب و (خايس) . ماذا تفعل به ؟

إرتبك الشيخ الوقور وظلّت عيناه شاخصة .

- تقطعهُ حجّي . تستأصلهُ من الجذور .. وأولادك الثلاثة تم إعدامهم لأنّهم خُمينية مجرمين وخونة ضد الحزب والثورة .

كانت نظرات هذا المرتزق شاخصة نحو والد الشهداء . فهو يراقب متلذّذاً ما ستفعلهُ نار حقدهِ علىٰ قسمات هذا الشيخ الصابر المحتسب بعد أن صوّبه بأبشع النصال .

وقف الأب واجماً صامتاً كالتمثال .. شعر بدويِّ الأنهيارات في أعماقه . كانت الآلام بركاناً اعتمل في صدره . جِراح تحاول أن تصرخ .. تزأر . موقف ينوء بجبال الألم وهي تسحق روحه . بَيْدَ أنّهُ لم ولن يمنح هذا المجرم النذل فرصة الشماتة . فاكتفىٰ بعبارة (لاحول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم .. إنّا لله وإنّا اليه راجعون) .

مَدّ المجرم يدهُ نحو الشيخ الشامخ وناوله ثلاثة أوراقٍ صفراء قائلاً وبلهجةٍ استعلائيةٍ متجبِّرة صارمة :

- هذه أوراق اعدامهم . وأحذّرك من القيام باي ضوضاء. كنشر الخبر او استقبال التعازي .. إجلس في بيتك واحمد ربّك انك مازلت لحد الآن تأكل من خيرات هذا العراق العظيم وتشرب من مائه ..

ولكن علامة سؤال كبيرة ظلّت مرتسمة علىٰ وجه الشيخ الجليل :

- ولكن أين أجسادهم ؟! أريد أن ادفنهم !

- لاداعي لذلك . فالدولة تكفّلت عناء ذلك .. البلدية دفنتهم في مقابر الخونة .

فُجّار يتشابهون في كره أهل الحق .. مرتزقة أوباش خانوا شعبهم وتُراب وطنهم خدمة للفرعون وحُبّاً لدُنيا تزول .

عصرت الكلمات قلب الشيخ الجليل ومزّقت أحشائه .. شعر بأحساسٍ هائل بالظلم الذي خيّم علىٰ روحه . غير أنهُ قرر أن لاينكسر . فاتكأ علىٰ جراحه والتقط الاوراق الصفراء من يده ثم أشاح بوجهه عنه وخرج صامتاً صامداً .

أوراق صفراء .. وبركان !

خرج الأب الذي تجاوز منتصف العقد السادس من عمرهِ من باب مديرية (أمن) النجف يتعثّر في مشيته على الأرض المستوية بعد أن صارت قدماه عاجزتين عن المشي .. شيخ يلتقط أنفاسه بصعوبة بعد لقاءٍ طحنهُ طحناً ، عصف به زمان البعث فأحاله هشيماً لولا احتسابه وقوّة عقيدته . كانت السماء مُلبدة بالغيوم مثلما هي الروح مُثقلة بالغموم، كم تمنّىٰ هطول المطر ليغتنمهُ فرصةً للبكاء والنحيب .. وفي الطريق بدأت موجات الألم والأسىٰ تتصاعد فهو كالذي يكتم بركاناً في صدره ، لم يصمد فسقط مُمدّداً علىٰ الأرض مغشيّاً عليه .

ساعده بعض المارّة ونقلوهُ في سيارة أُجرة الىٰ حيث محل سُكناهُ بالكوفة .. كم كان يود لو أن السيارة تنطلق به الىٰ مالانهاية ! شعرَ بعمق الحزن الذي خيّم علىٰ روحه بَيْدَ أنهُ قرّر عدم البوح به أمام زوجته وما تبقّىٰ من أولاده، جمع شتات روحه وانتظمت أنفاسه بهدوءٍ تدريجي .. نزل من السيّارة واستأنف سيرهُ نحو المنزل الحزين ، وضع تِلالاً وسدوداً من العَزم قبال روحه وعينيه ليكون أمام زوجته وشريكة مصائبه ثابت القدم عالي الهِمّة ، ولكن أنّىٰ له ذلك ، فقد فاضت الروح بالآلام فأسقطته مغشيّاً عليه .. نقلهُ بعض شباب المنطقة الىٰ بيته بعد أن عرفوا أنّه الحاج العياشي ، أدخلوه المنزل مُنهَدَّ الأركان كسير الجِنان حيث لم يزل البُركان يطوفُ في أعماقه . رأىٰ رفيقة الدرب تنظر اليه والهة متسائلة .. تهرّبَ من نظراتها التي ماانفكّت تُلاحقه !

وما ان جنَّ الليل إلّا والحاج راقد في المستشفىٰ يجود بأحزانه ، وفي الليل تستعر الآلام وتزداد وطأتها علىٰ القلوب .. وهكذا تماثل الرجل العجوز للشفاء من بعض أمراضه المزمنة – كالسُكّر – لكن تُرىٰ من سيشفي روحه الصرعىٰ المُمزّقة بنصال ذلك الوحش الذي أصاب منه مقتلاً .

بقي الشيخ اسبوعين اثنين يُقاسي آلام الفاجعة لوحده لايبوح بها لأحد . وشاءت الصدفة أن تطّلع الأم علىٰ مضمون تلك الأوراق .. صعقتها الكلمات التي

خرجت من فم ابنتها متقطّعة وكادَت أن تؤدّي بها الىٰ موتٍ أكيد . صارت تصرخ بشكلٍ هستيريٍّ عجيب ، إنهـا آهات حرّىٰ تخرج من قلب مُستعرٍ مسحوق أرمضَهُ نار مَقتل أفلاذ كبدها الصرعىٰ .. لقد نزلت المصيبة علىٰ رأسها نـزول الصـاعقة ، وكادت تُفقِدَها عقلها .

ملأت المرارة قلبها بشكلٍ لايوصف .. اشتدَّ أنـينها وتـجدّد حـزنها وصـارت تتشبّث بمن بقي من ولدها ، تحتضنهم وكأنها تخاف أن يـقتلوهم – رغـم صـغر سنّهم – ويلحقوهم بإخوانهم .. كان المنظر مُروّعاً .

جَلَس الشيخ الصَبور أمام نياح زوجته وشريكة مصائبه .. وضع يدهُ علىٰ جبهته وأطال البكاء حتىٰ خضّل لحيته بالدموع ، بل وترك رأسه بين ركبتيه وراح يئن ، ثم صار الأنين صراخاً .. كان يصرخ وكأنه طفل فقدَ حنان أمّه.. بكىٰ الشيخ ، بكـى الشموخ ، بكت الشَيبةَ ، بكت الرجولة .. وما أصعب أن يبكي الرجال .

لقد فُجِعَ الجميع ؛ أحمد وكاظم والأخوات وكُل الأقـارب والأحـبّة ، وصـار الجيران يتقاطرون علىٰ بيت الأحزان ، فمنهم مَن شارك في المصاب ومنهم مَن كان مُستغرباً يستقصي الأخبار ويتشمّت !

يقول والد الشهداء :

«خرجتُ من المديرية مذهولاً لا استطيع الكلام ولا الشكوىٰ .. مشيت حتىٰ وصلت الشارع الرئيسي ، شعرت بدوران الأرض حولي ، فأغمي عليّ .. جاءني الناس المارة وقدّموا لي المساعدة فغسلوا وجهي وأجلسوني علىٰ رصيف الشارع ، فطلبت تأجير سيارة توصلني الىٰ الكوفة .. بعد ان استقرّيت في السيارة ارتحت قليلاً ثم قلت لنفسي يجب أن أرتّب وضعي واخفي الأوراق في ملابسي لان الحاجّة إن عرفت الحقيقة ستموت في الحال ..

نزلتُ من السيارة ومشيتُ باتجاه البيت ، لااعرف لماذا ذكّرتني رؤية البيت بكل الكلام المؤلم الذي سمعتهُ من ذاك المجرم الذي لا يخاف الله ، فما ان مشيت قليلاً حتىٰ سقطتُ مرّةً أخرىٰ مغشياً عليّ ، فلم اشعر إلّا والناس قد تجمّعوا حولي وبعضهم عرفني فاهتموا بي كثيراً ثم حملوني الىٰ البيت ، ولمّا سألتني الحاجّة – وكانت مذهولة – اجبتها ان (السكّر) قد صعد عندي .. تدهورت صحتي فنقلوني الىٰ مستشفىٰ الكوفة الحكومي ، بقيت يومين ثم رجعت الىٰ البيت ..

كان هذا أصعب موقف في حياتي ، لأني لم استطع اخبارهم الحقيقة وفي الوقت نفسه لم استطع إفراغ ما في صدري من آلام.. بقيت علىٰ هذا الحال اسبوعين فظيعين ، كانا أصعب اسبوعين

في كل سني عمري ..

بقيت الأم تجهل الحقيقة ، ولكن وللأسف بسبب اهمالي وغفلة مني تركت الأوراق في جيب ملابسي التي طلبت غسلها وترتيبها .

ولأن الحاجة اعتادت على تفتيش الجيوب قبل غسل الملابس لئلا أكون قد نسيت نقوداً أو شيئاً ما ـ وبالفعل لقد عثرت على الأوراق واعطتها لإحدى بناتي التي قرأتها وصارت تصرخ ، فعرفت الأم الحقيقة .. الحقيقة التي بذلت جهداً ومعاناة لاخفائها عنها.

وهكذا تحوّل البيت الى مناحة وعزاء .. حضر إخوتي واقاربي وعرف الجيران بمأساتي ، نعم فشلت في إخفاء الحقيقة ، لكن في الوقت ذاته أحسست اني ازلت - برقاء ابنائي - جبالاً من الالم كانت تقتلني».

خُمينية .. خُمينية !

وتمر الشهور والوالدة الثكلى لم تهدأ تبحث عن أثرٍ مالذاك الجُرح المفتوح - كما هي بقيّة الجراح - الذي فاقت مرارتهُ كل المرارات ، إنهُ جُرح (أم آلاء) .. كانت تذهب الىٰ سجن (الرشاد) أيام المواجهات والمناسبات علّها تعثر علىٰ بصيص أملٍ يوصلها لابنتها أو قد تجد مَن رآها مِن السجينات الزينبيات اللاتي جِئن من زنازين مديرية (الأمن) العامة .. غير أنها لم تحصل علىٰ شيءٍ أبداً ، فأحلام لم تصل الرشاد) لانها لم تُحاكَمْ ، بل لأنها سقطت شهيدة بين أيدي الأجلاف وتحت سياط الأوباش ودُفِنت في مقابر (الخونة والمجرمين) السرّية في صحارىٰ العراق النائية !!

ولكن وبالرغم من كل ذلك لم تزل الأُم المسكينة تتعلّق بخيوط الأمل المتمثّل بعدم استلامهم ورقة وفاة لأحلام !!

في لقاء جمعنا بالأُستاذ الحاج أبو رياض المهندس[1] فقال لنا :

«نتذكّر ويتذكر الأخوة الذين عاشوا ظروف الحركة الإسلامية وتجربة الاعتقال ، كان الكثير من الشباب حينما يوجّه لهم المحققون تهمة الانتماء للحزب يقولون تلك العبارة الخالدة: (شرفٌ لا أدّعيه

---

[1] ... ٢٠٠٢/٤/٣٠م ـ تسجيل صوتي.

وتهمة لا انكرها) وها نحن نسير على خطاهم ونقول ان كل ما قدمناه[1] إن هو إلا ضريبة شرف ، وهذا ما صرحت به والدتي عام ١٩٨٧م وبطريقتها الخاصة ، حيث وصلتها أحاديث وهمسات بعض جيراننا في (الكوفة) لان البعثيين بداوا ومن خلال نسائهم وأطفالهم بمحاربتنا نفسياً وتحذير الآخرين منّا باعتبارنا خمينيين – على حد تعبيرهم . لقد حرك ذاك الهمس وهذا الأسلوب مكامن اللوعة والشجن في روح والدتي ، فخرجت ذات يوم الى الزقاق ونالت من حزب البعث ومن الحزبيين ونسائهم ولعنت اليوم الذي تسلط فيه الحزب على العراق ، وكررت السب واللعن ثم صاحت وبأعلى صوتها وأمام مرأى ومسمع الجميع وباللهجة العامية :

«إسمعوا زين ، اليدري يدري والمايدري خلّ يسمع .. إحنه خمينية .. خمينية .. خمينية ، وولدي راحوا شهدا، خمينيين ، وهذا شرف إلنه ، وانروح كلنه فدوة للخميني والصدر والدين .. بعد شتريدون ؟»

بعد ساعة وعند وقت المغرب بدأت نسا، الجيران المخلصات يعاودن والدتي .. شاركنها مصابها بأبنائها وبكين معها بعد أن اعتذرن لها عن إساءات بعض نساء البعثيين ، ثم نصحنها بعدم العودة لمثل ذلك الكلام حرصاً عليها وخوفاً من تقارير الرفاق ! فكان جواب الوالدة : على ماذا أخاف ، ومن بقي لي حتى أخاف عليه ....» .

ما أقبح القسوة من الجار .. نعم كان الكثير من العوائل المؤمنة والمثكولة يعاني من هذا النوع من الجيران ، إنها تربية البعث التي حوّلت البعض الى مرتزقة ومتشمّتين .

عجوز مفجوعة تندب أيام عزٍّ قد ولّت ، امرأة كبيرة لم تزل – رُغم كل ما حل بها من مَظالم ومصائب – تتحدّى وتفتخر !! إنها أُخت تلك المرأة التي استشهد أولادها الثلاثة في معركة خيبر . ولّما بلغها أمرهم قالت : «مُقبلين أم مُدبرين ؟ قيل لها : بل مُقبلين. قالت : الحمد لله نالوا والله الفوز»[2] .. بل هي بنت تلك الحوراء يوم عاشوراء التي فقدت أولادها الأربعة فداءً للدين ولابي عبدالله الحسين .. فهي الأرض كربلاء ، وهاهي الأيام عاشوراء ، وهاهو دم الصدر يمتد ليُعانق دم الحسين .. فهنيئاً للصدريين الحُسينيين ثم طوبىٰ وألف طوبىٰ للخُمينيين .

---

١ – قدّم الحاج أبو رياض المهندس (٢٩) شهيداً من أخوانه وأقربائه المجاهدين .

٢ – جويرة بنت أسماء .

٣ – العقيلة السيدة زينب عليها السلام .

ثورة مذبوحة !!

وتمر السنين طويلة مريرة .. طويلة كصبر أُمهاتنا ، مريرة كحنظل شماتة البعث ، وإذا بنبوءة الإمام الخميني تتحقّق ، والذي طالما حذّر دول الخليج المجاورة لنظام الحكم في بغداد من دَعمه وإسناده الكبيرين بحربه الغاشمة ضد إيران - الثورة الإسلامية والدولة الفتيّة - باعتبار أن رأس النظام (صدام حسين) وبسبب غروره وعمالته ، سوف لم ولن يتوانىٰ عن الاعتداء علىٰ جيرانه العرب - وبالخصوص الكويت - بعد انتهاء الحرب .. ولكن لاتَ حين مَندم !

ففي ليلةٍ غابرة من عام ١٩٩٠م[1] اجتاح طاغية العراق دولة الكويت المستقلّة تحت ذرائع وحُجج هزيلة واهنة .. ثم أعلن بعد عدّة أيام من الغزو والاحتلال اعتبارها المحافظة التاسعة عشر[2] ، وامتنع - فيما بعد - عن الخضوع لقرارات قمّة الدول العربية المنعقدة في القاهرة ولوساطات الدول الإسلامية وبالتالي لقرارات مجلس الأمن القومي ، ورفض الانسحاب .. فتم تدمير جيش العراق ومؤسساته وبناه التحتيّة وبقرار من الأُمم المتحدة وبالتالي تحرير الكويت واسترجاع سيادتها الكاملة .. أما الشعب العراقي الذي ما أن لمس حالة الضُعف في مؤسسات النظام القمعية حتىٰ انفجر خزين الألم المكبوت وانطلق بانتفاضته الشعبيّة الشعبانية المباركة لأسقاط جبروت الفرعون .. فسيطر المجاهدون والثوّار علىٰ مُعظم محافظات العراق الأبيّة التي تحرّرت من رجس مؤسسات النظام وانتعشت بهواء الحريّة ولو الىٰ حين ..

لكن عدم وجود قيادة مركزية ميدانية لإدارة الإنتفاضة من الداخل وفقدان التنسيق ووحدة التخطيط بين الجماهير وتأخر بغداد عن التضحية والثورة[3] وغدر الدول الخليجية المتمثّل بموقف الحكومة السعودية لحازم والجازم لأقناع الأدارة

---

(١) .../.../١٩٩٠م.
(٢) .../.../١٩٩٠م.
(٣) ...حت مظاهرة يتيمة في مدينة الثورة الثائرة قد تم تدميرها وكتم أنفاسها في نفس اليوم ، كما خرجت مظاهرات صغيرة ...ة الأثر في أماكن أخرىٰ .

الأمريكية بضرورة الإبقاء علىٰ نظام صدام وتدمير ثورة الشيعة – علىٰ حد قولهم – وخذلان فصائل المعارضة الكردية في شمال العراق وعدم التدخّل المباشر لبعض دول الجوار العربية والإسلامية الصديقة – والمتمثلة بسوريا وإيران – بسبب التحذيرات الأمريكية الجدّية وبالتالي عدم فاعلية المعارضة الإسلامية العراقية[1] في المهجر الإيراني المجاور والتي تزامنت – كلها – مع قرار الاستكبار بأطلاق يد قوات النظام الصدّامي – وبالخصوص قوات ما يسمىٰ بالحرس الجمهوري – المُحاصَرَة لقمع ثورة الشعب وبكل صنوف الأسلحة الثقيلة وبالمروحيات وبشتّىٰ الوسائل البربرية ، جميعها عوامل وأسباب أساسية جعلت من انتفاضة الشعب المجاهد والمظلوم تعيش الفشل الذريع والخسائر الفادحة ، فها هو شعبنا المخذول المُحتَسِب يئنُّ – والىٰ اليوم – من ضياع تلك الفرصة ويصرخ من وحشيّة ذلك الانتقام .

وهكذا أعطت غالبية العوائل المجاهدة خيرة فلذّات أكبادها ، وشاء الله أن يصطفي عائلة الحاج العياشي بشهيدٍ رابع .. فقد خرج الشاب (أحمد) مع بقيّة شباب الإسلام المجاهدين ، وكان لهم دور فاعل في انتفاضة الكوفة والنجف الأشرف .

بَيْدَ أن دوريّةً للجيش اعتقلته وهو متنكر بعباءة أبيه منشغل بإخفاء الأسلحة .. فسقط شهيداً مُضرّجاً بدمه[2] مع عشرات الآلاف من أبناء شعبنا المظلوم المُهتضم الذين سقطوا شهداء ثورة مذبوحة لم تنجح .

وهكذا .. وهكذا تفجّر الألم في قلبي الأبوين وامتدَّ أنيناً صارخاً ، ولم يبق من سلاح سوىٰ الهجرة الىٰ الأمان.. الىٰ إيران ، لعلّهم بذلك يحافظون علىٰ وصايا الشُهداء – الأحفاد – من شر المغول الشُرساء ، لأن (مَن فهمَ مواعِظ الزمان ، لم

---

١ – في لقاءٍ مع أحد أعضاء المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية قال :
«بالرغم من المخاطر الحقيقية التي كانت تحيط بالجمهورية الإسلامية في إيران فيما إذا تدخّلت بشكلٍ مباشرٍ لدعم انتفاضة الشعب العراقي – سيّما وأنها كانت تفتقد الأعداد لخطة عمل ميدانية أزاء الانتفاضة الشعبانية لأنها قد فوجئت بها وبتسارع الأحداث – إلّا أنها أبدت موقفاً إيجابياً تمثّل في فسح المجال المطلق لقوات فيلق بدر وللمجلس الأعلىٰ ولقيادته المتمثلة بسماحة السيد الحكيم وتم دعمه بكل الامكانات الأساسية والضرورية وإعطائه كامل الحرية في الحركة من الفاو الىٰ الكوت. لكنها – أي إيران – بنفس الوقت عرقلت وحاولت منع الجحافل الجهادية التابعة لحزب الدعوة الإسلامية في مجاورة الحدود ودخول الأراضي العراقية سيّما في الأيام الأولىٰ لبدء الانتفاضة ! لذا حينما سُمِحَ لنا – في الأيام التالية – بالدخول كانت الانتفاضة مُرهقة وكانت قوات النظام قد بدءت تستعيد المناطق من سيطرة المجاهدين والثوّار في البصرة» .

٢ – لم يعثر الأهل على جثّة شهيدهم ، فالتحق كأخوانه مظلوماً مُغيَّب القبر .

يسكُن الىٰ حُسنِ الظنّ بالأيام)[1] .

فهم السابقون بالجهاد والاستشهاد ، وهم السابقون بالهجرة ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهُم بإحسان رضيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[2]

جراح الأمس .. ودموع اليوم

وصلت قافلة الفاطميّات إيران[3] ، فتعانقت ذوائب الاشجان .. هاهما الثكولان تتكحّل عيناهما ببقيّة السيف ، وهاهم الأحفاد يلتقون بعد أن فرّقهم الحيف ، تجمّعَ شتات ما تبقّىٰ من الأُسرةِ الكبيرة ..

رجُل عجوز أرخىٰ رأسهُ المُثقل فوق صدر ابنه وصار ينحب ليوثه وزنبقته ، وأمٌّ مُمزّقة تشكو بثّها وحُزنها الىٰ الله والىٰ ابنها ثمالة الشُهداء .. انفجرت الكلمات دموعاً وبكىٰ الجميع - آباءٌ وأبناءٌ وأحفاد - وصار اللقاء عزاءً. مَشاهد عجيبة يتمازج فيها السرور بالبكاء ، الحُزنُ بفرحة اللقاء .. صفحات متداخلة من اللوعةِ والسرور انعكست علىٰ وجه الابن ووجهي والديه ، أُمنيات حزينة تراكمت اثنتي عشر عاماً ، وهاهي تَبوحُ بها دقائق اللقاء .

وبينما كان الحاج (أبو رياض المهندس) في عناقٍ مع أبيه وأُمّه كانت روحهُ تسبق عينيه الىٰ تِلكُم الشابّتين اليافعتين . إنهما (نغم وزينب) بنتا الأخ والحبيب

---

[1] غرر الحكم / ٢٩٢.

[2] سورة التوبة : ١٠٠.

[3] يقول الحاج عبدالكريم العياشي :
أخي الذي بقّي لي من جميع أخوتي - كاظم من مواليد بغداد ١٩٦٨م ، أُعتقل مرتين بسبب نشاط أخوته الجهادي - الىٰ شمال العراق عام ١٩٩١م بعد الانتفاضة الشعبانية بثلاثة أشهر ،كان يأمل العثور على مَن يعرفني أو يوصله لي .. وصل الىٰ منطقة (أشنوية) التابعة لمحافظة أربيل ، وشاء الله أن أكون في تلك الفترة هناك في مقر (الدعوة) بشمال العراق ..
التقىٰ بي في مقر المجلس الأعلى وأعطىٰ تفاصيل دقيقة وثّقته لدىٰ الأخوة الذين قدّموا له المساعدة وأعطوه رقم هاتف منزلي في قم .أتصل وكانت علىٰ الخط زوجتي التي بدورها أعطته رقم هاتف مقر (الدعوة) في أشنوية بشمال الوطن .. وفعلاً اتصل بي وذهبت إليه والتقيته وبقينا في المقر أربعة أيام .. بعدها أرجعته الىٰ بغداد ليأتي بما تبقّىٰ من الأهل - الوالدان وبنات الشهداء - وتم والحمد لله اللقاء فاستقبلتهم في منطقة ديانا التابعة لمحافظة السليمانية ، ومن ثم جئت بهم الىٰ إيران حيث منزلي في قم المقدسة .

الشهيد عبدالحسين ، اللّتان كانتا تنتظران دورهما بحياءٍ واشتياق .. إنّـهُ العم الذي *طالما رأينَ صورةً وسمِعنَ الحكايات عنهُ ، فما أن احتضنَ العم ابنة أخيه الكبرى* احتضنتهُ الصغرىٰ ، وصاروا ينحبون بل ويصرخون .. إنّهُ مَشهد نعجز عن أن نوفّه حقّه ، حيث تعالىٰ الصراخ من كُلِّ زوايا المكان . إذَن هاهو الحاج (أبو رياض المهندس) الذي تحدّىٰ مرارة الأيام وصَمَد رُغم قسوة الآلام ، وظلَّ إثنتي عشر سـ يبكي بدموعٍ خرساء ، هاهو يصرخ !! هاهي العيون المُرهَقة بكبرياء الدمع طفحَ بـ الحزن فتدافعت الدُموع علىٰ الصُدور !!

إبكِ أُخيَّ .. مزّق هذا الصمت الجاثم علىٰ آلامكَ واصرخ .. الىٰ متىٰ يبقىٰ الدمع سجيناً في عينيك فاصرخ ، فالبُكاء لايخدش الرجال .

أبكي القواريرَ أوغادٌ تُداعبُها ... وكُـنَّ مثل اللآلىءِ ضمّها البحرُ
يـندُبننا كاللواتـي رابَهُنَّ لدىٰ ... وادي الطفوف أُناسٌ جُلّفٌ غُبرُ
يبكينَ حتىٰ سكون الليلِ ليس بهِ ... إلّا المخانيث فيهم أطبقَ السُكرُ
أبكـي صبايا إذا ما لفّنا تـرفٌ ... فـهُنَّ يُـمسينَ لا حـامٍ ولا خِدرُ
أبكي لأُمـيّ وقـد أودىٰ بـمعصمِها ... ثِقَلُ الحديدِ ولكن طرفُها شزرُ
أبكي لمن عِفتها فـي البُعدِ ثـاكلةً ... من فرطِ غُربتِها قد خانها الصبرُ
أبكي لجيلٍ مـن الأيـتام مـاوُلدوا ... إلّا وخـطّهُمُ - دون الورىٰ - الذُعرُ
أبكي وأبكيٍ وأبكـي طـالما ذرفت ... عيني الدموع لها فـي نـاظري جمرُ
أبكـي عسـىٰ دمعتي تُطفيء جوايَ أسىً ... وإن بكـيتُكُم دهـراً فـذا نـزرُ
لكـننا مـذ خُـلقنا والردىٰ قدرٌ ... لابُـدَّ آتٍ وفـيه يـنطوي العُمرُ[1]

آلاء .. وريثة الشُهداء

ودّعت (آلاء) أعزّ مالديها في هذه الدُنيا الغريبة ، والديها - خالتها وزوجها - اللذان تحمّلا مسؤولية تربيتها مُذ خرجت من المُعتقل رضيعة لم تتجاوز الثمانية أشهرٍ حتىٰ بَلَغت من العمر تسعَ سنين .. لقد اعتنوا بها كأحَد أبنائِهم ، بل فاق حُبّهم

١ - من قصيدة : مهلاً أخا الدرب .. للشاعر «أبو زهراء» ٢١ / صفر / ١٤٠٥هـ .

ها ! كيف لا وهي اليتيمة بنت الشهيدين . وهاهي تفارقهم !! نعم ، لقد فارقت آلاء الأهل وغادرت الوطن بلا خطيئة ..

إلتحقت بنت الشُهداء (آلاء) مع بنات خالها الشهيد عبدالحسين (نغم وزينب)[1] .. غادرت (الوصايا) الوطن الىٰ دار الغُربة ! غادر سرب الحمائم الىٰ حيث الأمان بعيداً عن شِباك البعث الغادرة ولُؤم سِهامهم القاتلة ..

عبَرت (آلاء) حدود العراق الىٰ حيث المهجر .. كانت كأنها قاربٌ تائهٌ يَرسو كُلَّ حينٍ علىٰ مَرفأٍ جديد ، وهاهي اليوم تبتعد عن كُلِّ مَرافيء الوطن ! تُرىٰ أين سترسو هذهِ المرّة ؟

أمّا خالها الصابر (أبو رياض المهندس) فحينما رأىٰ آلاء بنت أُختهِ الحبيبة الشهيدة أحلام وبنت صديقه ورفيق جهاده الشهيد عماد[2] احتضنها وملأ روحه العطشىٰ من عينيها ووجهها الصغير ، سالت العيون هموماً وهموماً ورجعت به ذكريات الأيام الخوالي الىٰ الوراء ، فتذكّر المودّات القديمة ، تذكّر الأهل والأحبّة ، تذكّر البيّاع والأزقّة ، تذكّر أيام البيعة والجهاد لقائد مسيرة الاستشهاد .. تذكّر كُلَّ شيء رُغم أنّهُ لم ينسَ شيئاً ، غير أنَّ رؤية (آلاء) قد قرّبت اليه البعيد وأعادت الىٰ عينيه مَشاهد الخلّانِ والوطن التليد .

يقول الحاج الأُستاذ (أبو رياض المهندس) :

«حينما وصلت آلاء الجمهورية الإسلامية واستقرّت في بيتي بقم المقدسة ، لم تنفك تتساءل باندهاشٍ وذهول : عمّو لم جاء بي أجدادي الى هنا وابعداني عن اهلي ؟! لمَ فارقتُ أمي وأبي ؟!

كانت فطنة وذكيّة .. مرّة أخبرتني مُستفهمة أنها وعندما باشرت في المدرسة الإبتدائية في بغداد) سالت أمها - تعني خالتها - أمّاه : لم يُنادىٰ عليّ باسم (آلاء عماد) رغم ان اسم ابي (....) كانت خالتها تقنعها بمبررات تتلائم مع براءتها وصغر سنّها ..

كانت تُحب خالتها وزوجها حُباً جمّا ، ولم تسمح لنا ببعض التوضيحات - ولو بمرحليّة وبُطء - حيث بذلنا جميعاً جهوداً لاقناعها ان أمها واباها الحقيقيين هما الشهيدان (عماد وأحلام) وهاهي صورتهما .. كانت ترفض حتىٰ النظر لصورة الشهيدين !! كانت تقول : انتم تحاولون اقناعي بهذا الكلام كي لا أبكي علىٰ والديّ بَعد أن صرتُ بعيدةً عنهما . بَيْدَ انهُ ولله الحمد شيئاً فشيئاً وبالأسلوب الهادئ الشفّاف -

---

[1] نغم وزينب بنتا الشهيد عبدالحسين العياشي خال آلاء ، وكذلك بنتا عمتها .

[2] يقول الحاج الأُستاذ (أبو رياض المهندس) : «آلاء كثيرة الشبه بأبيها الشهيد عماد عبد شكلاً وصفات .

سيما مع وجود والدي وزوجتي[١] - بدات تتفهم الأمر ، بل صارت تتقبل النظر لصورة والديها الشهيدين ، وكم مرة وجدناها جالسة لوحدها - منزوية - تتأمل صورهما ودموعها تنساب هادئة» .

أيّ ظُلم هذ الذي أحاط بأبنائنا ؟! أيّ محنةٍ هذهِ التي لفّت عِراقنا ؟! صَبيّة لم تتجاوز العقدَ الأول من عمرها دفعتها الاقدار الى عدم الرغبة لرؤية صورة والديها الشهيدين !! بعد أن تراكمت فوق عينيها الصغيرتين السُحب والمتاهات وماجَت في أعماقها الآهات .

بكت (آلاء) كثيراً وطويلاً قبل أن تستسلم للقَدَر وللواقع والحقيقة .. وتمر السنين والصَبيّة تكبر وتعلو زيتونةً وارفة الظل[٢] . بَيْدَ أنَّ عيونها لم تَزل تغُطُّ بالدمع ووجهها المُضيء لم يَزل مَشوباً بحزنٍ عميق ، كقمرٍ غائب وراء غيومٍ كثيفة .. ولِمَ لا ! فهي (آلاء) وريثة الشهداء[٣] .

ياأخوتي .. هل تذكرون !

في نهاية اللقاء الذي جمعني بالحاج الأُستاذ (أبو رياض المهندس) حدّثني عن ذكرياته مع إخوته الشهداء الخمسة ، حدّثني وفي عينيه حزن هذا الأرث الكبير نعم ، كانت عيناه مُثقلة بالآلام ، إلّا اني وجدته صامداً تملأه الآمال أيضاً .. كان يتكلم عن اخوتهِ بهدوءٍ واعٍ ، كـان كأنـهُ يـتكلّم معهم لا مـعي .. قـال والعَبرة تخنقُ أنفاسه :

«عندما نزلت - بعد الانتفاضة باشهرٍ قليلة - الى بغداد ، لم اعثر على صديقٍ واحدٍ من أصدقاء الدرب القُدامى ، لم اعثر على احد !! الكُل استُشهِد او غُيّب او سكن المهاجِر .. لقد ارتحل الجميع سكنت اجسادهم الصحارى والزنزانات ، فتذكّرتُ اخوتي الشهداء ، تذكرتُ عماد وعدنان و و و .. تذكرتُ أخي الشهيد عبدالحسين ، كان ظِلّي وصديقي ، تذكرتُ دُعاة الزمن الصعب ، زمن الأوفياء الذين رحلوا بلا وداع .

---

١ - زوجة الحاج أبو رياض المهندس هي أخت الشهيد المهندس عماد عبد والد آلاء .

٢ - تزوجت آلاء (مواليد ١٩٨٠م) من إبن خالها الحاج عمّار (مواليد ١٩٧٧م) عام ٢٠٠٠ م بعد أن أكملت دراسة الدبلوم وهي الآن في طريقها لدخول الجامعة .

٣ - آلاء : الأب الشهيد المهندس عماد عبد القرعاوي ، والأم الشهيدة أحلام علي العياشي .. العم : الشهيد عدنان عبد ، والأخوال : الشهيد المهندس عبدالحسين علي والشهيد المهندس عبدالهادي علي والشهيد يحيىٰ علي والشهيد أحمد علي.

كانت عبارة واحدة تتردد في أعماق ضميري ، تستوقفني : ماذا نفعل لنستوفي ثأرنا من هذا النظام المجرم الذي قتل أهلنا وعلماءنا ودمّر شعبنا وعراقنا[1] ؟!» .

يا أُخوتي هل تذكرون ؟
أيّام كُنّا نقلع الاشواك
ونزرع الورود
فيشرب الهواء من عطورنا
وتشرق الشموس !
ياأُخوتي ، هل تذكرون
أحِبَّة الطريق
الزارعين الحُب في النفوس
البائعين العطر والرحيق
المنقذين كل حائرٍ غريق
كم طيّبون هُم وواعدون دونما حدود !
روحي فدىً لهم
روحي فدىً لكُلِّ مؤمنٍ ودود
ياباعثي الأمل
في أُمّة الرسول
ياأُخوتي ، هل تذكرون موكب الدُعاة ؟
الباعثين النور في الحياة
الليل كان في حياتهم نهار
والرمل في دروبهم محار
اليُمن في أيمانهم ، والحب في قلوبهم نوّار

---

(١) قادح الكسر حين النصر (تحرير) .

الله غاية المُنىٰ لديهم
الله .. إليه كم يشتاقون !
فكان أن مَضوا الىٰ لقائهِ ثوّار !
ياأيُّها الدُّعاة
قد أينعت دماؤُكُم ، وأمرعَ الطريق
وأنجبت نساؤكم رجال
يُصارعون الأعور الدجّال
"طيبة "بعدكم غدت
مدينة لاتعرف المحال
الوحش .. مات
وأُمهاتكم .. ياأخوتي ، يغزلن كُلَّ يوم
وشيعة انتظار
لدولة الإمام ![1]

دولة الأمان .. إيران[2]

تمر السنين كالسحاب ، والابوان - الحاج العياشي وزوجته - ينتظران الفرج علىٰ أمل أن تختفي الذئاب وينتهي زمن العذاب ، حيث الرجوع الىٰ الوطن .. الى تلك الديار التي احتضنت كُلَّ ذكريات العمر المديد في أرض العراق الحبيب .. عشرة أعوام والدموع تنهمر كالمُزن علّها تروي ظمأ الأرواح التي أجدبها الفراق فجِنان الخُلد دون الوطن قاحلة ..

يـــاعراق اشــلون ليـــلك اشــلون گـعدات الســمر
يـــاعراق اشــلون نـــجمك اشــلونه بـــللّه اويـــلسهر

١ - من قصيدة (الطريق) للشاعر محي الدين الأنصاري - الجزائر - ١٩٨٤م.
٢ - كانت الجمهورية الإسلامية في إيران - ومازالت - ومنذ ثلاثة وعشرون عاماً واحة الأمان وبوّابة العبور لملايين العراقيين المُهاجرين ، الفارّين من الموت الأحمر الزّؤام.

ياعراق اشـلون شـمسك اشلونه بسماك الگُمر
ياعراق اشـلون گـاعك هَـم تـزل بـيهه المطر
ياعراق اشـلونك انتَ اشلونك انتَ اويـه القهر
ياعراق اشـلون تـخلك اشلون زرعك والشجر
ياعراق اشـلون اهـلنه اشلونهم ويـه الدهر
ياعراق اشلون مـايك هـم مثل مـاي البشر
ياعراق او ياعراق او يـاعراق اشكثر جـرحك كـبر[1]

هم . كانا يتأملان الذي بقي بين أيديهما .. يملآن عينيهما برؤية أحفادهما تزوجون[2] .. يُباكرون في أمان الله ويعاودون بطمأنينة وسلام حيث دولة الحرّية والأمان إيران الإسلام .. كانت رؤيتهم تطرد عن أرواحهم التعبىٰ بعض عناء السنين وهات الراحلين ..

أعوام طويلة كأنها الأبد .. الأطفال كبروا وهم ينتظرون ، والشباب شاخوا وهم ينتظرون ، والشيوخ ماتوا وهم ينتظرون ! متىٰ ينتهي الانتظار ؟!

رحلت الأُم الثكلىٰ ولحق بها الشيخ المُثخَن بالجِراح .. والحُلم لم يتحقّق بعد ، رحلوا ولم يحظ أيٌ منهم بقبرٍ من رمال غري وادي السلام .. تناثروا في أرض الغربة بعيداً عن مَقابر الأحبّة .. ماتوا وهم ينتظرون ! الىٰ متىٰ الإنتظار ياحُجَّة الله ؟!

إلهي عَظُمَ البلاء وبَرِحَ الخفاء وانكشف الغِطاء وانقطع الرّجاء وضاقت الأرضُ ومنعت السماء وأنت المُستعان واليك المُشتكىٰ وعليكَ المُعوّل في الشدَّة والرخاء[3].



[1] الأستاذ محمد عبدالكريم «أبو صادق الظالمي».

[2] تزوج رياض عبدالكريم (مواليد ١٩٧٣م) من نعم (مواليد ١٩٧٥م) ابنة عمّه الشهيد عبدالحسن ، عام ١٩٩١م .. وتزوج ... عبدالكريم (مواليد ١٩٧٤م) من زينب (مواليد ١٩٧٧م) ابنة عمّه الشهيد عبدالحسين ، عام ١٩٩٥م ، كما تزوج الحاج ... عبدالكريم (مواليد ١٩٧٧م) من آلاء (مواليد ١٩٨٠م) ابنة عمّته الشهيدة أحلام ، عام ٢٠٠٠م.

[3] دعاء الفرج ، لبقية الله أرواحنا لتراب مقدمه الفداء (الحُجّة بن الحسن) «عج».

أحلام

أحلامُ، ياأُنشودةَ الوطنْ ..
.. وأحرفاً من لفظِهِ عِذابْ
... لأنكِ الكتابْ
لأمةٍ صامدةٍ في قسوةِ العَذابْ
مازلتِ أنتِ اللحنَ والشجنْ ..
وآهةً لكلِّ مُمتحنْ
قد مزّقتْ فؤاده الذئابْ
مُذ قال للطاغوتِ: لا، ولنْ
ثم ارتدى سياطَهم كفنْ

❋ ❋ ❋

أحلامُ، طال في رحيلكِ الرحيلْ
وانقطع العويلْ .. ولمحةُ الأملْ
وأحتبستْ نواظرُ السماءْ
لأنها قد اكتفت بأنهر الدماءْ ..
... ومُزنةِ المُقَلْ
ولا يزال يكبرُ السؤالْ .. أينَ متىٰ وهل؟

❋ ❋ ❋

أحلامُ، أينَ الراحلونَ للجنان؟
مواكبُ الارواحْ ..
... وسادةُ الصلاحْ
هل بلغوا سواحلَ الأمان؟
.. في رحلةِ الكفاحْ
أحلامُ، أبلغيهِمُ السلامْ ..

وأخبريهم أننا عن الكرىٰ صيامْ

.. وإنْ تنت بيرقَنا الرياح ..

وأجحف الزمانْ

❊ ❊ ❊

أحلامُ، لمّا تنطفيءْ آهاتُنا عليكْ

.. والساكنين في العلىٰ لديكْ

وهل تجفُّ بعدَكم دموعْ؟

.. وهل تخِفُّ أنّةُ الضلوعْ

والصدرُ!.. والثاراتُ!.. والحبالُ والجموعْ!

والعهدُ في: (لبيكْ)؟!

قلائداً .. يانجمةً نزفُّها إليك

أبو صادق الظالمي [1]

١٣ / شعبان / ١٤٢٣هـ

قم المقدسة



---

(١) قصيدة للمجاهد الأستاذ محمد عبدالكريم.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

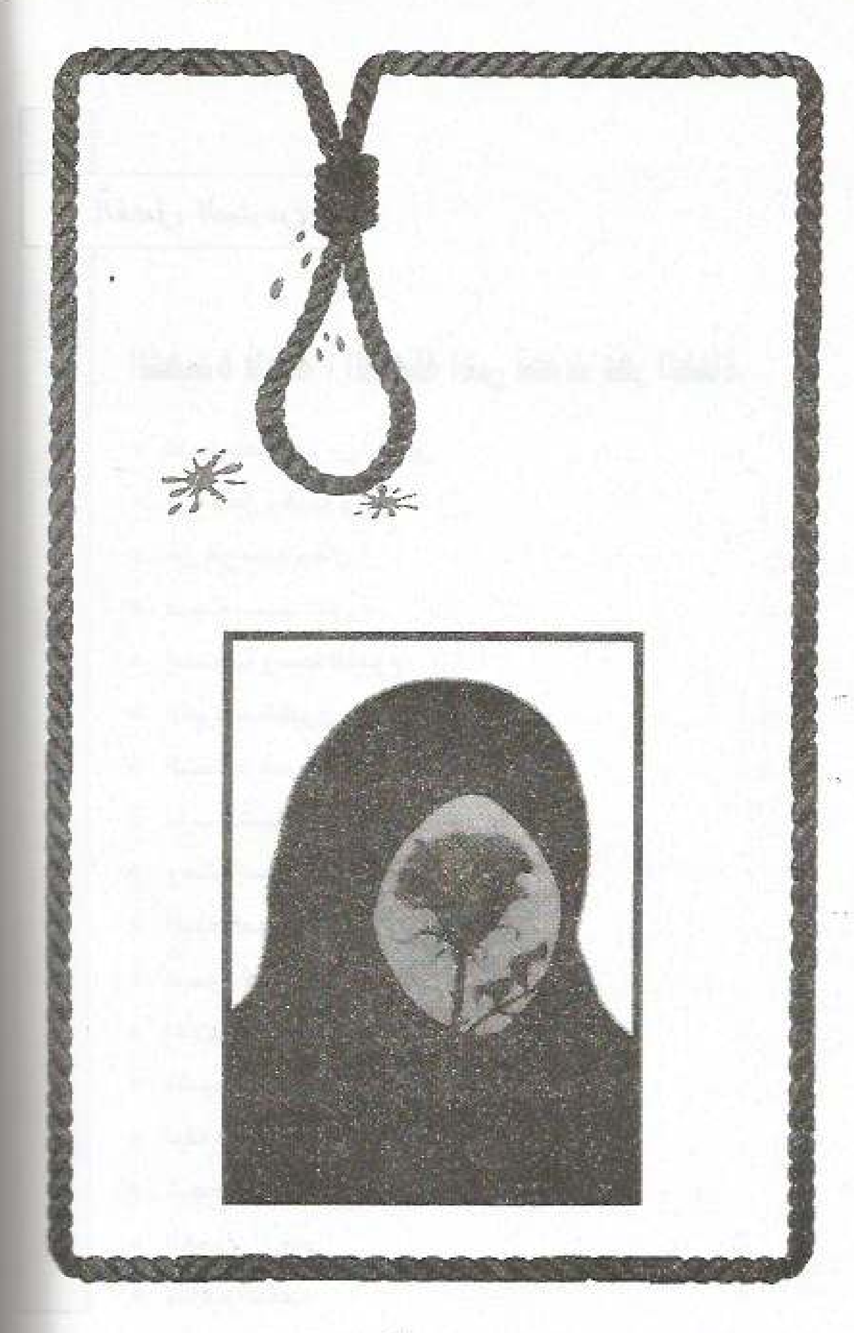
[illegible]

[illegible]

الفصل السادس

الشهيدة فاطمة : الفضيلة التي تحدّت قهر الطغاة

- كلمة حمراء وزمن أخرس
- إباء جيل وهيبة وطن
- مَن هو سيد جمال ؟
- مدينة إسمها الثورة
- إبتسامة وسط الدموع
- الجريمة الكبرىٰ .. والإحتساب
- التنظيم ضرورة شرعية
- درب الشهادة الحيّة
- وحش إسمه علي الخاقاني
- أقبية الموت الأحمر
- صمود في غرف الجحيم
- إغلاق التحقيق وتقرير الهزيمة
- نشيد النصر في سجن الرشاد
- ليلة سوداء وعاصفة صفراء
- شهيدة تتحدّث عن شهيدة
- التحدّي الأخير
- مناجم الذهب



الشهيدة السعيدة فاطمة الحسيني

- علويّة .. بشرفي لديَّ صلاحيات من السيّد الرئيس صدام حسين شخصياً ، أستطيع أن أغيّر الحكم وانتزاع الحبل من عُنقكِ حالاً .. فقط اعطيني أسماء خطوطكِ ، ومَنْ هو مسؤولك ، وأين أخفيتم - أنتِ وجمال - السلاح ؟

الجلاد الرائد علي الخاقاني

- إسمع .. هذه درجة لا ينالها إلّا السُعداء ، فكيف بي أن أتنازل عن هذه الدرجة ؟!

الشهيدة السعيدة فاطمة الحسيني

إيهٍ فاطمة .. يادمعةً خرساء ، يانخلةً عانقت السماء ، ياأنشودةً غرّدتها بلابل الفردوس ، يامن تعطّر التيزاب بجسمها ، وانتكست أعواد المشانق لكبريائها ، يامن عرّضت ثروتها الذاتية الىٰ النهب وتمزّق جسدها النحيل حِفاظاً علىٰ أسرار العمل والعاملين ، يامحارةً تهشّمت ولم تُفرّط بلآلئها ، يامن أرادوا لها الموت ورأسها في حضن الذل ، وأراد الله لها الشهادة ورأسها في حضن الزهراء .

فاطمة ..

دَعيني أُخاطبكِ واهتف :

ياسيدتي

أنتِ سيّدة في ربيعكِ العشرين

سيدتي !

انني أذرف الدموع كلما تذكرتك

ولا أدري سرّ بكائي

ألأني أرىٰ زهرة شبابك وقد عصفتْ بها رياح الزمهرير

أم أبكي لشنقكِ .. لأنهم حين شنقوكِ إنّما شنقوا الفضيلة والطُهر والنقاء !

أبكي لنفسي .. لأني بقيت بعد رحيلك

سيدتي !

حدّثيني بالله عليكِ

حدّثيني عن النور الذي هَفَتْ اليه روحك

إنّ رسالتكِ الىٰ جمال زوجكِ الشهيد .. يجب أن يقرأها جيلك والأجيال التي تليه :

«زوجي الحبيب جمال ! لقد أنرتَ حياتي بنور الايمان ، وأخذت بي الىٰ طريق الرشاد .. كنتُ ظمآنة أنتظر مثل هذه اليد التي تأخذني الىٰ النبع الطاهر»

وهل كانت مصادفة أن يكون السجن الذي مكثتِ فيه قبل شنقك يحمل اسم «الرشاد»

فاطمة أيتها الشهيدة .. شهيدة الحب الإلهي

حدّثيني

لقد اشتقت الى لقائك ..

والآن أدركتُ سرّ بكائي .. انني أبكي النقاء الذي فقدناه .. لم نكن نعرف في هذه الدنيا التافهة سوى الله والحب والايمان

أما الآن .....



الإهداء

الى الناطقة في زمن الصامتين..

الى التي طلّقت الدنيا باختيارها..

الى التي لم تزدها المصائب الّا تفانياً ، والمحنُ الّا رسوخاً ..

الى التي كتبت منهجها بدمها لا بقلمها ..

الى ذكريات الأزقّة الدامية ..

الى الخطوات الواثقة .. والعين الضاحكة والقلب الكاظم ..

الى سيدة روحي ، الى فاطمة ..

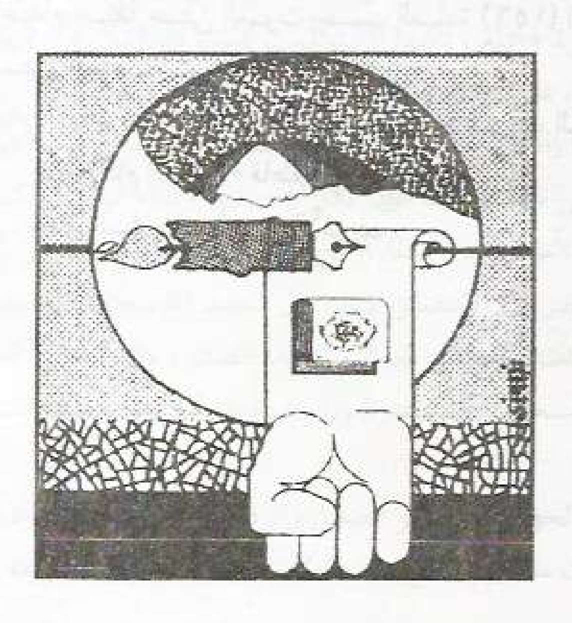
أهدي سطوراً حمراء من سجلٍّ حياة.

.

ها أنا مرّة أخرىٰ أدخل بـزورقي الصـغير الىٰ شـاطىء الذكـريات التـي لن
تقادم ، ومحطتنا الأخرىٰ هي الشهيدة السعيدة العلوية «فاطمة الحسيني» وما أدراك
ما فاطمة ! هي بضاعة مُرجاة .. فَلْنُوفِ لها الكيل .

أختي فاطمة ، ها أنا أكتب عنك ، وبالأمس البعيد كنّا نتسامر معاً ، مازلتُ –
تي – حينما يغمرني الحنين الىٰ الوطن أشتاق اليك والىٰ أيامكِ.. يا أرفق رفيق
ويا أصدق صديق .

أُحبُّ لاجلِ فاطمة الديارا ... وأعشقها وإن بليت مَرارا
وأهوىٰ كُلَّ شبرٍ من ثراها ... أروضاً مُزهراً أم إقترارا



الهوية الشخصية

الاسم: الشهيدة فاطمة الحسيني

المواليد: (١٩٦١ م) بغداد ، شارع فلسطين ـ ساحة بيروت

المستوىٰ الدراسي : الإعدادية ، القسم العلمي .

الحالة الزوجية : متزوجة من الشهيد السيّد (جمال الموسوي) الذي نال وسام الشهادة بعد زواجه منها بأشهر معدودة .

تاريخ الإعتقال : ١٩٨٢ م

التهمة : العمل المسلح واخفاء سلاح ، والإنتماء لحزب الدعوة الإسلامية .

جهة الإعتقال : مديرية أمن مدينة الثورة .

الجلّاد : الرائد علي الخاقاني (أبو جواد) .

المحكمة : محكمة الثورة العسكرية .

الحاكم : اللواء مسلم الجبوري .

الحكم : الإعدام شنقاً حتىٰ الموت حسب المادة (١٥٦) الفقرة (أ) من الدستور المؤقت .

تاريخ الإعدام : أواخر عام (١٩٨٢م) في سجن أبو غريب الكبير - قسم الأحكام الثقيلة - قاطع الإعدام النسوي .

مكان الدفن : وادي السلام في النجف الأشرف .

ذكريات وارشادات

فاطمة ، يارفيقة الدرب .. رغم ان ذكراكِ تُدمي القلب ، ولكن هل لرسمك ومُحيّاكِ الا ان تُسكنه عيوننا .. فها أنا مازلت أسمع صوتك وهمس وصاياك ، وها هي الخواطر والذكريات تتراودني تباعاً ..

فاطمة فتاة سمراء البشرة ، بهيّة الطلعة ، متوسطة الطول ، رشيقة القوام ، ذات جمال وثراء ، مبتسمة الثغر ، دمثة الأخلاق ، محببة الىٰ القلب ، شفافة الروح ، حلوة الحديث ، حسنة المجالسة ، هادئة الحركة ، تميل الىٰ البساطة في العيش والمظهر ، فالتواضع والصدق سمات بارزة في سلوكها .

جمعتني بها مبادىء الشباب الملتزم ، فكانت لجلساتها معي طعم خاص مازالت حلاوته دونها الشهد .. اذكرُ مرّةً زرتها في شهر زواجها ، أدخلَتني غرفتها الجميلة المتواضعة ، وأصرّت علىٰ مشاركتها تناول بعض الطعام ، قدّمت لي الفاكهة بحنو .. كانت مبتسمة دائماً ، فالإبتسامة جزء من ملامح مُحيّاها .. واذا ضحكت فضحكتها قصيرة هادئة ، لكنها اذا تكلّمت كانت كلماتها وهج الجمر علىٰ القلوب الحاقدة ﴿أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] ..

لقاءاتي بها زادتني حصانة ووقاية من السموم ومنحتني من فيض يقينها ما أضاء حزني ووحشتي ، فانصرفت اليها بكل وجودي وتمام كياني .. كانت تزرع في أرجاء روحي الأمل بعد ان كدنا – من كثرة المصائب – نلبس ثوب اليأس ..

أوصتني بضرورة الإلتصاق بزبور آل محمد (الصحيفة السجادية) وبملازمة صلاة الليل .. كنت أرجع الىٰ البيت منشرحة الصدر ، وفي الطريق كنت حريصة علىٰ مراجعة المعاني المستترة وراء كلماتها وأرشاداتها التي نُقشت في أعماق القلب .

كانت نصائحها عابقة بعطر الصدق والوفاء .. فهي في تمام الود وغاية الإخلاص لأخواتها وبنات مدينتها .. من هنا دخلت فاطمة – وبهذه السرعة – عقول وقلوب

---

(١) سورة الفتح : ٢٩.

فتيات مدينة الثورة . ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[١] .

نعم ، كانت فاطمة ذات هيبة ووقار .. فهي في حجابها وحشمتها تتجاوز حد الضرورة الشرعية ، بحيث إن مظهرها الخارجي يوحي وكأنها أكبر من العشرين ربيعاً بكثير .

قائدها كان المرجع الصدر وحبيبتها الرائدة بنت الهدىٰ .. عاهدت الله بعد جريمة قتلهم أن لاتذوق طعم الراحة حتىٰ تلتحق بهم ، لان جرحهم قد نكأ كل جراحات القلب .. فهي ما برحت تتسابق الىٰ نيل الشهادة ، كما يتسابق أهل الدنيا الىٰ متعها الفانية .

كلمة حمراء .. وزمن أخرس

أخي القارىء الكريم:

لم تكن شهيدتنا فاطمة الحسيني صنيعة خيال ولا مداد ارتجال .. إنها فتاة بغدادية فاضلة عشنا وعايشنا معظم جراحاتها ومصائبها .. فصورتها مازالت على شغاف قلوبنا ، ماثلة أمامنا تؤنس وحشتنا .. وكلماتها مازالت محفورة في ذاكرة تقوّم خُطانا .. كانت لنا أعذب معين وأصفىٰ غدير ، فأحاديثها تروي ظمأ الروح التعبىٰ ، وإرشاداتها تزرع في القلب بذور الورع والتقوىٰ .. كنّا نحوم حولها كما تحوم الفراشات علىٰ ضوء القنديل .

لقد درستها عن قرب .. امتازت بقلبٍ عامرٍ بالإيمان ، وروحٍ متوهجةٍ بعشق الشهادة .. فهي مؤمنة كقديسة ، طاهرة كملاك ، صابرة كآسية ، ثائرة كفاطمة .

تكاملت خبرتها من رحم المعاناة .. فهي في البيت رسالة كما هي في المجتمع رسالة .. ذات نمطٍ عالٍ من الذكاء والحنكة في تدبير الأمور .. واجهت الباطل بكل عزمٍ وعنفوان .. منهجها التضحية بالنفس والنفيس في سبيل عقيدتها وتحرير

---

١ - سورة آل عمران: ١٥٩

شعبها ، لذا قالت كلمتها في زمن خرست فيه ألسُن الذين كان الدين لعقاً على ألسنتهم ، فصبرت عند هطول المحن رغم قلّة الزاد وبُعد السفر ، فاعترفت لها المصائب بالإحتساب وحُسن مآب .

فهي بحق عمود شامخ من أعمدة الجهاد النسوي في هذه المدينة الباسلة ، بل هي إحدىٰ رائدات الحركة الإسلامية النسوية ببغداد في تلك المرحلة .

فسلامٌ فاطمة .. أيتها الشهيدة القادمة من عذاب ليل المغول الطويل .. سلام وأنتِ تسكنين بين جفني والدموع.. سلام ياشهيدة الثورة والعقيدة .

إباء جيل وهيبة وطن

فاطمة .. يامَنْ فقدناك أختاً وفيّة ، وخسرناك زينبيةً أبيّة .. ماذا أكتب عنك ، وعن أي بطولةٍ أتحدّث ؟! ماذا عساني أخبر الذين لم يحالفهن الحظ بمعاشرتك ومعرفتك .

نعم ، فالكتابة عن فاطمة أمراً ليس بالهيّن .. كانت إنموذجاً في كل شيء .. تعلمنا منها الكثير ، لكننا عجزنا ان نماثلها حتىٰ في القليل . ومع استئناس كلّ الأخوات المقرّبات – في مدينة الثورة وشارع فلسطين والكرادة – بشمس فاطمة الساطعة ، بَيْدَ أنَّ الإقتداء بها ليس أمراً سهلاً أبداً .. كان وجهها يختزن طيب سرائرها وطهر آلامها وقداسة غضبها ، كان صوتها الشجي يستبطن صرخات جراحها وأنّات روحها .. كانت صلبة كالسيف ، طاهرة كالندىٰ .. نعم ، لقد جادت عليَّ الأيام فكنتُ ألتقيها .. أتزاور معها ، ولكن أنىٰ لي الإقتداء بها !

وها أنا كلّما أحاول الإمساك بالقلم ترتجف أناملي وتحملني أجنحة الشوق الىٰ تلك الأمسيات ، فيغور بي الخيال الىٰ تلك الأيام الشداد الطوال بجراحها وآلامها التي عشناها معاً في تلك المدينة الثائرة الصابرة ، مدينة الثورة الباسلة .

نعم ، تتضاءل الكلمات وتنحسر العبارات أمام صبر وجهاد فاطمة .. وينكسر لسان القلم عندما تتراءىٰ له أسِنَّة العذاب الذي صُبَّ علىٰ روحها وجسدها ... أيها

التاريخ تحدّث وأيتها الأيام انطقي فهذه فاطمة .

فاليكَ قارئي الكريم سطوراً قانية من حياة نخلة شمّاء إنبسقت من أديم بغداد الجميلة لتمثل إباء جيلٍ مذبوح وهيبة وطن مقهور .

مَنْ هو سيد جمال ؟

هو السيد جمال السيّد فاضل الموسوي ، من مواليد بغداد (١٩٥٩م) .. خرّيج معهد التكنولوجيا بغداد ـ الزعفرانية ـ قسم الكيمياء .

يسكن بغداد ، مدينة الثورة «حي الأكراد» .. متوسط الطول ، أبيض البشرة مُجعّد الشعر ، مرح ذو إبتسامة دائمة وطرفة هادئة .

شجاع وحذر ، متميز الذكاء ، مولع بقراءة كُتب الشهيد الصدر والسيد فضل الله فكان يقول عن كتاب «خطوات علىٰ طريق الإسلام» : (هذا الكتاب منهاج عمل تنظيمي متكامل) .. لذا كان يحفظه عن ظهر قلب .

إشتهر بحواراته الفكرية المبدعة ، سيّما أثناء زياراته الىٰ العتبات المقدسة وفي المناسبات .

إنتمىٰ الىٰ صفوف الحركة الإسلامية – حزب الدعوة الإسلامية – عام (١٩٧٨م) ، وكان عنصراً فاعلاً ومتميّزاً .. وقد كُلّف ـ فيما بعد ـ عدّة مرّات بأعمال جهاديةٍ مسلّحة ضد أزلام النظام .

تخرّج من المعهد عام (١٩٧٩م) .. فتزوّج ثم إلتحق بالخدمة العسكرية (الإجبارية) في تاريخ (١٩٧٩/١٠م) .

شارك في وفود البيعة للشهيد الصدر رحمه الله عام (١٩٧٩م) ، كما شارك في جميع المسيرات والمظاهرات . وخاصة مظاهرة مدينة الثورة «شارع الداخل» بمناسبة أربعينية المرحوم السيد (علي المبرقع) التي إنطلقت من مسجد الإمام الباقر عليه السلام عام «١٩٧٩م» للمطالبة باطلاق سراح المرجع الشهيد الصدر رحمه الله والتي استُشهد فيها المجاهد (محمد عباس خضير) برصاص البعثيين .

تم اعتقاله في عام «١٩٨٠م» ولم يمض علىٰ زواجه سوىٰ أشهر معدودة .. وقد وجّهت إليه تُهم كثيرة ، منها: التنظيم وأعمال تخريبية ضد أمن النظام وحمل سلاح .

إستشهد تحت التعذيب الوحشي في إحدىٰ طوامير الجلّاد ببغداد[١] ولم يعترف علىٰ أحد من رفاق دربه .. دُفن في مقابر جماعية مجهولة حيث لم تُسلَّم جثته !

يُحدّثنا عنهُ أحد أصدقائه[٢] المقرّبين ، فيقول :

«الشهيد السيّد جمال الموسوي : شاب مجاهد شجاع يحمل وعياً عالياً .. إنتمىٰ لصفوف الحزب عام «١٩٧٩م» ، فكان ضمن خلية جهادية تقلّد المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﵀ وتؤمن بالعمل العسكري .. يمتلكون أسلحة خفيفة ومتفجرات ، من ضمنها مسدس نوع «كاتم الصوت» لإغتيال الخونة والمجرمين»[٣] .

تزوج السيّد جمال من بنت خالته العلوية فاطمة الحسيني بعد أن تخرج من المعهد وقبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية «المكلّفية» ، وهي من عائلة شيوعية ـ آنذاك ـ تسكن في بغداد «شارع فلسطين» ، وقد أنقذها السيد جمال من الظلام الذي كان محيطاً بها من خلال قيامه بتدريس فاطمة عام «١٩٧٨م» لتجتاز إمتحان الدور الثاني لمرحلة الدراسة الإعدادية .

بعد عدّة أشهر إلتزمت فاطمة بالحجاب والصلاة وبقية العبادات وكذلك أخواتها الصغار رغم المضايقات والضغوط التي تعرضت لها من قبل أبيها وأخوانها ! لذا تم منع سيد جمال من التردّد والزيارة ، فتحولت اللقاءات والزيارات وتبادل الكتب الىٰ

---

١ ـ مديرية أمن «الثورة» في مدينة الثورة .

٢ ـ الأخ المجاهد (عبدالأمير محمد) الذي تعرّض للأعتقال في الأعوام (١٩٧٩، ١٩٨١، ١٩٨٢م) بعدها خرج من العراق مهاجراً ليشارك اخوانه المجاهدين المهاجرين مسيرة الحرب والصبر والاحتساب ضد النظام الحاكم .

٣ ـ تتكون الخلية الحزبية من :

※ الشهيد المهندس «صباح علي طابو»: مواليد بغداد «١٩٥٨م» ، خريج الجامعة التكنولوجية ببغداد .. مسؤول الخلية .

※ الشهيد كريم عبد سلمان: مواليد بغداد «١٩٥٩م» .. تخرّج من إعدادية قتيبة ثم من معهد التكنولوجيا ببغداد «الزعفرانية» ـ قسم الكهرباء ـ .

※ الشهيد السيد جمال السيد فاضل الموسوي: مواليد «١٩٥٩م» .. تخرج من معهد التكنلوجيا ببغداد «الزعفرانية» .

※ الشهيد هادي عزيّم: مواليد بغداد «١٩٥٩م» .. تخرج من معهد الطب الفني ببغداد «باب المعظم» .

※ عبدالأمير محمد «أبو محمد السوداني» .

بيت خالتها بمدينة الثورة - بيت السيد فاضل - حيث **«لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[1] .

واستمرت فاطمة بالاصغاء الىٰ جمال حتىٰ انتمت الىٰ صفوف الحركة الإسلامية .

خضعت الأسرة - بالتدريج - الىٰ الأفكار والقيَم الجديدة التي تحملها ابنتهم «فاطمة» ولكن بعد حوارات وندوات عائلية هادئة وطويلة .. وإنتهت الأزمة بدخول السيِّد جمال الىٰ المنزل من جديد ولكن هذه المرة جاء طالباً يد بنت خالته لتكون زوجته ورفيقة دربه .

شارك السيِّد جمال في وفود البيعة للسيد الصدر‌ عام «١٩٧٩م» وقبلها في المهرجان التأبيني الذي أُقيم بمناسبة أربعينية السيد علي المبرقع[2] وبمظاهرة يوم ١٧ / رجب التي انطلقت من جامع الإمام الباقر‌ احتجاجاً علىٰ اعتقال المرجع السيد الصدر . وبمظاهرة جامع سيد الرسل[3] التي أعدّ واستعد لها حزب الدعوة مسبقاً .

ولأنّهُ كان شديد الحذر ، لم يتمكن جلاوزة الطاغية تشخيص هويته أو تحديد عنوانه رغم نشاطه المتميز .

بعد أن أكمل دورة التدريب في معسكر التاجي تم نقله الىٰ وحدات عسكرية بعيدة عن بغداد ، فاقترح عليه مسؤول الخلية (المهندس صباح علي) الانسحاب من الجيش .. لكنه اعترض واقترح تأجيل ذلك لعدم توفر المستمسكات القانونية - كالهويات المزورة - التي تساعدهم علىٰ التنقّل ومواصلة الحركة باطمئنان ، وفضّل مواصلة الجهاد كُلاً حسب وحدته العسكرية وضمن الفرص المتاحة .

في بداية عام «١٩٨٠م» ، تم اعتقال أغلب أفراد المجموعة ، لاعتراف أحدهم تحت التعذيب .. وكان ضمن المعتقلين السيِّد جمال الموسوي .

---

١ - نهج البلاغة : ٥٠٠ .

٢ - يوم ١٩٧٩/٥/١١م .

٣ - انطلقت المظاهرة يوم ١٩٧٩/٨/١٦م المصادف ليلة القدر (الخميس) ٢٣ / رمضان / ١٣٩٩هـ من جامع سيد الرسل [illegible] في قطّاع (٣٢) من منطقة الشركة في مدينة الثورة .

وكانت البداية

فاطمة من عائلة ثرية ، فتحت عينيها علىٰ حياة مترفة لا ينقصها سوىٰ مبادىء الإسلام الأصيل وأهدافه السامية .. لم تشرق الشمس بعد علىٰ صحراء قلبها الوديع .. كانت كشجرة الصفصاف ، جميلة ولكن بلا عطاء !

في بداية عام «١٩٧٩ م» شعَّ نور بطلتنا الغالية من ثرىٰ ذاك القصر الصحراوي ، الفجر الإيمان في روحها كانبلاج النور في بحر العتمة ، فأصبحت سيفاً وكتاباً ..

وبدأ الإيمان يتجذر في بيتها ، وامتدَّ الىٰ قلوب أخواتها .

ولكن مَنْ كان وراء كل ذلك !؟ انه السيِّد جمال الموسوي ، ابن خالتها .

انتهت الإمتحانات الوزارية لمرحلة الدراسة الإعدادية لعام «١٩٧٨م» ، وكادت تنتقل الىٰ الجامعة لولا درس «الكيمياء» .. كان عليها ان تنجح في امتحان الدور الثاني .. من هنا دخل السيِّد جمال الموسوي الىٰ حياة «بنت خالته» وكانت هذه هي البداية لاختراق هذا القصر المترهّل بالبذخ وحب الدنيا !

بدأ السيِّد جمال يدرّس فاطمة - وبلقاء اسبوعي منتظم - لتجتاز الإمتحان بنجاح .. وكان يدرّسها أيضاً دروساً من نوع آخر .. دروساً في الرفض وعشق الشهادة .

وهكذا تخرجت فاطمة من الإعدادية بنجاح فائق لتدخل إمتحاناً آخر ، إمتحاناً كان يجب أن تجيب علىٰ أسئلته بدمها لا بقلمها ، امتحاناً كان قرطاسه القرآن ومداده دم الشهادة ، وقد نجحت .. وأيّ نجاح !

فقد نمت في عقلها وقلبها بذور الثورة الحسينية ، فأصبحت حسينية الفكر والهدف .

فاطمة كانت بذرة طيبةاندثرت تحت تراب البذخ والرفاه وحياة اللامبالاة ، وما أكثر البذور الوادعة الصالحة المندثرة والتي تنتظر اليد الحانية الساقية لتعطي في موسم الحصاد ثمراً وعطراً .

لقد سكب «السيِّد جمال» في روحها جملة مبادئه ،وبعث في عقلها جميع

أفكاره .. فأرتقىٰ بها من حضيض الدنيا الىٰ أفق الفضيلة ، فتطهّرت من كل توابـ الماضي المترف وانتهت الىٰ يقين مطلق بمبادىء الدرب الذي ستسلكه والعدو الذي ستقاتله ، وكأن «جمال» شهاب اخترق كل طبقات الكتل السوداء التي كانت مخيمة علىٰ ذلك القصر الكبير لتنير القلوب بشمس الايمان .

نعم ، لقد كان الدرس كبيراً ، أكبر من كل دروس الربح والخسارة .. كان درساً للحاضر والمستقبل ، انه درس الحياة .

أشرقت في العين أنوار الهُدىٰ — وتهاوىٰ الشكُّ في وادٍ عـميق
مالها قـد عـميت عـينُ العِـدا — أبغير النور يُـهدىٰ للـطريق[1]

لقد نجح «جمال» في وضع برنامج إعداد واصطفاء ، وقد شاءت اليد الإلهية أن يتوّج هذا الإصطفاء بالزواج والإلتصاق الدائم – سوياً – في درب الشهادة القاني .. فاختار فاطمة زوجةً له لان الزوجية بناء مقدس لا يُبنىٰ الّا علىٰ تكافؤ الأهداف وتجانس الهموم ، فهي حياة زوجيةٌ لله أولاً ولله أبداً .

فاطمة بدورها وافقت علىٰ الزواج من جمال وبلا شروط دنيوية أو ضوضاء طبقية .. فكان (المهر) رمزيّاً لانها أصرّت علىٰ رفض كل مظاهر البذخ والإسراف والترف ، فهي باتت منسلّة تماماً من حياة السراب وأصر المادة ، وأصبحت شديدة في رفض التنعّم والترف .

وهكذا زُفّت بنت النعمة والثراء من (شارع فلسطين) أجمل وأرقىٰ مناطق بغداد العاصمة الىٰ (مدينة الثورة) أفقر مناطقها ، وانتقلت من ذلك القصر الكبير الىٰ غرفة صغيرة في بيت متواضع .

فاستقرّت فاطمة في مدينة الثورة ، تلك المدينة الفقيرة من كل شيء الا من الاصالة وصناعة الفرسان .

---

١ - الشاعر شاهد الحواب .

مدينة اسمها الثورة .. الاسم والمصداق

تقع مدينة الثورة شرق بغداد، مساحتها (٥٠كم٢) تقريباً، وعدد نفوسها أكثر من مليون نسمة، تتكون من (١٠٠) قطّاع، وكل قطّاع يتكون من (١٠٠٠) وحدة سكنية، وكل وحدة سكنية مساحتها (١٤٤) م٢ وسكنتها يتراوحون بين (٧ - ١١) فرداً.

جميع سكانها مسلمون ينتمون الىٰ مذهب الشيعة الاثني عشرية (مذهب أهل البيت عليهم السلام) .. إنحدر أغلبهم من جنوب العراق (محافظة العمارة) للحصول علىٰ أراضٍ وزّعها الزعيم الشعبي عبدالكريم قاسم بعد أن عانوا عقوداً من السنين أبشع أنواع الظلم والتخلف علىٰ أيدي الاقطاع زمن الاستعمار والحكومات الملكية المتعاقبة .. تخرّج منها الكثير من كوادر العاصمة بغداد في مجالات الطب والهندسة ومختلف العلوم والآداب وفي مجالات الرياضة والفنون.

عجز النظام الطاغي الحاكم في العراق عن تركيع هذه المدينة سيّما بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رضي الله عنه في ١١ / شباط / ١٩٧٩م، لذا حاول إيجاد طريقة لكسب ودّها حتىٰ وصل به الأمر ان أطلق عليها اسم «مدينة صدام»[1] لكنها بقيت ـ ومازالت ـ أشهر من نارٍ علىٰ منار في عدائها للسلطة وفي ولائها المطلق للإسلام وللمرجعية الرشيدة وللحوزة العلمية في النجف الأشرف.

---

(1) أطلق إسم «مدينة صدام» علىٰ مدينة الثورة رسمياً بعد الزيارة المشؤومة التي قام بها رأس النظام المجرم (صدام حسين) في آذار / ١٩٧٩م والتي حاول بها استمالة أهلها الطيبين الذين أعلنوا بداية التحدّي الدموي معه بأهزوجة شعبية مشهورة: «إلخاين نفسه نكص ايده».

وقد أثنىٰ المراجع والعلماء علىٰ جهود وجهاد هذه المدينة الصابرة المحتسبة، وكان للمرجع الشهيد الصدرﷺ شذرات من المدح والثناء علىٰ شهداء ومجاهدي هذه المدينة الباسلة تتويجاً وتمجيداً لدورها وتضحياتها[1].

مرّت المدينة بفترة هي من أحلك الفترات «١٩٧٧ - ١٩٨٣م» كانت مرحلة متميزة بجهادها وتضحياتها وحتىٰ بأبطالها، بعد أن لفّتها «المحنة» كبقية مدن العراق، فأحاطت بها الجراح من كل صوب سيّما بعد ان استحوذ الطاغية صدام حسين علىٰ الحكم في تموز عام «١٩٧٩م».

وقد كانت الظروف في أغلب مدن العراق عام «١٩٧٩م» تنبيء بانفجار شعبي جديد، وكانت مدينة الثورة تعيش الغليان والثورة .. وقد امتدت ارض كربلاء والتصقت بمدينة الثورة، حيث عاشوراء العراق، فكانت أجواؤها كأجواء كربلاء وأيامها كأيام عاشوراء، وقد كان تأييدها لقيادة المرجعية الرشيدة والمتمثلة انذاك بالإمام المرجع السيّد محمد باقر الصدرﷺ، وذوبانها وانصهارها بالإمام الخمينيﷺ وبثورته الإسلامية المباركة في إيران، قد تجاوز كل حدود التأييد التي شملت محافظاتنا العراقية وعالمنا الإسلامي فكانت الضريبة قاسية، وكانت الخسائر فادحة، وبحجم ذك التأييد وذلك الذوبان[2].

---

١ - من أقوال واشادات المرجع الشهيد الصدر بحق أبناء هذه المدينة الباسلة : «الثورة ستنطلق من الثورة».

٢ - ندرج باختصار أهم الأحداث الساخنة التي عاشتها البطلة (فاطمة) في تلك المدينة الباسلة :

❁ تصاعد المد الثوري مع تصاعد حركة المرجع السيد الصدر التي تزامنت مع نجاح ثورة الإمام الخميني في ١١/شباط/١٩٧٩م الموافق ٢٢ /بهمن / ١٣٥٧ ش.

❁ إشتراك كبير - يرمز الىٰ تحدٍّ عظيم - في تشييع جنازة أحد وجهاء المدينة وصلحائها السيد علي المبرقع يوم ١٩٧٩/٤/٤م

هذه هي - باختصار شديد - مدينة الثورة .. المدينة البائسة الآ من القيم ، ذات الأزقة الطينية الخاوية الآ من الفرسان .. والبيوت الهاوية ! إلّا من الكبرياء . لقد زرعت السلطة الحاكمة الموت في كل شوارع وأزقة المدينة التي لم تُفرش بالإسفلت بعد .. حيث المساجد فارغة والطيور قد هجرت أعشاشها ، والمنازل إختنقت بالاحزان ، بعد أن أوصد الفرح أبوابه وغادر المدينة الىٰ أجل غير مسمّىٰ.

وفي المهرجان التأبيني لاربعينيته يوم ١١/٥/١٩٧٩م.

* الاشتراك في وفود البيعة للإمام الصدر في الاسبوع الأول من حزيران / ١٩٧٩م وتجديد العهد في السير قُدُماً علىٰ نهجه.

* أثار تصاعد الروح الدينية الجهادية في المدينة حفيظة النظام سيما بعد أن أضحت ساحاتها ومساجدها - مثل جامع الإمام الباقر وجامع سيد الرسل وجامع زينب الكبرىٰ وجامع الشيخ بدر الساعدي وجامع المحسن للشيخ محسن الساعدي - مسرحاً للاحتفالات الإسلامية وللمهرجانات الخطابية الحماسية بذكرىٰ الولادة الميمونة لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ليلة ١٣ / رجب / ١٣٩٩هـ.. وخشيةً من انفجار الوضع قامت السلطة المجرمة يوم ١٣ / رجب باعتقال عدد من وكلاء السيد الصدر لهذه المدينة ومنهم : الشهيد السيد قاسم المبرقع والشهيد السيد عباس الشوكي والسيد حسن النوري - ضمن حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت جميع وكلاء السيد الصدر وفضلاء الحوزة وكوادر الحركة الإسلامية في المدن والمحافظات العراقية .

* الحفل الإسلامي الثوري في جامع الإمام زين العابدين عليه السلام - قطاع ٤٨ - ليلة ١٥ / رجب / ١٣٩٩هـ الذي تخلله خطب وأشعار تندّد بسياسة النظام الاجرامية ، فتم تطويق المسجد بأزلام الجيش الشعبي ، وحصل إطلاق نار متبادل في إختفاء عدد من المؤمنين في حرم جامع الإمام الباقر عليه السلام ومحاولات المرتزقة لاقتحامه واعتقالهم لولا التصدّي الحازم للسيد محمد شاكر المبرقع - نجل السيد قاسم المبرقع - ومنعهم من الدخول رُغم التهديد والوعيد .. وقد حكم المجرم مسلم الجبوري يوم ٢٦/٦/١٩٧٩م بالاعدام شنقاً على السيد قاسم المبرقع ونجله البطل وتم تنفيذ الحكم في أبو غريب يوم ٢٨/٦/١٩٧٩م.

* مداهمة أزلام أمن السلطة المرتزقة البعثيين لجامع زينب الكبرىٰ عليها السلام يوم ١٥/رجب/١٣٩٩هـ ومطاردة المحتفلين والمصلّين واعتقال واعدام عدداً كبيراً منهم.

* تلاحقت الاحداث الجسام سِراعاً وتجرّىء النظام على اعتقال المرجع السيد الصدر رحمه الله فجر يوم ١٧ / رجب / ١٣٩٩هـ فخطط كوادر الحركة الإسلامية وابناء المدينة الغيارىٰ لتظاهرة كبرىٰ خرجت عصراً من جامع الإمام الباقر ورفعت شعارات تنادي بأسقاط رموز الحكم الجائر في بغداد .. وقد استُشهد أحد الكوادر الجهادية لمنظمة العمل الإسلامية البطل (محمد عباس خضير) برصاص غدرٍ أطلقهُ المجرم البعثي (عبدالرحمن عبيد موسىٰ الساعدي) بعد أن تصدّىٰ المرتزقة من الجيش اللاشعبي للمتظاهرين . وقد نال هذا المجرم جزاءه العادل بساطور (حجّي سيد) وسكين إحدىٰ نساء السادة آل المبرقع .. ولم تنته المظاهرة إلّا تحت أزيز الرصاص وأسنّة الحراب . فتعرضت المدينة الباسلة لحملة اعتقالات ولمهرجانات إعدام جماعية قلَّ نظيرها في تاريخ العراق المعاصر راح ضحيتها مئات المؤمنين وعدد من المؤمنات (إذ تمّ اعتقال المجاهدة سلامات عباس يوسف من مدينة الثورة والحكم عليها حسب كتاب محكمة الثورة العسكرية ٢٠٩٠/١ في ٣٠/٦/١٩٧٩م بالسجن المؤبد .. وأطلق سراحها فيما بعد) . وقد خسر السادة آل المبرقع والنوري عدداً من الشهداء - رجالاً ونساءً - ارتحلوا قرابين فداء لمعركةٍ قاسيةٍ طويلة عاشتها فيما بعد هذه المدينة الشامخة الصامدة مع نظام الاوباش البرابرة .

نعم أخي القارىء الكريم؛ في تلك المدينة الثائرة كان شبابنا ، وفي تلك المنازل والأزقة بدأنا مشوارنا !!

فأنفقنا أجمل سني العمر تحت سعير تلك الأجواء الساخنة الخانقة . ففي مثل تلك الأجواء تزوجت «فاطمة» بـ«جمال» .. وفي مثل تلك الظروف دخلت «فاطمة» مدينة الثورة .

ورغم كل ذلك ، لم تمض سوىٰ شهور حتىٰ عُرفت فاطمة في أغلب مناطق المدينة ونواحيها .. فسرعان ما تناقلت الألسن صفاتها الحميدة وأخلاقها الفاضلة .

وهكذا تحولت تلك الغرفة الصغيرة الهادئة – غرفة فاطمة – الىٰ راحة روح وواحة اطمئنان الكثير من الأخوات العاملات .. بل وكم من فتاة تائهة وفي مختلف مناطق بغداد سكبت بين يدي «فاطمة» دموع التوبة والندم . ﴿ترىٰ أعيُنَهُم تفيضُ من الدمعِ ممّا عرفوا من الحقِ يقولون رَبّنا آمنّا فاكتُبنا مع الشاهدين﴾[1] .

صدفة وخاطرة

كانت «فاطمة» مثالاً للزوجة الصالحة ، وأنموذجاً للمرأة المؤمنة .. لقد عثرنا – وبالصدفة – علىٰ عبارات كانت قد كتبتها فاطمة علىٰ وريقة دُسّت في بطن أحد الكتب التي كنّا نتبادلها معها ، جاء فيها:

«زوجي الحبيب جمال :

---

١ – سورة المائدة: ٨٣.

لقد أنرت حياتي بنور الايمان ، وأخذت بناصيتي الىٰ طريق الرشاد .. كنتُ مطمأنة أنتظر مثل هذه اليد لتقودني الىٰ النبع الطاهر .. الىٰ الإسلام الأصيل .

جمال .. لطالما سمعتُ هاتفاً يصرخ بأعماقي ، ينادي بي ؛ أحياةٌ تلك التي كنتُ أعيشها أم ضَياع !؟

أشكرك لانكَ كشفت عن عيني غشاوة كادت تُهددني بالضياع» .

وبدءا - السيِّد جمال والعلوية فاطمة - معاً مسيرة العمل الجهادي والتنظيمي ، وكانت المنازلة مع الطاغوت علىٰ أشدها .. فالعراق يغرق في الضوضاء ثم في الدماء ، إنه الفرعون الذي يسمونه «صدام» .

وهكذا ودّع جمال التفاحة التي بين يديه ليسرع الىٰ تفاحة الجنة ، إذ نال وسام الشهادة بعد أشهر من إقترانه بفاطمة .. لقد استشهد في بداية عام «١٩٨٠م» ، حيث تم اعتقاله من البيت بسبب تعذيب وإعتراف أحد أفراد الخلية الحزبية التي ينتمي إليها .

إبتسامة وسط الدموع

لقد وقفت «فاطمة» باسمة وسط الدموع والأحزان - عند اعتقال جمال - فهي بالرغم من مصيبتها في أشهر زواجها لم تستعن بأهلها ، بل مكثت في غرفتها مجلّلة بأبراد العفة والفضيلة ولم تخرج من بيتها الّا لضرورة أو غاية ..

ولم تمض الّا أشهر قليلة حتىٰ تم تنفيذ حكم الإعدام الجائر بأغلب أفراد الخلية الحزبية رمياً بالرصاص وحسب المادة «١٥٦ - أ» من القرار السيء الصيت التي اصدره طاغية العراق علىٰ الدُعاة وبأثرٍ رجعي ..

وكان من بين الضحايا الشهيد السعيد السيِّد جمال الموسوي . الذي صمد واستشهد أثناء التعذيب ولم تُسلَّم أجسادهم الطاهرة الىٰ أهليهم ، حيث تم دفنهم في صحارىٰ العراق المقفرة الّا من دماء أبنائنا ورجالنا .

لقد انتقموا منهم قبل إعدامهم ، لأنهم لم يعترفوا حتىٰ علىٰ أماكن الأسلحة التي

يمتلكونها .. فأذاقوهم العذاب غصة بعد غصة ، ثم قتلوهم **﴿وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾**[١] .

وهكذا جال الحزن في أرجاء روح فاطمة ، فتسربلت بثياب الحداد وهي في العشرين ربيعاً ،وشعرت بالوحدة والوحشة بعد فقد القدوة والأنيس الذي ملأ روحها نوراً وإيماناً ، سيما في ظل أجواء القمع والإستبداد التي لفّت العراق .. بيد أنها تدرّعت بالصبر والاحتساب ، فكانت كتومة لم تُظهر آلامها لأحد أبداً ، لقد عاشت مع جراحها العميقة الغائرة ، لم تكشف لاحدٍ عن قسوة آلامها ولؤم أيامها ، لأن جراحها هي جزء من مأساة شعبٍ مظلومٍ يئن تحت سياط الجور ويتلوىٰ تحت ضغط الدكتاتور .

نعم ، ان فقد الحبيب والرفيق لم يوهن من عزيمتها في التصدي للطغيان فوقفت في مواجهة جبروته ثابتة القدم راسخة القيم كالجبل الأشم ، بل ان استشهاد «جمال» زادها قوةً ومنعةً ، فأصبحت مشعل نور في ليل المدينة .. فبدأت نشاطاتها تتبلور وجهودها تثمر .. لانها كانت صادقة مع الله والوطن و«ما كان لله ينمو» .

الجريمة الكبرىٰ .. والإحتساب

ولم تمض الّا فترة وجيزة حتىٰ نفّذ النظام الجائر في العراق جريمته الكبرىٰ والتي هزّت العالم العربي والإسلامي ، فقد أقدم علىٰ إعدام المفكر الإسلامي الكبير المرجع السيد محمد باقر الصدر وأخته الفاضلة العلوية بنت الهدىٰ «رضوان الله تعالىٰ عليهما» .

ولفّت شعب العراق محنة لم يعرفها من قبل .. لقد بكت أُسود العراق ولأول مرة لفقد القائد الصدر الذي كان – ومازال – رائد الثورة ورمز القضية .

فاطمة تبكي .. ذرفت مآقيها الأبية دموعاً سخية ، راحت الدموع تفرُّ من العيون لتطفىء أسنّة اللهب التي توقدت في الحشىٰ .. كان قلبها يتفجر ألماً وروحها تفيض

---

١ – سورة البروج : ٨.

حزناً علىٰ ما حلّ بالدين والوطن .. بيد ان التحدي وعدم التخاذل ما برح يتصاعد من صدر هذه المرأة الصدرية ، فبالرغم من آلام تلك الشدّة ، فإن شدّة تلك الأيام – والتي كانت كافية لخلق حالة تقاعد وتقاعس – قد بعثت في قلبها المزيد من العزم والإصرار علىٰ مجاوزة الصعاب ، ومن ثم علىٰ مواصلة الطريق .. وَلِمَ لا ! وهي التي كانت كلماتها «ألم يكن صدام يزيد زماننا !؟ ألم تكن زينب هي أسوتنا !؟» .. بل ورغم كل آلامها وبلاءاتها ، كانت «فاطمة» تعيش نشوة السرور للحلم الكبير الذي حققه الإمام الخميني في ثورته الإسلامية المباركة ، لأن السمة البارزة التي لا تقبل الزوال في شخصيتها هي ذوبانها في ذات الله واستصغار كل بلاءٍ دونه .. فهي قد طلّقت ـ ثلاثاً ـ تلك الحياة الهادئة الهانئة التي كانت توفّر لها عيشاً أفضل وأمناً أوفر.

عبارة الأحرار

كانت تلك المرحلة العصيبة من تاريخ العراق حافلة بنساء رائدات مثل فاطمة .. انه الزمن القيّم ، زمن الصحوة الاسلامية المباركة ، زمن الصدر وبنت الهدى ، لان الكفاءات الميدانية لا تنضج بالصلاة والصوم والحج فحسب ، بل ومن خلال السرّاء والضراء ومن خلال الزلزال أيضاً : **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثلُ الذين خلوا من قبلكم، مسّتهم السّراء والضّراء وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصرُ الله ألا إنّ نصر الله قريب﴾**[1] .

لقد اختزن عقلها كل مفردات المحنة ، لذا فهي منذ الاشهر الاولىٰ من حياتها الجهادية – والتى بدأت عام «١٩٧٨ م» – استشعرت وطأة الظلم الجاثم على صدر عراقنا الجريح .. رأت بأم عينيها مظلومية شعبها وهو يئن تحت سياط الجور المطوىٰ تحت ضغط الدكتاتور ، وفى المحنة تنضج رغماً عنك وتكبر بغير ارادتك حيث السنين الهاربة بك وأنت لا تشعر بها .. لأن الشعور بالمحنة ليس خفقة قلب ، إنما هو حركة وسلوك .. ولأن العمر ليس سنيناً ، إنّما هو موقف وتجربة .

---

(١) سورة البقرة: ٢١٤

كلما مرّت بها الايام ازدادت - هذه الفتاة - وعياً ويقظةً وحذراً وكذلك ألماً، لان فاطمة لم تعبد الله في صلاتها وصيامها فحسب، وانما كانت تعبده في جراحاتها النازفة وهمومها الكبيرة، وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسادُ.. فهي ترىٰ العبادة البعيدة عن ساحة الصراع ضد الباطل هي عبادة خاوية تنمّ عن روحية الحب الذاتي مع الله وعشق الاسترخاء مع المعشوق.. فالعمل لاجل الاسلام والوطن قد غمر روحها البريئة وتأصّل في قلبها الطاهر دفعة واحدة.

نعم لقد امتازت فاطمة بحسٍّ سياسيٍّ متألق وتسلّحت بقدرةٍ فائقةٍ علىٰ استيعاب الظروف الطارئة وبكل رباطة جأش، بعد أن فاقت خبرتها صغر سنها وحداثة تجربتها.. لذا تمكنت - وفي وقت قصير - من ضبط رؤية تجريبية ميدانية خاصة بمنهج التحرك السليم وفق الناحيتين الشرعية والسياسية، حيث كانت مرحلة الصراع متقدمة وفي حالة مواجهة مسلحة مع النظام. وكانت المجازر وأساليب القمع الوحشي احدىٰ الضرورات التي استدعت «حرق المراحل» لاجل اسناد المرجع السيد الصدر في معركته التي أعلن عنها بعد أن صار السكوت عن جرائم النظام أو التعايش معه من الاستحالة بمكان حيث دمّر الفرعون عراقنا أرضاً وشعباً وحضارةً.. فقررت كوادر الدعاة في كل مكان من انحاء العراق (ضغط الخطوات) ليتسنىٰ لهم الاستفادة من الظروف الموضوعية التي وفرتها أجواء الثورة الاسلامية في ايران على ساحة العراق، وبالتالي التصدّي للواقع المُر جرّاء التصعيد الدموي للسلطة الحاكمة التي ارعبتها الثورة المنتصرة فخشيت تكرار التجربة في العراق.

أعرف أن معاني الصمتِ،
تعدل كلَّ معاني الموتِ.
أعرف أن الليلَ المرسوم
علىٰ جدران منازلنا،
لاتمسحه الخُطَبُ الجوفاءُ
ولاتصفيقُ محافلِنا.
ماذا ينفع أن يفتح شاعرنا

شفتيه بلا صوتٍ ؟
ماذا ينفع أن تسمعَ
(صوت الثورة من طهران)
وتغلق كُلَّ شابيك البيت ؟
ماذا ينفع أن تسرُج مصباحاً في الليلِ
بلا زيت ؟
إفتَحْ جرحاً في القلبِ
وضَعْ فيه فتيلاً ،
سيظل ينيرُ الدربَ
بلا قطرة زيت[١].

التنظيم ضرورة شرعية

كانت ظروف تلك المرحلة خانقة معقدة ، حيث توالت الهجمات الشرسة علىٰ الخطوط التنظيمية التابعة لحزب الدعوة الاسلامية واعتقال المرجع القائد السيد الصدر (رض) والانتصارات الحربية التي حققها صدام حسين - وبدعم خليجي ودولي - في جبهات الحرب المفروضة علىٰ دولة الاسلام الفتية ، والتأييد العربي والعالمي الرسمي لهذا الفرعون العميل .

فكان العمل فى ظل تلك الظروف أشبه بالانتحار ، سيّما وان محاولات التيئيس والتنكيل التي كان يقوم بها النظام انذاك تدور مدار الساعة ، فالطاغية لا يريد سوىٰ شعب خاوٍ وخاضعٍ لنظامه القمعي البوليسي : ﴿فاستخفّ قومه فأطاعوه﴾[٢] .

ولكن أنّىٰ له ذلك !! وعراق الصدر لم يزل يصرخ «يالثارات الصدر» وزينبيات الصدر مازلن يرفعن شعار الاباء : «إنّ قتلاً في سبيل الدين والوطن هو عين البقاء ،

---

(١) من قصيدة «اعترافات مهاجر» للشاعر الكبير جواد جميل .
(٢) سورة الزخرف : ٥٤ .

وإنَّ حياة ملؤها الذل والهوان هي عين الفناء» .. فلعل الله يجعل من أمواج البلاء فرجاً ومن حلقات السوء مخرجاً ومن زحمة العسر يسراً .

قررت ـ والمرءُ موقف وقرار ـ أن لا تنسحق تحت وطأة مشاكل العمل الصعبة ، وأن لا تخضع لما يحيط بها من ظروف مكبّلة .. فابتلعت أحزانهاوتدرّعت بالصبر والاحتساب واتخذت قراراً الىٰ حيث اللارجعة ، قراراً بالسير نحو الشهادة .. لأنها تدرك النتائج وصعوبة تحقيق الانتصار ، بَيْدَ أنها كانت موقنة بقدسية التحدي واستثمار الظروف والفرص المتاحة .

لقد رأت – منذ البدء وبدعم واسناد زوجها – أنَّ الضرورة تستدعي القيام بأعباء عملٍ ضخمٍ منظّم .. ولإيمانها بالعمل النوعي راحت تؤمّن لزوجها ورفاقه عمليات نقل واخفاء الاسلحة والمتفجرات .

كانت تتحرك في مواجهة الفساد من موقع المسؤولية والشعور بالمحنة لا من موقع الضغينة وردّ الفعل .. فهي تنظر الىٰ العمل السياسي واستلام المسؤولية علىٰ أنه ممارسات عبادية يتم تنفيذها قربة الىٰ الله تعالىٰ ، فهي أمانة الانبياء والشهداء .. لقد عملت – ليل نهار – علىٰ تفعيل المواجهة ضد طاغوت العراق بالعمل المتقن ، فهي ترىٰ ان الحفاظ علىٰ روحية الحماس والغضب المقدس ضد النظام من ضرورات منهج المرحلة .. فملامح الإباء لم تُستأصل من أزقة المدينة بعد : **﴿يا أيّها النّبي حرّض المؤمنين علىٰ القتال....﴾**[1] .

نعم ، كان هناك بصيص أمل في صحراء حياتها لطالما دغدغ أحلامها ، وكان مصدرهُ معارك الحق التي تدور رحاها في شرق البلاد .

لذا فهي تتشبّث بجميع العوامل المحركة في الساحة السياسية في بغداد لاشراك المؤمنين في عملية التحضير للثورة ضد النظام الحاكم اذا ما تلقّىٰ ضربة عسكرية كبيرة في الحرب التي أوقد نارها واشعل اوارها ، سيّما وان جيش الامام الخميني قد ضمَّ في طيّاته أغلب رموز العراق وليوثه .

فهي – إذن ـ علىٰ قناعة راسخة بأن علىٰ الحركة الاسلامية استثمار ظروف

---

١ – سورة الأنفال: ٦٥

الحرب التي فُرضت علىٰ الثورة الاسلامية في ايران وعلىٰ الشعب في العراق .. فكان جلّ اهتماماتها وأولوياتها حشد الطاقات وتحريك الراكد منها وتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تقترب من الهدف فـ **(الفرصة خُلسة)**[1] وهي **(تمرّ مرّ السحاب)**[2] بل هي **(سريعةُ الفوت بطيئة الغَود)**[3]

لذا كانت تصرف الساعات الطوال لانتزاع الخوف والعجز من قلوب بنات جيلها ، ولاستنفار كوامن الغضب والجهاد في عقول وقلوب بنات مدينتها .. فهي طالما حاورت الآخرين وأقنعتهم بأن التقيّة ليست حالة جمود واسترخاء ، بل هي وسيلة لاخفاء العمل وجعله في دائرة الظل ، فهي ترفض الحوارات والمحاضرات تحت مظلة التنظير الخاوي فكانت تحذّر اللاتي من حولها من الاستغراق في الجدل الفارغ والجزئيات التي تُبعد عن الهدف الاساس ، فهي ترىٰ أن التنظيمات الحزبية الاسلامية هي أنجع خيار في المواجهة وتحقيق الهدف ، لان فيه – علىٰ حد قولها – تركيزاً للجهود وتقليلاً للخسائر ، بل ترىٰ ان العمل الجهادي التعبوي هو الخيار الاستراتيجي الاول في تلك المرحلة ، وما سواه ليس سوىٰ ظهير ميداني ثانوي .

ولان ليس في منهجها خطوط دنيوية حمراء تستحق التريث ، لذا قادت مع بعض أخواتها الزينبيات كالشهيدة كميلة شرقي والسجينة (ل . ك) والسجينة (ل . ع) والسجينة (ز . س)[4] وبعض العَلويات المجاهدات من آل المبرقع ، جحافل الرفض في المظاهرة الكبرىٰ التي قامت بها الحركة الاسلامية في مدينة الثورة (شارع الداخل)[5] بسبب اعتقال المرجع السيد الصدر رضي الله عنه ، حيث هتفت الحناجر بالمطالبة

---

١ – أمالي الطوسي: ٢ / ٢٣٨

٢ – نهج البلاغة / ١٠٩٦ ؛ لح / ٤٧١ .

٣ – البحار ٧٨ / ٧٩، عن «كشف الغمة»

٤ – تم ابلاغ جميع الخلايا والخطوط التنظيمية لحزب الدعوة الإسلامية بمن فيهم الخلايا النسوية بالحضور والمشاركة في المظاهرة للمطالبة باطلاق سراح المرجع القائد الصدر وللتنديد بسياسة النظام البعثي الغاشمة .. وقد تمّ الابلاغ على ساعة الصفر ومكان الانطلاق من خلال أحد الدعاة (الشهيد حسين نعمة) الذي أذاع الخبر بمكبرة الصوت متنقلاً بسيارته قائلاً «من فقد طفلاً عمره ومواصفاته .... الحضور اليوم الساعة الخامسة مساءاً في مسجد الإمام الباقر عليه السلام لاستلامه» .

٥ – انطلقت المظاهرة مساء يوم الثلاثاء ١٧ / رجب / ١٣٩٩هـ، الموافق ١٤ / حزيران / ١٩٧٩م من جامع الإمام الباقر عليه السلام وكانت الشعارات ثورية صارخة : «عاش الخميني والصدر والدين دوماً منتصر ، يسقط صدام والبكر والدين لازم ينتصر» .

الجدير ذكره ان الإمام الصدر كان قد أُطلق سراحه في نفس يوم الاعتقال إلّا أن الشخص المكلّف بايصال الخبر الى الدُعاة المسؤولين عن المظاهرة كان قد تأخر ، فوصل بعد فوات الأوان !!

باطلاق سراح المرجع القائد الصدر ، فكانت (فاطمة) ضمن موكب المجاهدات اللاتي هتفن بفتيات مدينة الثورة نحو الثورة بعد أن تقرر أن يصبح الاحتجاج ثورة.

بَيْدَ أنَّ عيون النظام ومرتزقته استيقظت – من خلال تقارير الرفاق الذين أحاطوا بالمظاهرة – علىٰ الدور القيادي الذي لعبته فاطمة في ساعات تلك الأمسية العاصفة ! لكن ذلك لن يمنعها من مواصلة الدرب ، لان يومياتها كانت مُعدّة سلفاً وقائمة علىٰ برنامج واضح ، فالشهادة في رؤاها هي غاية الغايات .. كان شعارها : (مَن عرف الله حقاً لابد ان يكون مجاهداً أو شهيداً) ، بل كانت تُصرّح لنا قائلةً : «لا أريد أن أموت بلا ثمن .. يجب أن أعمل وأزرع قبل أن أُقتل» . فمازلت أتذكر أجاباتها لمن يحاول اقناعها بترك الجهاد – ولو الىٰ حين – حرصاً علىٰ شبابها وحياتها: (وهل تطلبين مني أن أضحّي بفردوس الآخرة بعد أن وجدت السبيل اليها؟) .

لاتَقُلْ لي إنَّهُ مازالَ في العشرينَ عودي
لاتؤمّلني جميلَ العيشِ في القصرِ المَشيدِ
فلقد واعَدَني ربّي بجنّاتِ الخلودِ
لاتقلْ عن ضَنكِ السّجن وعن ثقلِ القيودِ
لاتُخِفْني بالهراوات ومحمي الحديدِ
لاتقلْ عن غُرَفِ التَّعذيبِ عن نَزع الجلودِ
إنَّهُ دَربي الذي يعرفُني قبلَ وجودي
أنَّهُ الدَّربُ الذي ضمَّ رفاقي وجدُودي
دربُ (عمّار) وفي متنيهِ آثارُ الحديدِ
(وبلالُ) في بطونِ الرّملِ في القيظ الشديدِ
بالذي رَدَّ به (التمارُ) للطاغي العنيدِ
بوصايا الثائر المصلوبِ للاعواد زَيْدْ
بعنادِ (ابن جُبَير) وهو مَحزوزُ الوريد
بالذي تعرفُهُ الأجيالُ عن حجْرِ الشهيدِ
دربُهُم دربي ومِمّا وَرَدُوا القىٰ ورودي

فـاشهدَي يـاهذه الدُّنـيا ويـاكـلَّ الوجـودِ
قـد رفضتُ العيش فـي ذُلّ فـذا عيشُ العبيدِ
ورضـيتُ المـوتَ لمْ أخسـر بـه غـير قـيودي
ولَـعنتُ الدَّهـرَ أن يُـورقَ إلّا فـي لُـحُودي
مَرحـباً بـالموتِ فـالموتُ علىٰ ديني عيدي[1]

ولانها كانت تحمل كفاءة غير مألوفة ، فقد أفلحت في هداية فتيات منطقة شارع فلسطين اللاتي كن ضائعات في مُتَع الدنيا الفانية وفي متاهات الثقافة الغربية **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾**[2] . فأروتْ جَـدَبْ الواقع المُـر بـالحكمة والموعظة الحسنة ، وغرست في منطقتي (شارع فلسطين والكرادة خارج - الزوية) بذوراً وأنـارت شموعاً **«لئن يهدِ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من أن يكون لك حُمر النِعَم»**[3] .

كانت تميل الىٰ التعقُّل والاعتدال في جميع مناحي حياتها ومحاور سلوكها ، وتخطِّط لنشاطها باتزان وتنفتح علىٰ الآخرين بهدوء ، تعطي للـفكرة شيئاً من الدبلوماسية والطراوة بعيداً عن القسوة ، فهي تزرع الصبر والأمـل لتتفادىٰ مرارة السنين العجاف ، لم أرها يوماً قد استرسلت في حديث غير مطلوب **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾**[4] . فهي ليست من أولئك الذين يفرضون علىٰ الآخرين سماع ماكانوا يقرأون .

دَرب الشهادة الحيّة

نظراً لما كانت تتمتع به فاطمة من نضج وذكاء ، فقد كانت قـراءتـها للـواقع ومخاطره واعية ومبكرة ، سيما بعد اعتقال زوجها وتغييبه .. فقد ثَقُلَتْ مسؤوليتها

---

(١) رماصات شهيد .. للشاعر العراقي المجاهد (أبو مهيار) .
(٢) سورة الروم: ٧
(٣) حديث شريف ، بحار الأنوار ج ٢١ / ٣ .
(٤) سورة القصص: ٥٥

الحزبية بعيداً عن خطوط مدينة الثورة ، واستلمت مسؤولية خليتين من تنظيمات حزب الدعوة الاسلامية – النسوية – فرع الكرادة ، وشارع فلسطين ..

كانت تتوخىٰ كل الحذر واليقظة لتفادي الوقوع في الخطأ ، فحركتها ومجمل نشاطها كان يقترب من الدقة الىٰ حدٍ بعيد ، فهي تمشي في الشوارع وتجوب الطرقات ساعات قبل أن تزور إحدىٰ أخواتها في منطقة (الزوية) ببغداد – كسياق يقظة وحذر ثابتين .

واستمرت فاطمة في نشاطها وعطائها حتىٰ عام «١٩٨٢م» ، حيث أصبحت رأس الهرم للكادر الاسلامي النسوي الواعي الاصيل في منطقتي الكرادة وفلسطين بل أصبحت – بحق – الرمز الشامخ والمصداق الحي لكفاءة المرأة العراقية المسلمة في بغداد .

ولكن الامر الذي يؤسف له هو أننا لم نجد من يوثّق لها موقعها المتميّز ودورها الشامخ في تلك الفترة الزمنية العصيبة !! ولعل بعض أسباب هذا الجُرح هي ان فرسان تلك المرحلة قد قرروا اللحاق بقائدهم فاستشهدوا ولم يبق منهم الّا القليل مِمَّن ضاع في زحمة الحياة ومحنة الرِدّات !

لذا فأن ما نذكره في هذا الرقيم لا يمثل حقيقة جهاد فاطمة ، لاننا في الوقت الذي كانت خُطاها في دروب الجهاد حثيثة متتالية ، كنّا نحبوا حَبو السُلحفاة .

ومع سبقنا ايّاها في الشكل والانتماء ، بَيْد أنها كانت السبّاقة لنا في مضامين كل الأشياء ، فتأخرنا ولم تدرك نشاطها وبطولاتها ، بعد إن ارتقت سُلّم المجد بجهد جهيد ووقتٍ قصير .

وبدأت أجهزة أمن السلطة – وبغدرٍ مسموم – تطالب برأس فاطمة ، ولكن أنّى لهم ذلك ! فلا أحد يعرف مقرّها أو مُستقرّها .

قالت لها إحدىٰ صديقاتها[1] : أُخيّتي فاطمة: أهدئي قليلاً ، فالموت قاب قوسين منكِ ! لقد ذُكِرَ اسمك في المنظمة الحزبية[2] !!

---

١ – المسجبة (ف.ع) .

٢ – المنظمة الحزبية: مصطلح مألوف ومتداول في تلك المرحلة، ويُقصد منه المنظمات الإرهابية التابعة لحزب السلطة والتي تتخذ من مدارس المناطق السكنية مقرّاتٍ لها.

فاطمة : الحمد لله الذي جعل للمجاهدين باباً من أبواب الجنة يفتحه لخاصّة أوليائه ، ولعلّي أفوز بالشهادة وأكون معهم .

تصرّ فاطمة على المضي قُدماً في طريق الشهادة ، فلم يُثنها تناثر الأشواك وكثرة الشراك كما لم تُخامرها ذرّة من تردّد . ولِمَ العجب !؟ فهي من أبناء مدرسة هذا المذهب العظيم الذي طفح عشق الشهادة على أدعيته **«وقتلاً في سبيلك مع وليّك فوفّق لنا»**[1] .

أنا لستُ :

مِـن مستسلمين لواقـعٍ ، ألِفوا فَسادَه

أنا لستُ :

مِـمَّن يـطلبون النـصر يأتـي بـالعبادة

عندي :

الفُـروضُ بـلا جـهادٍ ، كـالجنودِ بـلاقيادة

تابعتُ آل محمدٍ ..

وأخـــذتُ عـــنهم كُـلَّ عـادة

ورَضِعتُ حُبَّهُم :

جـهاداً للــطغاة بـلا هـوادة

...:

لم أجِـــدْ مــنهم إمـاماً :

مـات وهـو عـلىٰ الوسـادة

حتى الذي جاوزَ الستين

لم يــترك جــهاده

حتى العقائل منهمُ :

قــارعنَ مَـن غـصبوا السيادة

---

(١) ... الإفتتاح .

أنا

لن أنـــالَ النـــصرَ إلّا : حـين أظـفُرُ بـالشهادة

أنا لا أرىٰ في الموت :

دون عـــــقيدتي ..

إلّا ســـــعادة[1]

وهكذا قررت فاطمة التوغل في درب الشهادة الحيّة قبل الدخـول الىٰ زنـزانـات البعث ، حيث الشهادة الدامية .. فهي لم تجد جدوىٰ من الحياة الّا بالجهاد بعد أن بلغ السيل الزُبىٰ ، لقد هُتِكت الأعراض واستُبيحت الحرمات وصارت المجازر تـصك الآذان وتهز الضمائر ، حتىٰ باتت لم تجد متنفساً الّا بـالعمل الجـهادي - طـريق الشهادة الحية .

لذا وضعت نصب عينيها أهدافها ومستلزمات تحقيقها .. كانت تنقل الأسلحة وتوزع التعليمات والمنشورات وتُعبِّىء الأخوات ، كانت تغرس روح الجهاد والثورة ضد نظام الدكتاتور ، فما فتئت دماء الشهداء تغلي في عروق وشرايـين فـاطمة .. كانت تتمرغ في أوجاع الوطن المذبوح . أليس «حبّ الوطن من الإيمان» ..

تقول الأخت الفاضلة السجينة إيمان البصري:

«الشهيدة فاطمة تزوجت واستشهدت ولم يكن لها أطفال .. كانت مسؤولة عن خطوط التنظيم النسوية في شارع فلسطين والكرادة ، وهذه هي تهمتها التي وجهت لها في مديرية أمن الثورة وفي المحكمة .. لذا فهي قد إختفت لفترة لانها كانت مطلوبة .

كانت رحمة الله عليها تمتاز بشيئين قلّ توفرهما لاغلب الأخوات ،

فهي في درجة إيمانها ووعيها قـد سـبقت عـمرها بكـثير ، وكـانت عميقة الوعـي وذات فكر نير . تحمل في داخلها شيئاً أشبه بالبركان ، فهي لم تهدأ ابداً خصوصاً بعد إستشهاد السيد الصدر والعلوية بنت الهدىٰ عام (١٩٨٠م) .

فهي - وحسب ما نقلَ عنها الأخوات - قد تحولت الىٰ شيء آخر ، حيث ارتـفع حـماسها ورو...

---

١ - قصيدة للمرحوم الدكتور داوّد العطار .

الثورية الى درجة لا توصف ، لقد قفزت قفزة نوعية بحيث صارت متيقنة أن النصر لا يأتي إلا بالشهادة .. اللائي لم تستكن ابداً .

كانت بطلتنا تقوم بلقاءات دورية ثابتة مع بنات خطوطها وفي غاية السرية .. كانوا يتبادلون الكتب والنشرات والتعليمات وأموراً مهمةً أخرىٰ وأغلب البنات من خط الثورة والمحكومات بالمؤبد اتفقن علىٰ القول بأن فاطمة وبالرغم من صغر سنها قد اثّرت فينا كثيراً .. حيث كنّا نتشرّب الايمان من روحها أكثر مما نأخذه من الكتب التي نقرأها .

ليلة القبض علىٰ فاطمة !

كانت التقارير الحانقة تتراكم في غرف مديرية أمن الثورة ، فجميعها تؤكد على الدور الأساسي الذي تمارسه «فاطمة» في النشاط الدعوتي والجهادي المسلح وعلى تعبئة المؤمنين للتفاعل والاندكاك في أطروحة المرجعية المجاهدة والمتمثلة آنذاك بالشهيد الصدر والإمام الخميني ﯨ .

تسلل الظلام الىٰ مدينة الثورة دون ان يعترضه ضوء مصباح أو حتىٰ ضوء شمعة ! .. حيث جاء زوار الليل الىٰ بيت فاطمة ، واقتادوها معصوبة العينين الىٰ حيث ينتظرها الحجيم ، بعد ان فتّشوا غرف المنزل .. بعثروا كل ما في غرفتها ، فلم يجدوا سوىٰ القرآن وكتاب الأدعية والزيارات .

الجدير ذكرهُ هو أن دوائر (أمن) النظام كانت في ذلك الوقت لا تكتفي بأعتقال المرتبطين بالتنظيمات الإسلامية أو المجاهدين الذين يحملون السلاح .. وإنما كانوا يعتقلون كل من له صلة بهم ، لذا إعتقلوا أخوات فاطمة !! ولكن بعد التحقيق إكتشفوا انهن صغيرات السن (بريئات) ، فواحدة كان عمرها «١٥» سنة والأخرىٰ «١٤» سنة .. أما بتول التي كانت طالبة في مرحلة السادس إعدادي ، فقد إتهموها بالتعاون مع فاطمة والتستّر عليها ، فحكموا عليها بالسجن «٥» سنوات !

ولابدَّ لنا أن نُذكّر هنا أنه قد سبق إعتقالَ فاطمة هذا اعتقال آخر :

فقد عاشت مدينة الثورة ليلةً مشؤومةً زمجرت فيها الريح لتنذر بقرب فاجعة !

ليلةً تم فيها استئصال عدد من رائدات وكوادر العمل النسوي في هذه المدينة ومدن أخرىٰ .. اعتقلوهن بشكلٍ جماعي وعشوائي وبطريقة (صيد السمكة وتجفيف البركة) لكي تذبل الورود والأزهار التي لم تزل في أكمامها ..

إنه مساءٌ أحال حمرة غروب الشمس الىٰ كتل سوداء بسبب رَغاء ذلك الرجل المسمّىٰ بـ«الشيخ راضي» !!

وهكذا تم اعتقال فاطمة !! اعتقلوها في صيف عام «١٩٨٢م» حيث الأيام قائظة والشمس لافحة .. اعتقلوها وهي التي رسمت خطوط العمل بتأنٍّ وبشكل منسجم الزوايا .. بل وهي التي حرصت علىٰ إخفاء خصوصياتها ومجمل نشاطاتها حتىٰ عن عيون خلاياها وحلقاتها الحزبية !

أُختاه فاطمة .. أتدرين أين يذهبون بك !؟ لقد سيق بكِ الىٰ أقبية الموت الأحمر ، الىٰ زنازين مديرية (أمن) النظام في مدينة الثورة .. إنها جهنّم وقد سُميت مجازاً بـ«مديرية أمن الثورة» !!

وحش اسمهُ (علي الخاقاني) !

هو الجلاد الملقب بـ«أبو جواد» .. من مواليد «١٩٣٥ م» النجف الأشرف متوسط الطول ، عريض الجسد ، أسمر الأديم يميل الىٰ صِفرة ، قاسي الملامح أجش النبرات ، حاد النظرات .

وحش لا آدمية فيه ، مجرم يعتاش علىٰ تحطيم أبناء العراق الصالحين وازهاق أرواحهم .. تجاوز الذين سبقوه وأتعب الذين جاءوا بعده ، طَبَعَ الله علىٰ قلبه فجعله أسوداً كقطع الليل .

ذو تاريخ أسودٍ طويل في قتل واستئصال الدُعاة والاسلاميين وعلىٰ مدى عقدين من الزمن ، فهو ثاني اثنين[1] في مديرية أمن الديوانية ! اشترك في تعذيب قبضة الهدىٰ (الشيخ عارف البصري وأخوته الدعاة عام «١٩٧٤م») وبوحشية خيالية . فكافأه النظام الحاكم بترقيته من جلاد برتبة «مفوض» الىٰ محقق برتبة

---

١ - الرائد فاضل الزركاني : جزّار (البصرة) ومساعد مدير أمن الديوانية - الشعبة الخامسة - م ٣٢ سابقاً ، ومساعد مدير أمن بغداد لاحقاً

ملازم .. حتىٰ صار في عقد الثمانينات برتبة «رائد» في مديرية أمن الثورة ، ومُحقق بغداد الأول في جميع مديريات أمن العاصمة ..

أبو جواد جلّاد ليس من صنف البشر ، فقد استحال الىٰ آلة تنفيذية صماء .. طوّعه النظام الحاكم كما تُطوّع الكلاب والذئاب ، بالترهيب مرّة وبالترغيب أخرىٰ .. جلاد عاتٍ اكتسح بوحشيته وطول نفسه أفواجاً من الأبطال وأودىٰ بهم الىٰ المقاصل وساحات الإعدام الجماعي ، يمتلك تجربة عميقة وخبرة دقيقة في سبر أغوار الضحيّة .. يستخدم عشرات الوسائل لاكتشاف الأسرار .. نجح في إنتزاع الاعترافات الخطيرة من مكنونات صدور مئات الرجال الأشداء والمجاهدين الأقوياء وأودىٰ بهم الىٰ ساحات القتل ، دَفن بيديه آلاف الشهداء - نساءً ورجالاً - في بطون صحارىٰ العراق كمقابر جماعية .

لم يصمد أمامه الّا القليل ، لانه لم يخرج من الضحية الّا بالاعتراف ويديه وملابسه قد تلوّثت بالدماء !! فهو لم يترك خليّة وقعت في يده الّا وغالباً ما اكتشف خطوطها وهرم قياداتها .. لذا فهو لم يترك قضية الّا ورفعها الىٰ الاعدام .

كان المعروف عنه - وبأفواه ضحاياه - انه يمارس التعذيب بأعصاب هادئة يلتهم فريسته بدم باردٍ وكأنه يستمع الىٰ سمفونيةٍ هادئة ، ولكن حينما تصمد الضحية يتصرّف كالمجنون ويهيج كالخنزير ويعوي كالذئب مكشّراً عن أنيابه !

مازالت ذاكرة الأخوات السجينات تحتفظ بملامح وجه هذا المجرم ، لقسوة أساليبه ووحشية تعذيبه .. بل مازالت بعض السجينات في عناء دائم من كابوسٍ بعض وشبه يومي منذ «١٦» عاماً بسبب دمويّة هذا الجلاد[1] !

فالموت في غرف التحقيق (التعذيب) التي تجري علىٰ يدي هذا الوحش هو نهاية كل ضحاياه ، وهذه حقيقة تعرفها جميع الأخوات اللاتي دخلن زنزانات الموت البطيء ، لان هذا المرتزق لم يترك ضحاياه يموتون ليرتاحوا ، بل يسقيهم الموت غُصصاً قبل أن يَزهق أرواحهم .

انه علي الخاقاني - أبو جواد - رجل المهمات الصعبة .. وها هم قد أوكلوا إليه مهمة تعذيب فاطمة ، لينتزع منها الاعترافات حول مخابىء الأسلحة وخطوط التنظيم النسوي ببغداد .

---

[1] ... (ض.ع).

أقبية الموت الأحمر

وما ان استقرت السيارة «اللاندكروز» البيضاء في بناية مديرية أمن الثورة، حتىٰ استقبل الاجلافُ العلوية (فاطمة) بكلمات بذيئة مألوفة علىٰ ألسنتهم كجزء من حملتهم لترويض النمرة التي في أقفاصهم. وكسر هيبتها.

وماهيَ الّا دقائق حتىٰ صارت فاطمة أمام الوحش في غرفة التعذيب، لان التحقيق في دولة الرعب والارهاب يجري في غرف التعذيب وتحت صعقات الكهرباء، فراح يكلّمها باللهجة العاميّة الدارجة:

– إي علويّة شلونچ ؟

– لا جواب

– بويه فاطمة .. إحچيلي، آني ما أريدهم «إيهينوچ». هنا ما يرحمون الشيعيّة ولا حتىٰ العلْوية .. آني الوحيد هنا شيعي وأريد مصلحتچ .. والزهرة الزجية إلّا ترجعين الليلة للبيت! بس حتىٰ أقنّع المدير خبّريني بأسماء البنات اللي تحت إيدچ، ودَلّيني على المكان اللي خبّأ فيه جمال الأسلحة ؟!

فاطمة وبنظرة واثقة:

– أي سلاح وأي بنات! أنا لا أعرف عن ماذا تتكلم ؟!

– إبنيتي، الجميع اعترفوا عليّچ، واحنه نعرف كُل شيء .. فلا داعي لهذا اللّف والدوران!

– أي اعتراف ؟! أكيد يوجد اشتباه.

وحاول الجلّاد أن يستخدم أساليبه المكشوفة لخداع هذه الفتاة الحسينية. ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل .. فهو لم يجد في «فاطمة» سوىٰ كلمات ترفل بالصمود والتحدي.

وبدأت المواجهة لان فاطمة رفضت الادلاء بأي اعتراف، لقد وطدت العزم ومنذ البداية علىٰ عدم البوح بأسرارها مهما كلف الأمر.

وما أن نفد صبره حتىٰ صرخ بمساعديه الذين كانوا علىٰ أهبة الإستعداد ينتظرون إشارته للبدء في حفلة التعذيب .. وما هي الّا لحظات حتىٰ انهالوا علىٰ فريستهم ضرباً بالعصي والكيبلات[١] ، فبدأ جسمها يخور نحو الأرض بعد أن تلاشت قواها .

لكنهم لم يتركوها مُمَدّدة علىٰ الأرض ، بل بدأوا يضربون أسفل قدميها بطريقة تسمىٰ «الفَلَقة» حتىٰ انتفختا ، ثم أمر الجلاد بتعليقها في سقف الغرفة حيث موضع السنّارة «چنگال» ومن خلال السلسلة الغليظة التي تتوسط حلقتي جامعة اليدين[٢] .. لقد علّقوها من يديها بعد أن ربطتا الى الخلف .. وهذه طريقة ثابتة تمارسها جميع دوائر أمن النظام في تعذيب المتهم السياسي وانتزاع الإعتراف منه .. فما أن تُعلّق الضحية من اليدين – ومن الخلف – حتىٰ تشعر كأن ناراً قد اشتعلت في معصميها ومفاصل يديها التي تكاد تنخلع ، ويبدأ الخدر يدب في أنحاء جسمها المتدلي بثقله الىٰ الأسفل .. وتبدأ الدقائق تمر عليها وكأنها دهوراً ! .

كانوا يعذبونها بشتّىٰ الطرق الهمجية لانتزاع أي إعتراف ، فلم يتركوا منطقة في جسدها الّا ونالت نصيبها من الضرب والتعذيب ؛ لقد استطاعوا تمزيق جسدها الطاهر بسياطهم وكيبلاتهم ، بَيْدَ أنهم لم يستطيعوا أن يُمزّقوا صمودها فكان جسدها ينفجر ألماً كما تنفجر روحها عزيمةً وثباتاً .

كانت تستكثر الصراخ أمام هؤلاء المرتزقة الأوغاد .. كان صراخها تكبيراً ، فهي تصرخ بشموخ لا بتوسل ، بل إنها ترفض ان تحني رأسها رغم تعصيب العينين وقسوة التعذيب .. لذا لم تمض فترة من الزمن حتىٰ شوّهوا صورة الوجه البسيم وحالوا ثغرها الضاحك الىٰ لوحة معتمة الألوان بسبب بشاعة الضرب الذي كان ينهال علىٰ كل منطقة من جسدها .

---

(١) الكيبل : انبوب من مادة البلاستك محشو باسلاك نحاسية صلبة.

(٢) الجامعة : حلقتان تتصلان بسلسلة قصيرة.. مصنوعتان من مادة «استيل»، كتب عليهما «Made in England».

صمود في غُرف الجحيم

وبدأت المنازلة تشتد . أدرك الجلّاد (أبو جواد) ان الفتاة التي أمامه لم تكن سهلة المنال .. فراح يزمجر بصوته العالي الأجش .. ظناً منه أنّه سيُرعبها ، لكنها لن تسمح لنفسها أن تتظاهر أمامه بالفتاة البريئة المسكينة ، بل كانت تتحداه ثائرة .

حينذاك بدأ «أبو جواد» يعذبها بوحشية وكأنه ذئب يريد أن يلتهم فريسته ، كان جاثماً علىٰ رأسها كالغراب ، وكان أنينها يزداد .. لقد سقاها حمم العذاب غُصّة بعد غُصّة .

ورغم كل ذلك لم ينتزع منها أيّ إعتراف ، بل ازداد صمودها وتحدّيها الذي سيبقىٰ مثارَ دهشةٍ أبدية ! وان هذا الصمود وهذه الإرادة لم تأتيا من فراغ ، إنما عن خلفية يقينية راسخة .. فالمحن تصنع الإرادات ، و «من يعرف البلاء يصبر عليه»[1]

وفي صباح اليوم التالي بدأ «أبو جواد» خائباً يتفجر غضباً وحقداً ، فهو يتوعد «فاطمة» بالقتل ، كان يصرخ بها وبأعلىٰ صوته ليلقي الرعب في قلبها. بينما هي كانت جالسة علىٰ المرقاة ـ لأنها كانت طيلة الليل مربوطة علىٰ السُلَّم المؤدي الى الطابق العلوي ـ حيث تسرح بذهنها الىٰ عالم الجنة ، فهي لم تتأثر بهذا النعيق .. نعم كانت جراحها عميقة بَيْدَ ان إرادتها كانت أعمق علىٰ الثبات حتىٰ نيل الشهادة .

رُغم جِراح الروح.. لن تركع!

جميع الاخوات الفاضلات «السجينات المظلومات» اللاتي ذقن مرارة التعذيب علىٰ يدِ هذا الوحش المسمّىٰ بـ«أبو جواد» يتذكرن جيداً كيف كان يهددنا بالتعرية وبالإعتداء علىٰ الشرف بَيْد انه كان دائماً لم يُنفّذ تهديده ، حتىٰ بات ذلك من أساليب الترهيبية المكشوفة .. لكنه هذه المرة - مع فاطمة - نفّذ بعض ذلك !

نعم ، لقد أمر إثنين من أعوانه الأجلاف المقنّعين بالشر والغلظة أن يقوموا

---

١ - البحار: ٧١ / ٨٣

تعريتها .. فمزّقوا ملابسها وربطوا يديها بالجامعة الىٰ الخلف وعلّقوها بسقف الغرفة عارية !! لقد أراد الجلاد أن يعذّب روح فاطمة لعله ينجح بعد أن فشلت جميع أساليبه في تعذيب الجسد ..

فاطمة تُعرّىٰ !! فاطمة التي يرتعش جسدها لمجرد انحسار الحجاب عن رأسها تعرّىٰ .. فاطمة التي تغض الطرف حياءاً وعفةً تُعرىٰ .. **﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعملُ الظالمون﴾**[1]

لقد خلع الأوباش عنها لباس الجسد ، فأصبحت عارية الّا من لباس العفّة .. صارت مُعلّقة بالهواء متأرجحة بين إنكسار الذات وصراخ الكبرياء .. راح أحدهم يمرّر الهراوة الكهربائية «الزنبور»[2] علىٰ الأذنين والشفتين والمناطق الحساسة الأخرىٰ من جسد فاطمة .. بينماكان الآخر يهوي بسياط النذالة علىٰ جسدها العاري من كل شيء الّا من الشرف وكبرياء الروح .

لقد اعتدوا بعصيّهم علىٰ مواضع العِفّة والطهارة إمعاناً في تعذيب روحها ولكن أنّى لهم هذا .. هيهات هيهات ، فالفضيلة عذراء أبداً وتتحدّىٰ عُهر الطغاة .

وعند المساء أنزلوا فاطمة ، أخرجوها من غرفة التعذيب سحلاً الىٰ الموقف .. والموقف عبارة عن غرفة كبيرة بجوار غرفة التعذيب ، حجزوا فيها مجاميع من النساء اللاتي كان بعضهن علىٰ ذمة التحقيق والبعض الآخر أُغلقت ملفّات قضاياهن ينتظرن الترحيل الىٰ مديرية الأمن العامة لتصديق أقوالهن ،ثم إرسالهن الىٰ محكمة الثورة العسكرية – الصورية – لسماع أحكامهن قبل تسفيرهن الىٰ سجن الرشاد ، حيث ينتظرن تنفيذ أحكام الإعدام في سجن أبو غريب المركزي أو يقضين سنين الحكم كُلّ حسب مادة حكمها .

يعجز اللسان ويكلّ البيان عن ذكر ما يجري من وحشية تتعرض لها فتيات العراق في زنازين الطاغية الجائر .

ولا يفوتنا هنا ان نذكر ان الاخوّة الإسلامية تَتجسّد بكل معانيها في هذه الغرفة

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٢

(٢) الزنبور: إنبوب رفيع من مادة البلاستك الصلب طوله «٨٠» سم، إمتلأ تجويفه بعدد من البطاريات الصغيرة.. وقد إلتفّ علىٰ سطحه السفلي «الخارجية» سلك نحاسي موصل بالبطاريات ممّا يسبب كهربة مؤلمة وحتق نفسي شديد .

- الموقف - رغم زحمة المكان وشدّة الحر .

***

تسكبُ فاطمة في الليل البهيم دموعها بصمت ، فقد كانت تُعاني الآلام إن جلست أو نامت ! فالآلام تعمّ جسدها وجميع أطرافها .. كانت جراح جسدها وآلام روحها ونار صمتها قد حرق أفئدة الأخوات في الغرفة .

تجرّأت بعض الأخوات بالتقرب منها ، تُهدّىء من روعها .. كان البعض يبكي بكاءً مكبوتاً ، وكان البعض الآخر يبكي بأنين مُرٍّ لما رأينَ مِنْ وحشيّة التعذيب سيّما ذلك الأثر المميّز من آثار التعذيب ، والذي قد أدمىٰ قلوبهن .

فاطمة تأنس بالليل رغم وحشته .. فهو بالنسبة لها شيٌ آخر ، تناجي ربها ، تصلّي ، تشتكي ، تبكي .. تشعر بلذّة دونها الشهد ، انها تجد في الليل زادها الروحي الذي تتزوّد به لمواجهة النهار الحافل بحفلات التعذيب .. علىٰ أيدي أجلاف البعث .

كانت تُتمتم بذكر الله بما احتفظت الذاكرة من قرآن وأدعية حيث السكون وهدأة الليل :

- يارب خذني اليك ، فقد طال العذاب وازداد الإشتياق .

تقترب السجينة « ...» من فاطمة وتهمس في أذنها - وبحياءٍ زينبي -

- «أخيّتي فاطمة .. لا بأس عليك ياعزيزتي ، فليس هو أرذل من الشمر الذي جلس علىٰ صدر ريحانة المصطفىٰ ، ولا أنتِ أفضل وأجل من الحسين و زينب. إصبري حبيبتي ، فان ما حدث بعين الله» .

تلتفتُ فاطمة نحوها بصعوبة .. وتجيبها بدموعها لا بشفتيها ، فانها أبلغ لغة في دنيا المظلومين .

لقد كان بامكان فاطمة الابتعاد عن هذا النوع من التعذيب الروحي ولو باعطاء إعتراف غير ذي جدوىٰ ، لكنها أبت الّا التحدي ومنازلة هذا الخنزير الذي يسمّونه مجازاً بـ«أبو جواد» .

ماذا يريدون من فاطمة أن تعترف؟ وهل لفتاةٍ ذابت في جسد الزمن الفاطمي أن تعترف ؟!

كيف تعترف ! وهي التي كلما كَبُرت وعظُمت آلام جسدها كلما تسامت في عالم الروح وغاصت في عالم الملكوت ..

كيف تعترف ! وهي التي بازدياد بشاعة التعذيب ، تزدادُ شوقاً الىٰ لقاء الأحبّة ، الىٰ الصدر وبنت الهدىٰ .. الىٰ جمال .

وتمرّ الساعات والنمرة الغضبىٰ معلّقة فى ستّارة سقف الغرفة كالذبيحة مُستباحة الحُرمة ..

وتمرّ الأيام وفاطمة صامدة صامتة .. والجلاّد يتشظىٰ غضباً ..

لقد عجز عن انتزاع اعترافٍ أو حتىٰ عبارة تنفعه ! كانت مستميتة في عدم الكشف عن أي معلومات تُسيء الىٰ قيادات الخطوط أو الخلايا .. ولكن هل حقاً انه عاجز عن انتزاع الأسرار من فتاة؟ ! وهل سيتركها منتصرة ؟!

أيها الأجلاف.. كفىٰ !

وفي صباح يوم قائظٍ قاسٍ إمتلأت غرف مديرية أمن «الثورة» بصرخات هستيريّة متلاحقة .. كانت فاطمة تصرخ بجنون وكأنّ روحها تكاد تخرج من جسدها .. كانت عبارات الإستعانة بالله والتوسل بالزهراء تملأ فضاء الممر والموقف . ياترىٰ ما الذي جعل فاطمة تصرخ هكذا !؟

لقد صبّ الجلادون التيزاب [1] علىٰ أعلىٰ ساقيها .. فأكل جزءاً من لحم ساقيها وترك أخاديداً بشعة .. لقد أُغمي عليها مرّات ومرّات وكادت روحها تزهق .. لكن المجرم لم يتركها لتموت الّا بعد أن تذوق العذاب قطرة قطرة.. فراح يمعن في تعذيبها مستخدماً مابحوزته من آلات التعذيب ..

لقد استخدم آلة «الضاغطة الكهربائية» لسلخ جلد كتفها الأيسر ولم يكتف بهذا ، فقد أجمر سِكّيناً طويلة وراح يكوي بعض الأماكن الحسّاسة من جسد العلوية الطاهرة ..

ياليت عجلة الزمن تدور بأسرع مما هي عليه .. كانت الدقائق بطيئة رهيبة بجولات التعذيب مرّة بشعة .

لقد جنّ جنون هذا المارد الأهوج .. كيف يسمح – وهو الجلاد العتيد – أن

---

(١) حامض التريك «HNO3» : مادة كيمياوية تحرق الجلد وتسلخه.

تصرعه إرادة فتاة ؟!

أيام وأسابيع تمخضت بالتحدي وعدم الإعتراف كانت كفيلة علىٰ إذلاله وسحق كبريائه وجبروته .

فها هو هائج كالخنزير .. لقد أحرق أعلىٰ ذراعها الأيسر بالمكواة الكهربائية مما ترك تشويهاً ودماً أسودَ رغم ان فريسته كانت في حالة اغماء !

أُختّاه .. ياابن العراق ، إهدل لمقلتيك الدمع .. فهو مشهد فريد لا أظن انه سيُمحىٰ عن ذاكرتك .. ساعد الله قلب اللاتي كنَّ بقربها - في الموقف - بل ساعد الله قلب الزهراء وهي ترىٰ بناتها مغميًّ عليهنَّ عرايا .

❋ ❋ ❋

نُقلت فاطمة سحلاً الىٰ غرفة الموقف - حيث الأخوات - وكان مغميٌّ عليها وقد لُفّت بعباءةٍ وباهمال .. فثارت مراجل الغضب ، ولكن ماذا بمقدورهنَّ أن يفعلن وأنّىٰ لهن ذلك .. انفجرت العيون بالدموع وأجهشن بالبكاء والعويل .. كنّ كلما يخلعن العباءة منها يصرخن في نحيبٍ مر .. لقد انسلخ الجلد من ساقيها واللحم من كتفها وتناثرت البقع السوداء والحمراء علىٰ جسدها .

آه .. إن القلم ليعجز عن تسطير ما ذاقته هذه المؤمنة الصابرة الممتحنة .. وإني لأرجو من أخي القارىء الكريم أن لا يذهب بعيداً فيرىٰ أن ما قلناه فيه شيء من المبالغة ، لان الشهود قاب قوسين منكَ أو أدنىٰ .

وإن المشعل الذي رفعته السيدة الحوراء زينب عليها السلام فوق رمال كربلاء لم يكن دائماً محمولاً علىٰ أكتاف المشاهير ، بل قد يحمله أُناس مجهولون يصنعون التاريخ لأمتهم بلا ضجيج ولا شُهرة ، يعملون بصمت ويتحمّلون الآلام ، ولكن قلوبهم متنورة بالله وبالحرية تعطي الوقود الدائم لمشعل المجد عبر الزمن .. وفي تأريخنا المليء بقصص الأبطال المجهولين نجد نماذج كثيرة من هذا الطراز النادر من النساء ، وما العلوية فاطمة إلاّ عيّنة من أُلئك المعروفون في السماء المجهولون في الأرض[1] .

١ - «**معروفون في السماء مجهولون في الأرض**» بحار الأنوار ج ٣٢ / ٢٥٣ .

وإني لاستميح أهلنا في العراق وفي الربذات العذر لأني ذكرت حقيقة ما جرىٰ علىٰ فاطمة في غرف التعذيب .. وكان بودّي أن أنأىٰ عن كلّ ما يخدش الحياء أو يكدّر الروح ، ولكن الىٰ متىٰ نَظلّ نشترك مع الفرعون في إخفاء الحقيقة .. وأيّ حقيقة ؟!

وهكذا أُضيف جُرحٌ آخر من جراح الكرامة في ضمير عراق المقدّسات .. لأنّ كلّ حرمات إسلامنا وعروبتنا وأعراضنا مستباحة تحت سنابك خيل طاغية العراق العربي الاشتراكي !! بعد أن هتكوا الحرمات ودنّسوا الأعراض وتجاوزوا علىٰ المقدسات .

إغلاق التحقيق وتقرير الهزيمة

انتهت حفلة التعذيب - فيما يتعلق بالجلاد - الىٰ لا شيء ، بل الىٰ هزيمة ساحقة .. أمّا فاطمة فقد انتهت الرحلة الىٰ يقينٍ مُطلق بمبادىء الدرب الذي سلكته والعدو الذي قاتلته ..

وهكذا حُسمت المعركة بانتصار فاطمة ، حيث لم يُسجّل التاريخ أيّ اعتقال من خلاياها لاحقاً .. لقد يئس الجلّاد من استنطاق فريسته ودفن فشله بتقرير يأمر فيه أسياده بتنفيذ حكم الإعدام شنقاً بـ (الخائنة) فاطمة الطالقاني حسب المادة ١٥٦ - أ» لانتمائها لحزب الدعوة العميل !!

فالأحكام يحدّدها الجلاد ، كما هو مألوف في دولة البعث ، حتىٰ قبل أن يتم تحديد موعد جلسة المحاكمة الصوريّة !

خرجت فاطمة من الغرف الرهيبة لمديرية (أمن) الثورة وقد أنتزعت عبارات الدهشة وعلامات الإعجاب حتىٰ من أفواه ووجوه الجلادين ! كيف لا وقد أسقطت هيبة محقق بغداد الأول الجلاد علي الخاقاني بكلّ شموخ وكبرياء .. كيف لا وقد انتزعت منهم الشهادة ولم ينتزعوا منها سرّاً .

مديرية الأمن العامة (الموقف)[١]

أُغلق الملف وأُرسلت اضبارة التحقيق صباحاً بصحبة فاطمة الىٰ مديرية (الأمن) العامة للمصادقة علىٰ أقوالها ، حيث تم نقلها بسيارة خاصة أشبه بالصندوق المغلق .. وما أن وصلت أرسلوها الى (الموقف) وهو عبارة عن قاعة كبيرة خيّم علىٰ فضائها الصمت ، تجمعت فيها زينبيات جميع مناطق ومحافظات العراق اللاتي تجاوزن فترة التحقيق والتعذيب بانتظار إرسالهن لاحقاً الى محكمة الثورة لاصدار قرار الحكم .

بعد عدّة أشهر في موقف الشعبة الخامسة لمديرية الأمن العامة ببغداد ، وبعد أن يئس جلّادو أمن النظام من الحصول على أي قضية أو ضحيّة ذات علاقة بخطوط فاطمة أو بخلاياها الحزبية ، تم إحالة ملف التحقيق للمحاكمة حيث تم نقل فاطمة صباحاً الى محكمة الثورة العسكرية .

وهناك شاهدت فاطمة أعداداً كبيرة من رجال العراق الصالحين تعجُّ بهم قاعة المحكمة .. وجبات كبيرة يتم اتهامهم ثم محاكمتهم وبوقتٍ قصيرٍ جداً لا يتجاوز العشرة دقائق .. كانت الإتهامات تتم علىٰ ضوء الإعترافات التي انتزعت منهم بالقوة وأثناء التعذيب أو بطريقة التزوير والتلفيق وبلا اعتراف .. بعدها تنتظر هذه الوجبات في غرفٍ كبيرة خلف قاعة المحكمة حيث تتلىٰ الأحكام الجائرة الساعة الواحدة ظهراً .

كان حرّاس ومسؤولو المحكمة يمطرون السجناء الإسلاميين - نساءً ورجالاً - بفيض أخلاقهم البذيئة وبعبارات تربيتهم الرديئة .

أما فاطمة ، فقد أُدخلت القاعة الكبيرة حيث القفص الحديدي الذي يقابله من الجهة البعيدة الأخرىٰ منصّة عالية يجلس عليها ثلاثة طغاة بكامل ملابسهم العسكرية التي تتدلىٰ منها أوسمة العار الدالة علىٰ رضا الفرعون عنهم .. كان المجرم الجزّار اللواء مسلم الجبوري يتوسطهم .

لم تمض علىٰ المسرحية سوىٰ دقائق حتىٰ حكمت محكمة الفرعون العسكرية

---

١ - يوجد في الطابق الأسفل لمديرية الأمن العامة ببغداد، الشعبة الخامسة، موقف نسوي كبير (٨×١٤)م٢ وآخر صغير.

علىٰ فاطمة الحسيني الطالقاني بالأعدام شنقاً حتىٰ الموت وحسب المادة «١٥٦ – أ» من قانون العقوبات العراقية في الدستور المؤقت ، لاتهامها بالانتماء الىٰ حزب الدعوة العميل لإيران – علىٰ حد قولهم – ولحيازتها اسلحة محظورة ولارتكابها جرائم تخل بأمن (الثورة) وبأهداف حزب البعث العربي الإشتراكي !!

كانت فاطمة واقفة بشموخ وكبرياء كنخيل العراق الأشم ، واقفة مستبشرة بالذي ينتظرها ، ساخرة بالذي يجري حولها .

نشيد النصر في سجن الرشاد

نُقلت فاطمة من المحكمة الىٰ سجن الرشاد ببغداد .. خرجت من محكمة الموت وقد أنتزعت منهم الشهادة .. خرجت ولم ينتزعوا منها سراً .

جاءوا بها الىٰ سجن الرشاد .. وصلت عصراً . كان الشتاء قاسياً والبرد قارصاً .. دخلت النمرة التعبىٰ الىٰ ساحة السجن ، دخلت تمشي بوهنٍ وبطءٍ شديد لما عانت روحها وجسدها من عذابٍ وعذاب ..

كان قوامها قد ازداد نحولاً ، فَغَدت كغصنٍ كسير .. بعد ان امتصّت جولات التعذيب جمال هامتها وتخطّفَ الأوباش رحيق عمرها .. تحمّلت كلَّ هذا الدمار وهي لا تدرى أن الشاهد من أهل الدار !

واستقبلتها الأخوات في القسم السياسي ، استقبلنها بالأرواح قبل الأجساد ، وأنشدن لها نشيد النصر كُلٌ على طريقتها الخاصة ..

وأنتشر خبر وصول البطلة بسرعة البرق الىٰ جميع غرف وقاعات السجن الكبير ، وارتفع نشيد الخلود «سلاماً .. سلاما»[1] من علىٰ شفاه الزنابق :

باقرَ الصدرِ منّا سلاما — أيُّ باغٍ سقاكَ الحِماما
أنتَ أيقظتنا كيف تغفو — أنت أقسمتَ أنْ لن تناما
كيف تنأىٰ بعيداً ولمّا — يبلغ المؤمنون المراما

---

[1] القصيدة الخالدة : للشاعر المجاهد الدكتور داود العطّار الذي توفي في طهران عام ١٩٨٣م .

غـيتَ عـنّا سـريعاً ولمّـا ... يـطرد الثـائرون الظـلاما
قد فقدناكَ زعيماً لا يجارىٰ ... فبكيناكَ دمـا دمعاً سجاما
يـاشهيداً قـام فـرداً ... يـنتضي للـطغاة حسـاما
أنتَ كـالسبط حسـينٍ ... قـد أبـيتَ الحياة مضاما
يـا أبـا جعفر سـوف تـبقىٰ ... رائـداً للـورىٰ وإمـاما
كـذب البعث مـازلتَ فينا ... كـالخميني تـهدي الأنـاما
نحن أقسمنا يميناً أن نـضحّي ... أو نرىٰ الإسلام شرعاً ونظاما
دعـوة قـدتها قـد تسامت ... ثـورة هـدفاً والتـزامـا
وشـباباً دعـوتَ فـهبوا ... يـرخصون الدمـاء كـراما
وسـبيلاً سـلكت أنـيرت ... بـالضحايا وطـابت مقاما
إنَّ ديـناً شـيّدته ... امـة بـالدماء يـتساما
يـهدمُ الكـفرَ ويـبقىٰ ... يـملأ العـالمين سـلاما
يا أبا جعفرٍ نـم قـريرَ العينِ ... إنّـا هـجرنا المـناما
قـد عشـقنا الشـهادة ذوداً ... عن حمىٰ الديـن حتىٰ يـقاما
نحنُ أقسمنا يميناً أن نُـضحي ... أو نرىٰ الإسلام شرعاً ونظاما

* * *

هذه هي الفتاة التي عبرت صحراء الألم لتصل الىٰ شاطىء الشهادة .. هذه هي العلوية التي اختارت الموت وقوفاً كنخيل العراق الباسقات .. هذه هي الفتاة التي أذاب التيزاب جسدها ولم يُذبْ عزيمتها .. هذه هي الفتاة التي انتزعت الشهادة من سياط الجلادين دون أن ينتزعوا منها اعترافاً واحداً ..

سلاماً يانخلةً اشرأبّت في أرض بغداد ونَهَلَتْ من دجلتها العـذبة .. سلاماً تحية ، يافاطمة الأبية .. سلاماً أُخيّة ، سلاماً للجراح النازفة .

استقرت فاطمة في إحدىٰ غرف القسم السياسي[1] «القسم الثالث» حيث

---

١ - غرفة خاصة توضع فيها الفتاة التي تحكم بالإعدام.. تُقفل عليها منذ الساعة التاسعة مساءاً وتُفتح لها الساعة التاسعة صباحاً ولكن غالباً ما كانت الرقيبات يتعاطفن ويتركن لها الخيار في الإختلاط مع الأخوات في الغرف الأخرىٰ.

وجدت في القسم أعداداً من زينبيات مدينة الثورة قد سبقتها الىٰ الإعتقال والتعذيب ثم سجن الرشاد ، لانّ اعترافات الذليل المدعو (شيخ راضي) قـد شـملت أغـلب الحلقات والخلايا النسويّة في مدينة الثورة ومدن أخرىٰ من بغداد !

في باديء الأمر لم تتعرف فاطمة علىٰ صويحبات الأمس .. فالتعذيب ووخز الضمير وتأنيب الروح قد غيّر ملامح وجوههنّ ! حيث الوجـوه صُـفرٌ والأجسام متآكلة هزيلة لكثرة ما لاقت من تعذيبٍ وعذاب .

نعم .. لقد اعتقلت قطعان المغول الهمجية حرائر بغداد وعذبوهن أي تعذيب .. استشرىٰ اليأس وعمّ الحزن علىٰ أرواح مجاميع الفـتيات بـعد أن طـفحت عـلىٰ وجوههنّ سُحُب الانسحاق حيث العيون تحكي قصة العتب الطويل !

كان في قلوبهن غضب علىٰ هذا الرجل (الدخيل) وفي عيونهنّ عتب علىٰ بعض الأخوة المسؤولين وعلىٰ بعضهنّ البعض .

بقيت فاطمة صامتة تتأمل كأنها تنتظر الفرصة المناسبة للاستفسار عمّا يجري . وما أن حلّت صلاة المغرب حتىٰ إقتربت الأخوات منها يتحسّسن آلامها ويتفحصنّ جراحها .. لقد علا النحيب - اثناء الصلاة - وصار الشهيق المرّ قنوتاً .. بعد أن رأين الدمار الذي حلَّ بفاطمة ..

ولكنَّ فاطمة مازالت تُفتّش عن إجابة لكثير من الأسئلة .. وبعد الصلاة أومأت الىٰ الأخت السجينة «ل . ك» فأنسلّت من مكانها والتصقت بها ..

فاطمة تحاور الأخت «ل . ك» :

- نعم أُم «م» خبّريني .. ماهذا الذي يجري؟ كيف وصلتم الىٰ هنا ؟

وبشفاهٍ راجفة :

- لقد اعتقلونا جميعاً .

- ولكن كيف ؟!

- إنه شيخ راضي ، فهو سبب هذه الكارثة .

- ماذا .. ماذا قلتِ !؟

- نعم ، شيخ راضي .

إنفجرت في روح فاطمة أمواج الحزن والإلتياع ، وترقرق في عيونها الدمع لشدّة مغالبة الألم المكتوم .. فطفح الأسىٰ ، وتدافعت الدموع .

فاطمة بعَبرةٍ خانقة وبصوت منكسر:

-بالله عليكِ يا أم « ...» خبّريني بالذي جرىٰ !

-نعم أُخيتي فاطمة .. كانت ليلة سوداء مرعبة ، لقد شملت الجميع دائرة الخطر بسبب تلك الريح العاصفة الصفراء التي كان مصدرها هذا المسمىٰ بـ «شيخ راضي»[١] !!

ليلة سوداء وعاصفة صفراء !

إحمرّ قرص الشمس كأنه عينٌ دامعة معلناً عن ليلةٍ قانيةٍ بلون الدم ، بعد أن لفح بغداد بحرارته وجعل من نهارها يوماً قائظاً شديد الحرارة ..

كانت ليلة مشؤومة زمجرت الريح الصفراء فيها ، منذرةً ومتوعدةً بقرب الفاجعة ..

فما أن خيّم الليل علىٰ أزقّة هذه المدينة التعبىٰ ونام طير الكرىٰ عن عيون أهلها الطيبين حتىٰ جثم كابوس «شيخ راضي» علىٰ الأرواح ، فطرد «الأمل» وزرع محله «الألم» وباتت المدينة ثكلىٰ لا يُسمع فيها سوىٰ عواء ذئاب البعث الغادرة وصرير أنيابها القاتلة .. كل ذلك كان بسبب رغاء المسمىٰ بـ «شيخ راضي» !

حملة مسعورة قام بها أزلام أمن النظام بالتعاون مع المرتزقة وبالتنسيق مع ما يسمىٰ بـ «الرفاق» .. وقد نجحوا ، وأي نجاح .

لقد تعاون شيخ راضي مع أجهزة الأمن بعد أن قرر أن يكون رقماً صارخاً في قائمة الخزي والعار التي يتصدرها «بلعم بن باعورا» ، فكانت ضربة مبيّتة للاجهاز علىٰ خطوط الحركة وتدميرها ، باعترافاته التي جعلت أغلب قيادات وكوادر

---

١ - إرجع الى ملحق الفصل الخاص بالشهيدة السعيدة كميلة شرقي - جنود بلعم بن باعورا - في الجزء الثاني من كتاب «مذكرات سجينة» .

الحزب في مدينة الثورة في موقع الهزيمة الساحقة ..

لقد جعل من خطوط التنظيم في مدينة بغداد (الثورة ، الكاظمية ، الشعلة ، بغداد الجديدة) أمشاجاً متفرقة وقطعاً متناثرة .. حتىٰ صار هاجس الاعتقال من نصيب جميع العاملين .. فقاموا باصطياد الكثير من حمائم العاصمة بغداد بشباكهم الحديدية الصدئة .

كانت الساعات فاعلة في تعذيب المؤمنين - رجالاً ونساءً - وصارخة باعترافات المجاهدين .. كان يوماً طويلاً بآثاره .. قانياً بجراحه ، حيث جثم كابوس «الشيخ راضي» علىٰ النفوس الأبية اثناء التحقيق وفي غرف التعذيب .. ماذا يخبئون .. بل ماذا ينكرون؟ وأنّىٰ لهم ذلك ! وهم الذين أعطوه تمام الأسرار وريادة المسار !! وها هم قد خُدعوا به فـ«**مَنْ قلّتْ تجربته خُدِع**»[1]

لقد دقّت نواقيس اليأس في أسماعهم ..

كانت أغلب أسرار العمل الحزبي والجهادي تنتهي الىٰ الشيخ راضي بشكل مباشر ، كسياقات وضوابط تنظيمية أو بشكل غير مباشر ، كعلاقات اجتماعية وحزبية متداخلة .

فتمّ وللأسف الشديد هدم عدّة خطوط كانت تقودها شخصيات ريادية ذات تاريخ رسالي وجهادي حافل يحظىٰ بالإحترام والاكبار .

كان الهدم مستمراً وكانت قلوب الرجال تتشظىٰ قلقاً علىٰ مصير الفتيات المؤمنات المجاهدات . فكلما حاول بطلٌ أن يقفل خطّاً من الخطوط وينهي تيّاراته وتداعياته جاء شيخ راضي ليكشف أسراره ويفتحه من جديد .. وهكذا .

لذا استأصلوا أغلب المواقع الرئيسية والحساسة في هيكلية العمل التنظيمي والجهادي لهذه المدينة الباسلة ، ولم يسلم من هذا الحصاد المر الاّ مَنْ هرب خارج العراق ! فـ«**مَنْ انقاد الىٰ الطمأنينةِ قبل الخُبْرَ، فقد عرّض نفسه للهلكة ، والعاقبة المتعبة**»[2]

---

(١) غرر الكلم / ٢٦٨

(٢) البحار ٧٨ / ٣٦٤

نـعم .. هكـذا تـم وأد ومصادرة رأسمال مدينة الثورة الصابرة البارّة لدينها وشعبها ..

وهكذا تمّ سحق أعز «ثروة» تملكها هذه المدينة الثائرة ، مدينة الصدر الشهيد .. حيث تم استئصال أغلب خطوطه وحلقاته التي لم تتأصل جذور بعضها بعد .

ولا يفوتنا أن نذكّر بأننا سنتطرق الىٰ بحث ودراسة خلفيات هذه الكارثة في حلقة الشهيدة البطلة (كميلة شرقي)[1] من مذكرات هذا الرقيم .. لانه وبالرغم من التضحيات الكبيرة والهائلة التي قدمها أبناء هذه المدينة المحتسبة – كما هو حال العراق بأكمله – كان هناك نوعٌ من الفراغ وعدم التكافؤ بين حجم التضحيات وحجم المكاسب .. وبقراءة عمودية سريعة لخلفيات أغلب هذه الخسائر ، سنجد وبسهولة أن الأسباب واضحة ، بل وواضحة جداً .

وما شيخ راضي گعيّد التميمي وعبدالرزاق وموحان وسعد ابراهيم البصري ومحسن الساعدي إلّا نماذجُ من الاختراقات الكارثية في مدينة الثورة – لوحدها – والتي راح ضحيتها رجالٌ أقل ما نقوله بحقهم هو أنهم كانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار .

وما أن أنهت الأخت الفاضلة «ل .ك» كلماتها حتىٰ اشتعلت الحرائق بفاطمة :

– إلهي .. أبَعْدَ العناء عناء ، أبَعْدَ التعذيب عذاب !؟

لقد اتسعت عيناها دهشةً وغرابةً . أرادت أن تنطق فسبقتها الدموع والأنين المُر ، حيث انفجر في أعماقها بركانٌ كاد أن يحيل روحها هشيماً ، فغمغمت بصوتٍ متحشرج :

– مستحيلٌ !!

تقول الشهيدة السعيدة (عواطف / أُم دُعاء) :

– لم اسمع من فاطمة سوىٰ كلماتٍ محدودةٍ ، واظنها قالت: «مستحيل» ! لأنها لا تدري أن شيخ

---

[1] ١ – إحدىٰ الزينبيات اللاتي كانت – ومازالت – محل فخر واعتزاز مدينة الثورة .. هي أخت الشهيدة جميلة شرقي والشهيد عبدالامير شرقي . وهي زوجة شيخ راضي الثالثة ، وإحدىٰ ضحاياه ! ارجع الىٰ الجزء الثاني من كتابنا «مذكرات سجينة»

راضي كان قد انتمى الىٰ سجلّ الخائنين الجبناء ..

ساعد الله قلبكِ أُختاه .. لقد كنتِ تدفعين عنهُ وعن الآخرين كل شُبهةٍ أو تهمةٍ ، كنت تعتقدين أنهم سيبقون أملاً ، وأملاً كبيراً ! وما يدريك بأن الشاهد من أهل الدار لان «أهل مكة أدرىٰ بشعابها» !

لم تَكُن فاطمة بحاجة الىٰ وقتٍ طويلٍ لترتيب أفكارها ومعرفة السبب الذي كان وراء اعتقالها ..

إنه شيخ راضي .. ليت الموت أعدمه الحياة .

كم حاول هذا الرجل ومن خلال إحدىٰ الأخوات الفاضلات المقرّبة جداً منه أن يطّلع علىٰ نشاط فاطمة وعلىٰ خلاياها ! لكنها كانت دائماً تصر علىٰ الرفض .. لا لأنها لم تثق به ، بل لأن «السيّد جمال» علّمها أن تكون مع الضوابط والسياقات ، وضد تداخل العلاقات .. و «في التجارب عِلمٌ مستأنف»[1]

لقد تم اعتقال جميع الحمائم التي اطّلع «شيخ راضي» علىٰ حركتهنّ ونشاطهنّ وسكناهنّ ، بل اعتقلوا حتىٰ اللاتي سمع بأسمائهنّ أو لا يعرف سوىٰ كُناهنَّ !

ولأنه لا يعرف عنوان «فاطمة» تأخروا في اعتقالها لحين انتزعوا عنوانها من غرف التعذيب من فم إحدىٰ الأخوات .

جلست فاطمة في زاوية الغرفة بانكسار .. ألقت برأسها علىٰ ركبتيها وبدأت تئن وبنحيب مُرٍّ قاسٍ .. وقد ملأت الحسرة قلبها الصابر ، وصار الحزن دمعاً متلألئاً في عينيها .

فاطمة تبكي ! وهي التي عجز جلادهم العتيد عن إذلالها وكسر كبريائها وكبريائها ..

بدأت روحها تغوص في أعماق الصدمة ، وبدأ عقلها يرحل مع كل الحكايات والبطولات التي سمعتها عن هذا الرجل القدوة ! فهي حينما تحاول التفكير في سبب الكارثة يصيبها الإحجام والتهيّب !! ولطالما تحمّلت أقسىٰ الضغوط والآلام النفسية والجسدية كي لاتفشي لهُ سِرّاً أو تُذيع عنهُ أمراً !

تقول الشهيدة السعيدة (أمل) :

- لم اتذكر اني قد رايت «فاطمة» بمثل ذلك الحزن والانكسار الذي شمل وجهها وروحها إلّا في ذلك اليوم الذي عرفت فيه ان سبب تلك الانهيارات والتداعيات هو الشيخ راضي !!

ماجرى الكلام؟

أخذ الليل يلملم ستائره المتداعية ليحلّ محلّه الفجر .. وفاطمة لم تزل مستيقظة مذهولة:

- ما أغرب هذه المفارقة وما أبشعها !

وفي صباح اليوم الثاني حاولت فاطمة أن تندمج في صلاتها لتتناسى آلامها ومصائبها .. فهي لم تكرّر دهشتها ، كانت تحاول أن تتغافل عن آثار الصدمة التي كادت أن تُهشّم روحها وعقلها ! حاولت إبتلاع أحزانها ..

فأضربت عن الكلام أسبوعاً كاملاً ، وأعتصمت بالصمت والصلاة ، لانها لم تجد من الكلام ما يوصف هذا الذي تعانيه ، اللهم إلّا ذلك البلسم الذي كانت تكرره في القنوت : **«إلهي أتراك بعد الايمان بك تُعذبني ، أم بعد حُبي اياك تُبعدني... حاشا لوجهك الكريم أن تُخيبني . ليت شعري أللشقاء ولدتني أمي ، أم للعناء ربّتني فليتها لم تلدني ولم تربني ، وليتني علمتُ أمِن أهلِ السعادةِ جعلتني، وبقربك وجوارك خصصتني ، فتقرّ بذلك عيني وتطمئن له نفسي ..»**[1] .

كان جسدها ماكثاً في زاوية الغرفة ، لكن روحها كانت تُحلّق بعيداً .. هناك في أحلام فراديس النعيم ، في عالمٍ مُفعَم بالطمأنينة والسلام ، حيث اللقاء بالأحبّة .. كُل الأحبّة .

بقيت في سجن الرشاد «٥٣» يوماً ، بانتظار تنفيذ حكم الاعدام ، وهي ليست بحاجة الىٰ مَنْ يُقوّي عزمها ويشد أزرها ، فهي مازالت صلبة كالسيف ، شامخة كالجبل رغم آثار الدمار الذي رسمه الجلّاد علىٰ جسدها الطاهر .

- تقول إحدىٰ الأخوات السجينات[2] :

«عندما جاءت الشهيدة فاطمة الىٰ سجن الرشاد ، دخلت معها (الحمام) لأساعدها ، فشاهدت

---

١ - الصحيفة السجّادية .. من دعاء (مناجاة الخائفين) .

٢ - الأُخت المجاهدة العلويّة علية قاسم الحسيني .

آثار التشوهات على كتفها نتيجة التعذيب بالآلة الكهربائية الضاغطة وبالمكواة ..»

نعم ، في قلب فاطمة حزن عميق ووجع مكتوم ، بَيْدَ أنها لم تسمح للدموع التي ما انفكت تطرق أهداب عيونها بالهطول ، لأنها تعلم أن خلف الأهداب جداول .

كانت فاطمة تمضي معظم وقتها - في سجن الرشاد - بالعبادة ، فهي كثيرة الصيام والدعاء والزيارة .. وفي وقت «العذر الشرعي» كانت تختلط بالأخوات كالفراشة توزّع رحيقها على الجميع .. كنّ يلتمسن فيها ما يزيح الألمَ عن جدران الروح ، فصوتها الحنون يقطر الإيمان من نبراته وينسكب الأمل نقياً في عبراته ، وبالرغم من أن النظام الحاكم كان يأمل - ومن خلال مخططاته - أن يكون سجن الرشاد طواميرَ وحضائرَ للموت البطيء ! لكنه تحوّل بفضل الزينبيات الى حلقات درسٍ وتفسير وحفظ للقرآن .

تقول إحدى الأخوات المجاهدات السجينات[1] :

«اعتقلت مديرية أمن الثورة الأخت فاطمة الحسيني ، وكان مدير التحقيق علي الخاقاني (ابو جواد) وهو جلاد معروف وذو شكل مرعب ومخيف .. وقيل انه لا يخسر قضية ابداً ، وإذا حدث وخسر قضية ما ، فهذا يعني أن الشخص المتهم قد مات بين يديه اثناء التعذيب !

إستلم هذا المجرم قضية فاطمة ، ومارس معها تعذيباً وحشياً .. فهو لن يسمح ان تنتصر عليه فتاة صغيرة . وكانت وسائل التعذيب بالفلقة والتعليق والكهرباء والكيبلات هي ممارسات أولية يمر بها كل سجين ، ولكن (ابو جواد) إستخدم تعذيباً من نوعٍ آخر بسبب صمودها وعدم اعترافها فهو يعلم ان الذي تحمله فاطمة في داخلها من أسرار هي كثيرة ومهمة ..

كان يقوم بتعذيبها وتعليقها ثم يحمي سكيناً على المدفأة ويمسحها بشاربه - وكأنه يريد ان يظهر رجولته - ثم يبدأ يكوي بها اي مكانٍ شاء من جسد فاطمة !

قال لها ذات مرّة :

- فاطمة .. لدي الكثير من الإعترافات ضدك ، واعلم انك مسؤولة عن الخط النسوي الفلاني ، ومن الأفضل لكِ أن تعطيني الأسماء وأن تُعلميني بمسؤولكم الحقيقي ..

كانت فاطمة تنكر كل شيء .. ولما يئس هذا الجلاد من أخذ اي إعتراف ، قام بالانتقام منها فاقدم على ادخال آلة تجفيف الشعر «الفير» وهو حار في رحم فاطمة !!

---

[1] الأخت الفاضلة إيمان البصري .

لا أدري كيف أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ مئات البنات من الإعتداء على الشرف ! فله المنّة وله الحمد .

وبقيت فاطمة أياماً واسابيع تعاني من مضاعفات هذا النوع من التعذيب ، لكنها صمدت ولم تعترف .. فشعر - ابو جواد - بالهزيمة امامها ، فكان يستخدم الترغيب تارةً والترهيب تارة اخرى . كان يدخل عليها وهي تصلي في غرفة الموقف ويقول لها: (اين أنتِ يافاطمة .. انا ابحث عنك ؟!) فيدفعها ويسقطها كي يحطم نفسيتها..» .

وتقول سجينة أُخرى[1] :

«كان ابو جواد يعذب فاطمة ويقول: بهشتي ، رفسنجاني .. تعالوا شوفوا حال بنتكم !»

وتضيف سجينة ثالثة[2] كانت معها بغرفة الموقف المجاورة لغرفة التعذيب في مديرية أمن الثورة :

«كان عندما يراها تصلي - جلوساً - يدخل مباشرة ويقترب منها ويبدأ بالتمثيل والسخرية وبطريقة مضحكة ، بحيث كانت فاطمة تمسك بقوة على أعصابها .. كان يجلس بجانبها ويسجد على الأرض ويقول لها:

- بوي فاطمة ، ماذا تقولين في دعائك؟ انا سأدعو الله مكانك ! يارب ياحنان يامنان ، يامن بيده كل شيء ، خذ روح فاطمة وارحمها مني وارحمني منها ..

وإستمر يؤذيها هكذا وبكافة الطرق النفسية ، حتى صارت عليلة جسدياً» .

وتقول سجينة أُخرى[3] :

«لما شعر (ابو جواد) بالهزيمة وبعدم جدوى التعذيب ، كتب تقريراً يامر بموجبه بأعدام فاطمة رغم أنها لم تعترف باي سرّ ولم تفصح عن اي لقاء ولم تذكر أياً من بنات خطوطها !

وفعلاً حكمت عليها المحكمة بالاعدام حسب المادة (١٥٦ - أ) .

عندما جاءوا بالأخت فاطمة الى سجن الرشاد - بانتظار تنفيذ الحكم - صُدمت حينما رأت أمامها خطوطاً نسويةً كثيرة من الذين كانوا على أرتباط بالشيخ راضي ! لقد أرعبها المشهد ..

---

١ - الأخت الفاضلة المجاهدة سميرة الشيخ فاضل الحكاوي .

٢ - الشهيدة السعيدة كاظمية النوري .. ارجع الى الجزء الثاني من كتابنا «مذكرات سجينة» .

٣ - الأخت المجاهدة إيمان البصري .

لقد رات بنات من خط مدينة الثورة اللاتي تحملت فاطمة من أجلهن اشد أنواع التعذيب ولم ينطق لسانها باسم واحدة منهن ، وها منّ جميعاً امامها !

من جزاء الدّس الذي قام به شيخ راضي ونتيجة الإعتراف ، كانت حملات الإعتقال قد شملت المئات في بغداد والمحافظات .

وبسبب التعذيب الشديد إعترفت بعض الأخوات - من خط مدينة الثورة - على فاطمة .. فتم إعتقالها مع ثلاثة من أخواتها الصغار ، فحكموا عليها بالإعدام ، وحكموا على اختها (بتول) بالسجن (٥) سنوات . اماالأخريات فقد افرجوا عنهن بعد فترة قصيرة وبلا محاكمة .. تحدثت لها البنات من خط (الثورة) وكذا تحدثت معها الشهيدة عواطف (أم دعا) .. أخبروها أن سبب كل الذي تراه أمامها هي أعترافات الشيخ راضي - ابو محمد - لانه كان مهندساً فهدم الخط النسوي لمدينة الثورة باكمله وتم إعتقال الكثير من البنات .. ثم انه واثناء التحقيق والتعذيب قد قابل كلاً من (زوجته) كميلة ، وفلانة وفلان .. بعدما أخبروها بان الأختين كميلة وجميلة قد استشهدتا ..

إنهارت فاطمة لأن كميلة كانت من صديقاتها المقربات ..

كانت تقول :

ـ تحمّلت انواع التعذيب الجسدي والنفسي من اجلكنّ ومن اجله ، لقد عانيت الكثير لأجل أن لا اعترف على الشيخ ابو محمد !

كانت تعتبره الذخر والسند .

لقد عانت فاطمة من آلام شديدة في المعدة والقولون وكلما حاولت البنات تقديم ما يمتلكن من علاج ، كانت تقول لهن: «إنهُ ليس ألم عضوي .. إنما هو الم نفسي» .

تنقل إحدىٰ الأخوات السجينات[1] ـ وكانت محكومة بالمؤبد - حالة فاطمة من مضاعفات الصدمة ، فكانت تقول :

«كانها سمكة قد أخرجت من الماء !» .

وفي ليلة الإعدام إعتكفت فاطمة مع بعض الأخوات علىٰ إعداد الكفن وملئه بدعاء الجوشن الكبير ، وهذه سُنّة ثابتة في القسم الثالث ..

---

[1] الأخت الفاضلة (...).

ولأنّ فاطمة تعرف فضول عيونهم ودناءة أرواحهم ، قامت بربط نهايات الكفن من الأعلىٰ والأسفل برباطٍ محكمٍ لئلا ينكشف شيء من جسدها عند سحله – جرّه – تلك المسافة بعد الاعدام ..

وفي صباح يوم الأحد من شتاء عام «١٩٨٢م» ، استقرت سيارة الأعدام عند الباب الكبير لسجن الرشاد .. ترجّل ضابط مفرزة الاعدام لكنّهُ هذه المرّة جاء برفقة الرائد الجلاد «علي الخاقاني» !

عجباً .. ما الذي جاء بهذا الوحش الىٰ هنا ؟!

إنتشر الخبر في القسم الثالث ، فانحسرت الأرواح وأنحبست النفوس .. لانه ليس في صميم قلب هذا المجرم نقطة من خير .. لعلّه قد حصل علىٰ معلومات أو اعتراف جديد عن خطوط فاطمة ، فجاء ليعيدها الىٰ التحقيق؟

ماهي إلّا ساعة حتىٰ أُخذت فاطمة الىٰ حيث تنتظرها السيارة .. كان معها كل من الشهيدتين «عواطف الحمداني وأمل الربيعي» وقد خرجن من «القسم» مبتسمات مرفوعات الجبين ، يرسمن إشارة النصر بأيديهنّ .. كنّ كأنهنّ في حفل زفاف ..

وتصف إحدىٰ السجينات[1] مشهد التوديع :

«خرجن والصلوات تتعالىٰ من كل جانب ومكان» .

ولكن ما أن وصلن الىٰ الباب الخارجي الكبير حتىٰ غاصت أقسام الرشاد في بحرٍ من الدموع ، حيث انفجر الألم والحزن من أحداق العيون .. كان عويلاً طويلاً عالي النبرات يصدر من أعماق الصدور .. بل والله والله حتىٰ بعض الرقيبات[2] قد شاركن في مأتمنا هذا !!

إنطلقت السيارة – الصندوق – تنهب الأرض متجهة صوب سجن أبو غريب المركزي الكائن غرب العاصمة بغداد .

كانت تسير بطريقٍ متعرّجٍ ملتوٍ – كأنها ثعبانٍ – للوصول بفاطمة الىٰ السجن

---

١ – الأخت المجاهدة العلويّة عليّة قاسم الحسيني .

٢ – الرقيبات : (أم علي ، سميرة)

بيد أن أمنيات (فاطمة) كانت تسابق الريح للوصول الىٰ معارج الروح ومفاصل الاجساد في ذلك السجن العتيد ، لتكون مع السالكين نحو الله الىٰ صراطٍ مستقيم .

شهيدة تتحدث عن شهيدة

كان المجرمون يأخذون المحكوم عليهم بالاعدام وقت الصباح ، ويتم تنفيذ جرائم الاعدام مساءً ، قبل الصلاة .

دخلت «فاطمة» وتبعتها علىٰ الأثر كـلٌ من «عواطف وأمل» ، وأُمرن بالجلوس في غرفة الاعدام الصغيرة الخاصة بالنساء ، حيث حبل المشنقة الغليظ والكرسي الكهربائي ...

وكانت الغرفة تطلُّ - ومن خلال شباك زجاجي - علىٰ قاعة كبيرة فيها عدد كبير من شباب العراق ورجاله الأبرار حيث سيُنفّذ بهم حكم الاعدام الجائر .. كان دويهم كدوي النحل فالقاعة تضجُّ دُعاءً وترتيلاً لكتاب الله ، وبصوتٍ عالٍ وكأنهم في سباق مع الزمن .. وكان أيضاً ذلك النشيد السماوي الخالد «يَحسين بضمايرنا» يتصاعد من فضاء القاعة .. فالأصوات تتداخَل وتمتزج ببعضها ، كلٌ له شأنٌ يغنيه .

كانت الشمس الموشكة علىٰ الغروب تلقي بأشعتها الواهنة علىٰ جدران السجن الكبير ، حينما بدأ الطُغاة القتلة ينفّذون جرائمهم بأبناء العراق ، حيث تتدلّىٰ عشرة حبال غلاظ كائنة علىٰ مسافةٍ غير بعيدة .. وكانت جرائم الشنق تتم علىٰ شكل وجبات متلاحقة ! **﴿ياأيّتها النفس المطمئنةُ ارجعي الىٰ ربِّكِ راضيةً مرضيّة. فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾**[1]

وهكذا أُتيحَت للشهيدات فرصة نادرة وكافية لرؤية هذا المشهد بوضوح تام .. بل ان الشهيدة عواطف قد أعدموا زوجها الشهيد «علي ناصر الحيّاوي» وسحلوه أمام عينيها وقد أحاطت رأسها بكفيّها من شدة الصدمة والذهول .

كان عدد الذين تم إعدامهم مائة وخمسين شهيداً تساقطوا كأوراق الخريف ولا

---

(١) سورة الفجر: ٢٧ - ٣٠

ذنب لهم سوىٰ أنهم حملوا مسؤولية الدين والوطن .. «١٥٠» بطلاً إلتهمهم الموت البعثي إلتهاماً وهرول بأعمارهم وبدقائق معدودات الىٰ وادي السلام .. كانوا يرمون بهم مكدّسين كالأضاحي .

ثم جاء دور الزينبيات الثلاث .. وقد أوشك الوقت الرسمي المقرّر لتنفيذ الاعدام بهذا العدد الكبير علىٰ الإنتهاء .. لذا تقرّر وفي اللحظات الأخيرة تأجيل تنفيذ الحكم بالصابرات الثلاث !

ولكن أنّىٰ لفاطمة ذلك ، حيث يقبع الوحش هناك .. إنّه العدو الذي لا ييأس نعم إنه «أبو جواد» !! لقد قام هذا المجرم بالاشراف التام علىٰ تنفيذ الاعدام بفاطمة تلك الفتاة التي أهانته وأسقطت هيبته ..

- الوقت يكفي لاعدام واحدة فقط ، ولتكن فاطمة !

هكذا قال ..

تهيّأت فاطمة بعد أن تسلّلت الىٰ ثغرها ابتسامة هادئة لانها ستشارك اخواتها عُرس الشهادة .. أرادوا جرّها – أو حملها – الىٰ حيث المشنقة ، لكنها أبت إلّا أن تتقدم بثبات كحورية تريد الرحيل الىٰ الجنّة .. كانت تتسابق الىٰ الموت كما تسابق رجال كربلاء ، ليقينها أنها تسير نحو الجنّة .

تقول الشهيدة عواطف :

«ودعتنا فاطمة بحرارة .. لقد ضمتني الىٰ صدرها في عطف جارف ثم أدارت ظهرها تمشي بثبات وكبرياء صوب منصة الشنق .

وضعوا حبل المشنقة حول عنقها .. قال لها أحد ضباط السجن وكان واقفاً بقربها:

- فاطمة .. ما هو طلبك الأخير .. هل تريدين شيئاً؟ او توصين بشيء[1] ؟

والغريب ان فاطمة أومات بنعم وطلبت قطعة خبز فقط .. فامروا لها بصمّون ، فقطعت شيئاً منه فمها وأعطت الجزء المتبقي اليّ في رجاء ان أوصله الى الأخوات في سجن الرشاد..».

أختاه فاطمة ، وصيتك قد وصلت ليلاً ، رغم أنها بلا عنوان !

فاطمة مازالت واقفة وحبل المشنقة في عنقها ، وقد رمقت أختيها بحنان

---

١ – سابقة غريبة لم تحصل في سجن (أبو غريب) إلّا نادراً .

وإبتسامة شملت كل محيّاها الوضّاء ثم أغمضت عينيها وأسلمت نفسها الىٰ بارئها متمتمةً معه في حديثٍ خاص لا يعرفه سوىٰ العُشّاق فقط .

التحري الأخير

وهنا اقترب المجرم «أبو جواد» من فاطمة .. أسبلَ عينيه في ورع الشيطان ، وانبجسَتْ عن شفتيه إبتسامةٍ صفراء ماكرة وكلماتٍ تصطنع الرِقّة ..

وبصوتٍ خادعٍ فيه مسحة الحزن والرأفة قائلاً لها:

- علوية .. بشرفي لديَّ صلاحيات من السيد الرئيس صدام حسين شخصياً ، وأستطيع أن أُغيّر الحكم وأنتزع الحبل من عنقك حالاً .. فقط أعطيني أسماء خطوطك ومَنْ هو مسؤولك وأين أخفيتم ـ أنتِ وزوجكِ ـ السلاح ؟

وما أن انتهىٰ من كلماته حتىٰ انتفضت فاطمة في وجهه ، وأطلقت صرخةً ، تراها تحكي التحدّي الأبدي ، حيث قالت وبالحرف الواحد:

- إسمع .. هذه درجة لا ينالها إلّا السعداء ، فكيف بي أن أتنازل عن هذه الدرجة !

هكذا ـ وربي ـ صرخت فاطمة في وجه الجلّاد مثلما صرخت سيدتها زينب عليها السلام في وجه يزيد «فكِدْ كيدك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا» .. لقد وصفت لنا الشهيدة عواطف ذلك المشهد بعد أن اختنقت بالبكاء والشهيق وانسكبت دموعها بحرقةٍ ولوعة .

ثم أعقبت فاطمة وبكلمات ساخرة :

- أبو جواد .. كم أعطوكَ من الوقت لتخدعني ؟

أحدثت هذه الكلمات زوبعة من الحقد اجتاحت كيان هذا المجرم وجرحت كبرياءهُ الفارغ ، فها هو تجمّد كالتمثال ، يسمع ولا يجيب .. بَيْدَ أنه وبعد أن فشل مكرهُ وخابَ كيده ، فاض به الغيض فنزع قناعه المزيّف وكشّر عن حقده وحقيقته ، ثم امتقع لونه وارتعشت أطرافه ، وبحركةٍ هوجاءٍ عاجلها كالمجنون برفسةٍ جعلها

تتأرجح والحبل في عنقها .. رفسها حتىٰ قبل أن يضعوا القناع الأحمر علىٰ رأسها
وإذا بفاطمة تتدلىٰ .. لقد تمازج كلامها مع حشرجة صوتها حيث ضَغْط الحبل علىٰ حنجرتها .. بعدها سكن الجسد وارتفعت الروح الىٰ بارئها راضيةً مرضيّة
وبقي هو يُعربد كالثور الهائج .

نعم ، هدأ جسد فاطمة ، وهوىٰ الىٰ الأرض .. والىٰ الأبد ، ولكن مازالت العينان مفتوحتين ومازال فيهما بريق تحدٍّ ، بريق نمرةٍ غضبىٰ يلسع كبرياءهُ ويُطارد غرورهُ

الحياة .. في موتكم قاهرين

وأخيراً استشهدت فاطمة ، استشهدت وفي فمها صرخةُ رفضٍ أبتْ إلّا أن تُطلقها في وجه الطغاة ، بعد أن منحت الموت معناه الثوري الواعي **«فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين»**[1] .

استشهدت وهي تردّد كلمات هي ذات الكلمات التي ردّدها الإمام الحسين عليه السلام : **«إني لا أرىٰ الموت إلّا سعادة»** .

وهكذا انتهى السِجال بقتلها .. قتلوا فاطمة ، فقُتلَتْ الأسرار معها .. بعد أن كرّمها الله بتلك الخاتمة حيث نالت وسام الشهادة فتألّقَ اسمها في سجل الخالدين
ورجعت روحها الىٰ بارئها صابرة محتسبة ، فيما عادت (عواطف) الىٰ سجن الرشاد لتنقل للأجيال قصّةَ صمودها وعنفوانها .

تحدثنا إحدىٰ الأخوات السجينات[2] عن مشهد التحدي الأخير فتقول :

«بقيت فاطمة في سجن «الرشاد» اقل من شهرين وفي يوم التنفيذ جاءت سيارة الاعدام وكان الذين فيها يرتدون دائماً الملابس السوداء .. وكان مع ضابط المفرزة المدير (علي الخاقاني) ..

فانتشر الرعب في نفوس البنات في القسم السياسي خوفاً على فاطمة .. لعله جاء ليعيد فاطمة الى امن الثورة لأن قضيتها بقيت مفتوحة .

---

١ - نهج البلاغة ، شرح بن ابي الحديد ، ج١ : ١٠٠ .
٢ - الأخت الفاضلة إيمان البصري .

اشرف (ابو جواد) على نقل فاطمة ومعها أخوات محكومات بالاعدام ايضا .

وحسب مانقلت لنا إحدى الأخوات تم تأجيل إعدامها عدة أيام ، فقالت[1] :

عندما صعدت فاطمة الى منصة الشنق تقول «ك .ع» نقلاً عن الشهيدة عواطف: سألها ضابط الاعدام عن طلبها الأخير فطلبت قطعة خبز ، فتناولت شيئاً وأعطت البقية للشهيدة عواطف لتوصلها الى البنات في سجن الرشاد .. وتم توزيع قطعة الخبز الى أجزاء صغيرة على القسم الثالث ، ومازالت بعض الأخوات محتفظة بالجزء الخاص بها الى يومنا هذا.

إقترب منها «ابو جواد» وبدأ يتوسل ويقول لها: إبنتي فاطمة تخلّي عن عنادك وإلّا فسوف يتم اعدامك .. وأنا على إستعداد ان أعيد قضيتك وأحولها من الاعدام الى أقل من المؤبد ، وقد تخرج عنك إذا تعاونت معنا ..

قالت :

- وما النتيجة؟

اجاب متلهفاً : بشرفي نلغي حكم الاعدام فوراً . فضحكت ساخرة وقالت :

- لن أعترف بشيء وليس عندي ما اقوله .

وعندما وضعوا الحبل في عنقها . اقترب منها (ابو جواد) أكثر وقال :

- فاطمة .. فقط اجيبيني على بعض الأسئلة ، واذكري لي بعض الاسماء ، فأنا عندي الاسماء ولكن اعطيني عناوينهم فقط ، بشرفي سترتبحين ولا تخسرين شيئاً .

فأجابته بشدة :

- إذن إنك تعلم انني أعرف اموراً واخفيها عنك ؟

- نعم .

- ولكن هذه درجة لا ينالها إلّا السعداء .. فهل تريدني ان اتنازل عنها لأجل حطام الدنيا .

ارتبك وغضب وأراد ان يتكلم .

لكنها قاطعته بحزم :

- حتى لو تعيدني الى التعذيب ، فلن تحصل على شيء ينفعك .. فافعل ما تريد ان تفعله .

---

[1] الشهيدة السعيدة أمل الربيعي .

عندما رأى الجلاد اصرار فاطمة، عاد الى واقعه الاجرامي وأمر بتنفيذ حكم الاعدام بها.

مناجم الذهب

تقول الأخت السجينة «أحلام البصري»:

«عندما جاء أهل فاطمة الى سجن الرشاد لتسليم المواجهة - طعام وحاجات - أخبرهم مسؤولو السجن بانه قد تم تنفيذ حكم الاعدام بها في اليوم الفلاني وأعلموهم بامكانية ذهابهم الى الطب العدلي أو الى ابو غريب لاستلامها».

سُلّمت فاطمة الىٰ أهلها .. كان ذلك نهاية عام «١٩٨٢م» ولم يسمحوا بأكثر من دفنها ليلاً بلا بُكاء ولا مراسم تشييع .. غسّلوا فاطمة .. فتعالىٰ النحيب المُر، حينما رأوا بأم عيونهم بقعاً سوداء كبيرة وآثاراً قاسية قد ملأت كتفها وساقيها ..

ثم حُوِّلت جنازتها الىٰ وادي الضحايا حيث الليل مُخيِّماً فوق صحراء النجف، راقداً كرقود أجيال الأجساد المُسجّاة تحت رمالها .. ليستقر بها المقام بعد رحلة عناءٍ وعرة في وادي السلام[١] .. رقدت فاطمة، هدأت واستغرقت في نومٍ عميق ..

دفنوا فاطمة، دفنوا قامتها الحلوة، دفنوا ابتسامتها العذبة، دفنوها وأهالوا التراب عليها .. لكنهم لم يدفنوا مبادئها وأهدافها، فالشهداء لا يموتون، إنما الموتى هم المجرمون، والمتفرجون من الناس، المتفرجون علىٰ الظلم والمظلومين ولا يتحركون .. الأموات هم المُنظّرونَ الذين أدمنوا الدِعَة والرخاء ولا يستيقظون ..

لكِ الخلود أُختاه، ولأعدائك الفناء، ولكلِ المحايدين العار.

ماتت فاطمة، وصعدت روحها الىٰ بارئها وتركت علىٰ الأرض ثوباً ممزقاً يُسمّونه الجسد، لكنه ثوبٌ مُضمّخٌ بالدماء ـ دماء الشهادة والإباء ـ، حَملَ آثار الجريمة وبصمات المجرمين ..

---

١ - مقبرة عتيدة وكبيرة تقع شمال مدينة النجف الأشرف.

وهكذا أُسدل الستار علىٰ زينبية رائدة كانت تعني لنا الكثير .. كانت تعني لنا الأمل والغد ..

لك الله أُختاه ، ياحبيتاه ، أيتها الطيبة .. ياقِلادة الرافدين التي انفرطت حباتها .. يامن عشقناك مازحة .. عشقناك صامدة .. عشقناكِ صامتة ، يامَنْ في رحيلك خسرنا الكثير .. رحلتِ والعيون تتطلع الىٰ همّتك وذروة عطائك ..

نعم قتلوا فاطمة .. أنضبوا نهر حياتها وهي في ذروة الفيض والعطاء .. فغادرت الدنيا ولها من العمر «٢٢» ربيعاً ، غير انه في حساب القيم حياة بطول التاريخ .

وهكذا انطفأ أحد مشاعل النور في ليل العراق الطويل .. ولكنكِ أُخيتي لم تغيبي عنّا لحظةً رغم السنين العجاف .. فها هو وجهكِ يطلّ علينا كلَّ ليلة بين أنجُم السماء يسدّد خُطانا المبعثرة .. وها هي ابتسامتك تملأُ نفوسنا إشراقاً وتُبدّد عن قلوبنا كُلَّ جزعٍ ويأس ..

وأنتَ أيّها الدهر متىٰ تُكفّر عن خطاياك .. فبالموت غيّبتَ فاطمة عنّا .. آهٍ ما أقسىٰ غياب الربيع وجفاف الينابيع حيث الأرواح عطشىٰ ..

لقد عشقناكِ أيتها الزينبية ، يامن تَلفّعت بالعباءة الفاطمية .. تباركت أيامُكِ الزارعات فينا الثقة والأمل .. إهنئي أُخيتي وقرّي عيناً ، فالاعصار مازال يؤرّق عروش الفراعنة الطغاة ..

سلاماً علىٰ القلب الذي أدمته الهموم ، سلاماً علىٰ النهر العذب في صحرائنا القاحلة .. سلاماً والأرواح عطشىٰ ، سلاماً والحَشاشات قد ارتمت علىٰ رصيف الحزن والبُكاء ، سلاماً علىٰ التي اقتحمت علىٰ الموت معاقلة وانتزعت منه الشهادة .. سلاماً علىٰ الجبل الشامخ الذي لم تَفُتَّ به أمطار المحنِ وعواصف البلاء .. سلاماً علىٰ التي ترصّعت هامتها بأوسمة العِزّة والفخار .. سلاماً علىٰ التي منحت نساء العراق عِزّاً ومجداً .. سلاماً ياجرحنا القاني الذي حمل عذاب المخدرات في أرض المقدسات .. سلاماً ياحزننا السرمدي .. سلاماً أُخيّة .. لانطيق الوداع .

أهدئي أُخيتي واهنئي .. لقد أرادوا لكِ أن تموتي ورأسكِ مُنحنٍ ذليل ، وأراد الله لكِ الشهادة ورأسكِ في حُضن الزهراء البتول عليها السلام .

إهنئي فستشرق شمس العدالة يوماً يافاطمة ، وحين تشرق فأوّل إشراقتها علىٰ

قبور الشهداء ، ستشرق من أجلهم وبتضحياتهم .. نعم ستشرق شمس الثورة الإسلامية علىٰ قبر شهيدنا الصدر الحبيب وعلىٰ قبر أُخته المظلومة آمنة وعلى جميع القبور المهجورة لشهدائنا المجهولين .. وسيسأل الناس ، كل الناس ، عن قبور الشهداء واحداً واحداً ، ليزوروا ينابيع النور التي أزالت ظلمة الظالمين وأزاحت كابوس الاضطهاد من علىٰ صدورهم .. وسيتوقفوا عند قبركِ فاطمة طويلاً طويلاً متسائلين والدمع يترقرق في أعيُنهم: كيف يهيلون التُراب علىٰ مناجم الذهب ؟!



زنابق .. وسنابك[1]

الى الشهيدة العلوية (فاطمة) وزوجها الشهيد السيد (جمال) في عرسهما الملائكي

قمرٌ ..
وساقيةٌ
ونهرٌ ..
وابتسامتها الرقيقة
أورقت فوق المشانقِ
أغنياتٍ حالمةْ ..
عصفورة حطّت على
كتف المدينةِ
فاستضافت
في جنائنها الربيعَ
وكحّلت بسناء بهجتها
العيونَ النائمةْ ..
دمها المذهّبُ كالشروقِ
وكالحريق
لهيبُ لهفتها المُشِعُّ
على انكسارات الطريقِ
رموشُها ..
أهدابُها ..
نظراتُها النجلاءُ أهدت
للسماء نجومَها

1- معروف عبدالمجيد : أديب مصري من مواليد عام ١٩٥٢م ، من أسرة تعتنق المذهب الإسلامي الشافعي .. درس الآداب واللغات السامية في جامعة الأزهر والنقوش السامية في جامعة روما في إيطاليا والآثار الكلاسيكية اليونانية والرومانية في جامعتي زيوريخ في سويسرا وغوتنغن في المانيا .. اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام سنة ١٩٨٤م .. صدر له العديد من الكتب الأدبية والروايات والدواوين الشعرية .

رسمت علىٰ أجفانها
فصلَ الخلاصِ
فأزهرت
وهيَ التي من قبلُ
كانت غائمةْ .. !
وتمايلت (بغدادُ)
ترفل في عباءة مجدها المغزولِ
من شفقٍ تزركش بالخلودِ
تجوب أروقة الزمانِ
وتستعيد ملامحَ الفجر التليدِ
علىٰ ضفاف الشرقِ
ثم تمهلت بين النخيلِ
وواحةِ القصب الموشّىٰ
بانعكاسات الأصيلِ
وسجّلت فوق المرايا العائمةْ ..
: أنا من هزمتُ الليلَ
والجلادَ
.. في سجني
وأحكمت القيودَ
علىٰ الأيادي الآثمةْ ..
أنا (زينبُ) فيِ محنتي
لكنَّ إسمي ..
(فاطمةْ) .. !

❊ ❊ ❊

ياسلّةَ الريحانِ
تعبق بالشذىٰ
وتضوع في المدن الحزينةْ ..
يابدرَ (سامراءَ)
يخترق الظلامَ
ويفرشُ الصحراء بالضوء
المقدسِ
والسكينةْ ..
ياقبةَ (النجفِ) التي
شمخت
علىٰ رغم الشدائد
والمكائد
.. والضغينة ..
ياروضةً في (الكاظميةِ)
عندها ترتاح أفئدة الأحبة
من لواعجها الدفينةْ ..
ياخيمةً في (كربلاءَ)
تلونت بندىٰ الزنابقِ
حين داستها السنابكْ
فاستطالت في الفضاءِ
مآذناً ..
ما بين (مكة) و (الرصافةِ)
و (المدينه) ..
ياجذوةَ العشقِ
التي اتقدت
فليست تنطفيءْ ..
قَدَرُ الشهيد بأن
يكابد في
مسيرته الظمأ ..
حتىٰ إذا رحل العطاشىٰ
نحو سارية الغروبِ
توقف المدُّ المعاكسُ

والبحارُ تيبّست ..
لاموجَ ..
لاميناءَ ..
لامرسىً ..
.. ولا سفينهْ .. !

* * *

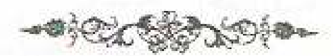
رقص النهارُ
علىٰ جبينكِ ..
فانطوىٰ عهد المحالْ ..
عيناكِ حقل كواكبٍ
ويداكِ دوحة برتقالْ ..
وخيالكِ الوسنانُ
يخطر في الربىٰ
.. كالجِراح
كالطعنات
كاللحن الذبيح
يلوح من بين الطلالْ ..
وعلىٰ يمينكِ كربلاءُ
تفجرت منها العيونُ
وأينعت فيها الرمالْ ..
خيط منَ الدم
بات حدّاً فاصلاً
بين الحقيقةِ
والخيالْ .. !
وهناك تستبق الخيولُ
إلى الحتوفِ
وهناك يصطرع الرجالْ ..
والشمس في كبد السماءِ
حمامةٌ عذراءُ
تخفق بالجناح
وتشرئبُّ علىٰ المنايا
.. والأفاعي
والذئاب
وتستحيل علىٰ الأسنّةِ
والنصالْ ..
سمراءُ .. ياحُسْنَ (العراقِ)
وياحكايا الصيفِ
ياحلم الصبايا ..
يارؤىٰ الغزلانِ
في عرس التلالْ ..
فستانكِ المنقوعُ في الدمِ
بردةٌ حمراءُ
أهداها (الحسينُ) إليكِ
في ليل الوصالْ ..
خِدْرُ الشهيدةِ
جنةُ الخلدِ الوريفةُ
فانعمي في محفل العشاقِ
ياأحلىٰ العرائسِ
واحملي شوق (الفراتِ)
الىٰ ..
(جمالْ) .. !

معروف عبد المجيد
٣٠/ربيع الأول/ ١٤٢٣هـ
قم المقدسة

فُجأةً

فُجأةً
إنتشلوني من ظِلالي وضَلالي
كانت الدنيا مَتاعاً
حيثُ ما كنتُ
واحلامي كِثارٌ لا تُدانيها
الليالي
بَيْدَ أني
كنتُ فِي سرّي وَقوداً لانطفائي
كنتُ أدري
أنني في قلعةٍ جرداءَ إلّا من
ضياعي
قلعةٍ تحجبُ عن روحي
جذوري وانتمائي
صرخاتٌ بين جنبيَّ تجيشُ
أيَّ أحلامٍ تُرى كنتُ أعيشُ
وإذا بي
فُجأةً
تهطلُ من علياءِ ربي رحماتٌ
ترسمُ الدربَ فسيحاً
قال لي:
لا تخافي واطمئني للغدِ
قلت: كيف؟ !
قال لي: جئتُ لاعطيكِ الخلودَ
الأبديْ
فمضيتُ
وَمِن الفردوسِ عَذْباً، ارتويتُ
ومضيتُ
فاستحالتْ حَرَكاتي سَكَناتي
كُل أنفاسي عبادةْ
عندها الأملاكُ جاءَتْ
توّجتني بالشهادة .

محمد جعفر الحسيني
عيد الأضحى المبارك / ١٤٢٢هـ
قم المقدسة



الفصل السابع

الشهيدة عواطف : الجسد المُمزَّق بين كُرسي الكهربا، وتجارب الكيمياء

* قرابين الفجر الموعود
* السيرة الذاتية
* جحيم في شهر العسل
* الجلّاد عامر .. الذئب
* الاختراق المر والاعتراف
* ضريبة حرق المراحل
* مخاض في زنزانات التعذيب
* الفطام القهري
* توديع تويجات الزنابق
* بغداد لِمَ هذا التثاؤب ؟!
* مهرجان الاعدام الجماعي
* أنين الصحارى
* الفرحة بعد صلاة الوحشة
* تجارب الكيمياء وكرسي الكهرباء
* شهيدة في أربعينية شهيدة



الشهيدة السعيدة عواطف الحمداني

ـ حكمت محكمة الثورة على الخائنة عواطف نوري الحمداني بالاعدام شنقاً حتى الموت .

المجرم اللواء مسلم الجبوري

ـ خذوا ابنتي «دُعاء» لئلّا تُعيقني عن نيل الشهادة .

الشهيدة السعيدة عواطف نوري الحمداني

عواطف !

ياوردة ربيعية عصفت بها رياح الزمهرير ..

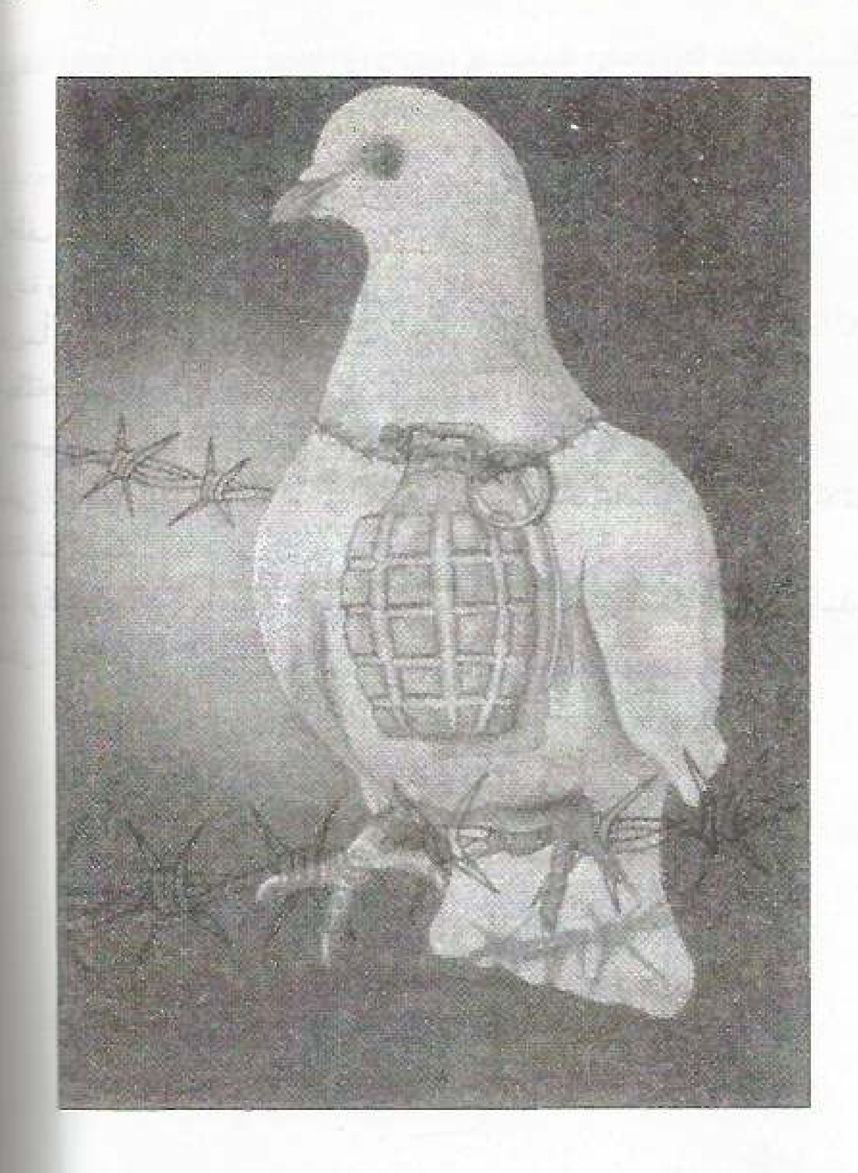
ويارِيماً تخطَّفَتهُ ذئاب الليل المجنونة ..

ويابطلة المقاومة وراية التحدّي في زمن الهزيمة والخنوع ..

إن "جميلة بوحيرد" تنحني إجلالاً لبسالتكِ .

سيبقىٰ استشهادك علىٰ هذا النحو الفجيع ادانة لهذا العصر المثقَل بالخطيئة والاثم ، وادانة لنا جميعاً ..

لأننا تركناكِ تقاتلين وحيدة ، نظاماً متوحشاً مدجّجاً بكلّ وسائل التعذيب واسلحة الدمار .



..هداء :

الى الصامتة التي امتلأت حكايا ..

الى الصامدة التي تمزقت صبراً ..

الى الأمنيات الضائعة ، لأجل أُمنية الشهادة ..

الىٰ مخاض الزنازين .. الىٰ الفطام القهري ..

الىٰ التي كانت ـ دوماً ـ تدعو الىٰ الشهادة فكانت أم دُعاء ..

فالىٰ روح أم دعاء ، أهدي هذه الكلمات .. وأرجو من الله القبول.



قرابين الفجر الموعود

قارئي العزيز ، مرةً أخرىٰ أدعوك لتركب معي زورق الذكريات الذي ما زال يمخر في عباب بحر الطاغوت بأتجاه ميناء الشهادة حيث قرابين الفجر الموعود.

ونحنُ نحرصُ ـ في كلِّ مرّة ـ أن نختار نماذج منتقاة من شهيدات رائدات ، كل واحدة منهنَّ تمثّل كوكبة خيّرة من شرائح العمل النسوي ، حيث ماتزال مناجل الشر تجتث أزهار الخير والفضيلة من علىٰ أرض العراق الطيبة ..

ذئاب تربّت في مستنقعات الرذيلة ، حتىٰ صار من طبعها أن تفترس من غير جوع ، اللهم سوىٰ شهوة القتل وزهق الأرواح!

باقة عطرة من ورود الحرية الحمراء ، امتدّت لها يد الفرعون لتنتزعها من حديقة الزهراء عليها السلام.

ثلاث زينبيات امتلأن حشمةً ووقاراً ، مُكلّلات بأبراد العفّة والفضيلة ، كُنَّ من خيرة الفتيات اللاتي تتوجت بهنَّ تلك المرحلة من تاريخ عراقنا المقهور .. حصد الطاغوت البعثي أنفاس الحياة من علىٰ صدورهنَّ ..

إحداهُنَّ داسها الغول البعثي ، فكانت العلوية (فاطمة الحسيني الطالقاني) وإثنتان بقيتا ينتظران الموت بشموخٍ وكبرياء فكانتا : (عواطف الحمداني وأمل الرُبيعي) ..

فلنعطِّر أرواحنا بأريج إحداهُنَّ ، ولنرجع الىٰ الأخرىٰ في فصلٍ قادم إن شاء الله ..

فاليك قارئي العزيز سطوراً ناصعة من سجلِّ حياةٍ بطلةٍ .. إنها الشهيدة عواطف الحمداني .

الهوية الشخصية

الاسم : عواطف نوري الحمداني

المواليد : «١٩٦١م» ، بغداد – منطقة الحرّية – وقد إنتقلت الأسرة فيما بعد الىٰ منطقة القادسية ببغداد .

المستوىٰ الدراسي : الجامعة التكنولوجيا ببغداد ، هندسة الكترونيك – المرحلة الثالثة

الحالة الزوجية : تزوجت في «١٩٨١/٩م» من الشهيد «علي ناصر الشاوي[١]»

مواصفاتها : عواطف فتاة جميلة ذات وجه بيضوي ناصع البياض ، وطول متوسط رشيق .. أخوها هو الشهيد البطل (زَفَل نوري الحمداني) .

تاريخ الإعتقال : (١٩٨١/١١م) .

التهمة : قضية تنظيم + قضية سلاح .

سبب الإعتقال : إختراق .

جهة الإعتقال : مديرية الأمن العامة .

الجلاد : رائد عامر + ملازم حازم

المحكمة : محكمة (الثورة) العسكرية .

القاضي : المرافعة الأولىٰ في ١٩٨٢/٩/٣٠م المجرم مسلم الجبوري .. والمرافعة الثانية للاعدام في ١٩٨٢/١١/١٥م المجرم عوّاد البندر.

تاريخ الإستشهاد : مطلع عام «١٩٨٣م» في سجن أبو غريب المركزي – قاطع الاعدام النسوي – وكان لها من العمر «٢٢» ربيعاً .

---

١ – الشهيد علي ناصر الشاوي؛ من مواليد الكوت (الحيّاوية) إنتقل الىٰ العاصمة بغداد للسكن والتجارة والعمل الجهادي العسكري .

السيرة الذاتية

ولدت عواطف في بغداد ، من عائلة شيعية غير متدينة ، تسكن مدينة (الحرية) الشعبية المجاورة لمدينة الكاظمية المقدسة .. إنسلخت هي وأخوها «رَفَل»[1] عن الجو العائلي الضاغط الذي يحيط بها .. فهي ذات مستوىً ديني وثقافي عالٍ جداً.

تفوقت في دروسها حتىٰ حصلت علىٰ معدّلٍ عالٍ سمح لها بدخول الجامعة التكنولوجيّة ببغداد ، وتلك كانت أُمنيتها منذ صباها .

كانت عواطف متزنة متواضعة ، واسعة الذهن دمثة الطبع .. سمات الإيمان والتدين واضحة علىٰ معالم وجهها ، ذات روحية تعبدية متميزة وسلوكية محبوبة لدىٰ الجميع ، فهي تتعفف من الاختلاط بشباب الجامعة وحتىٰ من الجلوس في النادي **(قاتلْ هواك بعقلك)**[2] .. وجهها الذي تميز بالجمال والوقار كان يشع نوراً وحيوية ، لذا وبسبب مازرقها الله من نعمة الجمال فقد اتخذت من غض البصر عادة جميلة ووقايةً من أعين الفضوليين ومرضىٰ القلوب ، سيما وقد انتقل أهلها للسكن في منطقة القادسية القريبة من منطقة الحارثية التي يقطنها أغلب رجال السلطة والحزب ، وهي منطقة حساسة ومعروفة بولائها للفرعون وباستغراقها في الدنيا . فكانت الفتاة المحجبة في تلك الأماكن تحتاج الىٰ شجاعةٍ وإرادة لكي تصمد أمام الشكوك والمضايقات التي تأتيها من الآخرين ، فضلاً عن مضايقات الأهل الذين كانوا يحرصون عليها ويخافون علىٰ مستقبلها من أفكارها !

تقول إحدىٰ صديقاتها السجينات[3] :

«عواطف صديقتي ، وتسكن في نفس الحي الذي اسكنه ـ منطقة القادسية ـ فهي طيبة وحنونة وقلبها صافٍ جداً وخالص لله ، كانت متعبدة زاهدة ، فهي رغم ثراء أهلها تعيش البساطة وترتدي العباءة والملابس المتواضعة .. اتذكّر كانت تأتيها أناشيد إسلامية كهدايا من صديقاتها في لبنان

---

١ ـ الشهيد السعيد (رَفَل) نال وسام الشهادة ـ فيما بعد ـ علىٰ يد المجرم الجلّاد رائد عامر .

٢ ـ نهج البلاغة / ١٢٨٥ .

٣ ـ السجينة المجاهدة نهلة هادي نجف ؛ طالبة في كلية الادارة والاقتصاد ـ جامعة بغداد ـ اعتقلت عام ١٩٨٢م بتهمة الانتماء للحركة الإسلامية ، وحكمت عليها محكمة (الثورة) العسكرية بالسجن سبع سنوات . أطلق سراحها في عام ١٩٨٦م.

فتوزعها علينا ، وتشجعنا على سماعها .

كان أهلها ـ رغم اخلاقهم الطيبة ـ غير ملتزمين دينياً ، فكانت هي واخوها الشهيد (رفل) كأنهم زهور نبتت بين الأشواك ، كانوا يرفضون الجو العائلي الذي كثيراً ما كان يسوده أغاني التلفزيون وما شابه» ..

لكن عواطف لم تركن الىٰ الدنيا ، فهي لم تنحنِ أمام ابتسامات الأيام الهادئة ولم تنخدع ببريق المستقبل العلمي المشرق الذي ينتظرها مادام مستقبل العراق مظلماً في ظل هذه العصابة التي تريد محق الدين .

لقد آمنت بطريق ذات الشوكة ، فهو – وحسب رأيها – الأصوب لنيل إحدىٰ الحسنيين ، فكانت تقول لمن يشكّك في صواب منهجها : (في عراقنا بالاضافة الىٰ نهري دجلة والفرات نهر ثالث هو نهر الدم الذي مازال يتحدّىٰ الجفاف ! فماذا تريديني أن أنسىٰ !؟ فالظلم لايطغىٰ الّا بالصمت والخنوع .. تلك هي بيانات الرسول : **«إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي ، سلّط الله عليهم شرارهم ، فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يُستجاب لهم»**[1] ، **«لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهنّ عن المنكر ، أو ليعمنّكم عذاب الله»**[2] . **«انّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علىٰ يديه أوشك ان يعمّهم الله بعقابٍ منه»**[3] .

لذا قررتْ المضي قُدماً في منهجها ، فسارت في دروب الجهاد بوعي ويقظة رغم ظروفها العائلية الخانقة والأمنيّة القلقة ، وصار زادها إحدىٰ الحسنيين ، بَيْد ان الشهادة كانت الاشراقة الأقرب الىٰ روحها من بين كل الأمنيات التي غرقت في بحر الظلام (إنّ الله قد جعل حُب الموت علامة الايمان)[4] .

نعم .. لقد إنسحبت من الجامعة بعد أن قرروا إعتقالها ، فأنطفأت شمعة الحُلم في أن تصبح مهندسة تنفع مجتمعها وبلدها .

---

(١) بحار الأنوار: ٧٢/١٠٠ .
(٢) الوسائل: ٤٠٧/١١ .
(٣) كنز العمال: ح ٥٥٧٥ .
(٤) المجاهد الكبير جمال الدين الافغاني .

زواج في ظرف استثنائي

كانت (عواطف) تشكّل رقماً فعّالاً في خلية نسوية مرتبطة بالخط العسكري الذي يشرف علىٰ مسؤوليته (علي ناصر الشاوي) ، وهو شاب مجاهد من مواليد ١٩٥٩م الكوت (الحي) ، خرّيج الدراسة الاعدادية ، متوسط الطول حنطي البشرة أخضر العينين .. شجاع دمث الأخلاق شفّاف سريع النكتة ، عالي الثقافة سياسي الحوار ، من عشاق المرجع الشهيد السيد الصدر فكراً ومنهجاً .. إنتقل الىٰ بغداد ليعمل في التجارة وليمارس نشاطه التنظيمي وليشرف فيما بعد علىٰ عمليات نقل السلاح وتوزيعه للخطوط والخلايا الفرعية العسكرية بين بغداد والمحافظات الأخرىٰ .

كان قد اختار (علي ناصر الحيّاوي) الإنتماء الىٰ تنظيمات حزب الدعوة الإسلامية ، وباخلاصه وتفانيه في ذات الله والوطن احتل موقعاً متقدماً ضمن مجموعة تؤمن بالعمل المسلح – الخط العسكري – الذي أصبح حينذاك خير الثائرين والمحرومين حيث كانت تلك المرحلة مرحلة مواجهة متقدمة مع النظام الجائر .. وبعد تسلّمه مسؤولية الخط وللضرورة قام باختيار مجموعة من الزينبيات اللاتي توفرت فيهنَّ روحية الإستشهاد وشروط الوعي العالي والدقة والحذر . وكانت عواطف إحدىٰ فتيات تلك الخلية النسوية المنتقاة والتي طالما ساعدته في نقل الأسلحة وتوزيعها عبر مفارز التفتيش علىٰ عدد من الخلايا الجهادية في تنظيمات الخط العسكري لحزب الدعوة الإسلامية .

استمر نشاط الخلية بنجاح ويقظة حتىٰ عام «١٩٨١م» وكانت عواطف قد تسلّقت هرم الخلية بنجاح حثيث وعزيمة ثابتة .. كان إخلاصها نادراً ، فقد امتازت بحيوية قلَّ نظيرها في بنات جيلها حتىٰ صار النشاط الجهادي والتضحوي سياحتها اليومية .. **«سياحة أُمتي الجهاد»**[1] .

ولأن الطاغوت قد زرع الرعب في كل شبرٍ من عراقنا الآمن ، فالمخبرون

---

١ - بحار الانوار، ج ٤٠: ٣٢٨.

وكلاء السلطة - والرفاق المرتزقة كانوا منتشرين في الشوارع والأزقة يحصون أنفاس المؤمنين ، حيث غاصت بغداد في أجواء من الرعب والدمار .

وعندما وجدت دوائر أمن النظام في (عواطف) عدوّاً لباطلهم قرروا اعتقالها فراقبوا المنزل ثم داهموه عدّة مرات ، لكنهم عجزوا عن العثور عليها بسبب يقظتها .. **«إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين، عينين في الرأس وعينين في القلب»**[١]

استمرت عواطف في مسيرة الدرب اللاحب رغم ظروف المطاردة والاختفاء لأنّ **(من يستغن يعمل جاهداً)**[٢] .

بعدها قررت - وأخوها - ترك المنزل هرباً من مداهمات ذئاب الأمن وليتحرّروا من سلطة الأهل ، فقد كان موقفهما - هي وأخيها - قوياً لاتراخٍ فيه حيث : **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[٣] .

تقول عواطف : «عندما قررنا الهرب من منزلنا المراقب ، ودّعت أهلي فرداً فرداً .. وها أنا مازلت أستشعر قطرات الدمع التي بلّلت وجهي والتي انهمرت من عيني أُمي .. سيما وان مسؤول الخلية (علي ناصر) قرر أن يتقدم لخطبتي ..» .

ولوحدة العمل وظروف الإختفاء قررا - علي الحيّاوي وعواطف الحمداني - أن يتزوجا ليكون تحركهما شرعياً ، سيما وقد وجدت (عواطف) فيه رجلاً مجاهداً مخلصاً أعطى لدينه ووطنه كل ما يملك من وقتٍ وجهد **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾**[٤] .

وهكذا تزوجت عواطف من علي ، وتمّ عقد الزواج في جوٍّ هادىءٍ بعيدٍ عن مظاهر البذخ وغلاء المهور .. وزُفّت اليه في ظروف خاصة غير مألوفة ، حيث لا أهل ولا خلّان ، اللهم إلّا القليل القليل .. كان ذلك في «١٩٨١/٩م» ، لذا كانت تسافر معه الىٰ بعض المحافظات لتنقل قطع السلاح عبر مفارز التفتيش وبنجاحٍ تام .

---

(١) تفسير العياشي ٢ / ٢٤٤ .

(٢) غرر الحكم / ٢٦٩ .

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٥، ص ٥٣١، تحقيق السيد جعفر الحسيني .

(٤) سورة النساء : ١٢٤ .

جحيم في شهر العسل !

تزوجا واختفيا في بيت متواضع[١] .. ورغم ذلك لم يدم عش الزوجية الاّ قليلاً.. كان حلماً ربيعياً سرعان ما انتهى.. لقد حلّقت السعادة بعيداً – والى الأبد – عن هذا القلب الطيب المتعب ، فقد تم اعتقالهما معاً أثناء قيامهما بمهمة نقل أسلحة في سيارتهما الخاصة ، حيث تم الايقاع بالبطلين بسبب اختراقٍ مُر ومكيدةٍ غادرة !

يقول أحد السجناء[٢] :

«اثناء فترة وجود الشهيد علي ناصر الشاوي (ابو دعاء) معي في الزنزانة كنا نتبادل الأحاديث فاخبرني بمواقف بطولية تخص زوجته الشهيدة عواطف (ام دعاء) أحرص على ذكر موقفين منها مازالتا تحتفظ بهما الذاكرة ..

يقول الشهيد : كانت زوجتي (أم دعاء) تشاركني في اغلب النشاطات الحزبية والمهمات الجهادية العسكرية .. وفي إحدى المرات وبينما كنا في مهمة خطرة كشفتنا إحدى مفارز أمن النظام وتمت مطاردتنا في شوارع بغداد الرئيسية واستمرت الملاحقة رغم محاولات التضليل في الشوارع والفروع الضيقة .. وبعد جولة طويلة في الأزقة السكنية تم الافلات منهم .. في هذه الأثناء حدثت مفارقة غير متوقعة ، إذ وبسبب السرعة اصطدمت سيارتنا بسياج احد البيوت واحدثت فيه اضراراً كبيرة ، فخرجت العائلة منزعجة مُحتجّة إلّا انني هدئت من روعهم وقلت لهم «هذه زوجتي وسيارتي رهينة عندكم لحين جلب من يبني الجدار ويعيد كل شيء» فوافقوا .. فادخلت السيارة في الكراج وبقيت زوجتي عندهم.

استغرق بناء وترتيب كل شيء ثلاث ساعات كانت (أم دعاء) خلالها قد القت على اهل البيت محاضرة إسلامية صادقة هادفة بمحاور متعددة وباسلوب شيقٍ سهل - بعد ان لمست عدم التزام الوالدان والابناء بالعبادات - وكانت النتيجة رائعة ، إذ اهتدى جميع افراد العائلة وعاهدوها على الالتزام بالصلاة والصيام وبالعبادات والواجبات الأخرى ، بل ولم يسمحوا لنا بمغادرة البيت إلّا بعد تناول طعام العشاء وبعد ان اعطتهم (أم دعاء) عهداً بزيارتهم بشكلٍ دوريّ ليبرهنوا لها على مدى تأثرهم بأخلاقها وبحديثها ونصائحها .. ودّعناهم وكاننا نعرف بعضنا منذ زمنٍ بعيد ، خرجنا والدمعة تملأ

---

١ – حضر زفاف الشهيدة عواطف : الأخت السجينة «أ . ح . ح» وزوجها الشهيد «...» فقط.

٢ – السجين (أبو عقيل الفرطوسي) : داعية قديم أعتقل في أحداث رجب عام ١٩٧٩ م وأطلق سراحه ، ثم أُعتقل مرّة أخرى ١٩٨٢/٧/٢٩م فسجن وخرج من (أبو غريب) يوم ١٩٩١/١٢/٢٢م .. ووصل أرض الأمان - إيران - عام ١٩٩٣م.

وجبي لهذا التغيير المفاجىء الذي طرأ على هؤلاء الناس ، اما (أم دعاء) فكانت تتمتم وتقول : «شكراً لك يارب ، قُربُ ضارة نافعة» .

اما الموقف الثاني .. يقول الشهيد ابو دُعاء :

كنّا - انا وأم دُعاء - في مهمة لنقل عدد كبير من المتفجرات - القنابل اليدوية - الى مكانٍ ما في بغداد من خلال حقيبة يدوية بلاستيكية متواضعة - زمبيل - وبينما كنّا نمشي راجلين وإذا بأحد أزلام أمن النظام قد لمحني وعرفني ، فشهر سلاحه وأجبرنا على الوقوف والاستسلام ولم تنفع معه كل أساليب الانكار والتضليل[١] ، وهمّ بنقلنا لأقرب دائرة امن ومن خلال باصٍ لمصلحة نقل الركاب كان صدفة قد وقف بقربنا . فلم يسعني إلّا أن دفعته بقوة الى داخل باص المصلحة ، ولم يجمع قواه المطاردتي إلّا وانا قد اختفيت تماماً ، فحاول اللحاق بأم دُعاء التي بدورها هرولت صوب سيّارة تحمل رقم (إدخال كمركي موقت) يقودها رجل أجنبي وفيها باب متحرك (سلايد) فسحبته ورمت بنفسها داخل السيارة التي لم تزل تتحرك بسرعة ، واقنعت السائق - وباللغة الانجليزية التي كانت تتقنها بطلاقة - بمساعدتها وبالتالي نقلها الى مكانٍ آمن .. فكانت فرحتي كبيرة حينما وجدت (أم دعاء) عند مدخل الزقاق آمنة تنتظرني بقلق» .

تقول إحدىٰ السجينات[٢] :

«تزوجت عواطف من المجاهد علي ناصر .. عملت معهُ واعطته كل جهدها وحياتها ..

إعتقلت وكانت حامل لثلاثة اشهر ..

واعتقلوا في نفس الوقت بنت عمها (آمال الحمداني) وابناء خالتها «اركان وإحسان وقحطان وجنان) وهم من بيت (علاء الكاضمي) . حيث حكموا على (اركان علاء) بالاعدام وعلى الباقين بالسجن وباحكام مختلفة» .

تقول سجينة أُخرىٰ[٣] :

«... وكانوا معنا أيضاً أم الشهيدة عواطف وخالتها أم الشهيد أركان .. بقوا معنا عدّة أشهر ثم اطلق سراحهم بلا محاكمة» .

---

(١) - كانت قد وزّعت صور الشهيد (أبو دُعاء) على أغلب دوائر أمن النظام في بغداد بسبب كثافة نشاطه العسكري وكثرة الاعترافات من زنازين التعذيب ضده .

(٢) - الأخت الفاضلة السجينة نهلة هادي نجف .

(٣) - أم الشُهداء الحاجّة أم رعد البصري .

وتضيف سجينة ثالثة[١] :

«كانت عواطف وزوجها ، يتنقلان من بيت لآخر لأن رجال أمن السلطة كانوا يطاردونهم ويبحثون عنهم .

كان لديهم خط كبير وقوي ومتفرع ـ ضمن تنظيمات حزب الدعوة الإسلامية ببغداد ـ فلما إعتقلوهما كان التعذيب قاسٍ جداً وبمستوى نشاطهم».

مديرية الرعب والدم

تمّ نقلهما الىٰ مديرية الأمن العامة ، وفُرِّق بينهما ، فأبعد الزوج مخلّفاً وراءه جنيناً في أحشاء زوجته .

وماهي الّا ساعة حتىٰ استقرت (عواطف) في الشعبة الخامسة في مديرية الأمن العامة ببغداد ، وهي شعبة مختصة باستئصال النشاط الإسلامي ..

كان الجلاد المشرف علىٰ تعذيبهما – هي وزوجها – المجرم الرائد (عامر) معاون مدير الشعبة الخامسة وأحد مساعديه المدعو الملازم أول (حازم) .

الجلاد عامر... الذئب

وقد يرغب القارىء الكريم أن يطّلع قليلاً علىٰ صفات هذا المخلوق (الجلاد عامر) الذي يمثل نمطاً من الرجال دنيئاً !

مجرم برتبة رائد يُكنّىٰ بعدّة أسماء – للتعتيم مخافة الرصد – منها (فيصل الهلالي) و (عادل) ، متوسط الطول ، ضعيف قليلاً ، ذو وجه أصفر شاحب وشاربين كثيفين .. عمره في بداية سني الثمانيات قد تجاوز الخامسة والثلاثين عاماً .. يُلقِّبه معاونوه بـ (الذيب) لانه حين يغضب يصرخ بضحيته عاوياً كالذئب.

كان له نشاط اجرامي فاعل في مديرية أمن البصرة ، ثم نُقل عام «١٩٨٠م» الى مديرية أمن الكاظمية ومن ثم الىٰ مديرية الأمن العامة – الشعبة الخامسة .

---

١ – الأخت الفاضلة السجينة سميرة الشيخ فاضل الحياوي .

جلاد مُتهتّك أثيم يتميز بحقدٍ أصفر لئيم يُحار المرء في معرفة أسبابه .. يمتلك نفساً شريرة ، يمعن في التعذيب والتنكيل لما يتأجّج في قلبه من براكين الحقد الأسود على المؤمنين .

وقد أطلق لشهوته العنان في تقتيل رجال العراق الصالحين ونسائه المخدّرات المؤمنات ، بصورةٍ مريعةٍ متوحشة ...

تمثّلت وقاحته ودناءته على أبشع صورها في تعذيب النساء المجاهدات عرايا وبأعصاب باردة!

تجدهُ يبدأ التحقيق وطرح الأسئلة بكل هدوء واحترام .. لكنك - وبسهولة - تجد في عينيه حقداً متوقداً وناراً مستعرةً ..

هو جلّاد دموي حقود شديد البطش ، تمرّس الجريمة وقتل أهل الحق إنتقاماً لنقائص في خُلقه وضميره .

دمويته تترفع عن مثلها الضواري ووحوش الغاب ، فآثار الدماء في غرفة التعذيب - التي جعل منها مقره الدائم - مشهد يومي مألوف .

كثيرٌ هم الذين فَجعهم هذا اللعين ، فهو يعذّب الضحية ولا يتركها حتى تعترف أو تُزهق روحها!

كل ذلك ليجعل من رضا أسياده سبيلاً للمنفعة .. لانه لا غاية له إلّا الرتوع في ملذات الدنيا .

ولما يتمتع به هذا الجلّاد من مواصفات ، وما قام به من أعمال وانجازات فقد أهدى له سيّدهُ الطاغية (صدام) عام «١٩٨٢م» سيارة موديل حديث ونادر نوع (مازدا) حمراء اللون .

يساعده في التحقيق نقيب (عدنان) ونقيب (قاسم) وملازم أول (حازم) ، حيث تقع غرفتهم قبال غرفة التعذيب التي يفصلها ممر عرضه (٣) متراً ، أما المراتب الذين يساعدونه في تعذيب الضحية فهم كل من (نجاة) من بغداد - وكان حاقداً قد آذى المؤمنين كثيراً - و(آصف) السجّان المتوحش و(قيس) من الموصل و(طلال) من البصرة وثالث يُلقَّب بـ(الگدَع) من بغداد و(كاظم) من بغداد .. وهؤلاء الأوغاد كان

أغلبهم يتّصف بطلعة جميلة وبمنطق لطيف ، ولو صادف أن رأيتهم في شوارع بغداد ـ مثلاً ـ فسوف لن تميزهم عن الآخرين .. فليس شرطاً أن يكون الجلاد أو المجرم ذا وجه بشع أو ذا سلوكٍ منحرفٍ واضح .

ينفرد الجلاد – رائد عامر – بخصيصة إجرامية يعرفها أغلب ضحاياه ، وهي تعذيب المؤمنين والمؤمنات بأعصابٍ باردة ، ولكن حينما يغضب يضرب ضحيته بالكرسي الحديدي الذي يجلس عليه وبشراسة حتىٰ يقتل ضحيته أو يجعلها تنزف دماً!

ففي أحد الأيام الأخيرة من شهر ١٩٨٢/٥م ـ وهي أيام ساخنة علىٰ المعتقلين جرّاء الإنسحاب (التكتيكي) من مدينة المحمّرة ! علىٰ حدّ تعبير البيانات العسكرية العراقية ! ـ جاءه المدعو (الگدع) مهرولاً ليخبره أن إحدىٰ الفتيات في غرفة النساء[1] منعت الآخرين من التوقيع علىٰ استمارات خاصة تتضمن إعترافات مزورة وحذّرتهن من الخديعة – وصادف أن كان في تلك الأثناء أحد الضحايا[2] مازال معلّقاً في سقف الغرفة قيد التعذيب – فقال باللهجة العاميّة :

– سيدي ، وحدة بنيّة صرخت بالنساء وحذرتهن من التوقيع علىٰ الأوراق وگالت إلهن لاتوقعن ، هذه خدعة ..

بدأ الجلاد (عامر) يصرخ بالگدَع آمراً له بجلب الفتاة .

– روح بسرعة جيبيهه ..

وما هي إلّا دقيقة حتىٰ جيء بفتاة في سن العشرين متلفّعة بعباءتها تُجرُّ جراً قاسياً .. وما أن إستقرت أمام هذا الوحش المسمىٰ (عامر) حتىٰ قام نحوها ، رافعاً كُرسيّه بكلتا يديه ، فضربها علىٰ رأسها ، صارخاً بها :

– بنت الـ..... ، صايرة هنا بنت الهدىٰ!

خرّت الفتاة الىٰ الأرض هامدةً !! ثمّ أمر بسحلها الىٰ خارج الغرفة والدماء تخطُّ وراءها ..

١ – غرفة كبيرة تقع بعد الأنتهاء من السُلّم المؤدي الىٰ ممّر الشعبة الخامسة – بداية الممر – مخصّصة للنساء قيد التحقيق والتعذيب.

٢ – علي العراقي.

ومع أن الشاهد كان في شبه غيبوبة – من أثر التعذيب – لكنه يعتقد أن الفتاة قد فارقت الحياة !!

وفي ظهيرة أحد الأيام من صيف حزيران عام «١٩٨٢م» ، حيث كان الشاهد[١] مربوطاً – وقوفاً – عند باب غرفة التعذيب باتجاه الممر ، ينتظر دوره .. جيء برجل طويل أسمر ، قد تجاوز الأربعين ، اسمه (علي عبد عطيّة السوداني) من أهالي العمارة .

بدأ هذا المجرم – عامر – بالتحقيق معه وللمرة الخامسة .. كان يعذبه بكل مالديه من وحشية ولؤم .. حتىٰ عجز تماماً عن أن ينتزع من البطل كلمة واحدة .. فأمر بجلب والدته وكانت عجوزاً تم احضارها مسبقاً .. بدأ المجرم يعذب المرأة العجوز أمام عيني ولدها المكبّل ، وكان معلّقاً بالسقف عارياً إلّا من إباء الرجال وتحدّي الفرسان .. كانت الأم تصرخ حتىٰ أُغمي عليها من التعذيب فسحلوها الىٰ الخارج ..

ولكن البطل مازال صامداً صابراً لم ينطق ولم يعترف ، وكان يزفر بصوت عالٍ وأنين قاسٍ ..

ولكن الجلاد لم ييأس ، فأمر بجلب زوجته وكرّر معها ما فعله بالمرأة العجوز ، وكان صراخ زوجته يتعالىٰ ويملأ غُرف الممر .. لقد صمد البطل (علي) ولم ينحن ، لكنه هذه المرّة صار يئن بصوتٍ كأنه ـ وربّي ـ زئير أسد .. كان الصراخ يتصاعد من زوجته التي صارت تردّد كلمة (علي) بتوسل وتكرار حتىٰ تلاشىٰ صوتها وأغمي عليها ..

كان زئير الأسد يتصاعد . وكان الجلاد يصرخ كأنه ذئب يعوي .. فرفع الكرسي وأهوىٰ به علىٰ البطل الصامد وبكل ما يملك من قوة .. وراح يضربه بقسوةٍ وفظاظة واصفاً إيّاه بعديم الشرف والمروءة ! لانه – علي – فضّل استباحة حرمة والدته وزوجته دون أن يعترف !!

تلاشىٰ زئير الأسد واختفىٰ تماماً ..

١- المصدر السابق .

ويضيف الشاهد :

أعتقد أن البطل قد فارق الحياة ! لأن الجلاد (عامر) صار يـدور فـي الغرفة يصرخ ويقول :

«مو حرامات هيچ رجال يخونون العراق !! جبناء ، مو حرامات» .

ولم يكن الشهيد (علي السوداني) البطل الأول ولا الأخير في قـوائـم رجـال العقيدة الذين كسروا كبرياء وجبروت هذا الجلّاد العاتي الذي طالما تـفاخر أمام رؤوسائه مغروراً بسطوته في انتزاع الأسرار من صدور الابطال[١] .. فقد نقل الشهيد (علي ناصر الشاوي)[٢] ان هذا المجرم أوغل في تعذيب أحد الابطال من مدينة النجف الاشرف واسمه (سعد رُجيب) الذي صرخ في وجهه ببسالة عجيبة : «اسمع عامر ؛ أنا وكما تعلم عندي تنظيم ، وفي صدري أسرار مائة مجاهد ، وأتحداك في امكانية انتزاع اسماً واحداً ...» فَقَدَ الجلّاد عامر توازنه وجنَّ جنونه ، فاستخدم معه أبشع أنواع وأدوات التعذيب ، فعجز فعلاً عن معرفة أسماً أو اعترافاً ، لذا أرسل لاعتقال عائلته وعذّب أُمه ثم أُخته أمام عينه - وهو معلّق بالسقف - فلم يعترف فقام وأمسك رضيعاً من قدميه وصار يرطمه بجدار الغرفة ، غير ان البطل صمد ولم يضعف .. وبقي هكذا حتىٰ استشهد وفاضت روحه الطاهرة فكان من الصادقين .

ويقول أحد الأخوة السجناء :[٣]

«جيء بفتاة من القاعة الواقعة في نهاية ممر الشعبة الخامسة في مديرية الأمن العامة ببغداد جاءوا بها ملفوفة بالبطانية الى الجلاد (عامر) وكانت لا تقبل الإعتراف ..

ولما ضربها واقترب منها بصقت في وجهه ، فلطمها فسالت الدماء منها» .

ويضيف الشاهد قائلاً : **«لم أرها بعد ذلك» .. معتقداً انهم قتلوها ..**

---

١ - كان من عادته يتغطرس ويشترط على السجين أن يأتيه بخمسة أسماء تتوفر فيهم خمسة شروط هي : (ان يكون الشخص الذي سيعترف عليه حيّاً يُرزق وان يكون داخل العراق وليس هارباً مستقراً في إيران ، وان يكون معه بالتنظيم أو بالعمل الجهادي ، وان لا يكون مسجوناً ومحكوم عليه بالاعدام وان لا يكون من خصومه - لان كثير من المؤمنين قد اعترفوا على بعض مخلصين) .

٢ - نقلاً عن رفيق زنزانته السجين (علي هلبُل الشمري) .

٣ - ثائر مظلوم .

هذا هو المجرم الجلاد «عامر» .. هذا هو ذئب الشعبة الخامسة ..

وبهذا الاستعراض الخاطف والذي لا يمثل إلّا جزءً يسيراً من حقيقة جلادي حزب البعث التكريتي ، نستطيع أن نثبت للعالم أيَّ شعبٍ نحن ، وأيَّ مظلوميةٍ نُعاني ، وأيَّ مغولٍ نُقاتل !

صمود .. ولكن !

قررت (عواطف) إخفاء حملها ، لانها تعرف أن الوسائل المستخدمة لتعذيب (المتزوجة) ستكون أكثر تركيزاً علىٰ إذلال الروح من الجسد!

فبالرغم من التعذيب الوحشي الذي تَعرّضت لهُ (عواطف) والذي شمل كل مناطق الجسد ، شاء الله أن يصمد الجنين الذي في أحشائها كما صمدت هي !

ومع كُلِّ ذلك لم يكتفي الجلاوزة من أنْ تمتد أيديهم الأثيمة الىٰ جسدها الطاهر .. فمارسوا معها تعذيباً يخجل من ممارستهُ حتىٰ وحوش الغاب ، لقد رسموا علىٰ جسدها همجية حزب البعث العربي الاشتراكي ! من أجل أن تعترف .. بَيْدَ أنهم لم يحصلوا علىٰ شيءٍ منهم ، لأنها كانت متيقنة من ذلك البلاء ولم تتفاجأ به ..

لقد عجزت كلُّ أساليبهم القذرة وآلاتهم المستوردة عن أنْ تُنطِق مَنْ أصرّت علىٰ الصمت التام .. كانت تبتلع النطق . فيثور الجلاد ويدفع جسدها الضريبة سياطاً وصعقاً ..

إنه العهد الذي قطعته والقَسَم الذي أعطته .

الإختراق المُر والاعتراف !

بعد أن يئس الجلّاد (عامر) من تحطيم صمود عواطف ، أمر بإنزالها من سقف غرفة التعذيب ، وأجلسها علىٰ كرسيٍّ أمامه .. قال لها بتجهُّمٍ وعصبية :

ـ تقولين بريئة .. ومشتبهين! إذن لمن هذه الصورة ؟

وأجبرها علىٰ النظر الىٰ صورةٍ كان يلوّح بها في يده ..

وهنا كانت الكارثة ، إنها صورتها!

أغمضت عينيها بشدّة ثم نظرت الىٰ الصورة من جديد ، لعلها تكون خُدعة .. ولكن لا !! إنها صورتها ..

سحبت الصورة من يد الجلاد وتمعّنت فيها بدقة .. نعم إنها صورتها وهي تحمل كيساً فيه بعض السلاح والعتاد تحاول إخفاءه في صندوق سيارتهم ..

كانت (عواطف) تنظر الىٰ الصورة وفؤادها يغور الىٰ الأعماق .. لقد اعتصرت الصورة روحها وطحنت قلبها ، ففاضت العيون – التي اتسعت حدقتاها بذهول – بدموعٍ ساخنة .

عواطف تنظر الىٰ الجلاد وهي حائرة حُبلىٰ بالعجز .. لقد عقدت الصدمة لسانها ..

هَمَستْ لاحدىٰ سجينات الرشاد ـ فيما بعد ـ :

«عندما رأيت الصورة في يد المجرم عامر ، انعقد لساني وجفّ حلقي وجمدت صرخة في حنجرتي»

كيف تَنكُر؟ والشاهد من أهل الدار !

لقد كان ذلك اليوم مُنعطفاً في آلامها التي حاولت أنْ تخفيها عن الجلّاد .. بَيْدَ أنّها ومُنذ اليوم الذي رأت فيه الصورة راحت تشعر بالألم يغزو قلبها وكيانها .. وطفقت كُلُّ خليّة من جسدها المعذّب الدامي تئنُ صارخة .

غمغمت بكلماتٍ في شبه حشرجةٍ بعد أن خنقت العبرات بعض حروفها وشاركت الشهقات البعض الآخر :

«مستحيل .. مستحيل .. كيف حصل هذا ! ومتى ؟» ..

كانت نظرات الجلّاد اللئيم (عامر) تغرس خناجر الشماتة والسخرية في جسدها الممزّق .. جسدها الذي صار كالخرقة البالية ، خاوياً بلا عزمٍ ولا إرادة .

عواطف تتأرجح بين انكسار الهزيمة ومرارة الصدمة .. حاولتْ الكلام ، ولكن ماذا تقول ؟

فانفجر الكلام دموعاً ساخنة .. ثم جلست علىٰ الأرض ذليلة ، وألقت برأسها علىٰ ركبتيها واعترفت بكلِّ ما يتعلق بها – فقط – حيثُ لم يعد للصمت بعد من معنىً !.

ضريبة (حرق المراحل)!

خرجت (عواطف) من غرفة التعذيب خائبةً تتعثّر بأذيالها، مَهيضة الجناح، منهارة القوىٰ، رُغم أنها كانت إحدىٰ بطلات بغداد في تلك المرحلة، حيث كانت كتومةً في إنتمائها، حذرةً في نشاطها، مجاهدةً كأفضل ما يكون الجهاد، وها هي مذهولة تلفّها الدهشة ويسودها العَجب العُجاب..

كان الليل طويلاً علىٰ (عواطف)، وكل لحظة من لحظاته كأنها شفرةٌ حادة تُقطّع نياط قلبها.. كانت تبكي بدموعٍ صامتة.. لقد تزاحمت صور الماضي في ذهنها وتلاحقت بلا انتظام.

إحدىٰ الأخوات في غرفة النساء تحاورها بهدوء:

- أخيتي عواطف.. لا بأس عليك ولا تستغربي، فالعمل الجهادي كالشجرة المثقلة بالورد الأحمر، ولابد أن يتساقط البعض، وبأسباب شتىٰ..

لم يكن خطأك أختاه، إنها ضريبة ما يسمىٰ بـ (حرق المراحل) وحسبُك عزاءً أن الذي اصابك بعين الله..

تُجيبها عواطف والدموع تتقافز كالمُزن:

- أختاه، انا لستُ نادمة علىٰ ما فعلت، بل انا نادمة علىٰ كُلّ مالم افعل.. واقسم بالله أن الشهادة أملي، وكنتُ كلما عذبوني كُلّما ازددتُ شوقاً لها.. وها هي تُعطّر أنفي، بيد أني أردتُ أن يكون ثمن استشهادي باهظاً..

انا لم يهدّ قواي التعذيب.. فالتعذيب عشبٌ مر يمكنني التعوّد عليه.. ولكن آه.. وألفُ آه، هل الصورة تعني أن عملنا كان مخترقاً ولا ندري؟! هل كنّا نحرث في أرضٍ صخرية؟! هل كنّا نزرع أشجاراً مخلوعة الجذور؟! هل كنّا نزرع الوهم؟! هل كنّا نحصد السراب ولا ندري؟! إلهي رُحماك..

وهكذا بقيت (عواطف) طيلة ساعات الليل مستيقظة مـتأرّقة تـتجافىٰ فـي مضجعها، مرسلة عينيها في آفاق الغيب، تدعو الله، لعل طائر السهاد الذي أرّقها يهجرها.. فهي تحملق في الظلام سارحة في خيالها، غائصة في أفكارها..

كيف حصل هذا.. ومَنْ هو الخائن؟

كان شريط صور الأيام الخوالي يتقافز الى ذهنها بسرعةٍ فائقة وعواطف تحاول الإمساك بكل المضامين ، علّها تعثر على أسباب الاعتقال .. ولكن أنّى لها ذلك ، ف (مَن لم يعرف الموارد أعيَتهُ المصادر)[1] .

حاولت (عواطف) أن تجد عبارةً ملائمةً لتصف ما تعانيه ، فلم تجد أجدى من السكوت ..

وأخيراً صارت تردّد قول الشاعر بحرقةٍ وهي تشهق بدموعها :

رُبَّ امــريءٍ جـاسوسهُ أنيسه   يُـحدِّثُ أخبار الفتىٰ جليسه

وكفى بذلك بياناً عن دور (الاختراق) في قصف الأعمار في حركتنا الإسلامية !

تمر الساعات .. وما أن لمحت (عواطف) خيوط الفجر حتىٰ اندفعت بلهفةٍ الى لقاء الحبيب بعد ليلةٍ ما رقدت فيها أبداً .

وسرعان ما اندمجت مع ربها في صلاةٍ خاشعةٍ قانتةٍ :

«يارب المظلومين وربي ، ليس لي من الأمر إلّا ما قضيت .. إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي .. أنتَ ربي وأنيسي ، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن .. فألهمني يارب الصبر والسلوان» ..

تحدثنا احدى الأخوات السجينات[2] قائلة :

«لا أعتقد ان أحداً من رجال الأمن قد صوّرها وهي تنقل الأسلحة ، وإنما راقبوها وشاهدوها وهي تنقل الأسلحة بسيارة زوجها (الجيب) . فتركوها تكمل نقل الأسلحة لتذهب هي وزوجها لتوريدها الى بيت لأحد اصدقائه ، وكان معه في الخط العسكري ، بعدما قاموا بتطويق البيت ومداهمته فاعتقلوهم جميعاً بما فيهم الرجل وزوجته وجميع اطفاله» !

وتضيف الأخت :

«لئن انستني السنون العجاف فلن انسىٰ تلك الكلمات التي قالتها (عواطف) بمرارة وألم : الشهادة امنيتي ، ولكني اتأسف أن اعتقلوني قبل ان أقدّم شيئاً كثيراً لديني» .

---

١ - البحار ٧١/ ٣٤٠ .

٢ - الأخت السجينة نهلة هادي نجف .

ويقول السجين علي هليّل الشمّري[1] :

«اثناء وجودي مع الشهيد علي ناصر الشاوي في زنزانة رقم (٣) من موقف الشعبة الخامسة[2] .

كان دائماً يقول لي انه قد تم اعتقاله وزوجته بمكيدة من احد اقاربه !

فبينما كان (ابو دعاء) وزوجته في بيتهم السرّي المؤجّر في احدىٰ ضواحي مدينة الكاظمية .

اعترف عليه وكشف عن مقرّه السري احد اصدقائه المقربين في التنظيم - واظنه موحان - الذي كان قد تم اعتقاله قبل يومين من اعتقال الشاوي ودون علمه .. هذا ماكان يكرره علينا الشهيد (ابو دعاء) بمرارة وألم» .

أما السجين (أبو عقيل القرطوسي) فله كلام آخر حيث قال :

«تعرّفت علىٰ الشهيد علي ناصر الشاوي في الزنزانة رقم (٣) حينما جيء به إلينا .. ففي إحدىٰ الليالي أخبرني الشهيد عن طريقة القاء القبض عليه واعتقاله ، وكان يُعبّر عن ذلك بقوله : وصلوا لي وامسكوا بي بمكيدةٍ من صديقٍ ! وكان يقول : كنت وزجتي (أم دعاء) نسكن في بيتٍ سرّيٍّ مؤجّر فيه غرفة عمليات تحوي علىٰ انواعٍ من الاسلحة والمتفجرات وآلة طابعة وارقام سيارات وهويات مزورة وكل ما نحتاجه ويحتاجه العمل والعاملون .. وشاءت الصدفة أن يتم اعتقال احد إخوة التنظيم المقرّبين لي قبل يومين من اعتقالي ودون علمي ، ولضعفه وعدم مقاومته اعترف علىٰ كل شيء .. في هذين اليومين كنت منشغلاً جداً ولم افتقد غيابه ولم يصلني خبر اعتقاله سيّما واني لم أتوقع أن يتم الاعتراف بهذه السرعة !

كشف عن مقر اختفائي لأزلام أمن النظام فجيء به الىٰ المنزل بعد أن تم تطويق المنطقة بقوات مكثّفة .. طرق الباب واقنعني بالذهاب الىٰ أمرٍ هام ، فطلب منّي قيادة السيارة فيما يقوم هو بدفعها - بسبب ضعف البطارية .

كانت الخطة في اعتقالي ان يتم استدراجي خارج المنزل لمعرفتهم بامتلاكي اسلحة ، وشاءت

---

١ - السجين (علي هليّل الشمري) : داعية قديم - خريج كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد عام ١٩٧٦م ، إعتقل يوم ١٩٨٠/٢/١١م وخرج بعد شهرٍ واحد ثم اعتُقل عام ١٩٨٢م وحكم عليه بالسجن سبع سنوات فخرج في العفو المشهور يوم ١٩٨٦/٥/١٧م .. إعتُقل مرةً ثالثة في ١٩٩٢/١١/٥م وأُطلق سراحه في ١٩٩٣/٣/٢١م ، فهاجر الىٰ إيران يوم ١٩٩٤/٣/٢١م ليستقر في (كندا) نهاية عام ٢٠٠٢م بعد أن حصل علىٰ اللجوء السياسي الرسمي .. عاش مع الشهيد علي ناصر الحيّاوي عاماً كاملاً في زنزانة رقم (٣) من موقف الشعبة الخامسة في مديرية (الأمن) العامة لعام ١٩٨٢م .

٢ - يقع موقف الشعبة الخامسة في مديرية (الأمن) العامة في طابق تحت الأرض يتكون من عشر زنازين ، وكل زنزانة مساحتها (٣×٣)م٢ ، وفيها (٣٣ - ٣٦) سجين سياسي .

الصدفة ان اخرج تلك المرة بلا سلاح !! فما ان دخلت السيارة حتى أحاط بي ازلام الأمن من كل صوب ، وكانوا مختفين في نهايتي الزقاق ، شاهرين اسلحتهم بوجهي .. قيدوني ثم اعتقلوا (أم دعاء) وقيدوها ، واطلقوا اهازيج وهوسات عند باب المنزل تعبيراً عن حقدهم وفرحتهم باعتقالنا وبالسيطرة على مذخر الاسلحة الذي في بيتنا بعد طول مطاردة .. عصبوا عيوننا وجاءوا بنا الى الشعبة الخامسة في مديرية الأمن العامة» .

بعد الإعتراف ، توقف التعذيب .. وبعد أسابيعٍ تم إرسالها الى الطابق السفلي حيث القاعة الكبيرة (الموقف) ولكن ملف التحقيق الخاص بها بقي مفتوحاً عاماً كاملاً ، فالقضية بقيت على ذمّة التحقيق طيلة تلك الفترة علّهم يعثرون على اعترافٍ جديد !

الموقف .. ألمٌ ما فوقَهُ ألم !

نزلت (عواطف) الى الموقف .. وقد سبقتها العشرات من نساء العراق الصالحات ، مقرّنات بالأصفاد .. بعضهن ينتظرن السجن وبعضهن الآخر ينتظرن الإعدام لم يأتينا الهُدهُد بأنبائِهن .

لقد عانت الأمرّين .. فهي مرةً تعاني آلام الحمل ، حيث لا أهل ولا زوج ، ومرةً تشتبك عليها الهموم وهي ترى بعض الأخوات وقد جيء بهنّ جرّاء إعترافات زوجها ! لان انهيار (علي ناصر) كان يتسلسل وبلا أدنى تطويق !!

كُنّ ملوّعات أسىً وحزناً بسبب إعترافاته ، فلم يتركن لهُ في نفوسهنّ متسعاً ، لذا كانت (عواطف) تقاسي ألماً ما فوقه أ لم ، لكنها لا تبوح به إلّا لخالقها تشكوهُ بثها وحُزنها في الليل البهيم : **«إلهي .. أنت المدعوُّ للمهمات ، وأنت المفزَع في الملمّات ، لا يندفعُ منها إلّا ما دفعت ، ولا ينكشفُ منها إلّا ما كشفت ، وقد نزل بي ياربِّ ما قد تكأّدني ثقلهُ ، وألمّ بي ما قد بهظني حمله ... فقد ضقت لِما نزل بي ياربِّ ذرعاً ، وامتلأتُ بحمل ما حدّث عليَّ همّاً ، وأنت القادر على كشف ما مُنيتُ به ، وادفع ما وقعتُ فيه ، فافعل بي ذلك وإن لم أستوجبهُ منكَ ، ياذا العرش العظيم» .**

تقول الحاجّة (أم الشهداء)[1] :

«كانت الشهيدة (عواطف) معنا في الموقف .. كان عددنا قد تجاوز السبعين امرأة .. كانت تتألم كثيراً بسبب اعترافات زوجها (علي ناصر) .. فهي لم تتألم لأنه اعترف عليها أو على بنت عمها (أم . ا)[2] ، لكن أشد ما كان يؤلمها هو اعترافه على بعض الفتيات الموظفات اللاتي كنّ يقدمن مساعدات ماليه من خلاله لعدد من عوائل الشهداء والمعتقلين ..

كنّ يقلن : نحن ليس لدينا أي نشاط سياسي ، كنّا فقط نعطيه مساعدات ماليه لأجل الفقراء والمحتاجين .

كانت (عواطف) تتمزق ألماً ومرارة عندما ترى رجال (الأمن) وقد جاءوا ببعض تلك الفتيات .

كانت تقول بحرقة وألم شديدين : «لا ياعلي ، لا .. ماهكذا الظنّ بك .. ماكنت أنتظر منك أن تنهار بهذه السرعة !» .

وتحدّثنا احدى السجينات قائلة :[3]

«الشهيد (علي ناصر) شاب متدين ومجاهد ، قام بتكوين مجموعة جهادية مخلصة .. عمل للإسلام وقدّم الكثير .. كان عمله جهادياً مسلحاً .

لكنه وبعد اعتقاله تعرض لتعذيب وحشي على يد الجلاد (عامر) وجلاوزته فانهار واعترف على مجموعته وعلى كثير من المؤمنين ومن ضمنهم زوجته عواطف !» .

ويحدثنا رفيق زنزانته[4] فيقول :

«الشهيد علي ناصر الشاوي مسؤول خط عسكري نوعي في بغداد وله اتصالات فرعية ببعض المحافظات .. قام بعدّة عمليات عسكرية ناجحة كشف لنا عن بعضها إجمالاً لاتفصيلاً ، كان دقيق الخبرة قوي التجربة يمتلك نظرة ثاقبة لتشخيص خفايا الشخص الذي يتعامل معه .. تم اعتقاله وزوجته (عواطف) بمكيدة غريبة تعاون بها أحد اقاربه ، فتم تعذيبه بوحشية وانتقام باعتبار أن قضيته من القضايا الكبرى التي فيها سلاح وخلايا عسكرية فضلاً عن التنظيم .. إلا أنه أبدى صموداً عالياً جداً ، لكن الجلاد (عامر) لم يتركه ليستعيد قواه أو يرتّب أفكاره ، وبقي يمزّقه لأسابيع عديدة ولم يترك وسيلة من

---

١ - السجينة المجاهدة أم رعد البصري .
٢ - طالبة في قسم الهندسة الكيمياوية - جامعة بغداد .
٣ - الأخت الفاضلة نهلة هادي نجف .
٤ - السجين علي حليّل الشمري .

وسائله البشعة إلّا وجرّبها على البطل (علي ناصر) حتى اوصله الى نقطة الانهيار ، فاعترف وكان اعترافه خطيراً مُدمّراً !!

كادت يداه أن تكونا مشلولتين لبشاعة ما لاقى من تعذيبٍ طول فترة تعليقه بالسقف ، وبقي اسابيع حتى استعاد حركته وعافيته .. وكان المجرم الجلاد (عامر) يامر باخذه في سيارة مغلقة الى عدة مديريات أمن في بغداد والمحافظات ليَمرّره على عدد من المؤمنين المعتقلين ..

كان الشهيد (علي ناصر) رسالياً مُربياً ، لقد قام والله بدورٍ كبيرٍ في توعية السجناء الذين كانوا معنا في زنزانة رقم (٣) ، كان يشد من عزائمهم ويقوي إرادتهم .. كان شجاعاً بكل معنى الكلمة[١] ومثقفاً عالي الفكر[٢] وشفافاً حلو المزاج[٣] لذا اعتقد ازلام (الأمن) بامكان الاستفادة منه فنُقل الى غرف (المساعي الحميدة)[٤] السيئة الصيت ، إلّا انهم ارجعوه الى الزنزانة بعد أن وجدوه غير نافع[٥] بل ويحاور اولئك المتخاذلين لاقناعهم على عدم التعاون مع المحققين لخداع المؤمنين على

---

١ – للشهيد الشاوي موقف بطولي رائع ، حيث زارت (دار السلامة الوطنية) – وهي لجنة متكونة من جهاز الأمن وجهاز المخابرات وممثل من القصر الجمهوري تشرف على حصر الموافقة لحالات الاعدام لترفعها الى رئيس النظام للتوقيع عليها لاجل التنفيذ – زنزانات موقف (الأمن) العامة . فتصدّى لهم الشهيد علي ناصر زاجراً لهم وقائلاً : «أي قانون هذا الذي يجيز لكم أن تبقونا هكذا منذ تسعة أشهر ونحن بلا محاكمة ؟! ثم أين حقوق السجين ؟!بل لماذا لاتعدمونا وتخلصونا من هذه الظروف السيئة التي لاتتوفر حتى في سجون اسوء حكومات العالم .

فردّ عليه أحدهم بغضب : «هذا الوضع جيد لكم لانكم يجب أن تُحرقوا ويُذرى ترابكم خارج الوطن كي لايتنجس العراق !!».

٢ – مرّة تحاور الشهيد الشاوي مع الشهيد المهندس (عبدالكريم الصبّاغ) الذي كان معنا في الزنزانة .. تناولا المفاهيم والمعاني العميقة لكتابي (فلسفتنا واقتصادنا) للشهيد السيد الصدر .. لقد أظهر الطرفان ثقافة عالية جداً رغم كثرة اختلافاتهم ..

٣ – كان معنا في الزنزانة سجين طيب القلب اسمه (جبر) من أهالي الناصرية فكان الشهيد الشاوي يمازحه ليُلطّف نفوسنا المكتئبة .. كان يقول له : جبر ، عليك ابروح الشهيد الصدر ادعو لنا الله فأنت طيب القلب وسيستجيب الله دُعاءك . فكان السجين جبر يرفع يديه بأخلاص وبعفوية ويدعو قائلاً : «الهي .. الله يخلّيك ما تخلّصنا من هذا المجرم صدام» فيبدأ الجميع بالضحك وتناسي الهموم ولو الى حين .

٤ – غرفة تقع في آخر ممر الشعبة الخامسة في مديرية الأمن العامة ، يقبع فيها الخونة الذين فشلوا في الاختبار ، الذين سوّلت لهم أنفسهم بيع دينهم وجهادهم بثمن بخس ، فتعاونوا مع الجلاد ضد أخوة الأمس القريب .

٥ – يقول السجين علي هاشم : «اعتقلوني وعذّبوني بوحشية وأُصبتُ اصابة خطيرة في إحدى كليتيّ .. وبعد انتهاء الجولة الأولى من التعذيب رموا بي في مايسمى بغرفة (المساعي الحميدة) ليمارسوا معي عملية غسل الدماغ لاقناعي بالاعتراف وعدم الجدوى من الانكار !

رأيت في الغرفة الشهيد (علي ناصر) وكان مكبّل اليدين ، اقترب منّي بعد أن خرج الحارس ، وهمس لي : إيّاك إيّاك أن تضعف أو تعترف ، واعلم ان الله معنا والناس معنا وأن الإمام الحجة (عج) معنا ومُطّلع على مواقفنا ، وانقل هذه الوصية لبقية الأخوة الجُدد واوصهم بالصبر والاحتساب .. اما أنا ، فإن كنت قد اعترفتُ فلانهم – الامن – وجدوا في بيتي أسلحة وقنابل وأشياء أخرى كثيرة لا أستطيع انكارها» .

الاعتراف وكشف الأسرار . أمثال كلّ من : سيد حاتم هاشم مولى الهاشمي (ابو عدي)[١] الذي تم إعدامه لاحقاً رغم توسلاته وتذكيره لهم بخدماته ! وابن عمه سيد طاهر مطر الهاشمي والمهندس موحان (ابو ايمان) الذي نفّذوا فيه حكم الاعدام بالرغم من كل اعترافاته الواسعة الخطيرة وتعاونه[٢] ! وسيد هادي الشوكي الذي تمادى في غيه وصار يهدد المؤمنين بالجلاد عامر[٣] !

إلّا أن ذلك لا يمنعنا عن نقل حقيقة ما كان يجري من اعترافات وانهيارات في داخل الزنازين وفي المحاكم للحفاظ على تجارب السنين ودماء المجاهدين . فعندما صعد الشهيد (علي ناصر) الى محكمة (الثورة) العسكرية في المراجعة الأولى يوم ١٩٨٢/٩/٣٠م برئاسة القاضي المجرم مسلم الجبوري كان عدد من الضحايا قد صعدوا معه في قضيته نتيجة اعترافاته . وحكم عليهم بالاعدام ..

١ - ظهر هذا الذليل المدعو (حاتم الهاشمي) في مقابلة ذليلة بتلفزيون بغداد ، اعترف خلالها على كل شيء .. أما في قاعة محكمة (الثورة) العسكرية فقد كان يتوسل بالمجرم القاضي ، الذي فاجأه بحكم الاعدام ويقول : «سيدي اعفو عني . إحكموني ولكن لاتعدموني . فانا قد تعاونت معكم بكل امكانياتي .. اسألوا السيد الرائد عامر ان لم تصدّقوني !!» .

وكان جواب القاضي : «صحيح حاتم صحيح .. لكن الأمر ليس كلّه بيدي . فالسلامة الوطنية هي التي قررت اعدامك» .

وعندما رجع هذا الخائن ، الذي باع آخرته بدنيا غيره - من المحكمة الى الزنزانة رقم ٢٠) حاول وقبل أخذه الى (أبو غريب) لأعدامه إلتماس براءة الذمة والمسامحة من الأخوة المؤمنين الذين كانوا معه في زنزانته . إلّا أن أحداً لم يحقق له ما أراد . تعبيراً عن غضبهم واحتجاجاً على جرائمه بحق أخوة الأمس القريب .

الجدير ذكره ان محكمة (الثورة) قد أعدمت الكثير من الخونة المتعاونين مع جلادي الأمن أمثال الداعية (الشيخ راضي كعيد الصيمي) الذي قصم ظهر خطوط وخلايا الدُعاة رجالاً ونساءً . في مدينة الثورة وبغداد وعدد من المحافظات . والداعية المهندس (عبدالحسن فرج) من البصرة - الجمهورية - الذي اعتقل عام ١٩٨١م وأعدم عام ١٩٨٢م . والداعية طالب جامعة السليمانية (مهدي ابراهيم بندر) من أهالي ديالى والذي أعتقل عام ١٩٨١م وأعدم عام ١٩٨٢م . وسيد جاسب من أهالي العمارة - حي السلام - الذي أعتقل عام ١٩٨٠م . وقد أجريت معه مقابلة تلفزيونية اعترف خلالها على كل شيء وتعاون فيما بعد . ومن خلال غرفة المساعي الحميدة بالعامّة . لاقناع المؤمنين على الاعتراف والخيانة .

٢ - رغم تاريخه الديني والجهادي المُشرّف فقد انهار المدعو (موحان) بالتعذيب واعترف على مائة وخمسون مجاهداً تم تنفيذ الاعدام بالكثير منهم ! وكان موحان وقبل اعتقاله يُصرّح لأخوانه الدُعاة - مسؤولين وقواعد - الذين يجتمعون في بيته ويلتقون عنده أغلب الأوقات : «إعلموا انني إذا اعتُقلت فسوف أعترف على كل شيء لاني أعرف نفسي وسوف لن اصمد بالتعذيب» وبالفعل كان يضع على رأسه ووجهه (يشماغ أبيض) ويصعد مع أزلام أمن المديرية العامة ويدلي على عناوين وبيوت المجاهدين والعاملين الدُعاة ! وتكررت هذه الخيانة يومياً وعلى مدى أسابيع .

والجدير ذكره هنا نقل الحوار الذي دار بين موحان ورائد عامر والذي رواه الشهيد علي ناصر :

موحان : لماذا تعتقلون الناس الابرياء ؟! هؤلاء أغلبهم ليسوا دُعاة !

رائد عامر : شبكتنا تصطاد السمكة والجري وأبو الجنيب . إلّا انّا بالنتيجة نصطاد السمكة .

موحان : لماذا تفعلون ذلك وأنتم تعرفون ان هؤلاء ضحايا أبرياء ؟!

رائد عامر : ألستم أنتم الدُعاة تقولون إن صدام يقتل الحركة الإسلامية حتى في مرحلة (النوايا) كما فعل بريجنسكي مع شعبه .. فلم الاستغراب !

٣ - ارجع الى ملحق الفصل «جنود بلعم بن باعوراء» !

فمثلا حينما دخلنا قفص المحكمة كنت معصوب العينين امشي خلف (علي ناصر) وشخص آخر، ومازلت اذكر كيف تصدت فتاة بطلة تسمىٰ (عالية علي)[١] ، كانت قد استقرت في القفص ، لأحدهم وقالت له : «ما جبان .. إعترفت !!» ..

كذلك اتذكر انهُ كان معنا في الزنزانة رقم (٣) الشهيد عبدالرضا يوسف الربيعي[٢] ، وهو في قضية الشهيد علي ناصر الشاوي ومن خطه العسكري .. كان منزعجاً منهُ وقد امتنع عن الكلام معهُ حتىٰ في لحظات الإعدام الأخيرة لانهُ كان يعتقد بأمكانية الشهيد (الشاوي) تجاوز قسوة التعذيب والصبر علىٰ عدم الإعتراف علىٰ كل هذا العدد من المؤمنين والمؤمنات !!

وهكذا بقيت (عواطف) تعاني الأمرّين طيلة تسعةِ أشهر متوالية ، قضتها في موقف مديرية (الأمن) العامة .

مخاض في زنزانات التعذيب

كابدت شهيدتنا خلال تلك الفترة المرّة التي قضتها في مديرية الرعب العامة ظروفاً قاسية ، حيث آلام الحمل وأثقاله وآلام التعذيب ووحشيته .

كانت تعاني الامرّين؛ مخاضات الطلق ولسعات السياط . هكذا وبهذه الظروف ولدت (دعاء) !

بقيت (دُعاء) أشهراً قليلة في دهاليز مديرية أمن النظام .. كانت إشراقتها أكثر جمالاً من بزوغ الشمس .. كان ثغرها مبتسماً كأنها تريد أن تُنبيء بأن المستقبل للإسلام .

إنها بُرعم الحرية الذي اخضرّ علىٰ أجساد الشهداء ، فترعرعَ ونما ليغدو شجرة وارفة الظل مُزهرة مُثمرة .. أوليس **«بقية السيف أبقىٰ عدداً وأكثر ولداً»**[٣] .

تقول السجينةُ نهلة نجف :

---

١ - الشهيدة السعيدة (عالية علي النجفي) أخت كل من الشهداء (حسن وحسين وعباس) .. راجع الجزء الثاني من كتابنا (مذكرات سجينة) .

٢ - الشهيد عبدالرضا يوسف الربيعي : من سكنة بغداد (الكرادة) ، طالب في جامعة بغداد ، كلية العلوم ، قسم الكيمياء .

٣ - بحار الانوار ، ج ٤ : ١٩ .

«عندما حان وقت الولادة ، كنا مع عواطف في الموقف .. وافقوا على إرسالها الى مستوصف قريب ، بقيت يوماً واحداً فقط - مقدار الولادة - ثم جاءوا بها الى الموقف ثانية !

كانت حالتها سيئة للغاية ، حيث لا عناية أو إهتمام .. بيد ان المؤمنات في الموقف إعتنين بالام ووليدها .. تم توفير القمشة والملابس من بعض المؤمنات اللاتي إرتدين ملابس إضافية تحسباً للظروف ..

سبحان الله عاشت الطفلة وتحسنت صحتها رغم كل تلك الظروف العصيبة !» .

الفطام القهري

نُقلت (عواطف) الى قاعة محكمة الثورة مع زوجها وعدد من الفتيات والشباب الذين حكم على عدد منهم بالاعدام .. أما عواطف وزوجها فقد ارتأى المجرم مسلم الجبوري تأجيل قرار الاعدام الى جلسة أخرى كي لا تشملها المرحمة باعتبار ان التعليمات تقضي أحياناً بالرأفة ومساعدة المرأة الحامل أو التي أنجبت حديثاً وتخفيض حكمها الى المؤبد ! سيّما أن (عواطف) كانت شامخة فخورة ولم تطلب الرأفة والمرحمة .. لذا أخذوها بعد عدّة أشهر الى المحكمة مرّةً أخرى ليُصْدِر الحاكم العسكري المجرم اللّواء (عوّاد محمد أمين البندر) حكماً بالإعدام شنقاً حسب المادة (١٥٦ - أ) لانتمائها الى حزب الدعوة الإسلامية وحيازة ونقل وتوزيع أسلحة ..

وتم نقلها مباشرةً الى سجن (الرشاد / القسم السياسي الثالث) بانتظار تنفيذ الحكم الجائر في مقاصل (أبو غريب).

يقول رفيق زنزانة (أبو دعاء)[1] :

«اخذوا الشهيدين علي ناصر الشاوي وعواطف الحمداني يوم ١٩٨٢/٩/٣٠م الى المحكمة السرابعة الأولى برئاسة المجرم مسلم الجبوري .. وقد صعد معهم الى المحكمة عدد كبير من المؤمنين والمؤمنات ، من خلايا التنظيم ومن المتعاونين ، فحكم على بعضهم بالاعدام وعلى البعض الآخر

---

(١) السجين علي هليّل الشمري .

باحكام مختلفة .. كذلك صعد معهم عدد آخر من المجاهدين المتهمين بقضايا اخرى وحكم على اغلبهم بالاعدام شنقاً[١] .

بعد اكثر من شهر تم نقل الشهيدين للمحكمة للمرافعة الثانية وهي الأخيرة ، برئاسة المجرم اللواء عوّاد البندر والتي طلب فيها الشهيد الشاوي رؤية ابنته (دعاء) ، كان منكسراً حائراً .. أيعتذر لزوجته ورفيقة دربه أم يحتضن طفلته الرضيعة يقبّلها ويملأ روحه منها ، سيّما أن الفرصة المتاحة ثوان معدودة .. كان مشهداً مروّعاً يصعب وصفه . بادرت الشهيدة أم دعاء بتسليمه طفلته ملفوفة بقماطها واشارت له بوجود شيء ما بين طيّات القماط[٢] .. صار يلثم طفلته بطريقة مؤلمة فرضت حالة من السكون على القاعة .. اقتربت منه زوجته البطلة وقالت : (صدقني علي ، أيام وليالي هي أمامي وفي حضني أرضعها لكني كنت احاول عدم التأمل فيها أو النظر اليها كي لا اتعلق بها!) ثم همست في أذنه: (علي .. ارجوك لاتضعف أوتخاطب القاضي بكلمة (سيدي)[٣] ولا تطلب المرحمة ! فالأمر منتهٍ ونحن أكيد إعدام وسنُحسب عند الله شهداء) .

ماهي إلا دقائق حتى أصدر المجرم البندر حكمه على الزوجين بالاعدام شنقاً بلا ادنى تردد أو إكتراث لصراخ الطفلة الرضيعة !!

جيء بالشهيد علي الشاوي صابراً شامخاً قد جلب معه الى رفاق زنزانته طعاماً[٤] كان قد اشتراه له هو وزوجته احد الحراس الذين رافقهم كمأمور من المديرية العامة الى المحكمة وبالعكس[٥] ..

---

١ - كقضية (جماعة الطاقة) المشهورة ، وهم سبعة مهندسين يعملون في الطاقة الذرية العراقية ، حيث تم الحكم عليهم بالاعدام شنقاً ، وكان منهم الشهيد السعيد المهندس (ليث حسين) أخ الشهيد النقيب غالب حسين ، والشهيد السعيد (عبدالكريم الصبّاغ) - ماجستير هندسة - وقد توفى هذا البطل في الزنزانة رقم (٣) بعد أن ضربوه بوحشية على كليته فصار يتقيأ مادة (صفراء) ، تمدد في طرف الزنزانة وبقي يُسبّح لله حتى نزعات الموت الأخيرة ، والشهيد السعيد (كُثير حميد) - خريج هندسة كيمياء ، جامعة بغداد عام ١٩٧٧م فاعتقل عام ١٩٨١م واستُشهد عام ١٩٨٣م ، وقد ساعد هذا الشهيد على إيجاد لغة (المورس) المتداولة بين السجناء لتحديد أوقات الصلاة والطعام والاعياد والمناسبات وماشابه ذلك .

٢ - دسّت الشهيدة البطلة (أم دُعاء) في طيّات القماط : قرآناً صغيراً وعشرة دنانير كانت قد حصلت عليها من أُسها وأقربائها الذين اعتقلوهم ووضعوهم في الموقف النسوي ، وهذه الـ(عشرة دنانير) كانت بالنسبة لنا مغنماً كبيراً إذ اشترينا بها ملحاً وبعض الحاجات الضرورية .

٣ - كانت كلمة (سيدي) مألوفة متداولة لدى العديد من السجناء السياسيين وغير السياسيين ، فهي لا تُستخدم عند مخاطبة (القاضي) فحسب ، بل حتى في مخاطبة مأمور السجن أو الشرطي الواقف في باب قاعة المحكمة .

٤ - كان الشهيد (أبو دُعاء) جميل الصفات أثير النفس مع إخوانه ورفاق زنزانته ، فقد جلب معه طعاماً وهو عبارة عن ثلاث قطع من (الكباب) ، فقام بتقسيم كل قطعة الى إحدى عشر جزء لتكفي للثلاثة والثلاثين مجاهداً الذين كانوا في الزنزانة رقم (٣) .

٥ - المأمور الشرطي (طارق النشي) الذي تألم عندما سمع بحكم الاعدام الجائر بحق (علي ناصر) وقال : «حرامات يموت هكذا

أوصانا الشهيد بعدة وصايا ، اهمها تلك التي تتعلق بابنته (دُعاء) حيث قال : (على من يدرك ابنتي دُعاء يوصيها بالسير على خط اهل البيت عليهم السلام والثار لدمائنا) .

كان الشهيد أبو دُعاء ، كما هي الشهيدة زوجته - سعيداً بحكم الاعدام ، فلم نره قد حزن أو تألم بل وقبل ان يذهبوا به صباح اليوم التالي الى (ابو غريب) ودّعنا وشدّ من ازرنا واحداً تلو الآخر.

تقول احدى السجينات المؤمنات[1] :

«عندما جيء بالشهيدة عواطف من المحكمة الى سجن الرشاد ، اخبرتنا بانّ الحاكم العسكري قال لهما ، هي وزوجها ـ بعد أن حكم عليهما بالإعدام : قد نحتاج الى مشنقة صغيرة لهذه الطفلة ، لأنها رضعت من حليبكم الحاقد !» .

وتحدّثنا سجينة أُخرى قائلة[2] :

«إعتقلوا عواطف وزوجها وهما في سيارتهما ، كانت حاملاً ثلاثة اشهر .. تحملت انواع التعذيب لكنها لم تعترف .. وعندما جاءوا بها الى (الموقف) حان وقت ولادتها .. وبعد شهرين من ولادة (دُعاء) أخذوهما ـ هي وزوجها ـ للمحاكمة ، وفي المحكمة (الصورية) قال لهما المجرم مسلم الجبوري: بعد ان نعدمكم سنحتاج الى مشنقة صغيرة لابنتكم لانها رضعت حليبكم الحاقد» .

وما أن وصلت «عواطف» الى سجن الرشاد حتى قررت تسليم طفلتها الرضيعة الى أهلها من خلال المواجهة غير المباشرة وبواسطة إحدى الرقيبات . رغم ان التعليمات الرسمية تسمح بابقاء الرضيع عند أمه أشهر الرضاعة الأولى .

غداً يالهُ من غد .. غداً يوم المواجهة ، غداً تفارق «عواطف» إبنتها فراقاً أبدياً لا لقاء بعده ، اللهم إلّا هناك في جنان المظلومين ..

في تلك الليلة لم ترقد عينا «عواطف» ، لقد بلغ بها الحزن والأسى مبلغاً سحيقاً .. فهي لم تبعدها عن حضنها للحظة ، لقد هامت بها ولهاً ، فهي مرّةً تحتويها بذراعيها بحنوٍ ورقّة ، وأخرى تضمها الى صدرها في عطفٍ جارف .. كانت تضع شفتيها الذابلتين على وجه إبنتها الصغيرة وهي نائمة وتطيل البكاء المكتوم

بطل»... كان عطوفاً بعكس الشرطي (طارق الشمي) الذي كان حقوداً وقاسٍ جداً .

١ - الأخت المجاهدة إيمان البصري .

٢ - الأخت المجاهدة أحلام البصري .

لكي لاتوقظها ..

أدبر الليل وأسفر الصبح ، وأدمُع «عواطف» ساجمة لم تتوقف .. القلم واللسان عاجزان عن وصف ذلك المشهد المروّع - مشهد التوديع - كانت تقبّلها في كل أجزاء جسدها الصغير .. في وجهها ، في يديها ، بين أصابع قدميها ، كانت تطيل البكاء عليها .

سَرَتْ المرارة الىٰ كل الضمائر الحرّة الماكثة في القسم ، لم تتجرّأ حتىٰ الرقيبة في أخذ الطفلة من حضن أمها .. كان المشهد مؤلماً مرهقاً علىٰ الجميع .

همست إحدىٰ الأخوات :

«ساعد الله قلبكَ سيدي أبا الأحرار وأنت تودّع «عبدالله الرضيع» مذبوحاً !

ساعد الله قلبكِ مولاتي «الرباب» وأنتِ تودعين رضيعكِ عطشاناً !» .

أيقظت تلك الكلمات «عواطف» من سكرتها . لانّهُ **(قد يكون اليأس إدراكاً ، إذا كان الطمعُ هلاكاً)**[١] ..

حينذاك فقط إنتبهت .. ثم وافقت علىٰ تسليم صغيرتها الىٰ الرقيبة .

وتقسم شاهدةٌ ثالثة[٢] كانت هي الأُخرىٰ في السجن تَرقَب المشهد الرهيب ، قائلة :

«والله والله كانت الطفلة تبكي متشبثة بأمها ، كأنها لا تريد فراقها !

ارادت الأم ان تصرخ ، فشنقت صوتها ، لقد كتمت رغبةً جارفة في الصراخ كانت تلحّ عليها ، كتمتها لتخمد في وادي الصمت السحيق» ..

هكذا أبعدت (عواطف) رضيعتها عنها .. سلّمتها وانتزعت يديها الصغيرتين من علىٰ صدرها ..

نعم ، لقد فطمتها قهراً وقبل أن يتم (حولا الرضاعة) .. سلّمتها والدموع السخينة تغزو كل خلايا قلبها المهدَّم الذي صار ينزفُ دماً .. ودّعتها وهي تشهق بدموعها قائلةً : (دعاء .. حبيبتي ، أستودعك الله الذي لايخون الودائع) .

---

١ - نهج البلاغة / ٩٣٦ .

٢ - السجينة (...) .

أخذت الرقيبة الطفلة الىٰ خارج القسم ، وبقيت نظرات الأم مصلوبة صوب رضيعتها حتىٰ اختفت وراء الباب الكبير .

أشاحت (عواطف) بوجهها عن المشهد المريع .. كان صبراً عزّ له نظير .

ولكن ياترىٰ ، لماذا فعلت (عواطف) ذلك ، وهي الحنونة الرقيقة ؟!

الجواب نأخذه من لسانها :

«لكي لا أتعلّق بها كثيراً ، فأنشغل بها في ظرفٍ أريد أن أستثمر به كل وقتي وكل ما تبقىٰ من عمري القصير في الصلاة والدعاء وقراءة القرآن ، لأنّ **(مَن اشتغل بغير المهم ضيّع الأهم)**[1] .. هذا أولاً وثانياً :

أريد أن أطمئن عليها قبل ذهابي الىٰ (أبو غريب) كي لا أُقتل مرتين!

ثم انّني لا أُريد أن يستخدمها العدو ضدي كورقةٍ رابحةٍ قبل إعدامي !

فقررتُ إبعادها عنّي كي لاتعيقني عن نيل الشهادة» .

وتدلي سجينة أُخرىٰ بدلوها لتحدّثنا عن تسليم عواطف لابنتها وحالها بعد ذلك ، قائلة[2] :

«كنت مع عواطف في سجن الرشاد .. كانت رحمة الله عليها تنتظر الشهادة بفارغ الصبر ، فهي امنيتها .. ارادت ان تبعد (دعا.) عنها لتتفرغ الى العبادة ، وكذلك كانت قلقة على مستقبلها ، فهي تريد أن تطمئن عليها قبل أن تودع الدنيا .

وبالرغم من أن اهلها موجودون بل وان بنت خالتها كانت معنا في سجن الرشاد وهي (حنان علاء الكامجي) اخت الشهيد (اركان علاء الكامجي) .. لكنني تقدمت لتبني الطفلة «دعاء» سيما وانني كنت محكومة (٧) سنوات فقط ، وساخرج باذن الله ، وكانت (عواطف) تتمنى ذلك لانها تعرف جيداً الأجواء الدينية المتوفرة في عائلتي ..

إتفقنا – انا وعواطف – على ذلك ، وارسلت على اهلي للمجيء لاستلام (دعاء) .. لكنني اكتشفت ان أهلي قد تم تسفيرهم – بعد إعتقالي – الى ايران بحجة انهم من التبعية الإيرانية !

بعد ذلك أرسلت (عواطف) على اهلها (أمها) وطلبت أن ياتي أحد لاستلام إبنتها ، وقد تم

---

[1] – غرر الحكم / ٢٨٣ .

[2] – الأخت المجاهدة السجينة نهلة هادي نجف .

ذلك فعلاً .

لقد تفرغت عواطف طيلة الأربعة اشهر التي قضتها في سجن (الرشاد) للعبادة .. انشغلت مع الله تصلي وتصوم وتستغفر .. فهي ليست معنا ، بل كانت في عالم الملكوت ..

لقد افرغت قلبها من كل شيء إلا الله ، كنّا إذا وضعنا الطعام امامها تاكل وإلا فهي لا تسال عن الطعام ابداً ..

ولم نحظ بها إلا نادراً وفي فترة العذر الشرعي فقط» .

وشاهدةٌ أخرىٰ سجينة تقول[1] :

«كانت (عواطف) وطيلة الفترة التي قضتها في سجن الرشاد ، كل همها ان تقضي ما بذمتها من صلاة وصوم - إن وجد - وقد ارسلت إبنتها (دعاء) الى اهلها .. وكانت تقول : «كي لا أتعلق بها كثيراً وتشغلني عن التفرغ للعبادة والاستغفار» ..

وفعلاً جاء بيت عمها لمواجهة ابنتهم «أم . ا . الحمداني» فارسلتها من خلالهم الى اهلها لأمها .. كان مشهد التوديع مؤثراً» .

توديع تويجات الزنابق

في الفترة التي تخللت صدور حكم الإعدام وتنفيذه ، تفرغت (عواطف) للقاء الله عزّ وجل بعد أن أفرغت قلبها من الدنيا وزخرفها .. كانت أوقاتها - وكما ذكرنا - حافلة بالعبادة ، لم تحظَ الأخوات من رحيق حديثها ومجالستها إلّا في فترة (الرخصة الشرعية) التي كانت خلالها تتلاطف مع الأخوات ، وأحياناً تقرأ بعض الكتب التي كانت تدخل الىٰ القسم سرّاً ، مثل موسوعة (تفسير الميزان) وكتاب (خطوات علىٰ طريق الإسلام) .

ومن الطرائف التي كانت تقوم بها (عواطف) حينذاك والتي احتفظت بها ذاكرة أغلب الأخوات هي السُخرية والتحرّش بالرقيبات ، حيث كانت تذكرهنّ دائماً بسوء عاقبتهن وبما ينتظر أعوان الظلمة من مصير بائس ..

كانت (عواطف) في غاية التواضع والطيبة والشفافية ، فهي تميل الىٰ المزاح

---

١ - الأخت المجاهدة السجينة سميرة الشيخ فاضل الحيّاوي .

وحب الآخرين حتىٰ في أواخر أيامها في سجن الرشاد ..

تمازحت معها إحدىٰ الأخوات الشهيدات[1] ذات مرّة :

– عواطف .. الجماعة بـ (أبو غريب) يحتاج لهم حبلين حتىٰ يتمكنوا من شنقج !

عواطف ضاحكة :

– وأنتِ يرّاد لج حبل من مَسَد .

– لا ، بالعكس .. آني خيط يكفي لرقبتي ، لكن أنتِ ما شاء الله .

وانتهىٰ المزاح بهرولة عواطف نحوها وبيدها كأس ماء كادَتْ ترشّهُ عليها لولا اختفائها وراء الأخت الشهيدة فاطمة .

❋ ❋ ❋

وفي صباحٍ يومٍ شتوّي كئيب من نهاية عام «١٩٨٢م» تم نقل الشهيدات الثلاث إلى سجن (أبو غريب) حيث تنتظرهن السيارة الخاصة التي برفقة الجلّاد ذي الشاربين الكثيفين المسمىٰ (أبو سمير) ..

تم ذلك بعد أن اغتسلن غُسل الشهادة ، ولبِسنَ الاكفان وقرأن سورة (يس) وضمن زيارة عاشوراء ..

وإنْ أنسَ لا أنسىٰ ذلك اليوم العصيب الذي عانقت فيه (عواطف) جميع الأخوات المظلومات في القسم بحرارة متّقدة .. لقد اختلطت حبّات المطر بدموع المودعين ، وتجاوب أنين الريح مع زفرات المفارقين ، ثم تم التوديع ضمن مراسم خاصة رائعة وكأنهنّ في حفلة عُرس حيث الصلوات كانت تتعالىٰ من كُلّ جانبٍ وصوب .

بغداد .. لِمَ هذا التثاؤب !؟

إنطلقت السيارة (الصندوق) تتوغل في شوارع بغداد بأتجاه سجن (ابو غريب) المركزي ، كانت الريح تصفر في سمفونية حزينة .. وكانت حبّات المطر ترشق زجاج النافذة الصغيرة للصندوق الذي استقرت بداخله الزينبيات الثلاث .

---

[1] الشهيدة السعيدة أمل الربيعي .

لايوجد في الصندوق سوىٰ هذه النافذة الحديدية اليتيمة التي قطرها (٢٠) سم والتي تتخللها القضبان الأفقية المتينة .. فهي الفُسحة الوحيدة في هذا الكون الواسع والتي تطلُّ علىٰ الوطن ، حيث بغداد مازالت نائمة في حُضن غيمة سوداء !

إذن هذه هي بغداد ثانية ! سرح الذهن بعيداً في أعماق الماضي وغرق في حنين الذكريات ، وتزاحمت صورٌ كثيرة وبلا انتظام .. فتقافزت الدموع علىٰ المآقي وبدأ نشيج البكاء المر ، لأنه لاشيء يعالج الحزن كالذكريات .. وأي ذكريات !

لقد غادر الدمع عيونها صوب تلك الأمسيات ، للقباب الشاهقات ، لنخيل العراق الباسقات ، للخلّان والأهل ، لوجه أمها ، لعيني دعاء .. ابنتها .

بغداد .. كيف أنتِ الآن ؟ أما انتهىٰ أنين الثكالىٰ! أين الصويحبات يابغداد؟ أيتزاورن أم توسدنَ الثرىٰ! بغداد ، لقد أفِلتْ الذكريات الجميلة علىٰ عجل كأنها أطياف سحر !

بغداد يا مهد الصبا ، ياذكريات الأزقّة الآمنة ، ياسوح الجهاد .. صرتِ بعيدةً عنّي رُغم اقترابكِ من النبض . ماذا أخبركِ .. لقد أذاقونا من المرارة كل أصنافها ومن العذاب كل ألوانه ، وأريقت الدماء بأهون ما تراق المياه ، لا لذنبٍ إلّا لاننا شهدنا أن لا إله إلّا الله : **(وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)**[1] .

مازال وجها (عواطف وأمل) ملتصقين بالنافذة يتسارقان النظر الىٰ شوارع بغداد والىٰ وجوه الناس ..

عواطف تنادي علىٰ (فاطمة) تستعجلها مشاركتهن في رؤية الوطن .. أنهُ الوداع :

– فاطمة .. تعالي وانظري ، فهذه بغداد .. تعالي ودّعي بغداد!

إبتسمت (فاطمة) بحنو شديد وبمداراة .. لكنها رجعت الىٰ إطراقتها وكأن الأمر لا يعنيها .. كانت أكفُّها مبسوطة الىٰ السماء وأعينها تفيض بالدمع تشكر الله علىٰ نعمة الشهادة ، فهي أمنيتها التي ما بعدها أمنية .

---

١ – سورة البروج : ٨

عادت (عواطف) الىٰ بغداد ، تحدّق فيها .. حزنٌ مطبق يرصف شوارعها ، ووجوه صابرة محتسبة تسير بصمتٍ ويأس .. بغداد تعجُّ بالضوضاء وبالأناشيد الوثنية والأغاني الرخيصة التي أفرط بها مرتزقة الفن العربي ، فالكل يغنّي للطاغوت ولقادسيته المشؤومة ..

كان مذياع السيارة ينعق - وبأعلىٰ صوته - بالإنتصارات العسكرية المزيفة وبالأغاني الوثنية .. أعوام طويلة والناس لاتسمع غير هذا النوع المقيت من الفن الهستيري .

كانت الشوارع ملتوية ممتلئة بالصخور والكمائن[1] ! وكأن بغداد هي المسؤولة عن جرائم الدنيا! حيث ذئاب البعث منتشرة في كلّ شبر من بغداد الحزينة ! في الشوارع .. في الطرقات .. في الأسواق ، وهي تنهش لحمها بشهيةٍ ووحشية .

نعم ، هكذا كانت بغداد المسكينة ، فهي مافتئت تعيش الزمن الثقيل الراكد ، بغداد ثكلىٰ حزينة لانهم اغتصبوها وأجبروها أن تتزين في يوم موتها .. لقد أكرهوها أن ترقص بأبتذال للقادسية ولبطل البوابة الشرقية!

لكن (عواطف) لن تتسامح مع بغداد .. لقد حاورتها وعاتبتها بمرارة ! بَيْدَ أنهُ حوار من طرف واحد ، حيث بغداد صامتة لاتُجيب .. وأنّىٰ لها أن تُجيب وقد خرستها الآلام ! بغداد .. إستيقظي حبيبتي ، مابكِ مطفئة الأنوار ، هاهي الساعة التاسعة صباحاً ، فَلِمَ هذا التثاؤب ؟!

بغداد .. أمازلتِ في نومٍ عميق ، أما زالت عيناكِ مُخضّلتين بالدموع؟ لِمَ كل هذا الحزن واليأس الذي قد عمَّ وجهكِ!؟ ما هذه السُحُب السوداء التي تحجبُ عنك الشمس ؟ منظركِ يجعلني وكأني ما ألفتُ عشرتكِ ساعة من الزمن !!

أما زلتِ غافية ياحبيبتاه ؟ عودي الىٰ رشدك بغداد وانتصبي .. أطردي الكسل ، فليس هذا وقت بُكاء ، فلابد للشمس أن تعود ولابد للسحابة أن ترحل .. كفىٰ صمتاً يابغداد .. قومي وأطردي الغرباء .

بدأ صُراخ (عواطف) يتصاعد وعادت الدموع تتساقط .. ولكن لم يجبها سوىٰ

[illegible] تفتيش.

عويل الريح ..

نهضت (فاطمة) وأحتضنتها ، ثم همست في أُذنها برقةٍ وحنو :

– حبيبتي عواطف ، إهدئي .. إتركي العتب! أماترين بغداد مفجوعة وقد أسكرتها الآلام .. إحتسبي أُختاه وتعزّي بعزاء الله ..

ايه بغداد أيّ وحش كئيب ... ملأ الدار يتّماً وحزانى

ايه بغداد – لا عدمتك – قولي ... أيّ خطب دها فزاد اسانا

«أسود الناب» لا يفرقِ طفلا ... أو فتاة .. أو عاجزا تعبانا

ياكبار النفوس .. صبراً جميلا ... فالاضاحي تزيدكم ايمانا

❋ ❋ ❋

إقتربت السيارة من صحراء (أبو غريب) .. إنها نهاية الرحلة .. حينذاك فقط نظرت (عواطف) نحو جهة (الشرق) – حيث الأمل المنشود – وقالت بحرقةٍ وألم:

– وأنتَ أيها الأفق الشرقي[1] .. أما زلتَ مُلَبّداً بالغيوم! لقد سئمنا الإنتظار، مالكَ راكدٌ .. مَنْ لبغداد الأسيرة ؟! إنها تحتضر! نعم تحتضر .

استقرّت السيارة في إحدىٰ الساحات الموحشة للسجن الكبير ، وترجّلت (عواطف) مع أخواتها الىٰ حيث أمروهُنَّ .. وصارت تُتمتم وبهدوء تام :

«أنا لم أترككِ بغداد ، لكنه الوداع الاجباري .. بغداد أيتها الحبيبة المفجوعة . لا أخالكِ ستذوقين للشمس طعماً مادمتِ لم تستيقظي !!» .

الغروب البشع

أخذوهنَّ – فاطمة ، عواطف ، أمل – الىٰ بناية خاصة في قاطع الأعدام (قسم الأحكام الثقيلة) .. مرّت ساعات النهار طويلة قاسية ، طويلة كصبر أمهاتنا ، قاسية كملامح الجلّاد ..

تآكل نور الشمس وزحف الغروب ، حينذاك اقتادوهنَّ الىٰ غرفة الاعدام حيث

---

١ – المعارضة العراقية الإسلامية التي جعلت من إيران مقراً لها.

المشنقة والكرسي الكهربائي ..

كانوا يأخذون المحكومين بالاعدام صباحاً ، بيد أن التنفيذ يتم مساءً .. وكان المجرمون يسخرون من المجاهدين بقولهم : «الله يقول بالقرآن إن الأرواح تصعد الىٰ السماء عند وقت الغروب ، ونحن نفعل هذا لأجلكم» !!

كان يفصل بين غرفة إعدام النساء وبين القاعة الكبيرة التي يتم فيها إعدام الرجال ، نافذة صغيرة (شبّاك زجاجي) ،

وكانت القاعة قد امتلأت بأروع إضمامة عطرة من الرجال الصالحين حيث تجاوز عددهم الـ (١٥٠) مجاهداً ..

وكان في الربع الأخير من القاعة قد تأرجحت عشرة حبال غليظة عتيدة ، ومع كل حبل يتدلىٰ سلكان كهربائيان يوضعان علىٰ الأوداج لتكون عملية إزهاق الروح سريعة وأكيدة .

مهرجان الإعدام الجماعي

لقد أعدَّ الطغاة مقاصلهم للانتقام من رجال العراق الصالحين .. كانت الوجوه رغم شحوبها مستبشرة تطفح بالسرور لقرب الرحلة الىٰ الملكوت الأعلىٰ ، حيث الأحبّة والجنان والحياة الحقيقية الخالدة ..

كانت الشمس قد سقطت في الافق هاربة خجلىٰ وقد احمر لونها مؤذنة بمساءٍ حافل بالموت الأحمر .. كانت وجبات الإعدام تتلاحق ، والرجال يودّع بعضهم الآخر .. هذه هي الحرية التي رفع شعارها حزب البعث العفلقي كإحدىٰ أهدافه !

لقد أتت الذئاب فافترست الضحايا ، وبأقل من ساعة جعلوهم ذبائح مطروحة علىٰ الأرض كالأضاحي ..

تباً لك أيها البعث .. أيها الدمار .

كل فصول هذا المساء البشع ، كانت علىٰ مرآىٰ ومسمع من الشهيدة عواطف ،

فراحت تبتلعُ ريقها الجاف ، وتتحسَّس رأسها بكفّيها كأنها تريد أن تتأكد ، هل هذا الذي تراه كابوساً أم حقيقة ؟!

قارئي العزيز ، لم أقصد أن أقتل وقتك علىٰ مذبح الكلام ، لكنك تؤيدني أن ما روته الشهيدة «عواطف» لنا ، كان فرصة نادرة ، جاد بها القدر ، نقلنا لك فيها فصلاً دامياً مازال يتكرر مرتين في الأسبوع علىٰ شعبنا المظلوم !

أنين الصحارى

تم نقل الجثث المكدسة الىٰ مكان قريب ، لينقلوها سرّاً بعيداً عن صراخ الأمهات ودموع الأخوات .. كانت عيونهم أشبه بالقبر وهم ينقلونهم سراً ، وكان القبر حزن أمة .. القلوب التي كانت قبل حين تلهج بذكر الله صارت أجساداً تنصت للصمت ، لقد ارتحلوا .. نعم ارتحلوا لانهم لا يصلحون لهذا الزمن ! كم من الجثث قد وارتها المقابر الجماعية السرّية – في صحرائنا القاحلة – وهي تئن لكثرة ماشربت من دماءٍ طاهرة .

عواطف ملتصقة بزجاج النافذة ، تنظر الىٰ الأجساد وهم يجرّونها سحلاً أمام أعينها واحداً تلو الآخر .. وفجأة انتبهت الىٰ جسد مرّ أمامها ، إنه زوجها الحبيب .. لقد سحلوه علىٰ بعد أمتار من أمامها ، ولا تفصلها عنه سوىٰ هذه النافذة اللعينة .. ها هو زوجها وقدوتها ، زوجها الذي سكب فيها روحاً من روحه .. فراحت تلوّحُ بيدها الرقيقة المرتجفة بلا شعور صوب الجسد ، علّه ينتبه ويراها!

ولكن أنّىٰ له هذا والروح قد أزهقها الجلاد .

دقائق للتربة

لقد حرصت الشهيدة عواطف ـ بعد رجوعها ـ أنْ تنقل المشهد بكامله بأمانة ودقّة ، لئلا يُدفَن مع مئات بل آلاف المشاهد الدامية التي لم يشهدها إلّا الجلاوزة الجـلّادون ، ولهـذا مـافتئت تـقصّ علىٰ السجينات فـصول قـصّة المشهد

الرهيب ، فتقول :

«بعد إعدام العلوية فاطمة أنزلوها من حبل المشنقة ، وجعلوها مسجاة على أرض الغرفة .. أما نحن - عواطف وأمل - لقد أخرجونا الى حيث القاعة الكبيرة التي باتت فارغة تماماً لنكون بانتظار السيارة الخاصة بارجاعنا الى سجن الرشاد بعد أن صدر أمر تأجيل إعدامنا - ولأسباب غامضة - وكانت دقائق الانتظار فرصة سانحة لي لأعزي نفسي ولأندب زوجي» ..

نعم لقد تهاوت (عواطف) الى الأرض نادبة باكية ، واحتضنت ذلك المكان الذي رأت فيه جسد زوجها .. وطفقت تزرع القبلات على الآثار التي تركها ذلك الجسد الطاهر على الأرض .. ثمّ انفجرت بالبكاء وقد لثمت كل بقعة مرّ بها الجسد وراحت تندب زوجها حتى تقرّحت عيناها ، لقد ركعت على تلك الآثار وغسلتها بالدموع .. يعجز اللسان عن توضيح ما كانت تعانيه هذه المرأة الصابرة المحتسبة .

الرشاد .. الفرحة بعد صلاة الوحشة !

كانت الأخوات في سجن الرشاد ، يصلين صلاة الوحشة على أرواح الشهيدات الثلاثة .. كان التناغم شجياً يفوق كل موسيقى البشر عذوبة وجمالاً .. فمنهن في الصلاة والدعاء ، ومنهن يقرأن القرآن وزيارة وارث بصوتٍ عالٍ .

الجميع في نشاط هذه الليلة ، إنها تراتيل بلابل المساء ، ذات الأجنحة الصغيرة ، والأرواح الكبيرة .. وإذا بهن يسمعن صوت إحدى الرقيبات[1] وهي تصرخ في القسم بفرح : «البنات رجعن من أبو غريب ، البنات رجعن!» .

لقد خامر الأخوات فسحة من أمل ولمحة من رجاء ، فتركت كل واحدة منهن (وردها) الذي كانت عليه ، وركضن باتجاه صوت الرقيبة ، وقد أشرقت وجوههن فرحاً .. إنّ اللسان ليعجز عن وصف الفرحة التي امتلكت الأخوات حين اكتحلت عيونهنّ برؤية (عواطف وأمل) .. ولكن ماتزال العيون ترصد الباب

---

(١) الرقيبة سميرة بنت أبو نعمان ، من سكنة الكرادة، لها أخوان يعملون - سجانين - في سجن أبو غريب .

الكبير .. إذن أين فاطمة!؟

تحدّثنا إحدىٰ الأخوات السجينات[1] عن لسان الشهيدة عواطف ذاتها :

«بعد ان اعدموا «١٥٠» مؤمناً ، سحبوا الجثث أمام عينيها وكان ضمنها جثة زوجها الشهيد علي ناصر .

بعدها قالوا للبنات :

ـ لقد تم تأجيل إعدامكم الىٰ وقت آخر ..

اعادوهم الىٰ سجن الرشاد مرة أخرىٰ بحجة انه لابد من فحصهم أو كلام من هذا القبيل ! او لعلّ السبب الحقيقي ان الوقت المخصص للاعدام قد نفد او لأنهم قد تعبوا بسبب كثرة العدد !

رجعت البنات ليلاً ، كانت معنويات عواطف عالية جداً ، حيث قالت لنا :

لقد إزددتُ قوة وايماناً بالشهادة عندما رايت الشباب بكامل عزمهم وهم يُعدمون ، كانت اشكالهم بعد الاعدام تبقىٰ كما هي لم تتغير وكأنهم نائمون» ..

وأضافت :

«لقد رايتُ زوجي (ابو دعاء) وهو شهيد ، ففرحت كثيراً ، وانا الآن انتظر وقت الاعدام بفارغ الصبر لألحق به» .

سجينة أُخرىٰ[2] تُحدّثنا عن حوارها مع الشهيدة عواطف عند رجوعها :

«أخذوا البنات صباحاً الىٰ «سجن ابو غريب» . وكان وقت تنفيذ الإعدام بعد غروب الشمس !

ولكن سبحان الله لقد حصل ما لم يكن بالحسبان ، حيث عادت (عواطف) ـ ومعها أمل ـ الساعة التاسعة مساءً من نفس اليوم .. لقد فتحوا لهنّ باب السجن ..

دخلت (عواطف) القسم وكانت متعبة جداً ، لكنها رغم كل ذلك كانت تردد تلك العبارة : «بنات هنئوني ، لقد رأيت إستشهاد ابو دُعاء» .

بعدها أجلسوها لتروي كل ما رأت في «أبو غريب» فقالت :

أدخلونا في غرفة بجوار قاعة كبيرة بداخلها ما يقارب الـ (١٥٠) شاباً مؤمناً يرتدون

---

١ ـ الأُخت السجينة أحلام البصري .

٢ ـ الأُخت المجاهدة (ف ..... البصري) .

الثياب البيضا ..

بقينا من الصباح حتى المسا. بلا ما. ولا طعام ننتظر الإعدام .. وكذا كان الشباب .. وعندما حان وقت صلاة الظهر قام جميع من في القاعة للصلاة جماعة ، كانوا ما بين مسبّح وداعٍ ومصلٍ وقارىء للقرآن .. سمعت احدهم يقول بصوت عال : «لقد قتلنا العطش ، فمتى تقوموا باعدامنا؟» فاجابه آخر : «اصبر ، فوراءك شربة لا تظما بعدها ابدا» .

كنتُ أنظر لروحيّة هؤلاء الشباب وانا غافلة عن الاعدام الذي ينتظرني .. كانوا ينتظرون لحظة الاعدام بلهفة كالصائم ينتظر لحظة الافطار ، او كالذي ينتظر شخصاً عزيزاً عليه .

وعندما حان وقت الغروب بدأت عمليات تنفيذ حكم الاعدام .. كان الجلاوزة يرتدون ملابس سودا. ووجوههم مخيفة مرعبة .

وشيئاً فشيئاً اخذت القاعة تهدا حتى فرغت تماماً ..

كانوا يشنقونهم بحبل كهربائي ، وكان الاعدام يتم خلال لحظات» !

المؤتمر الصحفي

عادت عواطف ـ ومعها أمل ـ الى سجن الرشاد ليلاً .. كانت متعبة جداً ، فكأنها جثّة حيّة تنتظر الموت .. بيد أنها كانت سعيدة مبتسمة! لا لأنها مازالت تنعم بالحياة ، فذلك كان مصدر حزنها وآلامها ، بل لأنها تيقنت أن زوجها قد نال شرف الشهادة ..

نعم ، لقد رأته ـ وعن قرب ـ وهم يسحلونه أمام عينيها بعد أن نفّذوا به حكمهم الجائر ، فاطمئنت على عاقبته !

بعد أيام اقترحت إحدى الأخوات السجينات عقد مؤتمر صحفي رمزي مع كُلٍّ من عواطف وأمل ، وكان السؤال الأهم : ماهو شعوركنّ وأنتنّ تنعمان بالحياة ، مع احتمال الغاء حكم الإعدام وتبديله الى المادة «٢٥٧» سجن مؤبد ؟

كان جواب الشهيدة «أمل» هو أنها تشعر بالإرتياح حيث التزوّد بالعمل الصالح وبما ينفع في الآخرة ..

أما الشهيدة «عواطف» فكان شعورها يختلف ، كانت حزينة لان الشهادة كانت ـ ومازالت ـ أُمنيتها .. سيّما وأن الخوف من الموت قد مات في قلبها منذ أمدٍ بعيد .. ولم تتمالك نفسها ـ وهي تحدثها عن مشاعرها ـ فأجهشت بالبكاء المُرّ ، وهي تقول :

أثناء استرسالها في الحديث لم تتمالك عواطف مشاعرها ، فاجهشت في بكاءٍ مُرٍّ حزين وقالت :

«أين الموت الذي كان ينصب شراكهُ حوالي ؟ أين الذئاب التي كشّرت عن أنيابها تريد تذوّق لحمي ؟!

ها أنا بالانتظار .. فما عاد الموت يشغلني أبداً .. وكم أنا مشتاقة الىٰ اللحاق بزوجي (أبو دُعاء) .

كانت تهمس للبنات مستغربة : شعرتُ براحةٍ عجيبة وباطمئنانٍ نفسيٍّ لايتناسب مع وحشة المكان ! ما سر هذهِ السكينة التي نزلت علىٰ قلبي ؟!

أَلِأَنَّ «فاطمة» كانت بقربي ؟» .

تُحدِّثنا إحدىٰ السجينات [١] عن بعض فقرات ذلك (اللقاء الصحفي) قائلة :

«لقد اجابت عواطف وأمل على اسئلة عديدة .. ولعل السؤال الأهم كان عن المشاعر فيما لو تمّ تنفيذ حكم الاعدام او إلغائه ..

فكان جواب أمل : بصراحة .. خفتُ من الموت .

اما عواطف فاجابت : لم أخف من الموت أبداً ، فالشهادة أمنيتي .

شابّة في مقتبل العمر ـ ٢١ سنة ـ وعندها وليدة .. رجعت حزينة متألمة لانه قد تمّ تأجيل إعدامها !

كان موقفاً كبيراً ، لن انساه ابداً» .

---

١ ـ السجينة نهلة هادي نجف .

زفاف حوريتين

دامت فترةُ بقائهنَّ (أمل وعواطف) في السجن بعد عودتهنَّ من ساحة الاعدام عشرين يوماً ، وما إن حلَّ اليوم الواحد والعشرين حتىٰ جاء الجلّادون لأخذهما مرّة أُخرىٰ الىٰ سجن (أبو غريب) لتنفيذ حكم الإعدام الجائر .. وقبل الخروج من القسم قامت الأخوات بتحضير الكفن والزعفران – من جديد – لهنَّ بعد أن غسلنَ غسل الشهادة وقرأنَ بعضِ الآيات والزيارات والأدعية .. وهكذا زَفَّ سجنُ الرشاد ـ مرّة أُخرىٰ ـ حوريتين الىٰ جنة الزهراء .

تقول احدىٰ الأخوات[1] :

«بقيت عواطف عشرين يوماً كانت روحيتها ـ خلالها ـ عالية جداً ، لم تفارقها الابتسامة ابداً ، وكانت دائماً توصي الأخوات بالثبات علىٰ العهد .. وما زالت بعض كلماتها ترنُّ بمسامعي :

«إن هذا الخط هو خط الحسين عليه السلام ولابد من الاصرار والاستمرار في المسير» .

بعدها اخذوها الىٰ غير رجعة .. لقد نفّذوا فيها حكم الإعدام الجائر ، وتم تسليم جثتها لأهلها بعد ان اخبرتهم بنت عمها (السجينة آمال الحمداني) بذلك في يوم المواجهة» .

تجارب الكيمياء !

نقلاً عن جميع الذين اشتركوا في دفن الشهيدة (عواطف) انهم قالوا : كان جسدها مطعوناً باللون الأسود .. أثر سريان (السم) وكانت ساقاها ويداها تتهرآن عند أي محاولة لحملها ، وكان شعر رأسها يتساقط بكثافة .. إنه ليس (الثاليوم) أو (السيانيد) ولا (الزرنيخ) إنما هو مواد الأعصاب المسرطنة[2] ، والمحظورة دولياً ، يتم

---

(١) الأخت السجينة إيمان البصري .

(٢) بدأ انتاج المواد السامة للأغراض العسكرية في بداية السبعينات تحت اسم مؤسسة (ابن الهيثم) شرق بغداد ، والتي ...ت في سني الحرب المفروضة علىٰ إيران الىٰ منشأة لأنتاج السلاح الكيمياوي في العراق تسمىٰ (منشأة المثنىٰ العامة) ...بعد (٤٠) كم عن مدينة سامراء ، ومساحتها (٢٥) كم ٢ ، ومحاطة بـ(١٦٠) كم ٢ من الأراضي التي لاتسمح لأحد ...الاقتراب منها .. قامت هذه المنشأة بأنتاج جميع الغازات والمواد الكيمياوية المُسرطنة والمحظورة مثل غاز التابون وغاز ...ين ومسحوق الـ(B.Z) .

الحصول علىٰ نماذج منها من الدول التي ترفع شعارات التحضّر والحرية وحقوق الإنسان![١] وبالتالي وبعد جملة إختبارات كيمياوية مختبرية علىٰ (الفئران البيضاء المخصصة لهكذا تجارب ، يتم إنتاجها ريادياً لتستخدم بشكل مكثّف في الحرب البعثية المفروضة علىٰ دولة الإسلام الفتيّة أو علىٰ ثوار أهوار الجنوب ومناطق الشمال !! إنها أسلحة كيمياوية فتاكة ، وهي أجيال متطورة عشرات المرات عن جيل (غاز الخردل) ، حيث تم استخدامها مختبرياً – كتجارب – علىٰ مئات المؤمنين المحكومين بالاعدام في سجن (أبو غريب) في قسم الاحكام الخاصة المغلقة – القافات – خلال سنيّ الحرب الأخيرة !

تقول إحدىٰ السجينات[٢] :

«استخدموا ابرا كيمياوية مع عواطف قبل إعدامها .. سيما انهم كانوا يمنعون إجراء اي فحص طبي على الشهيدة فاكتفوا باعطاء اهلها «ورقة دفن» فقط للسماح لهم بدفنها وتحت نظرهم وبرفقتهم وبسرعة وبدون عزاء» .

الكرسي الكهربائي !

وبعد إجراء هذه التجارب علىٰ جسد وروح المظلومة (عواطف) بدأت مواد الأعصاب تفتك في جسدها لتحيله الىٰ جثة حيّة تتآكل بالموت البطيء ..

ولكي يخفوا آثار جريمتهم المروّعة قاموا باعدامها صعقاً بالكرسي الكهربائي[٣] ، هذا ما تأكد لنا من خلال آثار الأحزمة علىٰ المعصمين والساقين ..

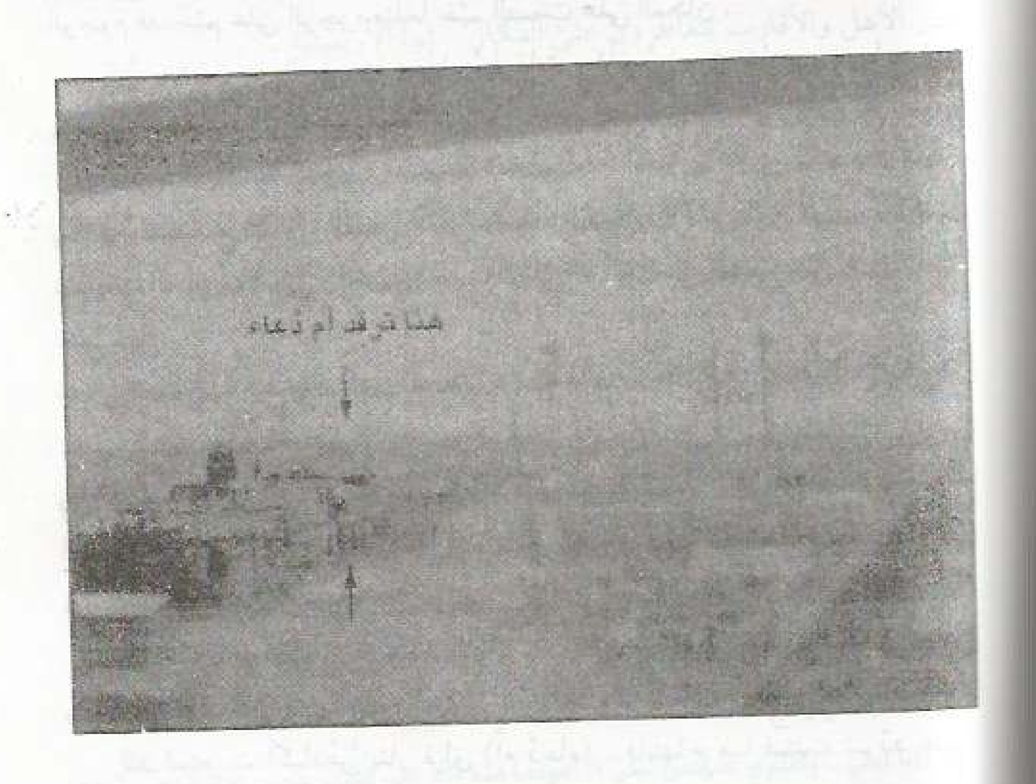
---

١ – الدول الأساس التي صدّرت هذه المواد – المحضورة دولياً – الى منشأة المثنىٰ في العراق هي: ألمانيا الغربية وأميركا ثم بريطانيا وفرنسا ، فقد اتهمت صحيفة Sunday Times Newspaper في عددها الصادر في ١٩٩١/٨/٤م الحكومة البريطانية بأعطاء تصريحات اذن جمركية لنقل (٨٦٠٠) كيلوغرام من اليورانيوم والمواد المشعة الأخرى الى العراق وعلىٰ شكل ثلاث وجبات كبيرة خلال سنيّ الحرب مع إيران .. كما صدر كتاب في المانيا الغربية : H. Leyendecker and R.Rickelmann, Exporteure Des Todes, Exporteure Des Todes, steidl Verlag, Gottingen 1990 , ذكر فيه أن أربعين شركة أوربية متورطة بتزويد العراق بالمواد الكيمياوية وبالأجهزة المصنّعة للأسلحة الكيمياوية وبكلفة (٨٠) مليون دولار للفترة من عام ١٩٨٠م الىٰ عام ١٩٨٩م .. والجدير ذكرهُ أن رئيس فريق خبراء التفتيش التابع للأمم المتحدة (جيمس ناب) قد أكد عام ١٩٩٢م عن تدمير (٢٠) الف قنبلة وصاروخ ورؤوس حربيّة قادرة علىٰ حمل ذخائر غازات كيمياوية سامة !!

٢ – الأخت المجاهدة نهلة هادي نجف .

٣ – لم تكن الشهيدة عواطف أول ولا آخر من استشهد بطريقة الكرسي الكهربائي ، فهناك العشرات – نساءاً ورجالاً – قد لاقوا

وهكذا سلّموا جثة الشهيدة عواطف الىٰ أهلها ، لتدفن بحراسة وصمت دون أن تقام لها مراسيم دفن أو تشييع .. دفنوها ليلاً في وادي السلام بجوار بطل الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فسلام عليها وعلىٰ روحها الكبيرة الصامدة .. سلام عليها يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث من جديد .



قبر الشهيدة عواطف الحمداني.. الصورة عام ١٩٩٣م.

ـ بهذه الطريقة البشعة ، نذكر بعضاً منهم في سبيل المثال لا الحصر :
ـهيدة المعلمة فضيلة عباس الحداد .. من بغداد ، عام ١٩٨٢م.
ـهيد الجامعي تحسين خضر محمد .. من البصرة ، عام ١٩٨٥ .
ـهيد رضا جواد العويناتي .. من الكاظمية ، عام ١٩٨٦/١٢/٢٨م.
ـهيد كامل ناجي الخالدي .. من النجف ، عام ١٩٧٧م.

شهيدة في أربعينية شهيدة

رُغم المنع والقمع من قبل السلطة الجائرة قرّر عدد من الزينبيّات المقربات زيارة قبر الشهيدة السعيدة «عواطف» في أربعينيتها ، حيث كانت المشاركة في تشييعها ودفنها من الصعوبة بمكان ، بسبب المنع البوليسي والتعليمات الفرعونية ..

إنها الساعة الثانية ظهراً .. غاص سرب الحمائم في مقبرة وادي السلام .. كان الوجوم قد خيّم علىٰ الوجوه مثلما خيّم الصمت علىٰ المكان ..

كنَّ يمشين بين القبور علىٰ مهلٍ مُطرِقات ، كأنهنَّ زورقٍ هادىء ينساب في بحيرةٍ مقدسةٍ ..

كانت المهندسة الشهيدة «رجيحة الخطيب»[1] الحادية التي تتقدم الركب .. بعضهنَّ يتمتم مع نفسه والبعض الآخر يتحاور ويتبادل الآلام بحزن مَهيب .. فاضت حدقات العيون بالأسىٰ والحسرة ،حيث الدموع تنساب من الجميع مثل غيومٍ تمطرُ علىٰ مَهل .

وفجاةً انتبه الجميع .. تُرىٰ لِمَ تَسمّرتْ قدما «رجيحة»؟ بل لِمَ جَثَتْ «إبتهاج»[2] علىٰ ركبتيها باكيةً مُنتحبة ؟!

نعم .. لقد وصلن الىٰ الحبيبة ، فها هو قبر العزيزة المظلومة «عواطف» .. تهاوت النسوة علىٰ ثرىٰ القبر باكيات نادبات ، ثم مهنئات مباركات فـ«الشهيد لا يُفتن في قبره»[3] .

بدأن الزيارة كأروع ما يكون اللقاء .. وأعلنَّ الوفاء كأقدس ما تكون الدموع والآلام .. وأقسمن علىٰ العهد والميثاق ـ مُجدّداً ـ كأصدق ما يكون العزم والثبات

لقد استعرت أكبادهُنَّ بنار فراق (أُم دُعاء) .. فابتهاج ما فتئت تردّد عند رأس عواطف :

كُنّا وإيّاكُم نـزورُ مقابراً	ومُتّم فزرناكُم وسوف نُزارُ

١ ـ الشهيدة المهندسة (رجيحة الخطيب) : منارة بغداد المنسية .. إرجع الى الجزء الثاني من كتابنا «مذكرات سجينة» .

٢ ـ الشهيدة ابتهاج التوّاب : مأذنة الحرية .. إرجع الىٰ الجزء الثاني من كتابنا «مذكرات سجينة» .

٣ ـ قيل للنبي صلى الله عليه وآله ما بال الشهيد لا يُفتن في قبره ؟ قال صلى الله عليه وآله : «كفى بالبارقة فوق رأسه فتنةً» .

أما رجيحة فصارت تتغنىٰ بالأبيات التالية :

هـنا يـقف الخـاطر المُـلهم ... ويسكتُ فـيه ويسـتسلمُ
وتـلمحُ فـي جَنبات الضريح ... دمـاء الشـهادةِ إذ تُـلثمُ
وقـد قـام مـن حـولهِ الزائـرون ... ونارُ الأسىٰ في الحشـا تُـضرَمُ[1]

لم يطل «سرب الحمائم» الاقامة والسَجع عند روضة الشهيدة «عواطف» حيث صار الأهل والأقارب يتقاطرون علىٰ المكان .. إنها الأربعينية .

تفرّق السرب ويمّمَ ـ عمداً ـ نحو الغروب ، لحاجةٍ في نفس يعقوب قضاها..

تحدّثنا أُخت الشهيدة إبتهاج النوّاب [2] :

«عندما إستشهدت (عواطف) وتم دفن جثمانها الطاهر في مقبرة السلام في النجف الأشرف ، رأيت أختي (إبتهاج) يوماً وقد أدميت مقلتاها وهدّ كيانها .. تُرىٰ ما الخبر؟ !

اجهشت (إبتهاج) بالبكاء واجابت :

لقد كنّا اليوم عند قبر صديقة عزيزة علينا ، اليوم اربعينيّة (عواطف) .. وقد جاءت امها بفرشة عرسها ودعت صديقاتها واتت بطفلتها (دعاء) معها وقالت بصوتٍ متهدّجٍ حزين :

إبنتي عواطف ، أبارك لك عرسكِ ـ لانها كما تعلمون لم تر عرس ابنتها ، وبالأمل لأن عواطف وزوجها كانوا دُعاة مطاردين ، فلم يقيموا عرساً كبقية الناس .

بدأت الأم تنشد عند قبر إبنتها ، وكانت (دعاء) ـ وهي التي لها من العمر اشهراً معدودةً آنذاك ـ وكأنها ثورة تريد أن تهدّ كيان الظالمين» .

وتضيف إبتهاج :

«كنّا نبكي .. ولاندري علىٰ من نبكي ؟! لموقف هذه الأم التي تبارك عرس إبنتها وهي تحت التراب ، أم لهذه الطفلة اليتيمة لفقد عاطفة أمها وحنان ابيها ؟! فهي إبنة الشهيدين» .

---

[1] من قصيدة لآية الله العظمىٰ العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله «حفظه الله ورعاه» ، قرأها في المرقد الحسيني بكربلاء بتاريخ ٢/١/١٣٧٠ هـ.

[2] الأخت الفاضلة الدكتورة مائدة النوّاب .

نعم ابتهاج ، إبكي أُخيّتاه .. ابكي علىٰ صديقتك الحبيبة «عواطف» .. ولكن ، ليت شعريِ ، تُرىٰ مَنْ سيبكي عليكِ غداً؟!

دعاء مرةً أخرىٰ

وأخيراً وليس آخراً .. بقي أنْ نبوحَ بحادثة حصلت لنا اتفاقاً باذن اللّه سبحانه ، حادثةٍ لا تُنسىٰ ، تتعلّق بشهيدتنا الغالية (عواطف) :

في عام «١٩٩٩م» ، وقبل أن أُغادر الوطن قسراً لأُنفىٰ الىٰ (الربذة) ، ذهبتُ ومعي رفيقة السجن والدرب والمهجر الأُخت (ش . ي)[١] لزيارة وتوديع ضريح الإمام الكاظم عليه السلام (باب الحوائج) ، لأننا كنّا عازمَين علىٰ الهجرة .. وقد لفت إنتباهنا منظر فتاة صغيرة مُحجّبة عمرها (١٥) ربيعاً ، كانت كالملاك .. وكان كُلُّ ما فيها يُذكّرنا بـ(عواطف) ، بل كانت صورة مُصغّرة عن (عواطف) ! تُحاكي كُلَّ ملامحها وقسمات وجهها أنها (عواطف) بعينها وأنفها وفمها !!

كانت تجلس بجوار إمرأة عجوز ـ أثقلتْ آلام السنين ملامح وجهها ـ تقرأ لها الزيارة في حرم الامامين عليهما السلام ..

وتجرّأت زميلتي واقتربت من الفتاة ، وطلبت منها بعض المساعدة – تصنُّعاً .

سألناها :

ـ خالة ما اسمُكِ ؟

فأجابت بحياءٍ ورِقّة :

ـ دُعاء !!

بدأت (دُعاء) تقرأ لنا الزيارة .. وبدأت دموعنا تنهمر كوابل المطر .. ولم نستطع أن نتمالك أنفسنا .. لقد وجدنا فيها طيف الشهيدة عواطف ، حتىٰ صوتها الشجي يشبه صوت أُمها الحنون .

إنّها الوليدة التي ذاقت العذاب وهي في أحشاء أُمها المُعذّبة .. الوليدة التي وُلدتْ

---

١ – سجينة مجاهدة كانت معي في سجن الرشاد ببغداد.. وهي الآن معي في سجن (الربذة) بالمهجر!

وراءَ قُضبان السجون ، يحيط بها الأعداء والجلّادون ..

إنّها بقيّةُ السيف التي ستكون - بإذن الله - أكثرَ عدداً وأنمىٰ ولداً ، رُغمَ أنف الطُغاة الجائرين **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**[1] .

إنّهُ البُرعُم الفتي الذي ترعرع ونما عوده الوارف ..

إنها (دُعاء) طفلة الشهيدة عواطف !



---

[1] سورة الأنفال : ٣٠.

دعاء

دعاءُ .. يادعاءْ
يادوحةَ العزِّ ويا أنشودةَ الإباءْ
ياسليلة المجد الذي سار بركب الشُهداء
يابقيّةَ السيف الذي لايعرف الذلَّ ولا الركونْ
هل تعلمين ..
أنّكِ رُغم أنوف الأدعياء
ولدتِ في العراقْ
يُحيطك (الرفاقْ)
في أقبية السجون ؟!!

❁ ❁ ❁

هل كُنتِ تشعرين ..
وأنتِ في أحشاءِ أمّكِ جنين
في غُرف التعذيب
يهددُ عفافها الطاغيةُ الجلّاد ؟!
ينزعُ عنها سترها المصون !!
يريد أن يذلها
لتنطق بسرِّها المكنون
يريد أن يقهرها
ليسحق إباءَها الحصين ؟!!

❁ ❁ ❁

هل كنتِ تسمعينْ ..
أنّاتِ أمّكِ التي اثخنها الجراحْ
صراخَ روحها التي تُزهَق كلَّ يوم مرّتين
أزيز قلبها الذي أوجعه اللعين ؟!
فقلبُهُ حجارةٌ
ونفسه قذارةٌ
وحقدهُ دفينْ
هل كُنتِ تسمعين
نباحهُ .. عواءهُ
ضباحهُ .. صفاءهُ
نهيقهُ .. زئيره !
فكلُّ شيءٍ عندهم ـ حبيبتي ـ مُباحْ
وكلُّ عفّةٍ في شرعهم مهيضة الجناحْ !

❁ ❁ ❁

هل حدّثوك ـ يادعا ـ عن قصّة الفطام
عن مشهد مازال ماثلاً في ذاكرةُ التاريخ
والأيام
يُقطّع النياط .. والقلوب
يُمزّق النفوس ..
يُقرّحُ العيون ساعة الغروب
وأنتِ تصرخين ..
كأنّكِ أحسستِ بالفراق
وأمّكِ تكثرُ البكاء
والتقبيل والعناق
تحضُنُكِ بحجرها ..
تسقيكِ من عصير عمرها ..
تضمُّكِ في صدرها الحنون
كأنَّ عقلها الحصيفْ ..
قد مسّهُ الجنونْ
فتذكرُ الرضيعَ عبدالله
والربابَ
والحسينْ
والخيام
فتكتمُ في روحها العطوف

مشاعرَ الهُيامْ
تبتلعُ الآهاتِ والأنّاتِ
والأوجاعَ والآلامْ
وتبعث النجوىٰ .. بكُلِّ كبرياءْ
من وحي كربلاء ..
حبيبتي دعاءْ ..
أمانةَ اللّه ويا وديعةَ السماءْ
سَتَلتقي هناك ـ عند اللّه ـ في
الجنان
في روضةِ الرحمن . في مقعدِ الصدق .. مقام
الشهداء
(في عيشةٍ راضية)
(في جنّةٍ عالية)
(قُطوفها دانية)
في موعد الحقِّ .. الىٰ اللقاءْ

* * *

هل حدّثوكِ ـ يادعا ـ
مَن (زَفَّ) أُمَّكِ الجميلة العروسْ ؟!
مَن نثر (الحلوىٰ) علىٰ الهامات والرؤوس ؟!
مَن أوقدَ الشمعةَ في زفافِها ؟!
أينَ قضت أُمُّكِ شهر أُنسِها ؟!
قد زفَّها الرقيبْ
والسجانْ
والجلّادْ
في الشعبةِ الخامسةِ
في أقبيةِ (الأمن) ببغدادْ
وفي سجنِ الرشادْ !!

السيد أبو مالك الموسوي[1]

٢٤ / محرم / ١٤٢٣هـ

قم المقدسة

---

[1] السيد عبدالسلام زين العابدين .. أستاذ التفسير في الحوزة العلمية .. له عدّة أبحاث ومؤلفات أبرزها كتاب «مراجعات في عصمة الانبياء».

بلا وداع

كمرفأٍ مهجور
كشاطئٍ يبحثُ في المساء
عن طيور
عن سفينةٍ ..
عن زورقٍ مسحور
في ليلةٍ ظلْماء
اتعبها نواح الريح والقبور
حانت لحظة العبور
أوّاه هكذا الوداع ؟!
لاعناق
ولايدا تلوح
أو ابتسامة الثغور
عواطف !
أختاه ! لحظة انتظار ..
وانطفأ الفنار
وأسدل الستار
أوّاه هكذا يسافر الأحرار ؟!
لا قُبلة
لا ابتسامة
لا شيء .. غير لوعة الفراق ؟
أوّاه يا أختاه
هكذا العراق ؟!

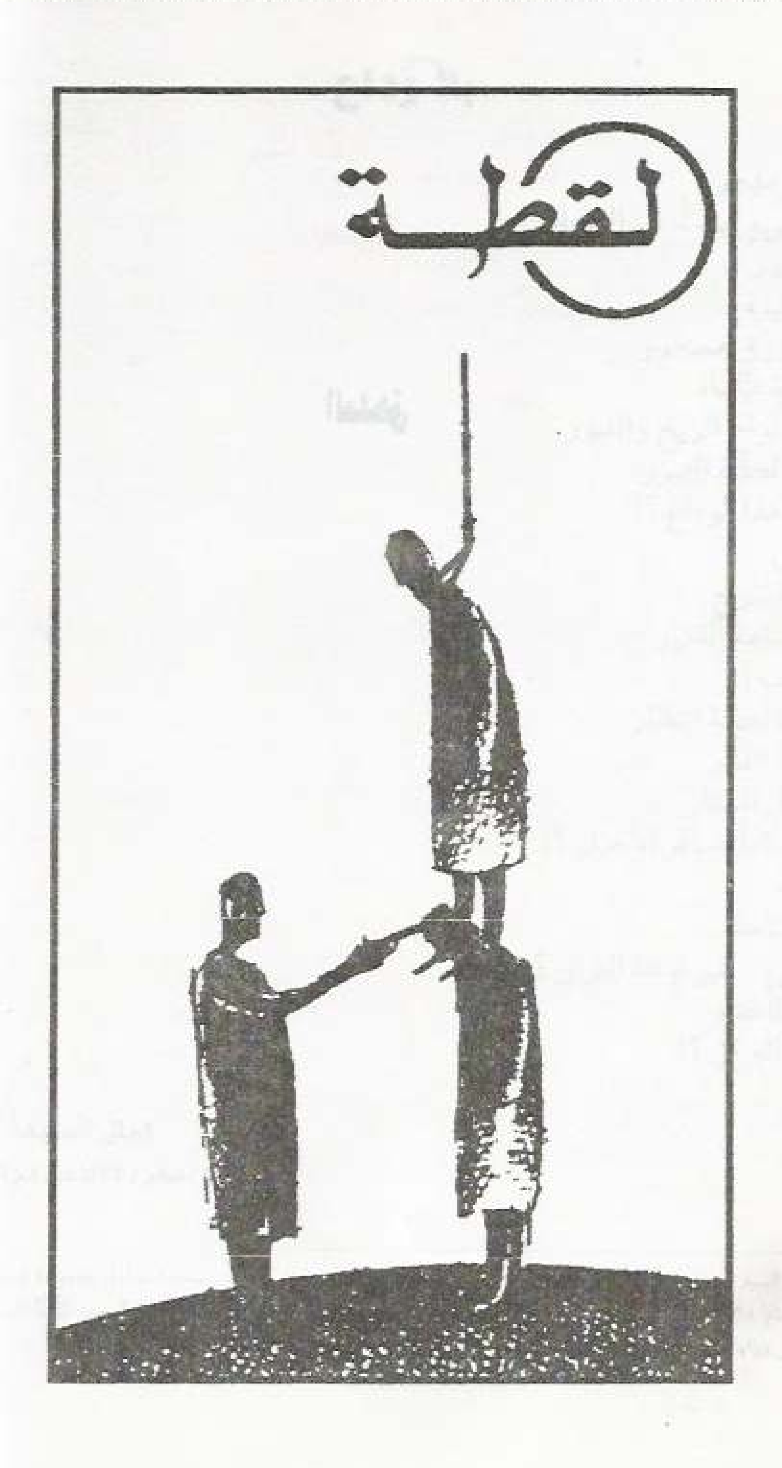
كمال السيد[1]

١٧ / صفر / ١٤٢٣هـ ، قم المقدسة

---

١ ـ كمال السيد : أديب عراقي من مواليد ١٩٥٧ ، هاجر الى إيران مطلع حزيران ١٩٨١ .. صدرت له أول مجموعة قصصية «آخر الليل» عام ١٩٩٤م ، وكتب مجموعة من الروايات التاريخية استكشف فيها حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كان آخرها «الشمس وراء السُحب» . له مؤلفات عديدة تُرجم كثير منها الى اللغات الفارسية ، الانجليزية والأردية .

الملحق


لقطة

جنود بلعم بن باعورا

أخي القارىء الكريم

حرصاً منّا على نقل تجارب جيلنا – جيل المحنة – لجيل الفتح ان شاء الله بحِلوها ومرّها، وايماناً منّا بأن خسائرنا الكبيرة الجليلة لم تكن جُلّ أسبابها ترجع لدموية العدو وحنكة أجهزته فحسب بل لبعض أخطائنا أيضاً..

لذا لابد لنا من فتح هذا السجلّ الأسود، الذي امتنع أغلب الكتاب والمعنيين عن الخوض في عُبابه، لأن آخر الدواء الكي..

اليكم هذا النموذج الغادر المدعو سيد (هـ. ش)[1] ونحن إذ نُسلِّط بعض الضوء عليه قبل غيره فذلك لقرب المصادر ودقّة المعلومات التي حصلنا عليها من اخواننا السجناء في المهجر الذين اكتووا بنار خيانته هذا أولاً، ثم لنقرّب بعض ملامح الصورة البشعة لما يسمىٰ بـ(غرفة المساعي الحميدة)[2] في الشعبة

---

١ – قبل المباشرة في طباعة الكتاب بأيام فقط أخبرني الأخ السجين طالب الساعدي من جمعية السجناء (جمعية الإمام موسى الكاظم عليه السلام) انه قد وصل اليهم خبر وفاة المدعو (هـ. ش) في العراق قبل اسبوع، حيث داهمه الموت على حين غرّة وأوقف قلبه..

وهكذا شاءت الاقدار أن لا يرىٰ هذا الغادر مادوّته آهات ضحاياه ورفقاء زنزانته.. لكن إن هي إلا دُنيا، ولعذاب الآخرة أخزىٰ وأشد. ولنُبل الغاية وشرف المقصد أراني منقاداً بلا تردد – رغم معارضة ضحاياه – على حذف الاسم، قناعةً منّي أن المحكمة الحقيقة لم تنته بموته، لأن ربك بالمرصاد. المؤلف

٢ – نشرت صحيفة «الكلمة الحرّة» في عددها الثامن الصادر بتاريخ ٢٢ – ذي الحجة – ١٤٢١هـ مقالاً لإحدىٰ الزينبيات السجينات اللاتي اكتوين بنار غدر فرسان «غرفة المساعي الحميدة». والمقال حمل عنوان: ملف السجون، وباسم «مُتابعة» – التي عتبت على محررة الصفحة النسوية فاطمة العراقي (أم حسين الساعدي) لأغفالها ملف «المساعي الحميدة» الخطير – هذا نصّه:

«السجينات والشهيدات والسجون والمعتقلات مفردات جديدة لم تألفها صحافة المهجر ولم تتوجّج بها صفحاتها. وهو ما امتازت وتميزت به صحيفة «الكلمة الحرّة» وربما أغفلت الصحافة المهجرية ذلك لأنها تداري مشاعر القرّاء ولم تفكّر بتعكير مزاجهم أو ازعاجهم. وهي مشكورة ومأجورة إن شاء الله وجزاها الله خير الجزاء.

ما ورد في صحيفة الكلمة الحرة من ملفّات مُرعبة تحكي فصولاً مهمة من مأساة ومعاناة شعبنا لهو وخز يستثير في ذاكرتنا مشاهد المحنة والقهر والتعذيب ويستعيد في وجداننا صور المأساة والبطش والقمع.

وإن ما نخشى عليه من إثارة تلك الملفات المنسية أو المغيبة هو أن يمتعض بعض الرجال هنا من تضحيات النسوة هناك، والرجال قوامون بطبيعة الحال، الأمر الذي يدعو الى الاعتراض والامتعاض.

قد لايصدق البعض ممن التحق بالمهجر بوقت مبكر ويراه مبالغاً وبعيداً عن الحقيقة وإن كنا نعتقد ان العالم كله ادرك بشاعة هذا النظام خصوصاً بعد غزوه للكويت وضربه مدينة حلبجة بالغازات الكيمياوية.. المهم إن ما ذكرته صفحتكم النسوية هو مفردة واحدة من مفردات الظلم والارهاب التي يحفل بها العراق ولا أخفي عليكم سراً إنني كلما قرأت هذه

الخامسة بمديرية الأمن العامة ثانياً.

لم يكن المدعو (هـ. ش) أول ولا آخر الخونة والمتخاذلين في قائمة الخزي والعار التي يتصدرها بلعم بن باعورا . وان هذا الذليل ومهما انكرَ ومكرَ وعلا شأنه في الدنيا فان لعنات الشهداء والمجاهدين ستبقىٰ تلاحقه الىٰ قيام يوم الدين .

يقول السجين الداعية (علي هليِّل الشمَّري) :

«كنتُ في زنزانة رقم (٣) من موقف مديرية الأمن العامة عندما جيء بالمدعو (هـ. ش) إلينا .. وبعد أن قام بتزكيته أحد السجناء الشباب من اهالي البصرة باعتباره سيد معمَّم وخطيب منبر معروف في جامع (الابلّة) منحناه كل ثقة وعناية واحترام .. بعد منتصف الليل تجاذبنا معه اطراف الحديث واخبرناه ، اننا ومجموعة من الأخوة السجناء بعض احلامنا كالتخطيط للهروب من السجن مثلاً .. وما أن حلّ صباح اليوم التالي حتىٰ جاء أحد الشرطة الىٰ الموقف ، أعتقد كان رئيس عرفاء كاظم (ابو جواد)

الصفحة «الثائرة» تأخذني حالات من الكآبة والقلق ولذا أسرع لأتناول أقراصاً مهدئة نتيجة قراءتي لهذه المشاهد المرعبة خصوصاً وان ما تذكره الأخوات السجينات هو غير خاف على ذاكرتي ومشاهداتي وكلما ذُكر اسم جلاد من المحققين (في المذكرات او اللقاءات المنشورة) أتذكر صورته أمام عيني ،عفواً شبحه لأن عينيَّ كانتا معصوبتين طيلة أيام التعذيب والتحقيق .

أرجو من جميع المعنيين من الحريصين على المسيرة المخضبة بالدماء أن يسهموا بشكل فاعل في تدوين هذا الملف وعرضه على كل القنوات الإعلامية المتوفرة وخصوصاً شبكات الإنترنيت كما أرجو من محررة الصحفة النسوية ملء الفراغات التي تترك لمجاراة الأوضاع أو الخطوط المحظورة لأننا بعد كل هذه المعاناة لايليق بنا مجاملة زيد أو عمرو وهل يوجد أمر أسوء من تعذيب المؤمنات الرساليات وممارسة أسوء أنواع التعذيب بحقهن حتىٰ تسكت عما حدث أو يحدث من أخطاء أو تجاوزات . وبصريح العبارة إننا كشفنا القناع عن أنجاس البعث وأمطنا اللثام عن الدهاليز المظلمة ولكننا أغفلنا مَن هو المقصر والمسؤول في توجيه مسارات الحركة الجهادية بالداخل وتعريض أوضاعنا للاختراق والتغلغل ومن ثم إعطاء النظام الثغرات لاعتقال المؤمنات الرساليات .

أقصد بوضوح ملف «المساعي الحميدة» كما يُطلَق عليه في أقبية الأمن العامة ويعرفه السجناء جميعاً رجالاً ونساء .. على الوقفة أمام هذا الملف الخطير» مُتابعة

ونحن بدورنا نُلبّي طلب الأخت المقدورة ونُحقّق شيئاً من رجاءها ، ونُعاهدها على المضي قُدُماً - وبإصرار - في تسليط الضوء على تلك النماذج الخانعة التي سوّلت لها نفسها التعاطي مع الجلّاد بأكثر مما يطلب ويتمنّىٰ ، في كشف أسرار المحن والعاملين لاالشيء إلّا لهوان دماء الشهداء على نفسه .

والجدير ذكرهُ أننا قد خصّصنا فصلاً كاملاً للغادر المدعو الشيخ راضي كَميد التميمي - أحد الدُعاة المتصدّين في بعض المدن الأُخرىٰ - في ملحمة الشهيدة «كميلة شرقي» من الجزء الثاني لكتابنا «مذكرات سجينة» وكذلك فعلنا مع المدعو جاسم البغدادي الملقَّب باسم «عباس» - مسؤول لجنة جمع التبرعات للدُعاة في بعض مناطق بغداد - في ملحمة الشهيدة الكبيرة المهندسة «رجيحة الخطيب» مسؤولة خلايا الدُعاة النسوية في مدينتي الكاظمية والحرية ببغداد.

وسنستمر في تسليط الضوء علىٰ ضِباع هذا الملف الأسود شريطة توفر المعلومات الموثّقة والدقيقة ، ولانخاف في الله والشهداء لومة لائم . المؤلف

مسؤول السجن . وفتح الزنزانة ونادى على الشوكي وذهب به خارج الموقف .

وماهي إلا عشر دقائق حتى حدثت المفاجأة !! إذ جاء الجلاد ملازم حازم ومعة عدد كبير من زبانيته الى زنزانتنا . وصار يهدد ويتوعد ثم فتحوا له باب الزنزانة فاخرج وجبة منّا ثم تلتها بعد دقائق الوجبة الأخرى . المهم كنّا سبعة افراد صعدوا بنا الى غرفة التعذيب في الشعبة الخامسة وقام الجلاد المجرم رائد عامر وملازم حازم بالتحقيق معنا وتعذيبنا . في البداية انكرنا كل شيء. ولم نعترف بأمر التخطيط للهروب . فجاءوا بعميلهم (هـ. ش) الذي بدأ يشير إلينا ويذكّرنا بكل شاردة وواردة من حديث ليلة الأمس .. ماذا ننكر ؟! وانّى لنا ذلك . فقد أخبرني السجين عبدالرضا شرهان الناصري فيما بعد ، باعتباره كان قد صعد الى التحقيق قبلنا . انه حينما حاول الإنكار أخرجوا له شريط التسجيل بأصواتنا جميعاً بل انه قد سمع حتى صوت السجين (ق . فهود / ابو عقيل الفرطوسي) وهو ينشد (سلاماً سلاماً) في رثاء السيد الصدر‏ . فتاكد لنا أن المدعو (هـ. ش) الذي جاءوا به الى زنزانتنا كان قد خبأ جهاز تسجيل صغير تحت ثيابه[1] .

لذا وبسبب كل هذه الأدلة ضدّنا حاولنا إقناع الجلادين أن الأمر لا يعدوا كونه أحلاماً وأماني نتمازح بها .. لكن ذلك لم ولن يشفع لنا أمام أولئك الوحوش الذين دمّرونا بكافة أدوات التعذيب الذي استمر حتى عصر ذلك اليوم البشع سيما وان الجلاد (عامر) كان يهددنا بعقوبة الاعدام .

مضت فترة من الوقت على هذا الحادث واذا بهم يُرجعون هذا الخائن الى زنزانتنا . فكنّا ننبذه ونحتقره سيما وقد صار يغري بعض السجناء الشباب بتصرفات وسلوكيات - اترفع عن ذكرها - لاتليق بمعتقل عادي فضلاً عن رجل دين .

بعد أشهر جاء موعد المحاكمة والترحيل الى (ابو غريب) لقضاء محكومياتنا .. وذات يوم جاءني هذا الغادر وطلب منّي براءة الذمة وصار يعتذر ويكرّر المصالحة بيد اني سكتُ ولم أبرئه الذمة ابداً.

أما السجين (أبو عقيل الفرطوسي) فقال :

«جيء بالسجين (هـ. ش) الى زنزانتنا رقم (٣) صباحاً من شهر تشرين الأول لعام ١٩٨٢م ، ولأن الأخ السجين (علي هاشم البصري) كان معنا في الزنزانة ، فقد قام بتزكيته المطلقة لنا واثنى عليه باعتباره رجل دين معروف ومن عشيرة معروفة بالتضحية والجهاد .. قدّمنا له كل ما نملك وحسب المتوفر باعتباره سجين جديد وجليل القدر وأكبرنا سناً . إذ جمعنا طعامنا وقدمناه له وجعلنا مكانه

---

[1] جعلنا ما يؤكد خبر إخفاء جهاز التسجيل تحت الثياب سوى هذا المصدر . المؤلف.

قرب باب الزنزانة طيلة الوقت وليس حسب التسلسل - كما هي القاعدة - ليتسنّى له شم الهواء النقي من الفتحة الصغيرة ولم ندرج اسمه في قائمة حصص ساعات النوم .. واتذكّر انه قد قرا لنا بعد العشاء مجلس تعزية وبصوته الشجي الجميل وقد ابكانا جميعاً .. وفي الساعة الواحدة ليلاً صار مجموعة من الأخوة يتبادلون معه الحديث بثقة واطمئنان فاخبروه عن احلامهم في الهروب من السجن من خلال الشباك واتذكّر منهم (عبدالرضا شرهان وعلي مليّل الشمري وعبد مسلم الكوفي ، الذي استُشهد لاحقاً ، وانور جميل (ابو فراس) من اهالي ديالى واحمد عبد سالم من الشطرة - الناصرية) اما انا فكنت اثناء ذلك ضمن وجبة النائمين فلم اشترك معهم في حديث الهروب ، إلا انني قبل ذلك وبعد مجلس التعزية قرات لهم وبصوت خافت نشيد «باقر الصدر منّا سلاما» باعتباري احفظه كلّه عن ظهر قلب ، فقراته لننفّس عن آلامنا وفعلاً كان الأخوة يستانسون لذلك .

مضى الليل بسلام ، وما ان حلّ الصباح وبالتحديد في الساعة ٨/٣٠ صباحاً حتى جاء السجّان واخرج (هـ. ش) من بيننا .. ولم يمض من الوقت سوى (١٠ - ١٥) دقيقة حتى سمعنا بضجّة كبيرة قد ملأت ممر السجن ، فعرفنا أن هناك مشكلة كبيرة ستحدث ، وبالفعل فقد جاء الجلاد الملازم حازم ومعه اكثر من عشرة من مجرمي الشعبة الخامسة واحدث جواً من الرعب والارهاب ، حتى إذا وصل الى الزنزانة رقم (٣) وضع وجهه في فتحة الباب الصغيرة وقال عبارته المشينة التالية : «اليوم اخلّي أخواتكم تصير نسوانكم» !! ثم فتحوا الباب واخذوا الوجبة الأولى ، وهم انور جميل وعبدالرضا شرهان وعلي مليّل وعبد مسلم - وبعد نصف ساعة رجعوا واخذوا بقية المجموعة وكنت من ضمنهم ولكن بعنوان قراءة النشيد لا بعنوان التخطيط للهروب ، واتذكّر انهم قد نادوا علىّ باسم (ق . الطويل) باعتبار ان هذا الغادر لم يبق معنا سوى يوماً واحداً فلم يتمكن من حفظ اسمائنا بالكامل .. جمعونا في غرفة التعذيب بالشعبة الخامسة وكان رائد عامر وملازم حازم بالغرفة يحيط به أزلامه الجلادون ، حينئذ نودي على الخائن الذي قابلنا وجهاً لوجه واصر وبكل جراة يذكر وبدقّة كلام كل فرد بما يخص خطة الهروب ، ولمّا وصل اليّ قال لهم وبالحرف : «اما هذا فلم يشترك معهم في خطة الهروب ، لكنه كان قبلها يقرا لهم نشيد باقر الصدر وهم يستمعون وبعضهم كان يبكي» .

فبدأ التعذيب الذي استمر من الصباح حتى الساعة الرابعة عصراً ، لقد جربوا كل ما عندهم من انواع التعذيب فمزّقونا تماماً ، وقد تجاوزت وحشية التعذيب حتى ذاك الذي تعرّضنا له في بداية الاعتقال .. كنّا لانستطيع انكار اي شيء لان الشاهد كان من أهل الدار .

اتذكّر عندما نزلوا بنا الى الزنزانة كنّا ننزف ومن كل مكان ، وكنّا جميعاً صياماً ، كان المشهد قاسٍ جداً مما جعل الشهيد عبدالرضا يوسف الربيعي يقول وبصوت مؤلم جداً : «سيدي ياصاحب الزمان ، معقولة تتركهم يفعلون بنا كل هذا !!» كنّا تقريباً بلا ملابس ، فانا قد مزّقت دشداشتي ولم تبق منها إلّا قطع قماش صغيرة ملتصقة بذراعيّ ورقبتي بسبب جفاف الدم عليها وبدت كانها بقايا قميص .. كنتُ في شبه غيبوبة .

بقيت في الزنزانة يومين وكانت حالتي خطرة ، كان كل جسمي مُمزّق وكنتُ ابول دماً - لذا نقلوني الى مستشفى الرشيد العسكري ورقدتُ سبعة ايام اتلقىٰ العلاج والسّباب .. أرجعوني بعدها الى الزنزانة .

بعد فترة ليست طويلة قام الجلاد عامر بإعادة (هـ. ش) الى زنزانتنا ، إلّا انه هذه المرّة لم يُزرع لغرض التجسس بل كانت الغاية تدميرنا نفسياً ومعنوياً ، سيّما أن هذا الشوكة قد بدا هذه المرّة عاطفياً حزيناً على طفليه اللذان كان يذكرهما دائماً ويتمنّى ان تُبرّئ ساحته ويُطلق سراحه ليعود إليهما ، وباعتقادي أن الجلاد عامر قد استغل هذه الثغرة في بنيان الخائن واقنعه بالتعاون معهُ والتجسّس لهُ .. لذا في الوقت الذي كنّا فيه - اغلب سجناء الزنزانة - متوجهين الى الله لحفظ القرآن والأدعية كان الذليل يختص ببعض السجناء الشباب ويقرأ لهم المواويل بطريقة شبه غنائية ، كان يتمايل بجسده ليصنع جواً من المزاح والمرح وليضحك الآخرين ، وكان يُبرِّر لهم شرعية هذه الاعمال على أنها تورية وتقيَة كي يترك لدى الجلادين انطباعاً ما ! ولكن أي تورية تجعلهُ يُكثر ويُكرِّر السب والشتيمة للشهيد الصدر واخته الفاضلة العلوية (بنت الهدى) ؟! كان ينبزهم بكلمات يتذكرها جميع من في الزنزانة ولايليق بنا ذكرها !! أيّ تقيَة هذه ؟! خصوصاً وانه لم يجبرنا احد من أزلام أمن السجن على ذلك ولم يطلبوا ذلك من أحد .. في الحقيقة كان هذا المتخاذل يعتقد ان كل ما جرىٰ ويجري عليه من اعتقالٍ وتعذيب وفراق لعائلته سببهُ الأول والأخير السيد الصدرؒ !! وفي النهاية اغرى عدداً قليلاً من سجناء الزنزانة ، الذين طرأ عليهم التغير السلبي إمّا ضعفاً وخوفاً منهُ او سوّلت لهم انفسهم امراً ، بالانشغال بالمزاح والمرح بعيداً عن التوجّه العام لسجناء الزنزانة ، الأمر الذي جعلهُ منبوذاً مهملاً من قبَل اغلب الأخوة المؤمنين وبالخصوص منّي شخصياً . لذا كان يهددني دائماً بالجلاد عامر وشهد الله على انه قد قال لي ذات مرّة :

«اسمع ق .. تعوف حالي وتسكت لو اصعدك فوق مرّة ثانية» يعني الى غرفة التعذيب .

فكان جوابي :

«افعل ما بوسعك ، لأني لن أتعرض لتعذيب أقسى من ذاك الذي كان بسببك ، ولكن إعلم بانني سوف لن اتركك ولن أسكت وسنلتقي يوماً ، وسترى» .

وهكذا بقيت علاقتنا متشنجة حتى موعد صعودنا المحكمة ومن بعد ترحيلنا الى قافات (ابو غريب) اما هو فقد اخذته عزته بالاثم فلم يعتذر لي ولم يطلب مني ولا من اغلب الأخوة أن نعذره أو نبرىء الذمة لا في الأمن ولا في (ابو غريب) بل كان غير مبالٍ ولم يتأسف أو يتألم !!

ولكي لانبخس هذا الخائن بعض الحق وكما جاء في قوله تعالى : ﴿لايجرمنَّكم شنئان قومٍ علىٰ أن لا تعدلوا﴾[1] اقول ان (هـ . ش) وبعد ان خدعه الجلاد (رائد عامر) وصعد محكمة (الثورة) وتم ترحيله الى (أبو غريب) وسجنه في الأقسام المقفلة - حيث وضع في ق١ وأنا في ق٢ - فلم اسمع عنه انه قد تعاون مع أزلام أمن (أبو غريب) ولم ينقل لي مسؤول الخدمات في ق١ المجاهد الشهيد عقيل كوفة أو مسؤول الخدمات في ق٢ المجاهد الشهيد المهندس صباح[2] شيئاً سلبياً عن المدعو (هـ . ش) أو انه قد تجسس او تعاون مع مسؤول القافات (فلاح عاكولة) ولا مع مسؤولي السجن (المقدم غالب الدوري والعقيد طارق) ، نعم لم يثبت عليه انه كان (للظالم عوناً وللمظلوم خصماً) كما كان يفعل في موقف المديرية العامة .. ويبدو أن الخائن قد استيقظ في (ابو غريب) من خدر الضمير وعاد رجلاً صالحاً مستقيماً» .

أما السجين الداعية السيد محمد كاظم البخاتي[3] فيقول :

«كان (هـ . ش) معنا في الأقسام المقفلة في سجن (أبو غريب)[4] ، إذ كان معي في ق١ إلا انني

---

١ - سورة المائدة : ٨ .

٢ - أعدم كلٌ من عقيل كوفة ومهندس صباح فيما بعد مع ثلاثين آخرين في سجن الرضوانية بسبب انتفاضة السجناء المشهورة مع مسؤولوا أمن السجن عام ١٩٨٧م .

٣ - السيد محمد البخاتي : أخ كلٌ من الشهداء السيد حيدر والسيد عبدالحسين والسيد أحمد وأخ السجين السيد ناصر البخاتي اعتُقل عام ١٩٨١م فسُجن بمادة المؤبد وأطلق سراحهُ في عفو عام ١٩٩١م .

٤ - الأقسام السياسية المقفلة في سجن (أبو غريب) المركزي هي للأحكام المؤبدة وتتكون من بنايتين الأولى (ق١) وكُتب على بابها الرئيسي كلمة (مخزن) وكُتب على باب البناية الثانية (ق٢) كلمة (صيدلية) ، وكل بناية تحتوي على طابقين فوق بعضهما وكل طابق يحتوي على عشر غرف ، وكل غرفة مساحتها (٤×٥)م٢ وتحتوي على (٣٠ - ٣٥) سجيناً .. لذا فان كل بلوكة (طابوقة) في الجدار يقابلها رأس السجين عند نومه ويمثل طولها المسافة المسموح له بالنوم فيها ، لايحرك جسمه أكثر من ذلك وعادة يكون نوم السجين على جانب واحد لشدة الزحام في الغرف ، ولهذا يتناوب السجناء في المنام على شكل وجبات تستبدل كل وجبة لاحقة الوجبة السابقة .

كنت في غرفة (٤) وهو في غرفة (١٣) .. نعم سمعنا عنه ، ومن خلال اخواننا السجناء الذين كانوا معنا ، انه كان في غرفة (المساعي الحميدة) بمديرية الأمن العامة وقد تعاون مع جلادي الشعبة الخامسة وسبّب الأذى للعديد من الأخوة المؤمنين ، لذا كنتُ وكاغلب السجناء اتحفّظ من الحوار معه في الأمور السياسية رغم احترامه لي واتحاشى كشف الأسرار امامه .. لقد اظهر (هـ. ش) صلاحاً واستقامة خلال سني السجن الطويلة ، رغم عدم تاييده للانتفاضة ، بل كان احياناً يتنقّل بين غرف ق١ ليقرأ المجالس الحسينية ويدعو السجناء الى الصبر والاحتساب ، وبعد أن خرجنا في العفو الصادر عام (١٩٩١م) خرج (هـ. ش) وواصل دراسته في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف ، وسمعنا انه أصبح إمام الجمعة في مدينة الثورة عام ١٩٩٨م فاستغربنا لذلك» .

اما السجين الداعية السيد ناصر البخاتي الذي اعتقل عام ١٩٨١ واودع في (ابو غريب) ق١ وأطلق سراحه في عفو عام ١٩٨٦م ، فقد ادلى بشهادته ايضاً وقال : إنه لم يز من (هـ. ش) خلال فترة السجن في الأقسام المقفلة اي تعاون مع ازلام امن النظام ، إلا انه كان كبقية السجناء - يحذره ويتحاشى الحوار السياسي معه أو كشف الأسرار أمامه» .

إذن من الجدير قوله هو أن هذا النموذج الخائن وأمثاله الذين تبرّعوا للجلّادين لا بالاعتراف علىٰ السجناء المجاهدين فحسب بل وبالتعاون لكشف أسرار العاملين ولم يعتذروا لضحاياهم ولو بعد فوات الأوان ، يمثلون ظاهرة دخيلة في ساحتنا الإسلامية .. وليتَ الخطر يتوقف عند هذا الحدِّ ، بل تجد الكثير من هؤلاء مِمَّن كان كلّاً علىٰ الدين وخادماً للمجرمين يستمر وبكل عِنادٍ وعِزَّةٍ آثمة في إدّعاءاته الباطلة ، مُستثمراً اعتقاله وسني سجنه لمصلحته الشخصية وذاته النفعيّة ، متناسياً تاريخه الأسود المُخجِل !!

إنَّ هذه الظاهرة تدعونا للوقوف ضدَّها بحزم واستأصالها بأظهار الحقائق وكشف الخفايا لكي نحمي الأجيال القادمة من مكر هؤلاء المتصيدين بالماء العكر ، الذين لم يُوفَّقوا لاجتياز الامتحان الإلهي في الشِدّة - وصاروا في مقدمة الركب عند الرخاء - ولا ينبغي أن نغمض الطرف عنهم أو نتركهم يستغلّون الجماهير ويتلاعبون بالعواطف ويخضمونَ مالَ الله خَضمَ الإبل نبتةَ الربيع ..

يبقي أن نقول إن هذا النموذج الغادر قد استمرَّ في مكره وخداعه ، فرجعَ

للدرس في حوزة النجف الأشرف العلمية وأقام مجالس التعزية بارتقاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل ووصلت بِهِ الجُرأة والدهاء – في أجواء الضوضاء والقفز اللامُنتَظم – لارتقاء منبر الجمعة حينما أمَّ المصلّين في جامع المحسن عليه السلام بمدينة الثورة الثائرة .. بل وأوغل في جُرأته وصار وكيلاً للمرجعية الشهيدة وإماماً لجمعة أحد مساجد قضاء المجر في محافظة العمارة !! ﴿قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون﴾[١] .

ونحن هنا لانقصد غلق باب التوبة علىٰ أحد – والعياذ بالله – بل اننا لانشكُ أبداً في بغض هذا النموذج وأمثاله للباطل وللنظام الجائر ، بَيْد أننا نقول أن هؤلاء الضعفاء سيبقون مشاريع جاهزة لازلام أمن النظام وأرض خصبة لزرع الحنظل في زنازينه . وأنهم وبمجرَّد الضغط عليهم أو التلويح لهم بالاعتقال سيعيدون كرَّة الغدر والخيانة من جديد ..

لذا نُسجّل دهشتنا واستغرابنا لما وصل اليه هذا المدّعي وأمثاله – كالمدعو سيد أحمد الأُردبيلي وغيره الذين انطوت أنفسهم علىٰ أمراضٍ غير مكشوفة قد ظهرت جليّة واضحة في أوّل جولات الاختبار والبلاء – من ثقةٍ مطلقةٍ واحترامٍ غير واعٍ ولا مدروس لدىٰ نفوس شريحة من الشباب !!

لقد حذّر القرآن الكريم من الاطمئنان الىٰ بلعم والاسترسال مع جنوده الذين تراهم قد أكلت ثفنات السجون جباههم وركبهم ، ويتماوتون في الصلاة والخشوع ! وينمّقون الكلام .. فقال المولىٰ عنهم : ﴿وإذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم﴾[٢] ، ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾[٣] لكن ﴿هم العدو فاحذرهم﴾[٤] .

فهو – وأمثاله – من اولئك «الكثير في الباحات القليل تحت الرايات»[٥] الذين طلبوا عِزّاً بباطل فأورثهم الله ذُلّاً بحق ، لان «الغالب بالشر مغلوب»[٦] .

وبكلمة موجزة ؛ مازال هذا البلعمي مثله مثل الكثيرين الذين يمتلكون الدهاء والقدرة علىٰ خداع الناس مواظباً علىٰ رفع شعارٍ ليس جديراً بـه .. لذا تـجد من

---

١ – سورة التوبة : ٣٠ .
٢ – سورة المنافقون : ٤ .
٣ – سورة المنافقون : ٤ .
٤ – سورة التغابن : ١٤ .
٥ – الإمام علي عليه السلام (نهج البلاغة) . «كثير في الباحات قليل تحت الرايات» ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ، بن عساكر : ١٣٠ .
٦ – الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ، ج ٤ : ٧٨ .

الأهمية بمكان أن نكشف لجيل شبابنا الواعد - جيل الفتح ان شاء الله - بعض هذه الحقائق المرّة[1] ، ونرفع الزيف الذي تستّر به هؤلاء الصالحون في الرخاء الطالحون في الشدّة والبلاء الذين اعتقدوا بخدمتهم للجلاد أنهم بمفازةٍ من سيفه أو سجنه ، ولا بتغي من وراء ذلك سوىٰ إبعادهُم عن مواطن التصدّي ومراكز القرار ، إذ «لا زعامة لسيّء الخُلُق»[2] والمؤمن لا يُلْدَغ مرتين .

بقي أن نقول شيئاً آخر نرجو فيه من القارىء الكريم أن لا يعتقد أنّ هذه النفايات الغادرة كانت تساير حركتنا وتاريخنا الجهادي الاستشهادي دائماً وأبداً ، رغم أن هذه الظاهرة كانت ومازالت أمراً مألوفاً في شتىٰ التكتلات والتنظيمات الاسلامية والعلمانية في عالمنا العربي والإسلامي ، بل هي استثناءٌ شاذ خرج عن الأعم الأغلب من صفحات تاريخنا الجليل الذي خطّه شهدائنا الأبطال بدمائهم الزكية ..

وإن العراق قد فاض برجالٍ ضربوا أروع الامثلة في التحدي ومقارعة الطغاة .. وإليك نموذجاً واحداً يمثل أمة من المجاهدين في تلك السنين العجاف .

ففي أحد أيام الشهر السابع من عام ١٩٨٢م قرر المجرم الجلّاد (عامر) تخفيض حكم الاعدام بثلاثة من المجاهدين الىٰ المؤبد[3] شريطة أن يعلنوا أمام جمع من السجناء البراءة من حزب الدعوة الإسلامية ، باعتباره الحزب الذي كان يمثل حينذاك ، ريادة المسيرة في العراق ، وأقسم بشرفه علىٰ الوفاء بوعده ، فوافق إثنان وتبرءا مادام الإمر لايعدو كونه لفظاً لم يترتّب عليه أثر ، أما الثالث - وكان شاباً لم يزل طالباً في مرحلة الدراسة الاعدادية - فقد رفض ذلك بقوة ، فأعطاه الجلّاد مهلة يومين فقط ليراجع نفسه وأمر الأثنين الآخرَين بمحاولة إقناعه بالعزوف عن إصراره وبالتالي لانقاذه من الاعدام .. وفعلاً بدءا الحديث معه حتىٰ وصلا معه حد التوسُّل حرصاً علىٰ شبابه ، سيّما ان الأمر لايعدوا كونه أمراً شكلياً ولا يستوجب كل

---

(١) قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام :
«لا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فأن في ذلك تزهيداً لاهل الاحسان ، وتدريباً لاهل الإساءة على الإساءة» .

(٢) الإمام علي عليه السلام نهج البلاغة .

(٣) يتذكر السجناء أن مثل هذه القرارات كانت تحدث بين آونة وأخرى لما لها من انعكاسات وانكسارات نفسية خطيرة على نفوس العاملين والمجاهدين داخل السجن وخارجه .

هذا التحدّي !

رضخ الشاب لرغبتهم إلّا انه اشترط اللقاء بالجلّاد ليطرح عليه سؤالاً واحداً فقط ثم يعلن البراءة من الحزب .. وجاء الوقت المناسب ووافق الجلّاد الرائد عامر علىٰ سماع السؤال الذي طرحه عليه الشاب قائلاً :

«سأتبرّأ من حزب الدعوة شريطة أن تتبرّأ أنت أيضاً من حزب البعث ...»

فلم يُمهله المجرم الوقت لاكمال عبارته واستشاط غضباً وصار يكيل له الشتائم والعبارات الدنيئة ، قائلاً له :

«لك إبن الـ... صار لي بالحزب خمس وعشرون عاماً وأنت الآن تطلب منّي التبرّء منه ؟!» .

فردّ عليه الشاب وبكلّ حزم وثقة :

«إذن كيف تطلب منّي أن أتبرّأ من حزب صار له ألف وأربعمائه عام ؟!» .

انتهىٰ الجدال بارسال الشاب الىٰ مقاصل (أبو غريب) ليرحل شهيداً ، أما الاثنان فخُفِّضَ حكمها من الاعدام الىٰ المؤبد ثم أطلق سراحهما فيما بعد ضمن عفو عام ١٩٩١م.

نختم هذه الملحمة بذكر المصدر الذي نقل هذا (الإباء) ، وهو السجين (ع . طويريج) أحد السجينين اللذان حضرا الحادثة ، إذ لم تأخذه العزّة بالاثم فأخبر صديق زنزانته السجين (ق / أبو عقيل الفرطوسي)[1] بكل ما ورد أعلاه ، مضيفاً وبالحرف الواحد :

«خويه ق ، آني حينما تبرأت من حزب الدعوة فقد أنقذت نفسي من الاعدام ، رُغم أن الأمر كان شكلياً ، ثم آني لست في حزب الدعوة[2] والله يعلم بذلك» .



---

١ – يقول السجين (أبو عقيل الفرطوسي) : «بعد محاكمتنا بمادة المؤبد وترحيلنا الى سجن (أبو غريب) التقيت عام ١٩٨٤م الأخ (ع . طويريج) هناك في (ق ٢) الغرفة (١٨) فأخبرني بالموضوع وكان متألماً جداً على الشاب الشهيد .

٢ – السجين (ع . طويريج) : هرب الىٰ إيران بداية الثورة بسبب نشاطه الإسلامي ، ثم عاد الى العراق للعمل الجهادي المنظّم تبعاً لأوامر احدى التشكيلات العراقية المرتبط بها .. فتمّت مراقبته واختطافه من الشارع !وكان والده معتقلاً معه أيضاً .

الفصل الثامن

الشهيدة أمل الرُبيعي : الشهيدة الشاهدة

* هويّة وصفات
* الإعتقال والاتهام
* أمل .. وألم
* بغداد .. حبيبتي
* الموت مرّ أمامي
* قتلوهم كي لا يأتي الفجر
* الجدران ووصايا الشهداء
* بغداد .. مرّة أُخرى
* الشاهدة الشهيدة
* بكاء الغيوم
* اللقاء الصحفي
* الليل وصحراء النجف
* جدران صمّاء .. ووصايا حمراء



الشهيدة السعيدة أمل الربيعي

ـ هذه المرّة سيقتلونني ، ولا أعتقد أنّي سأعود ..

الشهيدة السعيدة أمل الربيعي

أُختاه !
يوم ودَّعتِ بغداد من وراء النافذة
في ذلك الشتاء الحزين
كانت نظراتك تخترق خيوط الامطار
وكانت عيناكِ تسافران عبر المدىٰ

ان الشمس التي تحلمين بها
ستشرق من عينيكِ
والقمر البهي هو الآخر
سيُضيء من بين رموشكِ النديّة

لقد رحلتِ ولكن الذاكرة ..
ذاكرة الاجيال
ستُخلِّد وجهكِ البهي
وجهاً يشبه ربيعاً في عنفوانه

رحلتِ واستعصىٰ علينا الجواب
كيف قهرتْ رقّتكِ وحشية الطغاة !!
وكيف جعلتِ من حبل المشنقة
«براقاً» يسري بك عبر الذاكرة العراقيّة
ويعرج بك الىٰ السماء !!
كيف ؟! أجل كيف ؟!!

الأهداء

الى الأمل الذي افترسته الآلام..
أهدي حروفي وحرقتي ، عليّ أحظى بالقبول .

أخي القارىء الكريم

مازلنا نستعرض لك نماذجاً من تاريخ حركتنا النسوية ، الزاخر بقصص البطولة والشهادة ..

شهيدات زينبيات حَفرنَ أسماءَهُنَّ علىٰ لوحة التاريخ لتقرأها كلُّ الأجيال علىٰ مرِّ الأزمنة والدهور ..

قافلة من خيرة فتيات العراق ونسائه تصدَّينَ للطاغوت بكل عزمٍ ووعي ورفضن – حتىٰ الرمق الأخير – أن ينحنين أو يتعايشن مع (البعث الدخيل) ، حتىٰ نلن وسام الشهادة .

زرعنَ البذور وسقين الخمائل قبل أن يرحلن الىٰ الملكوت ، لتبقىٰ قافلة الزهراء عليها السلام تسير وتسير حتىٰ إزاحة هذا الكابوس الجاثم علىٰ صدر عراق الصدر ، عراقَ علي والحسين .

أدعوكَ ـ قارىء العزيز ـ لتصحبني في زورقي الصغير لنُبحر في سيرةٍ تعبق بمعاني الجهاد والولاء للاسلام والوطن ..

إنه سِجلٌ بطلة .. إنها الشهيدة السعيدة (أمل الربيعي) .

هويّة وصفات

أمل فتاةٌ سمراء متوسطة الطول جميلة القوام ، لها من العمر (٢٢) ربيعاً ، غادة مُغلَّقة الأبراد ، وديعة مُحصّنة الأخلاق ، غاية في الرّقة والأدب ..

متواضعةٌ جداً مبتسمةٌ دائماً ، تسعىٰ بأن لا تُزعج أحداً لوعيها بأن **(مداراة الناس نصف الإيمان)**[1] ، فالكل يُحبّها ويرتاح لها لأنها كانت مصداقاً للحديث الشريف **(أمرني ربّي بمداراة الناس)**[2] .. وقد أسرت قلوبَ الأخوات في سجن (الرشاد) بنقاء روحها وطيب سريرتها ، حيث ضميرها كان نقياً كالبلّور وروحها

١ – تحف العقول / ٣٥.

٢ – البحار ٢/ ٩٦.

كانت شفّافة كالفراشة ..

رُغم علميتها وثقافتها كانت تمتاز بكثرة الإنصات وقلّة الكلام ، فهي من **﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾**[1] ، وإذا تكلّمت إختصرت ..

بَيْدَ ان حياتها كانت زاخرةً بالعطاء والفداء ، وأوقاتها حافلةً بالنشاط والجهاد **«كونوا دُعاة للناس بغير ألسنتكم ..»**[2] .

ولدت شهيدتنا الغالية في مدينة الثورة ، قلعة الصمود ومعقل التحدّي ، ونشأت وترعرعت في بيت من بيوتها المتواضعة قبل أن ينتقل أهلها الى منطقة الكرّادة .

تخرّجت من الجامعة ، وعملت بوظيفة التدريس عاماً واحداً قبل أن يتقدّم لخطبتها أحد أبطال الجهاد في عراق الرجال ، حيث تم عقد قرانهاعليه ..

لكن ذلك لم يشغلهما عن المنهج الذي رسَماه ، أو يُلهِهم عن دربهما الذي سلكاه **(لم يُلهِهم الأمل عن العمل)**[3] .. وبينما هما يهيئان لتوفير ما يحتاجهُ عُش الزوجية المتواضع ، تم اعتقالهما معاً وأنقطعت أخباره عنها وأخبارها عنه !

بَيْدَ أنه وبعد سنين من استشهاد (أمل) تبيّن لنا أنه قد استُشهد في ملحمة الحق وقبل إعدامها بشهرٍ واحدٍ فقط .

الاعتقال والاتهام

كانت (أمل) ريحانة عطرة .. فجاءت الى سجن الرشاد زهرة ذابلة ، لما عانت من وحشيتهم في التعذيب المريع وقسوتهم في الحقد الدفين لنشاطها وعطائها .. حيث كانت تُعبّىء الناس وتستنهض الهمم **﴿وهُدوا الى الطيّب من القول...﴾**[4] سيّما وأنها كثيراً ما كانت تتفقّد عوائل الشهداء والمعتقلين وتحمل لهم ما يمكن أن يخفّض عنهم همّ الحاجة وضيق المعيشة ، فـ **(ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي ، ولكن**

---

(١) سورة الزمر : ١٨ .
(٢) ... ١١/ ١٩٤ .
(٣) الصحيفة السجادية / ٢٦٨ .
(٤) سورة الحج : ٢٤ .

الإيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأعمال[1].

كانت (أمل) تكتب وتوزّع ـ سراً ـ المنشورات الثورية التي تُدين جريمة النظام الكبرىٰ باعدام المرجع القائد المفكّر السيد محمد باقر الصدر‌ وأخته الفاضلة العلوية وبشن الحرب الظالمة علىٰ دولة الإسلام الفتيّة.

وكان ضابط التحقيق ؛ المجرم الجلّاد المقدّم مهدي الدليمي (أبو هبة) الذي ترك في مديرية أمن البصرة سجلاً أسوداً بشعاً حافلاً بالإجرام وهتك الحُرمات.

تم اعتقالها وخطيبها عام «١٩٨٢م» من قبل أزلام (أمن) النظام في مدينة الثورة بتهمة الإنتماء الىٰ خط العميل الصدر علىٰ حَدّ قولهم.

اعتقلوها ليلاً بعد أن داهموا البيت بهمجيةٍ بعثيةٍ مألوفة !

كما اعتقلوا معها أُختها المجاهدة (سُندس) والتي حُكِم عليها فيما بعد بالسجن المؤبد ـ إعدام مخفف ـ بيد أنها خرجت بالعفو الصادر عام «١٩٩١م» والذي يحمل القرار رقم «٢٤١» . حيث أُطلق سراحها يوم (١٩٩١/٧/٢١م) .

أمل .. وألم

تم تعذيب الصابرة المجاهدة (أمل) بكل الوسائل البشعة ، كالتعليق بالسقف ، والفلقة ، والعصا الكهربائية ، والكيبل ..

كان المجرم يأمر بتعليقها ساعات طوال ، فكانت قدماها تقاومان عشقهما للأرض حيث العصا التي لا ترحم جسدها الرقيق ، وهي تئن وتعاني من الآلام الشديدة من نهش الكيبلات التي مزّقت جسدها ..

لقد غيّر الجلاد مواقع حروف أسمها الجميل أثناء التعذيب الوحشي فصارت (أمل) كتلةً من (ألم) .

بقيت (أمل) في مديرية (أمن) الثورة فترة (٦) أشهر .. ثم جيء بها الىٰ (موقف مديرية الأمن العام ، بعدها ذهبوا بها الىٰ قاعة محكمة (الثورة) لإصدار حكم الاعدام

---

١ ـ تحف العقول / ٢٧٢ .

الجائر والجاهز، وحسب المادة (١٥٦ ـ أ)! تم نقلها من المحكمةِ مباشرةً الىٰ سجن الرشاد ببغداد ـ القسم السياسي ـ حيثُ بقيت (٣) أشهر بانتظار تنفيذ الحكم..

بغداد.. حبيبتي

انتهت فترة الإنتظار في سجن الرشاد.. فها هي سيارة الاعدام تنتظر عند الباب الكبير لنقل (أمل) ورفيقاتها الىٰ سجن (أبو غريب) حيث تنفيذ حكم الاعدام الجائر.

وهكذا ودّع سجن (الرشاد) الفراشة الوديعة.. ودّع (أمل) الحبيبة الإليفة..

استقرّت حمائم الإسلام في الصندوق الصديء..

إنطلقت السيارة تخترق العاصمة بغداد، مسرعةً تلوذُ بأطراف الشوارع، وكأنها لصٌّ يحاول الاختفاء!

عواطف ملتصقة بالنافذة الحديدية الصغيرة وسط الصندوق وبجانبها (أمل).. كانتا تهمسان مع بغداد ـ الذكريات ـ وكان الحديث لكُلٍّ منهما ذا شجون..

فتعال معي ـ أيُّها القارىء الكريم ـ لنطّلع علىٰ الحديث الذي دار بين (أمل) وبغداد، والذي نقلته لنا ـ فيما بعد ـ بعد تأجيل الاعدام ورجوعها الىٰ سجن (الرشاد)..

تقول أمل:

«عندما رأيت بغداد، خفقَ قلبي.. لقد امتزج الفرح والحزن معاً.. أحقاً هذه بغداد؟!

كنت أتطلّع الىٰ بغداد، وكل ذرّة في كياني تختلج.. كدْتُ أسمع دقّات قلبي وهي تلفظ حروف «بغداد» بإيقاعٍ ثقيل..

هاهي بغداد، حيث طارت الذكريات صوب الوطن المطعون وبدأ شريط الذكريات والدموع.. بغداد.. اشتقتُ إليك.. اشتقت الى قبابك الذهبية.. اشتقت الىٰ الأهل والخلان..

على من عتبي؟ على الأيام التي باعدتنا؟ أم على الأعداء الذين نهبوا أرضنا؟

ترى هل يكون لنا لقاء آخر يابغداد؟ هل أراك ثانية؟

بغداد، كيف أنتِ الآن؟ أما زالت صحارانا تشكو من دماء الأبرياء، والتي لو نطقت لطلبتْ الىٰ

بسارنها الثار لمن تحتها من الصالحين ؟ أما زال أنين الثكالى أقوى من صوت الأذان ؟!

مسحتُ دموعي ، ثم واصلت التفرج على معالم بغداد المظلومة التي انسحب عنها النور وزحف إليها الظلام ، رغم أن حفيف سعفات النخيل الذي صاحبه زخات من المطر كان أجمل موسيقى أسمعها قبل ارتحالي عن هذه الدنيا ..

إذن هاهي بغداد المفجوعة عند مرمى بصري ، ولا أخالها تتذوق للشمس طعماً ، بل انها تلعق طعم الفجيعة .. لا أخالها تُفرّق بين ليلٍ ونهار ، فكل أوقاتها أصبحت ليلاً كثيف العتمة وظلاماً ثقيل الظُلمة ..

بغداد هل فتّت الأسى والألم روحك ؟ هل مازال قلبك ينبض بالحياة ؟!

أراكِ ترتدين ثوب الحداد الأسود .. منكوبة بغداد ، فقد انغرست في لحمك أنياب وحوش البعث الضارية ..

فالشوارع تنعق بأغاني القادسية الرخيصة وبموسيقى الحرب الصاخبة ، وكأن خريف الموت داهمك فجأة ، فأصبحتِ شبح مدينة تحتضر ..

في آخر مرةٍ خرجتُ من حضنكِ الدافئ، والعيون غرقى .. لوحتُ لكِ ، وكأني قلتُ وداعاً ، إنّه الوداع القهري .. ولو كنتِ سامعةً قولي لانكسر قلبكِ يابغداد .. ولكن أنى لك ذلك ، والضجيج المنبعث من فرقة الطبالين ومرتزقة الفن الملكي حال بينك وبين أن تسمعي صوتي الخفيض المتخشّع ..

بغداد .. أمازالت ذئاب البعث منتشرةً في كلّ شبرٍ من أرضك الحزينة ؟ في الشوارع ؟ في الأسواق ؟ وهي تنهش لحمك بشهيّةٍ ووحشيّة ..

أما زال النخيلَ أسيراً لم تسلم عذوقه الذهبية من أيدي لصوص البعث ؟!

أما زالت طيور المآذن تهاجر هاربةً من رصاص حقدهم الأسود ؟!

حملتيني فوق أحزاني حزناً آخر يابغداد ..

حزن مطبق يرصف شوارعك أينها الغالية .. ووجوه متعبة صابرة تسير بصمتٍ وتأسٍ !

عيناكِ محمرتان من كثرة الاجهاد ولقلّة النوم .. وأنى لك أن تنامي وأن ترتاحي وفرقة الطبّالين لم تمهلكِ ساعة كي تستريحي وتفكري بهدو. ..

كيف تنامين وابناؤك مسهّدين ! كيف تبتسمين وابناؤك يبكون ؟ كيف تكتحلين وبناتك ما شهدت اعينهن الكحل ! كيف تكتحلين وعينا (بنت الهدى) اكتحلتا بالدم !!

ولكن لا يابغداد .. لابدّ للشمس أن تعود ، ولابدّ للسحابة أن ترحل ، إبتسمي ولا تياسي .. ستعود يابغداد .. ستعود باسم آخر وبشكل آخر .. ستعود مادام في رحمك انصار (الصدر وبنت الهدى) ..

فاشعلي انوارك ، ولا تطفئي المصابيح .. وستخلعين ملابس الحداد على أرواح الشهداء ، وستشهدي اليوم الموعود حتماً ، وسترفرف فوق هامتك اعلام النصر باذن الله وسيعلو في اجوائك نشيد (الله اكبر) ، وسنغسل جدائلك بماء دجلة العذب ، نغسلها ثم نزينها بمليون وردة بيضاء ، ومليون غصن زيتون اخضر .

أَلا ثـوروا عـلىٰ المـتجبّرينا ولا تـخشَوا سِلاحَ الظالمينا
وخُطّوا من دم الشُهداء سِفراً يـظلُّ الدّهـرَ سِفْرَ الخالدينا
فكم قاسَوا من الحُكّام ضَيْماً وكـانوا رُغم ذلك صابرينا
ويـاليلَ المآسـي كَمْ نُداري .. جُروحاً أحدَثتْ فِينا شُجونا ..
وأحلامُ العَذارىٰ كَمْ تلاشَتْ .. وقد زُفَّتْ لكي تَلقىٰ المَنوُنا ..
ودعْكم مِن مُساوَمةٍ فَأنّـا .. أبـيْنا أنْ نكونَ مُساومينا ..
ويـافَجرَ الشـهادةِ إنَّ شـوقاً الىٰ لُـقيا الشَّهادةِ يَـعترينا
خُـمينيون .. وحّـدنا شِعارُ علىٰ نَهج الأُلي رَفعوا الجَبينا[1]

أمل : الموت مرّ أمامي

رافقت «أمل» الشهيدة «عواطف» في جميع محطات رحلة العذاب التي ذكرناها الفصل السابق .. لقد تابعت فصول مهرجان الإعدام الجماعي بـ (١٥٠) شهيداً .. شاهدتْ بأم عينيها تنفيذ حكم الإعدام شنقاً بالعلوية (فاطمة) ..

نعم ، لقد شاهدت وعن قرب تلك الوجوه التي أرهقها عذاب الاعتقال .. رجال لسنين طويلة ، عيونهم غائرة ، أجسادهم نحيلة ، شفاههم لم تفتر لحظةً عن ذكر

---

[1] قصيدة (خمينيون وحّدنا شعار) للشاعر أبو فراس من الجزيرة العربية .

الله .. وعن الدعاء ، مشغولةٌ تتوسل السماء بالمغفرة ، وتنطق بالشكر للخاتمة ﴿**ترىٰ أعيُنهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين**﴾[1] .

ثُلّة منهم تقرأ ما حفظت من كتاب الله .. وأخرىٰ تُصلي وتقرأ الزيارة ، وثالثة التصقت بالجدران تكتب أشياء، ورابعة انضمَّت لقراءة نشيد الخلود (يحسين بضمايرنه)[2] ..

دويٌّ كدويّ النّحل يعبد الخالق ويشكوه ظلم الطغاة وما فعلوا بهم ، وهو أعلم بما يفعلون .

كان يوماً فريداً لا أظن انه سيمحى من ذاكرة الشهيدة (أمل) حتىٰ لو انتقلت الىٰ بساتين الجنة ..

قتلوهم كي لا يأتي الفجر

كانت الشمس الموشكة علىٰ الغروب تلقي بأشعتها الواهنة علىٰ جدران سجن (أبو غريب) الكبير ، وكان السجن في تلك الفترة باباً من أبواب جهنم ، يصرخ وينادي هل من مزيد !

لقد شاهدت (أمل) جثث الشهداء ، تلك الأجساد الغضّة بالشباب والمبادىء ، وقد أمسوا فريسة الذئاب والخنازير ، حيث لا تسمع لهم صوتاً ولا حركة .. فهي تنظر الىٰ داخل القاعة ، غير مصدِّقة ماترىٰ ! لقد طحنتها الصدمة ، فهي تارةً تُغمض عينيها لأن المشهد يفُتّ القلب ، وأُخرىٰ تمسح دموعها وتُعاود النظر بذهول .

نعم أُختاه .. إنّهُ نظام حُكم العُصابة اللاإنسانية التي جثمت علىٰ صدر عراقنا الحبيب .. وحوش ذات قلوب مقفلة عشعش فيها الظلام والحقد الأسود ، بل هؤلاء أبشع من الوحوش ! فالوحوش تترفّع حينما تشبع ، ولا تَفتُك حتىٰ تجوع .

---

١ – سورة المائدة : ٨٣ .

٢ – قصيدة حسينية للشاعر والرادود (محي الدين عبدالرسول النجفي) صارخة بتحدّي الطاغوت ، قرأها الرادود (ياسين الرميثي) عام «١٩٧٨م» في الصحن الحسيني الكربلائي فردّدتها ـ والى الآن ـ حناجر وقلوب الملايين .

وانَّ الطُغاة على مرِّ التاريخ لا يرتاحون للصالحين الواعين ، فتراهم يذوقونهم سوء العذاب بينما يرفُل الهمج الرُعاع في النعيم .. يحتّلون المناصب والادارات ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾[1] .

مائة وخمسون فارساً أعدمهم الفرعون ، ولم يعدم من الزمن سوىٰ ساعة فقط .. أجساد تساقطت فوق بعضها تباعاً كأوراق الخريف ..

كانت التُهم جاهزة ، وعنوانها الرئيسي (خُمينيّون في خط العميل الصدر) ! قتلوهم في المساء ، قتلوهم حتىٰ لا يأتي الفجر .. ما أعجزهم حين يقتلون ، والقتل كُلّ ما يستطيعون ..

وهكذا انتهىٰ خصام الوحوش باعدامهم جميعاً .. بعدها نقلوهم ليدفنوهم في مقابر مجهولة ، وأعطوا للبعض من أهاليهم أوراق (صفراء) تُنبىء بقتلهم .

الجدران ووصايا الشهداء

كانت دقائق الانتظار في القاعة الكبيرة ـ وقبل رجوعها للرشاد ـ فرصةً سانحة لـ(أمل) ، حيث التصقت بالجدران ، وبدأت تتأمل وتقرأ وصايا كتبها الشهداء قبل اعدامهم بلحظات ..

بعضهم كتب إسمهُ وعنوانه وتلفون بيته وتأريخ استشهاده ، وأخرين كتبوا حِكَمٍ وعباراتٍ تصلح كوصايا للأمة .. كانوا يوصون بحب الوطن وتحريره مهما كان الثمن ..

مائة وخمسون شهيداً كتب الكثير منهم وصاياهُ علىٰ هذه الصحف الصفراء العاقّة رُغم حرارة الكلمات وعذوبتها .. انه التاريخ الذي لا يعرف سوىٰ الأسماء .. كانت الجدران خرساء صمّاء ، بيد أنها الآن قد دَبَّتْ فيها الروح وصارت تنبض بالحياة ..

وصايا كتبوها علىٰ الجدران الناطقة ، وكأنهم لايريدون أن يَكتب التاريخ حفنةً

---

(1) سورة الزخرف : ٥٤ .

من اللصوص والقتلة .. التاريخ تكتبهُ الشعوب بدماء أبنائها ..

وبينما كانت أمل تزرع قُبلاتها على الجدران ، وتلثم الكلمات بحرارةٍ وبهدوء ، والدموع غزيرة طافحة لقد قرأت على الحائط عبارة مفادها (هل من فاعل خير يقرأ كلماتي هذه ويُبلّغ أهلي وعلى التلفون (!!!!٨٢١) .. فاني بعد دقائق سيعدمونني ..) .

واذا بها قد تسمّرت عند رقم التلفون .. ألم يكن هذا الرقم هو نفسه رقم تلفون (....) !؟

طَردت الهاجس عن ذهنها وتابعت قراءة الكلمات ، وإذا بالذهول قد عمّ كل ملامح وجهها الصغير .. إنه اسم خالها ، إنه المجاهد البطل (...) !

شهداؤنا في سجلّات النظام مجرد أرقام ، ولكنهم عندنا مشاعل نور ، ورفاق درب .. إنهم عشاق الحسين عليه السلام قرابين البيعة والولاء[1] .

بغداد .. مرّةً أخرى

عادت (أمل) بصحبة رفيقة المصير (عواطف) بالسيارة (الصندوق) ولكن هذه المرّة انفردت (أمل) بالنافذة الصغيرة حيث اكتئاب (عواطف) وعزوفها عن التأمّل في بغداد !

أطرقت (عواطف) حزينةً صامتة .. لقد ذهبت نفسها حسرات على تأجيل تنفيذ الأعدامِ ، فهي قد انتظرت تلك الساعة طويلاً .. إنها الشهادة ، حُلم حياتها .

أمل تقفُ بجنب النافذة ، تهمس مع نفسها تارةً وتحاكي بغداد أُخرى :

«أحقاً إني أرى بغداد ثانيةً ؟! حسبتُ أن لا أراكِ ياحبيبة الروح ..

---

١ - يقول عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية السيد هاشم ناصر الموسوي (السيد أبو عقيل) :
«جمعتني عام ٢٠٠٠م الصدفة في قم بسجين سياسي جاء من محافظة السليمانية يدعى (مجيد الكوفي) ، وصار يخبرني عمّا لاقى من تعذيب وحشي مريع في طوامير مديرية (الأمن) العامة ببغداد ، لكنه كان حريصاً على إيصال أمانة علقت في ضميره وقد آلمه كثيراً .. فقد قرأ على جدار الزنزانة التي كان فيها الجملة التالية : «أنا جنان الساعدي من البصرة - الزبير . سأعدم غداً أنا وطفلتي ، أرجو ابلاغ أهلي» وكان تاريخ الرسالة عام ١٩٨١م.
الجدير ذكره ان الأستاذ (السيد أبو عقيل الموسوي) هو أحد الذين اكتووا بنار فقد الأحبّة الشُهداء ، وكتموا مشاعراً اضطرمت في الصدور .. إذ فقد في العراق عام ١٩٨٠م أربعة شهداء ومنهم الشهيد السيد جواد ناصر محمود الموسوي (أبو حيدر) وزوجته الشهيدة ابتسام زيدان عذاب الديراوي وأختها خديجة .. وقد اعتُقل معهم طفلهم أحمد ، كما فُقِدت الطفلة زهراء جواد ناصر الموسوي التي ولدت في السجن.. ولم يعطِ النظام عنهم - والى الآن - أية معلومات ! إرجع الى ملحق الفصل .

بغداد خيّمَ عليكِ الليلِ .. وكأن النهار ما كان .. ورُغم كل ذلك ، فكم أتمنىٰ أن أتجوّل في شوارعكِ ، وأملأُ صدري المُقفَل علىٰ الهمّ من نسيمكِ المنعش الندي ، أن أفتح ذِراعيّ لاضُمّكِ الىٰ صدري ياعزيزة الروح ..

أُحبّكِ بغداد .. أُحبكِ محبة الأحرار لا محبّة العبيد ، لكنني أخشىٰ عليكِ من مزاجك الشتائي المُتقلّب!» .

(بغداد) يـاطفلةً للشـمس ضـاحكةً   أودىٰ بضحكتِها الطاعونُ والجَرَبُ

أمل : الشاهرةُ الشهيرة

رجعت أمل الىٰ سجن الرشاد بعد صدور قرار تأجيل الإعدام ، وصلت الساعة التاسعة ليلاً ..

إذن هاهي (أمل) مرّةً أخرىٰ .. وقد أمست تلك الليلة كورقة صفراء ذابلة ، حيث رجعت الىٰ سجن الرشاد شاهدة وشهيدة .. شاهدةً علىٰ دموية الإستبداد البعثي . وشهيدةً تُحفّزُ علىٰ النصرِ أو الشهادة ..

بكاء الغيوم

حينما وصلت أمل الىٰ سجن الرشاد ، كان في صدرها إعصار من الألم .. استرسلت في حديثها وهي تجهش في بُكاءٍ مرٍّ حزين ، بدأت الدموع تُكلّلُ وجه (القسم) بالحزن والأسىٰ ، لقد بكت الغيوم واعتصرت ماتراكم عليها من آلام وآلام ..

ذَرَفن الأخوات السجينات الدموع سخينةً سخيّة علىٰ الشهداء الذين تعطّرت بهم صحارىٰ البعث .. كانت ليلةً لم يطرق النوم فيها عيون المخدّرات ، حيث نفّست النفوس عن بعض كَرْبِها المكبوت وعن بعض ألمها المدفون .. وقد أشرق الفجر بعد ليلةٍ ما نمنَ خلالها أبداً ، بدأن يتوضأنَ الفجر بالماء والدمع ، ولكن (أمل) لم تزل خاوية ذابلة الأجفان تشهق من الأعماق كأنها شمعة تذوي وتخبو في ليلٍ شتائيٍّ طويل ..

وداعاً بغداد

من خَلل الامطار والدموع
من خَلل الزمان والسنين
المح عينيك تبسمان للربيع
أراك تهتفين
عواطف !
انظري انـها بغداد
بغداد فيها نشيدٌ حزين
بغداد هيّا أوقدي الشموع

***

أُختاه ياأُختاه يا أمل
أكاد أُبصر الربيع قادما
يُطارد الشتاء
مرارة الأيام تنقضي ملاحما
ويُهزم الدجل
كالشمس في السماء
تشرقين يا أمل
عصفورةً تطير في الفضاء
بلا انتهاء
كزهرةٍ تشعّ بالعبير
بالشذىٰ
فكفكفي الدموع
ستنفض الردىٰ
وتطرد الكرىٰ
من علىٰ عيونها الجموع
وتشرق الشمس علىٰ شواهد القبور
بغداد حان موعد النشور
آهٍ لبغداد التي لاتثور .

كمال السيد

٢٥ / صفر / ١٤٢٣هـ، قم المقدسة



أمل

بيني وبينكِ
قيدٌ، وزنزانة سجنٍ
واعتقال
بيني وبينك
حلمٌ فراتيٌ أصيل
يطرزهُ الخيال
كانت أناملكِ
ترسم عيون الفجر
تحت الأرض
فوق المشانق والحبال
يالغة الأمس البعيد
يالغة الرفض العنيد
يالون عاشوراء
يعانقه الشهيد

***

أملٌ
أمست كأنها بغداد
ترتدي فستانها الأبيض
تطوف به تلك البلاد
أو قبر الحسين
أملٌ

كانت عيونكِ كالشموخ
ترفض الذل المعتَّق
في عيون المخبرين
وترىٰ زيف أشباه الرجال
أملٌ
كانت تُصلّي
رغم القيد
والزمن المزيف
ركعتين
وتنحني تداعب أناملها
الخضراء
تسبيحة الزهراء
وتذرف دمعةً
علىٰ جرح
بغداد
أو دمعتين
أملٌ
كانت رؤاها
رؤىٰ الحوراء زينب
وبيرقها الحسين

مهدي الحسناوي[1]

١٥/ شوال / ١٤٢٣هـ

قم المقدسة

---

(١) مهدي الحسناوي: شاعر وكاتب عراقي مهاجر، صدرت لهُ مجموعة شعرية (لغة المنفىٰ والجراح) و(البكاء بعد منتصف الليل) وأخرىٰ قصصية (بكائية الزمن الطويل) كما صدر لهُ رواية (الفقراء يحبّون مرةً واحدة).

الملحق

جدران صمّاء .. ووصايا حمراء

أخي القارىء الكريم

فَقَد العراق المئات من فتياته الزينبيات ساقهن فرعون بغداد الىٰ طاحونة الموت الأحمر حيث ساحات الأعدام واعواد المشانق . فمنهن قد استلم ذويهن جثامينهنَّ الطاهرة ومنهنَّ مَن مُزّقت أجسادهنَّ في زنـازين التـعذيب أو تـفتتت أعـضاءهنَّ بتجارب النظام الكيمياوية والبيولوجية ، فامتنع عن تسليمهن ، فدفنها في صحارىٰ العراق حيث المقابر الجماعية المجهولة .

لذا بقي المئات من العوائل ذوي الشهيدات تنتظر لحظة اللقاء ، نعم ، ينتظرون بصيص أمل ووميض رجاء لمعرفة مصير بناتهم ، وهم يجهلون أن تلك الارواح قد غادرت الدنيا الىٰ بارئها تشكو جور الطغاة وظلم المستبدين ، ولا يعلمون أن تلك النفوس المطمئنة ترفل في نعيم حيث ما لاعين رأت ولا أذن سمعت . ان اولياءَهنَّ لايدرون بأن هذا البصيص قد انطفأ وهذا الوميض قد خفت ، وانهم سوف لن يروا رفاتهن فضلاً عن رؤية اشخاصهن . نعم . إنهم سيقرأون وصايا خطتها أناملهن علىٰ جدران الزنازين وحيطان الحبوس ، ولكن ذلك سيكون بـعد رحـيل الجـلاد الىٰ بئس المصير .

نعم ياأهلنا في العراق وفي المهاجر .. شهور وسنين كنّا نلوكها صبراً واحتساباً في مديريات (أمن) المحافظات ومديرية (الأمن) العامة وسجن (الرشاد) . احصيناها بالدقائق والثوان .. فالزمن هناك ثقيل كأحزان الثكالىٰ ، طويل كليل العراق .. قبور يطلقون عليها جزافاً لفظ السجون .. وكم تسمّرت عيوننا بـالجدران ونـحن نـطالع حروف النور المنقوشة هناك ، لقد كتبت بناتكم وصايا ورسـائل جـاءت سـاخنة مبعثرة في خلسةٍ من الزمن وعيون السجّان ..

كلمات صادقة من سرائر طاهرة انهمرت كالمزن من احداق جدران الزنازين وغرف الاعدام ، وصايا لم تزل ندية تنبض بالحياة علىٰ الجدران الصمّاء .. فـهي حاضرة في ذاكرتنا ، ماثلة أمامنا تعطينا الامل وتمنحنا روح التحدّي .

وصايا بعضها سطّرتها أكف فتيات هاج بهن الشوق لمراتع الصبا .. لديار الأحبّة .. لدجلة الخير .. لقباب النور ، وبعضها الآخر صيحات مدوِّية هادية ليس لها خمود وثورة غاضبة ليس لها ركود .. وصايا لم تودع فيها كلمة تشير لرغبة دنيوية واحدة ، لقد كانت كلماتهن تُحرّك في نفوسنا هِمَم الإباء وعزائم الارتقاء ، كانت كل واحدة تودعنا الىٰ لقاءٍ قريب وكأن الجنّة ماثلة أمام عينها وهي تستعجل الدخول اليها .

نعم ، إنها وصايا صبايا العراق وأحلام فتيات الاسلام تُدفَن كُلَّ يوم بالدِهان ، علّهم يقتلوا تاريخ أمةٍ بعد أن قتلوا أبطالها ، وهم لايعلمون أن كل حرفٍ من وصاياهن وكل قطرةٍ من عبيط دمائهن ستروي برعماً جديداً من شجرة الإسلام الخالدة.

هاكم اسماء طائفة من الشهيدات المغيّبات اللاتي تحدَّين النظام وجبروته فلم يمتلك الشجاعة ليعلن عن اعدامهن وتسليم أجسادهن أو حتىٰ ورقة الوفاة لذويهن. لأن شراسة الوحوش إنما تكون عندما يستفردون الفريسة في الغابات ، أما عندما تكون المواجهة فانهم أجبن من الضباع .

* الشهيدة فائقة إبراهيم صدقي ، مواليد كربلاء عام ١٩٥٩م .. إعتُقِلت عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة فاطمة جواد تقي الكبابي ، مواليد كربلاء ١٩٦٠م وأختها الشهيدة رضيّة جواد تقي الكبابي مواليد ١٩٦٥م .. اعتقلتا عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة خالدة عيسىٰ التي اعتُقِلت وهي حامل عام ١٩٨٣م من منطقة حي العامل ببغداد مع كُلّاً من أخيها نصّار عيسىٰ وزوجها وزوج أختها .
* الشهيدة (أم فتحي البصري) زوجة الشهيد حجي علي مناحي وأم الشهيد فتحي علي والسجينة فتحيّة علي .. اعتقلوها عام ١٩٨٢م من البصرة .
* الشهيدة (رغد) من الحلة .. طالبة في كلية الطب – جامعة بغداد – اعتُقِلت عام ١٩٨٠م وعُذِّبت في مديرية أمن الحلّة علىٰ يد المجرم الجلّاد حكيم البكّاء .
* الشهيدة عواطف علي (أُم علي) أخت الشهيد عامر علي وزوجة الشهيد (أبو علي) ، اعتُقِلت عام ١٩٨١م .

* زوجة الشهيد سيد جليل حسن العلوي .. اعتقِلت مع زوجها وأطفالها الثلاثة من البصرة .
* الشهيدة إيمان البصري . خريجة كلية الهندسة – جامعة البصرة .
* الشهيدة الدكتورة ساجدة عبدالحميد التي اعتقِلت مع زوجها الشهيد الدكتور محمد هادي العزاوي وابنها الرضيع (ضياء) من بغداد عام ١٩٨١م .
* الشهيدة كميلة شرقي أخت الشهيد عبدالأمير شرقي .. من مواليد ١٩٦٣م – مدينة الثورة ببغداد – اعتقِلت عام ١٩٨١م .
* الشهيدة جميلة شرقي (أم آمنة) من مواليد – مدينة الثورة ببغداد – اعتقِلت عام ١٩٨١م مع طفلها (جهاد) الذي لم يبلغ من العمر عامين !
* زوجة السيد مهدي الحكيم وابنتها زينب الحكيم .. اعتقلتا من النجف الأشرف عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة عالية علي النجفي ، من مواليد العمارة – الكحلاء – عام ١٩٦١م ، أخت كُلّاً من الشهداء حسن وحسين وعباس وبنت السجينة العلوية الحاجّة بهجت نجفي الانصاري .. اعتقِلت من النجف الأشرف عام ١٩٨١م .
* الشهيدة فاطمة أحمد الجاسم ، من مواليد البصرة عام ١٩٦٣م ، أخت كُلّاً من الشهداء رعد وسعد وفارس وباسل وبنت السجينة الحاجة ملكة الجاسم .. اعتقِلت من كربلاء عام ١٩٨١م .
* الشهيدة زوجة سيد خليل التلعفري ، من مواليد الموصل ١٩٦٣م اعتقلوها – وهي حامل – مع زوجها وأطفالها الثلاثة .
* الشهيدة عالية فاضل التي اعتقلت مع الشهداء زوجها وأخوتها الستة .
* الشهيدة هناء السالم وأختها الشهيدة وفاء السالم ؛ بنات الشهيد محمد بدّاي السالم ، وأخوات كُلّاً من الشهداء جعفر وجابر السالم .. اعتقلتا من البصرة عام ١٩٨١م .
* الشهيدة هاشمية مشيّر السالم وأختها رجاء مشيّر السالم اللائي اعتقِلتا مع أبيهما الشهيد مشيّر بدّاي السالم وأخوتهما الشهداء علي ومحسن مشيّر السالم .. اعتقلوا من البصرة عام ١٩٨١م .

❊ الشهيدة فاطمة موزان النصيّر وأُختها التوأم الشهيدة زينب موزان النصّير ، بنتا الشهيدة وسيلة دغيّم السالم ، وأُختا الشهيد علي موزان النصيّر الذي استشهد عام ١٩٨١م في مدينة الكاظمية ببغداد أثناء المواجهة مع قوات أمن النظام .. اعتُقِلتا في البصرة عام ١٩٨١م .

❊ الشهيدة حليمة نعيم الموسوي واختها الشهيدة كريمة نعيم الموسوي .. اعتقِلتا واستُشهدتا عام ١٩٧٩م ، لاشتراكهن في مظاهرة ١٧ / رجب / ١٣٩٩ هـ في مدينة الثورة البطلة ، احتجاجاً علىٰ اعتقال المرجع الشهيد السيد الصدر ﵁ .

❊ الشهيدات العلويات : مريم سيد قاسم المبرقع «أم سجاد» وعليّه سيد حسين النوري «أم سعد» وزهراء سيد يونس النوري .. اعتُقِلوا مع مجموعة من أزواجهن وأبنائهن عام ١٩٨٠م بعد مظاهرة ١٧/رجب/١٣٩٩هـ في مدينة الثورة ببغداد .

❊ الشهيدة غنيّة معن ، أخت الشهيد الشيخ حسين معن ، من مواليد قضاء الهندية (طويريج) عام ١٩٦٣م ، أُعتُقِلت عام ١٩٨١م .

❊ الشهيدة فاطمة مديّح جباره أُخت الشهداء عبدالرضا وعبدالكريم وعبدالنبي وعبدالكاظم .. اعتُقِلوا من مدينة الشعب ببغداد عام ١٩٨٠م .

❊ الشهيدة انتصار من مواليد النجف عام ١٩٦٤م .. اعتُقِلت عام ١٩٨٢م .

❊ الشهيدة سهيلة – بنت خال الشهيدة عالية علي – من مواليد ١٩٦٣م .. اعتُقِلت من النجف عام ١٩٨٢م .

❊ الشهيدة وفاء (أم زينب) التي نفّذوا الاعدام بزوجها وشقيقه وشقيقتها وزوج شقيقتها ، وخفّضوا حكمها – الاعدام – الىٰ المؤبد بسبب (الحَمِل) ، إلّا أنّهُ لم يشملها عفو عام ١٩٨٦م أو عفو عام ١٩٩١م والىٰ الآن لم يُعرف عنها شيء !

❊ الشهيدات «كاظمية جواد من مدينة الثورة ببغداد وشيماء ومنال البصري والعلوية سلوىٰ البصري والأخوات رملة وقادرية من البصرة» اعتُقِلن عام ١٩٨١م .

❊ الشهيدة دولت طاهر العلي ، من مواليد بغداد ١٩٥٩م ، تسكن مدينة

الحرية .. طالبة في كلية الإدارة والاقتصاد ، اعتُقِلت عام ١٩٨١م .

* الشهيدة هيفاء من الكاظمية (مدينة الحرية) ، من مواليد بغداد ١٩٦١م .. طالبة في الصف الثاني طبّية - جامعة بغداد - اعتُقِلت عام ١٩٨١م .
* الشهيدة آمال تسكن مدينة الحرية ببغداد .. من مواليد بغداد ١٩٦٣م ، اعتُقِلت عام ١٩٨١م .
* الشهيدة ابتسام عبدالله العبيدي ، من مواليد بغداد - المنصور - ١٩٦٠م ، طالبة في الجامعة التكنلوجية .. اعتُقِلت عام ١٩٨١م .
* الشهيدة حياة عبدالرحمن .. مهندسة من البصرة - منطقة عمّال الموانئ .
* الشهيدة زهور الساعدي (أم علي) ، زوجة الشهيد حسين وچر الساعدي .. اعتُقِلوا عام ١٩٨٠م من بغداد - منطقة بغداد الجديدة .
* الشهيدة جنان الساعدي ، من مواليد البصرة - الزبير - عام ١٩٦٠م .. اعتُقِلت مع طفلتها عام ١٩٨١م .
* الشهيدة العلوية شذىٰ علي أكبر اللاجوردي (أم حسين) .. اعتُقِلت عام ١٩٨٠م بعد زواجها من زوجها الشهيد بأربعة أشهر ، وولدت في السجن ولداً أسمته (حسين) .. فُقِدوا جميعاً والىٰ الأبد !
* الشهيدتان العلويتان (جنان ونجاة) بنتا السيد هادي السندي .. اعتُقِلتا عام ١٩٨٠م مع أولادهما (قاسم ورسول واسماعيل) ولم يُعثَر لهم علىٰ أثر ولحد الآن !
* الشهيدة ليلي عودة - أُخت الشهيدة سميرة عودة - التي اعتُقِلت مع مجموعة من الشهيدات (هيفاء وهناء وسناء و ....) من البصرة عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة حميدة ناصر بنت السيد مصطفىٰ اللاجوردي .. اعتُقِلت عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة (أم عارف) زوجة السيد حسين بركة الشامي ، والشهيدة (أُم اخلاص) زوجة السيد قيس بركة الشامي .. اعتُقلتا من الكوفة (حي كِنْدة) عام ١٩٨٠م .
* الشهيدة سامية مُلّا عبدالله ، من مواليد بغداد ١٩٦٣م ، بنت عم الشهيدين (مظفر ومحمد لايذ) ، اعتقلت عام ١٩٨٢م .

شذرات من وصايا الشهيدات

شذرات من وصاياهن كُتبت على عجلٍ ، وهي غيضٍ من فيض ذلك المعين .. إنها بحق وصايا مُضَمَّخة بالعطر طافحة بالصدق عابقة بمعاني الولاء للإسلام ولمذهب أهل البيت عليهم السلام .. كلمات لأعزاءٍ لنا أفلحوا في تنقية النفس من ضغط الشهوات ، فآمنوا بأن الحياة عقيدةٌ وجهادا ، وصعدوا الى المجد :

❊ «... البارحة أخذوا دكتورة اسمها ساجدة الى جهة مجهولة بعدَ أن فرّقوها عن رضيعها البالغ من العمر ثمانية أشهر .. ونحن ننتظر نفس المصير ...». كاظمية

❊ «... أرجو من أبي وأمي وجميع أخوتي وصديقاتي أن يُفرغوا ذمتي ويسامحونني عن كل تقصير ...» . هيفاء

❊ «... اليوم الثلاثاء ١٩٨١/٨/١٥ ، يقولون غداً سيعدموننا ...» .

❊ كنّا وإيّاكم نزورُ مقابراً ومُنّم فزرناكم وسوف نُزارُ

❊ «... هذا الجلاد الحقير أبو جواد أخذ كميلة وجميلة وعالية وفاطمة وكاظمية ومنال وشيماء في السيارة اللاندگروز ليلاً ومعه عدد من الشرطة ، ورجعوا قبل الفجر والسيارة فارغة ! ...» .

❊ «... اللهم اجعلنا مع الحسين ...» .

❊ (فليُقاتِل في سبيل الله الذين يَشرون الحياةَ الدُنيا بالآخرةِ ومن يُقاتِل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلِب فسوف نُؤتيه أجراً عظيماً)[1]

❊ «... مَن يقرأ كلماتي يدعو لي بالمغفرة ويقرأ لي الفاتحة استودكم الله» خالدة .

❊ «... ولستُ أخشاك جُرحاً تحت خاصرتي ...» .

❊ «... اللهم اجعلنا من الشهداء انصار الصدر والخميني وبنت الهدى» .

❊ «... مَن يعرفني يوصي أهلي بايجاد طفلي جهاد والعناية به ، لانني لا أعرف مصيره !» جميلة .

---

١ - سورة النساء : ٧٤.

❊ ياشاطىء البحر خُذني موجةً طَهُرت ... فلستُ أقبلُ أن يغتالني الزَّبَدُ
❊ «... أنا .. من البصرة ، لقد قتلوا ابنتي وحكموا عليَّ بالاعدام ، خبّروا أهلي».
❊ «... أخبرتني الرقيبة انهم سيعدموننا أنا وأختي غداً .. رحم الله من أخبر أهلي ...» نجاة .
❊ «... أنا شذىٰ ، انجبت ولداً بالسجن بتاريخ ١٩٨١/١/٨م ، ارجو الاعتناء به لانه ابن شهيدين» .
❊ «... أنا رضية ، فرّقوني اليوم عن أختي ، وقالوا سيعدموننا» .
❊ إذا كانت الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرءٍ بالسيف في الله أفضلُ
❊ «... أوصي أخواتي بالصلاة والصيام والعمل للآخرة .. فالحياة قصيرة جداً والعمر رحلة ...» .
❊ «... سمعنا ان عدداً من أخواتنا أجروا عليهن تجارب كيمياوية ، ونحن لم يعدموننا منذ حكم المحكمة قبل أربعة أشهر ..» .
❊ «... باقر الصدر منّا سلاما ...» .
❊ «... اللهم ارحمني .. متىٰ يعدمونني ...» سميرة .
❊ «... مَن يعرف أهلي يخبرهم ان طفلي بقي عندهم ! ...» ساجدة .
❊ «... والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ...» .
❊ ياصدرُ ألفُ يد مُدَّت مبايعةً ... علىٰ المسير ، وهل وفَّت اليكَ يَدُ
❊ «... اطلب من جميع أهلي وأقربائي العفو والمغفرة لي ...» .
❊ «... اللهم احشرني مع الزهراء ، ومع بنت الهدىٰ ...» .
❊ «... أنا عالية وبنت خالي معي .. حكموا علينا بالاعدام ، الحمد لله علىٰ الشهادة .. سمعنا سيعدموننا الأحد القادم ..» .
❊ إذا كانت الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرءٍ بالسيف في الله أفضلُ
❊ «... يحسين بضمايرنا ...» .
❊ «... إذا لم يسلموننا لأهلنا ، ارجو كل من يقرأ رقم التلفون .... يخبر أهلنا وأجره علىٰ الله» .

❊ «... اليوم أخذوا مجموعة من الأخوات الىٰ الاعدام .. اللهم اجعلنا من الشهداء ...» .

❊ «... ارجو من اختي الاعتناء باطفالي ...» خالدة .

❊ ❊ ❊

وصايا مقدسة خالدة لاهل العبودية الحقّة ، تحكي قصة الظلم الذي أحاط بمخدرات عراق المقدسات ، اللائي عانقت اعناقهن مشانق الاذلاء وعاثت بأجسادهن تجارب الكيمياء ..

وصايا جعلت من الجدران الصمّاء البشعة صحف نور ولوحات ثورةٍ غاضبة ، مثّلت فصلاً من فصول الجهاد المغيّب لشعبنا في العراق ..

نعم وربّي .. تتضاءل الكلمات أمام كلمات زينبيات الحسين ، وتتكسّر أسنّة الأقلام أمام أقلام الزنازين .. كيف لا ! وهي وصايا شامخة كرؤوس الجبال ، عميقة كقاع البحار ، سجّلت للاسلام وللصدر وبنت الهدىٰ أعظم آيات الوفاء وأصدق عهود البيعة ..

وداعاً يامخدّرات العراق .. وداعاً يانوارس دجلة والفرات .. وداعاً يانخيلات الجنوب .. إرحلن ياحبيبات الروح ، يانسائم الفجر الموعود .. وهنيئاً لكم ياأعزّ الأحبّة ، ولمثلها فليعمل العاملون .. وعهداً منّا للسير في ذات الطريق حتىٰ يحكم الله ، وهو خير الحاكمين .

الفصل التاسع

الشهيدة سُمية البغدادي

* شذرات من سيرةٍ مجهولة

* أسمى المكرمات

* أبطال العمليات الإستشهادية



الشهيدة السعيدة سميّة (ام حيدر)

للمرأة العراقية المسلمة رفقة طويلة مع وجع عاشوراء ، فهي تعيش كل يوم كربلاء ، حيث التعذيب والقتل الجماعي على يد حكومة البعث الأموي في بغداد ، وان ذاك الدمار قد ساهم بشكلٍ فعّال في تأصيل الوعي العقائدي والسياسي في نشاط المرأة الزينبية ومجمل حركتها ، الأمر الذي مهّد لها أن تسلك درب الشهادة الدامية بشموخ واقتدار . فهي قد ضارعت أخاها الرجل بالعطاء والفداء وبالتالي سجّلت صفحات مشرقة ستظلّ شُعلةً في ليل العراق الدامس .

وما الشهيدة السعيدة «سُمية البغدادي – أُم حيدر» سوىٰ واحدة من تلكم الزينبيات ، حيث قدّمت نفسها وما تملك قرباناً لعراقها ولأسلامها العزيز ، فخطّت بدمائها سجلّاً في قاموس الخالدين .. وستذكرها أجيال العراق سواءً في المحنة أو بعد الفتح ان شاء الله تعالىٰ ، والذي عند ربك خيرٌ وأبقىٰ .

شذرات من سيرة مجهولة !

الشهيدة سُميّة ؛ فتاة بغدادية من مواليد ١٩٦٣م ومن عائلة متدينة معروفة بولائها للإسلام ولآل البيت عليهم السلام .. فهي طيّبة متواضعة وذات ذكاءٍ وفِطنة ، يتألّق في عينيها عزّ المؤمنات وفي سلوكها إباء الزينبيات ..

زوجها الشهيد حسين الحيدري (أبو حيدر الحيدري) العضو الفعّال في الجناح العسكري لمنظمة العمل الإسلامي .. كان خطيباً ومربيّاً ومقاتلاً ، عمل في أول خلية جهادية عسكرية لازالة نظام الكفر في بغداد[1] .

وافقت الشهيدة سُمية علىٰ الزواج من الشهيد حسين بعد أن وجدت فيه كل ما

---

[1] – بعد جهادٍ طويل قضاه في مواجهة السلطة الحاكمة في بغداد هاجر الشهيد السعيد (أبو حيدر الحيدري) الى إيران .. فترك وراءه عائلته ليواصل مسؤولياته ومهامّه الرسالية .. كانت خليته نواة للعمل المسلح للمنظمة في العراق . استشهد جميع أبطال خليته ورفاق دربه فكان يذكرهم ويقول : «ما قيمة الحياة بعد هؤلاء» . ورغم كل هذه الجراح كان شفافاً مبتسماً لا يُظهر حزنه إلّا نادراً .. كان يتفقّد العوائل المهاجرة وعوائل الشهداء ويقدّم لهم ما أمكن من الخدمات .. يعمل بجدٍّ وصمت ولا يتقاعس عن المسؤوليات والمهام الصعبة التي قد يتكاسل منها الآخرين .. أفنى شبابه في تربية الكوادر الرسالية لاستلام المسؤوليات ومواصلة الدرب لتحرير العراق .. إستشهد وهو يؤدي واجبه الرسالي ، وقد نعتهُ منظمة العمل الإسلامي في العراق ببيان جاء فيه «بعد حياةٍ ملؤها الجهاد والكفاح والعمل إستشهد الأخ المجاهد حسين المعروف باسم (أبو حيدر الحيدري) بينما كان يقوم بأداء واجبه الرسالي في سبيل الله . وبذلك تحققت أمنيتهُ في الشهادة .... واليوم إذ تنعىٰ منظمة العمل الإسلامي في العراق أحد أعضائها المخلصين ، لتزف بشرىٰ شهادته الى إمام الأمة الخميني العظيم والى الشعب العراقي البطل متمنيةً لعائلته الصبر والسلوان وللشعب العراقي النصر على البعث الكافر» .

تطمح إليه الفتاة المؤمنة المجاهدة . فتزوجا عام ١٩٨٣م وكان ثمرة زواجهم طفلاً أسمياه «حيدر» .. امتلكت المجاهدة «سُميّة» شجاعة زينبية تدعو الىٰ الاعجاب والاجلال . لذا بلغ زوجها في تقديره لجهادها وقدراتها مرتبةً عالية جعلته يعتمد عليها في كثير من المهام السرّية . لذا فقد قُدّر لهذه المؤمنة الصالحة أن تواكب من تاريخ المنظمة أقسىٰ المراحل جهاداً وأروع الجولات استبسالاً ..

ونظراً للمسؤوليات والمهام الجسام التي كانت علىٰ عاتق البطل (أبو حيدر) كانت صدراً رحباً لاهتمامات وهموم زوجها ورفاقه . فأوقاتها حافلة بالجد والجهاد . زاخرة بتوفير الخدمات والتسهيلات للمجاهدين في الخليّة .. كانت أُمّاً وأُختاً لأُولئك الفرسان من العمل الجهادي للمنظمة في بغداد . ورفيقةً وزوجةً لشريك المحنة القدوة والزوج . لذا كان بيتها ملاذاً آمناً لأيواء المجاميع الجهادية للمنظمة ومخزناً لاسلحتهم وذخائرهم . فهي خادمة في النهار . عارفة في الليل .. تملأ نهارها جهداً وخدمةً ونشاطاً وتذوب في ليلها صلاةً وذكراً ودعاءً .

نعم . كانت تستقبل الأُسود الوافدين من إحدىٰ دول الجوار الذين أنهوا تدريباتهم تواً وهاهُم قد استعدّوا لتنفيذ صولاتهم وعملياتهم العسكرية السرّية لزعزعة اركان النظام الكافر في بغداد تمهيداً لاسقاطه .. فهي ترىٰ أن لا طريق سوىٰ الكفاح المسلح لازاحة هذا الفرعون الجاثم علىٰ صدر عراقنا وعقيدتنا .

يقول المكتب العسكري لمنظمة العمل الإسلامي :

«إختارت الشهيدة سمية (أم حيدر) طريق الجهاد المسلّح مع المجاهدين الرساليين جنباً الى جنب مع زوجها الشهيد . فكان منزلها محطة الأمان للكثير من المجاهدين حيث كانت تأويهم مع زوجها لأيام طوال لهم ومعداتهم الجهادية . فكانت تخفي في بيتها عدة المجاهدين الثورية من المتفجرات والاسلحة الخفيفة والمنشورات» .

احتلّت المجاهدة (سُميّة) مكانةً عزيزةً في ذاكرة مجاهدي المنظمة بعد أن آوتهم في زمنٍ عزّ فيه الصديق .. ونحن نعترف للقارىء الكريم بأننا لم نأتِ إلّا على شذراتٍ من سيرة هذه المرأة الزينبية المجهولة . ونأسف لعدم حصولنا على معلوماتٍ سوىٰ النزر اليسير من عبق جهادها وتضحياتها . ورغم هذا القليل - الذي

هو بعين الله كبير - لانملك أمام هذه المرأة العراقية الصالحة إلّا أن نُطأطأ الرأس ونسدل الجفون إكباراً وإجلالاً ، لأن الشهيدة (أُم حيدر) ماهي سوىٰ (زينب) تتكرّر في أتباعها اللاتي سِرنَ علىٰ نهجها .

أسمىٰ المكرمات

تمر الأيام والشهور و(أُم حيدر) تخفي حركتها ونشاطها وملاذ خلية زوجها خلف غطاءٍ من السرّية التامة والكتمان ، سيّما وان بيتها كان بعيداً عن عيون ومراصد المرتزقة والبعثيين .. لكن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، حيث لم تدُمَ تلك الآمال والطموحات طويلاً ! فقد اكتشف الأوغاد الوكر - من طريق آخر - ففي إحدىٰ أيام عام ١٩٨٤م من سنيّ جحيم المغول الحمراء داهم الأوباش البيت بوحشية البرابرة لايردعهم ستر أو حُرمات ، فقد اقتحمت الضباع الدنيئة النفوس البيت الذي لم يكن فيه سوىٰ (أُم حيدر) وطفلها الرضيع الذي غفىٰ علىٰ صدرها ..

بَيْد أن اللّبوة التي تخطّت المسافات لتلتحق بركب بطلة كربلاء قرّرت أن لا تعطيهم بيدها إعطاء الذليل ولا تقرُّ لهم إقرار العبيد ، أُسوةً بشهيدة الإسلام الأولىٰ سُميّة (أُم عمار) ، سيّما وهي تأبىٰ أن تُذل في زنازين أمن النظام أو تعترف علىٰ بعض أسرار زوجها وخليته .. لذا هرولت الىٰ السلاح استعداداً للمواجهة وعدم الاستسلام ، فتصدّت لهم بكل ما تملك من سلاحٍ وشجاعة ، مُضحية بكل ما تملك .. فلم يعيقها ربيع شبابها أو صراخ رضيعها ، فهي ترفض الموت البطيء في طوامير البعث بل نالت منهُ الشهادة بكلِّ عزمٍ وإقدام ، فسقطت والدماء الزكية تتدفق من جسدها المصون كالمُزن ليلتحم بنهر الدم الذي تدفّق من نبع كربلاء .

يقول المكتب العسكري لمنظمة العمل الإسلامي :

داهمت ازلام النظام البعثي بهذا الوكر المقدس داهمته دورية مسلّحة فيما كانت الشهيدة وطفلها الصغير (حيدر) يقضيان نهارهما فيه لوحدهما ، فحاول ازلام النظام إلقاء القبض عليها علّهم يستنطقونها في اسرار المجاهدين إلا انها كانت اشجع وأجرأ منهم ، حيث لم تدع للجبناء مجالاً للقبض عليها فباشرتهم بالصراخ الثوري المقدس وهي تحمل القنابل اليدوية والرشاشة لترميها صوبهم

ولتصوّب فوهة سلاحها بصدورهم الخاوية حيث قتلت عدداً منهم وجرحت آخرين» .

وهكذا انطفأت شُعلة (سُميّة البغدادي) وهي في عزّ ربيعها .. ارتحلت الىٰ ملكوت السماء بأجنحةٍ بيضاء ، الىٰ حيث الأمان والجنان ، فسلامٌ عليكِ أختاه (أم حيدر) يوم ولدتِ ويوم إستشهدتِ .. سلاماً علىٰ روحك الراحلة .. العار والفناء لطاغوت العراق ولكل الشهداء الخلود .





سُمية

ألا أيـها النـاعي رويـدك فـاقصر … فـلم تـبق أيـامي جميل التـصبّر

ولاسـيّما مَـن كـان مثلي مُـهجّراً … تجيشُ بـهِ الذكـرىٰ لاهـلٍ ومـعشر

ألا أيـها التـاريخ حسبُك مـاجرىٰ … عـلينا فسجِّل كُـلّ بـادٍ ومـضمر

فـحتىٰ مـتىٰ يـادهر نـصبر إننـا … غدونا علىٰ جمر الهوان المسعر

لقد بـلغ السـيل الزُبىٰ يـا لمعشرٍ … ألم يكـفكُم خسـفاً وذلّـة مـظهر

فـهبّوا بـوجه البـغي هَبّة نـاقم … شـباباً وولدانـاً لنـصرٍ مـؤزّر

فـلله در السـابقات الىٰ الفِـداً … فأعطين درساً في الجهاد المظفر

بسـاحات لبـنان الجـريح مـواقـف … لهُنَّ وفـي أرض العـراق دم يـجري

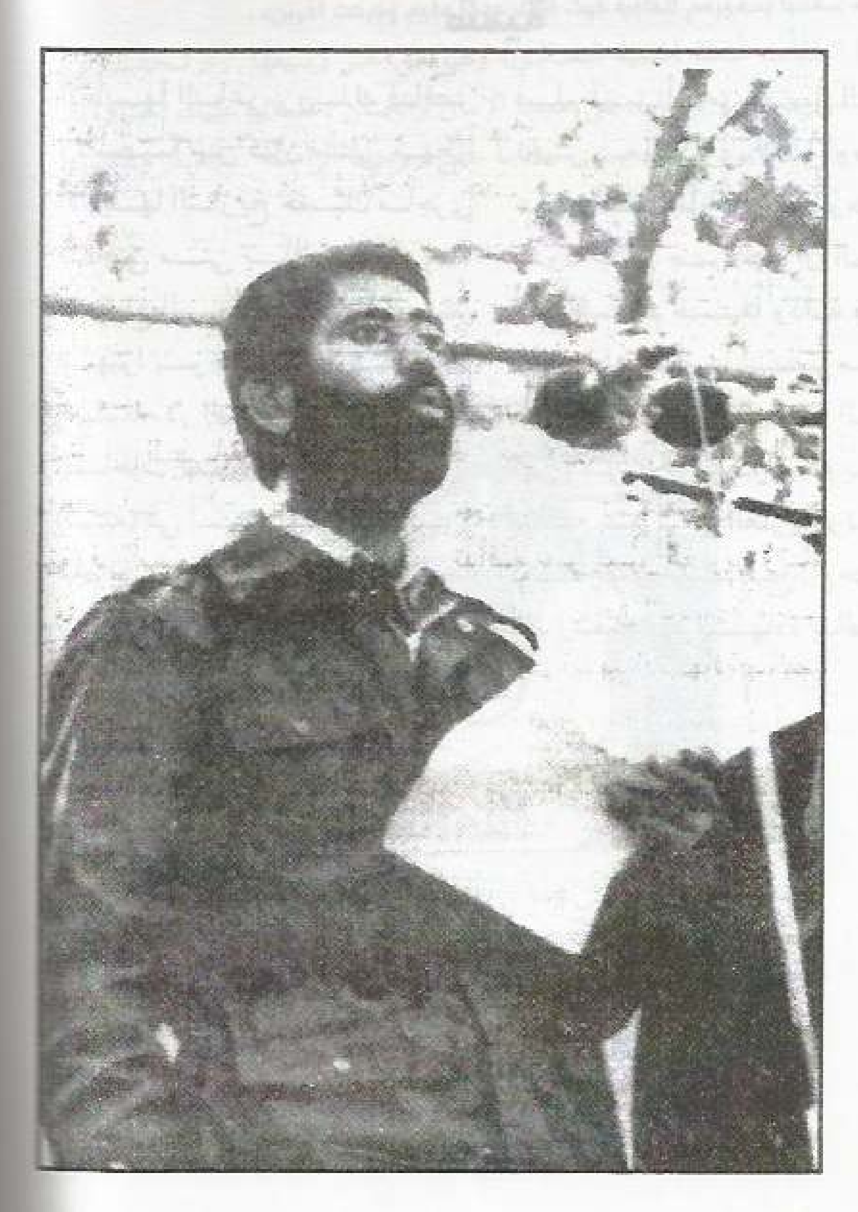
(سُميّة) في أسمىٰ البطولات لبوة … تدافـع عـن شبل العرين وتـنبري

هجوماً علىٰ البعث المشين بـجرأةٍ … وتـثأر للـحق الذبيح (أم حيدر)

عـلىٰ الشهداء الغر تسليم ربنا … فقد رشفوا شهد الشهادة بـالصبر[1]



ن قصيدة للشاعر الحاج (أبو جعفر) عام ١٩٨٥م.



الشهيد السعيد حسين الحيدري (ابو حيدر)

الملحق

أبطال العمليات الاستشهادية

* الشهيد طالب كريم العليلي



ولد عام ١٩٥٢م في قضاء الحمزة الشرقي - القادسية. تخرّج من إعدادية الزراعة والتحق بمنظمة العمل الإسلامي عام ١٩٧٣م .. غادر الىٰ لبنان عام ١٩٧٨م ومنها الىٰ إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية ثم عاد الىٰ العراق لايمانه العميق بضرورة العمل في الداخل .. قاد الهجوم المسلح ليلة ١٠ / محرم / ١٤٠٠ هـ في كربلاء المقدسة ، مستهدفاً عدد من مجرمي النظام ، فاستقرت رصاصات الغضب المقدس جسد المجرم خالد نوري السمرمد وعدد من رجال السلطة .. أُصيب أثر العملية بجروح بليغة .. وبعد جولات وحشية من التعذيب في (الأمن) العامة تم تنفيذ حكمهم الجائر بأعدامه في ١٩/٣/١٩٨٠م .

* الشهيد سمير نور علي : بطل عملية المستنصرية

ولد في بغداد عام ١٩٥٨م من عائلة مؤمنة ، دخل الجامعة المستنصرية عام ١٩٧٦م (كلية العلوم - فيزياء) .. إنضم الىٰ منظمة العمل الإسلامي في العراق - الجناح العسكري - عام ١٩٧٩م ، إمتاز بالتكتّم والانضباط الحركي ، إلّا ان مرتزقة الاتحاد الوطني في الجامعة المستنصرية كانوا يترصدونه ويضايقوه ..

قاد بتاريخ ١/٤/١٩٨٠م - مع رفيقه - عملية الهجوم بالقنابل اليدوية علىٰ أزلام النظام فقتل وجرح عدداً منهم وعلىٰ رأسهم المجرم العميل طارق حنّا عزيز ومحمد دبدب وعلگ عبد وطاهر البكاء وخولة لفتة الذين حضروا للاحتفال بذكرىٰ تأسيس حزبهم المشؤوم . سقط شهيداً برصاصهم الغادر .

* الشهيد (أبو خالد) : بطل عملية الوزيرية



من الجنود المجهولين في العراق ، وما أكثرهم .. إنتمىٰ عام ١٩٧٨م الىٰ منظمة العمل الإسلامي - الجناح العسكري - مجموعة الصحابي عمار بن ياسر .. حسب الأوامر إنقضّ الشهيد وبالقنابل اليدوية علىٰ موكب تشييع قتلىٰ عملية المستنصرية في منطقة الوزيرية ببغداد يتقدمهم كل من المجرمين قاسم سلام وبدر الدين مدثّر وجاسم محمد خلف (وزير التعليم العالي والبحث العلمي) .. سقط العديد قتلىٰ وجرحىٰ ولاذ الباقون بالفرار ، جاءت العملية ردّاً علىٰ التهديد الأجوف الذي أطلقه المجرم صدام بعد عملية المستنصرية .. سقط البطل شهيداً بعد أن اخترقت قلبه رصاصة غادرة .

* الشهيد مظفر بكر :



بطل عملية الهجوم علىٰ السفارة العراقية في روما ولد في بغداد عام ١٩٦٢م من عائلة دينية معروفة ، ٢٠/صفر/١٣٩٧هـ .. إنتمىٰ الىٰ صفوف منظمة العمل الإسلامي عام ١٩٧٧م ، انطلقت المجموعة الفدائية المسمّاة باسم (الشهيد سمير نور علي) الىٰ روما .

استشهد في ١ / شعبان / ١٤٠٠هـ .. من وصيته : «... وأما مكان قبري فأي مكان لايهم ، وأما أهلي فيجب أن يفرحوا لأني سبقتهم الىٰ الرب الكريم .. ارجو منكم أن تسيروا علىٰ خط الحسين وزينب عليهما السلام ولاتتراجعوا» .

* الشهيد محمد عباس خضير : شهيد مظاهرة مدينة الثورة



ولد في بغداد - مدينة الثورة - عام ١٩٥٤م .. نشأ وترعرع في ظل الفقر المدقع الذي خيّم على هذه المدينة الثائرة المحرومة ، إنتمى الى منظمة العمل الإسلامي عام ١٩٧٥م ، تخرج من معهد الادارة عام ١٩٧٨م ..

اعتقل لنشاطه الإسلامي الفاعل ، إشترك في المظاهرة الصاخبة لمدينة الثورة الثائرة التي خرجت من جامع الإمام الباقر عليه السلام أثر اعتقال الإمام المرجع السيد الصدر في ١٧ / رجب / ١٣٩٩هـ .. ولأن الشهيد كان يتقدم صفوف المتظاهرين فقد جاءت طلقات أحد مرتزقة الجيش الشعبي المدعو (عبدالرحمن عُبيد) في صدره فسقط شهيداً مضرجاً بدمه .

* الشهيد عبد الوهاب عبد الرزاق :



بطل عملية السفارة البريطانية في منطقة الصالحية ببغداد ولد في بغداد - الكاظمية - عام ١٩٥٩م ، دخل الجامعة التكنلوجية - قسم هندسة الميكانيك - عام ١٩٨٠م .. التحق في صفوف المقاومة الفلسطينية ومن ثم انتمى لمنظمة العمل الإسلامي - الجناح العسكري - عام ١٩٧٨م ، أشرف على خلية عسكرية باسم (مصعب بن عمير) ، إزداد نشاطه الجهادي بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران .. إشترك في المظاهرة الجماهيرية التي انطلقت من حرم الإمامين الكاظمين عليهما السلام .. نفّذ العملية يوم ١٩ / حزيران / ١٩٨٠م المصادف ليلة مايسمى انتخابات المجلس التشريعي للنظام .

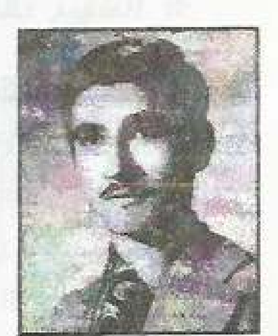
* الشهيد سعد مهدي البرقعاوي



من قيادات المنظمة في العراق ، ولد عام ١٩٤٩م في كربلاء المقدسة ، تخرج من كلية أصول الدين في بغداد ، شارك في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م كما شارك في الهجوم علىٰ السفارة الشاهنشاهية في دمشق وأنزل صورة الشاه المقبور وعلّق صورة الإمام الخميني ﷺ .. زار الجمهورية الإسلامية سرّاً مرتين وعاد الىٰ العراق ليواصل جهاده الثوري .

قاد وفود البيعة للمرجع الشهيد السيد الصدر ﷺ ممّا أدىٰ الىٰ اعتقاله وتعذيبه بوحشية .. نُفّذ فيه حكم الاعدام الجائر عام ١٩٨٠م .

* الشهيد عبدالله أيوب الحمراني



ولد في كربلاء عام ١٩٥٩م . إنتمىٰ لمنظمة العمل الإسلامي - الجناح العسكري - عام ١٩٧٧م .. بعد نجاح الثورة الإسلامية هاجر الىٰ إيران ليعود بعدها الىٰ بغداد لاغتيال العميل طارق حنا عزيز عند افتتاح المعرض الفوتوغرافي للجيش الشعبي في ساحة التحرير بتاريخ ٨/شباط/١٩٨٠م، بيْد أن الأخير لم يأت !

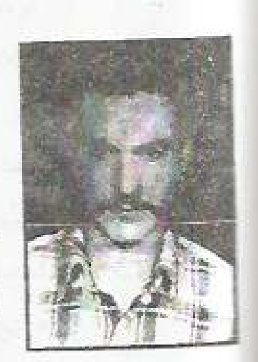
قام الشهيد يوم ١٧ / تموز / ١٩٨٠م بحمل كمية من القنابل اليدوية تمهيداً لتوزيعها علىٰ أعضاء خليته في الشوّاكة ، وفجأةً انفجرت الحقيبة وأصابته الشظايا بجراح بليغة .. نُقل الىٰ مديرية أمن النظام ليمارس معه التعذيب الوحشي . ففاضت روحه الطاهرة في زنزانة التعذيب .

* الشهيد مؤيد راضي الشاوي



ولد في الكوت ، وصار معلماً في إحدىٰ مدارسها ، إنتمىٰ لصفوف منظمة العمل الإسلامي فتصدىٰ هو وأخوته المجاهدين لممارسات أزلام السلطة .. وبينما كان يترأس اجتماعاً لخليته في داره في نيسان / ١٩٨١م داهمه مرتزقة أمن النظام بَيْد أن البطل تصدّىٰ لهم بسلاحه وبكل شجاعة وإقدام ، وآمراً - بنفس الوقت - أخوته المجاهدين بالهرب .. سقط شهيداً سابحاً بدمه الطاهر ، ولكن القتلة لم يكتفوا بذلك بل اعتقلوا وعذّبوا إخوانه الأربعة فيما هجّروا بقية العائلة الىٰ إيران .

* الشهيد ابراهيم سلمان : قائد عملية مديرية (الأمن) العامة



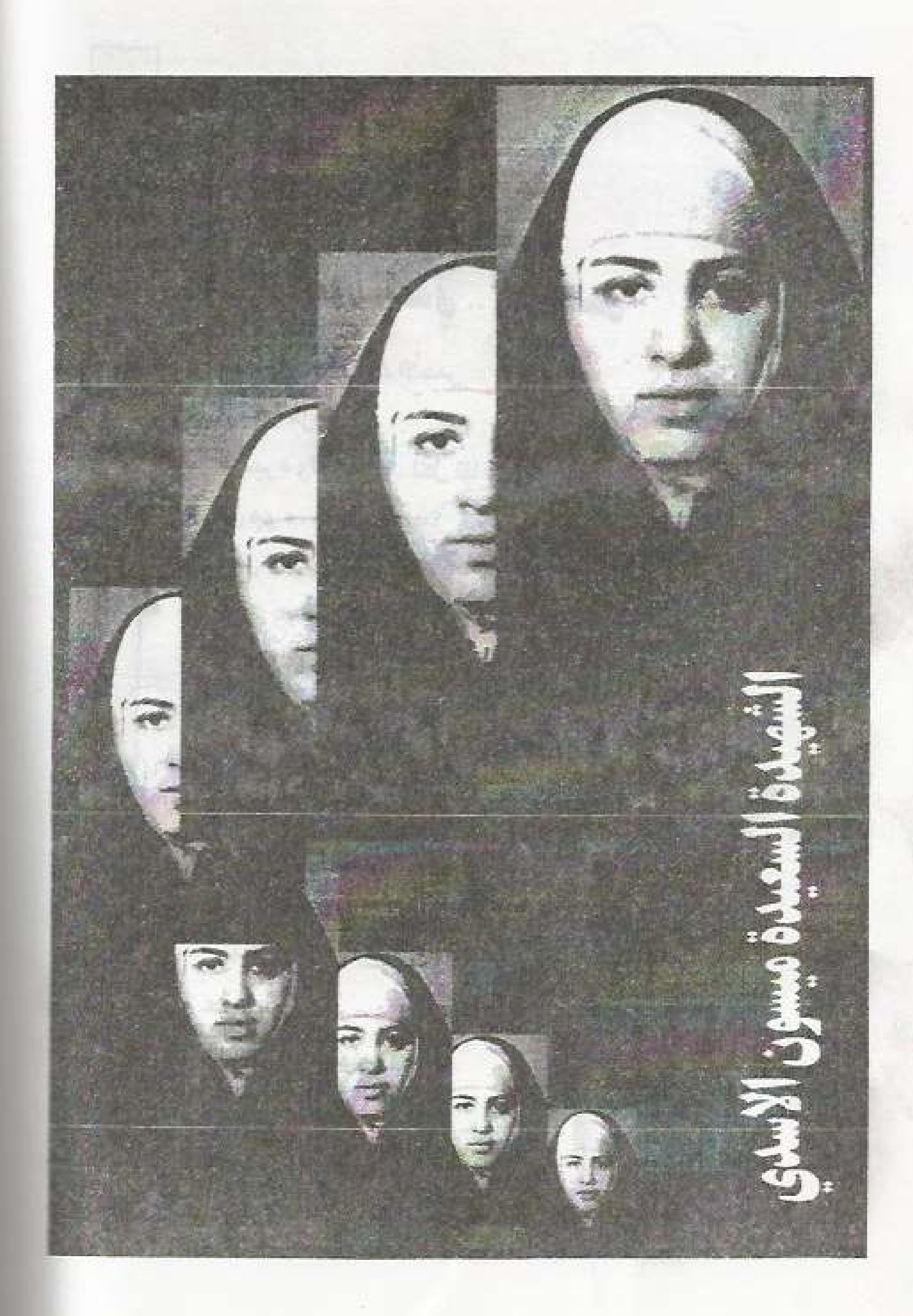
ولد عام ١٩٥٨م من عائلة فقيرة في إحدىٰ أحياء بغداد الشعبية .. تعرّض للاعتقال ، ثم هاجر بسبب مضايقات النظام .. إنتمىٰ لصفوف منظمة العمل الإسلامي - الجناح العسكري - في ١٩٨٣/١١/٢٧م . إقتحم بسيارته المفخخة بـ (٢٣٠) كغم من المواد المتفجرة مبنىٰ مديرية (الأمن) العامة ممّا أدّىٰ الىٰ قتل وجرح أعداداً كبيرة من ضباط ومرتزقة النظام .



الفصل العاشر

الشهيدة ميسون الأسدي .. طائر الشمس

- الذاكرة .. والزمرّد الأحمر
- أريج الفردوس
- السيرة والمواقف .. لكُل طاغ كربلاء
- مَن هو د. حسام حميد ؟
- وهل الدين إلّا الحب
- أرض عطشىٰ وطاعون !
- الاختراق .. قصة سوء لا تنسىٰ !
- حورية في طوامير البعث
- حمامة بيضاء في سجن الرشاد
- تنهُّدات عاشق
- أبكيك فخراً لا حداداً
- منهج .. وبطلة
- زواج في مدينة الموت !
- عروس علىٰ كُرسي الكهرباء !
- القاتل يبكي قتيله !
- القمر يُدفن ليلاً !
- ميسون .. لاوداع


الشهيدة السعيدة ميسون الأسدي

ميسون ، هل أنتِ خائفة من الموت ؟ إبتسمت وقالت : «الموت يعني الشهادة .. صدّقيني ياأختاه أني لم أكن أحلم أن أفوز بالشهادة على أيدي هؤلاء الأمويين بهذا الجهد الضئيل» .

السجينة فاطمة العراقي /سجن الرشاد

من وصايا الشهيدة ميسون لنا في لحظات التوديع : «أخوات ، أرجوكم كونوا يداً واحدة وروحاً واحدة ، ولاتتفرّقن لطول المحنة» .

السجينة أم إيمان العبّاسي

نحن نفتدي الوطن بأرواحنا ولانطيع سوى الله .

من رد الشهيدة ميسون على الجلّاد

حكمت محكمة (الثورة) العسكرية على الخائنة «ميسون غازي» بالاعدام شنقاً حتى الموت .

المجرم اللّواء عوّاد محمد أمين البندر
قاضي محكمة (الثورة) العسكرية

الاهداء

الىٰ مَن ترنّمت لبراءتها ونقائها الخمائل الخضراء ..

إلىٰ الوجه الباسم الذي أشرق كوكباً في قلب الظلام ..

إلىٰ التي أصّلَت رؤاها بدمائها ..

إلىٰ صفاء الاولياء وثبات الانبياء ..

إلىٰ صباح الروح ، أنيسة الشجن ، تسبيحة الرشاد ..

إلىٰ ميسون حمامة الجَواد ، وعبق بغداد ..

إلىٰ النخلة الميساء ..

الىٰ الكبيرة

أهدي هذا الضئيل .

الذاكرة .. والزُمُرُّد الأحمر

وعادت خيوط الذاكرة فاتصلت بعد انقطاع ، وعاد زورقنا الصغير يُبحر في نهر الزمن الجليل ، رُغم ضباب السنين وافواه التماسيح علىٰ شاطىء الشهادة المنسي ، فما زال الشراع بلون الدم ومازالت الغاية شواطىء كربلاء ، حيث تلال الزمرد الأحمر والياقوت الأخضر ، بعيداً عن طحالب المستنقعات التي حاولت تلويث طهارة شاطئنا وسرقة تاريخ رحلتنا ..

تاريخ نكتبه من جِراح الأقاح الحور .. جراح مُقدّسة تحكي قصة الظلم الذي أحاط بمخدّرات عراق الطهر والعفاف .. فتيات أشرق سنا نورهنَّ مع ضياء شمس الثورة الإسلامية في إيران ، حملن مشعل الحريّة وهنَّ بعد في سني الحداثة ، بَيْد أن أرواحهن سمت بهنَّ لمعانقة الموت الأحمر بكلِّ عزٍّ وشموخ ، ليضعن حجر الأساس لمرحلةٍ دامية من تاريخ التضحية والجهاد النسوي في عراقنا الجريح ..

فها أنا أغمس ريشتي من دواة دموعي لأُسطّر صفحات تتصاغر أمام فتاة زينبية عراقية انحنىٰ لها التاريخ ليكتب اسمها في ضمير الأُمة وعلىٰ لوحة الخلود لما قدّمت من تضحيات جسيمة ومواقف عظيمة ، بعد أن كابدت في سبيل دينها ووطنها شتىٰ المصائب والآهات وصمدت كالرواسي الشامخات ..

نعم ، نحن بصدد الكتابة عن فتاة فريدة من فتيات (الكاظمية) ، زينبية مجاهدة عصيّة عن أن نرسمها بقلم أو نحصرها بوريقات .. حوريّة دفعتها الأقدار لتقف أمام عيون أوباش الرذيلة بعد أن أرخصت روحها وربيع شبابها من أجل أن تتأصّل التضحية وتتجذّر روح الإيثار ..

إن الحديث عن شخصية جهادية استثنائية كالبطلة (ميسون) هو الحديث عن القيم العالية والأخلاق السامية والمناهج الإلهية ، ومحاولة زرعها من جديد بعد أن كادت الأرض أن تجدب والزرع يغدو هشيماً .

فَهلُمَّ معي – أخي القارىء الكريم – لننطلق بأرواحنا التعبات مع شذىٰ عبير فصلٍ منسيٍّ من فصول المقاومة والجهاد .

الهوية الشخصية والسياسية

الاسم : ميسون غازي الأسدي .

الولادة : بغداد ، مدينة الكاظمية (علي الصالح) .. مواليد ١٩٦٦ م .

المستوىٰ الدراسي : جامعة بغداد / كلية الآداب – قسم اللغة العربية – المرحلة الثانية .

تاريخ الاعتقال : السبت ١٩٨٤/٥/٢٦ م .

الاتهام : الانتماء الىٰ منظمة العمل الإسلامي – الجناح العسكري[1] .

جهة الاعتقال : مديرية (أمن) الكاظمية .

المحكمة : محكمة أمن (الثورة) العسكرية .

الحاكم : عوّاد محمد أمين البندر .

مادة الحكم : (١٥٦ – أ) الاعدام شنقاً حتىٰ الموت .

تاريخ الحكم : الاثين ١٩٨٤/١٠/٣٠ م .

تاريخ الأعدام : الأربعاء ١٩٨٥/١/٢٣ م .

محل الاعدام : سجن (أبو غريب) المركزي – الكرسي الكهربائي .

محل الدفن : النجف الأشرف – وادي السلام .

---

١ – يقول الأمين العام لمنظمة العمل الإسلامي الأُستاذ إبراهيم المطيري :

«تأسست المنظمة عام ١٩٦٦م ، توسّع نفوذها في العراق في الثمانينات .. اضطلع بمهمة التأسيس والرعاية للمنظمة سماحة آية الله العظمىٰ السيد محمد تقي المدرِّسي ، لان مرجعيته تدعم كل الحركات الإسلامية الناهضة والأصيلة في الأُمة» .

الصفات والمواصفات .. أريج الفردوس

ميسون غادة حسناء في العقد الثاني من ربيعها ، هيفاء ممشوقة القوام ، غرّاء فرعاء كنخلةٍ ميساء ، ذات وجه مُقمر وهّاج ، وعُنق كعمود عاج ، عيناها ناعستان تظللهما رموش كأماسي الشتاء ، نظراتها الوديعة وابتسامتها الساحرة توحي للناظرين أنها من أميرات البلاط الفارسي .. إشراقة وجهها أكثر جمالاً من بزوغ الشمس ، كأنها حورية هبطت من الجنة تشعُّ جمالاً وجلالاً .. فهي الربيع وهي السلوىٰ .. هي ميسون ..

وفوق كل هذا ، هي فتاة محتشمة مُكلّلة بالغار مُجلّلة بأبراد الفضيلة ، تُضيء عيناها عفّةً وحياءً ، وتشعُّ روحها براءةً ونقاءً .. كثيرة الصمت ، خفيضة الصوت ، واسعة الفكر دمثة الاخلاق .. السكينة والثقة بالنفس تغمران محيّاها الملائكي الوضّاء ..

ومن الصفات الأخرىٰ التي تفرّدت بها شهيدتنا البطلة (ميسون) ؛ الفطنة والشجاعة ، فهي أسديّة العزم حسينية الأهداف ، ذات وجهٍ شامخٍ أبيٍّ عبوس في وجوه الأعداء ، ودود متواضع في وجوه الأصدقاء ..

إنها ميسون بنت الكاظمية ، كندىٰ الصباح نقيّة ، كبطلة كربلاء زينبيّة ، كسمير غلام منظمة العمل الإسلامية .

السيرة والمواقف .. لِكُلّ طاغٍ كربلاء

أُختاه .. ماذا أُسطّر عن خصالك الكثار ، ياميسون الخير والإيثار .. ماذا أقول ؟ فأفعالكِ نواطق وقيودكِ شواهد و .. دماؤك قصائد .

فنحنُ أُخيتاه كلما يتراءىٰ لنا رسمك تهيج في صدورنا روحكِ النهضوية الراسخة ، ونحِنُّ الىٰ نقائكِ ووداعتكِ حنين الحبيبة الوالهة ، ونستذكر إباءكِ وشموخكِ ذكر العارفة المتيّمة ، رُغم أن طيفكِ كان قد مرّ علينا سريعاً وغادرنا مودّعاً ..

وها نحن لم نأتِ إلّا علىٰ شذراتٍ متناثرةٍ قد جُمِعَت من زوايا الذاكرة ومن ريذات الدنيا[1]، حيث بذلنا جهداً جهيداً للملمة هذه الأشتات علّنا نُعيد بعض ملامح هذه الصورة، ونوفّق لأضاءة شمعة يتيمة في طريق هذه الملحمة المنسيّة..

ميسون من عائلة طيّبة معروفة بولائها للإسلام ولمذهب أهل البيت عليهم السلام، لها أخوة وأخوات جامعيون وأم معلمة وأب ثري يمتلك معرضاً لبيع الحلي الذهبية والمجوهرات في (شارع النهر) أشهر مناطق بغداد العاصمة..

بدأت شبابها زينبية علىٰ خط الإمام الحسين عليه السلام رُغم الجو العائلي البعيد كُل البُعد عن معاني الجهاد والاستشهاد.. بحكم العيش الرغيد والوضع المُرفّه رغم الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

ولدت في (الكاظمية)، تلك المدينة المتألقة ذات القباب الذهبية التي ضَمّت ضريحي الإمامين (موسىٰ بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد) عليهما السلام لذا نجدها وكأنها قد ورثت نقاء السريرة من صاحب السجدة الطويلة، وروحيّة العشق من تلك الدموع الساكبة، وشموخ الجراح من ذاك السجين المثقل بالسلاسل والقيود.

تفتّحت لها الأيام تفتّح أزهار القدّاح للربيع، لذا فهي لم تسلك درب التضحية والجهاد تحت وطأة القهر أو الحرمان، فأيامها كانت هادئة وعيشتها مُنعّمة، بَيْد أنها لم تلتفت الىٰ ما هي عليه من رفاه وثراء، ولم تغرِها الدنيا وزخرفها الذي عزل الكثير من المترفين عن هموم المستضعفين وجراح المجاهدين.

مرّت السنون وميسون تكبر في ظل تلك الأجواء العائلية الهادئة، وتحت نير محنة تلك الحقبة العاصفة التي لفّت العراق وطوته طي السجلّ للكُتب.. لذا فهي قد نمت وتجذّرت علىٰ مياه المطر، ترعاها يد الغيب بعيداً عن جهود البشر.

في ذلك الزمن العصيب كان شبابها، وفي تلك السنين العجاف بدأت مشوارها.. فكانت (ميسون الأسدي).

---

١ - يغتنم المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق الفرصة لتقديم الشكر والتقدير للأخ الأُستاذ (جواد العطّار) الناطق الرسمي لمنظمة العمل الإسلامي لما بذله من جهود للوصول الىٰ أقارب وصديقات الشهيدة المقيمين في سوريا ولندن والتي تكللت بالحصول علىٰ معلومات مفيدة وعلىٰ صورةٍ للمظلومة الشهيدة.

ورغم جراح قلبها المُتعب بآهات المظلومين من أبناء شعبها ، تجاوزت ميسون امتحانات (البكالوريا) ودخلت كلية الآداب عام ١٩٨٣ م .. فهي منذ صباها تميل الىٰ الأدب العربي ..

وما أن باشرت الدراسة حتىٰ أعلنت عن أول معركة تحدٍّ ضد عُصابة (البعث) .. لقد رفضت الانتماء الىٰ ما يسمّىٰ بالاتحاد (الوطني) لطلبة العراق – ذلك القطيع المُساق أكثرهُ بالإكراه – أحد مؤسسات النظام المرتبطة بمديرية (الامن) العامة والتي من أولويات مهامّها رصد أنشطة وانتماءات طلبة الجامعات .

بل ان ميسون وبالرغم من الارهاب الذي انتشر في جميع جامعات ومعاهد العراق كالوباء الفتّاك ، لم تتهاون في حجابها المألوف في المدن المقدّسة (المانتو والعباءة) ، الذي استحال في تلك السنين المرعبة الىٰ شَبح واتهام يخشاه الناس ويترددون في التقرّب مِمّن يرتديه رُغم اجلالهم له !

❁ ❁ ❁

وكانت البداية .. فرُغم تشنّج الأجواء في الكلية وانتشار العيون البعثية ، صارت الطالبات يتجمّعن حولها تجمّع الفراشات حول أزهار الربيع ، يتعطّرن من نقاء كلماتها ويغترفن من عبير روحها ..

ولأن الطيور علىٰ أشكالها تقع ، امتزجت القلوب الطاهرة ببعضها ، فكانت (أنعام حميد) و (إيمان) من الأخوات الأقرب الىٰ قلب (ميسون غازي) .

انها فتاة عراقية عاشت جراح وطنها وآلام شعبها ، فانتمت الىٰ منظمة العمل ، تلك المدرسة الفكرية الاستشهادية في عراق سيد الشهداء التي أرّق فكرها النهضوي أزلام النظام[1] وأوجع جناحها العسكري[2] بعملياته الاستشهادية وضرباته النوعية دوائر أمن النظام .

---

١ – كعمليات (الجامعة المستنصرية والوزيرية ودار الحرية للطباعة ومقر الجيش الشعبي والأمن العامة والسفارة البريطانية) في بغداد ، وعملية السفارة العراقية في روما ..... الخ .

٢ – من أبرز مفكري منظمة العمل الإسلامي ؛ الشهيد السيد حسن الشيرازي – الذي اغتالته المخابرات العراقية في بيروت يوم ١٧/جمادي الآخرة/١٤٠٠هـ «حزيران / ١٩٨٠م» – والسيد محمد تقي المدرّسي والسيد هادي المدرّسي والاستاذ إبراهيم المطيري والسيد عباس المدرسي والاستاذ جواد العطار وغيرهم .

لذا حاولت (هي ومَن معها) بعطرها الفوّاح بثَّ الهمم في النفوس الهامدة وبعث الهموم في الأجساد الخامدة لـ (أولئك النفر الجامدين القاعدين بالرغم من كل المصائب المريرة التي حلّت بالأُمة)[1] .

كانت لقاءاتها بالطالبات مُبرمجة ، وكلماتها نابضة موحية بالمعاني العميقة ، سيّما وقد امتاز سلوكها بالمؤانسة والوداعة ، فيما صاحب ذلك توزيع الكتاب الإسلامي الهادي والشريط التسجيلي الهادف ..

فحركتها ولسانها الذي ينثر آيات الحق والحريّة في أزقّة الكاظمية وفي أروقة الكلية كانا يُدلّان علىٰ منهجية هذه الفتاة الواعية في عدائِها لهذهِ العُصابة التي ابتلىٰ بها عراق المستضعفين ، سيّما وأن المسافة الفاصلة بين كُلّية الطب وكلية الآداب أصبحت تذوب شيئاً فشيئاً ..

لذا امتلكت (ميسون) وفي فترة زمنيّة متواضعة ، وعياً سياسيّاً هاديا مُرتكزاً علىٰ فهم عقائديٍّ عُصامي .. بل وتأصّلَ في عقلها منهجاً جهاديّاً راسياً كرسوخ جبل النور وتجذّر في روحها نقاءاً كصفاء الأولياء ، حتىٰ صارت بعيدةً عن الدنيا قد طلّقتها ثلاثاً ، موغلةً في الهجرة صوب كربلاء ..

تُرىٰ ماذا حصل ؟! وما الذي فعله حُسام ؟! هل ذابت في مسالك العاشقين رُغم حداثة سنّها ، فنحن الىٰ اللحظة لمّا نَزَل نجهل جذور حبّها الكبير ! تُرىٰ من أين جاءت هذه الفتاة الصغيرة بهذهِ الروح الكبيرة ؟!

فهي والهة في ذاك الحبيب القائم والعشيق الدائم .. نزهتها المسائية شُبه اليومية (المألوفة) زيارة أبواب الحوائج عليهما السلام . لذا فحينما يفتقد البعض من المقرّبات (ميسون) لايتردّدن في الذهاب الىٰ حضرة الكاظمين ليجدنها هناك تنساب كضوء الفجر ، هادئةً مُطرقةً تمشي علىٰ استحياء ، أو جالسةً مُنكبّةً تقرأ في صمت الأنبياء ..

أما إذا أقبل شهر رمضان ، فإنك تجد هذه الفتاة الحورية كالعارف المستغرق في مسلكه وانقطاعه .. فهي بعد الافطار قد استقرّت في زاوية أحد الأروقة المجاورة

---

١ - في حديث للإمام الخميني قدس سره .

للضريح المبارك ، حيث يهرع المظلوم والمفجوع والعاشق الىٰ تلك القباب ليعبد الله ويتوب إليه .. يهرعون ليُهزموا ما في نفوسهم من دموعٍ وأحزان ، يُخضّبون أرواحهم بحنّاء المناجاة ..

وبعد السَحَر تنساب معاودة حتىٰ مطلع الفجر ، تغرق في سفينة النجوىٰ والدعوات .. إنها ميسون ؛ صفاء الأولياء ومنهج كربلاء .

من هنا كانت البداية .. التفكير في القربىٰ الىٰ الله عزّ وجل ، ليلة بعد ليلة ، صلاة بعد صلاة ، دمعة بعد دمعة .. أبصرت ميسون ، مشت ثم مشت حتىٰ آخر الطريق .. وفي آخر الطريق وصلت الىٰ مَن تريد .. الىٰ الله الحبيب الفريد ..

تمر الشهور وميسون ترتقي سُلّم المجد بخطىٰ ثابتة ويقين راسخ ، حتىٰ أضحت شمساً في سماء الكاظمية .. فاهتدت فتيات محلتها بها وهي أهل للأقتداء ، لان حبها لله وعشقها له ليس حباً صوفياً ذاتياً بل كان حباً ايجابياً معطاءً **﴿قل إن كُنتم تُحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾**[1] .

وإن كان هناك ما هو جدير بالأسف والعتب ، فهو ضياع تلك السنين القانية ما بين (١٩٨٢ م - ١٩٨٤ م) من سجلّها الجهادي الدامي ! وإن كان سجلّ الملكوت لايغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ..

لان هذا الصمت الطويل الذي غيّب جهاد وتضحيات زينبيات العراق لايقل بشاعة عن ذاك الحبل القاسي الذي غيّب آمال وطموحات نساء العراق ..

فنحن لم نعثر لها علىٰ صفحاتٍ لتلك المرحلة العصيبة من تاريخها الجهادي المتواصل .. نعم ، هذه ضريبة الحذر والكتمان ، سيّما وان أبطال خليّتها جميعهم قد استشهدوا أو تقاعدوا !!

الرفاعي .. قُم الصغرىٰ

يقع قضاء الرفاعي شمال محافظة الناصرية ، امتاز بارتباطه المبكّر بمرجعية الإمام السيد محسن الحكيم ﴿رحمه الله﴾ .. إرتبط فيما بعد بمرجعية السيد الصدر ﴿قدس سره﴾ حيث شهد

---

[1] سورة آل عمران : آية ٣١.

تأسيس الحسينيات، وكان السبّاق في وفود البيعة للمرجع الشهيد[1].

عُرف أهالي (الرفاعي) بعدائهم الدائم للنظام الجائر، وكان من أوائل المجاهدين الذين خرجوا علىٰ الحكم البعثي في بداية مجيئه هو (حَربي آل مزعل شيخ عشائر بني ركاب) الذي باكر في عدائه للعصابة الحاكمة وقال قوله المشهور «الآن حلَّ الظلام في العراق» لذا مات ودُفن في سوريا بعد أن رفض النظام الجائر السماح بنقل جثمانه ودفنه في العراق!

أنجبت (الرفاعي) الكثير من الشهداء والمفكرين والمجاهدين والشعراء المهاجرين اللذين مازالوا محل فخر واعتزاز أهالي الناصرية الكرام .. وكان فتىٰ الإسلام الشهيد حسام أحدهم .. ولكن مَن هو حُسام؟

مَن هو حُسام؟

إنه حُسام حميد حامد الصريفي، مواليد ١٩٦١م / الناصرية - الرفاعي. من عائلة متدينة واعية تتكون من ثلاثة أولاد وخمس بنات .. أكمل دراسته المتوسطة والاعدادية في ثانوية الرفاعي للبنين. كان حُسام متديناً منذُ طفولته، فهو يتردّد مع جدّه لابيه - المؤذّن الحاج حامد - علىٰ مسجد (الحاج مجيد)[2] القريب من بيتهم..

بقي الصبي يرتاد المسجد حتىٰ شبابه، حيث كان يواظب علىٰ الصلاة جماعة ضمن مجموعة من أصدقائه الشباب المتدينين أمثال الشهيد السعيد (نجيب عبدالحسن / مواليد ١٩٦٣م الرفاعي) والمجاهد (أ . خ / مواليد ١٩٦٢م الرفاعي) الذي حُكم بالسجن سبع سنوات، وقد تم اعتقالهم عام ١٩٨١م ضمن مجموعة

---

١ - أرسل المرجع الشهيد الصدر عدداً من الوكلاء الشباب لاقضية ونواحي الناصرية بعد أن لمس فيها الارتباط المرجعي والحس الجهادي، فأرسل مثلاً الشيخ عبدالحليم الزهيري وكيلاً عنه في قضاء الرفاعي. كما أرسل الشيخ محمد علي الجابري وكيلاً لناحية الفهود .. وهكذا.

الجدير ذكره أن ناحية الفهود قد خرجت بمظاهرة عارمة يقودها الشيخ الشهيد الجابري احتجاجاً علىٰ اعتقال المرجع السيد الصدر، وقد أُطلق علىٰ ناحية الفهود اسم (قُم الصُغرىٰ) تيمُّناً بنجاح الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني ورداً علىٰ الشيوعيين الذين أطلقوا اسم (موسكو الصغرىٰ) علىٰ ناحية الشطرة.

٢ - سُمي مسجد الحاج مجيد بهذا الاسم نسبةً لأحد أخيار المنطقة الصالحين، الذي أوقف المسجد وكان متوفياً.

مؤمنة لاذنب لها سوىٰ ارتياد المسجد للصلاة !

بدأ حُسام يرتاد مسجد الشط[١] سيما بعد أن أرسل المرجع السيد الصدر وكيلاً عنهُ ليؤُم الناس عند الصلاة .. ثم صار يحرص في التردّد علىٰ المسجد في الاجازات والعطل الصيفية فقط بسبب دراسته الجامعية في بغداد[٢] .

كان وسيم الطول جميل الملامح .. يسكن وجههُ العزمُ والشموخ ، امتاز بالدقّة والحَذَر والشجاعة .. ذا سلوك اسلامي أصيل وحركة هادفة موطّرة بالخُلق الرفيع.

يقول الخطيب الشيخ (أبو حيدر البغدادي)[٣] :

«كان الشهيد حسام شاباً مهذباً جميلاً ، غاية في الثقافية والخُلق الإسلامي الرفيع ، طغىٰ عليه طابع الهدوء والسكينة والمزاج الهادئ .. من عائلة عُرفت بالأصالة والتدين ، كان منذُ طفولته يرتاد مسجد الحاج مجيد ، ثم صار في شبابه يتردّد علىٰ مسجد الشط ضمن مجموعة من أصدقائه المجاهدين المقربين ..

لم ينتمِ لتنظيمات حزب الدعوة الإسلامية ، بيْدَ انهُ والى عام ١٩٧٩م كان يدور في فلك أجوائنا الحزبية .. ولأنهُ انتقل الىٰ العاصمة بغداد ليباشر دراسته الطبيّة الجامعية انقطعت أخبارهُ عنّا سوىٰ أيام العطل والمناسبات ، لذا فنحن نجهل أن يكون لهُ أيّ انتماء للحركة الإسلامية ، ولعلّه باشر في العمل التنظيمي والجهادي في صفوف منظمة العمل الإسلامية بحُكم علاقاته الإسلامية في الكليّة» .

حُسام ومنذُ صباه يتمنّىٰ أن يكون طبيباً ، فهو طالما مازح أُمه وقال لها أنّهُ سيجد ويسهر ليتمكّن من دخول كلية الطب ليعالج آلامها ويعتني بصحتها .. وتمر السنين ويحصل حُسام علىٰ المرتبة الأولىٰ في سُلّم درجات مدارس الناصرية في امتحان (البكلوريا) ، فيتم قبوله في كلية الطب – جامعة بغداد – ولأن حُسام كتوم جداً وحذر لم نعثر لهُ علىٰ مَن يوثّق حركته وانتماءه ونشاطه خلال سني الدراسة الست في بغداد[٤] !!

---

١ – سُمي المسجد باسم (مسجد الشط) لوقوعه علىٰ ضفاف نهر الرفاعي ، وكان إمام الجماعة وكيل المرجع السيد الصدر هو الشيخ عبدالحليم الزهيري .

٢ – باشر الشهيد حُسام دراسته في كلية الطب – جامعة بغداد – عام ١٩٧٩م .

٣ – الحاج حسين الرفاعي .

٤ – تم الاتصال بالمكتب الجهادي لمنظمة العمل الإسلامي الذي أكّد ارتباط البطل بالمنظمة بيْدَ أنهُ في الوقت نفسه يجهل أيّ شيء عن نشاطات هذا الشهيد المنسي وعن المجموعة التي استشهدت معه ، وذلك باعتبار ان أغلب لجان عمل الداخل التابعة

تمرّ السنين وينهي الدكتور حُسام دراسته بتفوق عالٍ ، فهو الآن في سنة التطبيق الأخيرة بمستشفىٰ مدينة الطب المجاورة للكلية .. كان في شوقٍ للتخرّج والحصول علىٰ شهادة البكلوريوس – طب عام – ليتسنّىٰ لهُ خدمة أبناء بلدته المحرومين المستضعفين ، بَيْدَ أن شوقه لخدمة أبناء شعبه وتُراب وطنه الذي كان هو الأقرب الىٰ قلبه يمكن اختصار طريق تحقيقه بازالة طاغوت العراق فوراً ، لذا فقد اشترك مع مجموعة من أبناء الإسلام البررة وبالتنسيق مع جهة إسلامية أُخرىٰ ، في التخطيط لاغتيال رأس النظام ، وقد تبرعت الطالبة الجامعية ميسون غازي بدورٍ أساسيٍّ في التنفيذ .

يقول أحد المصادر الثقاة :

وبينما كان حُسام في الأسبوع ما قبل الاعتقال مشغولاً بالاطّلاع والدراسة لبعض الخرائط الغربية – باعتباره رأس الهرم في مجموعة التخطيط – كُنت متألماً لوجبات الأعدام المتلاحقة في بغداد ، بالاضافة لآلاف القتلىٰ في جبهات الحرب .. ردّ عليّ بهدوءٍ واتزان وباللغة الدارجة :

- إن شاء الله لم يبق لإنتهاء هذه المأساة إلّا شعرة واحدة .

قلت وببعض اللامبالاة :

- لن تنتهي المأساة إلّا براس الطاغية صدام .

فاجابني بابتسامة شفّافة :

- نعم ياصديقي .. إلّا براس الطاغية صدام[1] .

لم يبق علىٰ موعد التنفيذ سوىٰ أيام ، بَيْدَ أن الاختراق – ذلك الوجع المألوف – قد هدّم كُل ما بنته المجموعة ! حيث تسرّب سر ساعة التنفيذ للذليل

للمنظمة في بغداد وعددٍ من المحافظات قد تعرّضت في تلك السنين العجاف للاستئصال التام بل وتم الانقطاع التام وعدم الوصال بين القيادة المركزية في الخارج وبين مَن غَفل عنهُ السيف وبقي حيّاً ، وهذا ما حصل بالضبط مع بقية أطياف الحركة الإسلامية بما فيها حزب الدعوة الإسلامية . إن ظاهرة عدم إعادة الاتصال بالعاملين والدُعاة جعلت الكثير منهم يُصاب بالاحباط والحنق النفسي وبالتالي الأنزواء جرّاء سياسة الاهمال والتقصير التي اعتمدتها قيادات الحركة الإسلامية بالخارج بسبب الاعتماد الكلّي علىٰ ورقة الحرب ، والتي اعترفت بها بعد أن أحالت أسبابها الىٰ القصور نتيجةً للظروف الاستثنائية الخطيرة التي مرّت بها الحركة .

١ – لعلّ هذه العملية كانت الأخيرة – وهي الأخطر – للخلية قبل اعتقالها ، بَيْدَ أنها قطعاً لم تكن الأولىٰ ، إذ نجحت في تنفيذ عملية تفجير الـ(...) والتي كان دور البطلة فيها حمل المتفجرات الىٰ موقع الهدف ، والتي عبّرت عنها الشهيدة ميسون في سجن (الرشاد) بأنها عملية الغرض منها زعزعة النظام وإضعافه .. بل ونجحت الخلية في إرسال المخططات العسكرية لمواقع القطعات المعتدية الىٰ القوات الإسلامية .

المرتزق (رفيق كتاب علوان) وبإفشاءٍ من الشهيد المهندس (السيد أحمد عباس وتوت) فتم اعتقال جميع أفراد الخلية ، حيث اعتقلوا الدكتور حسام وهو في احدىٰ ردهات مستشفىٰ مدينة الطب .. تعرّض البطل لجولات من التعذيب طاحنة مريعة .. كان في شموخه وخطورة مسؤوليته في الخليّة ما يكفي للانتقام منهُ بوحشية رهيبة ، لذا حكموا عليه بالاعدام شنقاً[١] حسب المادة (١٥٦ – أ)[٢] .. وقبل تنفيذ حكمهم الجائر صلّىٰ الشهيد ركعتين[٣] ثم تقدّم لحبل المشنقة بثبات وتحدٍّ كبيرين ، ارتحل حُسام واستلمت والدته الصابرة المُحتسبة[٤] الجثمان الطاهر لدفنه في ثرىٰ وادي السلام بعد تعهُدٍ وشروطٍ قاسية تضمن عدم إقامة التعازي أو استقبال المُعزّين .

يقول أحد المصادر المقرّبة[٥] :

«أقيمت الفاتحة على روح الشهيد الدكتور حُسام رغم امر المنع المشدد ، استقبل اهله التعازي من جميع العشائر التي جاءت مفجوعة بنبأ اعدام ابن (الرفاعي) البار الذي كان أملاً للجميع .. لذا جلب النظام قوات من الشرطة والأمن ظناً منه انه قد حدثت مظاهرة ! وزغم ذلك عجزوا عن منع الرجال من المشاركة في المصاب وتقديم التعازي ..

مازلت اذكر كيف كان احد أخوة الشهيد وهو يحاول – متوسلاً – منع مجاميع كبيرة من الفتيات والنساء من المجيء يومياً لتقديم التعازي لوالدة الشهيد واخواته ، خوفاً من عيون المرتزقة ورجال الأمن ، ولكن دون جدوىٰ .. كان الجميع مفجوعاً ومثكولاً ، لذا استمرت الفاتحة سبعة ايام تحدياً لأوامر النظام المجرم ووفاءً لابنهم الشاب المجاهد الدكتور حُسام» .

---

١ – تواترت المصادر على ان اعدام حُسام شنقاً كان مصحوباً بزرقه بأبر زنبقية .. وليس لدينا أيّة معلومات عن هذه الأبر الزنبقية .
٢ – مادة الاعدام (١٥٦ – أ) الخاصة بالدُعاة تشمل جميع أطياف الحركة الإسلامية في العراق .
٣ – «إنّ ركعتين يُصلّيهما العبدُ لربّه ، لابُدّ أن يكون وضوؤهُما من دم» الحلاّج .
٤ – كان والد حُسام أسيراً في إيران ضمن آلاف الأسرى في عمليات تحرير خُرمشهر الظافرة في ١٩٨٢/٤/٣٠م .. فالأب مستضعف مغلوب على أمره .. لان من يُخالف أوامر الالتحاق بالجبهات يكون مصيره الأعدام بعد أن يوصَم بكلمة (جبان) على جبينه وفي منطقة شكتاه .. لذا فعندما رجع الأب من الأسر بسبب معارك القادسية وجد ابنه قد أعدِم بأمرٍ من بطل البوابة الشرقية .
٥ – المصدر كان حينذاك يسكن قضاء الرفاعي بجوار بيت الشهيد حُسام ، وقد تم الاتصال به هاتفياً في مهجره بلندن يوم ٢٠٠٢/٩/٧م .

وهل الدين إلّا الحُب ؟[1]

تمر الأيام والشهور ، والخلية في أوج نشاطها وأعلىٰ حَذرها .. وكان د . حسام شديد الحرص علىٰ ميسون وانعام وإيمان ، سيّما بعد أن وجد في ميسون الفتاة المناسبة لتقاسمه همومه واحلامه وأمانيه .

وفي ذات صباح جلستا (انعام وميسون) في أحد أركان حديقة القسم بالكلية .. كانت (أنعام) منشغلة في حديثٍ خاص ، فهي تهمس لميسون بما يرغب به أخوها ، حيث طلب معرفة رأيها قبل أن يتقدم لخطبتها من أهلها .. بينما كانت ميسون مطرقة هادئة والبسمة تعلو مُحيّاها .. نعم إنها موافقة ، شريطة أن يؤجل الزواج الىٰ ما بعد التخرّج ..

لقد جمعت د . حسام وميسون وحدة الهدف والمنهج ، إنصهرا ببعضهما بكلّ وعيٍ وخُلقٍ رفيع .. كتما حبهما الطاهر حتىٰ عن بعضهما حياءً وعفّةً رُغم ما كانت تبوح به العيون من حكايا وحكايا[2] ..

جمعهم الحب الحقيقي الذي أطّرتهُ القيم والاخلاق الإسلامية الجميلة والذي سمىٰ بهما الىٰ السماء ، لا ذاك الذي تحيطه الشهوات القاصرة والرغبات المشوّهة التي تهبط بالإنسان الىٰ حضيض الحيوانية ..

فالمؤمن يُحب أهل طاعة الله ويعادي أهل معصيته **﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ..﴾**[3] .

إنهُ الحب الكبير ، تلك النعمة الإلهية المتواشجة مع الفطرة وقيم الدين وأخلاق المؤمنين والتي تسمو بصاحبها الىٰ معنىٰ العبادة الحقّة لله لتنسجم مع الحب الأكبر والعشق الأعظم للمعشوق الأوحد .

لاتخفِ ما فَعَلت بكَ الأشواق   واشرح هواك فكُلّنا عُشاق

---

١ – في حديثٍ للإمام الصادق عليه السلام (وهل الدين إلّا الحب) .. البحار : ج ٢٧ ، ص ٩٤ .

٢ – (من عشق فكتم وعفّ وصبر فمات مات شهيد ودخل الجنة) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج ٢٠ / ٢٣٣ .

٣ – سورة المجادلة : آية ٢٢ .

حاول د . حسام ان يطلب يد ميسون من أبيها ، بَيْد أنه وقبل تحديد موعد الزيارة والتعارف لم يلمس من أهلها قبولاً رغم ما وجدوه فيه من سمات التدين والسجايا الكريمة والنوايا الطيبة ، بل ورُغم اعجابهم بأخلاقه ورفيع تربيته ..

إعتذروا وتشبّثوا بأسباب شتّىٰ ، بأعتبار أن د . حسام لم يزل في بداية مشواره العملي وان ميسون مازالت طالبة لم تتخرّج بعد ..

غير ان السبب الحقيقي في رفضهم إيّاه يتمثّل في خوفهم علىٰ مصير ابنتهم ، سيّما وانهم قد أدركوا جيداً أن هذا التحوّل الصارخ الذي طرأ علىٰ حركة ونشاط ميسون هو جرّاء تأثير د . حسام ..

قرر (حسام وميسون) الصبر علىٰ موقف الأهل وتكرار المحاولة لاقناعهم ، خصوصاً بعد أن تيقنوا بضرورة ارتباطهما وبعجزهم عن امكانية ابتعادهما عن بعضهما ، حيث جعل منهم همّ الدين والوطن روحاً واحدة وعقلاً واحداً. فهاموا ببعضهما صبابةً وولهاً .. ولِمَ لا ، وشبيهُ الشيء منجذبٌ إليه .

ذات يوم وبينما كانت ميسون في غرفتها تذاكر دروسها ، دخل عليها والدها .. حاول تطييب خاطر ابنته وحبيبته ، فلعلّهُ في حبهِ لها وحرصهِ عليها قد سبّب لها الكَدر والحزن في رفضه لحسام ..

– إبنتي ميسون ..

– نعم بابا

– أنا وأمكِ رفضنا هذه الخطوبة ، لأننا نرىٰ أن هذا الشاب لايضمن لكِ السعادة التي نرجوها ، رُغم كل مافيه من أدبٍ وعلمٍ ودين .

– صمت مطبق وحياءٌ مطلق أحاطها وطَواها طيّاً .

ويتابع الأب حديثهُ الهادىء بصعوبة بالغة ..

– نحن لانشك أبداً في صواب اختياركِ يابنتي ، لكن هذا الشاب متدين كثيراً ويبدو عليه انهُ سياسي ، وصدّام لا يرحم مَن يعارضه فكيف بمَن يحاربه !

بل أنا وأُمكِ وكل أخوتكِ قلقون عليكِ ، وكأننا نراكِ تمشين الىٰ الموت بقدميكِ .. نحن لاحظنا كل الذي طرأ علىٰ حركتكِ ونشاطكِ ، لذا نحن بصراحة

خائفون عليك كثيراً . وها أنا أرجوكِ ياحبيبتي وأطلب منك أن تتفرّغي لدروسكِ وتنسي هذا الشاب (حسام) .. ولكِ أن تطلبي ما تشائين ، سأشتري لكِ سيارة فارهه ، بل أنا مستعد أن أرسلكِ لأي دولةٍ ترغبين الدراسة فيها .. سأحقّق كل ما تريدين ، تمتّعي بشبابكِ وربيع حياتك كأخواتكِ .. اتركي فقط هذا الطريق الذي أنتِ سائرة فيه ، لانهُ لايعود عليكِ إلّا بالموت والدمار وعلينا بالحزن الأبدي .

أطرقت ميسون الىٰ الأرض بعد أن انبجست عيناها بقطراتٍ من الدمعِ ساخنه .. فاضطرَّ أبوها الىٰ قطع الحديث ثم الانسحاب من غرفتها بصدرٍ مُترَع بالهم والأسىٰ .

الحُب .. جمال الحياة

بعد أسابيع ، وبينما كانت ميسون في بيت خالتها التي جلست معها قرب موقدٍ يصارع برد أمسيةٍ شتائية ممطرة .. دار بينهما الحوار التالي :

– ميسون ياابنتي .. لعلَّ رأي والدكِ هو الأصوب ، فهو يخاف عليكِ مثلما يخاف علىٰ حسام ..

– ولِمَ هذا الخوف ياخالة !

– تتدخلان في السياسة .. نحن نرىٰ ما أنت فيه من لقاءات وعلاقات مع بنات محلّتك ونسمع عن نشاطكِ في الكلية ..

– خالتي العزيزة ، لايعلم الغيب إلّا الله ، وأنا وحسام لم نفعل سوىٰ ما يرتضيه ديننا ..

– بنيتي ، اهتمي بدراستك وتناسي هذا الولد ، فأنتِ في مرحلة الشباب التي سرعان ما تتغير فيها الكثير من أحلامك وعلاقاتكِ ، بل وستنسين هذا الشاب الذي ترينه الآن مناسباً لك !!

إبتسمت ميسون بحياءٍ وقالت :

– الحب الحقيقي ياخالتي كالشجرة المثمرة ، جذورها متأصّلة في قلوب

المحبين وأغصانها تسبح في كون رب العالمين .. الحب هو الوسيلة التي تُقرّبنا الىٰ الغاية العظمىٰ ، تُقربنا الىٰ معرفة الخالق جلَّ وعلا والذوبان في عشقه ..

الحب الذي يجمعني بحسام ياخالتي الطيبة هو هذا المُنسجم مع مرضاة الله لاذاك السراب الذي يحسبُه الضمآن ماءً .. لان الحب الذي يخرج عن قانون السماء ليس بحبٍّ أبداً .. صدّقيني ياخالتي . الحب نعمة إلهيّة لأنه يسبح في ملكوت السماء لاتلك العلاقة الأنانية التي تتمرّغ في أوحال الشهوات .

كانت الكلمات تنساب من شفاه ميسون لحناً روحياً يتناغم مع نشيد الكون .. وبينما هي مستغرقة في الحديث كانت خالتها تنصت بشغفٍ وإعجاب :

- أُنظري ياخالة .. كم هي الأُسر التي تنهار يومياً ؟! والسبب هو فقدان الضمانة التي تُبقي السعادة مورقة مُخضرّة بالثمار ، لان تلك البيوت والقلوب قد شُيّدَت علىٰ أساسٍ من الشهوة والرغبة .. لا علىٰ أساسٍ من الحُب الذي يُجمّل الحياة ويبنيها .

تنهّدت خالتها وتمتمت بكلماتٍ تُشيد برجاحة عقل ميسون وحقها في الحياة التي تريد .

أرض عطشىٰ .. وطاعون !

بعد أيام جاءت الخالة الطيبة لزيارة أهل ميسون لاقناع والديها بالموافقة علىٰ خطبتها :

عيني أبو ميسون .. أُختي أم ميسون ، ميسون ابنتي[1] مثلما هي ابنتكم .. إلبنيّة عاقلة ومتدينة وتعرف مصلحتها، والولد يشبهها كثيراً .. ثم لاداعي لهذا التشاؤم ، فالأعمار بيد الله ، صدّقوني بعد الزواج «حيتغيرون وحينشغلون»[2] بالأطفال وبالمسؤوليات الكثار ..

وهكذا دخلت خالة ميسون مع والديها في حوارٍ طويل ثم في حديثٍ هادىءٍ ،

---

١ - عاشت ميسون سنيناً طويلة في بيت خالتها .. فهي أمها الثانية التي شاركت في تربيتها بعد أن حُرمت من نعمة الأبناء .

٢ - اللهجة الدارجة عند أهالي مدينة الكاظمية الكرام .

ليتفق الجميع علىٰ الخطوبة والعقد فقط فيما يؤجّل الزواج الىٰ حين التخرّج .

نعم ، وافق الوالدان بعدما حاولا أن يُثنياها ، لاعن حسام بل عن عزمها الراسخ في السير في هذا الطريق الذي اختاره حسام !

لقد استخدما شتّىٰ أساليب الاغراء معها ، فوالدها يُدرك أن ابنته تمشي في طريق الموت .. جميع أخواتها يعيشون حياتهم في دعة ، فهم متدينون ومسالمون ولايتقربون الىٰ مايؤرّق الاب ، إلّا ميسون .. فهي رُغم تربيتها العالية واحترامها الكبير لوالديها لم تتنازل عن نهجها المقدّس وعدالة قضيتها ، سيّما وقد لمست مظلومية شعبها وأدركت مسؤوليتها الشرعية تجاه عراقها .

لذا اضطرّ الاب للرضوخ للأمر الواقع والموافقة علىٰ استقبال الدكتور حسام لتحديد موعدٍ لاعلان الخطبة . خصوصاً وانهُ يمتلك من الصفات والسمات مايرتضيها الناس الخيّرون ، ثم هو مطمئن لأختيار ابنته لزوجها وشريك مستقبلها نظراً لما تتمتّع به كريمته من رجاحة عقل ودقّة اختيار ، فهي ابنته ويعرفها جيداً .

مهر الحرية

وقعت البشارة علىٰ قلب وروح د . حسام - عن طريق أُخته - وقع المطر علىٰ الأرض العطشىٰ ..

وبعد أيام تمّ ترتيب لقاء بين (حسام وميسون) والذي طلب فيه منها إخبار الاب بزيارته التمهيدية نهاية الاسبوع الحالي ، لكن ميسون رفضت هذه العُجالة بحياءٍ ودلال :

- اعذرني ياحُسام .. المألوف أن لكل فتاة مهر تطلبهُ !

- أُطلبي ماشئتِ ياقُرّة العين ، فأنالكِ أذن صاغية ..

- أشكرك ، وأنا متأكدة من شعورك هذا .. لذا أطلب مهراً غير الذي تبتغيه أغلب الفتيات ..

- اعذريني ياميسون ، هلّا وضّحتِ لي أكثر ..

- مهري ياعزيزي هو إتمام العملية الـ (...) بنجاح تام[1] .. فأنا وأنتَ وبقية الأخوة نعرف جيداً خطورة هذه العملية بالذات ، لذا فأنا أُفضّل تأجيل الخطبة الىٰ مابعد إتمام التنفيذ .. حينذاك فقط ستكون قد وفيت بعهدك وأعطيتني المهر الذي استحقه .

هكذا كانا (حسام وميسون) يعيشان تلك الآمال الشرعية والطموحات الرسالية لتكون عشاً إسلامياً لقلبيهما .. غير أن أُمنياتهما لم تدم طويلاً ، حيث أصاب الطاعون قُربة أحلامهم واندكَّ كُلّ شيء .. لقد اخترق سهم القدر القلبين الطاهرين لتستحيل ميسون الىٰ قصة حب فريدة في نهايات القرن العشرين .

الإختراق .. قصة سوء لا تنتهي !

نعم أيها القارىء الكريم

لقد حالت الخيانة بينهم وبين الأمنيات .. إنهُ الإختراق المألوف المشؤوم ، إنها الوجوه المعهودة الملغومة ذاتها ! هو ذاك غدر قابيل ، وجُرح هابيل الذي لم يزل ينزفُ منذُ آلاف السنين ..

سهم غادر انبعث من قلب الظلام ليصيب احدىٰ الخلايا الجهادية الصغيرة لمنظمة العمل الإسلامي ليحيلها الىٰ أضاحي وجثث هامدة !

مجموعة ضمّت نخبة من الكفاءات الجهادية والأختصاصات العلمية ، وهاهي تندثر بلدغة غدرٍ من ذلك العقرب الاسود المسموم المدعو (رفيق كتاب علوان)[2] ..

ولكن مَن هو رفيق كتاب علوان ؟!

هو مؤمن قديم ومجاهد قدير ، يسكن محافظة الحلّة ، حي (مصطفىٰ راغب) ، من مواليد (١٩٦٠ م) أكمل دراسته المعهدية عام ١٩٨١م .. إعتقِل عام (١٩٨٢م) بتهمة نشاطه الديني والسياسي المعادي للنظام الحاكم وعصاباته ..

---

[1] - كان مهر ميسون كبيراً ، لأنهُ مهر جميع زينبيات العراق .. فالغاية من العملية تنفيذ ما تم التخطيط لهُ - بالتنسيق مع جهة إسلامية أخرى - متمثلاً باغتيال رأس النظام .

[2] - «لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن» الإمام علي عليه السلام «مَن لا يحضره الفقيه ، ج ٣ : ٣٠٥».

أُطلِق سراحه بعد أن وقّع عقداً باطلاً مع الشيطان يعمل بموجبه وكيلاً للفرعون ..

فتمكّن بعلاقاته الإسلامية المتشعبة وبثقافته الجهادية الهادفة من كسب ود وثقة أولئك الذين لم يستعينوا علىٰ قضاء حوائجهم بالكتمان ، والذين باتوا فيما بعد ضحايا الغدر اللئيم ، وكان أحدهم المهندس (السيد أحمد عباس وتوت) أحد أبطال المجموعة في التخطيط والتنفيذ للعديد من النشاطات العسكرية والعمليات النوعية الناجحة ..

إنها اللُعبة القديمة الجديدة ، تلك القصّة السيئة التي لا تنتهي !! لقد تم اختراق المجموعة وكشف أسرارها .. حيث انضمّ ذلك الخائن الماكر الىٰ الخليّة بدعم وتزكية السيد (وتوت) الذي كشف عن أسرار العملية الجهادية الناجحة الأخيرة (مهر ميسون) لهذا الغادر الذليل .. لذا تم اعتقال جميع عناصر الخلية بتهمة واحدة وفي يوم واحد وهم :

١ - المهندس السيد (أحمد عباس وتوت)[١] : خريج هندسة معمارية - جامعة بغداد - ومهندس التخطيط والتنفيذ .. يسكن الحِلة .

٢ - الدكتور حسام حميد : مسؤول الخلية النسوية ، والرابط مع السيد (وتوت) .. جامعة بغداد، كلية الطب ، يسكن محافظة الناصرية (حي الرفاعي) .

٣ - المهندس محمد الملّي مواليد ١٩٦١م الحلّة ، خرّيج الجامعة التكنلوجية ، صديق مقرّب للسيد وتوت .

٤ - ميسون غازي الأسدي : جامعة بغداد - كلية الآداب ، قسم اللغة العربية (المرحلة الثانية) .. تسكن بغداد ، مدينة الكاظمية (علي الصالح) .

٥ - السيد حسين هاشم مطلوب : طالب مرحلة أخيرة في كلية الهندسة - الجامعة التكنلوجية .. من مواليد ١٩٦١م / الحلّة ، صديق مقرّب للسيد وتوت .

٦ - أنعام حميد : جامعة بغداد - كلية الآداب ، قسم اللغة العربية (المرحلة

---

١ - إعتقل السيد وتوت من منزله من قبل أزلام مديرية (أمن) الحلّة .. قيّد بدبه المجرم رئيس العُرفاء (عُدي علي الچتان) بالجامعة الحديدية وتمّ نقله مباشرةً الىٰ مديرية (الأمن) العامة ببغداد .

الثانية) .. تسكن الناصرية (حي الرفاعي) .

٧ - إيمان : جامعة بغداد - كلية الآداب ، قسم اللغة العربية .. تسكن محافظة الديوانية ، خالها المهندس العسكري قائد العملية ورأس الهرم الرابط مع القوات الإسلامية .

٨ - بعض المهندسين العسكريين - من أهالي البصرة - الذين عملوا مع المجموعة من خلال الرابط المهندس السيد وتوت .

الشهيد وتوت والرفيق الخائن .. الجذور

الشهيد المهندس السيد أحمد عباس وتوت - ألبو منصور[1] - من عائلة عُرفت بالدين والنبل . وأشتهرت بالجهاد والعداء لطاغية بغداد ، من مواليد ١٩٦١م (الحلّة) .. متدين منذ طفولته ، عُرف بأخلاقه العالية وبخدماته للناس ، مهندس معماري - جامعة بغداد - لهُ تسعة أخوة وأربع أخوات ، تسلسلهُ هو الأصغر في العائلة ، امتاز بالذكاء الحاد والحذر الشديد ، إنتمىٰ في بداية شبابه لتنظيمات حزب الدعوة الإسلامية[2] ، متزوج ولديه طفل لم يبلغ عند اعتقاله الاربعين يوماً ..

حرص السيد أحمد علىٰ إقامة علاقات إسلامية مُتشعّبة لاحتواء الكفاءات المتدينة واستثمارها لما فيه مصلحة الإسلام وعراق المقدسات ، حمل محنة شعبه وتراب وطنه ناراً تستعر وجهاداً يستمر .. تعرّف علىٰ المجاهد (رفيق كتاب علوان) بحكم التقارب في السكن والتشابه في الغايات ، سيّما بعد اعتقال الأخير عام ١٩٨٢م حيث أصبحا (السيد أحمد ورفيق) أخوين يجمعهم الإسلام والهدف الواحد .

يقول المجاهد السجين (السيد لطيف عبدالله حسن وتوت)[3] :

1- السادة آل وتوت ينتسبون الىٰ حسين بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام وينقسمون الىٰ سادة ألبومنصور وسادة ألبوجواد .

2- يقول السيد زيد عبدالأمير وتوت (ابن عم الشهيد السيد أحمد وأخ زوجته وأخ الداعية الشهيد السيد مُصدّق) : الشهيد السيد أحمد عباس وتوت كان قد انتمىٰ في بداية حياته السياسية لتنظيمات حزب الدعوة الإسلامية بالحلّة .

3- السيد لطيف وتوت : هو ابن عم الشهيد السيد أحمد وتوت وأخ لكل من الشهيدين (جعفر وبهاء) اللذان أُعدما عام ١٩٨١م لانتمائهما لخط المرجعية الرشيدة المتمثلة بالمرجع الشهيد الصدر ولتأييدهما لثورة الإمام الخميني الإسلامية .. إعتُقل عام

درفيق كتاب علوان شاب متدين مجاهد ، عمل في بداية شبابه بمكوى بخارياً في حي الماشطة كان يمتلكه ، والكائن بجوار جمعية المعلمين التي يسكن فيها المهندس السيد احمد عباس وتوت ، فشكّل هذا التقارب بداية لعلاقة إسلامية سياسية ..

تخرج رفيق من معهد التكنلوجيا وقضىٰ فترة الخدمة العسكرية المكلّفة في دائرة تجنيد الحلة ، فقدّم المساعدة لكثير من ابناء المنطقة المستضعفين وكنتُ أحدهم ، حيث رتّب تأجيل التحاقي بالجيش عدّة مرّات سيّما بعد ان عرف صلة الرحم التي تربطني بصديقه المُقرّب المهندس السيد أحمد وتوت ، وقد حاول إقناعي بعدم الألتحاق بالجيش لأن في ذلك - علىٰ حدّ قوله - خدمة للطاغوت حيث كانت الحرب يستعر إوارها ، وتعهد بتوفير محل سكن للأختفاء ، لكني رفضت ..

اللقاء الآخر الذي جمعني بالمجاهد رفيق كان عام ١٩٨٢م في زنازين مديرية (الأمن) العامة ، حيث تم اعتقاله كمجاهد إسلامي .. اسرّني ذات يومٍ من ايام التوقيف باني سيُطلق سراحي بعد يومين ، واوصاني ان أطمئن أهله لانه سيخرج بعد اسبوع !! وتم ذلك فعلاً ، لكنني لم ولن اشك للحظة باخلاصه ونزاهة دينه سيّما ان ابن عمّي المهندس السيد أحمد - المعروف بالدقة والخبرة والحذر - قد وفّر له التزكية المطلقة فضلاً عمّا حظي به من احترام وثقة جميع سجناء (الحلّة) المؤمنين.

حوريّة في طوامير البعث

نعم ، تم اعتقال (ميسون) من قبل وحوش مديرية (الأمن) .. حوريّة كبّلتها أكُف تماسيح ، أخذوها من قاعة الدرس أثناء الاستماع للمحاضرة[1] ، سحبوها من شعرها الفارع كالسمكة .. نقلوها الىٰ الأمن العامة الشعبة الخامسة ليمارسوا معها أبشع أنواع الحقد والانتقام ، حيث تم تعليقها في سقف الغرفة من شعرها الأشقر وضربوها بالعصي حتىٰ تورّمت قدماها وعجزت عن المشي أو الوقوف.

١٩٨٢م لنشاطه الإسلامي ، وبعد ستة أشهر من التعذيب والتوقيف في مديرية (الأمن) العامة أطلق سراحه ليباشر من جديد جهاده في درب الإسلام اللاحب ، فاعتُقل عام ١٩٨٥م ، وبعد تعذيب مُريع حكمت عليه محكمة (الثورة) العسكرية بالسجن المؤبد حسب المادة (٢٥٧) .. أُطلق سراحه بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م ، فهاجر - فيما بعد - بعد أن ضاق به رحاب الوطن.

١ - اعتقلوا مع الطالبة ميسون كلّاً من إيمان وأنعام حميد.

فتنازعت أحشاءَها حِرق الجَوىٰ وتجاذبت أيدي العدوُّ رداءَها

لقد جعلوا بجولاتهم المغولية وأساليبهم البربرية من جسد الحورية الطاهر جراحاً تنزف دماً زينبياً ثائراً فـ(الدماء النازفة من جُرحِ حمامةٍ مسكينةٍ هي نفسُ الدماء المتدفقة من جِراح الانبياء)[١] .

بَيْد أن تعذيبهم ووحشيتهم لم يزد (ميسون) إلّا صبابةً وولها نحو الشهادة ، كأنها حبيبٌ هام عشقاً وذاب شوقاً لوصال المحبوب ***(فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي، صبرتُ علىٰ عذابكَ فكيف أصبرُ علىٰ فراقك)***[٢] .

كانت وجوه الأخوات مُخضّلة بالدموع والحرقة سوىٰ ميسون ، فقد صممت علىٰ ألّا تبكي واحتسبت ، رُغم سحابة الحزن التي لاحَت في عينيها بسبب ذلك المُندس النذل ..

ليت شعري ، زينبيات طوعَ بنان المجاهدين ، سرعان ما يوأدنَ بأشفار غدر تلك الاسباب المتكرِّرة .

وهكذا وجدت (قمر الكاظمية) نفسها في مهب الأعصار ، حمامة بيضاء حطّت رحالها - قسراً - في مطامير الشعبة الخامسة ، بعد أن انتزعوها من عشها الشامخ هناك حيث المنارات العالية والقباب الذهبية .. ربّاه أي ظُلم أوصل كل هذه الرقّة والبراءة وهذا الجمال والطُهر بين يدي مجرمين أجلافٍ غِلاظٍ ؟!

فلا مثل عزٍّ كان في الصبح عِزُّها ولا مثل حالٍ كان في العصرِ حالها

لقد عذّبوها بوحشيةٍ وقسوةٍ تتناسب مع حجم الدور البطولي الذي رُشّحت له ونفّذته بنجاح تام .. مزّقوا جسدها بسياطهم وعصيهم ، لكنَّ الله حماها من ذئاب الخسّة والنذالة ، فلم يمارسوا معها أساليبهم القذرة التي استُخدِمَت مع بعض الأخوات كـ(فاطمة ورجيحة وابتهاج وشكرية) لا رأفة بها ، بل لان الاختراق كان عميقاً والأسرار مكشوفةً والاعترافات صريحةً ، ثم ان الخلية كانت صغيرة محدودة وغير متفرعة ، وهاهم قد استأصلوها بالكامل . لكن أشد ما كان يؤلم بطلتنا

---

١ - مثل قديم .

٢ - من دُعاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، والمعروف بـ(دُعاء كميل) .

(ميسون) هو ذلك التحقيق الذي أجراه مدير الشعبة معها وهي متدلّية بجسدها ، مُعلّقة من شعرها ..

الجلّاد (رائد عامر) :

– غبيّة ! اخترتِ هذا الطريق ولكِ من الجمال والثراء ما يغنيكِ عن هذه النهاية ؟!

– الحمد لله الذي هدانا لهذا الطريق .. إنهُ طريق الانبياء .

– وهل الأنبياء يأمرون بخيانة الوطن وطاعة الفُرس ؟!

– نحن نفتدي الوطن بأرواحنا ، ولن نطيع سوىٰ الله .

– بكلامك هذا تضحكين عليَّ أم علىٰ نفسكِ ؟!

صمت .

– علىٰ كلٍّ .. لقد خدعوكِ وغرَّروا بكِ ، وحرموكِ من دنيا جميلة ومستقبل أجمل .. فأنتِ تملكين مايتسابق أفضل وأثرىٰ الرجال علىٰ باب داركِ للزواج منكِ .

إعتصمت ميسون بالصمت .. كيف يفهم هذا الوغد أنها بعيدة عن تلك الاحلام التافهة التي تملأ عليهم كل حياتهم واهتماماتهم. ان حُبها لله والوطن أجل وأعظم من دُنيا زائلة مهما كان بريقها ..

إعترفت ميسون مثلما اعترف جميع أفراد المجموعة .. كيف لا والشاهد أحدهم !!

بَيْد أن (ميسون) وبكل ما لاقت من تعذيبٍ وترهيب ، لم تقُل ما يُنقص من قدرها ، وهذا بحد ذاته موقف عز ومشهد إباء وعنوان خط ..

وهكذا تعرّضت فراشات كلية الآداب – كما تعرّض بقية عناصر الخلية – الىٰ جولاتٍ من التعذيب بربرية .. ونحن لانريد إطالة الحديث عن وسائلهم الوحشية وأدواتهم الجهنّمية في تعذيب الضحايا . فالقلم يعفّ عن تكرارها رُغم أهميتها ، كونها حقائق ووثائق ، سيّما وأن هؤلاء الخنازير لايرعوون عن تمزيق حتىٰ الأطفال الرُضّع لانتزاع الاعترافات من آبائهم .

يقول السجين المجاهد السيد لطيف وتوت :

«في اعتقالي الثاني عام ١٩٨٥م تم التحقيق معي وتعذيبي في إحدى غرف الشعبة الخامسة في مديرية (الأمن) العامة ببغداد .. كان الضابط (الجلاد) يهددني بالقتل ويقول : ان لم تعترف سالحقك

بابن عمك أحمد عباس وتوت ، الذي وصفه بالمجرم الذي أعدم لانتمائه لحزب الدعوة[1] العميل - على حد قوله .

وقد نقل لي بعض الأخوة السجناء المرتبطين بقضية الشهيد السيد أحمد وتوت - الذين التقينهم في موقف المديرية - أن قضية ابن عمي الشهيد والخلية التي استُشهدت معه تتعلّق في جزء منها برسم خرائط عسكرية لتحركات قطعات الفيلق الثالث وإرسالها الى القوات الإسلامية».

ويُضيف السيد زيد عبدالأمير وتوت[2] رواية غاية في الغرابة والاسف ، حيث قال :

«أكد الأخوة السجناء لابن عمي السجين السيد لطيف وتوت أن الاختراق الذي نجح به الخائن رفيق كتاب علوان[3] الذي أدى الى استئصال المجموعة بأكملها ، لم يكن الاختراق الوحيد فحسب ، بل ان مسؤول الشهيد السيد أحمد في الخلية كان في حقيقته ضابط برتبة (ملازم اول) في مديرية (الأمن) العامة .. فبعد أن تم اعتقال الخلية والتحقيق مع كوادرها بمن فيهم الضابط المتنكر ، عذبوهم بوحشية فلم يعترفوا - رغم وضوح الادلة لدى المحققين - سيما السيد أحمد الذي صمد وبقي ثلاثة أيام يتحدى وسائلهم البشعة .. لذا حاول الضابط المندس التأثير عليه وإقناعه بالاعتراف على بقية الأسرار والعمليات باعتبار ان كل شيء قد انتهى - على حدّ قوله - ولا داعي لكل هذا الأذى !! لكن

---

1 - اتبع النظام الحاكم في بغداد سياسة حصر جميع القوى والحركات والتنظيمات الإسلامية بتهمة الأنتماء لحزب الدعوة الإسلامية - العميل المرتبط بالأجنبي على حدّ تعبيره - وشملها بمادة الاعدام (١٥٦ - أ) مكراً منه وتضليلاً للرأي العام الداخلي والخارجي .

2 - نقلاً عن السجين المجاهد السيد لطيف وتوت .

3 - استمر هذا الخائن المرتزق في عمله الآثم باختراق المجاميع الإسلامية في الحلّة وبغداد وعدد من المحافظات الجنوبية وسفك دماؤهم لما توفرت به من ثقافة إسلامية وخبرة نوعيّة ، ولاغاية لهُ سوى لذّة جائرة ودُنيا زائلة ..

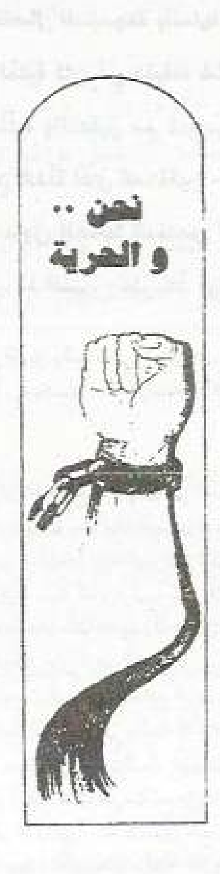
هذا ما أكده الأخوان (.....) من أهالي الحلّة اللذين تعهّد هذا الغادر بإيصالهما (سِرّاً) الى حدود الجمهورية الإسلامية وبأمانٍ تام لما يتمتع به من علاقات وارتباطات جهادية على حد قوله .. بَيْدَ أنهُ وبترتيب مُتقن لايجلب لهُ الشكّ أبداً ، قام بتسليمهما لمفارز مديرية (الأمن) العامة .. فحُكم على الضحيتين بالسجن عشر سنوات قضوا جزءاً كبيراً منها فيما أطلق سراحهما - فيما بعد - في عام ١٩٩١م ليهاجروا بعيداً عن كابوس البعث الجاثم على أرض الوطن .

ولعله من الحكمة أن نذكر هذه المفارقة التي جمعت السجين المجاهد السيد لطيف وتوت والخائن المنافق رفيق كتاب علوان في مهجر واحد !! حيث التقاهُ وللمرة الثالثة - بعد اللقاءات التي جمعته به عام ١٩٨١م في دائرة تجنيد الحلّة وعام ١٩٨٢م في موقف مديرية (الأمن) العامة - بَيْدَ أنهُ وبكل ما يحمل من ثاراتٍ لدماء الشُهداء بمَن فيهم دماء ابن عمّه المهندس الشهيد أحمد عباس وتوت لم يوفّق في تقديمه للقضاء السوري والاقتصاص منهُ لعدم امتلاكه أيّ أدلة ثبوتيّة تُدين هذا الوحش الذليل .

ومن المؤكد أن هذا المجرم الغادر قد جاء الى المهجر السوري - بعد التنسيق مع أزلام مخابرات النظام - لاختراق القوى والتنظيمات الإسلامية وكشف أسرارها ثم الضغط عليها وبطرقٍ شتى ، حالهُ حال مئات المرتزقة والجواسيس الذين ما انفكّوا يجوبون مهاجر العالَم .. ولكن من المحتمل أيضاً أن يكون هذا الذليل قد جاء هارباً من سطوة النظام الذي اشتهر بتصفية عُملائه ومرتزقته بعد نفاذ الفائدة منهم .

السيد أحمد رفض هذا المنطق واحتج على هذا الضعف والانهيار ، مما جعل الأخير ينادي على السجان ويخرج من الزنزانة منزعجاً ، إلا انه وبعد ساعة من الوقت رجع ولكن بكامل زيّه العسكري ورتبته الرسمية !! وقال للسيد أحمد : والآن ماذا تقول ؟ هل من جدوى للمقاومة وعدم الاعتراف ؟!

كانت الصدمة كبيرة وقاسية على روح البطل الصامد الذي انهار بشكلٍ هستيريٍ وصار يعترف بكل ما يعرف ، مما سبب الانهيار والانسحاق التام لبقية أبطال المجموعة الذين اعترفوا واحداً تلو الآخر .



(موقف) قاضم .. وصدر كاظم

إنتهىٰ التحقيق بعد أسبوعٍ من التعذيب ، حيث انهارت الخلية وكشفت عن كل ما يتعلّق بارتباطها ونشاطاتها وعملياتها الجهادية ..

لذا أخذوا الأخوات (ميسون ، أنعام ، إيمان) ونزلوا بهنَّ الىٰ الطابق الاسفل للمديرية العامة – القبو – حيث (الموقف) النسوي الذي التهَم أكثر من خمسين زينبية جاءوا بهنَّ من مختلف محافظات العراق بانتظار المحاكمة !

علىٰ هذا النحو أُغلق ملف التحقيق ، بَيْد أن الزينبيات الثلاث مكثن في (الموقف) قرابة خمسة شهور عجاف ،

فالجلّاد مازال يأمل الامساك بخيطٍ جديد أو أسرارٍ أُخرىٰ تتعلّق بملف القضية!

قضت ميسون معظم أشهر (الموقف) بالصلاة والصوم والدعاء والتبتّل الىٰ الله .. لقد أظهرت صبراً واحتساباً يعجز عن وصفه البيان رُغم ان (الموقف) كان عبارة عن طامورة لايعرف المرء فيها الليل من النهار ، لاترىٰ أشعة الشمس ولم يدخلها النسيم ، وهذا وحدهُ يُحطّم نفسيّة الابطال ويزرع اليأس والجزع في قلوب الرجال .. لكن ميسون – تلك القارورة الصامدة – صبرت ولم تشتكِ أو تجزع أبداً .. كانت صدراً كاظماً علىٰ الألم ونفساً سخيّةً بالتحدّي وشموخ الغاية ، شرت نفسها لله بيقينٍ راسخ هو عُصارة هذا الفيض من الصفاء والسخاء فاستجاب لها ربها **(اني لا أُضيّع عمل عاملٍ منكم من ذَكرٍ أو أُنثىٰ بعضكم من بعض)**[1] .

تقول السجينة المظلومة الأُخت (أُم نجم)[2] :

«في إحدىٰ ليالي الشهر العاشر من عام ١٩٨٤ م وبينما كانت ميسون معنا في (موقف) مديرية الأمن العامة ببغداد لم تُحاكم بعد ، رايت في المنام ميسون وهي في ملابس العرس قد تمّ زفافها الىٰ زوجي الشهيد سهيل البطاط (ابو نجم) .. إستيقظتُ وفي راسي هاجس وقلق كبيرين علىٰ مصير هذه الشابة الصغيرة .. وعند الصباح رويت الىٰ ميسون تلك الرؤية ، فقالت : وما تفسير هذه الرؤية ؟ قلت :

---

١ – سورة آل عمران : ١٩٥ .

٢ – سامية غانم الفرطوسي : زوجة الشهيد سهيل البطّاط .. إعتقلت عام ١٩٨٣م ، وفي عام ١٩٨٤م اعتقلت وحكمت عليها محكمة (الثورة) بالسجن (٧) سنوات قضت بعضها في سجن الرشاد ببغداد .. أُطلق سراحها في عفو عام ١٩٨٦م .

يعني ان المحكمة ستحكم عليك بالاعدام ! ما ان سمعت ميسون هذه الكلمات حتى عانقتني مُبتسمة قائلة : بشرك الله بالجنّة يأم نجم .

ذات يوم سمعت ميسون إحدىٰ السجينات اللاتي سبقنها الىٰ الموقف قد جزعت وكلّت ، جاءت اليها وهمست في أُذنها برقّةٍ طفولية وابتسامةٍ ملائكية : «أُختاه ، اصبري وقولي الحمد لله الذي شرّفنا بمقارعة هؤلاء الظالمين ..» .

لذا تجدها دائماً تُردِّد تلك العبارة الموجزة الكبيرة :

«تصفية العمل خير من العمل ، وتخليص النيّة من الفساد أشد علىٰ العاملين من طول الجهاد» ..

فهي طيلة أشهر الحجز بالموقف كانت بمثابة البلسم الشافي والمحطة الهائئة للأخوات السجينات اللاتي يتزلن من غرفة التعذيب في الشعبة الخامسة وقد امتلأت أرواحهنَّ وأجسادهنَّ جِراحاً وجراحا ..

فصوتها الهادىء وأناشيدها العذبة كانت لحناً لحنايا قلوبهنَّ المتعبة .. كُنَّ يجدن في أحاديثها حرارةً وصدقاً عجيبين ، فضلاً عن تلك البسمة التي تشرق أبداً من ثغرها والبراءة التي تشع دوماً من روحها .

إعدام الربيع !

لكن ذلك لم يدم طويلاً .. فقد آن الرحيل ! إنهُ موعد المحاكمة .. كان ذلك صباح يوم السبت ١٩٨٤/١٠/٣٠ م .

لقد أقفل الجلّاد ملف القضيّة تماماً ورفعه الىٰ محكمة (الثورة) العسكرية الصورية بعد أن يئس من الحصول علىٰ أية معلوماتٍ جديدة ، فهيكليّة الخلية كانت صغيرة ومحصّنة من التشعبات الجانبية ممّا جعل بقية الخطوط والخلايا الجهادية للمنظمة في أمانٍ تام من الضرر الذي لحق بالمجموعة المخترقة .

وَجَمت وجوه السجينات واستعرت قلوبهن وهُنَّ يرين هذه الحورية الانيسة تغادر القاعة ..لقد غادر الكرىٰ أبصارهُنَّ واستولىٰ الحُزن علىٰ أرواحهنَّ برحيل الربيع المؤنس عن قاعة الزمهرير والوحشة ..

نقلوا ميسون ومَن معها الىٰ محكمة (الثورة) العسكرية بسيارة خاصة تحمل خلفها صندوقاً حديدياً مستطيلاً وكبيراً كأنهُ برّادٌ مُكيّفٌ ومخصّصٌ لنقل اللحوم المجمدة .. غير ان الحقيقة غير ذلك تماما ، فالصندوق كانَ عبارة عن سجنٍ سيّارٍ صغير ، في داخلة عشرة زنازين حديدية انفرادية متقابلة يفصلها مَمر ضيّق ، لكل زنزانة باب وقفل كبير ورقم ..

وصلت المجموعة قبل الظهر ، أوقفوهم (رجالاً ونساءً) في القفص الحديدي للقاعة الكبيرة التي تشهد يومياً مسرحيات عديدة وسريعة بحق أبناء شعبنا المظلوم في العراق ..

عقدت محكمة الباطل جلستها المشؤومة ليحكم المجرم اللواء (عوّاد محمد أمين البندر) وبدقائق معدودة علىٰ الابطال :

١ - السيد أحمد عباس وتوت[1] .

---

[1] - فقدت عشيرة آل وتوت عشرات الشهداء في غرف التعذيب وفوق حبال (أبو غريب) وأمام رصاص عسكر المغول في انتفاضة شعبان الغضب ، بالاضافة الى عشرات المهاجرين بعيداً عن جحيم نظام البعثيين .. بَيْدَ أن حديقة السادة آل وتوت الغنّاء لا تخلو من الأعشاب ونبات الحنظل كالمجرم اللواء (علي هادي وتوت - البوجواد) قاضي محكمة (الثورة) العسكرية والذي تدرّج في سُلّم الأجرام والأرتزاق حتى وصل الى منصب (محافظ كربلاء) ثم مات ليجد أمامه ما سفكت يداه من دماء الأبرياء .. وكالمجرم الضابط (ناجي وتوت) الذي قتل عام ١٩٨٤م العديد من الجنود الأبرياء لا لذنبٍ سوى امتناعهم عن القتال في الحرب الظالمة علىٰ الجمهورية الإسلامية الفتية والذي نال جزاءهُ العادل علىٰ يد أخيه (السيد علاء وتوت) الذي رحل مظلوماً في ساحات إعدام سجن (أبو غريب) المركزي .. وكالمجرم البعثي (بهاء وتوت) الذي أنزل فيه مجاهدو الانتفاضة الشعبانية في الحلّة حكم الإسلام والشعب ونفّذوا فيه الأعدام الفوري .. وهكذا غيرهم .

لقد سطّرت العشيرة وبدماء شبابها المجاهد تلك الحروف السوداء من تاريخها ، فهم كانوا ومازالوا يجودون بالشهداء المجاهدين وفاءً للعراق وللإسلام العزيز .. وإن ماسنذكره من أسماء كوكبةٍ من الشهداء ما هو إلّا قليلاً من كثير أعطت هذه العشيرة ، والعبرة - كما يقولون - بالغالب لا بالنادر .

١- الشهيد السيد محمد حمّود حسن وتوت : مؤذّن جامع (آل وتوت) - الذي هدّمه التتار في الانتفاضة الشعبانية السلبية - كادر جهادي مخلص لحزب الدعوة الإسلامية .. استُشهد عام ١٩٨١م .

٢- الشهيد السيد مُصدّق عبدالأمير وتوت : من الكادر المسؤول لحزب الدعوة الإسلامية .. استُشهد عام ١٩٨١م .

٣- الشهيد السيد مُناف هاشم وتوت : استشهد عام ١٩٨١م لارتباطه الجهادي بالحركة الإسلامية .

٤- الشهيد المهندس السيد أحمد عباس وتوت : أحد قادة التخطيط والتنفيذ لخلية جهادية تابعة للجناح العسكري لمنظمة العمل الإسلامي .. استشهد عام ١٩٨٥م .

٥- الشهيد السيد أمير علي وتوت : الذي قاتل ببسالة حتىٰ نفذت ذخيرته واستُشهد برصاص العسكر في انتفاضة شعبان عام ١٩٩١م .

٦- الشهيد العميد السيد جعفر هادي وتوت : أحد قادة الانتفاضة الشعبانية في الحلّة عام ١٩٩١م - وهو أخ المجرم اللواء القاضي علي هادي وتوت - جُرح أثناء قصف طائرات الهليكوبتر فأمسك به البرابرة العسكر فقطعوا رأسه وأرسلوه الى بغداد ! تمكنت عشيرته بعد ثلاثة أيام من دفن الجسد الطاهر بلا رأس .

٢ - حسام حميد .

٣ - ميسون غازي .

٤ - حسين هاشم مطلوب .

٥ - محمد الملّي .

بالاعدام شنقاً حتىٰ الموت حسب المادة (١٥٦ - أ) من الدستور المؤقت لانتمائهم الىٰ الجناح العسكري لمنظمة العمل الإسلامي المحظورة ، ولقيامهم بنشاطات مسلّحة تمس أمن النظام في بغداد ولنقلهم معلومات عسكرية مهمة للقوات الإسلامية ولقوات فيلق بدر الظافر .

وبالسجن المؤبد وحسب المادة (٢٥٧) علىٰ كلٍّ من :

١ - أنعام حميد .

٢ - إيمان .

لارتباطهنَّ بـ(منظمة العمل الإسلامي) المحظورة رُغم عدم اشتراكهن بأي جهادٍ مسلح أو نشاطٍ عسكري ، وقد أُطلق سراحهن في عفو عام ١٩٩١م[1] .

وبالسجن علىٰ بعض العسكريين المهندسين بأحكام مختلفة ، وقد خرجوا جميعاً عام ١٩٩١م .

إستقبل الأبطال أحكام الاعدام بهاماتٍ شامخة ووجوهٍ مُستبشَرة .. كيفَ لا ، وهم من صنف الرجال الرجال ..

---

٧ - الشهيد السيد سلمان جواد وتوت : استشهد في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م.

٨ - الشهيد السيد محمد هاشم وتوت : استُشهد في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م.

٩ - الشهيد السيد حيدر جواد حسن وتوت : استُشهد في الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١م.

١٠ - الشهيد السيد جعفر جواد حسن وتوت : هاجر - بعد الانتفاضة الشعبانية - مجاهداً الىٰ إيران ثم الىٰ سوريا ، عاد عام ١٩٩٤م الىٰ الحلة مُستغلاً ما يسمىٰ بـ(العفو) الذي أعلن عنه رأس النظام في بغداد بعد الانتفاضة الشعبانية .. استُشهد عام ١٩٩٦م بسبب اشتراكه بالمظاهرة التي خرجت في الحلّة احتجاجاً علىٰ اغتيال المرجع السيد محمد الصدر قدس سره .

بقي أن نقول أنهُ تم إعدام النقيب البحري السيد خالد مولى وتوت رُغم عدم إلتزامه الديني .. نفّذوا فيه حُكم الاعدام رمياً بالرصاص عام ١٩٨١م لكراهيته وبغضه رأس النظام ، كما تم تنفيذ حكم الاعدام باللّواء السيد محمد حسن وتوت عام ١٩٩١م بالمحاويل بعد فشل الانتفاضة الشعبانية بالرغم من عدم مشاركته بل وبالرغم من استضافته في منزله كل من اللواء طالع الدوري والقادة الضباط معه الذين قمعوا الانتفاضة ، حيث تناولوا طعام الغداء في بيته بالحلّة ظهراً ونفّذوا فيه حكم الاعدام في المحاويل مساءً وبأمرٍ فوريٍّ من رأس النظام وبمكيدة أكيدة من طالع الدوري .

١ - صدر قرار العفو الأحد ١٩٩١/٧/٢١م ، الموافق (٩/ محرم / ١٤١٢هـ) .. أي بعد أشهر من الانتفاضة الشعبانية المباركة .

أما ميسون ، فها هي مازالت السكينة مُخيّمة علىٰ روحها والثقة طافحة علىٰ مُحيّاها .. كانت تنظر الىٰ منصّة الحكم التي جلس عندها ثلاثة فراعنة صغار بملابسهم العسكرية المُثقلة بأوسمة الذل ، وهي رابطة الجأش أبيّة ، صامتة .. وللصمت حديث يعرفهُ العشّاق فقط ..

لذا فهي حينما سمعت بحكم الإعدام الصادر بحقها ، استبشرت خيراً ولم تُبالي ، وكأنهم قد حكموا بالاعدام علىٰ شيءٍ قد زهدت بهِ منذ أمدٍ بعيد !

تم بعد الظهر نقل كل من (ميسون ، أنعام ، إيمان) بسيارة مسلحة الىٰ سجن (الرشاد – القسم السياسي الثالث) شرق العاصمة بغداد ، أما الرجال فقد تم نقلهم الىٰ مدينة السجون (سجن أبو غريب المركزي – الاقسام المغلقة) ينتظرون أحكام الاعدام الجائرة .

خيط رجاء .. ومَنيّة حمراء !

وهكذا عصفت بأهل ميسون الآلام وأصابهم سهم الأحزان ، لقد حدث ما كانوا يتوقعون ..

والدها الذي ذرّف علىٰ الخمسين ما انفك يقضي ساعاتٍ من الليل والنهار بحثاً وتفتيشاً عن بصيص أملٍ أو خيط رجاءٍ يوصلهُ لمكان اختفاء ابنته وحبيبته ، تراهُ هائماً كالمجنون لايُفرّق بين ليل ونهار يبحث عن مَن يُجنّب ابنته وفلذة كبده سهم المنيّة ..

فهو منذ اليوم الأول لاعتقالها حتىٰ يوم وصولها سجن (الرشاد) يُفتّش عنها ويعمل لأنقاذها .. يتنقّل بين مديريات (أمن) الكاظمية والعامة وبين سجون (الرشاد وأبو غريب) ، لايبخل بالهدايا والعطايا لكلِّ مَن يأتيه بكلمةٍ ولو خادعة عن مصير ابنته ..

الأوباش يؤمّلونه بألسنتهم ، بَيْد أنهم كانوا وفي الوقت ذاته يُمزّقون جسد ابنته بسياطهم .

كانت روحهُ تستعر وقلبه يتلظّىٰ خوفاً علىٰ مصير ابنته وشوقاً لها ، تجدهُ طيلة فترة البحث والأستقصاء عن خيط الرجاء يذرف بعينين دامعتين كأنهما غيوم مُمطرة .. كان يأمل النجاح في إنقاذها ، ولطالما كان يتشبّث بشبّاك ضريح باب الحوائج عليه السلام ، يدعو وينحب كالطفل الذي فقد أمّه ، ولكن ..

وإذا المنيّة أنشبت أظفارَها ... ألفيتَ كُلّ تميمةٍ لا تنفعُ

❊ ❊ ❊

بعد المحاكمة بأيام عرف الأب بِقرار الإعدام الظالم .. كانت الصدمة شديدة الوطأة عليه وعلىٰ أُمها وأخوتها.. إستسلم للأمر الواقع وصار يبحث هذه المرّة من جديد ، وبأي ثمن ، عمّن يُخفّف الحكم وينقذ ابنته من حبل المشنقة والإعدام !

لقد عرض مبلغاً كبيراً لاجل ذلك ، حتىٰ نجح في الوصول الىٰ اتفاق مع أحد خنازير وزارة الداخلية .. كان ضابطاً كبيراً اشترط (٥٠) الفاً من الدنانير لأنقاذ ابنته من الإعدام وتغيير الحكم الىٰ المؤبّد .. وفعلاً تم دفع (٢٥) الف دينار ، علىٰ أن يُسدّد النصف المتبقي بعد إلغاء حكم الإعدام !!

حمامة بيضاء في سجن الرشاد

وصلت (ميسون) ومَن معها الىٰ سجن (الرشاد) عصر يومٍ شتائيٍّ قارص البرد من شهر تشرين الأول[1] .. ففتحت مسؤولة أمن القسم الرقيبة (السجّانة مي) باب القسم الثالث لتدخل ثلاث فتيات كالأقمار ..

طالعت الأخوات السجينات إثنتين من الغيد الحسان تتبعهم ثالثة .. حمائم يتألقن حيويةً وشباباً ، بَيْد أن التي في الوسط كانت أربطهُنَّ جأشاً وأشدّهُنَّ مراساً رُغم العباءة المتداعية والثياب البالية التي خرّقها نهش الكيبلات ولسع السياط ، والتي تُنبيء الناظر بآثار التعذيب التي طُبِعت علىٰ جسد هذه الفتاة الباسلة ..

---

١ - وصلت الشهيدة ميسون سجن (الرشاد) يوم الاثنين ١٩٨٤/١٠/٣٠م.

دخلت (ميسون) القسم السياسي رافعة الرأس تمشي على هونٍ كأنها حورية هبطت من الجنة تشرق جمالاً وجلالاً .. كان على وجهها سيماء العبادة والبراءة ، فلم يرها أحد إلّا وفاض حُزناً وألماً لمصيرها .. شغفت جميع الخمائل الخضراء في سجن (الرشاد) لرونقها وشموخها وترنّمَ لبراءتها ونقائها إعجاباً وفخراً ، وتغلغلت في طيّات روح كل من رآها ، بل حتى الرقيبات اللاتي قُدَّت قلوبهنَّ من الحجر الأصم – فضلاً عن سجينات الاقسام غير السياسية – تأمّلنها بشغفٍ وحُزن !!

بَيْد أنها كانت لاتُبالي بما ينتظرها ، بل وكأن أمراً مؤنساً كان ينتظرها !

أودعتها الرقيبة في غُرفةٍ ذات سريرٍ واحد من غُرف المحكومات بالإعدام[1] .

تقول إحدى الأخوات السجينات[2] اللاتي كنَّ مع (ميسون) في القسم الثالث:

«الشهيدة ميسون من عائلة مُسالمة بعيدة عن الجهاد ، وهم أصحاب مال وثراء .. حاول والدها ان يُثنيها عن الإرتباط بالشهيد الدكتور حسام بسبب الطريق الصعب الذي سلكه .. فكان يقول لها : سوف أشتري لك سيارة خاصة بكِ وأوفّر لكِ كل ما تشتهين مقابل ان تكوني مثلنا ومعنا .. تمتّعي بالدنيا كباقي الفتيات ولا تحرمي نفسكِ من لذائذها ..

بيد ان (ميسون) اختارت طريقها عن وعيٍ وبصيرة ، فهي ترى ان السعادة الحقيقية في حُكم الإسلام حيث انتشار العدل والصلاح في المجتمع .

إعتُقلت (ميسون) وعُذّبت في مديرية (الامن العامة) ثم حُكِمت بالاعدام .. وفي عصر يومٍ من ايام عام ١٩٨٤ م إنفتح باب سجن (الرشاد) فاطلّت منهُ شابتان يبدو عليهن الهدوء والاطمئنان .. كانت إحداهنّ ذات جمال فاتن رغم عباءتها القديمة وملابسها المُمزّقة ..

بعد الترحيب بهنّ دار مع (ميسون) الحديث التالي :

- أيتها الأخت .. من أيّة محافظة جئتم ؟

- انا من بغداد (الكاظمية) ، وادرس في جامعة بغداد - كلية الآداب .

- عفواً ، اتسمحين لنا ببعض الاسئلة ؟

أومأت بالموافقة الممتزجة مع تلك الابتسامة الساحرة وقالت :

---

١ – يحوي القسم السياسي الثالث على عدة غرف صغيرة مخصّصة للمحكومات بالاعدام ، أُطلق عليها بـ(القسم السياسي الثاني).

٢ – الأخت الفاضلة (أم إيمان العباسي) :

- نعم ، تفضلوا .

- ما هي قضيتك ؟

- ألقي القبض عليّ انا وفتاة أخرى واربعة رجال من بينهم خطيبي .

- بأيّة تهمة ؟

- كنّا قد اتفقنا على عملية جهادية نستهدف منها زعزعة النظام الجائر الذي لا يعرف للدين أو الإنسانية معنى .. وقبل أوان تنفيذ العملية طلب خطيبي أن نتزوج ، فقلت له : ياعزيزي أن لكل فتاة (مهر) قبل الزواج ، ومهري هو تنفيذ هذه العملية بنجاح .. كانت تلك أمنيتي التي رجوت تحقيقها ، سيما وخطيبي شاب مجاهد يحب العمل في سبيل الله ..

- وماهي العملية أختاه ؟!

لم توضّح طبيعة العملية .. تكتّمت عليها ، إبتسمت واكتفت بالقول :

- هي عملية الهدف منها كما قلت (تضعيف) وهزّ النظام الظالم .

- وهل نفّذتم العملية ؟

- نعم ، وافقني خطيبي في الراي، وفعلاً تم والحمد لله تنفيذ العملية بنجاح تام لولا شخص (خائن) من نفس مجموعتنا ، كان مُندساً بيننا ! كنّا نعتقده مجاهداً .

إنتابتنا الدهشة ووجمت عيوننا حزناً شديداً ، بعدما سألناها عن اسم هذا الخائن المندس ؟ لكنها أمتنعت وقالت :

- ليس مهماً (الآن) معرفة اسمه .. المهم انه كشف سرّنا ، فحُكِمَ عليّ وعلى خطيبي وبقية الرجال بالاعدام»

وتقول أُخت سجينة أُخرى[1] في رسالةٍ جوابيةٍ جاءتنا من المهجر السوري:

«أود ان أعرب عن أن ذكرياتي متواضعة للغاية ، لان العتب على الذاكرة ، حيث مُنِعَ منّا القلم والورق طيلة تلك السنين العجاف الطوال في معتقل (الرشاد) ..

---

١ - السجينة المجاهدة (مريم الشروفي) : إحدى القيادات النسوية في منظمة العمل الإسلامي ، وزينبية من أهالي كربلاء المقدسة ، جاهدت ضد نظام الجور في بغداد فاعتُقِلت عام ١٩٨٣م بتهمة الانتماء لمنظمة العمل الإسلامي وحَكَمت محكمة (الثورة) العسكرية عليها بالسجن المؤبد حسب المادة (٢٥٧) .. عاشت مع الشهيدة ميسون فترة مُعتقل (الرشاد) وحتى مشهد التوديع صباح يوم الاعدام .. أُطلق سراحها بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة في عفو عام ١٩٩١م.

وبعد جهدٍ لترتيب وإعادة الذكريات ، اقول بتوفيق الله الذي ارجو ان يُسددني لمزيد من المعلومات وبشكلٍ دقيق :

- جاءتنا الشهيدة ميسون غازي الكاظمي الى سجن (الرشاد) عام ١٩٨٤ م بصحبة الأخت انعام حميد (أخت الشهيد حسام من محافظة الناصرية) والأخت إيمان (من محافظة الديوانية) ، والثلاث طالبات في كلية الآداب .

- محل سكن الشهيدة هو بغداد - الكاظمية - علي الصالح .. كان والدها ثرياً حيث استعد لدفع مبلغ كبير جداً (في ذلك الوقت نصف مليون دينار) لمسؤولي (الأمن) كي يتم تخفيض الحكم من الإعدام وفق المادة (١٥٦ - أ) الى المؤبد وفق المادة (١٥٦ - ب) ، ولكن دون جدوى !

- سبق مجيء ميسون الى سجن (الرشاد) العديد من الشهيدات أمثال الشهيدة الحاجة (رجيحة) ..

- أخبرتنا الشهيدة انه قد تم القبض عليها وعلى خطيبها الدكتور حسام وعلى عدد من الرجال بتهمة تفجير (...) في بغداد .. وكان يوجد معهم شخص مهندس لم تخبرنا باسمه .. لذا فقد تم الحكم على المجموعة بالاعدام وفق المادة (١٥٦ - أ) في محكمة (مهزلة) صورية ..» .

ويضيف المكتب الجهادي لمنظمة العمل الإسلامي ، في رسالةٍ جوابيّةٍ قيّمة ، جاء فيها :

«الشهيدة ميسون غازي الأسدي من مواليد بغداد - الكاظمية ، سكنة علي الصالح .. طالبة في كلية الآداب - جامعة بغداد ، والدها من أثرياء بغداد ، استعدَّ لدفع مبلغ نصف مليون دينار لتخفيف حكم الاعدام الى المؤبد ولم يستطع ، بل لم يفلح حتى في مواجهتها وهي في السجن .

إنتمت الى منظمة العمل الإسلامي بواسطة الأخت (انعام حميد) التي كانت معها بالكلية والتي بدورها مُفاتحة من قبل أخيها الشهيد (حسام حميد) خطيب الشهيدة ميسون .. وقد سبق ميسون إنضمام (إيمان) الى المنظمة .

كان للشهيدة ميسون نشاط كبير في صفوف الطالبات كتوزيع الكتاب والمنشور الإسلامي الواعي ، لذا تراها قد نجحت في كسب الكثير من الطالبات ..

إعتقلت ميسون وبقية المجموعة في الشهر الرابع من عام ١٩٨٤ م في قضية واحدة ، وقد شمل الاعتقال كلّاً من الطالب في الجامعة التكنلوجية (السيد حسين هاشم مطلوب) والمهندس (محمد

المليّ) والدكتور (حسام حميد) واخته (انعام حميد) والمهندس (السيد احمد عباس وتوت).

وكان سبب الاعتقال هو نفوذ واختراق المجرم (رفيق كتاب علوان) الذي كان معتقلاً سابقاً عام ١٩٨٢ م بتهمة التحرك الديني، حيث أطلق سراحه وعمل وكيلاً للسلطة وتمكن فيما بعد من كسب ثقة الكثير من المؤمنين ومنهم المهندس السيد أحمد عباس وتوت. وعبر السيد وتوت تعرف على مجموعة العمل التي تضم الشهيد الدكتور حسام وخطيبته الشهيدة ميسون.

إعتقلت المجموعة بتهمة معارضة السلطة الحاكمة والانتماء الى الخلايا المسلّحة لمنظمة العمل الإسلامي .. وتم إعدامهم رضوان الله عليهم وفق المادة ١٥٦ - أ.

❋ ❋ ❋

ظلّت ميسون في سجن (الرشاد) بضعة أشهرٍ قضتها في مرضاة الله، فهي راضية بخاتمتها سعيدة بنهايتها .. كانت تستثمر جُلَّ وقتها وما تبقىٰ من أيام ربيعها في العبادة والتقرّب الىٰ الله، تَملأ وقتها بالاستغراق في الصلاة والصوم وقراءة القرآن والدُعاء.

أما في أوقات الفراغ المحدودة (الرخصة الشرعية) فهي تزور غرف الأخوات السجينات[1] كالفراشة توزّع حُبّها علىٰ الجميع .. يكاد سنا نورها يُضيء ممر وغُرف القسم.

ولأنها تُحب الشعر وتميل الىٰ تأليف الأناشيد راحت تداوي جراح الصابرات ببلسم قصائدها وعذب أناشيدها للثورة الإسلامية وقائدها الإمام الخميني قدس سره ولشهداء العراق وقائدهم الشهيد الصدر قدس سره.

هامت بها الأخوات في قسمي سياسيّة (الرشاد) أيَّ هيام. لِما وجدن فيها من روحيّة نقيّة كالبلور وسريرة طاهرة كماء المطر ومُحيًا يغرق حياءاً لأقلّ ثناء ووجنتين تفيضان حمرةً لأدنىٰ مزاح ..

---

١ - إعتادت الأخوات السجينات على تسمية غرف القسم الثالث - وكذا القسم الرابع - بأسماء عفوية بريئة لاتمت للعفوية أو المناطقية بأيّة صلة. فكانت غرف (الهندسة والبصرة والثورة والنجف والكوت) حيث النفوس - سيّما في تلك الظروف - تميل الىٰ المجالسة مع مَن يؤنسها بما هو قريب من ذكرياتها .. بَيْدَ ان ذلك لا يمنع من وجود سجينة من (الثورة) مثلاً قد اختارت غرفة الهندسة، وهكذا.

حينما تناديها الأخوات تأتي منقادةً بكلمة (نعم) أو (حاضر) خجلة تتعثّر في سيرها ، وإذا تحدّثتْ معها إحداهُنَّ أحنت رأسها احتراماً وأخفضت جفنيها انصاتاً .. أما إذا أرادت هي أن تطلب حاجةً مألوفةً تجدها تقترب وتهمس بحياء .

لذا فهي عندما كانت تتمشّىٰ في الممر أو تتنقّل بين الغرف بذاك القوام الممشوق وبتلك الابتسامة الخلّابة ، كُنّا نُسرّح أبصارنا بجمال طلعتها البهيّة ونستفز عقولنا بقيم روحها الأبيّة .. فرؤية وجهها الباسم - كانت بحق - تطرد عنّا عناء الغم والهم .

ولأن ميسون لم تَحظ بأي مواجهة شهريّة[1] مع أهلها بعكس مواجهات قسمي المؤبّد والرابع ، إنطلقت الأخوات بنشاطٍ مألوف وتنسيقٍ معروف لتوفير كل ما تحتاجه من ملابس جديدة وأقمشة بيضاء ، وبدأنَ بتوزيع الواجبات وحسب المهارات فكان علىٰ البعض فِصال وخياطة الكفن (سروال أبيض طويل مُحكم النهايات وقميص أبيض طويل ومانتو) وعلىٰ البعض الآخر كتابة سورة يس ودعاء الجوشن والعديلة علىٰ الكفن[2] .. كُنَّ يرفضنَ أي مشاركة من ميسون وبأيٍّ عمل ،

---

١ - المواجهة الشهرية : مصطلح مُتداوَل في عالم السجون والمعتقلات .. فهو يعني لسجينات القسم السياسي الرابع في سجن (الرشاد) زيارة الأهالي لهنّ وجلب ما هو ضروري كالطعام والملابس وماشابه .. أما سجينات القسم السياسي الثالث (المؤبد) فالمواجهة لهنَّ تعني فقط السماح للأهالي بأيصال الطعام والملابس من خلال رقيبات السجن ومن دون زيارة ولقاء !

وفي الحالتين يخضع العوائل - كما المواد - لتفتيش دقيق جداً لئلا تغفل عيونهم وأيديهم عن قلمٍ أو رسالة ..

في إحدىٰ المرّات وبسبب الإنتظار الطويل تحت شمس تموز الحارقة قالت أمٌ عجوز لإحدىٰ الرقيبات اللاتي بالغن في تفتيش مواد المواجهة حيث بَعثرنَ الطعام والملابس وفتحنَ علب التنظيف وعبثن بالشاي والسُكّر :

- لو كنتم مخلصين هكذا ضد اليهود لتحررت فلسطين منذ عقود .

أجابتها الرقيبة سخيرة زاجرة :

- بلا كلام .. إنها أوامر الضابط المسؤول - وتقصد مدير السجن النقيب حسن العامري .

وما كان من جواب الأم التي اتعبها الانتظار إلّا وقالت :

- مسؤولكم هذا ، مسلم أم يهودي ؟

وما أن أوصلت الرقيبة الحوار الىٰ المدير - سيّما وقد صارت كلمات تلك الأم موضع سخرية وتندّر السجينات ضده - حتىٰ قرّر الإنتقام فألغىٰ المواجهة مدة (٦) أشهرٍ وجعل من (الرشاد) جحيماً لا يُطاق .

٢ - في عام ١٩٨٠ م نفّذ النظام الجائر حكم الاعدام بإحدىٰ زينبيات (الرشاد) في سجن (أبو غريب) ، وكانت ترتدي - كالعادة - تحت ثيابها وعباءتها كفناً كُتب عليه سورة يس ودعاء الجوشن وما أن سحلوا جسدها الطاهر من منصّة المشنقة الىٰ إحدىٰ القاعات المجاورة لنقلها فيما بعد الىٰ الثلاجة حتىٰ كُشِف عن الكفن وبان ما عليه من كتابة ، فهرع أحدهم مسرعاً الىٰ ضابط مفرزة الاعدام مخبرةً بأن رسائل ومنشورات معادية للحزب والثورة قد كُتبت علىٰ ثياب الفتاة لتصل الىٰ الحزب الذي كانت مرتبطة به !! وبعد فحصٍ وتدقيق ومن جهاتٍ عدّة عرفوا الحقيقة .

ليوفّرن لها الوقت الكافي للتفرّغ للعبادة والوصال .

وصادف أن عاد يوم(٢٨ صفر)[١] الشهر التالي لوصول ميسون .. إنّهُ يوم الحزن الأعظم ، يوم إرتحال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله .. فقرّرت الأخوات إقامة مجلس عزاء - كالعادة - وتصدّت ميسون والمُلّة كلثوم وأُخت ثالثة للاشتراك في تأليف قصيدة بالمناسبة ، وكان في المقطع الذي سطّرتهُ أنامل ميسون شكوىٰ لصاحب الذكرىٰ من فرعون العراق وجور الزمان :

عزائي فيكَ يانِعمَ الرسـولُ ... وذكراكَ التي ليست تـزولُ

***

وأشكـو سـيدي ظُـلم الزمـان ... وطـاغٍ سـامَ شعبي بـالهوانِ
فبالأحزان دهـري قـد طـوانـي ... وبالحسراتِ دمعي قـد كـوانـي
فهاكَ اسمع بلائي يارسولُ

***

أنــا فـي أُمّـةٍ فـنيتْ عـذابـا ... وطالت محنتي والقـلبُ ذابـا
ودمعي لم يَـزَل جـارٍ سكـابا ... لِمَن شكـوايَ أُبـدي والعِـتابا
سِواك اليوم فاسمع يارسولُ

***

تمر الأيام وميسون تنتظر خاتمتها وحُسن عاقبتها .. فهي تتشوّق لموعد تنفيذ الاعدام علّها ترىٰ حُسام ! كانت تحرص علىٰ هذا الأمل وتقول : «متىٰ يحين يوم الإعدام لأفي بعهدي الىٰ حسام» ..

تُرىٰ أيّ عهدٍ هذا الذي كانت ميسون تحرص علىٰ الوفاء به ؟!

---

١ - ذكرىٰ رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كانت يوم الجمعة ٢٨ - صفر - ١٤٠٥ هـ والتي وافقت يوم (٢٤ - ١١ - ١٩٨٤ م) .

تنهّدات عاشق

وفوق كل تلك الخصال والسمات كانت تغمر ميسون حالة من العشق الإلهي .. كُنّا نتعجّب كيف احتضنت هذه الفتاة الصغيرة كُل هذا العشق الكبير ؟! ولكن لا ، فرُبَّ صغيرٍ أجلّ من كبير .

ترنّمت حنايا قلبها الوادع بعشق المعبود ، فتناسَت أيامها المعدودة التي تترقّب فيها طعنة الموت من سيوف البعث الغادرة .. لم يزدها التعذيب و(الموقف) و(الرشاد) إلّا صبابةً وولهاً ، كأنها حبيب هام عشقاً وذاب شوقاً «واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحُبّكَ مُتيماً»[1] ..

تمر الساعات والليالي وميسون بين ركوع وسجود وتأمُّل حتىٰ يحين الفجر فتُحلِّق بها روحها الىٰ عالَم مليء بالشفّافية .. كانت حينما تفرغ من الصلاة ترفع يديها متضرّعة الىٰ الله عزوعلا والدموع تجري كـالمُزن كأنها قد اقترفت ذنباً لاغفران له . كانت تقول : «إلهي أنتَ معبودي وأنتَ معشوقي ، اشتقت لجلال وجهك الكريم فاجعلني مِنَ الذين ترسّخت أشجار الشوق اليكَ في حدائق صُدورِهم ، وأخذت لوعةُ محبّتك بمجامِع قُلوبِهم .. ما ألَذَّ خواطِرَ الالهام بِذكركَ علىٰ القلوبِ وما أحلىٰ المسيرَ اليكَ بالأوهامِ في مسالكِ الغُيوبِ ، وما أطيب طعمَ حُبّكَ وما أعذبَ شِربَ قُربكَ ، فأعِذنا من طردِكَ وإبعادِكَ برحمتكَ ومَنّكَ ياأرحم الراحمين»[2] .

وحين أوان الغروب حيث الأصوات هادئة والحركة هامدة ، كانت تخرج الىٰ الشبكة[3] مُرسلة عينيها الىٰ آفاق الغيب تتأمل النجوم كأنها تبحث عن شيء ..

نقلت لي الأخوات اللاتي بجوار غرفتها أنهنَّ كثيراً ما يجدنها وقت السحر واقفة أمام تلك النافذة الصغيرة تناجي الحبيب ، تدعوهُ وتهمس معهُ :

---

١ - دُعاء كميل للإمام علي عليه السلام .

٢ - الصحيفة السجادية .. من مناجات العارفين .

٣ - الشبكة : مساحة من الأرض الفارغة أمام القسم ، محاطة بسور عال .

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ وليتكَ ترضىٰ والأنامُ غضابُ

وليتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ

إنها تنهُّدات عاشقة هامت روحها في تسابيح المعبود، فذابت في مسالك العاشقين.

تقول السجينة المجاهدة (أم إيمان العبّاسي):

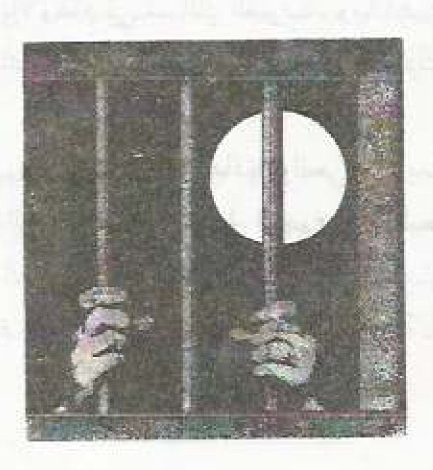
«بقيت الشهيدة ميسون معنا في القسم الثالث من سجن (الرشاد) قرابة الشهرين، قضتهما بالصلاة والصوم .. كثيراً ما كانت تتأمل السماء وكأنها على موعد تتحرق لقربه .. أتذكر في أحد المرّات وأثناء ماكانت واقفة تتأمل، سألتها:

- ميسون .. ترىٰ ماذا تتأملين ؟!

أجابتني، دون أن تلتفت إلي:

- اني أسأل نفسي: متىٰ أعدم لأعبد الله أكثر ولأقترب منه أكثر.

فتمتمتُ مع نفسي: سبحان الله، ويح نفسي .. أنا أحسب العبادة تكليف، وهذه الفتاة تريد أن تعبد الله حتىٰ بعد الحياة!



الفجر الصادق في غرفة الهندسة !

تجسّدتْ عظمة شخصيّة ميسون بإيمانها الراسخ بعدالة قضيّتها ، فكانت علىٰ يقين مطلق بأن تلك الجراح هي منافذ للحرية ولحكم الحق .. بَيْدَ أن طبيعة الظروف لم تترك لها فُسحة زمنية لتُترجم أفكارها السياسية بشكلٍ مناسب .

لقد تشرّفت روحي وتكحّلت عيني برؤيتها عن قرب ، فلم أملك إلّا أن أسدلت جفوني مدهوشةً مِمّا رأت عيني وشاهد عقلي من توازنٍ في الخصال والجمال ..

بل لم تلمحها سجينة من زينبيات القسم السياسي الرابع إلّا وانبهرت لهذا الفجر الصادق الذي حلَّ ضيفاً في غرفة الهندسة ..

ولكن .. كيف وصلت ميسون الىٰ القسم الرابع ؟!

مَن عاش تجربة الاعتقال يتذكّر جيداً أن مثل هذا الأمر قد حصل وتكرّر – وبتنسيق لايخلو من المجازفة – بين سجينات القسمين الثالث والرابع في سجن (الرشاد) فضلاً عن سجناء سياسيّة (أبو غريب) ..

فأحياناً يتم – وبترتيب مُتفق عليه مُسبقاً – انتقال سجينة من القسم الثالث الىٰ الرابع وبالعكس ولضرورة قصوىٰ .. فحينما يتشرّف القسم بسجينة سياسية جديدة ، لن يتم تزكيتها وتبادل الثقة معها إلّا بعد أشهرٍ طويلة ومعرفةٍ دقيقة لأغلب تفاصيل قضيتها ، وأحياناً يحتاج الأمر الىٰ معاينة شخصيّة مباشرة من قِبَل الأخت التي تعرفها وذلك لرفع الحذر منها أو حجب الثقة عنها .. وهذا سبب وجيه للمجازفة والانتقال الىٰ القسم الآخر .. وهناك سبب آخر يدعو للانتقال ، يتعلق بوصول سجينة عزيزة أو قريبة لإحدىٰ الأخوات والتي بدورها تنتقل الىٰ قسمها لتقضي معها ليلة كاملة تبادلها الأسرار والأخبار ..

بَيْد أن انتقال ميسون كان لهُ سَبب آخر يفوق تلك الأسباب أهمية ، يتعلّق بالعبادة الواجبة .. فهي بحاجة الىٰ الغُسل الواجب والاستحمام ، وقد سبق أن فاضت مجاري القسم الثالث[1] ..

---

١ – ظاهرة انسداد مجاري أقسام السجون والمعتقلات هي عقوبة مألوفة تتبعها أغلب أنظمة الكفر ضد الإسلاميين ، فهي حرب

وهكذا انتقلت ميسون الىٰ القسم الرابع ، ولأن غُرفة الهندسة كانت بجوار (حمّامات) القسم ، تشرّفت غرفتنا بهذا الزائر الجليل وحظينا قبل غيرنا - ولو لدقائق معدودة - بهذا الضيف الخليل ..

جاءت باتجاه غُرفتنا كضوء الفجر هادئة تمشي علىٰ استحياء .. في البدء كنتُ أرقبها وأُخالسها النظر .. تُرىٰ هل هذهِ حوريّة أم أُنسيّة ؟!

إعتصر الحزن روحي علىٰ مصير هذه الفتاة التي كانت تبدو أ صغر من ربيعها التاسع عشر بكثير .. كُنّا نشعر أننا نكبرها بكثير رُغم أن الفارق لا يتجاوز بضع سنين ، ولكن وجهها الطفولي ونقاءها وبراءتها يَجعل المرء يعتقد أنه أمام طفلة بريئة لاتستحق هذا المصير ..

غير أن مَن يرىٰ رقّتها وشفّافية روحها لا تخطر بباله جبال العزم والتحدي التي تكمن في صدرها .. تجدها بيننا بريئة صامتة كالطفل الودود ، لكن ما أن تتجاذب معها هموم الدين والوطن تكتشف أن هذه الروح الشفّافة تحمل بين طيّاتها قيماً شامخة شموخ منارات عراقنا الذهبية ومبادىء راسخة رسوخ جباله الأبيّة ..

فقراءتها للأحداث السياسية وللصراع مع نظام بغداد كانت واعية عميقة .. أما حواراتها فكانت هادئة دقيقة تذكّرني بتلك الكُتب والمحاضرات التي كُنّا نشتريها في الخفاء ونطّلع عليها في السر[١] .

جمعتُ شتاتي وسألتها :

- أُختي ميسون ؛ هل أنتِ خائفة من الموت ؟

نظرتْ لي بابتسامةٍ شفّافةٍ حملت بين طيّاتها بعض الاستغراب وقالت :

- الموت يا(...) يعني الشهادة ، يعني الحُلم الذي انتظرته طيلة تلك الشهور .. إنه يوم ميلادي بل هو يوم عُرسي .

ثم تنهدتْ بنَفَسٍ طويلٍ وقالت :

من نوع آخر .. إنها حرب نفسية ، إنّهُ سلاح (النجاسات) الفعّال ! لان أشدّ ما يؤذي السجين المؤمن في مجال عبادته ألّا يجد ما يتطهّر به من الأدران والنجاسات .

١ - كُتب العلّامة السيد هادي المدرّسي من شارع المتنبي ببغداد ومحاضرات العلّامة السيد محمد تقي المدرّسي من إذاعة طهران العربية .

– صدّقيني أُختاه أني لم أكن أحلم بالفوز بالشهادة على أيدي هؤلاء الأمويين بذاك الجُهد الضئيل !

نعم . تلك هي ميسون .. وهذه هي رؤيتي ، لقد رأيتها تُعالج روحها العطشى بالجنة كما يُعالج الناس لهيب العطش بالماء ، بل رأيتها تستأنس بالشهادة إستئناس الطفل لمحالب أمه .. كيف لا وقد حملت في جوانحها جَلال الهدف وسمو الغاية .

أُحِـــبُّك يـــابديعَ الكـــون يـــاتسبيحةَ الزمـــنِ
وبي شـوقٌ الى مَـرآكَ فـي الأحشـاءِ يُـحرِقُني
أُحِـــبُّكَ يـــاصباح الروح يـــاأُنسي لدى الشجنِ

※ ※ ※

لأنَّكَ فـــي دُروبِ العُمر بـــالحُسنى تُـــرافِقُني
وتـسمعُ صـوتِ ألواهـي وحـين أزلّ تُـدركُني
ولو ينسى وجودي النـاس تـبقى أنتَ تـذكُرني
ويـــتركُني جـميع الخـلقِ لكـن لستَ تـتركُني
أُحِبُّكَ يومَ ترأفُ بـي عـلى نـعشي وفـي كـفني

※ ※ ※

ويـوم يُـهيل فـوقي الصحو نسياناً يُـستِّرُني
أُحِـــبُّكَ مُـــدرِكاً أنـــي عـلى سَـوئي ستقبلُني
وتفتح بابكَ العلويَّ فـي جنانِ العدل والأمـلِ
أُحِـــبُّكَ يـــاصباح الروح يـــاتسبيحةَ الزمـــنِ

أبكيكِ فخراً .. لا حِداداً

وبينما كانت ميسون تُبادلنا الحديث بعذبِ كلماتها وشهدِ روحها ما انفكّت أناملها تُلامس صورتين في يدها كانتا قد وصلتا من خلال مواجهات القسم الرابع وبطريقةٍ ما .. إحداهما صورتها وهي جالسة في حديقة منزلهم الكبير تضاهي زهورها بهجةً وجمالاً ، كانت مبتسمةً ترسم إشارة النصر بيدها اليمنىٰ ..

أما الصورة الثانية فكانت لقدوتها وخطيبها حُسام .. أبدت بعض الممانعة والحياء في إظهارها ، بَيْدَ أن احدىٰ الأخوات سحبت الصورة من يدها بمزاحٍ جعلها تنكمش بلا مقاومة .. كان يرتدي صدريّته الناصعة البياض ، منحنياً علىٰ أحد المرضىٰ ليفحصهُ بسمّاعةٍ طبيةٍ مُتدليةٍ من عُنقه .. ويبدو أن الصورة قد مرّت في (أبو غريب) لوجود كلماتٍ كُتبت حديثاً بخط حسام خلفها :

أبكيك فخراً إن بكوك حِداداً ... وأذوب فيك محبّةً ووِدادا
وأطوف في دُنيا الصبابة عاشقاً ... دقَّ الهوىٰ في قلبه أوتادا
فدمي الىٰ دمك الشريف مُسافرٌ ... وخُطاي تسبقني إليك جيادا[1]

لقد بلغ في تقديره لايمانها واحترامه لجهادها حدّاً كبيراً ، فكان لها في قلبه مكان مقدّس .. ولكن سبق السيف العذل ولاتَ حينَ مَناص ! فلقد عُرِّضَت للمخاطر وهي لم تزل غُصناً طريّاً .

بينما بعض الأخوات يقرأن الأبيات ببكاءٍ هادىءٍ ، كان البعض الآخر يتهامسن ويتلاطفن معها بذكر إسم خطيبها .. تورّدت وجنتا ميسون بحُمرة الخجل وبَدتْ كأنها شمس ما بعد الفجر ثم أطرقت مُبتعدة باتجاه الممر وقد طواها الحياء طيّاً .

ولأن للقسم الرابع فُرصاً أكثر ، طلبت ميسون قلماً ، فهرولت إحدىٰ الأخوات لتوفير قلمٍ يتيمٍ كضيفتنا ، صغيرٍ كادحٍ لم يبق من عمرهِ إلّا القليل ..

---

١ – من قصيدة (بكاء بلا دموع) للشاعر فراس الترابي.

إلتقطته وكتبت خلف صورتها أبياتاً من الشعر كانت قد حفظتها، لتُسلّم فيما بعد الىٰ حُسام وعن طريق والدته التي تأتي كل شهر لتسليم المواجهة لابنتها (أنعام) ولتنقل أخبار (ميسون) لابنها حُسام:

ياقلب لاتجزع إذا عَضّكَ الأسىٰ	فإنك بعد اليوم لن تتألما
وياقدمي ماسُرت بي لمذلةٍ	ولا ترتقي إلّا الىٰ العز سُلّما
فلاتبطئي سيراً الىٰ الموت واعلمي	بأن كريم القوم مَن مات مُكرما

❊ ❊ ❊

ودّعتنا ميسون بتلك الابتسامة الملائكية الجذّابة .. ودّعتنا وتركت في غرفتنا مسبحتها الحسينية المصنوعة باليد من التربة الكربلائية .. نسيتْها، ولعلها تركتها ذكرىٰ، وأي ذكرىٰ!

لم أتمالك نفسي ودموعي، احتضنتها لأشم فيها عبير الزهراء والحوراء .. شممتها لتنتعش روحي بأريج عطرها ونقاء سريرتها ..

ظلّت تلك الفتاة نموذجاً في ذاكرتي وقدوةً في ضميري .. خَلُدَت أحاديثها المتواضعة لذيذةً في فمي كعشاء الفقراء، مُضيئةً في روحي كترانيم الانبياء ..

فعند ميسون تتحرّر نفسك من كُلِّ القيود، لتسبح في ملكوتٍ شفاف تسمو به روحك الىٰ السماء .. عند ميسون تصول وتجول عيناك الغارقتان بالدموع، فتنقلك روحها لعالَمٍ متميز الأضواء لتعيش الاحساس العجيب بأريج جنّة الشهداء.

منهج .. وبطلة

تتذكّر جميع الأخوات اللاتي كُنّ معنا في منفىٰ (الرشاد) كيف كانت النفوس منشرحة لتآزرها وتآلفها والافكار منسجمة رُغم تنوّع مسمياتها ومشاربها ..

فجميعنا تقريباً قد وصل (الرشاد) بدافع حبّه للعراق وللإسلام العزيز، فالتُهم سياسية إسلامية ومواد محكمة الفرعون أدانت انتماءاتنا للحركة الإسلامية، وكان قطب الرحىٰ للحركات الجهادية متمثلاً بتنظيمات حزب الدعوة الإسلامية ومن ثم

بمنظمة العمل الإسلامية ، وكانت ساحات العراق الحمراء وطواميره السوداء قد شهدت لخُطوط وخلايا هذين التنظيمين بالتضحية والفداء ..

نعم ، تشعّبت المناهج بَيْدَ أنهُ قد ائتلفت الغايات ، والطرق الىٰ الله بعدد أنفاس الخلائق .. فالوسائل متعدِّدة والغاية واحدة ولاهدف سوىٰ إسقاط عرش الطاغوت وتحكيم الإسلام في عراق المقدسات ..

ويجب أن نعيش هذا الأمل في عقولنا وقلوبنا ليكون حُلُم الحاضر والمستقبلِ كما هو حال جميع التيارات الشيوعية والقومية والاشتراكية والليبرالية التي يدعو كُلٌّ منها لبناء دولته علىٰ أرض عراق المقدسات !

لذا فلابدَّ من الممارسة العملية في خط الإسلام ضد ضغط المناهج المنحرفة والافكار الدخيلة ، لانه ليس من الصواب في سوق العقلاء بذل المحاولات لإذلال النفاق وإسقاط دولته بدولة الإسلام بلا وسائل منظّمة أو مناهج مقرّرة «اللـهمَّ إنّا نرغبُ إليكَ في دولةٍ كريمةٍ تُعزُّ بها الإسلام وأهله وتُذِلُّ بها النفاق وأهله وتجعلُنا فيها من الدُّعاة الىٰ طاعتكَ والقادة الىٰ سبيلكَ»[1] .

فالعراق ومقدّساته الإسلامية أمانة الله في أعناق كل الشرفاء المخلصين مهما تشعّبت مناهجهم واختلفت رؤاهم مادامت الغاية طرد هؤلاء العُتاة الذين جاءوا من شقوق الليل واحتلّوا العراق المُضيء .

ولأجل ذلك امتلأت المنافي والسجون في تلك السنين ، ومنها سجن الرشاد ، بخيرة رجال العراق ونسائهِ الصالحين .

ولكن وبالرغم من كل هذا الوضوح في وعي المِحنة ومتطلبات الضغط المرحلي ، نجد أحياناً مَن يحاول تفضيل انتمائه الساكن[2] عن انتماءات الآخرين ، وهذا الأمر نادراً ما يحصل في (الرشاد) فضلاً عن (أبو غريب) ..

بل وتتذكّر الأخوات الزينبيات جيداً أننا نادراً ماكنّا نلتفت الىٰ هذا

---

١ – من دعاء الافتتاح لبقيّة الله الإمام الحُجّة (عج) .

٢ – ليس بالضرورة أن تكون جميع الأخوات المؤمنات السجينات اللاتي وصلن سجن الرشاد مجاهدات بالمعنىٰ المبدائي الدقيق .. فهناك قضايا (تجاوز حدود) مثلاً أو حالة حماس إسلامي وتفاعل جهادي لحظي أحياناً ، وهكذا .

التداعي . لقد بقينا سنيناً ولم يخطر ببال واحدةٍ منّا أن تسأل الأخرىٰ عن شرعية هذا الحزب أو تلك المنظمة !! فذاك أمر كان ومازال جديراً بالسخرية والاستخفاف.

ولأن توضيح الواضحات من أشكل المشكلات ، فقد حصل ذات يوم شيءٍ من هذا القبيل ! ومع مَن ؟ مع ميسون !! ياللعجب ..

فقد وصل الىٰ مسامع بطلتنا الغالية (ميسون) أن إحدىٰ الأخوات في غرفة (النجف) تستفسر وبحُسن نيّة عن شرعيّة الانتماء - فضلاً عن العمل - الىٰ منظمة العمل الإسلامي التي انطوَت ميسون تحت لوائها ؟!

بماذا تجيبها ميسون ؟ وكيف !

ميسون التي تفاعلت مع كل المناهج والرؤىٰ الخيّرة ، والتي طالما ردّدت عبارتها الخالدة «أخواتي .. نحن بنات المحنة ، أهدافنا واحدة» ماذا ستقول ؟

ميسون التي طالما كانت تتغنّىٰ بالإمام الخميني والشهيد الصدر والشهيد حسن الشيرازي وبالآخرين من شهداء وأبطال الإسلام ، والتي كان شعارها الوحيد «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1] بماذا تجيب ؟!

ميسون التي امتلكت وعياً سياسياً هادئاً ارتكز علىٰ فهمٍ عقائديٍّ عصامي فانتمت الىٰ منظمة العمل الإسلامي لالشيء إلّا لأن قادة هذه المنظّمة قد رفعوا شعار «أشرف الموت قتل الشهادة»[2] كيف ستُقنع الأُخت ؟!

أتُجيبها بأن إسلاميّي منظمة العمل والجهاد الذين طالما أرّقوا أزلام أمن الفرعون بعملياتهم النوعية وزعزعوا كيانهُ ببطولاتهم الاستشهادية[3] قد كتبوا علىٰ جباهِهم «مَن ترك الجهاد ألبسهُ الله ذُلّاً في نفسه وفقراً في معيشته ومحقاً

1- ميزان الحكمة ، ج ٢ : ١٢٤٨.

2- حديث شريف للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

3- كعملية (عاشوراء) في كربلاء عام ١٩٧٩م التي نفذها الاستشهادي البطل طالب العليلي ، وعملية (المستنصرية) في بغداد عام ١٩٨٠م التي نفذها الاستشهادي سمير نور علي ، وعملية (الوزيرية) عام ١٩٨٠م التي نفذها الاستشهادي (أبو خالد) ، وعملية السفارة (البريطانية) في الصالحية ببغداد عام ١٩٨٠م التي نفذها الاستشهادي عبدالوهاب عبدالرزاق ورفاقه ، وعملية السفارة العراقية في روما عام ١٩٨٠م التي نفذها الاستشهادي مظفر بكر ورفيقه ، وعملية تفجير مخازن كركوك التي نفذها الشهيد أبو محمد الموسوي ، وعملية مديرية (الأمن) العامة ببغداد عام ١٩٨٣م التي نفذها الاستشهادي إبراهيم سلمان وعملية (دار الحرية للطباعة) ببغداد عام ١٩٨٢م التي نفذها أحد أبطال المنظمة ، وعملية تفجير مقر (الجيش الشعبي) في الزعفرانية ببغداد عام ١٩٨٤م التي نفّذتها مجموعة الفقيد فلاح عبدالكريم القباني.

في دينه» ..

بل أُ نُجيبها نحن الذين كان لنا شرف الانتماء لتنظيمات حزب الدعوة الإسلامية ، ان هذا الشموخ البطولي والرسوخ العقائدي وذاك الاستعداد الذي لانظير له للتضحية بالغالي والنفيس والذي تمثّل في (ميسون) لم يأتِ من فراغ ، بل هو نتاج منهج جهاديٍّ استشهاديٍّ واعٍ لهُ إرثهُ وتراثه ، إسمهُ (منظمة العمل الإسلاميّ) ..

أ نُخبرها أن (ميساء) ليست الأولىٰ ولا الأخيرة في سجلِّ زينبيات المنظمة ، فقد سبقتها العديد من الشهيدات أمثال ؛ فائقة صدقي وفاطمة الكبابي ورضيّة الكبابي وأم محمد وسُميّة (أمُ حيدر) .

ولكن لا .. لنكتفي بما وجدتهُ ميسون مناسباً ، سيّما وأنها قد شخّصت ضرورة الاجابة والدفاع عن المنهج الذي آمنت به والدرب الذي مشت فيه ..

ويبدو أن ميسون قد درست الحالة النفسية والجذور الفكرية للأُخت التي أثارت هذا الموضوع ، فوجدتها من اللاتي يتمسّكن بالنصوص دون الواقع والشهود ..

ولان ميساء تؤمن بالكلمة الحانية الوادعة ، قرّرت إرسال إستفتاء بهذا الخصوص مُعنْون لسيد الطائفة المرجع الأعلىٰ في النجف الأشرف السيد (أبو القاسم الخوئي)ﭬ .. وقد ساعدت بعض الأخوات الفاضلات من القسمين الثالث والرابع في إيصال الاستفتاء وإرجاع الجواب ..

وفعلاً كانت الفتوىٰ تُجيز الانتماء والعمل وتُبرىء الذمة مطلقاً للعاملين في جميع التشكيلات الإسلامية بمن فيهم منظمة العمل الإسلامي ، مادامت الغاية في النيّة مرضاة الله عزَّ وجل والتمسُّك بشرعه .

تقول الأُخت الفاضلة السجينة عليّة الحسيني :

«حاولت الشهيدة ميسون الحصول على جوابٍ لاستفتاءٍ شرعيٍّ يَقنع إحدى الأخوات في القسم الثالث بشرعية جميع التشكيلات السياسية الإسلامية بمن فيهم منظمة العمل الإسلامي ، وبأن العمل فيها ضد النظام التعسفي البعثي هو مُبرئ للذمة ..

وبالفعل وبعد التنسيق في إيصال الاستفتاء ، جاء الجواب ولكن بالمعنى العام لا بالنص ، والعتب على الذاكرة .. كان الجواب ممضي بالختم الشريف للمرجع الأعلى السيد الخوئيﭬ ، وكما قلت كان

الجواب بالمعنى العام - ما احسبه صورة من نص الفتوى - كالتالي :

بسمه تعالى

العمل مع من ذكرت مقبول ومبرئ للذمة ان شاء الله تعالى مادام عملك لله وللإسلام ومادمت لاتعرفين عن هذه الجهة إلا الخير ..

ختم
السيد ابو القاسم الخوئي ﷺ

رجاء .. وعهد الوفاء

بعد بذل الجهود الجهيدة وإغداق الأموال الطائلة من قِبل والد ميسون ، تسرَّب خبر يؤكِّد تخفيف حكم الاعدام المرتقب الىٰ مؤبد !!

فوالدها لم يزل يجهل أن جميع أمواله ومحاولاته قد ذهبت أدراج الرياح ، لأن أزلام أمن النظام كائنات قد تطبّعت علىٰ الكذب وبغض الخير .. فلا يمكن أنْ نرجو منهم الوفاء وقد عجنت طينتهم بالغدرِ والدهاء .

بَيْدَ أن ميسون لم تهتم كثيراً بالأمر ، فهي مازالت - كما كانت - مبتسمة هادئة .

ولأن وجهها الطفولي الموحي بأنها دون السن القانوني لتنفيذ حكمهم الجائر ، أخذوا ميسون بعد أيام قلائل من انتشار الأشاعة الىٰ مستوصفٍ صحيّ صغيرٍ قريب من السجن ثم أخضعوا اسنانها لفحصٍ طبيّ ليتسنّىٰ للطبيب المختص تحديد عمرها الحقيقي وليضيف بنفس الوقت سنتين الىٰ عمرها ليقطع أي أملٍ لتأجيل تنفيذ الاعدام !

لقد كتب طبيب الأسنان تقريراً مُعتمداً أثبت من خلاله أن ميسون قد تجاوزت السن القانوني الذي يسمح بتنفيذ حكم الاعدام الصادر .

أبتاه ماذا قد يخط بناني ... والحبل والجلاد ينتظراني
هذا الكتاب إليك من زنزانة ... مقرورة صخرية الجدرانِ
لم تبقَ إلّا ليلة أحيا بها ... وأحسُّ أن ظلامها أكفاني
ستمر ياأبتاه لست أشك في ... هذا وتحمل بعدها جثماني

❊ ❊ ❊

أنا لستُ أدري هل ستُذكر قصتي ... أم سوف تعروها رحىٰ النسيانِ
أو أنني سأكون في تأريخنا ... متآمراً أم هادم الأوثان ؟
كل الذي أدريه أن تجرّعي ... كأس المذلة ليس في إمكاني[1]

❊ ❊ ❊

ينص دستور الفرعون في إحدىٰ فقراته علىٰ السماح لاهالي المحكومين بالاعدام بالمواجهة لمرةٍ واحدةٍ ولدقائق قليلة بذويهم قبل تنفيذ أحكام الاعدام ، غير أن ذلك القانون لم ولن يتم تنفيذه مطلقاً ، سيّما في قضايا الإسلاميين في حقبة الثمانينات ..

ولان إدارة ورقيبات سجن الرشاد قد تعاطفن مع ميسون ، فقد أُرسل الىٰ أهلها لمواجهتها قبل أخذها الىٰ (أبو غريب) لتنفيذ الاعدام ولكن شيئاً ما ظل مجهولاً حال دون تحقيق ذلك ، فلم يصل التبليغ لاهلها ولم تتم المواجهة ..

ولان والدة د. حسام ظلّت تتردّد علىٰ سجن (الرشاد) أيام المواجهات الشهرية وغيرها من المناسبات والأعياد ، فقد سمحوا لها بالمواجهة واللقاء مع ميسون ..

تنقل لنا الأخت السجينة (أم إيمان العبّاسي) مقطعاً من اللقاء :

ميسون :

خالتي العزيزة ، لي عندك رجاء فلاتتردّدي في تحقيقه ..

والدة حسام :

أُطلبي ماشئت يابنتي .. والله لو تَطلّب الأمر أن أفديك بروحي لفعلت ..

- أشكرك ياخالة .. أُريدك أن تذهبي الىٰ أهلي وتطلبي يدي رسمياً ، فأنا قد قطعت عهداً لحسام ويجب أن أفي به .

إحتضنتها الأم التي ستُثكل بولدها وبخطيبته في آنٍ واحد ثم بكت بكاءً مُرّاً وأنّت أنيناً طويلاً .

هدّأتها ميسون ومسحت دموعها بأناملها الناعمة وبعد لحظات قالت الأم :

---

١ - رسالة شهيد .. من ديوان (جراح مصر) ١٩٥٥م للشاعر الشهيد هاشم الرفاعي .

بُنيتي ميسون ؛ أليس قريباً سينفذون بكِ وبحسام حكم الأعدام ؟!

– نعم .. ولكن أرجوك ياخالتي العزيزة أن لاترَدّي طلبي .

– لا ، لن أردَّ لكِ طلباً يابنتي ، لكني كنت أتساءَل فقط .

وتستمر الأخت السجينة في حديثها الذي تقطّع بسبب العَبَرات مرّات ، وقالت :
«نعم ، لقد نفّذت أم الشهيد حسام وصية الشهيدة ميسون ، حيث ذهبت الى أهلها وطلبت يد ابنتهم رسمياً ..

لكن أهل ميسون بقوا صامتين ، لايعرفون بماذا يجيبون هذه المرأة التي ستُثكل مثلهم بفلذة كبدها ..

أم ميسون التي لم تعرف مغزىٰ هذا الطلب الذي رغبت ابنتها في تحقيقه ، بكت بكاءً طويلاً ثم قطعت الصمت وقالت : لقد خَسِرَت ابنتي شبابها وضيّعت نفسها ، فما فائدة هذه الخطبة الآن يا أم حسام ؟!»[1] .

أُمّـاه قـد عـزَّ اللقاء وفي غدٍ — سـترين نـعشي كـالعروس يسيرُ
وسينتهي المسعىٰ الىٰ اللحد الذي — هـو مـنزلي ولهُ الجـموع تـصيرُ
قـولي لِـرَب اللحد رِفـقاً بـابنتي — جـاءت عـروساً ساقها التقديرُ
أمّـاه لاتـنسي بـحقِّ بُـنوتي — قـبري لـئـلا يـحزن المـقبورُ[2]

التوديع .. عنوان أُمّة

تمرّ الأيام وميسون تَترقّب الغد وما يحمل من مفاجآت ، فهي تـتأمّل مـوعد الرحيل بولهٍ واشتياق ، سيّما وقد أفرغت قلبها وجـميع أحـاسيسها مـن سـراب الدنيا ومتعلقاتها ..

مضىٰ أسبوع ، وها قد حان اللقاء .. كان الجو غائماً حزيناً ، فلم تشرق شمس

---

١ – تحدّياً لعصابة الجور المجرمة ووفاءً لروحَي الشهيدين (حُسام وميسون) أقدم أحد إخوة الشهيد – وكان خريج كُلية – لخطبة إحدى أخوات الشهيدة – وكانت خرّيجة هندسة – وكاد يُكتب للمشروع النجاح في تأصيل الأُلفة بين العائلتين المفجوعتين لولا والدا الشهيدة ميسون اللذان رفضا هذه المرّة أيضاً !!

٢ – من قصيدة رثاء لعائشة خانم التيمورية ترثي ابنتها .

يوم الأربعاء ١٩٨٥/١/٢٣م بخيوطها السوداء إلّا وسيارة الاعدام جاثمة عند الباب الرئيسي لمنفىٰ (الرشاد) ..

نزل ضابط مفرزة الاعدام من السيارة ومعه ذلك الجلّاد[1] ذو الملابس السوداء والوجه الغائم المُنبىء برعدٍ وبرق .. استلمت ادارة السجن من الضابط كتاباً رسمياً (ورقة) يحمل اسم ميسون غازي الأسدي !

إنتشر الخبر سريعاً كالنار في الهشيم ، وما هي إلّا دقائق حتىٰ جاءت السجّانة الرقيبة (نوريّة) الىٰ القسم الثالث تفتّش عن ميسون وتنادي باسمها ، فعرفت الأخوات السجينات ان الضحيّة المطلوبة للاعدام هذا اليوم هي ميسون .. وكالعادة المألوفة أخبرنها أن ميسون في الحمّام ليتسنّىٰ كسب الوقت وإتاحة الفرصة الكافية لها للإغتسال والتعبُّد ببعض المستحبّات كما هي السُنّة الجارية .

إستقبلت ميسون النبأ بوجهٍ مُشرقٍ وضّاء وأسرعت للحمّام واغتسلت غسل الشهادة . ثم صلّت ركعتين وقرأت بعض ما سمَحَ به الوقت من قُرآنٍ ودُعاء .. بعد ذلك لبست الكفن تحت حجابها وعباءَتها وشدّت عليه بأحكام ..

تزامَن أن أُجريت في ذلك اليوم الغائم بعض الترميمات في الأقسام السياسية ، فأمرت إدارة السجن سجينات الأقسام (٢ ، ٣) بالتجمُّع في قاعة المواجهة والتي هي عبارة عن صالة كبيرة مُسقّفة ..

ضَجَّ المكان بالبكاء والنحيب الذي صار يتصاعد من جميع زوايا القاعة الكبيرة ، فالكُل لم يتمالك نفسه فقد بلغَ الحُزن بالزينبيات مبلغاً عميقاً .

خرجت ميسون من القسم الىٰ فناء الصالة علىٰ أجمل هيئة كأنها عروس ترنّمت بثوب زفافها ، فابتسامتها لم تَزَل تعلو وجهها الوضّاء ، مِمّا جعل الرقيبات (مي وأم علي ورابحة وهاشمية وسميرة وجنان) فاغرات الأفواه لسحرِ جمالها وما صنعته يد القدير من رسم صورتها ..

وجَمتْ عيون الزينبيات وهنَّ ينظرنَ بأسىً وحُزنٍ شديدين الىٰ هذه الحوريّة الأُنسيّة ، فالوجوه مُخضّلة بالدموع إلّا ميسون التي صَمَّمت ألّا تبكي ..

---

١ - الذليل المقبور (أبو وداد) ، الذي كانت الشهيدة ميسون آخر ضحاياه .. حيث جاء بعده المجرم الجلّاد (أبو سعديّة) .

إنتظمت الأخوات في شكل شُبه دائرةٍ لتوديعها .. وقفت ميسون في الوسط وحاولت كسر الصمت الجاثم على الأرواح الحزينة فقالت : «لِمَ كُلّ هذا الحُزن والبكاء ؟! فبعد قليلٍ سأرحل الى ماكنتُ أتمنىٰ .. بل عما قريب سأكون في مجلس الزهراء وزينب الحوراء ...» .

صعدت ميسون علىٰ شيء مرتفع يشبه الكرسي وبدأت تخطب في أروع وقفةٍ عزّ نظيرُها في تاريخ سجن (الرشاد) .. لم يُحركها رَدُّ فعلٍ ، بل هو المنهج ذاته والهدوء ذاته .. كانت تُردِّد الآيات القرآنية التي تحمل بشائر الانتصار ضد الطاغوت وجبروته بتحقيق الوعد الإلهي والثورة الإسلامية وقيادة الدين والقانون .. **﴿أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾**[1] . **﴿فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾**[2]

كانت توصينا بأن «لاتيأسنَ أو تبتئِسنَ ، فالحق مُقبل والباطل مُدبر وما النصر إلّا من عند الله القوي الجبّار»..

ثم أنهت خطبتها بوصيتها الأخيرة : «أخوات .. أرجوكم لاتتفرقوا لطول الفتنة وكونوا يداً واحدة» وذكّرت بقوله تعالىٰ : **﴿أحسبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾**[3] .

نزلت تودّع الأخوات الواحدة تلو الأخرىٰ باسمه الثغر تُكفكِف دموعهُنّ بأناملها الصغيرة .. كانت كالبلبل المُغرِّد تطير من غُصنٍ الىٰ غُصن وهي تُردِّد شيئاً من القصيدة التي انشغلت بها ولازمتها طيلة اسبوعها الأخير والتي طالما كانت تتغنّىٰ بها وتُرتِّب اللحن المناسب لها مع نفسها بهدوءٍ عذبٍ جميل ..

النورُ ملءُ عيوني والحور ملكُ يميني
وكالملاك أُغنّي لجنّةٍ وعيونٍ

١- سورة آل عمران : ١٤٢ .
٢- سورة طه : ٧٢ .
٣- سورة العنكبوت : ٢ - ٣ .

كانت تودّع الأخوات وهي تتمايل طرباً كسعفات المحيط[1] . فهي تحوم حول الزينبيات السجينات كالفراشة حول أضواء الشموع ، والنشيد يخرج من شفتيها كتغريد البلابل ..

هذي الجِنانُ مَراحي   وعِطرُها من جِراحي
سِحرٌ وروحٌ وراح   يـــانفسُ أيَّ رواحِ

كانت عيون الرقيبات تنظر الىٰ ميسون متسمّرة مُستغربة ! تُرىٰ لِمَ كُـل هـذه السعادة ولم يفصلها عن الموت إلّا سويعات ؟! بَيْدَ أنَّهنَّ لم يبقين علىٰ هذه الحـال طويلاً ، فقد سالت الدموع من العيون الحجرية حُزناً علىٰ مشهد التوديع هذا !! نعم ، بكت الرقيبات رُغم كونهن حيوانات حراسة للفرعون ولمؤسساته الارهابية .. أما الرقيبة الحقودة الظالمة (أُم سفيان)[2] والمكلَّفة بسحب ميسون الىٰ سيارة مفرزة الاعدام ومرافقتها الىٰ (أبو غريب) فقد هزّها هي أيضاً مشهد التـوديع ! وصـارت تبكي بصوتٍ عالٍ ، فحالها حال الأخوات !!

نعم .. كان التوديع بحق مشهد عز وإباء منهج وشموخ أُمّة .. لكن ذلك لم يدم طويلاً ، فقد أطلّ الشيطان (الجلّاد أبو وداد) برأسه من الباب الكبير للقاعة وصـار ينهق بصوته الأجش علىٰ الرقيبة (أُم سفيان) يستعجلها بـجلب الضـحيّة .. وفـعلاً طلبت (أُم سفيان) من بطلتنا ميسون مغادرة القاعة ، وقبل أن تستجيب بأدبٍ جَم إلتفتت مبتسمة وطلبت برجاءٍ أن لا يبكي خلفها أحد ، وكان لها ما أرادت ، فما أن مشت صوب الباب حتىٰ تعالت الصلوات والتبريكات من كُلِّ جانب ومكان ..

وهكذا تقدّمت ميسون بروحٍ مشرقة ونفسٍ مطمئنة الىٰ حيث ينتظر الجلّاد .. ذهبت مهرولة كأنها حمامة فُكَّ قيدها بعد طول حبس ، لقد آن الخلاص من قفص الطين وأدران الأرض .

---

١ - المحيط : إسم حيٍّ سكني في مدينة الكاظمية ، يكثر فيه النخيل .

٢ - أم سُفيان : هي الكُنية التي كانت تفتخر بها الرقيبة المجرمة (إيمان) ، فكانت تقول لنا - لأغاضتنا - «إذا تزوجتُ فـسيكون اسم ابني (سفيان) ، فهي لاتقبل أن يُنادى عليها إلّا بـ(أم سفيان) إعتزازاً وتحدّياً» .

وما أن وصلت الحوريّة الباب حتىٰ تقدم الجلّاد بجسده المترهّل مُسرعاً باتجاهها لاستلامها، كان حانقاً بسبب تأخرها كثيراً عن الوقت المحدّد والمألوف .. وضعَ القيود الحديدية – أساور الحزب – في مُعصميها وهو يُردِّد بغضبٍ وحقد: «يَلّه إشطلعتْ هاي .. شنوا إشعِدنَه زَفّة عرس ؟!» كان ضابط المفرزة يقف خلفهُ عند الباب وقد بدا الحزن – ولاول مرّة – واضحاً علىٰ قسمات وجهه.

أما ميسون فقد قابلت الجلّاد بِشموخٍ ورباطة جأش، فلم يصدر منها ما اعتدنا علىٰ سماعه من سجينات قضايا التجسُسِ والشيوعيّات من ذلٍّ وتوسُّل.

وقبل أن تُغادر ميسون الصالة وتتوارىٰ خلف الباب وإلىٰ الأبد، إلتفتت إلىٰ الزينبيات وقد انطبعت علىٰ قسمات وجهها إبتسامةٌ عريضةٌ زادتها بهاءاً وجمالاً، ثم رفعت يديها مُلوّحةً بأشارة النصر ثم ضَربت بقبضاتها في الفضاء لتُعلِن للأجيال عن وقفةٍ بطولة وثبات دين ورسوخ غاية ..

ودَّعتنا ثم استدارت الىٰ الأقسام الأُخرىٰ غير السياسية التي خلف الباب والتي يبدو أنهم قد تجمّعوا أيضاً لمشاهدة وتوديع ميسون .. رفعت البطلة يديها المقيدتين الىٰ تلك الأقسام والابتسامة لم تَزل تعلو ثغرها لم تُفارقهُ أبداً ..

هرولت ميسون صوب سيارة الاعدام الجاثمة عند باب السجن الرئيسي، فهي لم تكن تنتظر الموت وإنّما كانت تبحث عنهُ بلهفةٍ واشتياق!

خرجت حمامة الكاظمية نحو سيارة الموت عزيزة النفس شامخة الرأس كابنة إمامها أمير المؤمنين عليه السلام الحوراء زينب التي لم يُثنها فقد الأحبّة وعويل الثكالىٰ والأَسر وشماتة الأعداء من أن تقف في وجه الباطل الجائر كالجبل الأشم لتقول كلمتها الخالدة خلود الأحرار والثوّار: «فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالىٰ **﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خيراً لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مُهين﴾** ...»[1].

❊ ❊ ❊

ما أن اختفت ميسون عن أنظارنا حتىٰ تعالىٰ الصراخ والنحيب في فضاء الصالة

1- من خطبة للحوراء زينب في مجلس يزيد.

مدوّياً بشكلٍ عجيب .. كانت السماء مُلبّدة بالغيوم والأرواح مُكبّلة بالآهات والهموم .. أيُّ يومٍ أسودٍ هذا الذي تُقتل فيه ميسون ؟!

لم تهدأ الأقسام السياسية طيلة نهار ذلك اليوم ، فالبكاء والنشيج مازال يتصاعد من كُلِّ زوايا القاعة الىٰ نحيبٍ وعويل .. كان المشهد - وربّي - فوق البكاء والعزاء .. ساعد الله قلب الزهراء ، ساعد الله قلب الحوراء ..

نعم ، أمست أفئدة حمائم (الرشاد) الحرّىٰ تبكي علىٰ حمامة (الكاظميّة) بزفراتٍ مُرَّة .. فالآهات لم تزل تطوف أعماق أرواحهنَّ جمراتٍ جمرات .

كم تكرّرت علىٰ أفواهنا في تلك الليلة هذه الكلمات التي حفظناها منذُ الصغر :

ياكوكباً ماكان أقصر عمرهُ ... وكذا تكون كواكب الاسحارِ
إنّ الكواكب في عُلوّ محلِها ... لتُرىٰ صغاراً وهي غير صِغارِ

غادَرت ميسون (الرشاد) وكأن الأمل والشفافية قد غادرا أبصار الأقسام السياسية .. فقدناها ، لكننا مازلنا لم نفقد الأثر الكبير الذي تركتهُ في نفوسنا وعقولنا رُغم صُغرِ سنّها .

أجمل الحكايات

الحديث - أخي القارىء الكريم - عن ميسون يطول والكلام فيها يحلو سيّما بعد أن اختتمت حياتها في أجمل الذكريات ، غير أن الصور المتزاحمة المتدافعة من بعيد وعلىٰ لسان صويحباتها السجينات قد شغلتني عن قلمي .. فها هي الذكريات قد احتشدت في خواطر الأخوات اللاتي تَسابقنَ للحديث عن مشهد التوديع بعد أن فتحنَ دفاتر الماضي فاختصرنَ سيرتها وشرعن للتحدّث عنها :

تقول السجينة المجاهدة الأُخت (مريم الشروفي) :

«وصلت الشهيدة ميسون سجن (الرشاد) نهاية عام ١٩٨٤ م ، وكان قد سبقها العديد من الشهيدات أمثال الحاجّة رجيحة .. إستثمرت ميسون في السجن كل وقتها وما تبقىٰ من عمرها - وهي في زهرة شبابها - في العبادة وقراءة القرآن والدعاء .

في صباح يومٍ باردٍ من بداية عام ١٩٨٥ م وبعد الساعة التاسعة صباحاًعلمنا بوجود تنفيذ للاعدام هذا اليوم .. ولكن بمن ؟! لا نعلم .. لا ندري مَن سينضمُ الى قافلة الشهداء ، لأن هناك وفي الوقت ذاته اربع أو خمس فتيات في عمر الزهور ينتظرن أيامهنَ الأخيرة ليتامين للمسير على درب ابي الأحرار ، كُنَ يقفن بصلابة الرجال الأقوياء امام طاغية زمانهن مُعلنات رضاهنَ بقضاء الله وقدره .

ثم دخلت الرقيبة (السجّانة نورية) الى الصالة ونادت : اين ميسون ؟ فعلمنا ان الاعدام هو حصتها . لذا كُنّا إذا تم استدعاء ايّ واحدة من الأخوات المحكومات بالاعدام ، نقول مثلاً : انها في الحمام ، لكي نكسب بعض الوقت لنُعلِم فيه الضحيّة لئلا تراها الرقيبة ومن ثم لِنُخْلي لها سبيل الاغتسال والصلاة ركعتين وقراءة بعض سور القرآن والأدعية وارتداء الكفن المُعَد لها مُسبقاً ..

ثم يحين وقت التوديع ، وياله من توديع .. والله لو تاتي كل كاميرات الدنيا لتصور ذلك المشهد لما اعطتهُ حقه، مع يقيننا بأنه مُصور ومحفوظ عند البارى جلّ وعلا ..

لقد كانت الشهيدة الغالية كالفراشة الجميلة التي تتنقّل بين الأزهار وهي تطير مُغرِّدة ومُردِّدة أجمل التعابير واعذبها بعزمٍ ويقينٍ ثابتين وبعقيدة راسخة لا تهزها او تزعزعها العواصف البربريّة ، وهو نشيدها : (النورُ ملءُ عيوني .. والحورُ ملكُ يميني) كانت تعانق الأخوات للتوديع ، تقرا مقطعاً عند هذهِ ثم تعانق الأُخرى وتقرا المقطع الآخر وهي تُكفكف - اثناء ذلك - دموع الأخوات بيديها ، حتى انفجر الجميع بالبكاء وضجّت جدران المكان واخذت تئن لهول المصيبة ..

وأقسم باني رايت تلك الرقيبة (السجّانة التي كانت تكرهنا)[1] تبكي وتكفكف دموعها ، حيث قالت لميسون وبحزنٍ وألم : (إطلَعي .. إطلَعي) حينما حضر عند الباب ذلك الجلاد ذو الملابس السوداء والوجه الخشن والشاربين الكثيفين ، والذي وضع لاحقاً الجامعة الحديدية في يديها الغضّتين .

خرجت الشهيدة ميسون الى فناء السجن حيث كانت السجينات من جميع الأقسام الأُخرى في الساحة ، فاخذت تودّعهنّ وهن يبكين وينحبن وقد تعالى بكاؤهنّ وصراخهنّ من كل زوايا السجن الرهيب .. كل ذلك وميسون قوية شامخة ومبتسمة تُردِّد آيات الذكر الحكيم ..

وحينما وصلت ميسون الباب الخارجي رفعت إحدى يديها مشيرةً بعلامة النصر ، رافعةً إصبعيها الوسطى والسبّابة ، وتلوّح اليد الأُخرى مُشيرةً للوداع حيث تم نقلها لاحقاً الى سجن (ابو غريب) في قاطع الإعدام) .

---

(١) إيمان (أم سفيان) .

أما السجينة المظلومة الأُخت العلوية (زهراء البطّاط)[1] فتقول :

«كانت الشهيدة ميسون طيلة فترة (الرشاد) معتكفة على العبادة كما هو شانها في (موقف الأمن العامة حيث كنت معها .. لم أر الابتسامة قد فارقت ثغرها ابداً .. حتى جاء يوم تنفيذ الاعدام .. وكان يوماً رهيباً لاينسى .. فعندما تنامى الى سمعها خبر وصول الجلاد ، إغتسلت غسل الشهادة ولبست كفنها .. وبينما هي تودّعنا كانت شفتاها تردّدان أنشودة لها ومن تاليفها وقد وصفت فيها الشهادة وجنّات النعيم ..

جميع الأقسام ودّعت ميسون بالدموع ، بل بكت عليها حتى إدارة السجن والرقيبات وسجينات الأقسام الأخرى (الثقيلة والخفيفة) !!

أما ميسون فكانت تودّعنا وهي فرحة كانها في ليلة زفافها ...» .

وأضافت السجينة المجاهدة الأُخت (أم إيمان العباسي) تحدّثنا عن مشهد الوداع قائلة :

«جاءت السجّانة الرقيبة الى باب القسم ونادت باسم ميسون ، فما كان من الشهيدة إلا أن هبّت واقفة فرحة ، ثم أسرعت الى الحمّام واغتسلت ثم قرات بعض الآيات ودعاء العديلة وارتدت ملابس جديدة كانت قد هيأتها لمثل هذا اليوم وهي عبارة عن سروال أبيض ودشداشة بيضاء كتبت الأخوات عليها سورة يس ودعاء الجوشن الكبير والعديلة ثم ارتدت المانتو والعباءة ..

كانت ميسون تتحرك فرحة مسرعة كانها العروس في ليلة زفافها .. من يراها يظن انها ذاهبة لموعدٍ جميلٍ هام ..

أما نحن فكنّا نبكي لأمرين ، الأول : فقدان مثل هذه الروح الكبيرة والثاني : نبكي على انفسنا بعد ان احسسنا أننا لاشيء امام هذا الايمان .. كنّا كقطرات في بحر إيمانها ..

وبسبب تجاوز ميسون الوقت المقرّر للتوديع ، امتلأت بعض السجّانات غيظاً منها ، وصرن يتعجبن منها ويتساءلن ، ما بال ميسون ؟ ما الذي يفرحها ؟! اليست هي ذاهبة الى الاعدام .. الى الموت ؟!

---

١ - السجينة العلوية زهراء البطاط : هي أخت السيد محسن البطّاط الذي تمّ اعتقاله وأولاده الثلاثة منذ عام ١٩٨١م والى الآن ، وأخت الشهيد البطل السيد سهيل البطاط الذي ختم حياته بمواجهة مسلحة ضد أزلام أمن النظام عام ١٩٨٣م . يعرفها جميع أهالي منطقة التجيبية في محافظة البصرة الصامدة .. اعتقلت عام ١٩٨٤م وحكمت عليها محكمة الفرعون بالسجن (٧) سنوات ، قضت بعضها في سجن (الرشاد) ببغداد .. أطلق سراحها في عفو عام ١٩٨٦م .

كيف لمثل هذه القلوب السوداء المنحوتة من الصخر والتي خيّم عليها الظلام تعي أن ميسون كانت تعيش في عالمٍ ملكوتيٍ بعد أن انقطعت من جميع العلائق الدنيوية الى حيث الأنوار القدسيّة ..

هكذا ودعتنا ميسون ، كانت تردّد نشيداً جميلاً عذباً طالما ترنمت به حتى صار جزءاً من كيانها ووجودها ..

خرجت وهي تبتسم وتشبك كفيها وتقول : (كونوا يداً واحدة وروحاً واحدة) .. كان مشهداً لم ولن ننساه مادامت فينا ذاكرة.

هكذا ودّعتنا ميسون وغادرت (الرشاد) بعد أن نادتها يد الغيب ، فخفقت كحمامةٍ هَفَتْ الىٰ عشّها .. نقلتها سيارة الاعدام الىٰ مقاصل (أبوغريب) سالكةٍ طريقاً بمنأىٰ عن المدينة تراءىٰ لميسون من خلاله تلك المنارات المتلألئة في سماء بغداد ، فغادر الدمع عيونها صوبَ تلك الأُمسيات لقباب الكاظمية الشاهقات بعدَ أن شطَّ بينهم المزار وتعذَّر شدُّ الرحال .

أُغنية الشهيد

النــور مـلءُ عـيوني
والحـور مـلك يـميني
وكـــالملاك أغــنّي
لجـــنّةٍ وعـــيونِ

فـلا تـقولوا خسرنا
فـلتسألوا الأمس عـنّا
إن كان فـي الخُـلد خسرٌ
فـالخيرُ أن تـخسروني

* * *

أرىٰ الحـــياة مـتاعاً
ورحــلة وصــراعــاً
فـاخترتُ دربـي بـنفسي
وسـرتُ فـيه سـراعـاً

هـذي الجنان مراحي
وعـطرها من جراحي
ســــحرٌ وروحٌ وراحٌ
يـــانفسُ أيَّ رواحِ

* * *

فـصرتُ نـاراً ونـورا
وغـــنوةً وعـــبيرا
حـتىٰ مـضيتُ شـهيدا
مُـرحِّــباً بـالمنونِ

جُـلّاسي الانـبياءُ
وأُخـوتي الشـهداءُ
واللـه يـضفي عـلينا
ظِـلال حبٍّ حـنونِ

* * *

فـي جـنّة اللـه أحـيا
فـي الف دنـيا ودنـيا
ومـــا تـمنيتُ شـيئا
إلّا أتـــاني سـعيا

* * *

زواج في مدينة الموت !

وافق ضابط مفرزة الاعدامات على الطلب الذي تقدّمت به ميسون لتوديع خطيبها والذي تأمّله باستغرابٍ ودهشة ، ولعله وافق ليشبع فضوله بفصلٍ جديدٍ غريب من مسلسل (أبو غريب) الكارثي اليومي ..

وتمَّ اللقاء .. إجتمعت الاجساد أخيراً ، التقى الحبيبان وتشابكت روحيهما التي ما انفصلت مُذ تعارفت .. والتقت العيون بالعيون ، فهاهي ميسون وجهاً لوجه أمام حسام في لقاءٍ حالمٍ جيّاش بالشوق والعاطفة .

كان لابدَّ لميسون أن تفي بعهدها ، أن لا تخرج من الدنيا وفي روح قدوتها وحبيبها بعض عتب .. فالوفاء قيمة أخلاقية متأصلة في روحها ، وهي الوفيّة الأثيرة .

وهكذا تم عقد الزواج في معاقل الجهاد وصارت ميسون زوجةً لحسام وللحظاتٍ معدودةٍ فقط ! فهذا كل مابقي لهما من الدنيا .. بَيْدَ أنهم اتفقا على عهدٍ آخر ، فأن أفلحا ورزقهما الله عزّوجل الجنّة وحُسن الختام تعاهدا أن يبقيا زوجين هناك في الفردوس والى الأبد :

– ميسون !

– نعم حسام

– لي رجاء .. إن أفلحنا ورزقنا الله الشهادة ، هل توافقين أن تكوني زوجتي هناك في الفردوس ، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ؟

– بكل تأكيد ياقرّة العين وياحبيب الروح ، فأنا إن شاء الله زوجتك في الدنيا والآخرة .

إرتسمت على قسمات مُحيا حسام المُتعَب بعض إبتسامة وقال :

– ولكن بشرط أن لا يكون هناك مهرٌ جديد ..

– لا ، لا مهر هناك ياحسام .. فهناك الخير والجمال والنقاء ، إذ لا عناء ولا ظلمٍ أو خيانة .

- وداعاً حبيبتي ميسون .

- الىٰ لقاءٍ قريبٍ ياحسام .

ولكن أي حفلٍ للزواج هذا الذي يحيطه بدل الأهل والاحباب ، الجلّاد ووحوش الغاب !! أي احتفالٍ وعُرس هذا الذي يجمع العريسين ويقربهما الحبل وكرسي الكهرباء !!

يا أبناء الإسلام .. ياغيارىٰ العراق ، طوبىٰ لكم وهنيئاً لكم عرس الشهادة .

كم كانا يودّان الارتماء في صدور بعضهما ، ليطفئا هذا الأوار الملتهب من الحنين والعذاب لولا حياء السرائر وعِفّة النفوس .. كم كان يود حسام لو يعانق زوجته ورفيقة دربه بشوقه المتّقد .. يتلمّس جراحها ، يُجفّف دموعها الساخنة ، يُخفّف أحزانها الحارقة ، يحتضن آلامها بآلامه .. لكن سموّ أخلاقهم وعلوّ آدابهم حال دون ذلك .

صلّوا ركعتين قبل التفرّق .

إنتهت لحظات اللقاء التي سمح بها مزاج الضابط المسؤول .. سحبوهما ، فرّقوهما عن بعضهما وعيناهما متسمّرتان ببعضهما لم تتحركا ، تأبيان الانفكاك ، كانتا تسافران الىٰ بعضهما وتتعانقان .. كانا كأنهما روحاً انفصلت الىٰ شطرين ..

ودّعته وهي تمسح دموعاً تأبىٰ أن تتوقف . إنسحبت وهي تصارع آلاماً ما انفكّت تتصاعد .. ميسون التي أبت الانكسار أو البكاء أمام جولات الأوباش ، هاهي أمام الحبيب مُنهدّة صريعة الدموع والآلام !

لكنها وبرغم السيل الحارق المنهمر من عينيها وروحها كانت في قمة السعادة والانشراح .. فالوجه كان قريراً يستبشر ويستعجل الرحيل للمعشوق الأبدي والمحبوب السرمدي ، سيّما وقد تيقنت أن حسام سيكون معها رفيق رحلتها .

تقول السجينة المجاهدة (أم إيمان العبّاسي)[1] نقلاً عن الرقيبة التي رافقت ميسون الىٰ (أبو غريب) :

---

١ - إحدىٰ سجينات الحركة الإسلامية في العراق .. اعتُقلت مع زوجها عام ١٩٨٢م بتهمة (تجاوز حدود) ، حُكم على زوجها الشهيد (رعد محسن العاصي) بالأعدام وهي بالسجن عشر سنوات .. أُطلق سراحها في عفو عام ١٩٨٦م .

«عند غروب الشمس وقبل تنفيذ الإعدام بدقائق ، تم اللقاء بين ميسون وحسام .. كانت حريصة على اللقاء به قبل الاعدام لتفي بعهدها الذي قطعته له .. وافق الضابط على ما أرادت ، وفعلاً سمح لهما باللقاء ..

طلبت من حسام ان يقرأ عليها صيغة عقد الزواج ، وتم ذلك فعلاً .. ثم تعاقدا على عهد آخر ، فان شاء الله وكانت عاقبتهما الجنة سيكونان لبعضهما أيضاً .. لم يدم اللقاء سوى لحظات ، تفرقا بعدها لينفّذ فيهما حكم الاعدام ...» .

عروس على كرسي الكهرباء !

أخذوا ميسون وأدخلوها غرفة فيها كرسيٌّ حديديٌّ بشع .. تأملتهُ ولم تبالِ به كثيراً ، لان فراق حسام قد أيقظ كل جراحها المكتومة .. إنهمرت دموعها كالفيض ثم افترشت الأرض في زاوية الغرفة صريعة حزنٍ كبير .

جَنحتْ الشمس للمغيب واقتربت لحظات الغروب ..

دخل الغرفة شخصان بشعان يأتمران بثالثٍ ضابط ، تتبعهم الرقيبة (أُم سفيان) التي رافقت ميسون من منفىٰ (الرشاد) ..

سحبوها من الأرض بهمجيّة وأجلسوها علىٰ الكرسي الكهربائي وبدأوا يقيّدون يديها وقدميها ثم رأسها بأذرعٍ حديدية نصف دائرية ..

ولكن لِمَ كل هذه الوحشية ؟! إنهُ عقاب مَن يلعن الصنم .. لقد استلم ضابط (أمن) قسم الاعدامات – ممثل القصر الفرعوني في سجن (أبو غريب) المركزي – تقريراً من مدير سجن (الرشاد) المجرم النقيب حسن العامري يوضّح فيه أن السجينة (ميسون غازي) قد جعلت من لحظات التوديع في القسم الثالث مهرجاناً خطابياً تَحدّثْ فيه حكومة الفرعون وبشّرت بسقوط جبروته ..

فقرّر الاوباش إعدامها بالكرسي الكهربائي وتعذيبها حتىٰ الموت غُصّةً بعد غُصّة !!

أيّ ظلمٍ هذا الذي يمنع ضحاياهم من قول كلمتهم ووصاياهم حتىٰ قبل تنفيذ

الموت الأحمر بهم ؟!

أيّ نظام مغوليٍّ بربريٍّ هذا الذي يمنع ضحاياه من التغنّي بالقيم والمبادىء التي آمنوا بها والتي من أجلها ستُزهق قريباً أرواحهم ؟!

وهكذا تفتّقت أحقادهم عن خطّةٍ سوداء . لقد أفرغوا كل مالديهم من لؤمٍ ووحشيةٍ علىٰ جسد هذه الحورية المقيّد علىٰ كرسي (الحرّية) في رسالة البعث الخالدة[1] ..

بَيْدَ أن ميسون ومنذ مغادرتها (الرشاد) حتىٰ وصولها (أبو غريب) وجلوسها علىٰ كرسي الاعدام الكهربائي ، لم تطلب أو تتفوّه بما يقلل من كبريائها وإبائها .. كانت صامتة صامدة . ولكنها وبعد نصف ساعةٍ من التعذيب البطيء صارت تصرخ صرخات هستيريّة اختصرت كلَّ لغات الإنسانية . ولكن لا من مجيب ..

وشيئاً فشيئاً ضاعت صرخاتها بين طيّات صعقات الكهرباء وتحولت الىٰ أنين ، إنهُ أنين فتاة تحتضر .

طَلبتْ وبصوتٍ واهنٍ بعض ماء ، ولكن هيهات فالبعث يكره الزرعَ ! إنهم يقتلون الزهور عطشىٰ ..

يريدون من ميسون أن تمدح الصنم وهي تأبىٰ ، فيعاودون الصعق الكهربائي ثم يكررون الطلب فتُكرِّر الإباء .. كانت تعاني آلاماً دونها كل الآلام .

يامُثقلة الجفنين ..

أُختاه ميسون .. ماذا يسعني أن أقول ليطّلع أخواتك وأبناء وطنكِ علىٰ آلامكِ ؟! فالمشهد كان مُفزعاً مهولاً والقلم مازال عاجزاً ينوء بجراحات الروح .. ربّاه ، كيف لي أن أصف تلك الجريمة البشعة ؟!

لقد أحالت الكهرباء خدّيها المتوردتين الىٰ خشبةٍ صفراء .. كانت تجود بنفسها ،

---

١ - شعار حزب البعث العربي الإشتراكي الذي يحكم العراق : أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة وأهدافه : وحدة ، حرية ، إشتراكية !!

تئن بطريقة تُذكِّرك بأنين الحوراء يوم عاشوراء !

تَصفَّد جبينها الزاهر عرقاً ، سيطر الوهن على جسدها شيئاً فشيئاً فكأنها شمعةٌ ذابت روحها رويداً رويداً ، ولسوف تنطفىء بعد حين .

ميسونِ صبراً .. لم يبقَ إلّا القليل .

إبكِ يا أُخي .. إبكِ ياأُخيَّ، إبك ياوطني الحبيب ، فلميسون كل الدموع .

حاولَت رفع جفنيها فعجزت ، غير أن الرموش مازالت تتحرك والشِفاه مازالت تُتمتم تنبض ببقايا حياة .. فروحها لم تزل تصارع الموت البطيء ..

بقيت العينان ساكنتين بينما راح الجسد المقيّد ينتفض وينتفض ، ثم صار يتراخىٰ .. يتراخىٰ بعد أن حرَّكتهُ رعشة الموت ..

وهكذا ذَوتْ ميسون وخَبا نورها شيئاً فشيئاً حتىٰ انطفأتْ وساد الظلام .

القاتل يبكي قتيله !

نادراً ما تتعاطف الرقيبات مع ضحايا النظام ، وحتىٰ ولو بقي في قلب إحداهن بقايا إنسان تراهُنَّ يكتمن ذلك ولم يُصرِّحن به إمّا خوفاً من عيون النظام أو عِزةً بالاثم .. بَيْدَ أنَّ الأمر مع ميسون كان يختلف تماماً .. فقد وصفت الرقيبة المرافقة (إيمان / أُم سفيان) مشهد الاعدام وقالت :

«اثناء فترة تنفيذ الاعدام على الكرسي الكهربائي ، فتحت ميسون فمها عدة مرات .. كان لسانها جافاً كالخشبة ، لانها كانت وقبل توصيل الكهرباء بالكرسي قد طلبت قليلاً من الماء ولم يسمحوا لي بتوفيره لها ! وقد كررت الطلب اثناء جولات التعذيب .. كنت استشعر انفاسها ، كانت ناراً مستعرة .. إستغرق وقت التعذيب والأعدام قرابة الساعة او اكثر بقليل !» .

الرقيبة (إيمان) التي كان عملها ومرافقتها للضحايا صورةً رتيبةً متكررة ، قد قسىٰ قلبها ، فهو كالحجارة أو أشدُّ قسوة .. لكنها مع ميسون كانت تختلف .. لقد بكت من أعماقها ، وشاركت الأقسام السياسية - الغارقة بالحزن - بالدموع والنحيب المُر.. وهكذا تجلَّت حكمة الخالق عزّ وعلا إذ ساهمَ الجلّاد في نشر بطولة

الضحيّة !

سألتها إحدى الأخوات من القسم الثالث :

– كيف ستقابلين ربكِ وأنتِ واقفة كل هذا الوقت بجنب ميسون تشاهدين ما يجري عليها ؟!

– وماذا باستطاعتي أن أفعل ؟! إنها وظيفتي !

– أي وظيفة هذه .. إتركي الوظيفة .

– وأنتم لِمَ لاتتركون السياسة !

نَظرتْ إليها الأخت بسخريةٍ لاذعة وأشاحت بوجهها ولسانها يُحوقِل .

عَلَتْ .. فتصاغروا

كانت تلك الرقيبة التعيسة تُقسم بالله الذي لم تعبده قط أن ميسون كانت وحتى قبل إرتحالها بدقائق معدودة، منشرحة الصدر منبسطة الوجه متمتمة مع ربها .. لقد رَحلت والصلاة على شفتيها .

وهكذا قتلوا ميسون .. قتلوا الربيع والجمال .. استأصلوا وردة الجوري بهذه الطريقة البربرية فتلاشى عطرها وشذى عبيرها ..

إنطفأت ميسون .. تلاشت جسداً لم يبلغ ربيعه العشرين ، وبقت روحها مجداً فوق جبين عراق الفراتين ..

إستشهدت ميسون وتحت أقدامها دُنيا خضراء .. إرتحلت فَعَلَتْ ، وقَتلوا فتصاغروا .

القمر يُدفن ليلاً !

تم إبلاغ أهل ميسون بيوم تنفيذ إعدام إبنتهم ليتسنى لهم استلام جثتها ودفنها .. جاءت الأم المثكولة ومعها زوجها وأختها (خالة ميسون) ..

تقول السجينة المجاهدة العلوية زهراء البطّاط :

د. في اليوم الذي تلا الاعدام ، سألنا الرقيبة التي رافقت الشهيدة ميسون ، فقالت : لقد أرسلوا خلف اهلها لتوديعها فجاءت معهم خالتها التي توسلت بالضابط المسؤول وقالت له (ضعوها في كفة ميزان واعطيكم بقدر وزنها ذهباً ، فقط لاتعدموها .. كان جواب الضابط : لن نستطيع فعل اي شيء .. لقد وقع السيد الرئيس على إعدامها وانتهى الامر) فأعدمت بالكرسي الكهربائي على البطيء، لمدة ساعتين وأعدم خطيبها معها» .

أما والدها الذي لم يزل على ظنّه يُمنّي نفسه النتيجة الباهرة ، فقد جاء ليرىٰ أملهُ قد ابتعد بعيداً .. لقد خدعوه، فكان وقع النبأ عليه كالصاعقة .

كانت ميسون مُستلقية علىٰ ظهرها هادئة كأنها عروسٌ نائمة .. لقد اختفىٰ الألم وعادت البراءة الىٰ وجهها الطفولي المُتألّق طُهراً ونقاءاً ..

أبوها الذي تقوّست قامته كان ينظر إليها ذاهلاً مشدوهاً .. يناديها ، غير أن ابنته المطيعة لم ترد عليه هذه المرة .. رفعها عن الأرض ، احتضنها ليملأ صدره المشتعل من شذىٰ عطر ابنته الحبيبة التي فارقها شهوراً طويلة .. لم يستطع اخماد نار آلامه ، إنسابت دموعه كالسيل علىٰ وجهه ، فبكىٰ مقهوراً .. بكىٰ الاب ، بكت الشيبة .. وما أقسىٰ علىٰ النفس من بكاء الرجال .

أعطوه ورقة وفاةٍ صفراء – تصريحاً – تسمح بدفنها بعد أن وقّعَ علىٰ تعهدٍ يشترط دفن القمر ليلاً وبلا أدنىٰ مراسيم لاستقبال التعازي !!

نعم ، لقد دفنوا ميسون ليلاً .. دفنوها في مقبرة الغَري ، تلك التي تقطّعت فوقها القرون تلو القرون والابطال تلو الابطال ..

كان الأب مُنحنياً يُحدّق بانكسار وذلٍّ كبيرين علىٰ أكوام التُراب وهي تنثال علىٰ جسد كريمته الساكنة ..

دفنوها في وادي السلام وأهالوا التُراب عليها .. دفنوا القمر ليلاً .. طمروا الربيع ، اختفىٰ تحت رُكامٍ هائلٍ من التراب !

دفنوا ميساء .. دفنوها جسداً ، أما روحها فقد صعدت الىٰ المجد .. صَعدتْ وصعدَ معها العراق الىٰ حيث القمر .

ياحُبيبات التُراب
أحضنيني .. قبّليني
مرّري كفّ أبي الفضل
على رأسي وعيني ..
وجبيني .
إرحمي يُتمي وآلامي ..
ودمعي وشجوني ..
ردّدي همهمة الحزن
وآهات أنيني ..
واحفظي هذا الشباب ..
ياحُبيبات التُراب
ياحُبيبات التُراب ..

تقول السجينة المجاهدة الأُخت (مريم الشروفي) :

«بعد ان تم نقل الاخت ميسون من سجن (الرشاد) الى سجن (ابو غريب) قاطع الاعدام - الأحكام الثقيلة - إلتقت هناك بخطيبها الشهيد حسام .. ثم تمّ تنفيذ الاعدام بطريقة الكرسي الكهربائي حسب ما نقلت لنا إحدى الرقيبات فيما بعد .. بعدما تمّ تسليم جثمانها الطاهر الى ذويها ودفنها الى حيث الروح والريحان والجنان . كما تمّ تسليم جثمان الشهيد حسام الى امه التي اتت الى (الرشاد) في المواجهة بعد الاعدام وجلبت لابنتها السجينة (انعام) تراباً من قبر اخيها الشهيد ..

فما عسانا أن نقول في حق هذه البطلة ؟! وكيف عسانا أن نفخر بها ؟ أم كيف عسانا أن نرتبط بها بأرواحنا كما ارتبطت بذلك الدرب الحسيني الأصيل . فغدت تنثر بها دماءها الزكية فداءً للعراق وللإسلام العزيز ..

فليشهد التاريخ على أسمى أنواع العشق والارتباط واعظم اشكال التلبية الصادقة لواعية سيدنا ومولانا سيد الشهداء وأبي الأحرار والمظلومين في كل زمان ومكان ..

فهنيئاً ثم هنيئاً من عشاق وفوا حق معشوقهم بأروع السُبُل . وطوبى لمن يخلّد ذكراهم ..

وسلامٌ ثم سلام منا على المغيبات في قعر السجون .. وسلام ثم الف سلام منّا على الذاهبات الى ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر حيث الخلود والعشق السرمدي» .

بقي أن تنقل ما أخبرتنا به إحدىٰ السجينات الفاضلات صباح يوم الخميس من رؤية في المنام ، حيث لم يغب طيف ميسون عن عيوننا .. فبعد أن استسلمت العيون المُتعبة لطائر النوم حيث الرموش نديّة والأرواح غائمة ، زار طيف الحبيبة ميسون إحدىٰ الأخوات التي إستيقظت مرعوبةً لتقص علىٰ الأخوات ما رأته في المنام :

«جاءتني ميسون الليلة الماضية وهي في احلى هيئة ، حيث الجمال والحلل البيضاء الفضفاضة .. إقتربت منّي مُبتسمة كعادتها وقالت لي : أخيتي (...) لقد ارتحت كثيراً ، فانا الآن في الجنان حيث ما كنتُ أحلم واتمنّى .. ولكن البارحة ياأختاه عندما فارقتكم واخذوني ليزهقوا روحي ، تعذّبت كثيراً ، لقد اذوني اكثر مما كنت اتوقّع قبل ان يقتلوني !!» .

إستغربت السجينات – اللاتي لم يسمعن بموضوع الكرسي الكهربائي بعد – من شكوىٰ هذه الفتاة الصامدة الصابرة ! لذا حاولن معرفة ما جرىٰ علىٰ ميسون من خلال الرّقيبة (إيمان) التي جاءت الىٰ القسم الثالث ظهراً – عند توزيع الطعام – وأخبرتهم بالحقيقة .. فكان يوم الخميس هو الآخر يوم حزنٍ وبكاء .

ميسون .. لاوداع

وهكذا امتدّت يد الفرعون لتقتل حمامةً من حمائم الكاظمية الآمنة فـي ظِـلِّ قباب أبواب الحوائج .. هكذا ودّعت بغداد قرباناً في طـريق تـحرير العـراق مـن العُصابة اللانسانيّة الجاثمة علىٰ صدره ..

وهكذا ارتحلت روح (ميسون) الىٰ الفردوس كملاكٍ طاهرٍ حـلّق فـي سـماء الحب والبـراءة .. تـركت الأرض لاهـل الأرض وعـادت الىٰ مسـتقرّها حـيث لانكد ولا عَناء ..

نعم .. رحلت ميسون ، فانطوت صفحة مشرقة في سجلٍّ لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ، رحلت تشكو لبارئها قضيّة الظلم الذي أحاط بمُخدرات عراق المقدّسات والعذاب الذي طوىٰ فتيات الوطن الطاهرات .

فتعالوا يا كُلّ شرفاء هذا العراق لنؤبّن هذا المجد ، تعالوا نسلك درباً عبّدتهُ دماؤهم ..

لله دَرّكِ يا ابنة العراق ، يامنهج كربلاء ، يامَن رصّعتْ جبين العراق بثباتها وسخاء تضحياتها .. يامَن قتلوها صبراً وكفىٰ بذلك فخراً ..

ميسون .. ياطفلةً للشمس ضاحكةً أودىٰ بثغرها الطاعون ، قتلوكِ ! دعيهم يقتلوكِ .. فجُرحُكِ قوة ، جُرحُكِ ثورة .. ونحن نتفائل بالغد من خلال جودكِ وعيونكِ .

فيا أيتها الراحلة الىٰ حيث البقاء .. لا وداع ، فأبداً خطّكِ سيكون منهجاً ، ودوماً ذكركِ مؤنساً .. وببركة دمائكم سنعود الىٰ الوطن ، وسنزوركِ ميسون .. سنجلس عند ثراك ونلوذ تحت أقدامكِ لنشمّ من جراحكِ عَبق الثغور ، وسننحني في رياضكِ للزمن الجليل ، ولن نبكي .. لن نبكي أوجاع الثكالىٰ والأيامىٰ ، لن نبكي العراق .. بل سنُغنّي ياميسون ، وسنزفكِ بغداد عروساً للشهيد كما زفّتكِ الملائكة عروساً لحسام .. وسنغنّي لعرسك أختاه ، سنغنّي للقمر ولطائر الشمس ..

فيا أيُها القمر المُسجّىٰ في وادي المحبين ، لن تمحو رسمكِ السنين .. فعيوننا ترحل إليكِ كُلّ يوم .

وأنتم أيها المُتعبون اغترفوا من نمير هذه النجمة اللامعة ، ما يمنحكم المجد والعزّة والسُؤدد ، وتعلّموا منها كيف يعيش الإنسان لرسالته عطاءاً وفداءاً ، يعبر جدران الفرقة وأسوار التشتّت ، ليلج في فناء الهم الكبير متحدّياً صعاب الزمن وآلام المحن .

فميسون عصفورة السلام والمحبة حملت جراح كل الرساليين المعذّبين بقلبها الصغير ورتّلت قصائد جراحِهم بشفتيها الرقيقتين ، فصارت لحناً عذباً علىٰ ثغر كُل سجينة في قفص الاجرام البعثي لأنها عشقت الخلود .

آخر أساطير الحب

رحلت ميسون
أجل رحلت .. مافي ذلك من شك
رحلت وظلّت قصّتها التي قد لايُصدِّقها أحد
قصّة حطّمت الصُمَّ الصلاب
ميسون تنتمي الىٰ جيل انقرضَ ولن يعود
ومن حق أي إنسان ألّا يُصدِّق قصة هذه الفتاة
عشقت النور فهوت إليه فراشةً تدور
حول شموع العشق الإلهي ظلّت تطوف
وكانت الروح تسطع والجسد الآدمي يتّقد
وأخيراً احترقت ميسون فبلغت بذلك مرحلة الفناء في ذات المحبوب
وتلك ذروة العشق
واستحالت ميسون في النهاية الىٰ آخر أساطير الحُب في الرُبع الأخير من القرن العشرين
أجل .. ميسون وحُسام .. آخر اسطورة حب في هذا العصر المُثقل بالآثام .

اللقاء

لن يطول الزمان
فاللقاء الذي انتظرناه
قادمٌ من وراء الدخان
لن يطول
عرسنا قائم هناك
انني أسمع منذ الآن
شدو الاغاني
وأرىٰ في عيون الصبايا
الضحاك
بزوغ الأماني

* * *

لن يطول الزمان
سيولد القمرُ بسمةً في السماء
سماء العراق
والنجوم التي استشهدت في
المساء
ستغدو منابت وردٍ
وتلك الدماء
التي قد أُريقت
ستغدو فؤوساً
تهشّم وجه الذي قال إنّي اله
اله العراق
اله أنهاره والمياه
اله اشجارهِ والنخيل
ولكن ..
ذات يوم سيكبرُ أطفالنا
ويولد جيلُ القنا
يولد جيل القنابلِ
فجراً سيخرجونِ من رحم الليل
يمتطون عتاقاً من الخيل
هنالك يبهتُ نمرودُ
في بابلِ .

* * *

ألا فانظروا !
انظروا ها هناك
انني ألمح الآن عروساً
وراءَ تلال الضباب
ضباب السنين العجاف
آه .. تلك ميسون !
وذاك ..
العريس الحُسام
كفُها الرقيقة تمتد
تلف الحبيب الملاك
ألا بوركَ عرس الشهيد
بوركَ عرس الخلود
خلود الحياة
وبوركَ حب تطهَّر
من كلِ شيءِ
بوركَ عشق الإله .

كمال السيد

١٣ - جمادىٰ الأولىٰ - ١٤٢٣هـ

قم المقدسة

زنبق الطُهر

ميسونُ ياكُحل العيونِ وومضةً — للفجرِ بارقةً بكلِّ سماءِ
ميسونُ يابنت العراقِ ودَوحةً — في روضةٍ قُدسيّةٍ غنّاءِ
يازنبقَ الطُّهرِ الذي مالاثَهُ — زَيغٌ ولا سَوءٌ مِنَ الأسواءِ
ياترجُمانَ الصدقِ في زمنٍ غدا — الحقُّ فيه مُمزَّق الأشلاءِ
يابنتَ دجلة والفراتِ وغادةً — كالبدرِ بين كواكبِ الشهداءِ
حُييتِ يارمزَ الفداءِ وقصةً — للمجدِ تُتلىٰ في فَمِ العُظماءِ
ورسالةٌ تبقىٰ تُفجّرُ ثورةً — تدعو لطمسِ علائمِ العملاءِ
دوّىٰ هتافُكِ في السماءِ صواعقاً — فارتاعَ كُلُّ مُكابِرٍ ومُراءِ
واستيقظتْ همَمٌ بيقظتِكِ التي — أضحتْ حديثَ الشعرِ والشعراءِ
طوبىٰ لروحٍ قد تحدَّتْ باغياً — أدمىٰ العراقَ بِمُدْيَةِ الجبناءِ
وَأبتْ رضوخاً للطغاةِ وَأعْلَنَتْ — أنَّ النضالَ رسالةُ الشُّرفاءِ

❋ ❋ ❋

حكموا عليها أنْ تموتَ لأنّها — أبَتِ المسيرَ علىٰ خُطىٰ الزعماءِ
صَدَرَ القرارُ بِشَنقِها فاستهزأتْ — بِقرارِهِمْ وتبسمتْ بإباءِ
إنّي أراها كيفَ يومَ وَداعِها — قامتْ فألقتْ خطبةَ البُسلاءِ
قالت وأزلامُ النظام تَحفُّها — إنّ الشهادةَ مطمحُ الفُضَلاءِ
هتفتْ بلا وَجَلٍ بجرأةِ زينبٍ — الموتُ للأوغادِ والحُقراءِ
الموتُ للطاغوتِ صدام الذي — ألقىٰ العراقَ بِطَخْيةٍ عمياءِ
ذبحَ الفضيلةَ والمكارمَ حاقداً — واغتال غدراً خِيرَةَ العُلماءِ
الموتُ للجاني المدمّىٰ نابُهُ — بِدَم الشبابِ وصفوةِ العُرفاءِ
فاغتاظَ حَشْدُ الحاقدينَ وزمجروا — ياوَيلكِ ما أنتِ مِنْ حَوّاءِ
فجزاءُ مَنْ سبَّ الرئيسِ مَنِيّةٌ — بالكهرباءِ ، بِصَعْقَةٍ نكراءِ

❋ ❋ ❋

جاءوا بها مثلَ العروسِ يَزفُّها … خَفْقُ القلوبِ وأدمعُ السجناءِ

وهناك قد وجدتْ «حُسامَ» خطيبَها … فتعانَقَ القلبان بالإيماءِ

قالتْ لَهُ بعيونها حُييتَ يا … حُلْوَ الخصالِ وكوكبَ الكُرَماءِ

فأجابَها بعيونِهِ حُييتِ يا … بنتَ التُقىٰ والفكرةِ العصماءِ

ها إنَّ أيامَ الفراقِ قدِ انتهتْ … وسنلتقي ميسونَ خَيْرَ لِقاءِ

هٰذي السماءُ تَفتَّحتْ أبوابُها … سَنُزَفُّ ياميسونُ للعلياءِ

ناجَتْهُ في لُغةِ القلوبِ وعينُها … ترنو إليه بحسرةٍ وحياءِ

لاشكَّ إنّا ياحسامُ سنلتقي … في جنَّةٍ مُزْدانةٍ خضراءِ

وهناكَ نحكي الذكرياتِ بلوعَةٍ … وَنَبُثُّ ما في القلبِ مِنْ إعياءِ

* * *

ميسونُ ياجُرْحَ الضميرِ وطعنةً … في قلبِ كلِّ عقيلةٍ عذراءِ

أُختاهُ لا أنسىٰ ظليمتكِ التي … أبكتْ عيونَ الصخرةِ الصمّاءِ

وَضَعوكِ في كرسي العذابِ لِتُصْعَقي … في منتهىٰ الإجرامِ والايذاءِ

وَغَدا بريقُ عيونكِ يخبو ولا … مِنْ مُشفِقٍ في زمرةِ الغُرَماءِ

صارَعْتِ شِحْناتِ العذابِ صبورةً … شوقاً لرؤيةِ طلعةِ العَنْقاءِ

هَبَطتْ إليكِ مِنَ السماءِ ملائكٌ … طارتْ بكِ في حِلَّةٍ بيضاءِ

زَفَّتْكِ في يوم الفداءِ لِجَنَّةٍ … دارِ الخلودِ وموئلِ السُعداءِ

* * *

ميسونُ ياجُرْحاً بقلبِ قضيةٍ … باسمِ العراقِ الشامخِ المعطاءِ

لِلّهِ دَرُّكِ من فتاةٍ لم يصلْ … لِشُموخِها ألفٌ مِنَ الصُلَحاءِ

لِلّهِ أنتِ ما أشَدَّكِ صرخةً … فَتَفَجَّرَتْ حِمماً علىٰ الأعداءِ

أفزعتِ دنيا الظالمينَ بوثبةٍ … عَلَويّةِ الأنفاسِ والأصداءِ

لازالَ موقفُكِ الأشمُّ مُدَوِّياً … في عالمِ الأحرارِ والخُلَصاءِ

يدعو الىٰ رصِّ الصفوفِ وحَشْدِها … وتجنُّبِ النعراتِ والأهواءِ

والإنطلاقِ لِدَكِّ صَرْحِ عصابةٍ … منبوذةٍ همجيةٍ رعناءِ

والإنتفاضِ لكسرِ طَوْقِ مَذَلَّةٍ
عن أُمَّـةٍ مظلومةٍ عزلاءِ

والانـتقامِ من العدوِ وَرَهْطِهِ
والثأرِ للآبـاءِ والأبـناءِ

وإزاحةِ الباغي الذي خَنَقَ الهُدىٰ
فـي ليلةٍ دَمَـويَّةٍ ظلماءِ

فـالنصرُ يُصْنَعُ بـالدماءِ وثـورةٍ
هـدّارةٍ عـملاقةٍ حـمراءِ

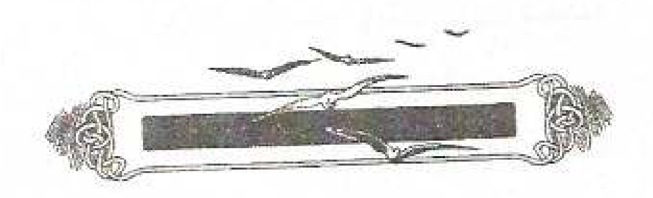
هـيّا لتحرير العراقِ الىٰ متىٰ
يـبقىٰ العـراقُ مطيَّةَ الأرزاءِ ؟

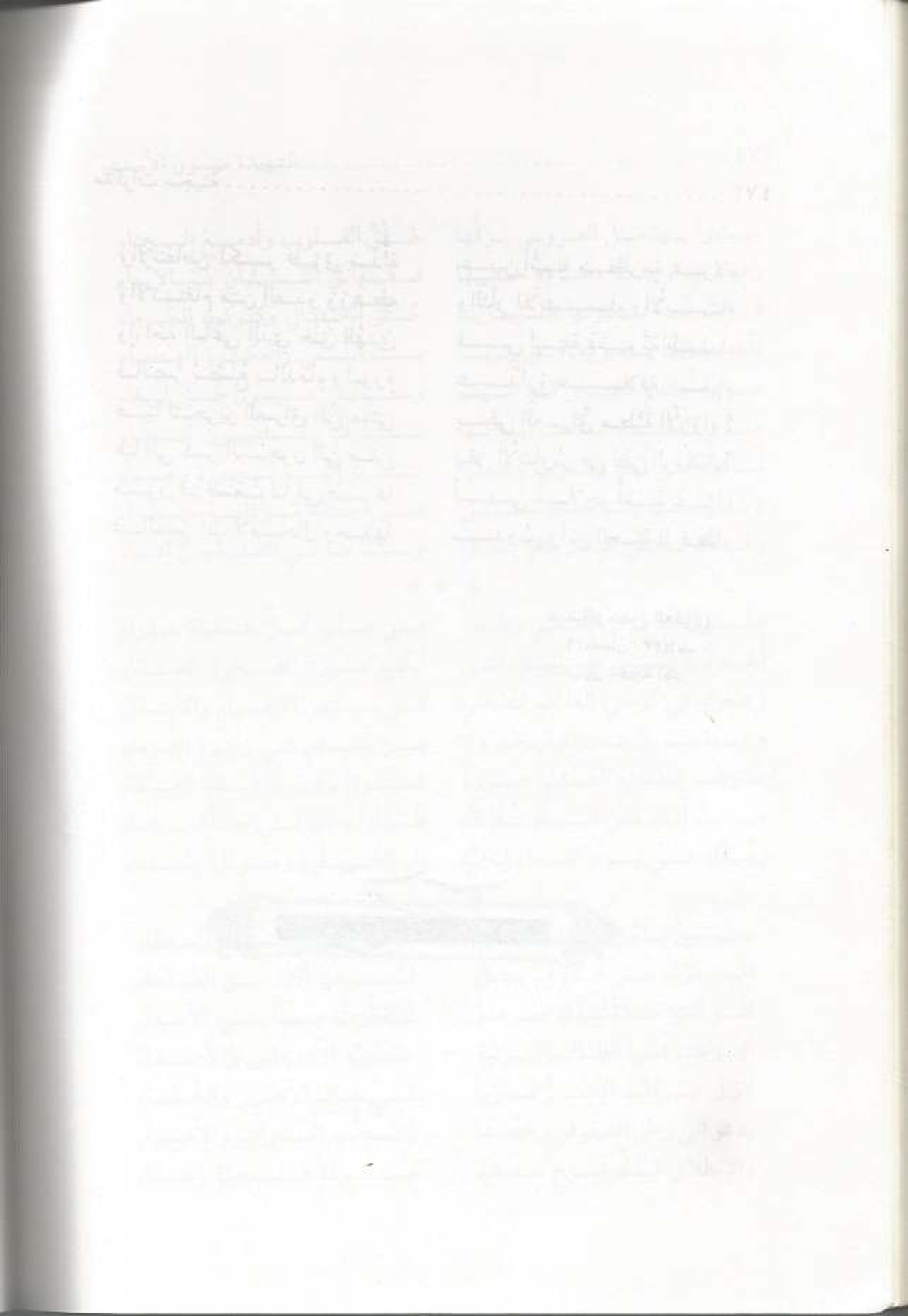
هيّا الىٰ كسر السجونِ الىٰ متىٰ
يبقىٰ الأشاوسُ في لظىٰ الرمضاءِ؟

ميسونُ قد صَنَعَتْ لنا في صبرِها
أسـنىٰ مـلاحِمِ أمّـةٍ غـرّاءِ

فـالنصرُ آتٍ لامحالَ وحينها
سـندوسُ رأسَ الحيّةِ الرقطاءِ

عبدالرحمن العلوي
١٠ / شعبان / ١٤٢٣هـ
طهران - دولة آباد





الفصل الحادي عشر

إنتهاكات

* لقاءات مع سجينات زينبيات
* وثائق الحكومة العراقية
* كُتب وصحف عراقية
* وثائق وتقارير المنظمات الدولية
* منظمة العفو الدولية
* المنظمة الدولية لحقوق الإنسان في العراق
* منظمة مراقبة الشرق الاوسط
* السجون والمعتقلات في العراق عام ١٩٨٤م
* السجون والمعتقلات في العراق عام ٢٠٠٠م
* تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٢م
* كلمة هيئة تحرير صحيفة «الكلمة الحرّة»

«أوصي تلك الأجهزة بالغاء أي حدود لممارسات التعذيب ضد أعداء الثورة دون أي حرج أو خشية من مسائلة».

كراس وصايا الرفيق المناضل صدام حسين الى الأجهزة الأمنية ..

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق[1] .... لحقوق الإنسان

انتهاكات النظام العراقي

المؤتمر العالمي الرابع للمرأة - بكين

استمارة اعتقال نساء وتعذيبهن

١ - تاريخ مل، التقرير :
٢ - رقم التقرير :
٣ - الاسم الكامل واللقب : أنعام نوري رجب حسين .
٤ - المهنة : ربة بيت .
٥ - تاريخ الولادة : ١٩٦٣ م .
٦ - العنوان في العراق : بغداد / الكاظمية / مدينة الحرية الاولى .
٧ - العنوان الحالي : قم / شهرك إمام حسن ،كوچه ... ، بلاك ... .
٨ - مكان الاعتقال : بغداد / مديرية (أمن) الكرخ .
٩ - تاريخ الاعتقال : ١٩٨٣/٨/٦ م .
١٠ - سبب الاعتقال : ...
١١ - الجهة التي قامت بالاعتقال : أجهزة الامن ، المخابرات ، الاستخبارات ، الأمن الخاص ، وغيرها .
١٢ - هل تعرضت للتعذيب : نعم .
جسدي : ضرب باليد ، بالعصا ، بالانابيب ، التعليق بالمروحة ، الصعق الكهربائي ، الكوي بالمكواة الكهربائية .
نفسي : اهانات ، سباب ، عدم النوم ، تعذيب آخرين ، تهديد بالقتل والاعدام .
جنسي: إغتصاب ، تهديد بالاغتصاب ، تعرية من الملابس ، وغيرها .
١٣ - هل تتذكرين اسماء المعذبين ؟ اذكريهم :
١ - ضابط ستار . ٢ - ضابط حسن .
١٤ - هل ادخلت المستشفى اثناء او بعد الاعتقال وما هو السبب ؟ كلا .

---

[1] - يقدم المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق الشكر والتقدير للمركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق على تعاونه في إعطاء هذه الوثائق التي تدين النظام العراقي في مسلسل الإنتهاكات اليومية التي تتعرض لها المرأة المسلمة في عراق المقدسات .

١٥ - **هل عندك تقرير طبي ومن اي جهة صادر ؟** كلا .
١٦ - **ما هو وضع المعتقل او السجن الصحي : جيد (-) ، ردي، (+) ، سوء التهوية (+) ، قلة الماء (+)، سوء التغذية (+) ، وغيرها .**
١٧ - **هل اصبت بعاهة من جراء التوقيف او السجن ، او التعذيب اذكرها ؟** كلا .
١٨ - **هل هناك آثار نجمت عن التعذيب وما هي ؟** كلا .
١٩ - **هل كانت لك مواجهات مع اهلك اثناء الاعتقال :** كلا . **او اثناء السجن :** كلا .
٢٠ - **كم هي الفترة التي قضيتها من دون مواجهة ؟** لم أواجه .
٢١ - **مدة التحقيق وفي اي مكان :** ٦ أشهر / مديرية (أمن) الكرخ .
٢٢ - **هل تذكرين اسماء المحققين :**
٢٣ - **هل احلت الى محكمة :** نعم . **ما اسم المحكمة :** محكمة (الثورة) العسكرية .
من هم اعضاؤها: عوّاد البندر . **المدعي العام :**
٢٤ - **هل وكلت محامياً :** كلا . **من هو ؟**
٢٥ - **هل وكّل عنك محامي :** نعم . **من هو ؟** الدولة .
٢٦ - **ماهي مادة الحكم :** ١٥٧ ب . **نوع ومدة الحكم :** تسفّر / ٢٠ سنة .
٢٧ - **هل حكم على احد معك ؟** نعم . **من هم وما هي احكامهم ؟**
* سهام علي (٢٠) سنة .
* طبيعة وطليعة (٢٠) سنة .
* نادرة واحلام الشبلي (٢٠) سنة .
٢٨ - **هل عندك صورة من امر القاء القبض او الحكم بالسجن :** كلا .
٢٩ - **ماهي مواصفات السجن او المعتقل :** كبير ، صغير ، وسخ ، مكتظ بالمعتقلين أو السجناء .
٣٠ - **هل اعتقل احد من افراد اسرتك معك ؟** كلا .
٣١ - **هل شاهدت وفاة احد السجناء او المعتقلين ؟** نعم . لا أعرف اسمائهم .
٣٢ - **هل تم تعذيب احد افراد عائلتك امامك ؟ من هم وكيف :** كلا .
٣٣ - **هل تم تعذيب أحد المعتقلين امامك ؟ من هم وكيف :** كلا .
٣٤ - **هل اجبرت على تعذيب او اهانة او الاعتداء على احد زملائك المعتقلين؟** كلا .
٣٥ - **هل توافقين على ذكر اسمك للمنظمات الدولية او وسائل الاعلام ؟** نعم .
٣٦ - **هل هناك حادثة معينة اثرت فيك اثناء الاعتقال او السجن ؟** نعم . خلع ملابس الأخوات المؤمنات ومحاولة الاعتداء عليهم كالشهيدة المهندسة رجيحة كاظم ، والسجينة..... .
٣٧ - **اذكري سبب اطلاق سراحك :** العفو العام . **تاريخ اطلاق السراح :** ١٩٨٦ م .

التوقيع

❊ ❊ ❊

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق .... انتهاكات النظام العراقي لحقوق الإنسان

المؤتمر العالمي الرابع للمرأة - بكين

استمارة اعتقال نساء وتعذيبهن

١ - تاريخ مل، التقرير :

٢ - رقم التقرير :

٣ - الاسم الكامل واللقب : سُمية الأسدي.

٤ - المهنة : معاونة ومدرِّسة في حوزة الشهيدة بنت الهدىٰ (رض).

٥ - تاريخ الولادة : ١٩٦٣م.

٦ - العنوان في العراق :

٧ - العنوان الحالي : ايران / قم / نيروگاد / ١٠ متري طالقاني / ٨ متري قدس.

٨ - مكان الاعتقال : أمن الكوت.

٩ - تاريخ الاعتقال : ١٩٨٢/٣/٢٥ م.

١٠ - سبب الاعتقال :

١١ - الجهة التي قامت بالاعتقال: أجهزة الامن ، المخابرات ، الاستخبارات ، الامن الخاص.

١٢ - هل تعرضت للتعذيب :

جسدي : ضرب باليد ، بالعصا ، بالانانيب ، التعليق بالمروحة ، المكواة الكهربائية ، الصعق الكهربائي ، وغيرها.

نفسي : اهانات ، سباب ، عدم النوم ، تعذيب آخرين ، تهديد بالقتل والاعدام.

جنسي : إغتصاب ، تهديد بالاغتصاب ، تعرية من الملابس ، خلع حجاب الراس فقط.

١٣ - هل تتذكرين اسما، المعذبين ؟ اذكريهم :

١ - ملازم لطيف من الكوت. ٢ - عبدالزراق من الكوت.

٣ - سمير من الكوت. ٤ - علاء من الكوت.

٥ - جمال من بيت السعدون من ناحية الموفقية في محافظة واسط.

١٤ - هل ادخلت المستشفى اثنا، او بعد الاعتقال وما هو السبب ؟ كلا.

١٥ - وهل عندك تقرير طبي ومن اي جهة صادر ؟ كلا.

١٦ - ما هو وضع المعتقل او السجن الصحي : جيد ( ) ، ردي، (+) ، سو، التهوية (+) ، قلة الما، (+).

سوء التغذية (+) ، وغيرها . املاء خزانات التواليت وتفريغها بأيدينا ونبقى نتوسل حتى يفتح الباب والا تدخل الى الغرف من الفيضان . عدم توفر الماء الجاري اثناء الغسل لذلك لاتغسل فترات طويلة

١٧ - هل اصبت بعاهة من جراء التوقيف او السجن ، او التعذيب اذكرها ؟
اوجاع الرجلين ، الفطريات ، التهاب اللثة .

١٨ - هل هناك آثار نجمت عن التعذيب وما هي ؟ كلا .

١٩ - هل كانت لك مواجهات مع اهلك اثناء الاعتقال : كلا . او اثناء السجن : نعم .

٢٠ - كم هي الفترة التي قضيتها من دون مواجهة ؟ سنة وسبعة أشهر .

٢١ - مدة التحقيق وفي اى مكان : سنة وسبعة أشهر في مديرية (أمن) الكوت قرب دائرة التربية .

٢٢ - هل تذكرين اسماء المحققين : لطيف ، جمال ، سمير ، علاء ، عبدالرزاق .

٢٣ - هل احلت الى محكمة : نعم .
ما اسم المحكمة : محكمة (الثورة) العسكرية في بغداد .
من هم اعضاؤها: عوّاد محمد أمين / رئيس . المدعي العام :

٢٤ - هل وكلت محامياً : كلا . من هو ؟

٢٥ - هل وكل عنك محامي : المحكمة نفسها . من هو ؟ لا أعرفه .

٢٦ - ماهي مادة الحكم : ٢/٢٠٠ . نوع ومدة الحكم : ٥ سنوات .

٢٧ - هل حكم على احد معك ؟ نعم .
من هم وما هي احكامهم ؟ أخي (مؤبد) ، ابن عمتي (٧) سنوات .

٢٨ - هل عندك صورة من امر القاء القبض او الحكم بالسجن : كلا .

٢٩ - ماهي مواصفات السجن او المعتقل : كبير ، صغير ، نظيف ، مكتظ بالمعتقلين والسجناء .

٣٠ - هل اعتقل احد من افراد اسرتك معك ؟ نعم .

الاسم	العمر	المهنة
١ - علاء مرشد	٢٨ سنة	معلم
٢ - سعيد حميد	٢٠ سنة	طالب معهد في الموصل

٣١ - هل شاهدت وفاة احد السجناء او المعتقلين ؟ كلا .

٣٢ - هل تم تعذيب احد أفراد عائلتك امامك ؟ من هم وكيف : كلا .

٣٣ - هل تم تعذيب احد المعتقلين امامك ؟ من هم وكيف : كلا .

٣٤ - هل اجبرت على تعذيب او اهانة او الاعتداء على احد زملائك المعتقلين ؟ كلا .

٣٥ - هل توافقين على ذكر اسمك للمنظمات الدولية او وسائل الاعلام ؟

٣٦ - هل هناك حادثة معينة اثرت فيك اثناء الاعتقال او السجن ؟ نعم أخذ الأطفال عنوة من الأمهات وترك كلا الجانبين يبكي بخوف حتى في البكاء - حالات الاعدام - عندما نتمرض لايسمحون لنا بالذهاب الى المستشفى حتى تصل الى حالة فتلجىء الى الدماء .

٣٧ - اذكري سبب اطلاق سراحك : العفو العام
تاريخ اطلاق السراح : ١٩٨٦ التوقيع

❋ ❋ ❋

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق .... **انتهاكات النظام العراقي لحقوق الإنسان**

المؤتمر العالمي الرابع للمرأة – بكين

استمارة اعتقال نساء وتعذيبهن

١ - تاريخ ملء التقرير :

٢ - رقم التقرير :

٣ - الاسم الكامل واللقب : ف . عبدالمجيد النجفي .

٤ - المهنة : ربة بيت .

٥ - تاريخ الولادة : ١٩٤٧ م .

بغداد / حي الاندلس / م ٦١٧ / زقاق ٦٤ / د ١٤ .

٧ - العنوان الحالي : قم / يزدانشهر / ١٠ متري إمام زمان / ٦ متري حسيني / بلاك ....

٨ - مكان الاعتقال : بغداد .

٩ - تاريخ الاعتقال : ٢١/١٢/١٩٨٤ م .

١٠ - سبب الاعتقال : معارضة النظام الحاكم .

11 - الجهة التي قامت بالاعتقال: أجهزة الامن ، المخابرات ، الأمن الخاص، الشرطة ، غيرها .

١٢ - هل تعرضت للتعذيب : نعم .

جسـدي : ضرب باليد ، بالعصا ، بالانابيب ، التعليق بالمروحة ، الصعق الكهربائي ، المكواة الكهربائية ، قناني زجاجية ، وغيرها .

نفسي : اهانات ، سباب ، عدم النوم ، تعذيب آخرين ، تهديد بالقتل والاعدام .

جنسي : إغتصاب ، تهديد بالاغتصاب ، تعرية من الملابس ، إدخال أدوات جارحة .

١٣ - هل تتذكرين اسماء المعذبين ؟ اذكريهم :

شرطي (أمن) ادريس في (أمن) الجادرية / بغداد .

١٤ - هل ادخلت المستشفى اثناء او بعد الاعتقال وما هو السبب ؟ كلا .

١٥ - وهل عندك تقرير طبي ومن أي جهة صادر ؟

١٦ - ما هو وضع المعتقل الصحي او السجن : جيد ( ) ، رديء (+) ، سوء التهوية (+) ، قلة الماء (+)، سوء التغذية (+) ، وغيرها .

١٧ - هل اصبت بعاهة من جراء التوقيف او السجن ، او التعذيب اذكرها ؟ كلا .

١٨ - هل هناك آثار نجمت عن التعذيب وما هي ؟ كلا .

١٩ - هل كانت لك مواجهات مع اهلك اثناء الاعتقال : كلا . **او اثناء السجن :** نعم

٢٠ - كم هي الفترة التي قضيتها من دون مواجهة ؟ ثلاثة أشهر .

٢١ - مدة التحقيق وفي اي مكان : ثلاثة أشهر (معتقل الفضيلية) .

٢٢ - هل تذكرين اسماء المحققين : طه التكريتي / م . ماجد السامرائي .

٢٣ - هل أحلت الى محكمة : نعم . **ما اسم المحكمة :** محكمة (الثورة) العسكرية .

من هم اعضاؤها: عوّاد البندر **المدعي العام :** لا أذكره .

٢٤ - هل وكلت محامياً : كلا . **من هو ؟**

٢٥ - هل وكل عنك محامي : نعم . **من هو ؟** لا أعلم .

٢٦ - ماهي مادة الحكم : ١٥٧ . **نوع ومدة الحكم :** مؤبد .

٢٧ - هل حكم على احد معك ؟ نعم . **من هم وما هي احكامهم ؟**

فوزي / حاج محمد / أحمد / محمود أحمد الدواليبي / علي العاملي ؛كلهم اعدام .

حاج محمد / ماجدة عبدالحميد / مؤبد . صالح مهدي حسين / ٧ سنوات .

٢٨ - هل عندك صورة من امر القاء القبض او الحكم بالسجن : كلا (الاعتقال بالمداهمة) .

٢٩ - ماهي مواصفات السجن او المعتقل : كبير ، صغير ، مكتظ بالمعتقلين أو السجناء .

٣٠ - هل اعتقل احد من افراد اسرتك معك ؟ نعم .

الاسم	**العمر**	**المهنة**
صالح مهدي	٤٥ سنة	صاحب معمل حلويات

٣١ - هل شاهدت وفاة احد السجناء او المعتقلين ؟ كلا .

٣٢ - هل تم تعذيب احد افراد عائلتك امامك ؟ من هم وكيف : كلا .

٣٣ - هل تم تعذيب أحد المعتقلين امامك ؟ من هم وكيف : كلا .

٣٤ - هل اجبرت على تعذيب أو اهانة او الاعتداء على احد زملائك المعتقلين ؟ كلا .

٣٥ - هل توافقين على ذكر اسمك للمنظمات الدولية او وسائل الاعلام ؟ نعم .

٣٦ - هل هناك حادثة معينة اثرت فيك اثناء الاعتقال او السجن ؟ كثيرة .

٣٧ - اذكري سبب اطلاق سراحك : عفو عام . **تاريخ اطلاق السراح :** ١٩٨٦/٥/١٥ م .

التوقيع

❋ ❋ ❋

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق .... انتهاكات النظام العراقي لحقوق الإنسان

المؤتمر العالمي الرابع للمرأة - بكين

استمارة اعتقال نساء وتعذيبهن

١ - تاريخ حل، التقرير : تموز / ١٩٩٠م.
٢ - رقم التقرير :
٣ - الاسم الكامل واللقب : رجاء قادر.
٤ - المهنة : موظفة / مدرسة ١٧ تموز / ديالى.
٥ - تاريخ الولادة : ١٩٥٨م.
٦ - العنوان في العراق : محافظة ديالى / حي سومر / زقاق ٦ / منزل ٢
٧ - العنوان الحالي : الجمهورية العربية السورية / دمشق / حي البراكة.
٨ - مكان الاعتقال : مدرسة ١٧ تموز.
٩ - تاريخ الاعتقال : ١٩٨٠م.
١٠ - سبب الاعتقال : تهمة زيارة عائلة أخي المعدوم ضياء قادر.
١١ - الجهة التي قامت بالاعتقال : أجهزة الامن ، المخابرات ، الاستخبارات، الأمن الخاص.
١٢ - هل تعرضت للتعذيب :
جسدي : ضرب باليد ، بالعصا ، بالانابيب ، التعليق بالمروحة ، المكواة الكهربائية ، الصعق الكهربائي، قناني زجاجية ، وغيرها.
نفسي : اهانات ، سباب ، عدم النوم ، تعذيب آخرين ، تهديد بالقتل والاعدام.
جنسي : اغتصاب، تهديد بالاغتصاب ، تعرية من الملابس.
١٣ - هل تتذكرين اسماء المعذبين ؟ اذكريهم : كلا.
١٤ - هل ادخلت المستشفى اثناء او بعد الاعتقال وما هو السبب ؟ كلا.
١٥ - وهل عندك تقرير طبي ومن اي جهة صادر ؟ كلا.
١٦ - ما هو وضع المعتقل او السجن الصحي : جيد ( ) ، رديء (+) ، سوء التهوية (+) ، قلة الماء (+) ، سوء التغذية (+) ، وغيرها.
١٧ - هل اصبت بعاهة من جراء التوقيف او السجن ، او التعذيب ؟ أوجاع في أسفل الظهر.
١٨ - هل هناك آثار نجمت عن التعذيب وما هي ؟ آثار نفسية شديدة وعقم دائم.

١٩ - هل كانت لك مواجهات مع أهلك أثناء الاعتقال : كلا .

أو أثناء السجن : نعم ، وتنقطع بين فترة وأخرى .

٢٠ - كم هي الفترة التي قضيتها من دون مواجهة ؟ مختلفة .

٢١ - مدة التحقيق وفي أي مكان : ستة أشهر ، دائرة (أمن) ديالى / مديرية (الأمن) العامة .

٢٢ - هل تذكرين أسماء المحققين : كلا .

٢٣ - هل أحلت الى محكمة : نعم . **ما اسم المحكمة :** محكمة (الثورة) العسكرية .

من هم أعضاؤها: لا أعرفهم . **المدعي العام :** لا أعرفه .

٢٤ - هل وكلت محامياً : كلا . **من هو ؟**

٢٥ - هل وكل عنك محامي : المحكمة وكلت محامي .

من هو ؟ لا أعرفه وكان يطلب انزال أقسى العقوبات بي .

٢٦ - ماهي مادة الحكم : ١٥٦ **نوع ومدة الحكم :** .

٢٧ - هل حكم على أحد معك ؟ من هم وما هي احكامهم ؟ زوجة أخي المعدوم ضياء «نوال عبدالجبار» ثلاث سنوات .

٢٨ - هل عندك صورة من أمر القاء القبض أو الحكم بالسجن : كلا .

٢٩ - ماهي مواصفات السجن او المعتقل : كبير، الغرفة صغيرة ، وسخ ، مكتظ بالمعتقلين .

٣٠ - هل اعتقل احد من أفراد اسرتك معك ؟

الاسم	العمر	المهنة
١ - نوال عبدالجبار (زوجة أخي المعدوم)	٢٢ سنة	ربة بيت .
٢ - الطفل نوفل ضياء	٧ سنوات	طفل .
٣ - الطفلة عبير ضياء	٥ سنوات	طفلة .
٤ - الطفلة ايناس ضياء	٤ سنوات	طفلة .

٣١ - هل شاهدت وفاة أحد السجناء او المعتقلين ؟ نعم .

الاسم	سبب الوفاة	تاريخ الوفاة
١ - رجل كبير اعتقل لهروب ابنه من الخدمة العسكرية		لا أتذكر
٢ - شاب اسمه (جعفر نور الدين)	اثناء التعذيب في مديرية (الامن)العامة	بعد اعتقالي باسبوع تقريباً

٣٢ - هل تم تعذيب احد أفراد عائلتك امامك ؟ من هم وكيف : نعم .

الاسم	العمر	نوع التعذيب
١ - نوفل ضياء		بسبب كثرة البكاء على أمهم اثناء عودتها من التعذيب وحالتها المأساوية .
٢ - عبير ضياء		يقوم الجلادون بضربهم واخافتهم حتى لايحدثوا ضجة

٣٣ - هل تم تعذيب احد المعتقلين امامك ؟ من هم وكيف : نعم .

الاسم	العمر	نوع التعذيب	المدينة

كثيرون لا يمكن تعدادهم وبشتى أنواع التعذيب وخاصة النساء والاطفال .

٣٤ - هل اجبرت على تعذيب او اهانة او الاعتداء على احد زملائك المعتقلين؟ كلا .

٣٥ - هل توافقين على ذكر اسمك للمنظمات الدولية أو وسائل الاعلام ؟ نعم.

٣٦ - هل هناك حادثة معينة اثرت فيك اثناء الاعتقال أو السجن ؟

الحدوات كثيرة ولا يمكن درجها هنا.

٣٧ - اذكري سبب اطلاق سراحك : عفو ١٩٩٠م.

تاريخ اطلاق السراح : أطلق سراحي بعد غزو الكويت باسبوع

التوقيع

❋ ❋ ❋

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق	**انتهاكات النظام العراقي لحقوق الإنسان**

المؤتمر العالمي الرابع للمرأة - بكين

استمارة اعتقال نساء وتعذيبهن

١ - تاريخ حل، التقرير : ١٩٨٩/٤/١٠ م.

٢ - رقم التقرير :

٣ - الاسم الكامل واللقب : أ. م. عثمان.

٤ - المهنة : طالبة في معهد الـ..

٥ - تاريخ الولادة : ١٩٦٠/٥/٢٨ م.

٦ - العنوان في العراق : بغداد / المشتل / زقاق .... / منزل رقم ....

٧ - العنوان الحالي : أربيل، محلة السراي، منزل ....

٨ - مكان الاعتقال : معهد الـ..

٩ - تاريخ الاعتقال : ١٩٨٣/١/١١ م.

١٠ - سبب الاعتقال : غير معروف.

١١ - الجهة التي قامت بالاعتقال: أجهزة الامن، المخابرات، الاستخبارات، وغيرها.

١٢ - هل تعرضت للتعذيب :

جسدي : ضرب باليد، بالعصا، التعليق بالمروحة، الصعق الكهربائي، وغيرها.

نفسي : اهانات، سباب، عدم النوم، تعذيب آخرين، تهديد بالقتل والاعدام.

جنسي : اغتصاب ، تهديد بالاغتصاب ، تعرية من الملابس .
١٣ - هل تتذكرين اسماء المعذبين ؟ اذكريهم : نعم .
١ - نقيب أياد . ٢ - ملازم محمود قادر . ٣ - ملازم ابو يعرب .
١٤ - هل ادخلت المستشفى اثناء او بعد الاعتقال وما هو السبب ؟
نعم بسبب أسقاط جنين بسبب الاغتصاب المتكرر (أسبوعياً تقريباً) .
١٥ - وهل عندك تقرير طبي ومن اي جهة صادر ؟ مُزّق من قبل أجهزة الامن .
١٦ - ما هو وضع المعتقل او السجن الصحي : جيد ( ) ، ردي، (+) ، سوء التهوية (+) ، قلة الماء (+) ، سوء التغذية (+) ، وغيرها .
١٧ - هل اصبت بعاهة من جراء التوقيف او السجن ، او التعذيب اذكرها ؟ كلا .
١٨ - هل هناك آثار نجمت عن التعذيب وما هي ؟ حالات نفسية وكوابيس ليلية .
١٩ - هل كانت لك مواجهات مع اهلك اثناء الاعتقال : كلا . **او اثناء السجن :** كلا .
٢٠ - كم هي الفترة التي قضيتها من دون مواجهة ؟ ثلاث سنوات .
٢١ - مدة التحقيق وفي اي مكان : مديرية (أمن) بغداد / مديرية (الامن) العامة .
٢٢ - هل تذكرين اسماء المحققين : أكثرهم ملثمين وأنا معصوبة العينين .
٢٣ - هل احلت الى محكمة : نعم . **ما اسم المحكمة :** محكمة (الثورة) العسكرية .
من هم اعضاؤها: مسلم الجبوري . **المدعي العام :** لا أعرفه .
٢٤ - هل وكلت محامياً : كلا . **من هو ؟**
٢٥ - هل وكل عنك محامي : نعم المحكمة . **من هو ؟** لا أعرفه ولم اقابله .
٢٦ - ماهي مادة الحكم : لا أعرف . **نوع ومدة الحكم :** مؤبد .
٢٧ - هل حكم على احد معك ؟ كثيرون منهم (١٦) طالبة من عدد من الكليات .
٢٨ - هل عندك صورة من امر القاء القبض او الحكم بالسجن : كلا .
٢٩ - ماهي مواصفات السجن او المعتقل : كبير ، صغير ، نظيف ، مكتظ بالمعتقلين والسجناء .
٣٠ - هل اعتقل احد من افراد اسرتك معك ؟ نعم .

الاسم	العمر	المهنة
١ - أختي ن . م . عثمان	١٧ سنة	طالبة
٢ - أختي ع . م . عثمان	١٥ سنة	طالبة

٣١ - هل تم تعذيب احد افراد عائلتك امامك ؟ من هم وكيف :

الاسم	العمر	نوع التعذيب
١ - ن . م	١٧ سنة	جسدي واغتصاب
٢ - ع . م	١٥ سنة	جسدي (تعليق بالمروحة والضرب حتى الاغماء)

٣٢ - هل تم تعذيب احد المعتقلين امامك ؟ من هم وكيف : نعم ، كثيرون .
٣٣ - هل اجبرت على تعذيب او اهانة او الاعتداء على احد زملائك المعتقلين ؟
نعم وقد رفضت بشدة .
٣٤ - هل توافقين على ذكر اسمك للمنظمات الدولية أو وسائل الاعلام ؟
المنظمات الدولية / نعم ، وسائل الاعلام / كلا[1] .

---

١ - لم نذكر الاسم الصريح ولا العنوان رُغم أننا بنشر الوثيقة لم نأت بسرٍّ جديد ، إذ ان المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق

٣٥ - هل هناك حادثة معينة اثرت فيك اثناء الاعتقال او السجن ؟
تعم : اغتصاب اختي أمامي من قبل ثلاثة من الجلادين وقد اصيبت بالجنون ولا أعرف شيء عن مصيرها حيث لا اعلم هل حكمت أم لاتزال معتقلة في مديرية (الامن) العامة .
٣٦ - اذكري سبب اطلاق سراحك : عفو عام ١٩٨٦ م .
تاريخ اطلاق السراح :

التوقيع

❋ ❋ ❋

بسمه تعالى

المركز الوثائقي لحقوق ... انتهاكات النظام العراقي
الإنسان في العراق .... لحقوق الإنسان
المؤتمر العالمي الرابع المرأة - بكين

اغتصاب

محمد علي الرماحي ، من اهالي مدينة النجف الاشرف / حي السعد ، ويسكن في المنزل رقم (٢٦١) وعمره خمسة وخمسون سنة ، بتاريخ ١٩٩١/٣/١٢ ، احرق نفسه حتى الموت بعد أن قام أفراد من الحرس الجمهوري باغتصاب بناته الثلاثة أمام عينيه وهن :
١ - أحلام محمد علي (١٥) سنة .
٢ - اسماء محمد علي (١٦) سنة .
٣ - ايمان محمد علي (١٨) سنة .
وذلك في باحة الدار ، وتم اعتقال والدة البنات الثلاثة واقتيدت الى جهة مجهولة وكان الملازم أول (دحام التكريتي) يمارس عملية الاعتداء هذه في المقدمة .
بعد هذه الحادثة مباشرة اصيب الوالد بجنون ، وبعد ثلاثة أيام أقدم على حرق نفسه بصب كمية من البنزين على جسده وذلك في الشارع وامام منزله ، وعبثا كانت محاولات الجيران في اطفاء جسده المشتعل ، حيث فارق الحياة بعد اقل من عشرة دقائق .
الوفاة : ١٩٩١/٣/١٥ م .

قد قام مشكوراً بنشر الوثائق (الأصل) وباللغتين العربية والانجليزية خلال إشتراك الوفد العراقي النسوي في المؤتمر الرابع للمرأة المنعقد في بكين عام ١٩٩٥م . ليطّلع العالم على جرائم النظام الحاكم في بغداد بحق حرائر شعبنا في العراق .

وثائق الحكومة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الامن العامة
مديرية أمن محافظة السليمانية
//ش ق ج ١ //
العدد : ١٠٥٤٢
التاريخ : ١٩٨٢/٣/٤

الى كافة المعاونيات
م : القاء قبض

يرجى القاء القبض على الدكتورة عقيلة مسلم عبود تعمل في مستوصف (أبو غرق) من مواليد ١٩٥٦ م تسكن كربلاء لثبوت علاقتها بحزب الدعوة لاتخاذ مايلزم واعلامنا .

نقيب الامن
عـ / مدير أمن محافظة السليمانية

نسخة منه الى :
قـس]طلبت الينا كمديرية أمن كربلاء ببرقيتها ١٢٠٢ في ١٩٨٢/٣/١ القاء القبض .
مـ٨٥]عليها للتأشير لديكم .

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الامن العامة
مديرية أمن محافظة السليمانية
ش . ق . ج /١
العدد : ٥٤٦٢
التاريخ : ١٩٨٢/٢/٢

الى /كافة المعاونيات
م /القاء القبض

يرجى القاء القبض على المدعوة (فاطمة مهدي الطالقاني) مواليد ١٩٥٣ نجف ، خريجة كلية الادارة والاقتصاد وموظفة في مديرية الري العامة تسكن بغداد (حي جميلة) . لاتخاذ مايلزم وارسالها الينا مخفورة واعلامنا رجاء .

نقيب الامن
عـ. مدير أمن محافظة السليمانية

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الى /كافة المعاونيات العدد : ٣٢٩
من / مديرية أمن حلبجة /س ٤ التاريخ : ١٩٨٦/١/٦

تقرر منع المدعوة جواهر عبدالزهرة حسن الجواهري من السفر خارج القطر ، مواليد ١٩٥٥ ، مهمتها معلمة ، تسكن النجف (حي السعد) ، رقم الدار ١٢١/٨(٠)

لاتخاذ مايلزم من قبلكم واعلامنا رجاء .

مدير أمن حلبجة

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الامن العامة
مديرية أمن محافظة السليمانية
ش . ق . ح / ٣
العدد : ٧٢٩٣
التاريخ : ١٩٨٢/٢/١٤

الى / كافة المعاونيات
م / أمر قبض

١ - القاء القبض على المدعوة سنا، صالح جاسم ، شغلها مدرسة . وارسالها الينا مخفورة .
٢ - يلغى المنع الصادر بحق المذكورة اعلاه . لاتخاذ مايلزم بصدد ذلك .

نقيب الامن
عـ. مدير أمن محافظة السليمانية

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

معاونية أمن جلبجة
العدد : ١٣٦٣
التاريخ : ١٩٨١/٢/١٦

الى / كافة المراكز والمفارز
م / القاء قبض

١ - القاء القبض على المدعو يحيى راضي علي الشمري . شغله طالب في الصف الثاني - كلية العلوم - فرع بايلوجي ، من سكنة بغداد - الكرخ - رقم الدار ٦/٤٦ مع زوجته المدعوة أنيسة جبار وتشير المعلومات با، المذكور وزوجته حالياً في لبنان وانه من عناصر حزب الدعوة العميل واعلامنا لطفاً .

ضابط أمن حلبجة

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

معاونية أمن جلبجة
العدد : ٢١٧٢
التاريخ : ١٩٨١/٤/١٢

الى / كافة المراكز والمفارز

م / القاء قبض

لالقاء القبض على المدعوة نسرين عبدالهادي محمد حسن سميسم حال تواجدها ضمن مناطقكم . لاتخاذ مايلزم بصددها واعطاء الموضوع الاهمية القصوى رجاء .

م. اول أمن

ضابط أمن حلبجة

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية أمن محافظة السليمانية

(الادارة)

العدد : ١٦٠٦٢

التاريخ : ١٩٨٤/٤/٤

الى / معاونية أمن حلبجة

م / الغاء موافقة زواج

كتابكم ١٩٧٦ في ١٩٨٤/٣/١١ ، حصلت الموافقة على الغاء موافقة زواج الامين الاول فالح محمد صالح من الآنسة بشرى عبدالله فتحي بموجب كتاب مديرية الامن العامة م . د المرقم ٧٧٢٧ في ١٩٨٤/٣/٢٧ للعلم وتبليغه بذلك رجاء .

مقدم الامن

مدير أمن محافظة السليمانية

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

معاونية أمن حلبجة

العدد : ١١٦٢

التاريخ : ١٩٨١/٢/١١

الى / كافة المراكز والمفارز

م / أمر القبض

يلقى القبض على المدعوة ساجدة أحمد علي العنبكي ، معلمة . تسكن بغداد (شارع فلسطين ، حي الطرق والجسور) رقم الدار (٤٠) ، زقاق (٢٢) ، محلة (٧٥) . وارسالها الينا مخفورة واعلامنا .

ضابط أمن حبلجة

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

مدير أمن محافظة السليمانية

م ٨٥

العدد : ٤٩٥٢٩

التاريخ : ١٩٨٤/٩/٢

الى / كافة المعاونيات / حلبجة

م / معلومات

ترفق طياً صورة كتاب مجلس قيادة الثورة - لجنة شؤون الشمال المرقم ٣٤٨٠/١٠ في ١٩٨٤/٨/٢٩ ومرفقه قائمة اسماء . راجين اجراء التحقيق السري وجمع المعلومات عن المعلمين والمعلمات المدرجة أسمائهم وعناوينهم في القوائم المرفقة واعلامنا النتيجة بالسرعة الممكنة وخلال ثلاثة أيام اعتباراً من التاريخ اعلاه لاهمية الموضوع واعلامنا رجاء.

رائد الامن

عـ مدير أمن محافظة السليمانية

المرفقات :

قائمة عدد / ٢

نسخة منه الى :

ق.س / طيا قوائم لبيان ما مسجل لديكم ضدهم رجاء.

❋ ❋ ❋

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
قيادة مكتب تنظيم الشمال
قيادة شعبة السليمانية
قيادة فرقة الصديق

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة
العدد : ٤٢٢/١٩
التاريخ : ١٩٨٢/٥/٢٤

تحية نضالية

الى / قيادة مكتب الطلبة والشباب لشعبة السليمانية

م / طلب معلومات

اشارة الى المكالمة الهاتفية من قبل الرفيق صالح مهدي الضايع أمين سر مكتب الطلبة والشباب للشعبة . حول طلب المعلومات عن المعلمين والمعلمات والذين يعملون ضمن قاطع فرقتنا .

ندرج ادناه المعلومات عنهم ونود اعلامنا بأنه تنفيذاً للتعليمات الصادرة من القيادة حول التحرك على المعلمين والمعلمات وقد جرى ذلك من قبل رفاقنا الحزبيين وبأستمرار وانهم رفضوا بحجة الظرف الامني في المنطقة وادعوا بانهم ليس لهم علاقة بالحزب . وبالوقت الذي قد قبلوا في دار المعلمين والمعلمات عن طريق الحزب وتوجد لديهم اضابير وحال تخرجهم رفضوا العمل الحزبي نهائيا فعليه وللاسباب اعلاه توصي قيادة الفرقة بعدم ترشيحهم لاي مقعد دراسي أو أي موقع اعلى لعدم صلاحيتهم له مع التقدير ودمتم للنضال .

الرفيق

جاسم محمد كريدي

أمين سر فرع الصدّيق

❋ ❋ ❋

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
القيادة القطرية / مكتب امانة سر القطر
العدد : ٢٦٦٥/٣٤

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالده

التاريخ : ١٩٨٥/١/٢١

(سري وعاجل)

الى : مكتب تنظيم الوسط

الموضوع : العوائل التي لم تشارك في معركة قادسية صدام

تحية رفاقية

كتبكم المرقمة ١٤١٩ و ١٦٠٧ و ١٠٥٨ في ٤ و ١٦/٤ و ١٩٨٤/٥/٢٠ م.

يرجى تزويدنا بأسماء العوائل التي لم تشارك في معركة قادسية صدام المجيدة وفق الضوابط التالية وحسب نموذج الاستمارة المرفقة طياً :

١ - اسماء العوائل التي لم تشارك في معركة قادسية صدام ولايشمل ذلك العوائل التي شارك احد أفرادها في الجبهة أو التبرع أو أية صيغة اخرى.

٢ - المشاركة تشمل جميع الذين شاركوا بأي شكل من الاشكال في معركة قادسية صدام المجيدة سواء في الجبهة أو التبرع أو التأليف أو الفن وغيرها من الممارسات الاخرى التي تدعم معركتنا المقدسة ضد العدو العنصري.

٣ - ان تكون المعلومات دقيقة بحيث تفي بالغرض.

٤ - استبعاد اسماء المواطنين العرب مما ورد في (١) اعلاه.

٥ - عدم ذكر اسماء العسكريين ومنتسبي قوى الامن الداخلي والمخابرات لكونهم يخضعون لضوابط خاصة تنظم مشاركتهم في معركة قادسية صدام المجيدة.

٦ - استبعاد اسماء العوائل الذين ليس لديهم القدرة على المشاركة مثل (العجزة وليس لديهم أولاد وكبار السن والمعتوهين) وكذلك المتوفين.

٧ - اسماء العوائل التي هرب ابنائها خارج العراق بصورة أو بأخرى ولم يشاركوا في جبهات القتال.

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم على أن تصلنا الاجابة مدة اقصاها أسبوعان من تاريخه اعلاه.

ودمتم للنضال.

الرفيق عـ. مدير عام مكتب امانة سر القطر

❊ ❊ ❊

قرار رقم (٤٠٩)

استناداً الى أحكام الفقرة (أ) من المادة الحادي والاربعين من الدستور المؤقت.

قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٨ مايلي :

أولاً : احالة الاشخاص المبينة اسماؤهم ودوائرهم ادناه على التقاعد :

١ - لؤي يونس بحري - استاذ كلية القانون بجامعة بغداد.

٢ - سعدية حسين حسن - مدرسة العلوم بجامعة بغداد.

٣ - هاشمية حسن زوين - مدرسة العلوم بجامعة بغداد.

٤ - وفية محمد سليم - مدرسة الاداب بجامعة بغداد.

٥ - صالح تقي فهمي - استاذ كلية الاداب بجامعة بغداد.

٦ - عاصم حسن محمد - مدرس القانون بجامعة بغداد .

ثانياً: يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار .

أحمد حسن البكر
رئيس مجلس قيادة الثورة

* * *

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
مكتب تنظيم الشمال
العدد : ٥٥٤١/٢٨
التاريخ : ١٩٨٥/٧/٢٧

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

الى / رؤساء اللجان الامنية في المحافظات
م / توجيهات

تحية رفاقية :

الحاقاً لكتابنا المرقم ٣٦٦٣/٢٨ في ١٩٨٥/٦/٢٧ للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم وفق ما يلي :

١ - تشمل اجراءات الحجز المذكور من عوائل المخربين الذين تتراوح أعمارهم من (١٣ - ٦٠) سنة بدلا من (١٧ - ٥٠) .

٢ - تستثني من الاجراءات المشار اليها بكتابنا اعلاه عوائل الشهداء والاسرى والمفقودين والعسكريين الذين لازالوا - بالخدمة في الجيش وعوائل مقاتلي الجيش الشعبي والمفارز الخاصة ولا تستثني من ذلك العوائل التي لديها مقاتلين في الافواج الخفيفة .

مع التقدير ... ودمتم للنضال ...

الرفيق سعدي مهدي صالح
أمين سر مكتب تنظيم الشمال
رئيس لجنة التنسيق الأمني المركزي

نسخة منه الى :

الرفاق أعضاء قيادة المكتب المحترمون / للتفضل بالاطلاع مع التقدير ..

أعضاء لجنة التنسيق الامني المركزي / للتفضل بالاطلاع مع التقدير ..

* * *

(صورة الكتاب)

م / زواج بدون أخذ موافقة

اعلمتنا مديرية أمن محافظة التأميم بكتابها ٤٥٣ في ١٩٧٩/٧/٧ بأن منسوبها ن . ع الامن عاصي حسين عباوي قد تزوج من الآنسة وضحة حسين عباوي بتاريخ ١٩٧٦/١٠/١٢ دون أخذ موافقة الدائرة . لذى استقدامه

لهذه المديرية والتحقيق معه فقد أفاد بأنه تزوج من ابنة عمه أعلاه وسبق له عقد قرانه عليها منذ أن كان طفلاً لدى أحد الشيوخ .

بالنظر لما تقدم ولمخالفته ن . ع الامن المذكور وعدم التزامه بتعليمات الدائرة تقرر معاقبته بالحبس لمدة عشرة أيام . نرجو ملاحظة ذلك مستقبلاً وتبليغ منتسبيكم بمضمونه لطفاً .

موقع
عـ / مدير الامن العام

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
الجمهورية العراقية

المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء
الشعبة : ذاتية الادارة (العلم غنى والجهل فقر)
العدد : ٣٦٣١٣/١/١١
التاريخ : ١٩/١٢/١٩٧٩ م

الى : ادارات المدارس في المحافظات كافة
م : فصل مدرِّسات

نقل لكم أعلاه نص الأمر الوزاري الصادر عن المديرية العامة للتعليم الثانوي – الشؤون الادارية – ذاتية الثانوي – المرقم (٧٣٢١٢ في ٨/١٢/١٩٧٩م . والمتضمن فصل مدرِّسات بسبب زيارتهن لمُدرِّسة في المدرسة نفسها للقيام بتعزيتها بعد اعدام ولديها الثائنين بأعمال تخريبية ضد أمن الدولة . راجين اطلاع منتسبيكم على مضمونه لطفاً .

عبدالكريم احمد حسن
ع / المدير العام

نسخة منه :
شعب المديرية كافة / لنفس الغرض أعلاه لطفاً .
ذاتية الادارة .
لجنة المتابعة .
الملف الدوار .

نص الأمر الوزاري

تنفيذاً لقرار مجلس قيادة الثورة المرقم (١٦٦٤) والمؤرخ في ٢/١٢/١٩٧٩ م تقرر فصل المُدرِّسات المدرجة أسماؤهن وعناوين وظائفهن أدناه من الخدمة لمدة سنتين اعتباراً من تاريخه اعلاه .

الاسم	العنوان
١ – رضيّة أحمد علي	مدرِّسة أعدادية المأمون للبنات / المديرية العامة / لتربية محافظة بغداد/الكرخ .
٢ – نجيّة خضر جدّوع	مدرِّسة أعدادية المأمون للبنات / المديرية العامة /

٣ - فوزية عبدالرزاق حسن
لتربية محافظة بغداد/الكرخ.
مدرسة أعدادية المأمون للبنات / المديرية العامة / لتربية محافظة بغداد/الكرخ.

أحمد حسن البكر
رئيس مجلس قيادة الثورة

* كتاب محكمة الثورة في ١/٢٠٩٠ في ١٩٧٩/٦/٣٠م .. القضية المرقمة ٧٩/١٦ الامن العامة م/٣٢(مؤبد):

١ - هادي عبد ابراهيم
٢ - سلامات عباس يوسف
٣ - جواد محمد جواد
٤ - عبدالكريم رضا محمد
٥ - محمد شاهود سراج
٦ - حاتم عبدالكريم محمد
٧ - محمد علي سلمان يوسف
٨ - جعفر كاظم عباس
٩ - أحمد ابراهيم حسن
١٠ - شاكر عبدالكريم
١١ - فائقة فائق عبدالكريم
١٢ - أكرم مولى أسد عبدالكريم
١٣ - مفكر مهدي اسماعيل
١٤ - كاظم علي القاحي
١٥ - محمد علي حسين حسن
١٦ - محمد حسن زاير
١٧ - خالد خضير حيدر

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية أمن السليمانية
العدد / م ٧٩٠٧٢/٨٥
التاريخ /١٩٨٤/١٢/٢٧

الى /كافة المعاونيات
م / القاء قبض

تقرر القاء القبض على المدعوة حسنة قدوري عبد طه العبيدي حال دخولها القطر أو تواجدها فيه «تدرس الأدب الروسي» تسكن سابقاً بغداد - المحمودية . لاتخاذ مايلزم رجاءً.

عـ / مدير أمن السليمانية

نسخة منه الى /
ق . س للتأشير .
الجنائية .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية أمن السليمانية

العدد / م ٧٩٥٥٢/٨٥
التاريخ /١٩٨٤/١٢/٢٠

الى /كافة المعاونيات

م: القاء قبض

تقرر القاء القبض على كل من حال دخولهما القطر أو تواجدهما فيه:

١ - زاهد محمد علي صادق زهدي - مواليد ١٩٤٠، مهنته مدير قسم في وزارة النقل ونائب رئيس تحرير مجلة النقل سابقاً/حاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد في جيكوسوفاكيا.

٢ - زهرة قاسم محمد حسين خميس - زوجته / مهنتها استاذة في الجامعة المستنصرية كلية الادارة والاقتصاد سابقاً حاصلة على شهادة الدكتوراه من جيكوسلوفاكيا.

عـ/مدير أمن السليمانية

نسخة منه الى /ق.س للتأشير

الجنائية.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مدير أمن السليمانية

العدد/م ٧٩٥٥١/٨٥

التاريخ/١٩٨٤/١٢/٢٠

الى /كافة المعاونيات

م: القاء قبض

تقرر القاء القبض على المدعوة مكارم شريف مبارك حال دخولها القطر أو تواجدها فيه. تولد ١٩٥٠ بغداد الاعظمية تحصيلها الدراسي بكالوريوس علوم / جامعة بغداد - مهنتها مساعد مختبر بكلية الطب في جامعة البصرة سابقاً من سكنة بغداد الكرادة الشرقية أبو قلام / رجاء.

عـ/مدير أمن السليمانية

نسخة منه الى //ق.س للتأشير.

الجنائية /

***

كتب وصحف عراقية مهجرية

كتاب : صفحات سوداء من بعث العراق ، ج١

تأليف : عبدالحميد العباسي

الطبعة : الثانية / ١٩٨٤م

جاء فيه :

*** تعذيب النساء والاطفال**

وتعذيب النساء والاطفال وربما القتل ايضاً غالباً ما يكون للتأثير على الزوج أو الاب لاخذ الاعترافات منه .

ولكن قد تُعذَّب المرأة لذاتها عندما تكون هي المقصودة لانها تقوم بنشاط ديني أو لانها منتسبة لحزب الدعوة الاسلامية ، سواء كانت في الاوساط الدراسية أو غيرها.

ويتخذ تعذيب النساء اشكالاً مختلفة :

أ – تعليقهن من شعورهن بعد ربط الايدي والارجل .

ب – وفي أيام الدورة الشهرية تُعلَّق المرأة من رجليها وحينئذ فان الدم اما أن يحتبس في الموضع فيسبب لها آلاما عظيمة فتستغيث ولاتغاث واما ان ينزل الدم على وجهها ليدخل في فمها الذي غالباً ما يكون مفتوحاً عندما تصيح وتصرخ . وتبقى كذلك حوالي سبعة أيام أي الى ان تنقطع العادة .

ج – ويعتدي على عرضها ، واذا كان تعذيبها لاخذ الاعتراف من زوجها فانما يكون ذلك امام الزوج نفسه لاجباره على أعطاء المعلومات .

د – وتتعرض كذلك لانواع الضرب والتضييق كما يتعرض الرجال سواء بسواء .

اما الاطفال ، فيؤتى بهم للتأثير على آبائهم فيُضربون ويُعذبون امام آبائهم في محاولة لاخذ الاعترافات ، والطفل البريء يصرخ ويتوسل ولن تنفع بالمجرمين هذه الصيحات والتوسلات .

فاذا امتنع الاب عن الادلاء باية معلومات فانهم يقتلونه أمامه بالصورة التي تحلو لهم وتقلت احدى المجاهدات انها عندما أُخذت الى دائرة الامن العامة ، وعذبت هناك امام زوجها لاخذ الاعتراف منه ، كان معها طفلها الرضيع . فاحمى الجلاوزة (سيخاً) حتى اصبح كالجمر ثم وضعوه في بطنه وهو يتلوى ويرفس بيديه ورجليه، والجلاوزة كالوحوش الكاسرة ينظرون اليه وكأنه منظر عادي جداً!!

*** اعتقال مدرِّسة**

احدى المدرِّسات فقدت أخاها شهيداً في صفوف الثوار المسلمين فجاءتها اثنتان من زميلاتها المدرِّسات لاجل تعزيتها فصدر كتاب رسمي بفصل هاتين المدرستين وعُمِّم الكتاب على جميع المدارس ليكون عِبرة .

*** صدام مع طالبة جامعية**

زار المجرم صدام كلية التربية عام ١٩٧٨ ولفتت نظره احدى الطالبات الجميلات . فأشار الى بعض جلاوزته انه يريدها[1] وطلب الجلاوزة منها لقاء مع شيخهم المجرم صدام فأبت الفتاة فما كان من الجلاوزة الا ان القوا في حقيبة الفتاة بعض المنشورات المعادية ثم سيقت الى الاعتقال وقضى معها صدام وطراً ثم فصلها من الكلية وهددها ان هي حاولت ان تفضحه.

*** إعتقال امرأة عجوز**

إعتُقلت امرأةٌ عجوز من منطقة الجبايش في الناصرية لانها كانت تبكي وتنوح على ولدها الذي سبق ان قتله المجرمون وبقيت في الأمن العامة ثلاثة شهور ، وكانت هناك لاتنقطع عن البكاء .

*** شاب ينتحر**

اعتقلوا شاباً وزوجته من أهالي (الشنّافية) وكانا حديثي عهد بالزواج بتهمة مخالفة أوامر الحزب وحكم على كل منهما بالسجن لمدة سنة وستة أشهر (كل على انفراد طبعاً).

وكان واقع الأمر ان الشاب كان عضواً في حزب البعث ذاته وعندما تزوج أراد رئيس النظمة هناك ان يشترك معه في زوجته ولما أبى الزوج ذلك دبّرت لهما هذه التهمة .

وخلى الجو لرئيس المنظمة فكان يزور الزوجة متى ما يشاء ، وعندما علم الزوج بذلك وهو في السجن ، انتحر ليتخلص من العار ..

* * *

كتاب : صفحات سوداء من بعث العراق ، ج٢

تأليف : عبدالحميد العباسي

الطبعة : الاولى ١٩٨٨م

جاء فيه :

* احد القادمين من العراق الى الجمهورية الإسلامية في عام ١٩٨٣ ذكر ان دوائر امن صدام اعتقلت احدى المؤمنات لمدة خمسة أشهر ، ثم اتصلوا بأبيها تلفونياً ليأتي ويستلم ابنته .

وذهب أبوها الى الدائرة وجاءوا بها اليه ، واذا بها عارية تماماً ، فالقى عليها عباءته وسترها ، وأخذها الى بيته ، ولكنها تكاد لا تنقطع عن البكاء أبداً وتتوسل الى ابيها ليقتلها ، وعندما سألها عن السبب قالت له ان الجلاوزة (لعبوا) بها كما يشاؤون ، وانها لن تستطيع الحياة وتصور المأساة .

* ذكر احد الدُعاة الذي لجأ الى الجمهورية الإسلامية انه قُبض عليه من قبل جلاوزة صدام وعُذِّب

---

١ - المجرم صدام عندما يزور المدارس والكليات أو المؤسسات النسائية فقد وضع اشارة بينه وبين جلاوزته بأن يضع يده على كتف التي يريدها كأنه يريد ان يقدّرها على مستواها الدراسي أو جهودها ، وتلك علامة معلومة .

تعذيباً شديداً ليعترف ، وما اعترف لهم بشيء .

وللضغط عليه جيء بزوجته وطفله ، وهددوه بقتلها ان لم يعترف ، ولكنه ما اعترف .

فاعتدوا على عرضها امامه ، ثم قتلوها .

ثم بعد ذلك هددوه بقتل طفله – والطفل لايتجاوز السنة – فرفعوا الطفل وادخلوا قليلاً قليلاً من رجليه في حوض التيزاب (الأسيد) وما اعترف لهم بشيء على الرغم من صراخ الطفل البريء .

ثم القوا الطفل في حوض التيزاب واختفى اثره بسرعة ، وبقي البطل صامداً .

❊ ذكرت لي احدى المؤمنات التي لجأت الى ارض الإسلام (إيران) عام ١٩٨٣ انها عندما كانت في العراق وفي بغداد بالذات ، جاءها جلاوزة الامن يوماً ، وطرقوا عليها الباب وسألوها عن زوجها واولادها ، ولم يكونوا في الدار . قالوا لها :

– اذن اذهبي انت معنا .

قالت :

– الى أين ؟

قالوا :

– الى دائرة الامن وسوف تعودين بعد قليل .

ركبت معهم السيارة وعصّبوا عينيها ، وبعد قليل كانت في مديرية الامن العامة ، وعلى العادة المتبعة فان بعض الجلاوزة تلاقفوها كالكرة ، ودون ان يسألوا عن ذنبها وتهمتها – فليس من وظيفتهم ذلك –

وبعد تعذيب شديد ، خلعوا عنها كامل ملابسها ثم انزلوها سرداباً واسعاً جداً وفيه بحدود اربعة آلاف امرأة كلهن عاريات[1] .

وعندما وجدت هذه المسكينة زميلاتها على هذه الحال فقدت شعورها وسقطت مغمياً عليها .

وعندما افاقت وجدت رأسها في حضن احدى النساء تروّح لها الهواء ، فتحتْ عينيها باكية وسألتها عن سبب مجيئها الى هنا ؟ فأجابتها : أتسألينني ؟! وأنا منذ سنتين ونصف في هذا المكان وعلى هذه الحال .

❊ التعدي على أعراض النساء ، حتى أن البعض منهن حملن وولدن سفاحاً ، ويقول السيد (أبو مصطفى) الذي عايش هذه الحالات ان طفل احدى المجاهدات سُلّم الى اهلها وقيل لهم ان ابنتكم كانت حاملاً قبل الاعتقال .

❊ ومن طرق التعذيب جلب الزوجة او الاخت او البنت ومحاولة الضغط على زوجها او ابيها او اخيها كما حدث للشهيد (محمد بدّاي السالم) عندما جلبوا ابنته البطلة وزوجته امامه وابديا صموداً عجيباً ومقاومة عظيمة .

❊ يُعتقل الرجل مع المرأة في زنزانة صغيرة وتُخلع ملابسهما تماماً ويربطان بحبل وجهاً لوجه وقد تستعمل هذه الطريقة مع اب وابنته (طبعاً كل ذلك مع المتدينين) امعاناً في ايذائهم .

❊ ❊ ❊

---

١ – يتحفّظ المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق على هذا العدد من السجينات .. ولعله قد حصل خطأ مطبعي وان العدد الحقيقي (٤٠٠) .

كتاب : ماذا يحدث في سجون العراق

تأليف : المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق

الطبعة : الأولى / ١٩٩١م

نماذج من أسماء النساء المعدومات في العراق / صفحة ٦٤[١]

ت	الاسم	المواليد	المدينة	المهنة	تاريخ الاستشهاد
١	آمنة الصدر	١٩٣٠	النجف	عالمه	١٩٨٠
٢	سلوىٰ البحراني	١٩٣٤	بغداد	موظفة	١٩٨٠/٦/٤
٣	آمنة صالح	٢٨ سنة	السليمانية	فلاحة	
٤	شعلة عبدالكريم عثمان		السليمانية		
٥	فاطمة حمه رشيد	١٩٢٩	السليمانية	ربة بيت	١٩٨٦/٧/٢٠
٦	واليه علي أكبر	١٩٣٨	بغداد	ربة بيت	
٧	وفاء عبدالرحمن		البصرة	مهندسة	
٨	نجاة فاضل عباس			طالبة	
٩	نجيبة حمه علي قادر	١٩٤٣	السليمانية	ربة بيت	١٩٨٥
١٠	نهلة هادي موسىٰ نجف	١٩٦١	بغداد	طالبة	
١١	نهاية محمد أمين	١٩٦٥	السليمانية	ربة بيت	١٩٨٧/٨/٢
١٢	مريم رستم	١٩٧٦	السليمانية	ربة بيت	١٩٨٣/٤/٢
١٣	سكنة (زوجة حسن دخيل عرب)	١٩٥٧	سامراء - بلد	ربة بيت	١٩٨٢/٤/٨
١٤	سميرة فاضل عباس	١٩٦١	الكوت	ربة بيت	١٩٨٠
١٥	أمل محمد جواد العامري	١٩٥٧	بغداد	ربة بيت	
١٦	أم محمد	١٩٤٧	الناصرية	ربة بيت	١١/محرم/١٩٨٠
١٧	ميسون غازي	١٩ سنة			١٩٨٦
١٨	صفية		البصرة		١٩٨٧
١٩	ابتسام		البصرة		١٩٨٧
٢٠	احلام		البصرة		١٩٨٧

١ - لحصول أخطاء مطبعية في القائمة أعلاه يشير المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق الىٰ أن التسلسل (١٠، ١٤، ٢٠) سجينات مجاهدات قد أطلق سراحهنَّ في عفو عام ١٩٨٦م.

كتاب : كنتُ ابناً للرئيس

تأليف : لطيف يحيىٰ

الطبعة : الأولىٰ ١٩٩٤ م

جاء فيه :

الشريط ٣٢ :

تعليق النساء من شعر الرأس واجبار الازواج والاطفال علىٰ المشاهدة .

الشريط ٣٣ :

الاغتصاب أمام الازواج .

الشريط ٣٤ :

تعليق المرأة أثناء دورتها الشهرية من رجليها وتبقىٰ معلّقة الىٰ أن تنتهي الدورة .

* * *

كتاب : شبيه صدام

تأليف : ميخائيل رمضان

جاء فيه :

*** القصة الثالثة**

في احدىٰ طلعات صدام كنت أرافقه ولكن بشكل متنكر ، في الساعة الثامنة مساءاً تقريباً في منطقة المنصور [...] صدام امرأة جميلة أعجبته (في نظري لم يكن جمالها يلفت النظر) كانت تمشي مع رجل علىٰ أغلب الظن كان [...]وجها فأمر صدام الحماية باحضار الرجل فعندما مثل بين يديه قال له صدام : «ويلك هذه المرة مينلك اللي تمشي [...]ياك» حيث كلمه بلهجته المحلية فأجابه الرجل بعدما عرف صدام «سيدي هذهِ زوجتي» فقال له صدام «اسكت [...]كذاب» فأمر الحماية فأخذوه الىٰ مكان سرّي حيث علمت فيما بعد ان الرجل قد أُعدِم اما المرأة فعلىٰ عادته عاد بها [...] القصر فقضىٰ منها نهمه ومن ثم اعطاها لحمايته المقربين ثم قُتِلت المسكينة باحدىٰ طرقهم الجهنمية .

*** الفيلم الرابع**[١]

إمرأة في العشرين من العمر .. جلادين واقفون .. بيدهم امواس حادة .. يُقطِّعون في جسم المرأة .. تصرخ

[...] ضمن التدريب الذي تدرّبتُ عليه كان ما يسمىٰ «التدريب النفسي» وكان عليَّ أن أُشاهد أفلام من أرشيف المخابرات [...]

وتستنجد بهم وهم يزدادون بعدوانيتهم الى ان تسقط المرأة مغمىً عليها .. يبتسم الجلاد .. ينتهي الفلم.

*** الفيلم السادس**

١ - قطع الالسن بالشفرات الحادة.
٢ - قلع الاظافر والاسنان بلا تخدير.
٣ - حشد خمسين سجين في غرفة عرضها مترين.
٤ - قلع العيون بآلة مخصوصة لذلك بدون تخدير.
٥ - رش المواد الحمضية على الجسد.
٦ - صب الماء الحار على الجسد.
٧ - اغتصاب النساء أمام الاهل.

* غرفة تحت الأرض كبيرة نوعاً ما تحتوي على ٢٠٠ إمرأة عاريات تماماً كما خُلقن، صيفاً وشتاءاً. يومياً يُنتهك شرف هذه النساء. والكثير منهن يحجبن من هذا الزنا، فاذا كان المولود ذكراً يُقتل في الحال. وان كان بنتاً فتأمر الام بتربية الطفلة. وسبب ذلك هو الاستفادة من النساء في الجنس والخدمة.

* غرف صغيرة تحت الارض يوضع فيها المعتقلين أو المعتقلات بأعداد أكثر من استيعابها بكثير بحيث يصاب الموجودين فيها وبسبب الضغط النفسي والمدة الطويلة لوجوده بهذه الصورة يُصاب الكثير منهم بالجنون.

* زنزانات صغيرة جداً يضعون المعتقل واحدى قريباته «امه، اخته» عاريين تماماً حيث يضعوهم وجهاً لوجه.

* اطفال من سن (٣-١٠) سنوات، قُتل آباءهم، وماتت امهاتهم أو قُتلت، يُعرضون للتعذيب والقتل اليومي، ومصير هؤلاء الاطفال الموت المحتم، لان وجودهم ضرر على النظام.

* كرسي كهربائي يوضع عليه المعتقل المحكوم بالاعدام.

* أربعة من النساء الشابات، وضعن في غرفة مملوءة بالعقارب وقد رُبطت أيديهن وأرجلهن وخُلعت ملابسهن، وقد باعدوا بين أرجلهن حيث اوثقوهن الى الحائط.

* خمسة رجال وخمسة نساء كل رجل امامه امرأة عارية، الرجال ازواج النساء، حيث يضعون امام كل رجل (عاري) امرأة صاحبة، عذاب نفسي لا يطاق.

* رجال ونساء منهكون، سُلِّطت عليهم آلات تمنعهم من النوم الى حد الانهيار.

* غرفة خاصة لقلع الاظافر والعيون والكي بالمكواة والسجائر.

* استعمال البريمة (الدريل الكهربائي) بثقب الرأس، والجسد.

* اجبار النساء على المشي أمام الرجال وهن عاريات.

* وابشع ما رأيت من التعذيب الجسدي والنفسي في «الشعبة الخامسة أو شعبة مكافحة النشاط الرجعي

الديني» فتتكون هذه الشعبة من رواق طويل يقع في الطابق الثالث من مديرية الأمن العامة توجد على جانبي الرواق غرف متقابلة تلاحظ في داخلها آلات التعذيب القاتلة والسلاسل المتصلة بالكهرباء وقناني الغاز الكبيرة والآلات الحديدية الاخرى والتي تُصفَّد بها أرجل المعتقلين، القناني الزجاجية للمشروبات الفارغة مثل قناني البيسي وقد كُسِرت من الأعلى حيث تستعمل هذه القناني لاجلاس المعتقل عليها.

* وهناك قصص عجيبة لم يصدقها عقلي ابداً، قالوا لي ان احدى النساء طرقوا عليها الباب وسألوها عن زوجها فلم يكن في الدار. قالوا لها اذن تعالي انت معنا.

قالت لهم الى اين قالوا الى مديرية الامن وسوف تعودين بعد قليل ذهبت معهم المسكينة. وبعد قليل كانت في مديرية الامن العامة. فتلاقفوها المجرمين ونالوا منها، ثم عذبوها تعذيباً شديداً، ثم خلعوا ملابسها تماماً ثم انزلوها سرداباً واسعاً جداً يوجد فيه أربعة آلاف امرأة[1] كلهن عاريات تماماً. وعندما رأت المسكينة هذا الوضع سقطت في الحال مغمياً عليها.

* شيخ كبير في العقد السادس من عمره تجمع عليه مجموعة من الجلاوزة وانهالوا عليه بالضرب المبرح، حتى

عليه.. يسكبون عليه الماء البارد. يفيق. يعيدوا ذلك عدة مرات.. ثم يذبحون هذا الشيخ من الوريد الى الوريد، ثم يأتون على زوجته العجوز ويسلموها رأس زوجها.. تفقد المرأة صوابها، واصابها الجنون.

* رجل معتقل.. لم يعترف لهم. لجأوا الى طريقة وحشية جداً لكي يجبروه على الاعتراف.. جاءوا بزوجته وطفل عمره سنتين فوضعوا الطفل والمرأة في جانب الغرفة وربطوهم بالحبال وأخذوا يسددون نيران مسدساتهم نحو الطفل والمرأة بمنظر من الرجل. لكن البطل لم يضعف.

❋ ❋ ❋

كتاب: شخصية الطاغية – صدام نموذجاً

المؤلف: السيد هادي المدرّسي

الطبعة: الأولى/ ١٩٩٦م

جاء فيه:

❋ حرق جماعي

«لايقتصر إستهتاره – صدام – بحياة الناس على الرجال وإنما يشمل النساء والأطفال أيضاً. ففي الأيام الأولى لسيطرة الحزب العفلقي على العراق قام أزلامه بحرق (٦٧) من النساء، والأطفال أحياءاً في كهف لجأوا اليه في قرية (داقان) بمنطقة كردستان، وذلك بتاريخ ٨/أغسطس/١٩٦٩م».

المصدر:

Lorenzo Kent Kimball, the Ghaniging Pattern of political power in Iraq 1958 - 1971

---

[1] تحتفظ المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق على هذا الرقم، وقد يكون الرقم الواقعي (٤٠٠) إمرأة.

*** التعليق من شعر الرأس للنساء :**

«وقد مورس ذلك بحق السيدة (ميسون غازي) ١٩ عاماً ، والتي أُعتقلت عام ١٩٨٦ م ، وماتت تحت التعذيب»[١].

*** ادخال العصي في الدبر ، وفي مهبل النساء**

*** اعتقال عائلة السجين**

حيث يتم اعتقال عائلة المُعتقل وذويه بما فيهم النساء وتعذيبهم أمامه ، أو الاعتداء الجنسي عليهم .

*** التحقيق مع المعتقل وهو معصوب العينين مع ربط يديه الى الخلف وإيقافه طيلة فترة التحقيق مع التعرية الكاملة من الملابس وخاصة النساء .**

*** الاعتداء الجنسي**

حيث يتم ممارسة الاغتصاب الجنسي وخاصة مع النساء ، أو ضخ الماء في المهبل . فأبشع ما يتعرض له السجناء في العراق من تعذيب نفسي هو اجبار السجناء على الاعتداء على بعضهم جنسياً وتهديد البعض الآخر.

*** التعذيب قانون رئاسي**

إلّا ان الحقيقة تُبيّن أن التعذيب في العراق «قانون رئاسي» فقد أصدر صدام حسين شخصياً وبصفته رئيساً للجمهورية توجيهاً رئاسياً للاجهزة الامنية يأمرها بشكل سافر على تعذيب كل من يشتبه في ارتكابه ما يسيء الى الحكومة . فقد أوصى في ما يسمى بـ«وصايا الرفيق المناضل صدام حسين» الى الأجهزة الأمنية مايلي : «أوصي تلك الأجهزة بالغاء أي حدود لممارسات التعذيب ضد أعداء الثورة دون أي حرج أو خشية من مُسائلة»[٢] !

* * *

كتاب : الهروب الى الحرية

تأليف : د. حسين الشهرستاني

الطبعة : الأولى / ٢٠٠٠ م

جاء فيه :

*** مقبرة جماعية نسوية :**

جاءني إحدى العوائل – وهي من منطقة (عِفَك) – لتزور سجيناً لها في سجن (أبو غريب) ، وسمعتُ منهم

---

١ – حصل خطأ مطبعي ، فالوثائق والمعلومات التي لدى المركز الوثائقي لشهيدات الحركة الإسلامية في العراق تنص على أن الشهيدة ميسون غازي اعتقلت عام ١٩٨٤ م وتم تنفيذ حكم الاعدام بها في ١٩٨٥/١/٢٣م بطريقة الكرسي الكهربائي .

٢ – راجع كراس «وصايا الرفيق المناضل صدام حسين الى الأجهزة الأمنية» ، ص ٨٠٢ .

قولهم : «نحن فلّاحون وعندنا أرض في منطقة (عفك) وقمنا بكربها ، فظهرت عباءة إمرأة ، وحفرنا المنطقة فظهر عدد كبير من جثث النساء مع عباءاتهنّ ، وتبين أنـها مقبرة جماعية» .

*** نساء عاريات :**

بعد سقوط محافظات أربيل وسليمانية ودهوك في إنتفاضة عام ١٩٩١ م:
«... وجد الأكراد سجناً آخر في منطقة (عربت) التي تبعد ٣كم عن مدينة السليمانية ، ويقع هذا السجن تحت الأرض وفيه مئات من النساء الكرديّات وهنَّ عاريات وشعورهنَّ طويلة جداً وكذلك أظافرهنَّ ، وهنَّ في حالة إنقطاع عن العالم الخارجي ، حتىٰ مَن كانت تموت منهنَّ فأنها كانت تُترك حتىٰ تتحول الىٰ جيفة» .

*** حدثني (ع . ك) قائلاً:**

«سُجنتُ في مركز تحقيقات المخابرات ، وهو مركز رهيب للتحقيق والتعذيب بناهُ الصرب اليوغسلاف لزميلهم صدام حسين ، وكان في هذا المركز زنزانات ، مساحة كل زنزانة متر مربع واحد – أو أكثر بقليل – وكانت الزنزانات مصبوغة باللون الأسود (الأرض ، الجدران ، السقف) ظلام دامس .. وزنزانات أخرىٰ مصبوغة باللون الأحمر (الأرض ، الجدران ، السقف) وفيها حنفية ماء ، فاذا فُتِحت الحنفية ترىٰ كأنك تسبح في بُركةٍ من الدماء .

أخرجوني في أحد الأيام لتنظيف الممر رُغم ماكنتُ أعانيه من آلام التعذيب ، فرأيت إمرأة يبدو عليها بأنـها من أهل الجنوب ومعها ثلاثة أطفال (طفل رضيع وبنت عمرها ٧ سنوات وطفل عمره ٤ سنوات) وبينما كنتُ أنظّف الممر جاء الضابط وسأل المرأة :

– أين زوجكِ ؟
– لا أدري عنهُ شيئاً ، ولو كنتُ أعلم بمكانهِ لأخبرتكم به .
– يجب أن تخبرينا .

فقالت له :

– والله لا أدري عنهُ شيئاً ، ولو كنتُ أعلم لأخبرتكم .. إنَّ زوجي صاحب غيرة وحميّة ، ولو علم بأن زوجته وأطفاله هنا لسلّم نفسه .

– سحب الضابط الطفلة ذات السنوات السبع من ظفيرتها الجميلة بقوة ووجّه رصاصة لرأسها قضت عليها في اللحظة ، ثم ألقاها أمام أُمها تسبح في دمائها .. ثم قال للأم :

– أين زوجكِ ؟

فدهشت المرأة وهي تصرخ :

– لا أدري .

سحب الضابط الطفل الرضيع من صدر أمّه وضربَ به الحائط فتناثر مُخّهُ ، فألقاه في صدر الأم ، وهو يصر بكل برودة أعصاب :

– أين زوجكِ ؟

صارت المرأة مدهوشة وشبه مجنونة وهي تُردِّد :

– لا أدري .. لا أدري .

حتىٰ الدموع جفّت في مقلتيها ، ولكن هل اكتفىٰ الضابط ؟ كلّا .. مسك الطفل الثالث من رجله بقوةٍ وضربهُ الحائط فتهشّمت جمجمته وتناثر مُخّه أيضاً ، وهُنا جُنّت المرأة حقيقةً ..

دخل الضابط غرفته ، ونادىٰ على المنظّفين أن احملوهم ، فجاء المنظفون بعربة الأوساخ ووضعوا فيها الأطفال الثلاثة وأمّهم ونقلوهم» .

*** حاكمية المخابرات :**

مبنى عبارة عن كنيس يهودي تستخدمه مديرية المخابرات كدائرة للتحقيق ، وهو مخصص لقضايا التجسس ، ويقع في منطقة (البتاوين) بالقرب من ساحة التحرير ببغداد .

يوجد في الطابق الاسفل مجموعة من الزنزانات ، نصفها مُخصّصة للنساء ، وكانت الزنزانات جنباً الى جنب ، وكانت واحدة مُخصّصة للرجال وأُخرى للنساء وهكذا ..

وكانت إحدى النساء من محافظة ميسان قد أصابها الطلق ، فرفضوا إخراجها للمستشفى فولدت في الزنزانة .

* * *

شهادات حرائر العراق[1]

١ - أم ق :

بقيت عند أهلي لما اعتقلوا زوجي .. ثم جاءوا الى البيت وطلبوا الحضور معهم بحجّة لقاء زوجي .. وطلبوا منّي أيضاً اصطحاب الاطفال لئن أبوهم مشتاق لرؤيتهم .. واستجبت ، ولكن آه ! رأيت زوجي ولم أعرفه على الاطلاق لكثرة التعذيب الذي تعرّض اليه .. ثم ابتدأوا بتعذيبي بهمجية لانتزاع الاعتراف من زوجي ، ولكنه بقي كالجبل الثابت ، ثم جاءوا بابني الاول عمره (٦) أعوام عذبوه ثم آه .. ذبحوه أمام أبيه .. السلام على الحسين .. ثم أخذوا الصغير ، أخذ يصرخ بابا ، بابا .. ولكنهم لم يمهلوه و .. ذبحوه هو الآخر .

٢ - أم خ :

كان زوجي الذي هو ابن عمي مصاباً بمرض عقلي ، عكفت الدهر كله على تربية أولادي والانفاق عليهم من عملي الدائم على ماكنة الخياطة حتى كبروا ودخلوا الجامعات ، قلت حان الأوان لاستريح من الماكنة ولكن هيهات إذ سرعان ما اعتقلت السلطات أولادي ونفذت فيهم أحكام الاعدام ولم يبق لي إلّا واحد مجنون .

٣ - ن :

دخلت السجن مع زوجي وفي غرفة التعذيب رأيت أنواعاً شتى من آلات التعذيب قل لي ضابط الأمن اختاري الوسيلة التي أعذبك بها ! قلبت طرفي كل الالات رهيبة احترت وهو الى جنبي يسرعني الى الاختيار وقعت عيني على كرسي قلت في نفسي لعله أقل تعذيباً من الآخرين ولما اخترته ضحك وقال هذا ما انتظرته وما أن جلست عليه حتى خرجت من الجانى عتلات كهربائية مزقت ثيابي وتعلقت من صدري الى كلاليب في السقف .

٤ - أم ع :

اعتقلوا ابنتي من الشارع .. بعد ذلك بأيام احتجزنا في سجن التسفيرات وبقينا مدّة ، وقبل ترحيلنا بساعات سمحوا لي وزوجي بلقاء ابنتي .. آه ماذا رأيت ! لم تكن قادرة على الحركة ، كانت تتكيء على ساعدي أخواتها منزوعة الشعر لاتستطيع الجلوس باعتدال ، اثار التعذيب واضحة على جسمها ، سرعان ما انهمرت دموعها .. ومنذ ١٨ عاماً لا أعلم عن ابنتي شيئاً .

---

١ - المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق .

٥ - إيمان :

كنّا الاسرة الوحيدة التي جيء بها اليوم الى سجن التسفيرات انا واختي وامي وأبي واخوتي في مكان آخر لا اعرفه .. كانت تلك أطول ليلة في حياتي ، جاؤوا بالمومسات معنا وهنّ يسخرن منّا ويقمن بحركاتٍ مخزية مع الضباط دون خجل .

٦ - أدريس :

زوجتي كردية ، قبل أيام من أعياد الربيع ذهبت الى بيت أهلها في حلبچة على أن آتي في العيد اليهم ، كنت في العمل فسمعت أن الصواريخ العراقية أحرقت المدينة !! طار صوابي بحثت عن وسيلة تقلني الى هناك .. كان الأمر شاقاً ، لا أحد يقبل الذهاب ، وبعد اللتيا والتي استعطفت احدهم لقاء مبلغ خيالي من المال على أن يوصلني أطراف المدينة التي وصلتها منهوك القوى مشتت الفكر وبدأت أبحث عن زوجتي لم أجدها في بيت أبيها ، طار صوابي .. أخذت اذرع الشوارع وتراءى لي من بعيد ثوب بلون ثوبها الذي أهديته اياها ، عدوت فكانت هي .. آه تحتضن صغيرتي شيرين وكلاهما أخمدت فيه أنفاس الحياة .

٧ - أم ع :

بقينا عدّة شهور في السجن ، حتى تم ترحيلنا الى إيران مع اننا نمتلك الجنسية العراقية وشهادة الجنسية ولعلّي كنت محظوظة أكثر من غيري لاني استطعت أن أخفي (٥) آلاف دينار عراقي عن الضباط الذين منعونا حتى من حمل حتى حليب الاطفال !! القونا في العراء لم نكن نعرف الطريق ، بقينا نمشي أياماً وليالي وفي ليلة ظلماء داهمتنا عصابات الاشرار ، سلبوا كل ما بقي من متاع وطعام .. ثم أخذوا يجرّون ابنتي ذات الـ(١٥) ربيعاً من العمر !! تحوّل الأمر الى صراع بيننا وبينهم ولكنهم كانوا أقوى وكنا منهوكي القوى ، حملت النقود نثرتها أمامهم ، انشغلوا بجمعها ، حاولنا الفرار ولكنهم أخذوا فتاة أخرى !! بعد ذلك ، علمنا ان سلطات النظام تتعاون مع هذه العصابابات لابادتنا .

٨ - نهلة :

بعد انتفاضة شعبان استباحوا البصرة واعتقلوا الآلاف وفي هذه الفترة لجأوا الى اسلوب ارهابي جديد ، حيث يعتقلون الافراد كلهم ويحلّقون رؤوسهم رجالاً ونساء ثم يطوفون بهم في الشوارع ، وبعدها يقتل جميع أفراد العائلة وهذا ما حصل مع اسرة جارنا .

❊ ❊ ❊

* تصريحات سجين

يقول واحد من الشخصيات العراقية ، وقد قضى مدة ١٧ عاماً في سجون صدام حسين وتعرّف على أساليب التعذيب وطرقه ، كما شاهد غيره يتعذب ويموت تحت التعذيب أيضاً .. يقول : «تصل أنواع التعذيب في سجون صدام الى ١٠٠ طريقة وربما أكثر . منها لتعذيب النساء وغالباً ما يكون للتأثير على الزوج أو الأب أو القريب لأخذ الاعترافات منه . لكن تعذيب المرأة لذاتها يتم عندما تقوم بنشاط سياسي .

ويتخذ هذا التعذيب أشكالاً مختلفة . كتعليقهن من شعورهن بعد ربط الأيدي والأرجل ، وأثناء مرور المرأة في فترة الحيض تُعلّق من رجليها وحينئذ فان الدم أما أن يحتبس في الموضع فيسبب آلاماً كثيرة فتستغيث ولا تُستغاث ، واما أن ينزل الدم على وجهها ليدخل في فمها الذي غالباً ما يكون مفتوحاً عندما تصيح وتصرخ ، وتبقى كذلك الى أن ينتهي الحيض !

«ومن وسائل التعذيب ان يُعتدى على المرأة جنسياً ، واذا كان المقصود من تعذيبها أخذ الاعترافات من زوجها ،

فيتم ذلك أمام الزوج نفسه لاجباره على الاعترافات واعطاء المعلومات سواء كانت هذه الاعترافات صحيحة أو غير صحيحة، وقد تتعرض المرأة كذلك لشتى أنواع التعذيب والاهانات كما يتعرض لها الرجال سواءً بسواء».

«أما الاطفال فيؤتى بهم للتأثير على آبائهم أو اشقائهم فيُضربون ويُعذبون امامهم في محاولة لاخذ الاعترافات والطفل البريء يصرخ ويتوسل ويستجد. فاذا امتنع الاب أو الشقيق من الادلاء بأية معلومات فان الجلادين يقومون بأعمال ربما لاتصدقونها! لكنني أقسم بكل المقدسات ان قتل الاطفال يكون أهون. وذلك حفاظاً لكرامة الإنسانية».

«وسأروي حادثة السيدة الكردية التي اقتيدت الى دائرة الأمن العام، حيث أُعتدي عليها وعُذبّت أمام زوجها لأخذ الاعتراف منه، وكانت تحمل طفلاً رضيعاً، إلاّ أن زوجها رفض الادلاء بأية معلومات، فماكان من الجلادين إلاّ أن انتزعوا الطفل من حضن أمه وجاءوا بسيخ من الحديد ووضعوه في النار ليغدو أحمر كالجمر، وهدّدوا الاب بأنهُ في حال عدم ادلائه بالمعلومات المطلوبة فانهم سيضعون السيخ على بطن الطفل، ولما كان الاب ملتزماً الصمت، فقد قاموا بوضع السيخ على بطن الطفل الذي راح يرفس بيديه ورجليه وهو يتلوى».

❋ ❋ ❋

الاتحاد العام لنساء العراق[1]

لم يصدر الاتحاد عن حركة نسائية مباشرة وانما عن ضرورة وظيفية للدولة بشكل يتناسب مع الاهداف العلمانية للحزب، تأسس بتاريخ ١٩٦٩/٤/٤.

في البيان التأسيسي للاتحاد نجد الدعوة واضحة الى الغاء القوانين والاعراف والانظمة والعادات السائدة!!

وكان الهدف من تأسيس الاتحاد هو التمرد على المجتمع والدين!

وكذلك فرض الهيمنة الحزبية ونشر الافكار الضالة في صفوف النساء. وقام بادوار خبيثة من أجل الوصول الى مآربه الشيطانية منها:

١ - كانت مقرات الاتحاد اشبه ما تكون بدوائر أمن تفرض الرقابة والتجسس على أهالي المنطقة، وتقوم بتسليم تقارير دورية عن العوائل المسلمة الملتزمة.

٢ - كان الاتحاد وسيلة لاشباع غرائز الطغمة الحاكمة التي كان ازلامها يرفع شعار (كل نساء العراق لي)!! فكان الاتحاد يتربّص بالفتيات الجميلات كي يقدمهن هدايا الى ازلام النظام الذي يسارع الى القضاء عليهن بعد اشباع غرائزهم الحيوانية.

٣ - تولي مهام التعذيب في السجون بحق النساء المسلمات.

٤ - الايعاز الى منظماته في الخارج للتجسس على النساء.

٥ - كان لنساء الاتحاد دور خبيث في الحرب العراقية الإيرانية وقد أسَرَ الإيرانيون عدد من النساء في حالة شائنة.

٦ - محاربة الفكر الديني عن طريق:

أ - رصد الأسر المتدينة ومعرفة نشاطاتها وماضيقتها.

ب - الدعوة الى السفور والخلاعة.

ج - بث الشائعات حول الأسر المتدينة، خاصة النساء المؤمنات.

❋ ❋ ❋

---

١ - المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق.

أم صمود[1]

مرأة مسلمة عراقية ثائرة في مدينة الثورة والدم شاركت المجاهدين في نقل الأسلحة وامدادهم بها ، حتى اذا انكشف امرها للسلطة الجائرة تسللوا ليلاً للقبض عليها . ولكنها لا تستسلم بهذه السهولة بل تفر من بيتها ليلاً ملتجئة الى بعض البيوت التي لها فيها سكن وطمأنينة . وتختفي فترة من الزمن ويأتي اليها من يُعْلمها بانه سينقلها الى بلد الإسلام بأمان ، ولكن أنّىٰ للضمائر الميتة من أمان فها هو يسلمها الى جلاديها ليمارسوا معها أشد أنواع العذاب . فتصبر وتنكر شخصيتها من أجل الحفاظ على سلامة من لهم معها ارتباط بالعمل الجهادي .

زوج هذه المجاهدة سجين ، وطفلها قد فارق الحياة ، ورُغم ذلك تبقىٰ صامدة لاتلين ، بل تتخذ من سجن زوجها دفعاً للصمود ووفاة ولدها مشجعاً لاكتساب المزيد من الأجر والثواب . وتنقل لنا (أ . م) مشاهداً من العذاب تقشعر منه الابدان . وكيف انّ احدىٰ الأخوات المؤمنات على مرأىٰ منها قد عُلِّقت من رجليها ، وأخذ معدوم الضمير العفلقي - الجلاد - يعذبها والدماء تنزف منها بغزارة ، وهي صامدة شامخة بإيمانها . وعندما تنتهي جولة التعذيب وينزلها الجلّاد ويذهب ، تُرىٰ ماذا كانت تقول تلك الأُخت المؤمنة ؟ هل كانت تصرخ وتولول ؟؟ كلا .. تقول الأُخت (أ . م) سمعتها تتمتم قائلة «الحمد لله ، هذا هو ماعاهدنا عليه السيد الصدر والعلوية بنت الهدىٰ » .

عذَّب المجرمون أختنا البطلة (أ . م) بشتىٰ صنوف العذاب ولما عجزوا عن سحب الاعتراف منها مارسوا معها آخر ورقة ألا وهي اخبارها بأن تتهيأ لكي يُنتهك عرضها وأنّىٰ لهذه الأخت ان ترضخ لهذا الفعل الشنيع . فتظاهرت بالقبول واستطاعت الحصول على سكين شقت بها بطنها . وخرجت اليهم تحمل احشاءها بيدها ، فسارع الجلاوزة الذين نزعت من قلوبهم الرحمة الى خياطة بطنها بأبرة وخيط ، مما أدىٰ الى تورم الجرح وتسممه . فلم يجدوا بُدّاً من نقلها الى المستشفىٰ قائلين ان هذه ابنة عمهم ويرجون علاجها باسرع وقت . وهنا يشك أحد الأطباء في الأمر فيسألها فتجيبه عن محنتها ، فيتحرك ضميره الإنساني ، ويضاعف العناية بها .. ولكن احد الأطباء البعثيين الذين فقدوا الضمير يجيء بها فتقاد الىٰ السجن لتتلقىٰ العذاب من جديد ، ولكنها تصمد وتصمد ولا تبوح بكلمة واحدة ، حتى يأسوا منها فأطلقوا سراحها .

وتصل هذه المرأة الرسالية بلد الإسلام وتُنقل الينا رسالة اخواتنا المسجونات المعذبات واستغاثتهن .. رباه كم يتحملن من الألم في سبيلك وسبيل اعلاء كلمتك ، انهن يَذكُرن في رسالتهن «ألا وحِّدوا جهودكم واخلصوا نياتكم لله لكي تُخلِّصونا من عار النظام العفلقي » .

عهداً منا لاخواتنا اننا على الدرب سائرات ولن نهدأ حتى نأخذ بثأر المؤمنات اللواتي انتهكت اعراضهن في السجون والمؤمنين الذين يقاسون ما يقاسون ، عهداً منا اننا لن نهدأ حتى نرىٰ راية «لا إله إلا الله» عالية خفّاقة في سماء العراق ، وانا ان شاء الله فاعلون .

❋ ❋ ❋

أم . م : بطولة وصمود[2]

ما الذي يمكن أن تخلفه حادثة اعتقال زوجها المجاهد ؟ ما الذي يمكن أن تفعله تلك المرأة وقد مات وليدها بسبب مرض أصابه ؟ لا أحد يتوقع - وخصوصاً رجال الحكم البعثي - ان يكون حال هذه المرأة إلا حال المنكسرة الضعيفة اليائسة من الحياة والساخطة على الخط الذي سار عليه زوجها . هكذا تصوروا وحق لهم هذا التصور ، لان من

---

(1) مجلة المجاهدة ، العدد (٣٣ - ٣٤) ١٤٠٣هـ .

(2) صحيفة لواء الصدر الأسبوعية ، ٢٩ / جمادي الآخرة / ١٤٠٣هـ .

يعيش للدنيا يجد في هذه الابتلاءات نهاية الطريق ، وعليه أن يبحث عن طريق آخر يجد فيه الحياة التي يحلم بها من بيت وأطفال وزوج ومال .. لم يكونوا يتصورون ان المرأة التي فقدت كل هذا سوف تكون لبوة ثائرة وسحابة مرعدة .. وهكذا كانت الأخت (أم . م).

تحمل السلاح وتوزع المنشورات تساعد عوائل الشهداء ، بالمال والملابس والطعام .

وكل هذا يجري تحت العباءة السوداء .. تلك العباءة التي خدمت الثورة الإسلامية أيما خدمة .. واعترف اثنان من رفاقها في الجهاد ممن طاردتهم الجلاوزة وقبضت عليهم وعذبتهم تعذيباً شديداً اعترافاً عليها ، وبدأ البحث عنها وتخفت في مدينة غير مدينتها فهددوا أهلها . وفي احدى الليالي بعد منتصف الليل جاء رجال الأمن الى بيت أهلها وكانت في زيارة لهم . فعبرت سياج الدار هاربة ، وسارت في الأزقة والظلام الدامس يلفها كما تلف عباءتها.

كانت ساعات رهيبة حتى وصلت الى بيت بعض معارفها في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، فطردوها ولم يؤوها بالرغم من انها طلبت اللجوء اليهم لساعتين حتى يبزغ الفجر وتخرج .. خافوا كما خاف أهل الكوفة بالأمس فاستمرت بالسير حتى وصلت الى بيت من بيوت المجاهدات فاختفت هناك .

ورأت أختنا التي تدربت على السلاح في أماكن خاصة داخل العراق أنها لا تستطيع الاستمرار ووجهها مكشوف لذا ذهبت الى مدينة يسمح لها فيها بارتداء (البوشية) وعملت هناك لمدة تناهز الشهرين ، ولكن المضايقات عادت من جديد . ففكرت بالهرب الى دولة الإسلام والامان .. دولة الحرية والحياة : ايران . فاتفقت مع أخت لها بالبحث عن طريق مأمون ، وخانها الدهر فلم يكن الطريق مأموناً ، ذلك لان دليل الطريق رجل باع دينه ودنياه لصدام . فدخلت مديرية الأمن العامة .. لترى أخواتها المعذبات ..

لكن (أم . م) تظل تلك المرأة التي لاتنسى وصايا زوجها ولا تنسى كلماته .. لن تعترف ولما كانت الخدعة نصف الغلبة ، ادعت انها وحيدة في العراق لان أهلها قد هُجّروا وهي ارادت اللحاق بهم .

خمسون يوماً من التعذيب وهي تنكر نفسها حتى صدّقها رجال الأمن ، ولكن رجال الأمن جاءوا بالأخت التي عرّفتها على الدليل لاستكمال التحقيق الشكلي ، ووضعوها في غرفة ، وألبسوا أختنا المجاهدة نظارات سوداء واقتادوها الى حيث لاتعلم ، ولكنها عرفت ان هناك شخصاً مطلوباً منه التعرف عليها ، فخشيت ان يفتضح أمرها ، فماذا ستفعل ؟ وكان الله في رعايتها ، ففي طريقها الى الغرفة المذكورة رفضت أن يمسكها الشرطي الذي كان يدلها على الطريق فضاق ذرعاً وقال لها : «دمشي أشو شلون راح تمشين» . واصطدمت بعمود كسر جزءاً من النظارة ولذا تمكنت من ان تبصر بعض الشيء . وعندما أدخلت الغرفة عرفت من هي الأخت التي يريدون استجوابها ، وبسرعة وقبل أن يتكلم المحقق صاحت : «ياناس ياعالم ، اني فلانه ماعندي أحد هنا ، ردت أنهزم والحق بأهلي المهجرين» ، وفهمت الأخرى المقصود من هذا الكلام ، فأجابت المحقق عندما سألها عن اسم اختنا المجاهدة بنفس المعلومات التي سمعتها منها عند دخولها . ولكن اختنا السجينة تلقت ضربة قوية ارادتها على الأرض غائبة عن الوعي .

واقتنع الجلاوزة ، ولكن هيهات أن تمر الأمور عندهم بسلام فلكي تخرج من الأمن العامة الى دائرة الاقامة للتسفير لابد أن يحصلوا منها على جائزة ، والجائزة هي محاولة اغتصاب قبيحة ، قالوا لها اغتسلي وهاهي مجموعة ملابس ومكياج لتتزيني ، فأنت مطلوبة في الساعة الثامنة ليلاً هنا . ولم تستطع أن تحتمل الموقف فاستنجدت باخواتها في السجن ووجدت عندهن سكيناً صغيرة فأخذتها وذهبت الى المرافق وادخلت السكين في بطنها ، وانبثق الدم من أجل الشرف والعزة ، قررت الانتحار في سبيل الله بعد أن اوصت اخواتها . نعم ان الموت في سجون العراق يعني الحياة يعني السعادة فكان توديعهن لها لا يختلف عن توديع من يخرج من السجن ، وحقاً ذلك فان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

وادخلوها المستشفى ثم اعادوها الى السجن مرة أخرى ، لانها تحدثت في المستشفى عن قضيتها الى دكتور هندي يعرف العربية وقرر على اثرها مغادرة العراق .. وانتهى مسرح التعذيب وقرروا نقلها الى الاقامة لانهم اقتنعوا

انـها امرأة تبعية لا اهل لها في العراق .

وعند خروجها قبلتها أخواتها المعذبات والبائسات في سبيل الله تعالى .. وقلن لها بالحرف الواحد : سلّمي على أخواننا العراقيين وقولي لهم : عجّلوا ، عجّلوا الينا وانقذونا ، نحن بانتظار مرير .

وسفّروها مع من سُفِّر وجاءت لترى نعمة الحرية التي يتمتع بها العراقيون جميعاً .. انـها تنشر الآن استنجاد الأخوات المسجونات والمعذبات في العراق ، وهي تسأل : ترىٰ الىٰ متىٰ تنتظر أخواتنا في سجون العراق ؟ وانه والله لانتظار رهيب !

❊ ❊ ❊

رسالة من وراء القضبان(1)

رسالة تستصرخ الضمائر البشرية خرجت بأرادة من الله تعالى من بين قضبان سجون أحد الطواغيت تحمل تواقيع مجموعة من الفتيات الزينبيات :

«كم رسالة كتبناها ، كتبناها بانّاتنا ، بدموعنا ، بدمنا ، ارسلناها مع الأثير ، علّها تلقي من يسمعها . لم نكن نستطيع ارسال حرف على ورق ، فارسلنا آهات واستصرخنا في دجى الليل .. ولكن من يسمعنا في ظلمتنا ، ولما يتجاوز صوتنا جدراناً سوداء ، وقضباناً حديدية .

زجمنا ربنا واستطعنا ارسال هذه السطور نلقي فيها شعاعاً يعكس للعالم ما يجري لنا نحن القابعات في أقبية السجون ، تنهال علينا ألوان العذاب ليل نهار .. ويأتينا الزبانية ثمالى متوحشين ، ليتهم ظلوا يعذبوننا كما بدأوا بالسياط والكهرباء ، ليتهم تركوا اختنا تلفظ أنفاسها بعدما لاقته من العذاب ، ولم ينتزعوا منها عفّتها . ليتنا متنا قبل هذا وكنا نسياً منسيا .. قالتها مريم العذراء ، دون عذاب ، دون وحوش بشرية ، وفي أحشائها روح من ربها ، فماذا نقول نحن ؟ بماذا ندعو ؟ نستصرخ العالم ان ينقذنا من عذابنا ، تنادي بأعلى أصواتنا ، بكل جوارحنا ..

كل ذرة فينا تصرخ وتستغيث ، كل قطرة دم ، كل نبضة عرق ، كل نفس يصعد ويهبط يصرخ وامعتصماه وامعتصماه .. نادت بها امرأة واحدة فلبّىٰ لها رجال كثير ، ونحن هنا مئات من اللواتي يسحقهن طغاة حاقدون ، مئات يعذبن يقتلن كل لحظة بألف قتلة ولا يمتن . ألا من معتصم .. ألا من معتصم .. ألا من مسلم ينصر نساء يسحقن .. رباه لمن النداء ؟ طال بنا البقاء أيام وشهور ، تتلوها الشهور ودماء المحرومين تسري في عروق جنين في أحشائنا ، ماذا نفعل ؟

رباه لم يجبنا أحد فارحمنا ، لانريد منكم ان تنقذونا ، بل هدموا علينا السجون ، افتوا لنا بقتل انفسنا وقتل ما في بطوننا .. فلم تعد نقوىٰ على ما بنا ، لا ليل يقلنا ولا نهار ينير ظلمة حياتنا ..

ياعالم استفيق .. طال بك الرقاد ، طال بك الرقاد ونحن لا تعرف الرقاد .. ياعالم استفيق لك يوم تقف بين يدي الله ليسألك ربك ماذا فعلت ؟ ماذا فعلت لمن انتهك عرضها؟ ماذا فعلت لمن فقدت وعيها من صدمات الكهرباء ؟ ماذا فعلت لمن علقت في السقف من قدميها بعد ان نزع عنها الحجاب وتناثرت عنها الثياب ؟ وضرب بقضيب ثقيل من حديد ، فأسلمت وعيها لربها ، لا تعلم كم من الساعات هي على هذه الحال ؟ وماذا فعلت يا أيها العالم المسلم واختك هناك في دولاب طويت فيه ، تنهال عليها السياط تسيل دماؤها ، تتورم أقدامها ، تفقد صوابها ولا مغيث ..؟ ماذا فعلت لمن سيقت الى المستشفى بين الموت والحياة بعد أن نهش لحمها ست وعشرون مفترساً متوحشاً .. ومن أين لك ان

---

(1) نشرت مجلة «المجتمع» نص الرسالة عام ١٩٨٤م . كما نشرتها مجلة «المجاهدة» في العام نفسه .

تجيب وأنت ماتزال في الرقاد ..
ألا ياعالم استفيق .. وانتشلنا من الحريق انتشلنا من الغريق ، فلقد جفت منا العروق ، ولا نهار ولا شروق .. في وحشة واد سحيق .. في ظلمة بحر عميق .. تنادي نلتمس الطريق هل من بريق ..؟ هل من بريق ..؟

❊ ❊ ❊

❊ الاعدام بالصعقات الكهربائية[1]

يجلس السجين على كرسي كهربائي ، ويوصل التيار ، فتحدث هزة اتجاجية عنيفة جداً ، فيتقيأ المعتقل من شدة الاهتزاز ، وقد يموت إذا لم يفصل عنه التيار حالاً .

وقد استشهد بهذه الطريقة الشهداء التالية أسماؤهم :

١ – الشهيد كامل ناجي الخالدي من مدينة النجف الأشرف عام ١٩٧٧ .
٢ – الشهيد رضا جواد العويناتي من مدينة الكاظمية بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٢٨ .
٣ – الشهيدة المعلمة فضيلة عباس الحداد ، وذلك في سجن الزعفرانية القسم النسائي ببغداد عام ١٩٨٢ .
٤ – الشهيد الطالب تحسين خضر محمد البصري ، في سجن البصرة المركزي عام ١٩٨٥ .

❊ الطعنات بالخناجر حتى الموت[2]

تقول إحدى زوجات الشهداء وهي الطالبة الجامعية في كلية الطب ببغداد ، السيدة (ماجدة عبدالله الخالصي) – وهي الآن تقطن إحدى الدول الأوربية – بعد أن استطاعت النجاة والهرب من العراق :

«لقد اعتقلوا زوجي الشهيد سالم محمد سالم القصاب بتهمة الانتماء الى جماعة إسلامية والتجسس لصالح دولة أجنبية ، وهو بالطبع بريء من هذه التهمة كبراءة الذئب من دم يوسف .

وبعد أكثر من أربعة أشهر مرّت على اعتقال زوجي ، ألقي القبض عليّ واقتادوني الى سجن الأمن العامة ببغداد وهناك حيث مورس بحقي أقسى أنواع التعذيب النفسي والجسدي من أجل أخذ اعتراف مني على زوجي ، ولكن دون جدوى ، ليس لأني كنتُ البطلة الصامدة ، وانما لأني لم أكن أعرف أي شيء عمّا كانوا يطلبونه مني .

وبعد مضي بضعة أيام أدخلوني في غرفة رهيبة ، شاهدتُ فيها رجلاً معلقاً من أسفل رجليه والكدمات والجروح تغطي جسده .

والتفت اليّ رجل الأمن وهو أحد أربعة جلادين في الغرفة ، وقال لي بعد أن مسكني من شعر رأسي :

– هذا هو زوجك .. إذا لم تعترفي الآن فسنقضي عليه حالاً .

حينما تفرست في الرجل المعلّق تأكدت انه هو زوجي ، حينها كادت روحي أن تخرج ، وصرخت منفجرة بالبكاء فلكمني كبيرهم وأسقطني أرضاً ، ثم انهال الجلادون باجمعهم على زوجي يطعنونه بخناجر عريضة الصفاح وينهشون لحمه أمام عيني ، وانا لا أستطيع فعل شيء ، وهم يقولون لي : اعترفي وإلّا قضينا عليه الساعة !

وبالفعل لقد تم القضاء عليه ولا أدري اين دفنوا جثته .

---

١ – مجلة الشهيد : العدد (٣١٠) بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٥م .
٢ – المصدر السابق .

* الشراب المسموم[١]

بالاضافة الى طرق القتل بالاعدام شنقاً والرمي بالرصاص التي تقوم بها أجهزة الأمن في العراق بشكل كبير وواسع . بالاضافة الى ذلك فانها تستخدم مادة الزرنيخ والثاليون وبعض مشتقات السيانيد في قتلها وتصفيتها للسجناء ورجال المعارضة العراقية في الخارج .

وقد تعرض لهذه الطريقة العشرات من السجناء . وقد لقوا حتفهم بعد خروجهم من السجن متأثرين بالسم .

ومن هؤلاء الشهداء :

١ - الشهيد الدكتور عصام علي حسين الكربلائي .

٢ - الشهيدة (أم توفيق) عام ١٩٨٤م .

٣ - الشهيد الحي (أبو مشتاق) وقد أنجاه الله تعالى من كيد الأعداء .

تلك كانت أسماء بعض الشهداء في العراق ، وطريقة القتل الوحشية التي تعرضوا لها ، وبالطبع فان هناك عشرات الأنواع من طرق القتل التي تجري على أبنائنا في العراق ، ولم يسعنا المجال الى كتابة عشرات الحوادث التي جرت هنا وهناك على أيدي أزلام النظام العراقي .

فطرق القتل متعددة ، طالما هناك رجال متعددون يحق لهم اعدام الناس . وكيفما يحبون أو يشتهون .

تلك كانت طرق القتل . ولكن شهداتنا كانوا أقوى منها ، واجل وعظم . فهل نحمل رايتهم وتستمر على دربهم ؟

* أم بطلة تثأر لولديها الشهيدين[٢]

قامت مواطنة عراقية بطلة تدعى (خيرية محمد علاوي) من سكنة منطقة الهارثة التابعة لمحافظة البصرة بانزال حكم القصاص العادل بالمجرم (يحيى مهاوي الفتلاوي) عضو فرقة حزب النظام في منطقة الهارثة .

ذكرت ذلك مصادر المركز الاعلامي التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وقالت ان المواطنة المذكورة التي فجعت بإعدام اثنين من ابنائها وهما (جمال عبدالله حبيب) و(كمال عبدالله حبيب) . انهالت على المجرم المذكور بطعنات بواسطة سكين كانت تخبئها تحت عباءتها . حيث اصابته بجروح بليغة في أحد الأزقة هناك عند عودته من المنظمة الحزبية ليلة ٢٣/٨/٢٠٠١م .

وقالت مصادرنا ان المجرم المذكور لفظ انفاسه الأخيرة وهلك قبل وصوله الى المستشفى ، فيما اعتقلت سلطات أمن النظام المواطنة وساقتها الى مكان مجهول .

جدير ذكره ان المقبور يحيى الفتلاوي كان السبب الرئيس في اعدام ولدي المواطنة المذكورة وانه معروف لدى سكان الهارثة بجرائمه ضد الشباب المتدين في المنطقة وقد تسبب في اعدام واعتقال العشرات منهم .

* حقناً سامة على سجناء سياسيين في معتقل الرضوانية ببغداد[٣]

ايغالاً في مسلسل الجريمة المنظمة التي تمارسها سلطات النظام المجرم في بغداد ، فقد قامت الاجهزة الأمنية التابعة للنظام الحاكم بتجربة حقن كيمياوية جديدة على مجموعة من السجناء السياسيين في معتقل الرضوانية ضواحي العاصمة بغداد .

---

١ - المصدر السابق .

٢ - صحيفة الشهادة ، العدد (٩٠٦) بتاريخ ١٨/٩/٢٠٠١م .

٣ - صحيفة الشهادة ، العدد (٩١٤) بتاريخ ١٣/١١/٢٠٠١م .

ذكرت ذلك مصادر المركز الاعلامي التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وقالت انه تم جلب أربعة معتقلين من مديرية الأمن العامة في بغداد (البلديات) وتم حقنهم بهذه المواد الكيمياوية والتي اشيع انها صنعت في اوكرانيا وتم تزويد السلطات الحاكمة بها.

واضافت مصادرنا ان من بين المعتقلين الذين تم حقنهم بهذه المواد الكيمياوية المواطن (مهدي سيد عبود) من سكنة مدينة البياع في العاصمة بغداد والذي توفي بعد مرور شهر واحد على اطلاق سراحه من المعتقل حيث تساقط الشعر من بدنه ورأسه وأصابه الهزال الشديد وهو في حالة لايستطيع السيطرة على حركته لأصابة الدماغ بأعراض الشلل الرعاش.

* * *

بيان الى المرأة العراقية في المهجر[1]

الى كل أم وأخت وزوجة خارج العراق – لقد منَّ الله عليكِ بالخلاص من نظام المجرم صدام. وصحيح أن تعيشين بعيداً عن الظلم والاضطهاد الذي لامثيل له. وتشتاقين لرؤية العراق وشم ترابه.

ولكن هل سمعتِ بالسيدة (....) التي ذهبت الى العراق وكان الأمل يحدوها أن تكحل عينها بشمس ذلك البلد المظلوم، ولكن ما تعرضت له هذه السيدة ليس غريباً على النظام الصدامي. فقد علمت تفاصيلها من إحدى المنظمات الدولية التي اطلعت بطريقتها الخاصة على حالة هذه المرأة المنكوبة التي لاستقربها من جلاوزة لا يعرفون الرحمة. فقد تعمدت السطات الصدامية المجرمة الى القيام بعمل جبان يندى له جبين الإنسانية ألا وهو التقاط صور فاضحة لتلك المرأة البريئة، بدون رضاها وبالاجبار والاكراه، حيث انهاسيرة بيد وحش كاسر.

لقد طلب منها الجلاوزة أن توافيهم بما يريدوه من معلومات عن المعارضين العراقيين وساوموها على ان يكون ذلك ثمن سكوتهم عما تعرضت له. ولما اخبرتهم أنها ليست في موقع يتيح لهاأن تلبّي هذا الطلب القذر. أجابها عديمو الشرف نحن لانريد سوى أن تخبرينا عمن يتصل بمن، ومن صديق من، ومن تعرف من، لا أكثر من ذلك. ولتعميق جرحها ووضع الملح عليه ن. قالوا لها لا تتصوري وأنتِ خارجة وتحملين الجوار البريطاني، بأنك أصبحتِ في منأى عن الملاحقة.. وبشماتة وعنجهية لم تستعملها القوات الصهيونية بعد، فهذه صوركِ معنا وأنت تعرفين ماذا نقصد. لقد عادت تلك المكلومة وملء قلبها ألماً وحسرة مع الآلام القاتلة التي تمض بعقول وأرواح عائلتها.

وأعيد، أن هذا ليس شيئاً جديداً على أجهزة الأمن الصدامي فأذكر المرأة العراقية عن قصص مروعة قديمة (جديدة) كتبها الصحفي البريطاني روبرت فيسك في صحيفة التايمس اللندنية قبل ١٦ عاماً أي بتاريخ ١٩٨٥/٥/١٣ التي قال فيها بالنص (ان جلاوزة أمن النظام الصدامي يغتصبون زوجات المعتقلين أمام أعينهم ويعذبون أطفالهم بمرأى منهم). وبعد أيتها المرأة العراقية، أضع هذه القضية الخطيرة التي تمس الشرف أمامكِ وأمام المتصدين في المعارضة العراقية، والشريفات والشرفاء من أبناء العراق، وعليم اتخاذ الموقف المعروف، وهو بكل بساطة الابتعاد عن هذا الخطر المميت، وهذه الشراك التي ينصبها صدام المجرم.

وصبراً على الشدائد: فلابد من تقديم رأس النظام الى المحاكمة (ولو بعد حين) وهذا ما يصر عليه العراقيون والعراقيات من وقفتهم المشهودة الشريفة كل اسبوع في الاعتصام المستمر في ساحة الطرف الأغر بلندن منذ سنوات.

د. صاحب الحكيم

مقرر حقوق الإنسان في العراق

---

١ – صحيفة الشهادة العدد (٩١٦١) التاريخ ٢٠٠١/١١/٢٧م.

سجن الأطفال[1]

امرأة عراقية تم اعتقال زوجها وابنها البالغ من العمر (١٦) سنة وشقيق زوجها بتهمة الاشتراك في الانتفاضة والعمل الإسلامي المعارض ومن ثم تم اعدام الجميع وسلّمت جثثهم متخنة بالرصاص، ولم يبق لدى المرأة سوى بنت بالغة من العمر (٩) سنوات وطفل عمره (٦) سنوات تم اعتقالهما فيما بعد بأمر من مديرية أمن المحافظة التي يسكنون فيها، وعند استفسار المرأة عن طفليها كان الجواب ان أمر اعتقال الصغيرين جاء بأوامر خاصة من بغداد ومكتب الرئاسة، وعند ذهاب المرأة الى بغداد للبحث عن طفليها لم تحصل على نتيجة مطلقاً فعادت الى محافظتها، وبعد أيام جاءها ضابط أمن الى البيت يساومها بدفع (٣) مليون دينار لقاء ترتيب مواجهة مع الصغيرين، فباعت كل شيء بقي لديها وساعدها أهل الخير وانتقلت الى العيش مع شقيقها لأنها لم تعد تملك سوى ملابسها، وأعطت المبلغ لضابط الأمن واتفقت معه على اللقاء ببغداد في موعد محدد وفعلاً تم اللقاء واصطحبها هذا الضابط الذي أظهر تعاونه معها لأنها أم فُجعت بأولادها وقال لها ان هذا المبلغ كان زهيداً أمام ما يقدمه لها من مساعدة في رؤية طفليها ولو كان الأمر بيده لأطلق سراحهم، وأقسم لها بـ(شرفه) أن القضية خارجة عن يده، واصطحبها الى سجن مخفي على مشارف العاصمة بغداد وبعد طول انتظار، ادخلوها السجن والتقت بالصغيرين لمدة نصف ساعة، وقال لها مسؤول السجن انهم ساعدوا الصغيرين كثيراً وذلك بعزل البنت عن سجن الأولاد وعليكِ أن تشكري هذا العمل، ولم تجد المرأة غير الاستجابة له وتقديم الشكر، وبعد انقضاء مدة المواجهة وبكاء الصغيرين وتعلّقهما بأمهما، أبدى مدير السجن تأسفه وحزنه للمشهد وقال للمرأة سأساعدك في أمر للخلاص من هذه المحنة، ونوع المساعدة حسب صلاحيتي الممنوحة لي هي أمّا أن تكوني مع الطفلين في السجن لترعيهما وسنعزلكم في قاطع العوائل والأمهات اللواتي اخترن هذا الحل وبهذا تكونين قريبة منهما حتى تأمر القيادة بشيء، ولا أدري ربما يكون الاعدام أو السجن المؤبد أو اطلاق السراح ولا أعطيك عهداً عن المدة التي ستقضينها مع الطفلين هنا. وأما الحل الثاني فهو أن تبقين هنا لفترة شهر أو شهرين ومن تم يتم تسفيركم نحو الحدود الى إيران أو غيرها تحت عنوان (عوائل غير مرغوب بها)

اختارت المرأة الحل الثاني وأودعت السجن لمدة شهر ونصف مع طفليها وتم تسفيرهم خارج الحدود.

تقول هذه المرأة كان السجن يحتوي على (٣) آلاف طفل وطفلة تم اعتقالهم بعد أحداث انتفاضة شعبان المباركة. منهم من لم يبق من أهله أحد. ومنهم من لم يستطع أهله المساومة واعطاء الملايين ومن ثم التسفير. علماً أن أغلب الصغار لا يمتلكون سوى أمهات وأخوات لاحول لهن ولا قوة بعد ان تمت تصفية رجال عوائلهم بعد الانتفاضة.

❊ ❊ ❊

لكي يجبروا زوجها على (الاعتراف) هتكوا بالاعتداء على شرفها[2]

عراقية غرست أداة التعذيب المدببة في قلبها .. لتنجو من وحش مديرية أمن البصرة

ليست هذه الاسطر فصلاً من رواية ولا هي من حبك خيالات المسطرين ايام زمان .. انها فصل من فصول الألم العراقي الامتصور، بل اللامتنهي، والمتعامي عنه من قبل الجميع، حتى أولئك الذين يتباكون على الشرف والدم العربي والإسلامي المهدور في فلسطين، وكأننا لسنا من العرب، ولا من المسلمين.

١- صحيفة الشهادة، العدد (٩٣٣)، التاريخ ٢٠٠٢/٤/١٦م.

٢- صحيفة المؤتمر، العدد (٣٠٧)، التاريخ ٢٠٠٢/٦/١٥م.

فعندما يصلون الى محنتنا يتلعثمون وتخونهم فصاحتهم وينزوون خلف صمت رخيص ، أو يسترون عورات مواقفهم بعبارات ذابلة ليس فيها روح ولا تحمل معنىً من معاني الحياة .

هذه المأساة حدثت مؤخراً في مديرية أمن البصرة . أبطالها ثلاثة أشخاص : امرأة عراقية في السابعة والعشرين من عمرها ، وزوجها الذي يكبرها بسنتين .. وعلي الوحش ضابط تحقيق في المديرية .

نعم علي الوحش (بطلٌ) أيضاً ، ولكنه بطل من نوع شاذ في الخسّة والحقارة والإستهتار وحسبه هذا بطولة !

هو شاب في الثامنة والعشرين من العمر ، يسكن إحدىٰ البيوت في منطقة الحيانية في البصرة مع والده ووالدته ، وأخيه وزوجته ، وطفليه (محمد وعلي) . يشاهد التردي يغمر الحياة في ما حوله .. فقراء معدمون لايجدون من يعيلهم .. عوائل من النساء والأطفال قتل النظام أربابها فظلت تحت سطوة العوز والحرمان والذل ..

بيوت تهدم وشباب يختطفون في سيارات الحزب ودوائر الأمن فيعودون أجساداً ممزّقة من التعذيب ، أو يختفون الىٰ الأبد ..

أطفالٌ بعمر الزهور يجوبون الگراجات ومفترقات الطرق علّهم يجنون شيئاً من رحلة استجدائهم اليومية .. حمله ذلك الهم الىٰ مفاتحة أصدقائه بأمر مشروع خيري . يتبرّع فيه المشترك بمبلغ (١٠٠) دينار يومياً ، إنها لا تساوي شيئاً فقط أربع علب كبريت لا غير ، ولكنها لو جمعت الىٰ بعضها فربما سدّت حاجة أسرة معوزة ، وصانت كرامتها ..

استجاب له كثيرون ، وبارك الله هذا المشروع الخيّر ، ووصلت الأموال المجموعة حدوداً مرضية وبشكل لافت للنظر ، حتىٰ أن القائمين علىٰ هذا المشروع قرّروا أن تشمل المبالغ الموزّعة مناطق عدّة في مدينة البصرة ، ولا يقتصر توزيعها علىٰ منطقة الحيانية فقط .

وفي يوم من أيام عاشوراء قرّروا إقامة مجلس عزاء إحياء لذكرىٰ الإمام الحسين عليه السلام وبما أن النظام قد حارب هذه الشعيرة ، فليتوجهوا إذاً الىٰ أطراف المدينة ، حيث الفضاء الواسع ، فاختاروا مكاناً بين مزارع صفوان .. افتتحوا مجلسهم وختموه دون أن يذكروا النظام بسوء لا من قريب ولا من بعيد ، فليس هذا ممّا اجتمعوا من أجله .

وفي ذات صباح وقفت سيارة للأمن بيضاء (دبل قمارة) نوع تويوتا بباب منزله .. نزلت منها مجموعة من رجال الأمن بكامل عدتهم القتالية ، إقتادوا الشاب وتواروا مسرعين .

توجهوا به الىٰ مديرية الأمن ، عصبوا عينيه ، أشبعوه ضرباً ، علّقوه في سقف غرفة التعذيب ، كادوا يخلعوا يديه ، انهالوا عليه بهراوات غليظة ..

طالبوه بالإعتراف !!

من هم الأشخاص الذين معكَ بالتنظيم ؟

والىٰ أي جهة معادية تنتمون ؟

من أين تأتيك هذه الأموال الطائلة ؟ ولماذا توزعها علىٰ الفقراء ؟

لم تنفع إجاباته الصادقة في دفع التهمة ، ولم تقه من ألوان التعذيب الذي ساموه له ، لكنهم مع ذلك لم ييأسوا ، طالما أنهم يبيعون الإعترافات الىٰ السلطة بأموال طائلة فللإعتراف في مديريات الأمن عدة أسعار ، فهو إما يباع الىٰ أهله إذا عجز أزلام السلطة عن ارغامه على الادلاء باعترافات تنهي حياته .. واما يباع علىٰ المديرية الأعلىٰ والتي يشرف عليها أزلام السلطة أمثال قصي .. وهذا النوع الأخير تختلف أسعاره باختلاف أهمية المعلومات والإعترافات التي يحصلون عليها .

لذلك أصر علي الوحش (ضابط التحقيق في مديرية أمن البصرة برتبة رائد) علىٰ أن للشاب ارتباطات بجهات معارضة ، وانه يشكل حلقة مهمة في تنظيم سياسي .

وبما انه لم يعترف فلابد من إرغامه بشتىٰ السبل وإن كانت قذرة .

وتوجهت ذات السيارة الىٰ منزل الشاب مرّة أخرىٰ ، ونزل علي الوحش محاطاً بالزبانية .

استدلّ على زوجة الشاب ، وكانت تحتضن رضيعها ابن الأربعين يوماً ، أمسك بيدها محاولاً إرغامها على الصعود الى السيارة ، حاولت والدة الشاب منعه قائلة (يمّة آنه مَرَه چبيره ، وهاي شابّة عيب تاخذونهه ، إخذني آنه ابمكانها) ركلها على الوحش فارتطمت بسلّم المنزل وكسرت يدها ، واصطحب المرأة الأسيرة ورحل .

عاد بها الى مديرية الأمن ، احتجزها ليلة كاملة ، في مقر أكثر أزلام النظام خسّة وحقارة ودناءة ، ولكن أن تتصوروا ما تعرضت له تلك المرأة من ذل وخوف وهوان ، ولم تنته المأساة بعد .. فواصِل معي ..

في الصباح جاءوا بزوجها من زنزانته ، قيّدوا يديه ، ولم يعصّبوا عينيه ، إستغرب من ذلك الإجراء ، فلم يسبق أن تركوا عينيه دون عصابة ، وتساءل في نفسه ، وأمّلها انه ربمايكون ذلك بفعل رشوة دفعها والده ، أو (واسطة) كلفها للإفراج عنه ، واستبشر أخيراً.. ولكنه ما أن دخل غرفة التعذيب حتى علّقوه الى السقف ، ودخل عليه على الوحش ..

تفحصه بخبث قبل أن يقول له : «ألم أقل لك اعترف أفضل لك ، لماذا لاتعترف فتوفّر على نفسك متاعب كثيرة ، لقد قلتُ لكَ ، إن لم تعترف (سأفعل) بزوجتك (أمامك)» وردّ الشاب وهو معلّق : «صدّقني إنني مظلوم ، وليس لدي ما أقوله» .. وصرخ على الوحش بغضب : (ادخلوا زوجته) ..

ذهل الشاب وهو يرى زوجته حين ادخلوها عليه وقد تمزّقت أجزاء من ثيابها ، وانتزع حجابها ، وراح يصرخ بكل قواه : إنه سيوقع على ورقة بيضاء ليملأها على الوحش بما يشاء من معلومات علّه يخلي سبيل زوجته ، لكن ذلك لم يقنع على الوحش الذي أمر أحد أفراد الأمن بالخروج من الغرفة كي يباشر تنفيذ تهديده الخسيس .

جثت المرأة تقبّل قدمي زوجها وهي ترجوه أن لايؤذي نفسه ، أن لا يقول شيئاً ينهي حياته ، الأمر الذي دفع على الوحش الى دفعها بعيداً عن زوجها (..) حاولت دفعه عنها وأسرعت نحو قطعة حديد مدببة يستعملها الأوباش في التعذيب زرعتها عند قلبها ، تشبّثها بكلتا يديها بقوة فتهاوى جسدها على الأرض ، انغرست قطعة الحديد في صدرها تدفق دمها الطاهر .. دم عزّتها وشرفها وطهارتها ، فاضت روحها بعد لحظات .. شاكية الى ربها ظلم الإنسان عندما يتحول الى وحش بشري !

❊ ❊ ❊

أساليب قذرة[1]

التعذيب ، أو التهديد به وممارسة مختلف الضغوط النفسية على الشخص المطلوب للسلطة مباشرة أو على أقاربه سمه وصمت بها السلطة المجرمة الحاكمة في بغداد على طول تاريخها الأسود ولم تتخلف عنها قيد أنملة .. وقضية العقيد نجيب الصالحي خير شاهد على ذلك .. وقصة هذا الرجل الشهم انه قرر الوقوف الى أبناء شعبه ليضع حدّاً لظلم النظام فخرج من السجن الكبير ليعلن أمام الملأ براءته مما يرتكبه صدام وجلاوزته بحق أبناء العراق .. وبدلاً من أن تصغي السلطة العفلقية لنداء الحق ازدادت شراهة في الولوغ بدماء الأبرياء ، وخوضاً في مستنقع الرذيلة غير عابئة بقيم العروبة التي تتشدّق بها وقوانين وثنية حمورابي التي يفتخر صدام بالانتساب اليها .

في السابع من حزيران عام ٢٠٠٠ استلم العقيد نجيب الصالحي نداءً تلفونياً لاستلام هدية والتي ظهر انها كاسيت (فيديو) سجل حادث اعتداء على إحدى قريباته..

هذا ملخص القصة والكل سمع بها .. فهل يعقل أحد أن يقوم نظام بمثل هذه الفعلة بأبناء شعبه ؟! بالطبع ، لا يصدق إنسان ان يقوم مسؤول في أي دولة بمثل هذه الفعلة للضغط على المعارضين ليكفّوا عن معارضتهم ..

شاهد يقول ، هناك امرأة اسمها (كوثر) لها اخوان يعيشان في الخارج ويرسلان اليها بين الفينة والأخرى مبلغاً من المال ، فارادت السلطة أن تعرف مكان أخويها فألقت القبض عليها وفي كانون الثاني عام ١٩٩٩ سلّمت جثة هامدة الى

١- صحيفة الشهادة ، العدد (٩٥٣) ، التاريخ ٢٠٠٢/٦/٣م .

ذويها بعد أن ماتت تحت التعذيب !! امرأة تدلي بشهادتها مؤكدة انـها هددت بالاغتصاب من قبل أزلام السلطة حيث كان يأتيها رجل أسود مجرد من الثياب حاول اغتصابها لكنه اكتفى باطلاق الصراخ وتوجيه الضرب حتى أغمي على المسكينة . امرأة أخرى تقول ، اعرف ثلاث نساء اغتصبن حيث كن معتقلات في أحد سجون الأمن ..

شاهد آخر يقول انه رأى بأم عينيه - ولأكثر من مرّة - نساء يغتصبن في المعتقل وبشكل علني أمام ذويهن لانتزاع الاعتراف أو الحصول على معلومة توصلهم الى أهدافهم القذرة .

يروي هذا الشاب ، جاء ثلاثة من أزلام السلطة وسحبوا امرأة معتقلة من زنزانتها وجرّدوها من ثيابها ثم اغتصبوها أمام أخيها الذي مات في الحال .. وأضاف هذا الشاهد من دون ذكر اسماء ، رايت امرأة اغتصبت أمام زوجها !! وأكد أن أطفال المعارضين لا يسلمون من الاعتقال والتعذيب .

❋ ❋ ❋

وثائق وتقارير المنظمات الدولية

منظمة العفو الدولية

العراق

تعذيب
١٩٨٢ - ١٩٨٤

منظمة العفو الدولية - الشعبة الفرنسية
وثيقة خارجية
أبريل (نيسان) ١٩٨٥

الحالة رقم (٣) :

في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ ، اعتقل طالب في السنة الرابعة / طب داخل الكلية مع عدد من الطلاب الآخرين . وقد تم ايداعه السجن بدون محاكمة وبدون أن توجه اليه أية تهم ، كما تعرض الى التعذيب وأعمال العنف الاخرى . وفي شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢ استدعيت والدته لاستلام جثته من مركز الجثث غير معروفة الهوية الموجودة في بلدية بغداد .

وقد اقتطفنا الايضاحات التالية من الشهادة التي ادلت بها والدة الضحية :

(في اليوم ذاته ، ذهب أحد جيراننا للبحث عن جثة ابن اخته ، وهو أيضاً في السنة الرابعة / طب .. شاهد في الغرفة عشرين جثة لشابات عاريات ... مقطّعات النهود ... ممزقات الاوصال) .

❋ ❋ ❋

الوثيقة رقم (٣)

منظمة العفو الدولية

١٧/تموز/١٩٨٠

المسألة القضائية / مخاوف من وجود التعذيب

العراق :

١ - بخسان عبدالله

٢ - ليلى يوسف
٣ - رجاء مجيد رشيد
٤ - أم طاهر - زوجة عبدالستار زبير
٥ - هنذال جادر
٦ - محمد الحكاك

استلمت منظمة العفو الدولية تقارير بان الاشخاص الستة المذكورة اسماؤهم اعلاه قد اعتقلوا خلال شهري ايار وحزيران عام ١٩٨٠ للاشتباه بكونهم يعارضون الحكومة العراقية. وذكر انهم سجنوا في معتقلات انفرادية منعزلة من قبل منتسبي قوات الأمن العراقية ويخشى انهم قد تعرضوا للتعذيب اثناء التحقيق معهم.

وقد اعتقلت السيدة بخسان عبدالله في ايار ١٩٨٠ وهي مدرسة للفيزياء من كردستان وعمرها ٣١ عاماً متزوجة ولها طفلة واحدة. واعتقلت السيدة ليلى يوسف في حزيران ١٩٨٠ ويبلغ عمرها (٥٠) سنة والسيدة رجاء مجيد رشيد (أم لطفلين). اما زوجة عبدالستار زبير المعروفة محلياً بأم طاهر (اسمها الحقيقي غير معروف) فقد اعتقلت في حزيران ١٩٨٠، ثم هنذال جادر السوادي البالغة من العمر (٦٠) سنة، عضوة اتحاد التجارة من البصرة اعتقلت آخيراً وقد اعتقلت سابقاً عام ١٩٧٩. والدكتور محمد الحكاك استاذ (جامعي) في هيئة التدريس العلمية في جامعة بغداد وعضو الطائفة الشيعية عمره (٣٨) سنة متزوج وله ثلاثة اطفال. وان من أقارب الحكاك تم ابعادهم الى ايران مع آلاف العراقيين في نيسان ١٩٨٠ نتيجة لتوتر العلاقات بين الطائفة الشيعية والحكومة العراقية.

وتوجد تقارير حول اعتقالات واسعة الانتشار في صفوف عناصر الحكومة البعثية. ومن ضمن المعتقلين هناك أفراد من الطائفتين الكردية والشيعية، واولئك الذين اتهموا بانتمائهم لاحزاب سياسية غير شرعية مثل الحزب الشيوعي العراقي وحزب الدعوة الإسلامية (الحزب الإسلامي). ويوجد أيضاً بين المعتقلين عدد كبير من النساء. وقد تم تنفيذ حكم الاعدام بعدد من السجناء السياسيين، حيث تم اعدام أكثر من ١٠٠ سجين سياسي منذ بداية عام ١٩٨٠.

وان السجناء السياسيين تم تعذيبهم اثناء التحقيق كأمر روتيني. اما لاجبارهم على الاعتراف بانتمائهم لحزب غير مشروع أو على توقيع تعهد بانهم سوف لاينتمون لاي حزب سياسي غير حزب البعث وان اساليب التعذيب التي عرف انها استعملت هي: الضرب على كافة أقسام الجسم بقبضة اليد والاقدام أو الهراوة المطاطية، وضرب المناطق الحساسة من الجسم بعصا كهربائية، ضرب باطن القدم (الفلقة)، الاغتصاب أو التهديد بالاغتصاب، التهديدات بالاعدام والاعدامات المزيفة والاستهزائية. وتوجد تقارير عديدة عن حالات الموت تحت التعذيب.

ولاتوجد ضمانات قانونية للسجناء العراقيين كما يضمن ذلك القانون العراقي المحلي، واعلان حقوق الإنسان المدنية والسياسية الدولي للامم المتحدة والمصادق عليه من قبل العراق في ١٩٧١/١/٢٥. وتنص الفقرة (٢٢ - أ) من الدستور العراقي المؤقت على انه «يمنع ممارسة أي شكل من أشكال التعذيب البدني أو النفسي». وتنص الفقرة (٢٠ - ب) على «ان حق الدفاع مقدس اثناء كافة مراحل التحقيق والمحاكمة استناداً الى شروط القانون». ومع ذلك فان كافة السجناء السياسيين يتم حجزهم في معتقلات منعزلة اثناء الاستجواب ولا يمكنهم مقابلة المحامين أو حتى عوائلهم.

الاجراء المطلوب:

برقيات / رسائل (لم يصدر للعراق أي تعقيب) تبين القلق والاهتمام حول اعتقال هؤلاء الستة وحجزهم الانعزالي والمطالبة باعطائهم كافة الضمانات القانونية، بضمنها مقابلة المحامين، وفي حالة عدم ثبوت التهمة الرسمية الموجهة اليهم، فيجب اطلاق سراحهم حالاً، ويجب التأكيد على سلامة اجسامهم.

نداءات الى :

الفريق صدام حسين / رئيس الجمهورية العراقية - بغداد - الجمهورية العراقية السيد سعدون شاكر / وزير الداخلية - بغداد - الجمهورية العراقية - مديرية الأمن العامة - شارع النضال . بارك السعدون - بغداد - الجمهورية العراقية يرجىٰ أرسال نسخ من النداءات الىٰ الممثلين الدبلوماسيين العراقيين في بلدك .

آخر تاريخ للعمل : ٢٨/آب/١٩٨٠ .

الوثيقة رقم (٤)

ترجمة طبق الاصل عن النص الانجليزي

منظمة العفو الدولية

١٤/آب/١٩٨٠

منظمة العفو الدولية تشن حملة ضد الاعدامات الواسعة في العراق

شنت منظمة العفو اليوم الخميس ١٢/حزيران/١٩٨٠ حملة دولية لاقناع السلطات العراقية علىٰ ايقاف ممارساتها المتزايدة لعقوبة الموت ، المفروضة غالباً من قبل المحاكم الخاصة علىٰ النشاط السياسي السلمي غير المصحوب بالعنف . وقالت المنظمة ان الاعدامات المنتشرة التي اشتدت في الاشهر الأخيرة ، واجراءات المحاكم التي تتخذ الاحكام خلف الابواب المغلقة (بصورة سرية) كانت مناقضة لالتزامات العراق الدولية بحقوق الإنسان .

فابتداءاً من عام ١٩٧٤ جلبت المنظمة ما معدله ١٠٠ اسم في السنة لسجناء سياسيين تم اعدامهم في العراق وفي عام ١٩٨٠ جلبت موجة استخدام عقوبة الموت المتصاعدة تقارير عن اكثر من ١٠٠ حالة اعدام خلال ستة اسابيع منذ بداية اذار .

واشتملت قائمة المعدومين خلال السنة الماضية علىٰ اعضاء الطائفة الشيعية المسلمة والاكراد وموظفين حكوميين وعسكريين . وفي نفس الفترة وصلت للمنظمة تقارير عن اعتقالات ضخمة وتعذيب السجناء .

وقالت المنظمة انها ستدعو الرأي العام العالمي لمطالبة السلطات العراقية بايقاف الاعدامات ، واصدار قائمة باسماء (٢٥٧) شخصاً ذُكر أنهم اعدموا خلال عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ وسوف تطلب من أعضائها ومؤيديها مطالبة السلطات العراقية تقديم معلومات عن ٨٤ شخصاً من هؤلاء الذين تمتلك المنظمة بعض التفاصيل عنهم .

وان القانون العراقي يعتبر انتماء منتسبي القوات المسلحة أو الذين تركوا الخدمة منذ عام ١٩٦٨ ، الىٰ أي حزب سياسي غير حزب البعث الحاكم ، يعتبر ذلك جريمة رئيسية . والقانون الجديد الذي شرع في ١٩٨٠/٣/٣١ يفرض عقوبة الموت علىٰ مؤيدي حزب الدعوة المعارض ، الجماعة التي اكثرها من الشيعة وان معظم الاحكام صدرت من محاكم خاصة بعد محاكمات قصيرة امام الناس . وان قرار الحكم يمر علىٰ ممثلي الحكومة وليس علىٰ أعضاء السلطة القضائية ولا يسمح لمحامي الدفاع الاتصال بالمتهمين قبل المحاكمة . بل قد لايوجد حق الدفاع في بعض هذه المحاكم والادانات غالباً تستند علىٰ الاعترافات المنتزعة تحت التعذيب . ولايوجد حق استئناف الحكم في المحاكم العليا .

وقد جاءت اعتقالات واعدامات الشيعة وبضمنهم القادة الدينين والاكاديميين والمهندسين بعد تصاعد المعارضة للحكومة العراقية من قبل بعض عناصر طائفة الشيعة ، التي ساندت وبقوة الثورة الإسلامية بزعامة الشيعة في الجارة ايران . ويبلغ تعداد الشيعة حوالي نصف سكان العراق وبينما ينتمي زعماء حكومتهم الىٰ الطائفة السنية المسلمة . ومن بين الذين تحدثت التقارير عن اعدامهم في نيسان عام ١٩٨٠ كان القائد الشيعي البارز آية الله السيد محمد باقر الصدر وان اعدامه مثل بقية الذين وصلت التقارير عنهم للمنظمة لم يتم تأكيده من قبل السلطات العراقية .

وجاءت اعدامات أكراد في أعقاب الهجمات المستمرة للاكراد المطالبين بالحكم الذاتي في صراعهم الطويل والمرير ضد الحكومة .

وقد بدأت التطهيرات والاعدامات للموظفين الحكوميين بعد وقت قصير من استلام صدام حسين الرئاسة بدلا من أحمد حسن البكر في تموز ١٩٧٩.

من تقارير منظمة العفو الدولية

(ساعة ١٧٠٠ بتوقيت كرينتش - الخميس ١٢/حزيران/٨٠).

الوثيقة رقم (٥)

تقارير منظمة العفو الدولية

١٩٨١/٤/٢٩

العراق : أدلة على وجود التعذيب

لعدة سنوات، بضمنها الاثنتا عشرة سنة مدة حكم الحكومة العراقية الحالية، استلمت منظمة العفو الدولية بصورة منتظمة اثباتات حول تعذيب الاشخاص المشتبه بهم في معتقلات قوات الأمن العراقية، وذكر ان العديد من الاشخاص ماتوا جراء التعذيب وسلمت جثتهم الى عوائلهم وهي تحمل علامات التعذيب، وبعض الجثث المشوهة تركت في الشارع خارج منازل الضحايا وفي معظم الحالات كان يتم تعذيب السجناء لاجبارهم على الادلاء بمعلومات تستعمل كدليل في المحكمة أو لجعلهم يرفضون الانتماء للتنظيمات المحظورة وحملهم على الانتماء لحزب البعث الحاكم.

ولم تكن شواهد التعذيب الاولية متوفرة لدى المنظمة ولكن في شهر تشرين أول عام ١٩٧٩ تمكنت منظمة العفو الدولية أخيراً أن تطلع وتفحص طبياً أحد المنفيين العراقيين المدعو (برهان الشاوي) الذي قال انه عذب بقسوة عام ١٩٧٩ عندما كان في معتقلات الأمن العراقية.. وتم اجراء الاختبار لمدة يومين في مستشفى الجامعة في كوبنهاكن من قبل اطباء أعضاء في لجنة الاطباء الدانماركيين التابعة لمنظمة العفو الدولية.

وفي آذار عام ١٩٨٠ تم فحص اربعة عشر منفياً عراقياً آخرين وذكروا بأنهم عذبوا من قبل قوى الأمن ما بين ايلول و آب ١٩٧٩ (طلبوا أن تبقى المعلومات الشخصية عنهم سرية خوفاً من الانتقام منهم ومن عوائلهم) ويتكون الخمسة عشر شخصاً الذين تمت مقابلتهم، وفحصهم من: اثني عشر رجلاً وثلاثة نساء، ثلاثة صحفيين، وثلاثة طلاب جامعيين، وطبيب وموظف صحي، عامل مصنع، عامل تلفون، محامي متقاعد، كاتب وضابط عسكري، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ٢٠ و ٥٢ عاماً وانهم قضوا ما بين يوم واحد و ٢٧٠ يوماً في المعتقل واستمرت فترة التعذيب من يوم واحد الى ٥٠ يوماً وتم فحص المعتقلين بعد الافراج عنهم خلال فترة امتدت من ٧ الى ٣٧ شهراً.

أساليب التعذيب

ذكر هؤلاء العراقيون الـ (١٥) انهم عرضوا لكافة وسائل التعذيب من اعتداءات بدنية قاسية بقبضة اليد والأحذية الهراوات والسياط الى التعليق وضرب باطن القدم والصدمات الكهربائية واجراءات الاستهزاء. وكذلك عرضوا للتعذيب الجنسي مرات عديدة حيث تعرضوا رجالاً ونساء الى الاعتداءات الجنسية الشفهية والفعلية مع التهديد باغتصابهم واغتصاب قسم من افراد عوائلهم واصدقائهم. وذكر احد المعتقلين بانه تم اغتصابه فعلاً بعد ربط يديه وارجله الى الكرسي، وذكر كافة الذين تمت مقابلتهم بانهم عانوا من الضربات على رؤوسهم واجسامهم واطرافهم بواسطة قبضات الايدي على رؤوسهم وأجسامهم واطرافهم بواسطة قبضات الايدي والاقدام والاحذية المطاطية. وذكر بعضهم بانهم ضربوا بالحبال والعصي الخشبية أو السوط الكهربائي. وذكر كافة المعتقلين بانهم كانوا معصوبي الاعين خلال كل أو معظم فترة استجوابهم وكانت أيديهم مربوطة خلف ظهورهم. وذكر اثنا عشر معتقلاً انهم عرضوا الى (الفلقة) وذلك بان اجبروا على الاستلقاء على ظهورهم على الأرض وتركوا ارجلهم في الهواء مستندة على ألواح خشبية أو منضدة، وبعد ذلك ضرب باطن أقدامهم بهراوات مطاطية ثم اجبر معظمهم على السير في الغرفة ذهاباً ومجيئاً بعد أن تمت تغطية أرض

الغرفة بالماء الحار المالح.

وذكر ثلاثة عشر شخصاً بانهم عرضوا للتعذيب الكهربائي في عدد من الحالات تم استعمال آلة تشبه الهراوة مع سلك تربط احدى نهاياته على الوجه أو الصدر (الثديين) والاعضاء التناسلية وفي أربع حالات تم تسليط التيار الكهربائي بعد وضع الاقطاب الكهربائية على الاصابع وفتحات الانف أو البطن واصيب احد الضحايا بالتشنج العضلي وفقدان الوعي بعد وضع الاقطاب الكهربائية على صدغيه.

وقال أحدهم ويبلغ عمره (٥٢) سنة بانه وضع بملابسه الداخلية في مخدع حار مملوء بالبخار وبعد ذلك تم تخفيض درجة الحرارة الى أن تجمدت ملابسه وتصلبت على جسمه.

وذكر اثنان منهم بانه تم كري اجسادهم بالسكاير وحرق احدهم بجسم صلب صغير بحجم القلم وذكرت امرأة عمرها (٣١) عاماً بانها اخذت الى حديقة السجن بملابس النوم معصوبة العين وايديها مربوطة خلفها وفي درجة حرارة قريبة من الانجماد غطست في الماء البارد وتركت معلقة على السلم لمدة ساعات ووصف أربعة منهم كيف عرضوا لاجراءات الاستهزاء حيث قال احدهم بانه تم ضغط المسدس على رأسه (الصدغ) وثم سحب الزناد وقال اثنان انهما بعد ان هددا بالاعدام تم اطلاق عدة عيارات نارية بسرعة فوق رؤوسهم وهم معصوبوا الاعين وقال رابع بانه عرض ثلاث مرات لاجراءات الاستهزاء. اول مرة تم وضع السلك حول عنقه وتم شده بقوة واطلب منه تلاوة صلاته الأخيرة وقد فعل ذلك وبعدها أخرج وضرب والمرة الثانية اخبر بانه سيتم اعدامه ويرمي في النهر، ثم وضع في سيارة سارت لمدة ثلاث ساعات في صمت تام والمرة الثالثة اخبر بانه سيتم رميه بالرصاص ويدفن، وأخذ الى حديقة السجن والبندقية على رقبته ولم يجر اطلاق النار عليه. وقال كافة الذين تمت مقابلتهم بانه جرى تحقيرهم عن قصد، حيث ذكر خمسة منهم انه تم خلع ثيابهم جزئياً أو كلياً، وقالت امرأة بان المحققين معها تركوها واقفة عارية امامهم بدون تعصيب عينيها. وقال ثلاثة منهم بانه تم نبش اعضائهم التناسلية. وقال ثمانية بضمنهم امرأة بانهم هددوا بالاغتصاب واثنان هددوا بوضع القنينة داخل شروجهم وقال احدهم انه تم تنفيذ النوعين من الاهانات البدنية عليه.

وقال السجناء الآخرون بأن المحققين هددوهم بتعذيب أو اغتصاب افراد عوائلهم بضمنهم الاطفال. وذكر أربعة منهم بانهم اجبروا على الوقوف خارج غرفة التحقيق يستمعن الى تعذيب السجناء الآخرين، وقالت احدى النساء بانها اجبرت على مشاهدة احد المعتقلين يعذب لمدة ثلاث ساعات الى ان وافق ان يوقع تصريحاً بانه سيبقى دون نشاط سياسي. وذكر خمسة منهم بانهم وضعوا في الحبس الانفرادي فترة سجنهم بين (٩ أيام و ٢٧٠ يوماً) وقال ثلاثة معتقلين بانهم منعوا من المعالجة في المستشفى بالرغم من توصية طبيب السجن بذلك.

احدى الحالات التأريخية

اخبر المؤلف والصحفي المدعو (برهان الشاوي) البالغ من العمر (٢٤) عاماً الاطباء الذين يعالجونه بانه مستعد لنشر قضيته. وقال انه القي القبض عليه من قبل ضابط الأمن في بغداد في ١٩٧٨/١١/٣ وأخذ الى دوائر الأمن من ناحية الكرخ واحتجز لتسعة أيام، معصوب العينين دائماً. وتم أستجوابه حول ميوله السياسية وعن أسماء الاشخاص الذين يحملون نفس آرائه. وخلال اليومين الأولين اخذ الى غرف مختلفة وضرب بقبضة اليد والعصي والسياط الكهربائية وفي احدى الغرف تم ملامسته ومداعبته جنسياً قبل اخراجه وضربه ورفسه وبعد ذلك اصبح التعذيب منتظماً اي كل ساعة أو ساعتين حيث يتم ضرب رأسه بقوة الى أن يفقد وعيه.

وفي اليوم الثالث والرابع فقد احساسه بالوقت. واحدى المرات ربط صدره الى الكرسي باتجاه المقعد وربطت اطرافه الى رجل الكرسي وبعد ذلك انهالوا عليه ضرباً بالعصي واصيب بالاغماء عدة مرات. وبعد استعادته لوعيه ادرك بانه قد تم خلع بنطلونه واغتصابه. وبعد ذلك اجبر على الجلوس وعلى جسم بارد يشبه القنينة وجعلت تدخل في شرجه. وكذلك تم كويه بجسم صلب بحجم القلم. وكشف الفحص الطبي (٣٥) منطقة فيها آثار جروح دائرية أو بيضوية منها

على ظهر يده اليسرى وافخاذه الخارجية لكلا ساقيه، على الاقدام وفي جلد بطنه . وكافة الآثار كانت مطابقة لجروح الحروق، حسب ادعائه .

وقال برهان الشاوي انه بعد ان استعاد وعيه أخرجوه ووجد نفسه مرمياً في الشارع قرب داره ثم ساعده المارة على الدخول الى البيت وعالجه الطبيب خلال الاسبوع الاول من خروجه ولكن كان على الطبيب مغادرة البلد بسرعة فترك العراق بصورة غير قانونية ليلة ١٩٧٩/٥/٦ .

❋ ❋ ❋

المنظمة الدولية لحقوق الإنسان في العراق

* نتائج مؤسسات العنف في العراق ، الذي كشفت عنها المنظمة الدولية لحقوق الإنسان في العراق ، في نداء وجّهته بتاريخ ١٩٨٧/٤/٣ م الى مختلف منظمات حقوق الإنسان ، نقتطف منه مايلي :

١ – يبلغ عدد المعتقلين السياسيين في سجون العراق زهاء مائتي الف (٢٠٠/٠٠٠) سجين سياسي ، يرزخون تحت أقسى أنواع التعذيب المستمر ، ويواجهون الموت البطيء .

٢ – تجاوزت السجون المئات ومنها تسعين سجناً كبيراً ، توزع في مختلف مدن العراق .

٣ – أكثر من (١٠٠/٠٠٠) من الرجال والنساء والاطفال استشهدوا تحت التعذيب في السجون منذ بداية السبعينات وحتى كتابة هذه السطور .

٤ – يفوق عدد اللاجئين المدنيين العراقيين (٩٥٠/٠٠٠) ممن فرّوا بجلودهم الى مختلف بلدان العالم ، حفاظاً على حياتهم من السجن أو الاعدام .

٥ – هناك أكثر من (١٠٠/٠٠٠) هارب ولاجيء عسكري في الجيش العراقي .

٦ – (٥٠٠/٠٠٠) شخص وأكثر من ذلك ، من العوائل العراقية تم ابعادهم بقسوة خارج الحدود – الى إيران – وتركيا – بعد أن أسقطت كل أوراقهم الرسمية ، وتمت مصادرة جميع ممتلكاتهم وحقوقهم المشروعة .

٧ – عدد المحجوزين من ذوي المهجرين جاوز الـ(٢٥/٠٠٠) من الرجال والنساء والاحداث .

٨ – يبلغ عدد قتلى الحرب وجرحاها ممن أجبروا على خوض الحرب مع إيران دون ارادتهم أكثر من (٨٠٠/٠٠٠) عسكري .

٩ – خمسة آلاف قرية سويت بالأرض في شمال العراق جرّاء القصف الجوي العراقي لهم وتوفي ابناؤها تحت الانقاض واعدادهم هائلة لا تحصى .

١٠ – تم تسجيل عشرات عمليات الاغتيال والملاحقة ، لمواطنين عراقيين على أيدي رجال الأمن العراقي في خارج العراق .

١١ – عشرات المظاهرات السلمية التي تم سحقها بوابل الرصاص دون رحمة[1] .

*** يقول تقرير للمنظمة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق :**

هناك تسعة عشر سبباً للاعتقال في العراق وهي :

١ – انتقاد سياسة الدولة .

٢ – التهجم على الرئيس ، أو مجلس قيادة الثورة .

٣ – الدعوة الى التوعية السياسية .

٤ – الانتماء الى الاحزاب الاسلامية .

٥ – حيازة الكتب والمجلات التي لا تتوافق مع سياسة الدولة .

٦ – الانتماء الى الاحزاب والتنظيمات غير تنظيم حزب صدام .

٧ – عدم اطاعة أوامر الحزب والدولة .

٨ – الاشتراك في المظاهرات الشعبية والطلابية .

٩ – حيازة منشورات تدعو الى التحرر ورفض الظلم .

---

١ – «المنظمة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان في العراق» الاعتقال والتعذيب – وقائع وتقارير – ص ١١١ – ١١٢ .

١٠ - الالتزام الديني ، والاخلاقي ، أو الدعوة الى الصلاح .
١١ - فضح أساليب الابتزاز والغش والرشوة .
١٢ - عدم الاكتراث بصورة الرئيس أو عدم وضعها في البيوت والمحلات .
١٣ - الاعتراض على تجاوزات رجال الأمن والشرطة .
١٤ - الاستماع الى الاذاعات الممنوع سماعها .
١٥ - عدم الاهتمام بقراءة منشورات الحزب ومطبوعاته .
١٦ - غياب الجندي عن وحدته العسكرية لبعض أيام .
١٧ - طباعة كتب أو صحف بغير اجازة حكومية .
١٨ - عدم الاستجابة لمطالب رجال الأمن الشخصية .
١٩ - الامتناع عن الدخول في حزب السلطة[1]

ثم ان امكانيات مؤسسات الاعتقال هائلة تتناسب مع حجم اختياراتها ، فمثلاً تمتلك هذه المؤسسة أعداد كبيرة من السجون والمعتقلات منها على سبيل المثال ما يلي:
(حسب ما جاء في أحد التقارير الدولية)

أولاً: معتقلات رئاسة المخابرات العامة وتتكون من :

١ - معتقل المقر العام في بغداد .
٢ - معتقل فرع مخابرات المنطقة الشمالية - نينوى .
٣ - معتقل فرع مخابرات المنطقة الجنوبية - البصرة .
٤ - معتقل فرع مخابرات المنطقة الشرقية - ديالى .
٥ - معتقل فرع مخابرات المنطقة الغربية - الانبار .
٦ - معتقل مراكز المخابرات في مديريات أمن المحافظات .

ثانياً: معتقلات مديرية الاستخبارات العسكرية العامة ، وتتكون من :

١ - معتقل المقر العام في بغداد .
٢ - معتقل منظومة استخبارات المنطقة الشمالية .
٣ - معتقل منظومة استخبارات المنطقة الجنوبية .
٤ - معتقل منظومة استخبارات المنطقة الشرقية .
٥ - معتقل منظومة استخبارات المنطقة الغربية .

ثالثاً: معتقلات مديرية الأمن العامة ، وتتكون من :

١ - معتقلات المقر العام في بغداد (مباني مديرية الأمن العامة في منطقة السعدون - القصر الأبيض) .
٢ - معتقل أمن الكرخ - بغداد .
٣ - معتقل أمن الرصافة - بغداد .
٤ - معتقل أمن الكاظمية - بغداد .

---

[1] «الاعتقال والتعذيب .. وقائع وتقارير» ص ٢٨ .

٥ - معتقل أمن الأعظمية - بغداد .
٦ - معتقل أمن البتاوين - بغداد .
٧ - معتقل أمن الكرادة الشرقية - بغداد .
٨ - معتقل أمن بغداد الجديدة - بغداد .
٩ - معتقل أمن الثورة - بغداد .
١٠ - معتقل أمن القناة - بغداد .
١١ - معتقلات مديريات أمن المحافظات ، والبالغ عددها سبعة عشر معتقلاً عدا بغداد .
١٢ - معتقل مديرية أمن منطقة «الحكم المحلي» التي مقرها مدينة أربيل .

رابعاً : معتقل قصر النهاية في بغداد - قصر الرحاب الملكي سابقاً - وهدم هذا المعتقل الرهيب بعدما سميت بـ «مؤامرة ناظم كزار - مدير عام أمن السلطة الفاشية الاسبق» - في حزيران - يونيو عام ١٩٧٣» .

خامساً : معتقل قصر الأميرات - بنات الملك فيصل الأول - وهو معتقل سري .

سادساً : معتقل معسكر الرشيد العسكري (السجن العسكري رقم ١) .

سابعاً : معتقل قصر الملح ، وهو معتقل سري أيضاً .

ثامناً : معتقل الفضيلية .

تاسعاً : السجون العامة وتتكون من :
١ - سجن أبي غريب المركزي .
٢ - سجن البعقوبة .
٣ - سجن الكوت .
٤ - سجن الموصل .
٥ - سجن كركوك .
٦ - سجن الناصرية .
٧ - سجن العمارة .
٨ - سجن البصرة .
٩ - سجن الحلة .
١٠ - سجن السماوة .
١١ - سجن الرمادي .
١٢ - سجن السليمانية .
١٣ - سجن نقرة السلمان - وقد اغلق هذا السجن الصحراوي الرهيب الذي كان قائماً منذ العهد الملكي المباد وألغي بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وفُتح سرّياً من قبل سلطة العراق الحاكمة .

عاشراً : المعتقلات السرّية المعروفة منها :

١ - معتقل سري تحت جسر الأئمة من الجانب الأيمن لنهر دجلة (الكاظمية / بغداد) .
٢ - معتقل سرّي في منطقة الراشدية - بغداد .
٣ - معتقل سري في منطقة التاجي - بغداد .
٤ - معتقل سري يقع ضمن مباني رئاسة المخابرات العامة لحجز عناصر المخابرات . الذي يشك في ولائهم

للسلطة أو وجود علاقة لهم بالحركة الوطنية العراقية.
٥ - معتقل سري بالقرب من دار الاقطاعي المشهور (بلاسم الياسين) في منطقة الصليخ ببغداد.
٦ - معتقل سري يقع قرب منطقة صدر القناة بغداد.
٧ - معتقل سري يقع في منطقة كرادة مريم بالقرب من ما يسمى «مكتب شؤون سوريا» خاص لتنظيمات السلطة من المواطنين العرب الذين يشك في ولائهم للسلطة.
٨ - معتقل سري يقع قرب منطقة ناحية خان بني سعد على طريق بغداد / ديالى.
٩ - معتقل سري يقع قرب منطقة مشروع الثرثار في سامراء.
١٠ - معتقل سري في منطقة ساحة الجندي المجهول في بغداد.
١١ - معتقل سري يقع في شارع أبي نؤاس تحت مطعم الاناء الذهبي وهو عبارة عن قبور تحت الأرض.
١٢ - معتقل سري يقع تحت بناية شركة المخازن التجارية العراقية (أورزدي باك) في شارع الرشيد وله مدخل سري من الجانب الآخر المحاذي لنهر دجلة.
١٣ - معتقل سري يقع في منطقة الاعظمية ببغداد (المحصورة بين راس الحواش والشارع المؤدي الى مكتبة الصباح).
١٤ - معتقل أمن الدائرة وهو معتقل سري تابع لمديرية الأمن العامة يقع في منطقة البتاوين خاص باعتقال عناصر الأمن الذين يشك في ولائهم للسلطة أو وجود علاقة لهم بالحركة الوطنية العراقية.
١٥ - معتقل سري تابع للمخابرات العامة يقع في عمارة الحياة الكائنة مقابل القصر الجمهوري.
١٦ - معتقل سري يقع قرب السفارة الأمريكية سابقاً في منطقة كرادة مريم في بغداد.
١٧ - عشرات البيوت والمراكز السرية لغرض سجن واعتقال شخصيات السلطة البارزين من مسؤولي الدولة وقيادة تنظيم السلطة في المنطقة المحصورة بين مايسمى بمبنى المجلس الوطني - القصر الجمهوري في منطقة كرادة مريم ببغداد.
١٨ - عشرات البيوت والمراكز السرية في منطقة الكرادة الشرقية - المسبح والزوية وكرادة داخل - وكذلك منطقة بغداد الجديدة - تل محمد والمشتل - وكذلك منطقة ساحة الاندلس ودار السلام وغيرها من مناطق بغداد الأخرى.
١٩ - عشرات البيوت والمراكز السرية في داخل مراكز محافظات القطر.
٢٠ - وهناك العديد من المنازل والمراكز السرية غير المعروفة[١].

❋ ❋ ❋

منظمة مراقبة الشرق الاوسط (عذاب بلا نهاية) انتفاضة آذار ١٩٩١

❋ عند مهاجمة قوات الحرس الجمهوري مدينة العمارة مركز محافظة ميسان في أواسط شهر آذار ١٩٩١ للقضاء على الانتفاضة الشعبية هناك استخدمت الطائرات والمدفعية لقصف المدينة، ومن اثر ذلك تم تدمير دار المواطن عبد علي الساعدي الواقعة في منطقة مغربة بقذيفة مدفع بعيد المدى مما ادى الى قتل خمسة من أفراد العائلة بضمنهم زوجة المواطن وهي موحي جرو وأربعة من اطفالها (ذكر وثلاث اناث).

(١) «من ملف الفاشية في العراق تقرير حول انتهاكات النظام الفاشي لحقوق الانسان» (كانون الأول / ١٩٨٢) ص ٢١٨ - ٢٢٠.

* هذا وشوهدت عوائل كثيرة تهرب من منازلها وخاصة بعد هجوم الدبابات على المدينة ، وكان بين أفراد تلك العوائل جرحى من جزاء الهجوم لايجدون وسيلة للاسعاف والعلاج .

* ومن الاحياء التي شملها القصف (حي الماجدية) حيث تهدمت (٢٥) داراً سكنية جراء ذلك ، وفي دارين من هذه الدور توفي جميع من فيها فالعائلة الاولى هي عائلة **السيد حمود السيد فرج** المكونة من اربعة أشخاص : **كوثر** (اربع سنوات) ، **ماجدة** (١٢) سنة ، واثنان آخران ، أما العائلة الثانية فتتكون من سبعة أشخاص خمس بنات وذكرين . وفي (حي المعلمين) في مدينة العمارة شوهدت **طفلة** في أحد الشوارع مصابة بشظية قنبلة في رأسها وقد فارقت الحياة وهي لاتتجاوز الثلاث سنوات .

* كما نال القصف (قضاء الكحلاء) فهدمت بعض بيوته في (حي العدل) .

* وفي منطقة العمارات السكنية في (المركز) تهدمت عدة شقق ومنازل من الاحياء المجاورة مثل قطاع (٣٠) وقطاع (٢٨) ،كما نقل عدة أشخاص بضمنهم نساء واطفال وشيوخ حتى أن عدداً من الجثث كان يشاهد اثناء القصف في شوارع الاحياء التي نالها القصف .

* وفي (الكحلاء) أيضاً قتل الاشخاص نتيجة القصف ومن ضمنهم **صبيح سالم وحسين حنون** اللذين اصابتهما قذيفة هاون داخل المدينة بينما تهدم منزل المواطن زوير في منطقة الشعبة قرب الكحلاء بفعل عدة قذائف مدفعية مما ادى الى قتل ثمانية عشر فرداً حيث كان المنزل المذكور يضم ثلاث عوائل منها اثنتان كانتا في ضيافة رب الدار .

* أخبر رجل أعمال لاجيء من البصرة ، منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، ان الحرس الجمهوري قد قتل عدداً من النساء والاطفال رمياً بالرصاص عندما نزلوا الى النهر لاخذ الماء . وكان الحرس يحتلون أسطح البنايات العالية ويقومون برمي النار على الناس ، ولقد رأيت أجساداً عديدة طافية في النهر ، كما قتل الحرس الناس الذين حاولوا اخراج هذه الاجساد الطافية ، وبالرغم من ذلك فالنساء لازلن يذهبن للنهر لاخذ لماء فليس هناك من اختيار آخر .

لقد وصف رجل الاعمال منظراً في داخل بيته الواقع في محلة الجمهورية في ضواحي البصرة وذلك بعد سقوط المنطقة مباشرة بأيدي القوات الموالية .

لقد ذهبنا الى بيتنا الواقع قرب الشارع الوطني للبحث عن عائلتي وقد وجدت في غرفة الجلوس ، **جثتين لفتاتين يافعتين ، وكانتا عاريتين تماماً** ، وتم شنقهما في المروحة المعلقة في سقف الغرفة ، وفي الغرفة الاخرى التي تسكنها العائلة ، كانت هناك حوالي ثماني جثث بضمنها جثة طفل يقل عمره عن السنتين قد تورمت الجثث حيث مرذ على وجودها يومان على الاقل على هذه الحالة . وكانت الشوارع مملوءة بالجثث الى درجة كبيرة ، مطروحة في كوم ، وقد رايت عوائل كاملة وقد قطعت الى أوصال .. أيد وأذرع وسيقان .

* لقد قابلت منظمة مراقبة الشرق الاوسط طبيباً في مخيم رفحا للاجئين العراقيين في العربية السعودية حيث هرب من المستشفى الذي كان يعمل به في مدينة النجف عندما اقتحمته قوات الامن . حيث قال :

كان هناك في المستشفى حوالي (٥٠) مريضاً في الوقت ومنهم **النساء** ، والاطفال ، والمجاهدين ، وقد شاهد الجنود وهم يقومون باعدام المرضى ، والاطباء ، وذلك عند هروبه من المستشفى .

* وأخيراً طبيب آخر من مدينة النجف ، صحيفة النيويورك تايمس انه قد تم اعدام الاطباء ، والمرضى ، في مستشفى صدام من قبل الجنود ، وتم قتل الاطباء بالسكاكين ، وليس فقط بالبنادق **وقد جردوا الطبيبات من ثيابهن ، وقطعوا اجسامهن** .

* * *

السجون العلنية في عراق الأحرار لعام ١٩٨٤

١ ـ سجن أبو غريب في بغداد
٢ ـ قصر النهاية في بغداد
٣ ـ الفضيلية في بغداد
٤ ـ قصر المالح في بغداد
٥ ـ مدير الأمن العامة / بغداد
٦ ـ مديرية أمن بغداد / بغداد
٧ ـ مديرية أمن مدينة الثورة / بغداد
٨ ـ سجن رقم (١) معسكر الرشيد
٩ ـ سجن رقم (٣) الزعفرانية
١٠ ـ سجن الرشاد للنساء / بغداد
١١ ـ سجن الزعفرانية للنساء / بغداد
١٢ ـ سجن بعقوبة
١٣ ـ سجن نقرة السلمان السياسي
١٤ ـ سجة الحلة الكبير
١٥ ـ سجن الشعبة الرابعة / بغداد
١٦ ـ موقف الحارثية العسكري
١٧ ـ معتقل الرجيبة
١٨ ـ معتقل العطيشي للتعذيب
١٩ ـ سجن الحي العباسي / كربلاء
٢٠ ـ أمن الكوفة / النجف
٢١ ـ معتقل أمن النجف / النجف
٢٢ ـ معتقل أمن الحلة / الحلة
٢٣ ـ سجن الطهمازية / الحلة
٢٤ ـ معتقل المحاويل / الحلة
٢٥ ـ معتقل عطيفية الجسر / الكاظمية
٢٦ ـ معتقل أمن الكاظمية / الكاظمية
٢٧ ـ شرطة الكاظمية / الكاظمية
٢٨ ـ معتقل المخابرات / كربلاء
٢٩ ـ سجن عين زالة / الموصل
٣٠ ـ معتقل سنجار / الموصل
٣١ ـ معتقل أمن الموصل / الموصل
٣٢ ـ سجن الغزلاني العسكري / الموصل
٣٣ ـ معتقل أمن العمارة والعمانية
٣٤ ـ معتقل الخيالة / العمارة
٣٥ ـ سجن عين التمر / كربلاء
٣٦ ـ سجن الاخيضر / كربلاء
٣٧ ـ سجن البصرة المركزي / البصرة
٣٨ ـ معتقل أمن الزبير / البصرة
٣٩ ـ معتقل أمن الفاو / البصرة
٤٠ ـ معتقل مديرية أمن البصرة
٤١ ـ معتقل أمن العشار / البصرة
٤٢ ـ سجن الشعبية المركزي
٤٣ ـ سجن بيجي / تكريت
٤٤ ـ مديرية أمن بلد / تكريت
٤٥ ـ مديرية أمن تكريت / تكريت
٤٦ ـ مديرية أمن سامراء / تكريت
٤٧ ـ سجن سوسا / السليمانية
٤٨ ـ سجن دوكان / السليمانية
٤٩ ـ معتقل بنگرد / السليمانية
٥٠ ـ معتقل چمچمال / السليمانية
٥١ ـ مديرية أمن الناصرية
٥٢ ـ معتقل أمن سوق الشيوخ
٥٣ ـ معتقل أمن القرنة / البصرة
٥٤ ـ معتقل أمن السماوة / المثنى
٥٥ ـ معتقل الرميثة / المثنى
٥٦ ـ معتقل أمن الديوانية
٥٧ ـ معتقل أمن الشامية / الديوانية
٥٨ ـ مديرية أمن الكوت / واسط
٥٩ ـ معتقل أمن الحي / واسط
٦٠ ـ سجن الكوت المركزي / واسط
٦١ ـ معتقل أمن المجر الكبير
٦٢ ـ معتقل خانقين / ديالى
٦٣ ـ معتقل جلولاء / ديالى
٦٤ ـ معتقل بعقوبة / ديالى
٦٥ ـ سجن كركوك المركزي
٦٦ ـ معتقل أمن كركوك
٦٧ ـ معتقل أمن طوزخرماتو
٦٨ ـ سجن أربيل / أربيل
٦٩ ـ معتقل أمن أربيل / أربيل
٧٠ ـ سجن القلعة / أربيل

❊ ❊ ❊

عدد السجون في عراق الأحرار عام ٢٠٠٠ م[1]

ادناه قائمة بأسماء السجون والمعتقلات التي تمارس فيها انتهاكات حقوق الإنسان ولعدم وجود قائمة بأسماء السجون والمعتقلات الموجودة أو التي أنشأها نظام صدام حسين في العراق لدى الجهات المختصة فان القائمة التالية من أسماء السجون والمعتقلات تحتاج الى التثبيت :

١ - سجون أبو غريب - على طريق بغداد - الفلوجة .
٢ - سجن الفضيلية - في بغداد .
٣ - معتقل مديرية الأمن العامة - الكرادة الشرقية - بغداد .
٤ - معتقل مديرية أمن بغداد - شارع ٥٢ - الكرادة - بغداد .
٥ - سجن معسكر الرشيد - بغداد .
٦ - سجن معسكر التاجي - بغداد .
٧ - سجن الزعفرانية للنساء - الزعفرانية بغداد .
٨ - سجن الزعفرانية للرجال - الزعفرانية بغداد .
٩ - سجن الشعبة الرابعة - وزارة الدفاع - بغداد .
١٠ - موقف الحارثية العسكري - بغداد .
١١ - معتقل الرجيبة - الرجيبة - بغداد .
١٢ - معتقل أمن الرصافة - بغداد .
١٣ - معتقل أمن الكاظمية - ساحة الزهراء - مدينة الكاظمية - بغداد
١٤ - معتقل أمن عطيفية الجسر - بستان الخاتون - مدينة الكاظمية - بغداد
١٥ - معتقل الراشدية - بغداد
١٦ - معتقل أمن مدينة الحرية الأولى - مدينة الحرية - بغداد
١٧ - معتقل أمن مدينة الحرية الثانية - مدينة الحرية - بغداد
١٨ - معتقل أمن مدينة الثورة - وهو عبارة عن عدة أبنية متفرعة في مدينة الثورة - بغداد .
١٩ - معتقل الصليخ - بغداد - سبع ابكار
٢٠ - معتقل سلمان باك - سلمان باك - بغداد
٢١ - معتقل سيد محمد - منطقة سيد محمد - بغداد
٢٢ - معتقل أمن أمن الدورة - الدورة - بغداد
٢٣ - معتقل أمن الشعلة - الشعلة - بغداد
٢٤ - معتقل حي العدل - بغداد
٢٥ - معتقل شرطة السراي - بغداد
٢٦ - معتقل الطارمية - الطارمية - بغداد
٢٧ - معتقل بغداد الجديدة - بغداد الجديدة - بغداد
٢٨ - معتقلات الحرس الجمهوري في عدة مناطق في بغداد
٢٩ - معتقلات الجيش الشعبي في عدة مناطق في بغداد
٣٠ - معتقلات جهاز أمن صدام الخاص - بغداد
٣١ - معتقلات الاستخبارات العسكرية في عدة مناطق في بغداد
٣٢ - معتقل مديرية الجنسية العامة - بغداد
٣٣ - معتقل دائرة الانضباط العامة - بغداد
٣٤ - سجن المحمودية - المحمودية - محافظة بابل
٣٥ - معتقل أمن اليوسفية - اليوسفية - محافظة بابل
٣٦ - معتقل أمن المسيب - المسيب - محافظة بابل
٣٧ - معتقل المحاويل - المحاويل -

---

١ - المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق .

محافظة بابل
٣٨ - معتقل سدة الهندية - سدة الهندية - محافظة بابل
٣٩ - معتقل الاسكندرية - الاسكندرية - محافظة بابل
٤٠ - معتقل المدحتية - المدحتية - محافظة بابل
٤١ - معتقل الهاشمية - الهاشمية - محافظة بابل
٤٢ - معتقل الحمزة - الحمزة - محافظة بابل
٤٣ - معتقل القاسم - القاسم - محافظة بابل
٤٤ - معتقل الكفل - الكفل - محافظة بابل
٤٥ - معتقل أمن طويريج - طويريج - محافظة بابل
٤٦ - سجن الحلة الكبير - بابل مشهد - محافظة بابل
٤٧ - معتقل أمن الحلة - الحلة - محافظة بابل
٤٨ - سجن الطهمازية - الحلة - محافظة بابل
٤٩ - معتقل الكوفة - الكوفة - محافظة النجف
٥٠ - معتقل أمن النجف - محافظة النجف
٥١ - سجن النجف - محافظة النجف
٥٢ - سجن كميل (تحت الأرض) - محافظة النجف
٥٣ - معتقل خان المصلى - خان المصلى - محافظة النجف
٥٤ - معتقل أم القرون - أم القرون - محافظة النجف
٥٥ - معتقل حي سعد - حي سعد - محافظة النجف
٥٦ - معتقل واقصة - واقصة - محافظة النجف
٥٧ - معتقل بئر النصف - بئر النصف - محافظة النجف
٥٨ - معتقل السكر - السكر - محافظة النجف
٥٩ - معتقل الصحن - مركز النجف - محافظة النجف
٦٠ - معتقل العطيشي - كربلاء
٦١ - سجن الحي العباسي - الحي العباسي - كربلاء
٦٢ - معتقل بحر الملح - كربلاء
٦٣ - معتقل الرزازة - كربلاء
٦٤ - معتقل سيد محمد - كربلاء
٦٥ - معتقل خان النخيلة - كربلاء
٦٦ - معتقل المخابرات - محافظة كربلاء
٦٧ - سجن الأخيضر - محافظة كربلاء
٦٨ - سجن عين التمر - محافظة كربلاء
٦٩ - سجن الديوانية - الديوانية - محافظة القادسية
٧٠ - سجن الشامية - الشامية - محافظة القادسية
٧١ - معتقل أمن الديوانية - محافظة القادسية
٧٢ - معتقل الشامية - الشامية - محافظة القادسية
٧٣ - معتقل الشافية - محافظة القادسية
٧٤ - معتقل سيد عباس - محافظة القادسية
٧٥ - سجن قلعة الصفير - محافظة القادسية
٧٦ - سجن الرواشد - الرواشد - محافظة القادسية
٧٧ - سجن عفك - عفك - محافظة القادسية
٧٨ - معتقل قلعة مجنونة - مجنونة - محافظة القادسية
٧٩ - معتقل أبو طيخ - محافظة القادسية
٨٠ - سجن السماوة - مدينة السماوة - محافظة المثنى

٨١ - سجن الرميثة - الرميثة - محافظة المثنى
٨٢ - معتقل الحافظ - محافظة المثنى
٨٣ - معتقل جنات - محافظة المثنى
٨٤ - معتقل القصير - محافظة المثنى
٨٥ - معتقل الحمدانية - محافظة المثنى
٨٦ - سجن نقرة السلمان - مدينة السلمان - محافظة المثنى
٨٧ - سجن السماوة (تحت الأرض) - السماوة - محافظة المثنى
٨٨ - معتقل الرميثة - الرميثة - محافظة المثنى
٨٩ - معتقل الابطية - محافظة المثنى
٩٠ - سجن الكوت المركزي - الكوت - محافظة واسط
٩١ - معتقل أمن الكوت - الكوت - محافظة واسط
٩٢ - معتقل أمن الحي - محافظة واسط
٩٣ - معتقل النعمانية - النعمانية - محافظة واسط
٩٤ - معتقل بدرة - محافظة واسط
٩٥ - معتقل العزيزية - محافظة واسط
٩٦ - معتقل الصويرة - الصويرة - محافظة واسط
٩٧ - معتقل جصان - جصان - محافظة واسط
٩٨ - سجن العمارة المركزي - العمارة - محافظة ميسان
٩٩ - معتقل أمن العمارة - محافظة ميسان
١٠٠ - معتقل أمن المجر الكبير - محافظة ميسان
١٠١ - معتقل علي الغربي - علي الغربي - محافظة ميسان
١٠٢ - سجن قلعة صالح - محافظة ميسان
١٠٣ - معتقل قلعة صالح - محافظة ميسان
١٠٤ - معتقل العزير - محافظة ميسان
١٠٥ - معتقل الكحلاء - محافظة ميسان
١٠٦ - معتقل الحلفاية - محافظة ميسان
١٠٧ - معتقل الكيارة - محافظة ميسان
١٠٨ - معتقل أمن الناصرية - الناصرية - محافظة ذي قار
١٠٩ - سجن الناصرية المركزي - الناصرية - محافظة ذي قار
١١٠ - معتقل قلعة سكر - محافظة ذي قار
١١١ - معتقل أمن سوق الشيوخ - محافظة ذي قار
١١٢ - معتقل الرفاعي - محافظة ذي قار
١١٣ - معتقل الشطرة - محافظة ذي قار
١١٤ - معتقل الجبايش - محافظة ذي قار
١١٥ - معتقل حاج ياسين - محافظة ذي قار
١١٦ - معتقل البطحاء - محافظة ذي قار
١١٧ - معتقل سوق الشيوخ - محافظة ذي قار
١١٨ - معتقل الخضر - محافظة ذي قار
١١٩ - معتقل الغريشية - محافظة ذي قار
١٢٠ - سجن البصرة الكبير - محافظة البصرة
١٢١ - معتقل أمن البصرة - محافظة البصرة
١٢٢ - معتقل القرنة - محافظة البصرة
١٢٣ - معتقل الجبايش - محافظة البصرة
١٢٤ - سجن الهارثة - محافظة البصرة
١٢٥ - معتقل أبو الخصيب - محافظة البصرة
١٢٦ - سجن الزبير - محافظة البصرة
١٢٧ - معتقل أمن الزبير - محافظة البصرة
١٢٨ - معتقل الفاو - محافظة البصرة
١٢٩ - معتقل كوت زين - محافظة البصرة
١٣٠ - معتقل أم قصر - محافظة البصرة
١٣١ - سجن الرميلة - محافظة البصرة
١٣٢ - معتقل العشار - محافظة البصرة

١٣٣ - معتقل الشلمجة - محافظة البصرة
١٣٤ - سجن الشعبة العسكري - محافظة البصرة
١٣٥ - سجن بعقوبة - محافظة ديالى
١٣٦ - معتقل خان بني سعد - محافظة ديالى
١٣٧ - معتقل المقدادية - محافظة ديالى
١٣٨ - سجن مندلي - محافظة ديالى
١٣٩ - سجن خانقين - محافظة ديالى
١٤٠ - معتقل جلولاء - محافظة ديالى
١٤١ - معتقل الخالص - محافظة ديالى
١٤٢ - معتقل جديدة الشط - محافظة ديالى
١٤٣ - سجن سامراء - محافظة صلاح الدين
١٤٤ - معتقل أمن سامراء - محافظة صلاح الدين
١٤٥ - معتقل أمن بيجي - محافظة صلاح الدين
١٤٦ - معتقل أمن تكريت - محافظة صلاح الدين
١٤٧ - المعتقلات الخاصة في تكريت - محافظة صلاح الدين
١٤٨ - معتقل بلد - محافظة صلاح الدين
١٤٩ - معتقل بحيرة الثرثار - محافظة صلاح الدين
١٥٠ - سجن الرمادي - محافظة الانبار
١٥١ - معتقل أمن الرمادي - محافظة الانبار
١٥٢ - معتقل الفلوجة - محافظة الانبار
١٥٣ - معتقل أمن الحبانية - محافظة الانبار
١٥٤ - معتقل معسكر الحبانية - محافظة الانبار
١٥٥ - معتقل أمن عانة - محافظة الانبار
١٥٦ - معتقل القائم - محافظة الانبار
١٥٧ - معتقل الرطبة - محافظة الانبار
١٥٨ - سجن كركوك المركزي - محافظة التأميم
١٥٩ - معتقل أمن كركوك - محافظة التأميم
١٦٠ - معتقل أمن طوزخورماتو - محافظة التأميم
١٦١ - معتقل كفري - محافظة التأميم
١٦٢ - معتقلات قوات الاستخبارات العسكرية في كركوك - محافظة التأميم
١٦٣ - معتقل جمجمال - محافظة التأميم
١٦٤ - معتقل الحويجة - محافظة التأميم
١٦٥ - معتقل مديرية الشرطة في كركوك - محافظة التأميم
١٦٦ - سجن السليمانية - محافظة السليمانية
١٦٧ - معتقل أمن السليمانية - محافظة السليمانية
١٦٨ - معتقلات الاستخبارات العسكرية في السليمانية - محافظة السليمانية
١٦٩ - معتقل حلبجة - محافظة السليمانية
١٧٠ - معتقل قلعة دزه - محافظة السليمانية
١٧١ - معتقل رانية - محافظة السليمانية
١٧٢ - معتقل بنجوين - محافظة السليمانية
١٧٣ - سجن سوسا - محافظة السليمانية
١٧٤ - سجن دوكان - محافظة السليمانية
١٧٥ - سجن بنكرد - محافظة السليمانية
١٧٦ - معتقل جمچمال - محافظة السليمانية
١٧٧ - سجن أربيل المركزي - محافظة أربيل
١٧٨ - معتقل أمن أربيل - محافظة أربيل
١٧٩ - سجن القلعة - محافظة أربيل

١٨٠ - معتقل راوندوز - محافظة أربيل
١٨١ - معتقل صلاح الدين - محافظة أربيل
١٨٢ - معتقل شقلاوة - محافظة أربيل
١٨٣ - معتقل حاج عمران - محافظة أربيل
١٨٤ - سجن دهوك - محافظة دهوك
١٨٥ - معتقل أمن دهوك - محافظة دهوك
١٨٦ - معتقل أمن عقرة - محافظة دهوك
١٨٧ - معتقل أمن العمادية - محافظة دهوك
١٨٨ - معتقل أمن العمادية - محافظة دهوك
١٨٩ - معتقل أمن زاخو - محافظة دهوك
١٩٠ - معتقلات الاستخبارات العسكرية في دهوك - محافظة دهوك
١٩١ - مديرية أمن دهوك - محافظة دهوك
١٩٢ - سجن الموصل المركزي - محافظة نينوى
١٩٣ - سجن الغزلاني العسكري - محافظة نينوى
١٩٤ - معتقل أمن الموصل - محافظة نينوى
١٩٥ - سجن عين زالة - محافظة نينوى
١٩٦ - معتقل عين سفني - محافظة نينوى
١٩٧ - معتقل حمام العليل - محافظة نينوى
١٩٨ - معتقل الخضر - محافظة نينوى
١٩٩ - معتقل تلعفر - محافظة نينوى
٢٠٠ - معتقل سنجار - محافظة نينوى

***

من فَمِكَ أُدينُك

تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن حقوق الإنسان في العراق، ٤/آذار/٢٠٠٢م)[١]

تقارير البلدان حول ممارسات حقوق الإنسان ٢٠٠١

العراق

وزارة الخارجية الأمريكية : سجل حقوق الإنسان في العراق «سيّء الصيت»

تنحصر السلطة السياسية في العراق بجهاز حزب واحد قمعي يسيطر عليه (صدام حسين) وافراد من عائلته الممتدة . ينص الدستور المؤقت الصادر عام (١٩٦٨ م) على أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الذي يحكم العراق من خلال مجلس قيادة الثورة ، الذي يتولى السلطتين التنفيذية والتشريعية معاً.

يتمتع الرئيس صدام حسين ، وهو أيضاً رئيس الوزراء ، ورئيس مجلس قيادة الثورة ، والأمين العام القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي بسلطة مُطلقة.

يواصل صدام حسين ونظامه الإشارة الى «استفتاء» غير ديمقراطي على رئاسته أجري في تشرين الأول / اكتوبر ١٩٩٥ م ، وفاز فيه بنسبة ٩٩/٩٦ بالمئة من الأصوات . لم يُعتمد في هذا الاستفتاء الاقتراع السري ، ولم يشمل أي مرشح آخر وأشار العديد من التقارير الموثوقة الى أن الناخبين كانوا يخشون الانتقام إن هم صوّتوا بـ«لا» . وقعت في العراق في السنوات الأخيرة أعمال تمرُّد شعبي وخاصة في مناطق الشمال والجنوب . وقد ردّت الحكومة على الذين يعارضونها ، أو حتى الذين يُسائلونها ، بقمع شديد . القضاء في العراق غير مستقل ، ويجوز للرئيس أن يلغي أو يُبطل قرارات المحاكم .

يضم الجهاز الأمني لدى الحكومة ميليشيات ترتبط بالرئيس ، وحزب البعث ، ووزارة الداخلية . تتولى قوات الجيش والقوات شبه العسكرية دوراً أمنياً داخلياً في أحيان كثيرة . كما يقوم الجيش وقوى الأمن بدور اساسي في إبقاء جو من الترهيب والخوف الذي تستند إليه سلطة الحكم .

ظلّ سجل الحكومة في مجال حقوق الإنسان سيئاً جداً . لا يتمتع المواطنون بحق تغيير حكومتهم .

واصلت الحكومة تنفيذ أحكام الإعدام الفورية بمعارضين سياسيين وزعماء من الطائفة الشيعية . تذكر الأنباء أن أشخاصاً أعدموا لمُجرّد علاقة لهم بجماعة معارضة ، أو بسبب المحاولات المستمرة لتخفيف أعداد السجناء في البلاد . مازالت الحكومة مسؤولة عن اختفاء وقتل وتعذيب أشخاص .

تقوم القوات العسكرية ، بصورة روتينية بتعذيب وضرب واغتصاب وإساءة معاملة المعتقلين . أوضاع السجون سيئة جداً ، وأحياناً تعرّض حياة المعتقلين للخطر .

ذُكر ان الحكومة قامت بحملات «تطهير السجون» تناولت قتل سجناء من أجل تخفيف الاكتظاظ في السجون . قامت السلطات بصورة روتينية باعتقال وسجن أناس بصورة تعسفية ، أو اعتقالهم فترات طويلة ، أو دون السماح لهم بالاتصال بأي كان ، كما واصلت حرمان المواطنين من حقهم الأساسي في الإجراءات القانونية الأصولية .

---

١ – أخي القارىء الكريم .. اخترنا فقرات من التقرير المطوّل لوزارة الخارجية الأمريكية حول السجل الأسود لحقوق الإنسان في العراق .. ونحن لانحتاج الى شهادات دول الإستكبار بحق عملائهم بالمنطقة ولكننا أدرجنا بعض هذه الحقائق تماشياً مع قاعدة (من فَمِكَ أُدينُك) !!

واصل صدام حسين ومؤيدوه المقربين ممارسة الاستبداد في الحكم . كما واصلت الحكومة التعدّي على حقوق الناس . تقيّد الحكومة بشدة من حرية التعبير ، والصحافة ، والتجمع ، وإنشاء الجمعيات ، والعبادة ، والتنقل . أصدر المُقرّر الخاص التابع للأمم المتحدة والمُكلف شؤون وضع حقوق الإنسان في العراق تقريراً في كانون الثاني / يناير بيّن فيه بالتفصيل ما ترتكبه الحكومة من انتهاكات متواصلة وخطيرة لحقوق الإنسان . وأصدرت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان والجمعة العامة للأمم المتحدة في نيسان / ابريل وتشرين الثاني / توفمبر قرارين ينتقدان قمع الحكومة لهذه الحريات .

لايزال من الصعب توثيق انتهاكات حقوق الإنسان بسبب جهود الحكومة الرامية الى حجب الوقائع ، بما في ذلك منع إنشاء منظمات مستقلة خاصة بحقوق الإنسان ، ورفضها المستمر السماح لمراقبي حقوق الإنسان بزيارة البلاد ، واستمرار فرضها القيود الرامية الى منع قيام معارضة .

احترام حقوق الإنسان

القسم الأول – إحترام سلامة الفرد ، بما في ذلك التحرّر من :

أ – الحرمان الكيفي أو غير القانوني من الحياة

ارتكبت الحكومة الكثير من أعمال القتل لأسباب سياسية ولغيرها خارجة عن نطاق القانون وصلاحيات المحاكم . وللحكومة سجل طويل في إعدام أفراد تعتبرهم معارضين أو تزعم أنهم كذلك .

انتقد المقرر الخاص للأمم المتحدة ، في تقرير نشره الأمين العام للأمم المتحدة في ١٣ أيلول / سبتمبر ، الحكومة العراقية على «العدد الكبير من الإعدامات» التي تتم في البلاد ، وعند «الإعدامات لأسباب خارجة عن نطاق القانون التي تتم لأسباب سياسية» و «عدم مراعاة الأصول القانونية» .

لفت المُقرّر الخاص أيضاً الى أن الانتسبا لبعض الأحزاب السياسية عقوبته الإعدام ، وأن هناك خوفاً مستشرياً من الموت عقاباً على أي عمل أو تعبير يدل على المعارضة، وأن هناك أنباء مُتكررة عن اللجوء الى الإعدام عقوبة لأعمال مثل «إهانة» الرئيس أو حزب البعث .

صرّح المُقرّر العام أن «مجرد الإيحاء بأن شخصاً ما ليس مؤيداً للرئيس أمر يُمكم أن يؤدي الى إعدام ذلك الشخص» .

في أيلول / سبتمبر ، اعدمت الحكومة (٢٨) سجيناً سياسياً في سجن أبو غريب كجزء من حملتها لـ «تطهير السجون» خلال عام ٢٠٠٠ تلقى المقرر الخاص تقارير تشير الى أن حملة إعدامات لتطهير السجون تجري في سجني (أبو غريب ، والرضوانية) وسجون أخرى .

وأفاد ضابط سابق في المخابرات إنه شارك في عملية قتل جماعي في سجن (أبو غريب) في أعقاب صدور قرار من قيادة الثورة يقضي «بتطهير» سجون البلاد . ان دافع الحكومة في تنفيذ هذا العدد الكبير من الإعدامات العاجلة ويُقدّر بأكثر من (٣٠٠٠) شخص منذ عام ١٩٩٧ م ، قد تكون له صلة بما يقال عن ترهيب السكان وتقليص أعداد السجناء ، لم تبذل الحكومة أي جهد للتحقيق في حالات إعدام كهذه ماضياً وحاضراً ، ولم تردّ على الاتهامات في صدد هذه الإعدامات ، ولم تحاول كشف ومعاقبة مرتكبي هذه الأعمال .

ب – الإختفاء

مازالت الحكومة تتجاهل أكثر من (١٦٠٠٠) حالة إختفاء أبلغتها الأمم المتحدة في عامي ١٩٩٤ م و

١٩٩٥ م) ، كما تتجاهل استفسارات من حكومتي الكويت والمملكة العربية السعودية عن مصير المفقودين خلال احتلال العراق للكويت (١٩٩٠ م - ١٩٩١م)، ومن حكومة إيران عن مصير أسرى الحرب الذين أسرهم العراق في الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠م - ١٩٨٨م).

ان معظم الأشخاص الذين أبلغ المقرر الخاص عن اختفائهم ، وعددهم (١٦٤٩٦) ، هم أشخاص من أصل كردي اختفوا خلال حملة «الانفال» عام ١٩٨٨م.

قدّر المقرر الخاص أن مجموع عدد الأكراد الذين اختفوا في تلك الفترة يمكن أن يصل الى عشرات الألوف . تُقدّر منظمة «مراقبة حقوق الإنسان» هذا المجموع بما بين (٧٠ألف و ١٥٠ الف) ، فيما تُقدّر منظمة العفو الدولية بأكثر من (مئة الف) .

اما المجموعة التي تأتي في المرتبة الثانية لناحية عدد الأفراد الذين أبلغ المقرر الخاص عن اختفائهم فهي من المسلمين الشيعة ، الذين أفيد انهم اختفوا في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات عندما طردت عائلاتهم الى إيران بداعي ان اصلهم إيراني ، على ما زُعم .

تفيد إيران ان الحكومة العراقية لم تكشف بعد عن مصير (٥٠٠٠) إيراني أُسروا في الحرب العراقية الإيرانية .

في تقريرين لها صدرا عام (١٩٩٧م) وعام (١٩٩٩م)، بيّنت منظمة العفو الدولية بالوثائق رفض حكومة العراق المتكرر الرد على طلب معلومات عن أشخاص مختفين . عرض التقريران بالتفصيل حالات اختفاء مازالت دون حل وتعود الى الفترة من أوائل الثمانينات الى أواسط التسعينات . يستنتج التقرير أن بعض هؤلاء الأشخاص لم يستهدفهم النظام لجرائم ارتكبوها ولكن تمّ احتجازهم رهائن من أجل اجبار قريب لهم قد يكون هرب من البلاد الى الخارج على الاستسلام . واعتقل آخرون بسبب صلة القربى التي تجمعهم بمعارض سياسي ما ، أو بسبب أصلهم الاثني (أنظر القسم الأول ، الفقرة و) .

يواصل المقرر الخاص وعدد من الجماعات المهتمة بحقوق الإنسان مطالبة الحكومة بتوفير معلومات عن توقيف آية الله أبو القاسم الخوئي عام (١٩٩١م) بمعيّة (١٠٨) من زملائه . وقد توفي آية الله (الخوئي) وهو قيد الإقامة الجبرية في النجف . هناك أشخاص أوقفوا معه لم يُعرف حتى الآن أي شيء عن مصيرهم ، وترفض الحكومة الرد على استفسارات عن أضاعهم . وبالمثل ، حددت منظمة العفو الدولية أسماء عدد من مساعدي آية الله محمد الصدر أوقفوا في الأسابيع السابقة لاغتياله في شباط / فبراير (١٩٩٩م) لايزال مكان وجود هؤلاء مجهولاً . في تقريرها الصادر في تشرين الثاني / نوفمبر ، تذكر منظمة العفو الدولية أسماء ثمانية مساعدين للصدر ممن اختفوا .

إضافة الى إفادتها عن اختفاء عشرات ألوف الأشخاص ، ذكرت منظمات حقوق الإنسان خلال السنة أن حكومة العراق تستمر في اعتقال آلاف العراقيين الآخرين دون أن يُعرف عنهم أي شيء (انظر القسم الأول ، الفقرات ج ، د ، هـ) .

ج - التعذيب ، وسواه من أنواع المعاملة والمعاقبة الظالمة ، واللاإنسانية والمهينة .

يمنع الدستور التعذيب ، ولكن الأجهزة الأمنية تُعذّب المعتقلين بصورة روتينية ومنهجية . يقول سجناء سابقون ان أساليب التعذيب تتضمن : الوسم بالحديد الحامي ، تعريض الأعضاء التناسلية وأجزاء أخرى من الجسم للصدمات الكهربائية ، الضرب ، اقتلاع الأظافر ، الحرق بالحديد الحامي ، التعليق من مراوح دوّاره مثبّتة في سقف الغرفة ، تنقيط (الأحماض الحارقة) على الجلد ، الاغتصاب ، كسر الأطراف ، الحرمان من لطعام والشراب ، السجن الانفرادي لمدة طويلة في زنزانات مظلمة وضيقة جداً ، التهديد باغتصاب أو ايذاء افراد من الأسرة أو من الأقارب .

غالباً ما كان الدليل على التعرض لمثل هذه الأنواع من التعذيب يظهر عندما تُعيد أجهزة الأمن جثث ضحايا التعذيب الى أسرهم . وهناك أنباء متواصلة تتحدث عن إجبار الأسر على دفع نفقات إعدام أحد أعضائها . كثيراً ما نقل

لاجئون عراقيون وصلوا الى أوربا أخبار التعذيب الى حكومات البلدان التي استقبلتهم ، وعرضوا آثار الجروح والأذى الجسدي الذي أصيبوا به دليلاً على صحة ما يقولون .

في شهر آب / أغسطس ، أصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً بعنوان «العراق : التعذيب المنهجي للسجناء السياسيين» ، شرح بالتفصيل كيفية إخضاع السجناء السياسيين ، وسجناء آخرين في بعض الأحيان ، للتعذيب بصورة منهجية ومنتظمة .

في آيار / مايو ، أفاد (سعد قيس نعمان) ، وهو لاعب كرة قدم فرّ من البلاد ولجأ الى أوربا ، انه وزملاءه في الفريق ضُربوا وأهينوا تنفيذاً لأوامر (عدي صدام حسين) بسبب ضعف أدائهم في المباريات وجُلِدَ الى أن تدمّىٰ ظهره ، مما اضطره الى النوم على بطنه في الزنزانة الضيقة التي وُضع فيها في سجن الرضوانية ، وتؤيد روايته صحة ما زعمه جبار محمد الحديثي ، وهو لاعب كرة قدم عراقي دولي ، الذي صرّح في آب / أغسطس ١٩٩٠م بأنه تعرض للتعذيب مع زملائه تنفيذاً لأوامر عدي حسين لأنهم لم يفوزوا في مبارياتهم . كما ذكر في عام (٢٠٠٠م) ان ثلاثة من لاعبي كرة القدم كانوا أعضاء فريق خسر مباراة خاضوها في تشرين الأول / اكتوبر في الدور ربع النهائي لدورة كأس آسيا جُلدوا وسُجنوا لثلاثة أيام ، وفي عام (١٩٩٧م) أفيد ان أعضاء في المنتخب العراقي ضُربوا وعُذبوا تنفيذاً لأوامر (عدي) لضعف أدائهم في المباراة التي خاضوها للتأهل لدورة كأس العالم .

منذ سنوات والمقرر الخاص يُعرب عن القلق حيال عقوبات ظالمة وخارجة عن المألوف ينص عليها القانون ، بما في ذلك قطع الأطراف والوسم بالحديد . أفيد أن السلطات أضافت في عام (٢٠٠٠م) قطع اللسان كعقوبة للذين ينتقدون صدام حسين أو عائلته ، وفي ١٧ تموز / يوليو ، أفيد أن السلطات قطعت لسان أحدهم زُعم أنه انتقد صدام حسين . وقيل ان السلطات نفذت عقوبة قطع اللسان أمام حشد من الناس . وقيل أيضاً أن عقوبات قطع ألسن مماثلة نفذت في مدينة الحلة خلال السنة . لم تعترف الحكومة بصحة مثل هذه التقارير ، ولم تجر أي تحقيقات بشأنها ، ولم تتخذ أي اجراءات بحق مرتكبيها .

مازالت منظمات تُعنى بحقوق الإنسان ، ومجموعات معارضة ، تتلقى أخباراً عن نساء أصبن بصدمات نفسية شديدة بعد أن اغتصبن وهنّ قيد التوقيف أو الاعتقال . وذكر أن افراداً من قوى الأمن اعتدوا جنسياً على مسؤولين حكوميين وعلى أشخاص معارضين من أجل ابتزازهم وجعلهم يُذعنون لإرادة السلطات .

أفاد خالد الجنابي ، المسؤول السابق في جهاز المخابرات ، بأن إحدى وحدات المخابرات (تلك المعروفة بمديرية العمليات التكتيكية) ، استخدمت الاغتصاب والاعتداء الجنسي بصورة منهجية منتظمة لتحقيق غايات سياسية . وقيل أن تلك الوحدة قامت باستخدام صور التقطتها بكاميرات الفيديو لغاية الإبتزاز وضمان تعاون المستهدفين في المستقبل (انظر القسم الأول ، الفقرة و) .

يقال أن افراداً من قوى الأمن اغتصبوا نساء اعتقلن خلال حملة الأنفال وخلال احتلال الكويت . لم تعترف الحكومة قط بصحة هذه الأخبار ، ولم تجر أي ت حقيق فيها ، أو تتخذ أي اجراء بحق مرتكبي جرائم الاغتصاب هذه .

أوضاع السجون سيئة جداً وتشكل خطراً على حياة السجناء . يُذكر أن هناك العديد من السجون الرسمية ، وشبه الرسمية ، والخاصة منتشرة في مختلف أنحاء البلاد . ويُشكل اكتظاظ هذه السجون مشكلة خطيرة . في أيار / مايو ١٩٩٨م ، صرّح وزير العمل والشؤون الاجتماعية ، (عبدالحميد عزيز صباح) في مقابلة صحفية أن «السجون مليئة ما يصل الى (خمسة أضعاف) قدرتها على الاستيعاب والوضع خطير» . أقيل الوزير (صباح) من منصبه بعد المقابلة ، وكررت صحيفة بابل اليومية التي تملكها الحكومة ما تدّعيه الحكومة منذ أمد بعيد من أن ليس لديها أي سجناء تقريباً .

تشتهر بعض السجون بإساءة معاملتها للسجناء . ويُقال ان كلاً من سجون أبو غريب ، والبلدية ، ومكاسب ، والرشيدية ، والرضوانية ، وسجون أخرى ، تحتوي غرف تعذيب . وهناك الكثير من السجناء المصابين بأمراض عقلية

محتجزين في سجن الشماعية في بغداد، الذي يُقال إنه يستخدم لأعمال التعذيب والإخفاء. كان مركز الرضوانية في السابق مكاناً لاحتجاز أسرى الحرب يقع بالقرب من بغداد، ويقال إنه يُستخدم للتعذيب ولتنفيذ الإعدامات الجماعية (أنظر القسم الأول الفقرة أ).

في عام ٢٠٠٠م، أفاد المقرر الخاص أنه تلقى معلومات عن مركزي اعتقال يُحتجز فيهما السجناء في صناديق معدنية بحجم التوابيت، وأن هذه الصناديق لا تفتح إلّا مرة واحدة في اليوم ولمدة ثلاثين دقيقة فقط. ويُقال أن هناك مركز اعتقال وتعذيب مؤلفاً من عدّة طبقات تحت الأرض بُني تحت مبنى المستشفى العسكري الرئيسي بالقرب من معسكر الرشيد على مشارف بغداد.

يقال إن مئات من الأكراد الشيعة ومواطنين آخرين من أصل إيراني، كانوا قد اختفوا في أوائل الثمانينات خلال الحرب الإيرانية العراقية، هم مُعتقلون في سجن أبو غريب، ولا يُعرف عنهم شيء. ولاتسمح الحكومة لمراقبي أوضاع حقوق الإنسان بزيارة السجون.

د – أعمال التوقيف الكيفي، والاعتقال، والنفي التعسّفي

يمنع الدستور والقانون بصورة صريحة التوقيف والاعتقال تعسفاً؛ ولكن السلطات تقوم بذلك باستمرار. يواصل المقرر الخاص تلقي تقارير عن أعمال توقيف واعتقال تعسفية تجري على نطاق واسع، ولفترات طويلة، دون الاستعانة بمحام أو الإحالة الى المحاكم. وكما ورد في تقرير منظمة العفو الدولية الصادر في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٩م وعنوانه «العراق: ضحايا القمع المنهجي»، فإن آلاف الأشخاص اوقفوا تعسفاً في السنوات الأخيرة للإشتباه بقيامهم بنشاطات معارضة، أو بسبب صلات القربى بأشخاص تلاحقهم السلطات. وعادةً ما يقوم موظفون أمنيون بلبساً مدني بأخذ هؤلاء الموقوفون من منازلهم ولا يقدّمون أي تفسير لما يقومون به ولايُبرزون أي مذكرة توقيف للشخص المعني او لأفراد عائلته (انظر القسم الأول، الفقرة ز).

لاتسمح السلطات للموقوف بان يستعين بمحام كما لا تسمح لأسرة الموقوف بمقابلته. في معظم الحالات، لايعرف أفراد عائلات الموقوفين والمعتقلين أماكن وجود هؤلاء، ولا يستفسرون عن ذلك خشية الانتقام. يؤخذ الكثير من الاشخاص من بين ذويهم الذين لايعودون يسمعون أي شيء عنهم إلّا بعد أيام أو شهور أو سنوات. عندما يتم إبلاغهم بوجوب تسلم ما تكون عادةً (جثثاً مشوهة) لأحبائهم.

هناك أيضاً تقارير عن ممارسة شائعة جداً تتمثل باعتبار ذوي الأشخاص المعنيين أو من هم على صلة وثيقة بهم مسؤولين عن الاعمال المتهم بها هؤلاء (أنظر القسم الأول، الفقرة د، والفقرة ز).

واعتقلت قوى الأمن مئات الاشخاص في النجف وكربلاء وأحياء الشيعة في بغداد في أعقاب توزيع مجهولين لمنشورات مناوئة للحكومة في عام ٢٠٠٠م. وجرت اعتقالات أخرى دون سبب ظاهر.

تفيد التقارير أن الحكومة استهدفت المسلمين الشيعة باعتقالات تعسفية وانتهاكات أخرى.

تم توقيف العديد من معاوني الصدر؛ وحتى نهاية السنة كان مكان هؤلاء لايزال مجهولاً. وذكر أن مئات غير هؤلاء أوقفوا وهُدّمت منازل كثيرين منهم في الاسابيع التي تلت عملية الاغتيال (أنظر القسم الأول، الفقرة ز).

يقال إن مئات الأكراد الشيعة ومواطنين آخرين من أصل إيراني، ممن كانوا قد اختفوا في أوائل الثمانينات أثناء الحرب العراقية الإيرانية، محتجزون في سجن أبو غريب ولايُعرف عنهم أي شيء. واستناداً الى تقرير تلقاه المقرر الخاص عام ١٩٩٨م، فإن هؤلاء الأشخاص معتقلون منذ نحو عقدين في أوضاع شديدة السوء ودون أن توجّه لهم أي تهم.

ويذكر التقرير ان العديد من هؤلاء استخدم كأدوات اختبار في برامج (الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية) الممنوعة. رغم عدم توفر الإحصاءات، يُقدّر المراقبون عدد المعتقلين السياسيين بعشرات الآلاف، بعضهم معتقل منذ عقود.

هـ - الحرمان من المحكمة العلنية العادلة

القضاء في العراق ليس مستقلاً، وليس هناك مايحد من سلطة الرئيس في إبطال أو إلغاء حكم أي محكمة.

تقبل هذه المحاكم بالاعترافات التي يتم الحصول عليها من طريق التعذيب، وغالباً ما تكون هذه الاعترافات الأساس الذي يستند اليه في إصدارها الأحكام (أنظر القسم الأول، الفقرة ج).

يبدو أن الكثير من القضايا ينتهي في إعدامات فورية، إنما يمكن للمحكوم عليهم طلب الرحمة من الرئيس. يمكن لصدام حسين منح العفو في أي قضية تخدم أهدافه السياسية أو أهواءه الشخصية.

من الصعب تقدير عدد السجناء السياسيين، لأن الحكومة نادراً ما تعترف بأعمال التوقيف أو الاعتقال، ولأن أهالي الموقوفين يخشون التحدث عن تلك الأعمال. إن الكثير من عشرات آلاف الأشخاص اختفوا أو قتلوا في السنوات القليلة الماضية كانوا معتقلين أصلاً كسجناء سياسيين.

و - التدخل الاعتباطي بالخصوصية، والأسرة، والبيت، أو المراسلات

كثيراً ما تنتهك الحكومة حق المواطنين الدستوري بالخصوصية الشخصية.

خاصة في قضايا يُزعم أنها تتعلق بالأمن القومي.

لدى قوى الأمن وحزب البعث شبكات مفسدة من المخبرين لردع النشاط المعارض، وزرع الخوف في نفوس الناس.

واصلت السلطات بصورة منهجية اعتقال، وإساءة معاملة، وقتل أفراد من أسر وزملاء لمعارضين مزعومين للحكومة (أنظر القسم الأول، الفقرات أ، ب، د، ز). على سبيل المثال، أفيد أن الحكومة عذبت حتى الموت في أيار / مايو والدة ثلاثة منشقّين بسبب نشاطات أبنائها المعارضة. وفي حزيران / يونيو ٢٠٠٠م، أفيد أن أحد كبار الضباط السابقين تلقى شريط فيديو يصوّر أفراداً من قوى الأمن وهم يغتصبون إحدى قريباته، وبعد ذلك تلقّى مكالمة هاتفية من مسؤول في المخابرات أبلغه فيها أن قريبةً أخرى له هي قيد الاعتقال، ولفته الى وجوب التوقف عن انتقاد الحكومة.

قامت الحكومة في وقت سابق بهدم منازل واعتقال وإعدام أفراد أسر وذوي أشخاص شيعة احتجوا على أعمال الحكومة (أنظر القسم الأول، الفقرة ز).

أفيد أن (مكتب الأمن الخاص) واصل جهوده الرامية الى ترهيب أقارب أناس في المعارضة. فقد أجبر أقارب مواطنين عراقيين خارج البلاد يشتبه بأنهم يتعاطفون مع المعارضة على الاتصال بالمعارضين المشتبه بهم لتحذيرهم من مغبة المشاركة في نشاطات تقوم بها المعارضة أو في مؤتمرات تعقدها.

القسم الثاني - احترام الحريات المدنية، ومنها:

أ - حرية الكلام والصحافة

تشوّش الأجهزة الحكومية بانتظام على نشرات الأخبار الإذاعية الأجنبية للأنباء (أنظر القسم الأول، الفقرة د).

يُمنع استعمال صحون الاستقبال من الأقمار الصناعية، وأجهزة الاتصال بالكومبيوتر، وأجهزة الفاكس.

لايُسمح بنشر الكتب إلّا بترخيص من وزراة الثقافة والإعلام. لاتحترم الحكومة الحرية الاكاديمية وتمارس رقابة صارمة على المنشورات الاكاديمية. يُعيَّن موظفو الجامعات ويطردون من وظائفهم وفقاً لمدى تأييدهم للحكومة.

ب - حرية المعتقد

تشرف وزراة الاوقاف والشؤون الدينية على أماكن العبادة وتعين أئمة المساجد.

إن أكثر من ٩٥ بالمئة من السكان في العراق هم من المسلمين ويشكل المسلمون الشيعة (معظمهم من العرب) غالبية سكانية تتراوح نسبتها بين (٦٠ و ٦٥) بالمئة، في حين يشكل المسلمون السنة ما بين (٣٢ و ٣٧) بالمئة من العدد الإجمالي للسكان (ما بين ١٨ الى ٢٠ بالمئة منهم هم من الأكراد السنة، و ١٣ الى ١٦ بالمئة من العرب السنة، والبقية من التركمان السنة). تتألف النسبة المتبقية البالغة ٥ بالمئة من السكان، من المسيحيين (آشوريين، وكلدانيين، وكاثوليك، وأرمن ارثوذكس) ومن اليزيديين ومن عدد ضئيل من اليهود والطائفة الغنوسطية.

لاتعترف الحكومة بالتنظيمات السياسية التي شكّلها المسلمون الشيعة أو المسيحيون الآشوريون.

وبالرغم من أن الشيعة العرب يُشكلون المجموعة الدينية الأكبر، فقد سيطر تقليدياً السنة العرب على الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد. يتمتع السنة العرب بوضع متميز واضح في جميع نشاطات الحياة العادية بضمنها النشاطات المدنية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية. لايتميز الشيعة والسنة العرب عن بعضهم البعض من الناحية الأثنية. لقد دعم الشيعة العرب استقلال البلاد جنباً الى دنب مع السنة العرب منذ ثورة عام ١٩٢٠.

قادت الحكومة على مدى عقود حملة وحشية من عمليات القتل، والإعدام العاجل والتوقيف الكيفي لمدة طويلة ضد الزعماء الدينيين للمسلمين الشيعة وأتباع ذلك المعتقد الذين يشكلون غالبية السكان (أنظر القسم الأول الفقرات أ. د. ز).

رغم ما يُفترض من وجود حماية قانونية للمساواة الدينية، فقد قمعت الحكومة بشدة رجال الدين الشيعة والذين يتبعون المذهب الشيعي.

قتل رجال المخابرات والأمن العام، والمكتب العسكري، وفدائيو صدام، وحزب البعث، كبار رجال الدين الشيعة ودنّسوا حرمات مساجدهم، وأماكنهم المقدسة، وتدخلوا في التعليم الديني الشيعي.

أشارت التقارير الى أن رجال أمن يرابطون في جميع المساجد والأماكن المقدسة الشيعية، ويفتشون ويضايقون المصلين ويلقون القبض عليهم تعسفاً.

استمرد القيود الحكومية التالية على الحقوق الدينية مطبقة خلال السنة: قيود على صلاة الجمعة ومنعها من المساجد الشيعية، وقيود على إعارة المساجد الشيعية كتباً دينية، ومنع بث البرامج الدينية الشيعية من محطات الإذاعة أو التلفزيون الحكومية، ومنع نشر الكتب الدينية الشيعية، بما في ذلك كتب الصلاة والتوجيهات ومنع مواكب الجنائز الشيعية إلّا تلك التي تنظمها الحكومة، ومنع غيرها من شعائر المآتم الشيعية مثل التجمعات لتلاوة القرآن، ومنع مسيرات وتجمعات عامة مُعينة تقام للاحتفال بمناسبات مقدسة لدى الشيعية.

ذكرت جماعات من الشيعة انـها استولت على وثائق من مراكز الأمن العام خلال ثورة (١٩٩١م) درجت فيها عناوين الآلاف من الكتب الدينية الشيعية الممنوعة.

أبلغت مصادر شيعية عن حالات إلقاء القبض، والتضييق، والاعتداء، على علماء دينيين خلال عدة سنوات مضت وبالأخص في المركز الشيعي الأكاديمي في النجف ذي الشهرة العالمية.

في عام ٢٠٠٠م ذكرت تقارير منظمة العفو الدولية ان الحكومة قامت بشكل منظم بترحيل عشرات الآلاف من الشيعة (عرباً وأكراداً) الى إيران في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، على اساس أنهم من اصل فارسي. واستناداً الى مصادر شيعية، كان العلماء الدينيون والتجار الشيعة الذين دعموا مالياً هذه المدارس أول من استهدفتهم حملات الترحيل.

بعد انتفاضة عام ١٩٩١م، خففت الحكومة بعض القيود المفروضة على الشيعة الذين يتابعون الدروس في

المدارس الشيعية. ولكن يبدو أن نتائج إعادة تنشيط المدارس تجاوزت الى حد كبير توقعات الحكومة، وأدت الى اتخاذ الحكومة تدابير مشددة متزايدة بحق المؤسسة الدينية الشيعية شملت وجوب اقتصار خطب أئمة المساجد على المواد التي تزودهم الحكومة بها، والتي تهاجم الاتجاهات الأصولية.

تستمر الحكومة بانتظام في التسييس والتدخل في رحلات الحج الدينية للمسلمين العراقيين الذين يودون اداء فريضة الحج الى مكة والمدينة، وللحجاج المسلمين العراقيين وغير العراقيين للعتبات المقدسة في العراق (انظر القسم الثاني، الفقرة د).

مرّتان في كل عام – في اليوم العاشر من شهر محرم وبعد ٤٠ يوماً بعد ذلك في شهر صفر – يسافر الحجاج الشيعة من جميع مناطق البلاد ومن خلال العالم الى المدينة العراقية كربلاء لإحياء استشهاد الإمام الحسين هناك قبل قرون. تتدخل الحكومة منذ عدة عقود في مناسبات احياء ذكرى عاشوراء بمنعها المسيرات الراجلة الى المدينة. وفي عام ١٩٩٨م وعام ١٩٩٩م وردت تقارير تفيد عن حدوث صدامات عنيفة بين الحجاج العراقيين من جهة، وبين أعضاء حزب البعث قوات الأمن الذين كانوا ينفذون أمر المنع من جهة أخرى. في عام ٢٠٠٠ فتحت قوات الأمن النار على أناس حاولوا السير على الأقدام من النجف الى كربلاء (أنظر القسم الأول، الفقرة ز).

القسم الثالث – احترام الحقوق السياسية: حق المواطنين في تغيير حكومتهم

لا يحق للمواطنين تغيير حكومتهم:

يملك الرئيس السلطة المطلقة على جميع أجهزة الحكم.

إن معظم المسؤولين المهمين في الدولة هُم أما من أفراد عائلة صدام حسين أو من أفراد عائلات متحالفة مع عائلته في مسقط رأسه تكريت.

الأقليات الدينية:

لقد سيطرت بالفعل فئات مختلفة من المسلمين السنة العرب، الذين يُشكلون أقلية سكانية، على حكم العراق منذ الاستقلال عام ١٩٣٢م. أما الشيعة العرب الذين يشكلون الأكثرية الدينية من السكان فقد ظلوا محرومين لمدة طويلة سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً. مثلهم مثل الأكراد السنة، وغيرهم من الجماعات الدينية والاثنية في الشمال، يتعرض الشيعة العرب في الجنوب للتميز والتكيل (أنظر القسم الثاني، الفقرة ج).



كلمة شكر

نشكر جميع الأخوة والأخوات الذين أرسلوا هذا الكم الهائل من رسائل التأييد وكلمات التقدير لهذا المشروع المبارك «مذكرات سجينة» والتي وصلتنا من جميع مَهاجِر وربَذات العراقيين التي دخلتها «الكلمة الحرّة» .. ونعاهدهم ونُعاهد الله أولاً على المضي قُدُماً لأنجاز ما ابتدأناه معهم - بتوثيق ملاحم جميع الزينبيات في عراق المقدسات - مهما كثُرت العقبات وتعاقبت المعوقات .

ونلتمس من الجميع العُذر سيّما عوائل وذوي الشهيدات الغاليات لعدم نشر كلماتهم الطيبة لكثرتها .. لذا اخترنا كلماتٍ لبعض الأخوة المحترمين في هيئة تحرير الصحيفة إيماناً منّا بأنـها قد غطّت الغاية المرجوّة من تلك الرسائل ، خصوصاً وأنهم كانوا أقرب من غيرهم للأطّلاع على مدى التحديات التي واجهت ، وبأشكال وأساليبٍ متعددة ، المشروع في محاولة لوأده وهو في مهده .

نشكرهم شكر من يرى لهم الفضل ولا ينسى الأيادي الكريمة ، التي منحتنا بفضل رسائلهم قوةً وعزماً لمواصلة الجهد دون كلل ولا ملل .

نسأل الباري لهم الصبر والاحتساب والتوفيق والرشاد وتعويض عظيم ما خسروا بجميل ما يَهب فهو حسبنا ونعم الوكيل .

كلمة هيئة تحرير صحيفة «الكلمة الحرّة»

مُثُل لا أساطير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على الهداة الساميين والقادة الصادقين محمد وآله الطاهرين

وبعد ..

فإن بقاء هذا العالم وصلاحه قائم على التضحية والعطاء، ولولاهما لفسدت الأرض وهلك الحرث والنسل، وقبل أن ينزل أبونا آدم الى الأرض ويبدأ حياة الإنسانية، كان لابد أن يطلع على هذه الحقيقة ويلمس آثارها بيده. ولذلك فقد أدخله الله سبحانه في جنّة تعليمية، وأوحى اليه أنه اذا أراد أن يعيش رغداً منعماً بالراحة والاطمئنان فعليه أن يضحي برغباته ويكبح جماح النفس وطموحها بالاستحواذ على ماليس لها وعندما خالف ذلك بدت له سوأة الإنسانية وانكشف له أن الملك الذي لايبلى وجنة الخلد والسعادة ليست بالجشع والحرص والهيمنة والاستبداد وانما هي بالقناعة والتضحية بالرغبات والاهواء - وكان هذا درساً أساسياً هبط به الى الأرض ليبدأ الحياة التي بها يتكامل الإنسان ويعد نفسه كي يرتفع نحو السعادة الخالدة - وهذا التكامل يتحقق بالفوز في الصراع الذي ستدور رحاه على الأرض ﴿**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين**﴾[١].

صراع بين أهل العطاء وأهل الاستحواذ، صراع بين أهل الايثار وأهل الاستئثار .. ولولا هذا التدافع والصراع لعم الفساد هذا العالم ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[٢].

نعم فان اصحاب الهيمنة والاستكبار والاستبداد لولا أن يقف بوجههم اصحاب الايثار والتضحية والعطاء لأحرقوا الدنيا بنار نهمهم وجشعهم.

فاذا كان هناك عالم وأجيال حية واذا كان هناك شيء من العدالة والحرية والكرامة على هذه الأرض فان البشرية مدينة فيه للذين ضحّوا بأنفسهم ووقفوا بوجه المستكبرين والمستبدين على مر التاريخ. ولذلك ترى الامم المتحضرة تكرم ابنائها المضحين وتجعل منهم رموزاً للتقديس والاحترام لانّ عزتها واستقلالها مرهون بذلك.

ونحن في صراعنا المرير مع أعتى طغيان عرفه التاريخ - قد قدمنا من التضحيات والقرابين مافاق بكمّه وتوعه اكثر الأمم والاجيال ان لم نقل جميعها .. وكان للمرأة الدور المتميز في الثورة والمواجهة، فكم من هلهولة أو أهزوجة أو صرخة من امرأة دفعت الى الميدان آلافاً من الرجال، فكيف بها اذا حملت السلاح ونزلت الى الميدان أو تقدمت بصمودها نحو الشهادة والفداء.

نعم انّ في نهضتنا ربّات حجال أبيَن إلّا ان ينصبن حجالهن على أعواد المشانق وتنقلن حفلات اعراسهن من الصالات والفنادق الى دهاليز التعذيب، واذا بهذا الجنس اللطيف يملؤه الايمان فيتحول صلابةً وجلدا قهر الجلادين. واذا كان بعض الرجال قد انهار امام وحشية أذلال صدام فان بطلاتنا بنات الزهراء وزينب قد حيّرن وحوش البعث الذين وجدوا أنيابهم ومخالبهم عاجزة من أن تنتزع منهن دينهن وصمودهُن وان استطاعت ان تنهش أبدانهن الرقيقة ..

وهذه الصور من الاستقامة والتضحية والثبات ينبغي أن تُخلد وتتناقلها الاجيال لاكتاريخ يُقرأ كما تُقرأ الأساطير ولكن كمثُلٍ تُستلهم وروح تحرك الحاضر وتتفاعل معه.

---

١ - البقرة: ٣٦.

٢ - البقرة: ٢٥١.

والمحافظة على هذا التاريخ المشرق المعطاء وصيانته من التحريف والدس تفوق أهميته المحافظة على الثروات أو الاسلحة المادية التي تحتاجها الأمة .. فالأمة الى ذاك أحوج منها الى هذا.

ومما يؤسف له فانّ الكثير ممن كان يُرجى منهم أن يتحملوا هذه المسؤولية وبسبب ترك الميدان الأصلي للمواجهة وانشغالهم في النزاعات الجانبية قد طووا كشحاً عن توثيق بطولات الأمة وتضحياتها بل اصبح التعامل مع الماضي كالتعامل مع الحاضر انتقائياً وبمقدار ما يصب نفعةً في نزاعهم الداخلي والفئوي لايما تحتاجه الأمة والنهضة .. وراح البعض ينسىٰ أو يتناسى أو يتستّر على الصفحات النيّرة المشرقة في تاريخنا الجهادي مخافة أن يكشف ضوءها أخطاءه وعيوبه في الماضي والحاضر، ولعل هذا من الأسباب التي أدّت الى رمي ملف هذه البطلات في سلّة المهملات ردحاً من الزمن، الى أن بعث الله له الأخ المؤمن الغيور المجاهد الأستاذ علي العراقي وقرينته في الصبر والصمود والعطاء الأستاذة فاطمة العراقي اللذان أزاحا الغبار عن هذا السفر القيّم والجوهر الثمين وتحمّلا بصدق وإخلاص أعباء هذه الأمانة الكبيرة وقد تقارن تنفيذ هذا المجهود المبارك مع صدور صحيفة «الكلمة الحرّة» التي انطلقت لتكون لساناً وصوتاً لمن خُنقت أصواتهم مرتين، مرةً بأرعاب وإرهاب النظام الجائر، ومرّة بأهمال واستخفاف واستبداد المهجر، وقد احتضنت الصحيفة هذا المشروع وهي فخورة بذلك الى أن توقف صدور الصحيفة لأسباب قاهرة. ومع ذلك وعلى رُغم كل الصعوبات والعقبات فقد وفّق الله هذين المخلصين أن يواصلا هذا المشروع المقدّس فصدر منه الجزء الأول بعنوان «مذكرات سجينة» وسيصدر الجزءان الآخران قريباً إن شاء الله تعالى.

وأنا بدوري إذ أحمد الله سبحانه حيث أرى ان الكلمة الحرة الطيبة قد بقيت بهذا المشروع حيّةً تُؤتي أكلها كلّ حين لم تَمُت .. أدعو الله سبحانه أن يتقبل منهما بأحسن القبول وأن يسدّد خُطى الجميع للمحافظة على تاريخ الجهاد والتضحيات نقياً ناصعاً وأن يوفقنا لقول الحق والعمل به **﴿ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾**[1].

رئيس تحرير صحيفة «الكلمة الحرّة»

السيد محمد الموسوي

٥ / شعبان / ١٤٢٢ هـ

١- سورة البقرة: ٢٥٠.

المرأة العراقية بين مطرقة النظام وسندان الاعراف

مأساة المرأة العراقية متعددة الأوجه والابعاد ، فهي تعاني من حيف اجتماعي واضح سببته قبليات موروثة عن ماض مضطرب الهوية . فرض على المرأة أعرافاً ومقررات جائرة لا تمتّ في الغالب بصلة بينة لا الى دين ولا الى تراث .

وهذه الاعراف والمقررات هي في الواقع مزيج من قناعات مختلطة تولدت في الوسط الاجتماعي العراقي عبر عقود بل قرون من الاحتلال العسكري والفكري للعراق يمكن ان نؤرخ لبدايته منذ انهيار الدولة العباسية ومجئ حقب زمنية سوداء على هذا البلد العريق الذي قيّض له ان يرفع لواء السبق الحضاري في العالم لأكثر من مرحلة زمنية.

ورغم ذلك ، نجد ان المرأة العراقية لعبت دوراً لا ينكر على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي، عبر حركة دؤوب في الهامش الضيق والضيق جداً الذي تركته لها الأعراف والتقاليدالسائدة في العراق.

أترك استعراض الماضي وأنتقل سريعاً الى مرحلة المواجهة القصوى بين السلطات في بغداد وبين أبناء الشعب العراقي وذلك بعد تسلم شخص الطاغية صدام حسين للسلطة في العراق ايذاناً ببدء مرحلة دموية في البلاد لم تسلم منها اي فئة اجتماعية بما في ذلك النساء والشيوخ والاطفال.

في هذه المرحلة مارست المرأة العراقية دوراً مشرفاً ودخلت في المواجهة بأخطر اشكالها رغم ان اجهزة امن النظام لم تضع حدوداً اخلاقية للتعامل مع المرأة في حال اتهامها بالضلوع في عمل مناهض للنظام.

ويكتسب هذا الأمر حساسية اكبر عندما نعرف طبيعة المجتمع العراقي الذي ظل تسوده قناعات قبلية تجعل من الصعب جداً على الرجل العراقي هضم النتائج التي يمكن ان تسفر عن وقوع امرأة في شراك مخلوقات متوحشة، حتى وان كانت مبررات دخولها في أصل العمل الجهادي مشروعة ومقبولة لديه على المستوى النظري.

لنا ان نقول بضرس قاطع ان الانتهاكات التي حصلت لحقوق المرأة في العراق في ظل الفترة من ١٩٨٠ وما بعد ذلك، مما لا يمكن أن نعثر على مثيل او مشابه له في اي ناحية أخرى من العالم، حتى أن بشاعة هذه الممارسات بلغت حداً بات من الصعب للمرء ان يصدق بوقوعها، مما خلق مشكلة اخرى على مستوى توثيق هذه الامور فوجد بعض المهتمين بالجانب التوثيقي انفسهم مضطرين لحجب الكثير من الحقائق عن النشر خشية التشكيك بالمصداقية وبالتالي نقض الغرض من التوثيق جملة وتفصيلاً.

وهذا لعمري مفارقة اخرى من المفارقات الكثيرة التي تحكم الشأن العراقي . فالمعروف ان المعارضات في العالم كلّه تهول الجريمة التي ترتكبها السلطة لأسباب دعائية قد تكون مقبولة في حدود معينة، بينما تلجأ المعارضة العراقية الى العكس خوفاً من التفريط بكل شيء.

اقول هذا راجياً القارىء العزيز لهذا الكتاب الفريد من نوعه - والذي نهض بأعباء تاليفه الأُستاذان علي العراقي وفاطمة العراقي - انه ان واجه قضية يصعب عليه تصديقها فمن حقه ذلك ولكن ارجوه بحكم تجربتي الشخصية ان لا يبادر على الاقل الى تكذيبها ما استطاع ، وذلك مخافة ان يجرح شعور شهيدة !

مدير تحرير صحيفة «الكلمة الحرة»
الشيخ أبو حسن اليوسف
١٢ / شعبان / ١٤٢٢ هـ

العزاء تفضح صمتنا[1]

لاشك ان المشهد العراقي المعاصر وما يحفل به من تعقيدات وحكايات هو الأشد إثارة في القرن الأخير بكل تفاصيله المخضّبة بالدماء، ولم تختص المحنة بفئة معينة من ابناء العراق كما هو جار في العالم بل تجاوزت حدود الرجال لتشمل النصف الآخر من المجتمع، مجتمع الفضيلة والطهر والقداسة.

ولا غرابة ان تشمل سياط الجلادين فتيات من أشرف واطهر أسر العراق فتلوّىٰ على ظهورهن كالأفاعي في واحدة من أقسىٰ حقب العراق الظالمة المظلمة، كما لا غرابة أن يذهل رجال الامن في غرف الاعدامات في سجن الثقيلة بـ(أبو غريب) وهم يشاهدون نساءاً عراقيات وهن يقدمن نحو غرف الاعدام ويهتفن بكل فخر ويكبرن وكأنهن في محفل فرح وميلاد.. لكن الغريب هو اننا لم نعرف قدر تلك الفتيات حتىٰ هذه اللحظة بعد ما مضىٰ علىٰ شهادتهن أكثر من عشرين عاماً، ومازلنا نتردد في كشف الملفات خشية ان يكشفن صمتنا المذهل واسترخاءنا المخجل ونقضنا العهد بأخذ ثأرهن وإنشغالنا بحطام الدنيا وبهارجها وقد رحلن الىٰ علياء الشهادة ليكونن شاهدات علىٰ عالم الشهادة..

والاغرب من ذلك ان فينا من لم يعش في دهاليز التعذيب واقبية القمع فأخذ يتردد في تصديق ما حدث لفتياتنا وربما يتّهمنا بالمبالغة والتهويل وهو ما يتناغم تماماً مع خطاب الجلاد في التشكيك وإنكار كل ما جرىٰ ويجري في العراق، ومن المفارقات في هذا السياق هي ان يصطف الضحايا بعفوية مفرطة وبساطة مع رؤية الجلاد لكي يمارس كلاهما التشكيك بوثائقنا التي خُطّت بالدم والآهة والألم بيراع (شاهدَين) علىٰ المحنة ممن عاشا فصولاً حمراء هامة من فصول المعاناة والمأساة العراقية وهما ممن نجيا بقدرة قادر من الاعدام المؤكد لكي يُسجّلا ما شاهداه من أحداث مرعبة وهما الاستاذان فاطمة العراقي وشريك حياتها ومعاناتها علي العراقي.



والاشد غرابة أيضاً هو مواعظ بعض الناصحين لنا بعدم نشر هذه الملفات خشية كشف حقائق عن فتياتنا وهن يتعرضن الىٰ اقسىٰ الممارسات علىٰ أيدي رجال أمن يشبهون الذئاب، وقد خاطبنا البعض منهم معاتباً لا مغاضباً «اغلقوا هذه الملفات لكي لاتثيروا قلقنا وغضبنا وربما تسلبون الهدوء والنوم من عيوننا»! إنهم لا يجرأون ان يسمعوا ما جرىٰ علىٰ أخواتنا في الأمن العامة بينما هنّ تحملن كل هذه المصائب والمحن، انهنّ يتحملن حقيقة المحنة والعذابات ونحن لانطيق حتىٰ الذكريات! إنها من مفارقاتنا الغريبة الأخرىٰ.

ما سطره يراع الشاهدين ممن انفردا بكل شجاعة وصبر وتضحية بسرد فصول المحنة لعذراء العراق ولم يخلدا للراحة والدعة أو الخضوع والخنوع الىٰ الاعيب الحاسدين وأكاذيب الحاقدين، عبارة حقائق ووثائق لا يمكن التقليل من شأنها.. وربما أتّهمَ الكاتبين الشاهدَين ليس بالتهويل بل بالتهوين لبعض المشاهد والتقليل منها مجاراة لظنوننا ومداراة لمشاعرنا وهدوئنا.

ولي تجربة إعلامية مع الشاهدَين الكاتبَين في صحيفة «الكلمة الحرّة» التي انفردت بنشر ملفّات الشهيدات على حلقات مثيرة، وهي الصحيفة الوحيدة التي استعصت علىٰ التأميم من أصحاب المال والقرار وأبت إلّا أن تكون كلمة حرة توشحت صفحاتها بكل فخر وشرف من سجل تلكم النسوة اللاتي نفضن بصمودهن غبار الذل والهوان عن وجه التأريخ.

ومما يزيد من مظلومية تلك الفتيات الشهيدات هو اغضاضنا النظر عن محنتهن ومواقفهن الشجاعة ومحاولة

1- كان المؤمّل أن يُنشر هذا المقال في صحيفة الكلمة الحرّة (العدد ١٢) ولكن توقف الصحيفة عن الصدور حال دون ذلك.. فالمؤلف قد عانى من محاولات البعض في تحجيم رؤيته وعرقلة مشروعه - الذي بدأه في صحيفة الكلمة الحرّة والمتمثل في أرشفة شهيدات العراق وتوثيق جهادهن - لا لسبب سوى رفضه التبعية لهم والتخندق معهم في تقديس عمرو وتسقيط زيد.

البعض إستكثار هذا القليل من الكلمات بحقهن وكانت الكلمة الحرة قد خصصت صفحتين من صفحاتها الثمان لملف السجن والاعتقال ، وقدّر لبعض البسطاء منّا الذين يدّعون الموضوعية وقبول الرأي الآخر أن يهمس هنا ويبذل الجهد هناك . علّه ينجح في تقليل تلك الصفحات وتضييق مساحاتها مثلما حاول الجلّاد تضييق مساحات الزنزانات لفتياتنا !! انهم يحسدون تلك الفتيات الشهيدات علىٰ مساحة حجمها صفحتان في كلمة حرة بينما لم تسجل صحافتنا المؤسّسة وعلىٰ مدىٰ عقدين من الزمن ملفاً واحداً لهذا السجل النسوي المشرّف وأنشغلت بمقالات التسقيط أو بصناعة العبيد[1] .. وقد كانت صحيفتان تُغرّدان خارج السراب والتيار وخارج عن المال والقرار ، فدفعت احداهن ثمن المال والثانية (الكلمة الحرة) ثمن القرار فأُغلقت وأُغلِق ملف الفتيات الشهيدات دون ان تبادر صحيفة متصدّية واحدة علىٰ ملء هذا الفراغ وكأن تلك الشهيدات قد استشهدن في جزر القمر أو موزمبيق ، بينما يتاجر الجميع ويزايد بهذا السجل التضحوي الملحمي الكبير .

بل خصّص هذا البعض المزيد من جهوده وجهاده الثقافي للتشويه والتسقيط وانهمك باصدار الكتب والمنشورات – البعيدة عن آلام العراق وجراحه – لسد نقص عُقده ونفوره ومنهجه المتذبذب ، وكأن ساحته هي إسقاط ما يمكن اسقاطه من العناصر المتخندقة معه متجاهلاً تماماً الطاغية ومتناسياً سجلات الضحايا من أبناء السجون والمعتقلات .

ان تغافل أو تجاهل هذا التاريخ الصمودي لتلكم النسوة المنسيّات انما يعني في بعض مفرداته إنسلاخنا عن تأريخنا وهويتنا وقضيتنا التي قدمنا من أجلها الضحايا والقرابين الكبيرة الكثيرة . وهنا أحرص علىٰ نقل مشهداً كنتُ قد اطلعتُ عليه في سجن (أبو غريب) عندماكنتُ أقضي محكوميتي هناك ، حيث جاءنا المجرم المتوحش المدعو (أبو وداد) – الذي كان يتصدىٰ لمسؤولية إعدام المؤمنين في قسم الأحكام الثقيلة – وقال بذهولٍ واستغراب : «اليوم رأيت أمراً عجباً ! لقد جيء بأربع وعشرين فتاة محجبة الىٰ الاعدام ، كنَّ يتقدمن الىٰ المشنقة الواحدة تلو الأخرىٰ بهتافٍ وتكبير وكأنهنَّ في حفلة زفاف !!» .

ألا نخشىٰ من تساؤلات الاجيال وتساؤلات الواقع عمّا قدمنا لتلك الشهيدات المؤمنات اللاتي عشن للإسلام ووظّفنَ كل وجودهن له بخلاف غيرهن ممن عاش علىٰ الإسلام ووظّف كل المبادىء والقيم في خدمة ذاته وانانيته وثمة فرق كبير بين من يعيش للمبادىء وبين من يعيش عليها ولعل عبارة السيد قطب لاحد وعاظ السلاطين الذين يستهنون الرزق والعيش علىٰ تلقين المحكومين بالاعدام الشهادتين تفيدنا في تأكيد هذا الفهم ، فعندما تقدم قطب للمقصلة حاول ذلك الواعظ تلقينه الشهادتين فنظر إليه قطب بامتعاض وقال له حتىٰ أنت جئت لتكمل المسرحية ، فاننا نموت من أجل (أشهد ان لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) وأنت تعتاش عليها !!!

ويبقىٰ المزيد من المشاهد التي تعمد الكاتبان اغفالها أو تجاهلها تستفز ذاكرتنا واسترخاءنا وركودنا وتصلنا عن هذا العفاف المصلوب في بغداد ، حين صرنا نمتعض حتىٰ من توثيق تلك الحقائق ومن تقديم ما يلزم في حفظ تلك المواقف البطولية الخالدة دون الركون الىٰ جَلد الذات وتأنيب الضمائر . ويمكن القول أن هذه الملفات ستفتح أمامنا آفاقاً واسعة من محاولة الهروب من هذا الواقع التنظيمي النسوي المخترق ومسؤولية من أسهم في هذا الاهتزاز والضياع حتىٰ صرنا نُنظّم النساء في أبشع بقع الصراع وأعقدها ثم أهملناهن في زمن الاستحقاقات وجني أرباح الدم

---

١ – أحد الكتّاب الإسلاميين في المهجر أفنىٰ عشر سنوات من عمره في خدمة أحد السادة المتصدين ومقارعة مناوئيه ، وأفنى العشرة الأخرىٰ في محاربته وخدمة مناوئيه !!

فهو ممّن ينطبق عليه – مع الفارق – المثل الشعبي القائل «بين حانه ومانه ضاعت لِحانه» .

ويبدو أن الأخ الكاتب (هداه الله) – ومن خلال محاولاته المحمومة للضغط على هيئة التحرير لاقناعهم في تقليص المساحات الحمراء التي خصّصتها الصحيفة لدماء الشهداء – قد قرّر أن يفني ما تبقىٰ من عمره في حرب غير مقدسة ضد كل توجه لايخدم ذاته وإن خدم عراقه ومقدساته ! المؤلف

واستمارها في مهاجر وشتات المنافي ولكي لانقول مع الفارق بين المثالين ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام : **(ما أنصفوك إذ أفرجوك صانوا حلائلهم وأبرزوك)** وأتذكر موقفاً وتوثيقاً للحقيقة سوف اضطر لطرحه في هذا السياق العابر وهو : بعد التعليمات الداعية الى التجمع أمام مسجد (محمد الباقر) في مدينة الثورة لانطلاق مظاهرة استنكارية بسبب اعتقال الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره عام ١٩٧٩ م قام بتبليغنا الحاج (ح . ن) بضرورة التجمع والتظاهر وعندما انطلقت المظاهرة الغاضبة وفيها من النساء مجموعة من آل المبرقع وأخرى من مجاهدات المدينة ، وتفقدنا الحاج (ح . ن) فلم يحضر معنا في تلك التظاهرة وعندما سألناه عن سبب هذا الغياب المفاجىء أجاب بكل هدوء وصراحة : اني خشيت ان يصادر رجال الأمن سيارتي الجديدة فحاولت إبعادها من موقع المظاهرة ، فلم أوفق بالاشتراك بها !! فهو (رحمه الله) يخشى مصادرة سيارته بينما اعتقلت أكثر من خمسة نساء من عائلة واحدة !!!

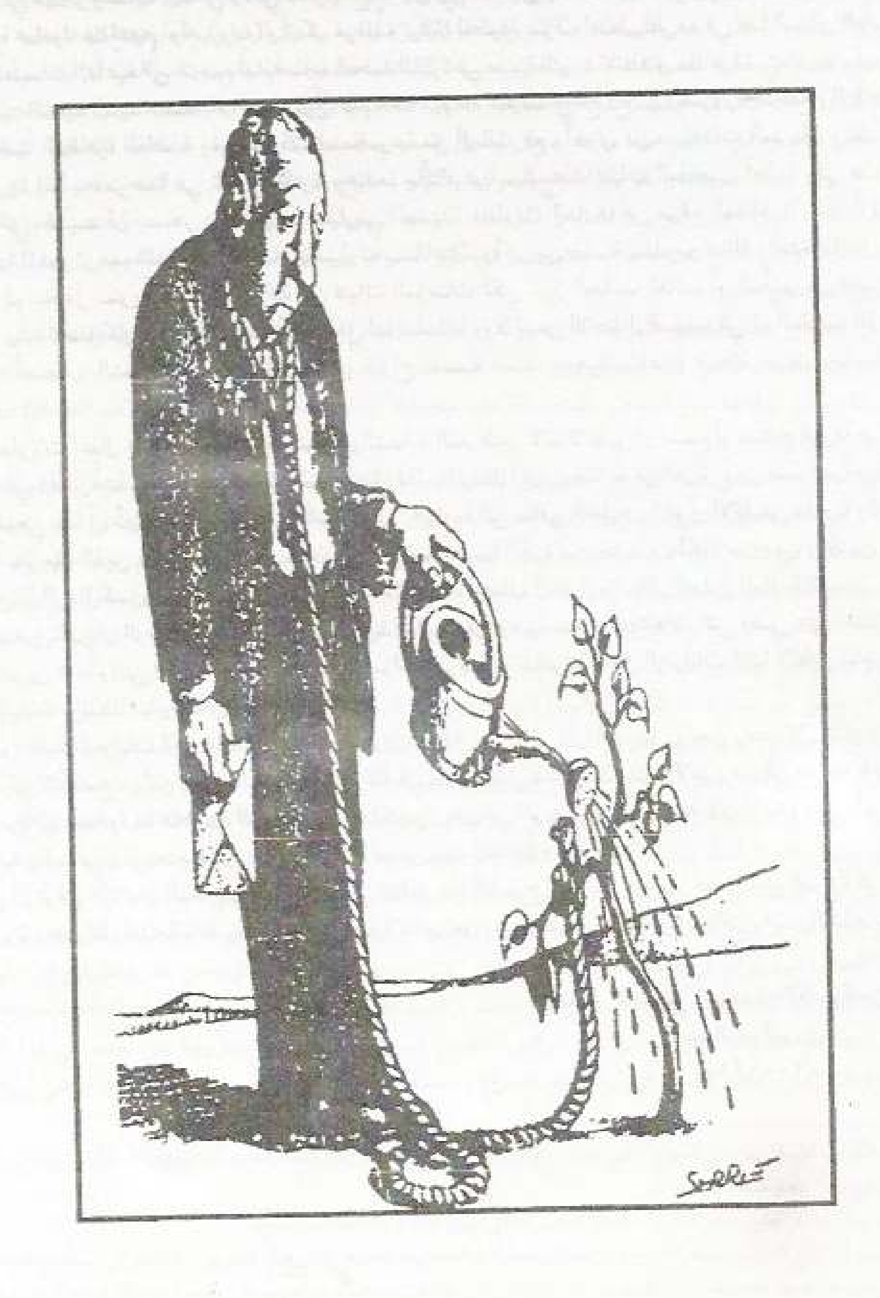
لماذا لم نحتفل سنوياً باستشهاد كوكبة من فتياتنا المؤمنات لكي نبرز الجانب الغائب أو المغيَّب من قضيتنا ومظلوميتنا بينما نحتفل كل يوم بمناسبات شتى لادخل لها بمأساتنا ، ولا ننسى الاحتفال المهيب في قم المقدسة الذي أقامه بعض أصحاب الشأنية والمقام العلمي على أرواح خمسة نساء خليجيات ذهبن ضحيّة حريق بمناسبة احتفال زفاف !!!

ان محاولات اغفال هذه الملفات بحجة النخوة والشهامة المفرطتين لاننا لانطيق ان نسمع أو نستمع الى ما جرى على فتياتنا في دهاليز أُعدّت خصيصاً للرجال ولما استطاع أغلب الرجال الفرار بحذاقة من العراق ومن قلب المواجهة ، كان من الطبيعي جداً أن تُعوّض تلك الفتيات غياب الرجولة الهاربة الى منافي الخليج والجوار الاقليمي واوربا وكان املهن كبيراً بالرجال الذين فرّوا بجلدهم ان يعيدوا تنظيماتهم ليعيدوا الكرة من جديد ويطلقوا سراحهن ، لكنهن لم يخطر ببالهن ان الرجال قد روضتهم المخابرات الاقليمية لاستجداء انصاف الحلول وانتظار الحلول الوافدة المستوردة كما قد غاب من بالهن أن الرجال ماعادوا يفكرون بهن أبداً ولو سمعوا وصية بعض المعتقلات التي مضى على اعتقالها اكثر من عشرين عاماً والتي أكدت بقولها : لو اطلقتم سراحنا فنرجو ان تدفنوننا داخل الزنزانات لاننا لانطيق ماجرى علينا من الويلات والمصائب والمحن ..

اردموا علينا الزنزانات لكي تطمئن ونلتحق بالبارىء القهار فهو ولي ثأرنا ودمنا . ونحن ردمنا كل الذكريات والملفات لكي لا تُفتضح ، ولئن رحلت الشهيدات الى الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر لانهن صدقن مع الله ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...**﴾ لكنهن رحلن في قلوبهن حسرة ولوعة لان الامانة التي بأيدينا مزقتها الغربة والمنافي ولم يعد بمقدورنا أن نفي قطرة دم من دماء القداسة والشرف .

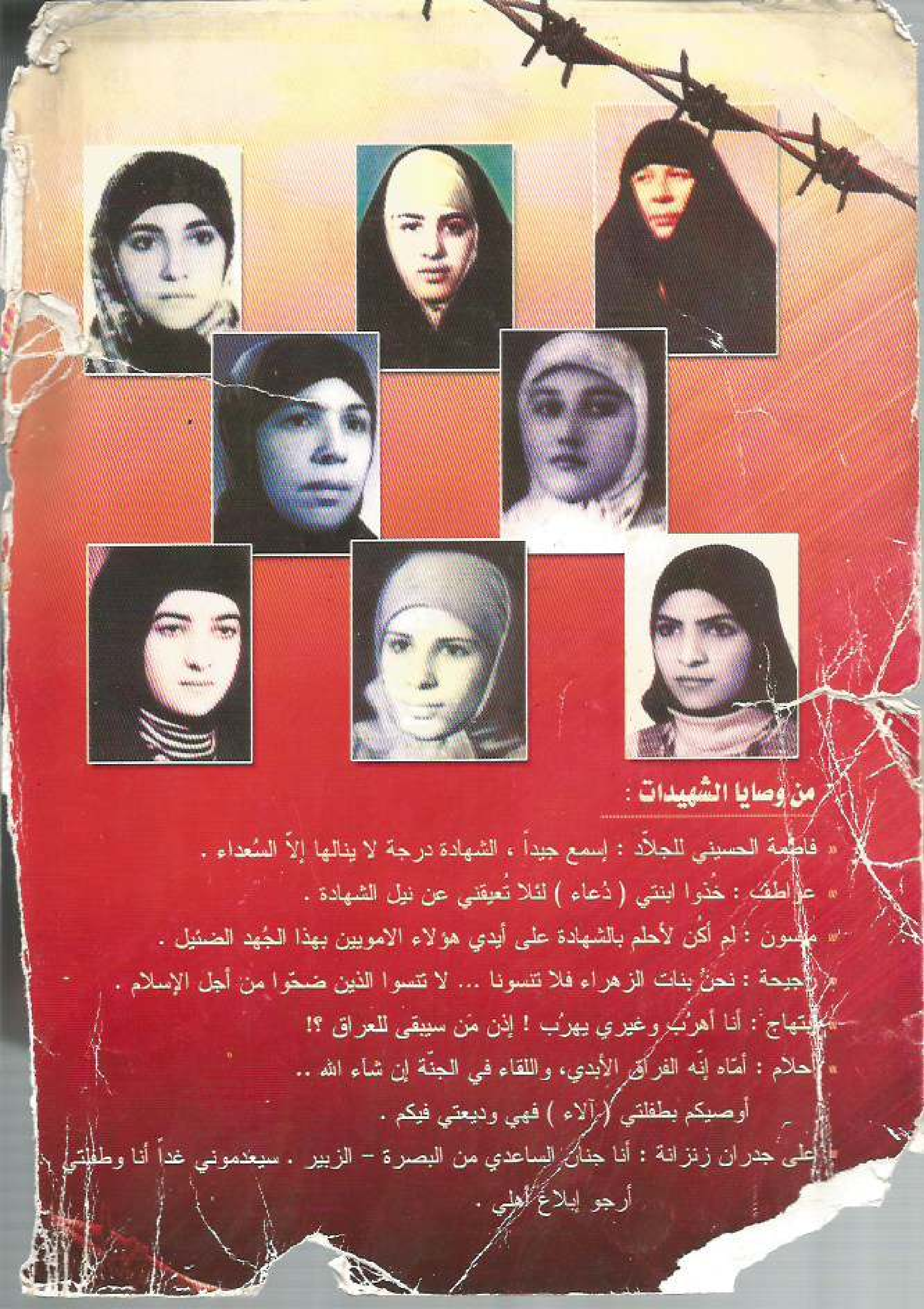
أملي أن توفّق الكاتبان السجينان المظلومان في تحقيق هذا الطموح المقدّس ، وربما أفضل دعم لهم منّا هو أن نقيهم شرورنا وفضولنا واتهاماتنا الموروثة من الساحة لاننا مولعون في تسويق الاتهامات والافتراءات والاشاعات .

المحرر السياسي لصحيفة «الكلمة الحرة»
السيد كريم النوري
٢٠٠١/١٠/٢ م



فهرس الكتاب

والحمد لله رب الشهداء


من وصايا الشهيدات :
فاطمة الحسيني للجلاّد : إسمع جيداً ، الشهادة درجة لا ينالها إلاّ السُعداء .
عواطف : خذوا ابنتي (دُعاء) لئلا تُعيقني عن نيل الشهادة .
سون : لم أكُن لأحلم بالشهادة على أيدي هؤلاء الامويين بهذا الجُهد الضئيل .
جيحة : نحنُ بنات الزهراء فلا تنسونا ... لا تنسوا الذين ضحّوا من أجل الإسلام .
تهاج : أنا أهرُب وغيري يهرُب ! إذن مَن سيبقى للعراق ؟!
أحلام : أمّاه إنّه الفراق الأبدي، واللقاء في الجنّة إن شاء الله ..
أوصيكم بطفلتي (آلاء) فهي وديعتي فيكم .
على جدران زنزانة : أنا جنان الساعدي من البصرة – الزبير . سيعدموني غداً أنا وط
أرجو إبلاغ أهلي .